طبعة جديدة

د. محي الدين عميمور

نحنُ والعقيد

صعود وسقوط معمر القـذافي



إهداء

إلى روح شيخ الشهداء عمر المختار
وروح شهداء الحرية ضحايا الظلم
في كل مكان

شكر وتقدير

إلى من أرهقتُهما في تصحيح الكتاب

الأستاذ مدني حواس والأستاذة منى عميمور

ولمن استفدت من معلوماتهم وكتاباتهم ودراساتهم وخصوصا

مايا الحاج - بسام أبو شريف -الطاهر بلخوجة – صالح بلقبي
عمار بن قادة – خضير بو قايلة - فانسان جوفير- عبد القادر حجار
مصطفى بن حليم - عبد النور بو خمخم - محمد عمر بعبو - سعد بو عقبة

سفيان بو عياد - عادل حمودة - طلحة جبريل – جهاد الخازن - خوان غويتيسيلو- فيوليت داغر
محمد عنتر داوود - عبد العزيز رحابي- توفيق رباحي - محمود رياض
–حسن زهار - عبد الباري عطوان - سمير عطا الله - أحمد عظيمي
سعيد العلوي -عبد الرحمن شلقم – محمد الصلابي – محمد علال -
بطرس بطرس غالي -فتحي الفاضلي- غازي القصيبي –
عبد الحليم قنديل – حسنين كروم
الهادي مشيرقي - محمود المقريف – محمود معروف - فهمي هويدي
عبد المنعم الهوني- محمد حسنين هيكل
بترتيب الحروف الهجائية للألقاب ومع حفظ الألقاب

وكذلك : ملفات ويكيبيديا وغوغل والصحف الجزائرية صوت الأحرار والشروق اليومي
والخبر والفجر والبلاد
والصحف الدولية الحياة والأخبار والأهرام والشرق الأوسط واليوم السابع والشروق
والقدس العربي ولو فيغارو والغارديان ونوفيل أوبزرفاتور و واشنطون بوست ونيويورك تايمز
ونيوز ويك وكوزموليسكايا والإيكونومست وصحف ومجلات أخرى
ووكالة الأنباء الفرنسية ورويتر وأسوشييتد بريس وغيرها

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ
تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء
وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء
وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء
بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ –
آل عمران 26

مقدمة

إذا تم كسرُ بيْضة بواسطة قوّة "خارجيّة" فإنّ حياتها قد انتهت، وإذا تمّ كسر بيضة بواسطة قوّة "داخلية"، فإنّ هناك حياة قد بدأت.

حكمة لا أعرف من قائلها
والحديث قياس

*

يشاء القدر أن أخط السطور الختامية في هذا العمل عشية أول سبتمبر 2011، أي بعد 42 عاما بالتمام والكمال على ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 التي كان على رأسها العقيد معمر منيار القذافي، محور هذا الكتاب الذي عكفت على كتابته ابتداء من فبراير هذا العام.

وقد كانت أحداث 2011 مدعاة للفخر في كثير من جوانبها ولكنها، في بعض جوانبها، كانت مدعاة للحزن والأسى، ومن هنا رأيت أن أخصص هذا الجهد لواحد من أكثر الجوانب مأساوية، وهو ما عرفته الساحة الليبية.

وما يجده القارئ هنا ليس بحثا أكاديميا موثق المراجع ولا هو تقرير طب شرعي مكتمل المعطيات، كما أنه ليس بحثا علميا مضمون العناصر أو دراسة جامعية دسمة الوثائق ولكنه، قبل كل شيء، مجموعة من المعلومات والآراء والأفكار، جمعت بسرعة وكيفما اتفق، استعرضتُ فيها ما شاهدته من أحداث وما عثرت عليه من دراسات وتحقيقات، وما استرجعته مما كنت كتبته من مقالات أو مذكرات، وكان أملي أن يضيء هذا كله طريقي وأنا أسير حافي القدمين على الأشواك، باحثا عن الحقيقة في ظلام الأكاذيب، ترجمة لأمانة الكلمة ووفاء لشرف القلم.

وسيكون هدفي الأول محاولة الإجابة على السؤال العنيد :

أين هي الحقيقة؟ وكيف وصلنا في الوطن العربي إلى الحالة المزرية التي نعيش مرارتها ونتنفس آلامها ونئن فيها من نصال تتكسر على النصال؟.

وربما كان هذا هو طريق الردّ على التساؤلات الحائرة حول المحور الرئيسي لهذا الكتاب، الذي يدلّ عليه عنوانه:

من هو العقيد معمّر القذافي على وجه التحديد، وهل هو كفاءة فذة أم عبقرية منحرفة ؟

هل هو قمة فكرية سامية متميزة أم مستنقع أفكار مبعثرة ذات ضجيج كنقيق الضفادع؟

وهل هو رائد نضال يعبر عن أمة وقدوة كفاح يترجم إرادة شعب أم تاجر بلاغيات أحسن التلاعب بها ردحا من الزمان؟

وكيف نجح القذافي منذ سبتمبر 1696 وحتى مطلع 2011 في انتزاع مكانة متميزة بين قيادات العالم، واستطاع كسب احترام الكثيرين وتخدير الكثيرين وخداع الكثيرين، وضمن حماس وودّ وسكوت وتواطؤ الكثيرين، شعوبا وأنظمة ومثقفين، في الشمال أو الجنوب وفي الشرق أو الغرب؟.

كيف تمكن من الصمود في وجه الأطلسي إثر قرار مجلس الأمن في مارس، وفي مواجهة زمجرة وضغوط أهم قوى العالم القديم وبعض العالم الجديد، وما هي عناصر القوة التي أعطته القدرة على المناورة، ومقدرة التميز كلاعب رئيسي في لعبة عض الأصابع الدولية والجهوية، وما هي حقيقة دور الأموال المكدسة عبر أربعة عقود والتي أحسن استخدامها وتوظيفها؟.

ثم، أولا وأخيرا، ما موقع بلادنا خلال كل تلك الأحداث؟

دراسة كل ذلك هي التي تمكننا من فهم بعض ما حدث عبر العقود الأربعة في المنطقة، وفي الشمال الإفريقي على وجه التحديد، وتسلط الضوء على السبل التي تقود الوطن العربي إلى مستقبل جديد لا ينشأ فيه وضع يحمل الخراب والدمار للجميع، ويطمئن فيه كل مواطن إلى أنه لا مجال لأي تدخل أجنبي في شؤون منطقتنا، ويكون الرأي الأول والكلمة الأخيرة للشعوب.

ولعلي أضيف بأنني قسمت مادة الكتاب إلى قسمين متوازيين، أولها موجود عبر الصفحات بالأسلوب المعتاد، والثاني يوجد في الهوامش، وقد بذلت في إعداده جهدا كبيرا، لكنني فضلت ألا أرهق به القارئ وخصصته للمهتمين بالتفاصيل الدقيقة وبالمراجع، ولهذا وضعته بخط مختلف في الهوامش ليكون تحت تصرف من يريد، ولا يكون الاطلاع عليه إلزاما لمن لا يريد، وحرصت على أن أسجل مراجعي في كل ما أورده، تسهيلا لمن يسعى نحو الاستزادة.

وحرصت في الوقت نفسه على بذل جهد معتبر لإضافة وثائق مصورة رأيت أنها تستكمل الهدف المقصود من الكتاب، وتعطي لعناصره البشرية وجودا حيا بالنسبة للقارئ المهتم.

ولن أعتذر عن ضخامة الهوامش وكثرة المراجع، فقد رأيتها ضرورة معلوماتية وتوثيقية لسببين، أولهما أنني أعرف أن كثرة الأحداث وتشابك المعطيات يتحول، مع مرور الزمن، إلى ضباب يخفي المواقف ويشوه المعطيات وقد يقلب الحقائق، ومن هنا حرصت على أن أسجل هنا مرجع ما التقطته من كتابات ولقطات متلفزة، لأن الاطلاع البعديّ عليها جزء من فهم أحداث أصبحت ماضيا يحجبه ضجيج الحاضر وقد يشوه حقائقها نسيان بعض المواقف أو التصرفات، وهنا يأتي السبب الثاني والذي أعتز به وأسجل تقديري له، وهو أن كتبي، كما عرفت، أصبحت تعتبر مراجع عند بعض القراء، والشباب منهم على وجه التحديد.

ولعلي أعترف بأن هناك أمورا لن أتعرض لها مطلقا، سواء لأنني لم أكن شاهدا مباشرا على حدوثها، أو لأنني لا أملك لها توثيقا كافيا، ومنها ما قد يدخل في إطار ما اطلعت عليه تحت عنوان "المجالس بالأمانات".

لكنني أؤكد بأنه إذا كانت المعلومات الواردة هنا مؤكدة الصدقية ومضمونة المصداقية لأنني عشتها أو عايشتها، حتى ولو كان ذلك انطلاقا من نظرة شخصية لا أنكرها، فإن كل الآراء التي أوردها ليست أحكاما نهائية، وهي اجتهاد شخصي سيسعدني أن أصحح أخطاءه في طبعة أخرى أذا أقنعني احد بأنني أسات الحكم او تسرعت فيه او اصدرته بناء على معلومة مبتورة أو غير صحيحة.

وهذا يعني بكل وضوح وأيضا بكل تواضع أنني أرحب بكل محاولة من الرفاق لاستكمال أو تصحيح أي معلومة تتطلب ذلك، وسأورد كل ما يصلني،

منسوبا إلى مرسله، في الطبعة القادمة إن شاء الله، إن عشت وأبقاني الملك، كما قالت شهر زاد.

والله ولي التوفيق.

الجزائر- نوفمبر 2011

دكتور محيي الدين عميمور

القسم الأول
محاولة لاستكشاف أفقٍ بعيد في يومٍ غائمٍ مطير

اسحبوا أساطيلكم وطائراتكم، فمن يقاتلنا هم إرهابيون ليسوا من ليبيا، بل غرّروا بأولادنا (...) جاؤوا من الجزائر ومصر وتونس وأفغانستان.

العقيد القذافي – خطاب القضابية – أبريل 2011

*

(1)

لم يكن من الممكن ان أتابع أحداث ليبيا بدون أن يعود إلى ذاكرتي العديد من مواقف الرجولة التي اتخذها العقيد معمر القذافي خلال مسيرته الطويلة على رأس الدولة الليبية الشقيقة، عندما كانت ثورة سبتمبر 1969 فجرا طوى، إعلاميا وربما سياسيا، ليل هزيمة يونيو 1967، وكانت شعاراتها هديرا أخرس أصوات الردة وفحيح الهزيمة، وكانت مساهماتها رصيدا مأمولا يضاف إلى الجهود العربية في حرب الاستنزاف.

وبغض النظر عن اندفاعات وممارسات لعلي أتوقف عند أهمها لا أعتقد أن هناك عربيا يمكن أن يتناسى وقفة العقيد في مؤتمر القمة العربي يوم 10 أغسطس 1990، أي بعد أقل من عشرة أيام على الغزو العراقي للكويت، وهي وقفة واجه بها تصرف الرئيس المصري محمد حسني مبارك، الذي كان **يتلاعب** خلال رئاسته للجلسة ليفرض على العرب قرار الاستعانة بالقوات الأمريكية لتحطيم العراق بحجة تحرير الكويت.

وللتذكير، دل خطاب الرئيس مبارك يوم 8 أغسطس، الذي أعطى تصوراته الرهيبة عن الحرب المتوقعة ضد العراق، بأنه كان **يعرف** الكثير عن الخطة "1002-90" التي أعدها الأمريكان لغزو العراق، وكان الخطاب دعوة لمؤتمر قمة عقد يوم 10 أغسطس، في نفس الوقت الذي وصلت فيه قوات مغربية إلى السعودية، وقال الشاذلي القليبي أنها المرة الأولى التي توجه فيها الدعوة إلى قمة عبر الإذاعة[120]، وكان العقيد القذافي من أكثر الناس هياجا وهو يمسك بيده مشروع القرار، الذي رفض الرئيس **الجزائري** الشاذلي بن جديد مباركته، والذي جاءت مسودته من مصادر أمريكية وباللغة الإنغليزية، بدليل أن تاريخ غزو الكويت في النص كان 1 أغسطس (وهو التاريخ في أمريكا، بينما كان التاريخ في المشرق بحكم فرق التوقيت 2 أغسطس) وقال العقيد أمام عدد من الرؤساء، من بينهم الشيخ زايد، وهو يمسك بيده مشروع القرار: لماذا تلجئون إلى الأمريكان لحمايتكم، لماذا لا تختصرون الطريق وتطلبون ذلك من إسرائيل مباشرة.

وعلى عكس المألوف والمتفق عليه في المؤتمرات طلب الرئيس المصري من **معارضي** القرار أن يرفعوا أيديهم في حين أن المفروض هو أن يطلب ذلك من **الموافقين**، ولهذا قال القذافي بعد ذلك ساخطا لمبارك بأنه

---

120 - (محمد حسنين هيكل – أوهام القوة والنصر- ص 416)

لم يكن **ديموقراطيا في** إدارة الجلسة، وكان من نتائج المؤتمر المفبرك، الذي تألق فيه معمر القذافي والشاذلي بن جديد، أن استقال الأمين العام لجامعة الدول العربية **الشاذلي القليبي** بعد **أن اتضح أن القرار هو منطلق عملية غزو الوطن** العربي أمريكيا.

وكان حسني مبارك هو رأس الحربة في الأحداث التي كانت في واقع الأمر تحقيقا لأهم الأهداف الإسرائيلية في المنطقة[121].

وكان المؤسف أن يضطر المرء إلى نسيان هذه المواقف الرائعة للعقيد، وهو ما يتحمل **هو** شخصيا مسؤوليته الأولى، وما يذكر بموقف متناقض مع مواقفه آنذاك للرئيس حافظ الأسد، الذي كان رمزا للمشاعر القومية وحليفا لكل النظم التقدمية، بما يجعل منه نقيضا لإسرائيل وحلفاء إسرائيل، وعرفنا فيما بعد أن ذلك لم يكن دقيقا، وكان موقفه سبب السكوت الأمريكي عن وجوده في لبنان وهدوء مواقف اليمين العربي ضده.

وحول هذا كتب المناضل الأردني الأستاذ ليث شبيلات في القدس العربي يوم 14 يوليو يقول : كان الشعب السوري يُعاني من **انفصام** شخصية النظام عن موقف شعبه القومي النضالي وذلك بإقحام الجيش العربي السوري في" حفر الباطن"، بل وأشد من ذلك، علمت من الرئيس مُضر بدران وباقي الوفد الأردني إلى القمة العربية أنهم صعقوا لمداخلة الرئيس حافظ الأسد الطويلة في الجلسة السرية، والتي كانوا يتوقعون أن تكون "بيضة القبان" في رفض القوات الأجنبية في الخليج، فإذا بها مرافعة عن **ضرورة** التدخل الأجنبي.

ورغم غضبنا من ذلك الموقف، الذي كان حجر زاوية لمشروع قرار الرئيس مبارك الأمريكي، المصاغ بالانكليزية والمترجم للعربية، والذي أسس لحلف استعماري مشؤوم أقحمت به جيوش عربية في ذيول الجيوش الأجنبية في وجه بلد عربي ما زال يعاني من التشرذم بسبب الغزو الأجنبي، إلا أننا، عندما دارت الدائرة على سورية، لم نتخذ موقفاً عدائياً شامتاً منها بل سارعنا للوقوف بجانبها لأن مصير سورية أهمّ من أي أمر آخر. انتهى.

وربما كان من الوقفات الشهيرة للعقيد القذافي أيضا تحذيره الساخر للقادة العرب في قمة دمشق وهو يقول : إن إعدام صدام حسين، **الأسير**، عمل غير أخلاقي، وبأن **سكوتهم** تجاه ذلك سيجعلهم يوما ما فريسة لتصرف مشابه[122]، ويعلق وزير الخارجية الليبي الأسبق عبد الرحمن شلقم على هذا الموقف قائلا :

لاحقا تبيّن أن معمر أصيب بهاجس مفاده أنه قد يواجه مصيراً مشابهاً لمصير صدام لأن هناك حالة عداء مع أميركا، ثم إن صدام لم يُتهم يوماً بالقيام بعمليات ضد الأميركيين خارج بلاده في حين أن معمر أمر بمثل هذه العمليات، وهناك أيضاً اتهام ليبيا بامتلاك أسلحة للدمار الشامل، وكان واضحاً أنه يخشى تكرار السيناريو. وهناك مسألة استوقفت المراقبين حول "علي الكيلاني"، وهو ضابط وشاعر شعبي مؤثر ومدير إذاعة وابن عم العقيد، الذي نظم قصيدة تصف صدام بالقديس والبطل...ولم يكن من عادة معمر القبول بتمجيد شخص آخر إلا بموافقة منه، وما كان معمر ليوافق على تمجيد من كان يكرهه لو لم يقرأ في مصيره إنذاراً لشخصه، وكأنه كان يخاطب قدراً ما في الأفق ويقول له: لا تقترب مني. انتهى

وكان للعقيد أيضا وقفات متضامنة مع الجزائر، ربما كان من أهمها دعمه للجزائر إثر تأميم الرئيس هواري بو مدين للنفط في 1971، برغم ما ادعاه البعض من أن ليبيا أصرت على أن ترد الوديعة مع انتهاء العام، وهو ما قامت به الجزائر بالفعل، وهو ما تكرر أيضا في عهد الرئيس الشاذلي حيث استفادت الجزائر مرتين من ودائع مماثلة، وتم تحويل الدين إلى شركات مختلطة.

وكان من مواقف التضامن أيضا مشاركة القذافي النشطة في القمة الإفريقية عام 1999، والتي كانت دخولا دوليا متميزا للرئيس الجزائري عبد العزيز بو تفليقة في أول سنوات رئاسته، ولم يكتف العقيد بالمشاركة وإنما شجع رؤساء أفارقة آخرين على قبول دعوة الجزائر.

وعلى ذكر القمم، لا بد أن أقول أيضا أن المناوشة التي حدثت بين العقيد والملك عبد الله بن عبد العزيز في القمة العربية الأخيرة، والتي أثارها القذافي نفسه، لم يكن لها مبرر أو سبب مقنع ولم تكن أمراً مشرفا للقمة، لكن ذلك كان إشارة لما يكنه العقيد من كراهية للملك السعودي، وقد يؤكد أنه كان فعلا وراء محاولة

---

[121] - (نفس المصدر)

[122] - بأمانة أقول كان القذافي غاضباً جداً من صدام، وهو عند غزو العراق للكويت حلم بأن يعيد ما قام به عبد الناصر حين هدد عبد الكريم قاسم الذي هدد الكويت. طبعاً الصورة مختلفة وموازين القوى مختلفة (شلقم – صحيفة الحياة 17 يوليو)

اغتياله عندما كان وليا للعهد، وهو ما أشار له شلقم في استعراضه لحوار بين مدير المخابرات العسكرية الليبية عبد الله السنوسي والملك عبد الله.

لكن القيادة الجزائرية كانت تعرف تماما من هو العقيد القذافي، حسنات وسيئات ومحاسن وعيوبا، ولعلي أذكر هنا بحوار شلقم مع صحيفة الحياة حول علاقات العقيد بالملك عبد الله بن عبد العزيز حيث قال :

ذات يوم أخذني الرئيس عبد العزيز بو تفليقة جانباً وقال لي: يا عبد الرحمن، معمر القذافي يفتقد أهم شرط من شروط القيادة وهو التسامح، إنه حاقد على الملك عبد الله بن عبد العزيز.

والتقيت الملك وأخبرته القصة، فقال لي: يا ابني يا عبد الرحمن، أي شيء تعمله أنت وأخوك سعود الفيصل (وزير الخارجية) أنا قابل به، أنا أثق بك، أنت إنسان شجاع، إنسان فصيح، وأنا صريح. انتهى.

ويقول شلقم أيضا عن علاقة الرئيس بو تفليقة مع العقيد بأنه كان أكثر الزعماء العرب الذين عرفوا كيف يسايرون عقلية العقيد الليبي، وأنه كان ناصحا له، مستدلا بأحد المواقف التي حدثت بالجامعة العربية، حيث قال: خاطب بو تفليقة القذافي أمام الملأ قائلا "أنا لا أفعل ما تفعله ولا أقول ما تقوله لأنني أتقي الله في شعبي". انتهى.

لكن، وللأمانة، كان تصرف العقيد القذافي على منبر الأمم المتحدة ابتذالا لا مبرر له، بجانب أنه أفسد أفكارا كثيرة جيدة ضمها خطاب طويل كان يمكن أن يلقى قبولا من شريحة كبيرة في المجتمع الدولي.

وربما كان من مواقف القذافي المتميزة، رغم أنه بدا موقفا شبه هزلي، زيارته إلى روما في 2010 وعلى صدره، كوسام، صورة إعدام عمر المختار، سيد شهداء الأمة بعد حمزة بن عبد المطلب وعمار بن ياسر ومع سليمان الحلبي والعربي التبسي والعربي بن مهيدي وآخرون يُعدون بالملايين.

وكان واضحا أن العقيد يثمل أمام رؤية الجموع فيترك للسانه الزمام.

ولعل أطرف تعبير عن العلاقات مع العقيد ما قاله يوما السياسي التونسي "الباجي قايد السبسي" إجابة عن سؤال لوزير الخارجية البريطاني "دوغلاس هيرد" من أن حالهم مع القذافي هي : مثل الحال مع "الروماتيزم" يلتهب أحيانا ثم يهدأ بعد ذلك، والألم كامن على الدوام، لكننا لا نموت بسببه، إننا نتعايش ونتكيف معه.

ومرت سنوات وسنوات، وحدث ما حدث في العام الأول من العشرية الثانية في القرن الميلادي الجديد.

واختلطت الأوراق ابتداء من شهر فبراير 2011، ومرورا بمارس والأشهر التالية، إلى درجة أنني كدت أدعو الله أن يأخذ العقيد لرحمته حتى يحتفظ له الناس ببعض مكرماته، ويجد من يدعو له بالمغفرة ومن يسير في جنازته راضيا مختارا مترحما، ولا ينتهي الزعيم الليبي كمعتوه يستثير السخرية والازدراء أو كسفاح يستقطب الكراهية واللعنات.

لكن السقطات تتالت، وأصبحت النقاط السلبية تطرد النقاط الإيجابية، وإذا بالسيئات يُذهبن الحسنات، وإذا بالزعيم، الذي كان يتهم خصومه بأنهم جرذان، يتحول هو نفسه إلى جرذ يعيش في الأنفاق والجحور ولا يجرؤ على الظهور أمام الجماهير التي يصب عليها خطبه الحماسية عبر مكبر للصوت.

ويجب أن أعترف هنا أنني، عندما بدأ سقوط قنابل التحالف الغربي على ليبيا في مارس، عشت، كملايين من أبناء الوطن العربي، ممزق المشاعر ملتهب الأحاسيس مشتت الأفكار، فلم أكن أتخيل أنني سأكون يوما ممن يتابعون، بدون غضب يصل إلى حد التشنج، عملية عسكرية أجنبية على أرضنا يمكن أن ينتج عنها سقوط شهيد عربي واحد، أو مجرد تدمير دراجة هوائية يملكها طفل عربي.

أكثر من ذلك، لم يكن من المنطقي بالنسبة لي، وأنا الذي أعتبرُ من بين الكارهين لكل ما هو فرنسي، (francophobe) أن أتقبل عملا يقوم به رئيس فرنسي، وأيا كان اسمه أو صفته أو تاريخه، ضد بلد عربي شقيق، ناهيك عن الإحساس بأي نوع من أنواع الامتنان له، حتى لو سجد على أرضنا مقبلا أديمها، اعتذارا عن كل ما قامت وتقوم به فرنسا من جرائم ضد شعبنا.

ولم أكن أتخيل أن يأتي يوم أشعر تجاه أي مسؤول فرنسي بالارتياح، ناهيك عن أي ودّ أو محبة، وحتى ولو أعلن باللغة العربية على كل الفضائيات الفرنسية شهادته بأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله.

والواقع أن ما حدث ابتداء من منتصف فبراير 2011 جعلني أحاول إعادة ترتيب كل المعطيات في ذهني، وهكذا رحت أعيش تناقضات ملتهبة جعلتني أتساءل طوال اليوم، وأنا أتابع كل المصادر الإعلامية المتاحة، أين الخطأ وأين الصواب وأين الحق وأين الباطل، وهل كان من الممكن تفادي ما حدث وما يذكرنا بمأساة العراق، وأفغانستان قبلها؟

وتذكرت مقولة أن الله يسلط الظالمين على الظالمين[123].

فقد كان كلُ ما طالبت به الجماهير الغاضبة في ليبيا مجرد حقها في الحياة الذي يتجاوز سدّ الرمق، وحقها في **التعبير** عن إرادتها بدون قمع، وفي وقاية أبنائها من أقبية **السجون** التي يعتبر الداخل إليها مفقودا والخارج منها مولودا، وكانت البداية، كما علمتُ، مطالبة الجماهير بالإفراج عن محامٍ سُجن بدون مبرر.

كانت المطالبة **سلمية**، ولم يكن بين المتظاهرين جماعات ملثمة أو أغلبية ملتحية أو حملة لأسلحة من أي نوع، حتى العصيّ التقليدية، ولكن الذي حدث هو أن العقيد القذافي صب حممه على الشباب المتظاهر، وكأنه فوجئ بأن من أبناء شعبه من لا يحبه بالدرجة الكافية فقرر أن يلغي وجودهم تماما[124].

هناك، كان من واجب الأشقاء، إذا كان هناك من يفهمون دور الأشقاء ويتحملون مسؤوليته، أن يمدوا يد العون للشعب الليبي ويسارعوا إلى نجدته منذ الأيام الأولى، ويطالبوا العقيد بالترفق مع أبناء شعبه وعدم التعامل معهم، آليا، كخبثاء مخربين مأجورين عملاء زنادقة، وكان على الأشقاء أن يعملوا على تطبيق كلماته عز وجل عن إصلاح ذات البين بين فئتين مسلمتين تقتتلان، آنذاك كان من المحتمل أن يتم تقليص الأضرار وإيقاف كل التداعيات، بما في ذلك أسوؤها وهو الاستنجاد بالأجنبي، لكن ذلك لم يحدث بكل أسف.

وكان منطق الليبيين الغاضبين والساعين للحفاظ على دماء أبنائهم وعائلاتهم أنه....إذا لم يتحرك شقيقي لإنقاذ أبنائي، فمن حقي أن أستنجد بمن أريد وبمن **يريد** وعندما **أريد** ويريد[125].

وهكذا تحولت التظاهرات **السلمية** شيئا فشيئا إلى انتفاضة **مسلحة**، برر بها النظام تزايد عنفه وشراسته، وعلل بها المتقاعسون عن نصرة الشقيق تهاونهم، وأصبحت هناك دائرة مفرغة من الفعل وردّ الفعل، وإلى درجة يمكن معها القول بأنه لولا تدخل الطيران الفرنسي لإيقاف دبابات القذافي وطائراته لحدثت في **بنغازي** مذبحة يقشعر البدن لمجرد التفكير فيها، وتتضاءل بجانبها **حماة** في عهد الرئيس السوري حافظ الأسد (في شهر فبراير من عام 1982)، والتي أخرست المطالب الشعبية نحو 30 سنة (أي حتى أبريل 2011) وبدون استرجاع لمأساة **حلبجة**، التي ما زالت سرا غامضا تتستر عليه كل الأطراف، لأنه يفضح كل الأطراف.

والذي حدث أن المحتجين على ممارسات نظام العقيد فوجئوا بما لم يكونوا يتوقعونه، وهو نفسه ما كان القذافي يستعد له من عقود وعقود، وعلى وجه التحديد منذ 1977، ولم أكن أستطيع تخيل وجود من لا يدرك هذا الأمر أو يستطيع تجاهل احتمالٍ كان في حكم اليقين.

لكن المضحك المبكي هو أن البعض راح يتهم المعارضة بأن **"عسكرتها"** للانتفاضة الشعبية هي التي **دفعت** النظام الليبي نحو **القمع**، وبالتالي فهي تتحمل مسؤولية **التصعيد** وما أدى له ذلك من استدعاء لمجلس الأمن على بلادها، بطلب من جامعة الدول العربية، رغم أن الوقائع أثبتت عكس ذلك، فقد تأكد فشل شباب المعارضة في الاستفادة من الضربات الجوية الغربية عند انطلاقها، لأنهم كانوا، في معظمهم، أبعد ما يكونون عن التفكير في حمل السلاح، بل كانوا **مدنيين عاديين** خرجوا للتعبير عن آرائهم بالهتاف والشعارات وليس ب"الكلاشنيكوف" و"الآر بي جي"، ناهيك عن "غراد" و"ستيريلا"، وهو ما أكده ضمنيا مراسل فضائية إم بي

---

[123] - صديقي عطوان: الإشكالية في طرحك وبعض الكتاب الذين يقفون ضد التدخل الأجنبي على طول الخط وبدون تمييز، هي أنكم لم تأتوا بالحل والبديل كي نستطيع أن نتفهمكم، لاسيما أنكم تناهضون الظلم والاستبداد،. فلم نعد نعرف بالضبط ماذا تريدون! مع تقديرنا لحرصكم وغيرتكم على ليبيا (..) وأردد عنوان احد مقالاتك عن الشأن الليبي (الخيار المر بين الاستبداد والاستعمار)، وأقول: إننا لن نرضى لا بهذا ولا ذاك، وإن كُتِبَ علينا الثاني، فمقاومته ودحره أهون من الأول، لأنه عدوّ واضح، أما الاستبداد فعدوّ تصعب مقاومته، لأنه سوسٌ ينخر في جسد الشعوب. (عمر عبد العزيز – ولعله اسم مستعار لمعارض ليبي في رد على عبد الباري عطوان - القدس العربي 9 مايو)

[124] - اعترف سيف الإسلام القذافي فيما بعد في مقابلة مع صحيفة "واشنطن بوست" بعد نحو شهر من الأحداث (عن القدس العربي 19 أبريل) أن قيام قوات الأمن بإطلاق النار على متظاهرين سلميين في بنغازي والذي أشعل الانتفاضة، هو خطأ لا يمكن الدفاع عنه، وقلت آنذاك...أفلح إن صدق، ولكنه تناقض مع كلامه هذا فيما بعد.

[125] - لو كان هناك إجماع عربي يقدر الظرف ومخاطره وتم توجيه إنذار للقذافي ولو أن الدول العربية قالت أنها ستساعد مطلب التغيير في ليبيا، لكان هذا أفضل كثيرا من هذا الوضع الذي ينذر بتسليم المنطقة من جديد لقوي الاستعمار (..) الخطأ هنا هو أننا كجامعة عربية بدلا من مساعدة الشعب الليبي تركنا الأمر لمجلس الأمن الذي قام بتحويل هذه المسئولية لحلف الأطلنطي، والبترول يطل في الأفق باعتباره الجائزة والمطلب، وهذا أساء إلي فكرة الثورة في ليبيا (..) فإذا أعلن رؤساء وفود الدول العربية الذين تقابلوا هنا في الجامعة العربية نداء لتأييد الشعب الليبي ومساعدته ووجهوا إنذارا للقذافي لمدة أسبوع وإلا فسترسل مساعدات مادية وعسكرية للشعب الليبي وستسمح بالمرور بين الحدود ... قل لي ما هو تأثير ذلك علي الجيش الليبي ؟.!(محمد حسنين هيكل – الأهرام 15 مايو)

سي (MBC) حسن زيتوني في العرض الذي قدمه على تلفزة النظام الليبي إثر اعتقال النظام له في مطلع شهر أبريل، والذي قال فيه بأن "ثوار" ليبيا أبعد ما يكونون عن التنظيم العسكري.

وهنا، وباستعراض كل ما حدث وباستذكار ما عرفته مصر من فراغ أمني نتج عنه ما عُرف من انفلات رهيب وانزلاقات مأساوية، يمكنني تخيل **أن السلطة** الليبية هي التي أعطت، في مواقع معينة، تعليمات **لفتح مخازن السلاح** أمام **الدهماء** وربما بعض من أطلقوا عمدا من السجون، وهو ما يُفسر الحجم الكبير من الأسلحة التي كانت في يد مواطنين لم يكن كثيرٌ منهم يعرف كيف تستعمل، وخاصة تلك المضادة للدبابات.

ولعل هذا يفسر أيضا حصول غير الثوار على السلاح مما أثار مخاوف الجيران.

وحتى لو كان كل ذلك من قبيل الظن، ونحن مطالبون باجتناب بعضه فقط، فإن المؤكد أن النظام هو من زرع العنف بالقمع الشرس الذي تجاوز كل حد معقول.

وأي نظام **يفقد شرعيته** إذا أطلق النار على مصدر الشرعية، وهو الشعب، وأي زعيم يفقد **مؤهل الزعامة** إذا تعامل مع المحتجين سلميا من أبنائه كأنهم "جرذان ومُقمّلين"، سيرسل وراءهم الملايين يتابعونهم ...بيت بيت..حارة حارة...**زنقة زنقة**، أو كما **قال العقيد**[126].

والواقع هو أنه كان من الممكن أن يجد الصراع حلا هادئا لو كان هناك، كما كان الأمر في كل من تونس ومصر، **جيش وطني** يوازن بين الولاء لنظام حكم فقد شرعيته والولاء لشعب هو مصدر كل السلطات، ثم يكون الشعب اختياره الوحيد، لكن الذي حدث في ليبيا أن الجيش الوطني تم تدميره لصالح كتائب أمنية تفتقد العقيدة القتالية الوطنية، يقود أهمها أبناء العقيد أنفسهم، وفرق بين جيش وطني يُعدّ لمواجهة أعداء الوطن الحقيقيين، وكتائب أمن أعدّت بأسلوب مكافحة الشغب وتم إقناع عناصرها بأن من يتظاهرون هم الأعداء الحقيقيون للوطن، فيصبحون، بفعل عملية غسيل مخ متواصلة ونتيجة لرعاية مالية تقترب من الرشوة، حشدا من **الوحوش** الضارية التي لا تتورع عن ارتكاب أي عمل لمحاربة ...**أعداء** الوطن[127].

ولقد كانت تصرفات قائد النظام الليبي وتناقض مواقفه، تعنتا وتشنجا تجاه الداخل الليبي وانبطاحا أمام الخارج الدولي، كانت تثير الرثاء والسخرية والاحتقار، ففي الوقت الذي كان العقيد يرغي ويزبد، مهددا أمريكا علنا بالويل والثبور وبهجمات الملايين من أنصاره في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، كان يرسل رسائل مكتوبة "لابنه" بركة حسين أبو عمامة (على حد تعبيره) يناشده إيقاف ضربات "الناتو"، وهو ما كشفه البيت الأبيض، فكانت فضيحة لحبيب الملايين وبطل "الزنقة زنقة"[128].

وعندما كان القذافي يُناشد أوباما التوقف عن تقليم أظافر الكتائب، أعاد بعض الخيّرين طرح فكرة وقف إطلاق النار، وفجأة تناست أبواق النظام بأن ذلك كان نفس ما يُطالبون به، فطلبت في البداية أن يكون إيقاف إطلاق النار مع **عدم** رجوع القوات العسكرية إلى مراكز الانطلاق، مما ذكر بخديعة القوات الإسرائيلية في 22 أكتوبر 1973 عندما استغلت وقف إطلاق النار للتقدم أكثر ولسحق المقاومين[129].

ثم راحت أبواق النظام الليبي تردد بأن وقف إطلاق النار يتم فقط بين **جيوش** متحاربة، أما ما يحدث في ليبيا فهو **عصيان** مسلح تقوم به **عصابات** إجرامية من الخوارج والإرهابيين، وهو ما يعني أن المطلوب إطلاق يد كتائب القذافي ضد العزل من أبناء الشعب الليبي لأن هذا شأن داخلي، ولم يتوقف أحد عند الحقيقة البسيطة التي تقول بأن العقيد **انتزع** السلطة بدون استحقاق انتخابي، وهو يمارسها بالقهر منذ أكثر من أربعة عقود، ولم

---

[126] - يقول السياسي البريطاني "سيريل تاونسند" (الحياة 16 مايو) حالت المقاتلات الفرنسية في غضون ساعات قليلة دون تحول بنغازي إلى مجزرة (..) فقد تصرف القذافي على مدى 42 سنة كطاغية مجنون. والمضحك أن الذي وصف مواطنيه بأنهم جرذان تحول هو نفسه إلى جرذ يختبئ في المغارات والأنفاق، ويمارس التحريض عبر التسجيلات الصوتية.

[127] - فيلم "البريء"، من تمثيل محمود عبد العزيز، يعطي صورة واضحة عن شراسة الوحوش البشرية الذين يُعدّهم النظام.

[128] - تقول لينا أبو بكر (28القدس العربي- أبريل) أن القذافي مهد للاستعمار الأمريكي وحرض عليه فكان هذا هو الفخ الذي نصبه منذ أول خطاب هدد به الثوار، إذ خيّرهم بينَ مُرّين.

[129] - تأكد فيما بعد أن القذافي بذل جهودا مستميتة لدي أوباما لإيقاف هجومات الناتو، وكان ذلك، كما قال عبد السلام جلود فيما بعد لمحمد كريشن على الجزيرة (26 أغسطس) لأن العقيد كان يؤمن بأنه قادر على سحق خصومه تماما إذا تنحى الناتو عن حمايتهم، وأكدت ذلك فيما بعد وثائق عُثر عليها في مبنى المخابرات الليبية بعد تحرير طرابلس، ومن بينها محاضر جلسات مع السيد دافيد ولش نائب كاتبة الدولة الأمريكية، والذي وضع خبرات أمريكية تحت تصرف القذافي ليمكنه من مواجهة الثوار والانتصار عليهم.

يضـع سلطته أمام أي استفتاء جماهيري، وهو يقول أنه لا يملك أي سلطة بينما يقول المتحدثون باسم النظام رسميا بأن تخلي العقيد عن القيادة أمر غير مطروح للحوار، وهو قمة التناقض.

ولم يقل لنا أحد بأي حق يتمسك القذافي بالسلطة إذا كان **أكثر** من نصف شعبه، على الأقل، **يرفض** زعامته، ويُضطر لفرض تلك الزعامة بالحديد والنار، وبالأسلحة التي يستورد بعضها من عدو الأمة الأول.

وهكذا كان ما أسمعه وما أقرؤه كل يوم يزيد من قلقي وإحباطي وغيظي[130].

وراح البعض يردد أن العقيد جلب على نفسه وعلينا كل هذا البلاء لأنه لم يكن بذكاء زين العابدين بن علي أو حسني مبارك، بل أخطر من ذلك، فقد ظهر كل من الرئيسين التونسي والمصري، برغم كل شيء، **كوطنيين**، لكن القذافي تصرف كمن يفتقد كل حس وطنيّ، وأعطى الشعور بأن **وطنه الوحيد هو ما يوجد تحت جلده**، أي ذاته وشخصه وغروره، وبدا أنه جسّد ليبيا كلها في شخصه.

وسمعنا من يقول بأن الرجل يدافع الآن عن بلاده ضد **مستعمرين** جُدُد، هدفهم الحقيقي نفطها وثرواتها، وهو، وأيا كانت جرائمه وتجاوزاته، يظل شقيقا وابنا لشعب شقيق واجبنا أن نقف إلى جواره إذا تعرض لأذى من عدو أو غريب، وهو أمر صحيح وكان يمكن أن تلين له قلوبنا لو توقف العقيد قليلا عن إيذاء أبناء شعبه بهذه الشراسة المرَضية، وأثبت فعلا أنه لا يُمارس عملا انتقاميا ضد جماهير ذنبها أنها هتفت ضده، وهو ما يؤكده زرع الألغام **العشوائي** في مصراتة وحولها.

ويقول البعض، في مجال المقارنة، بأننا نحن المسؤولين لأننا صبرنا على تجاوزات العقيد طويلا، وتجاوزنا عن أخطائه السياسية أكثر مما يجب، بينما يقول آخرون، تبريرا، بأنه لم يكن بمقدورنا أن نفعل أكثر مما فعلناه، ولم يكن أمامنا أن نقوم بغير ما قمنا به.

ولقد توقفت طويلا أمام ما قاله أحد كتابنا المتميزين في الفجر (السبت 26 مارس) من أن : "الخلاف السياسي الناشب في ليبيا هو خلاف ليبي ليبي، الحقّ كلّ الحق فيه للشعب الليبي وليس للقذافي"، وهذا صحيح، لكن ما جاء بعد هذا القول غير صحيح، فهو يقرر بأن الخلاف " لا يعطي الحق للشعب أن يطلب من الأجانب **احتلال** (!!!) بلده لتخليصه من **(زعيم)** ظالم!".

وكان يجب أن أختلف مع الكاتب وهو يقول بأن: "كل الذين **عارضوا** التدخل الأجنبي في ليبيا هم **عقلاء**"، تماما كما اختلفتُ معه في استعماله لكلمة "**احتلال**"، وإذا كنت اتفقت معه في أن "الخلاف الليبي حول السلطة كان من الأفضل أن يعالج على الطريقة المصرية أو الطريقة التونسية، فإنني أرفض دعوته لبقاء الصراع داخليا **حتى ولو كان دمويا**، فالرصاصة المصوبة نحو راسي أو قلب ابني هي أداة قتل بغض النظر عما إذا

---

[7] – أوردت أنباء صحفية أن أحمد قذاف الدم وصل إلى القاهرة معلنا انشقاقه عن القذافي، ثم غادر القاهرة إلى سوريا، وتم الإعلان يوم الثلاثاء 15 مارس 2011 أن إسرائيل اعترضت في المياه الدولية، سفينة محملة بالأسلحة الإيرانية تحمل اسم فيكتوريا وترفع علم ليبيريا، سحبت إلى ميناء أسدود بدعوى تفتيشها بحثا عن الأسلحة ووسائل قتالية أخرى مرسلة إلى غزة، ثم أعلن بعدها بأن السفينة فكتوريا انطلقت من ميناء سوري، ثم ميناء ميرسين التركي، وعلى متنها أسلحة ومعدات عسكرية وغذائية كانت مرسلة من سوريا إلى نظام القذافي في ليبيا، وادعى البعض أن ثمنها دفعه قذاف الدم، ومع مصادرة إسرائيل للأسلحة ادعى البعض أن قذاف الدم عاد إلى القاهرة واتصل بنائب الرئيس عمر سليمان لكي يتدخل للإفراج عن الشحنة، وحاول الأخير السفر إلى إسرائيل إلا أن المجلس العسكري رفض سفره بمجرد علمه بالخبر من الصحف، ولم يمنعه ذلك على ما يبدو من استمرار قيامه بدور الوسيط، حيث تم إعادة تحميل الشحنة على سفينة من جديد وأرسلت إسرائيل معها فلسطينيين للإشراف على تسليمها للسلطات الليبية في ميناء طرابلس، وهنا اعترضتها سفن حلف شمال الأطلنطي وأعلنت بأنها ضبطت سفينة تحمل أسلحة قادمة من إسرائيل، وعلى متنها محمد دحلان المستشار الأمني لمحمود عباس وعضو اللجنة المركزية لمنظمة فتح ومعه فلسطيني آخر. (فوزي منصور – فيس بوك 28 أبريل، والعهده على الراوى، وكذب دحلان فيما بعد ضلوعه وإن لم يكذب القضية) وهزت الفضيحة العلنية إسرائيل التي لم يزعجها فقط تسرب الخبر إلى الإعلام وإنما أيضا ذكر أسماء العملاء الفلسطينيين الذين أوفدتهم، مما يعني أنهما صار أوراقا محروقة رغم اعتماد إسرائيل عليهم وحاجتها إلى خدماتهم، واحتجت على ذلك لدى الولايات المتحدة بصفتها قائدة الحلف الأطلسي والتحالف الغربي باعتبار ذلك يهدد الأمن القومي الإسرائيلي ويلحق أضرارا سياسية بها، وكان رد الفعل الأمريكي هو إعلان الولايات المتحدة الانسحاب من العمليات العسكرية ضد ليبيا (وهذا تفسير معقول للتراخي الأمريكي) ولعلها تشككت أن المخابرات المصرية أبلغت عن السفينة الإسرائيلية باعتبارها الوحيدة التي كانت على علم بها.

وقد تدخل قذاف الدم على أمواج "العربية" يوم الأربعاء 24 أغسطس، أي بعد تحرير طرابلس مباشرة، وناشد قبائل "سرت" و"سبها" التفاوض مع الثوار لتفادي إراقة الدماء، ولكنه التزم حيادا شبه تام في تناوله للأطراف المتصارعة، وأتصور أن هذا كان موقفا كريما من المسؤول الليبي السابق، لأن الرجل لم يتناقض مع نظام هو صاحب الفضل الأول عليه، ولم يشهر سكينه عندما وقعت البقرة كما يقال.

كانت وطنية أو أجنبية، والتصدي لمن يصوبها ضرورة بقاء لا تحتمل التغني بالشعارات الوطنية الزائفة، وتفرض الاستعانة حتى بالشيطان الرجيم، طبقا للقاعدة السياسية المعروفة.

ولم يبق هناك مجال لاحتمال حسن النوايا وتصور نبل المقاصد بعد أن تأكد إجرام النظام وخبث تخطيطه عندما راح يناور بالمواقف المتضاربة، وأمر دباباته بالتسرب داخل التجمعات المدنية الثائرة ليجعل من الجماهير دروعا بشرية لكتائبه وحزاما أمنيا لقواته، ولكي يتمكن قناصته من اصطياد شباب لعل بعضهم لم ير بندقية في حياته.

ولعلي أتساءل، عند هذه النقطة على وجه التحديد، عن الفكر الذي **خطط** لكتائب العقيد لكي تلجأ إلى هذا الأسلوب الإسرائيلي المعروف، والذي أكد أن وراء العقيد **مكاتب دراسات** متخصصة تخطط له تحركاته، ويمكن هنا أن نتصور حجم ما ينفق عليها من أموال، ونتخيل الجنسيات التي تنتمي إليها.

وأنا أتفق تماما مع من قال بأن : "الصراع هو صراع بين الليبيين ويجب أن يُحسم لصالح الشعب الليبي، وذلك بمساعدة الشعب في انتزاع حقوقه المشروعة من النظام الظالم بالصراع والكفاح"، لكنني أتساءل على الفور: أين هي المساعدة القادرة على حسم الموقف، وبطون القوم في "إيطاليا..!!" محشوة بالتبن.

ومن هنا لا أستطيع أن أنسجم مع المنطق الذي "يُطوّع" مقولة للرئيس بو مدين جاء فيها: لا تكونوا حيث تكون فرنسا وستجدون أنفسكم منسجمين مع الموقف الجزائري الوطني الصحيح (والأصل قول الرئيس الراحل يوما ما معناه أنه يُحس بصحة اختياره الوطني إذا كانت فرنسا تقف موقفا مضادا له) وهو ما يُذكر بمقولة نسبت للشيخ عبد الحميد بن باديس وجاء فيها : لو طلبت مني فرنسا أن أقول لا إله إلا الله، ما قلتها.

وواضح أن بعض ما يُروى على لسان القادة والرواد يجب أن يُوضع في **ظروفه** الزمنية والمكانية، وبالتالي فالمزايدة هنا على كره فرنسا تصبح أمرا مثيرا للسخرية.

ومن هنا **أتحفظ** على أن يكون مبرر الترحيب بموقف الجزائر ضدّ التدخل الأجنبي في ليبيا والتهليل له مجرد أن تكون **فرنسا قائدة** التدخل، وأرفض ما يقال من أنه "ليس صحيحا كما يقول بعض المعتوهين (!!) في السياسة والإعلام وحقوق الإنسان أن من **يعارض** التدخل الأجنبي في ليبيا هو بالضرورة **يدعم** السفاح القذافي في قتل شعبه بالدبابات والطائرات"، بل أقول وأكرر، شكرا للتدخل الأجنبي، فقد أنقذ آلاف الأرواح البريئة، بعد أن تراخى من كان يجب أن يمدوا يد العون لبنغازي حتى لا تتكرر مأساة حماة[13].

ولعلي أتوقف لحظات هنا لألاحظ بأن من يندّدون بثوار ليبيا لأنهم استعانوا بالأطلسي هم أنفسهم من يتحدثون عن شكوك تتعلق بوجود عناصر القاعدة في ليبيا، وتناقض أولئك المنددين واضح لأن "الناتو"، الذي يحمي المدنيين الليبيين، يقف ضد القاعدة ويعمل على استئصالها، وهذه لم يثبت أن لها وجودا مؤثرا.

ولعلي أضيف إلى ذلك أن أحدا من الغيورين على عروبة ليبيا لم يقدموا تصورا عمليا لإنقاذ كل من الشعبين اليمني والسوري من قمع النظام، وتأكد عجزهم جميعا عن إنقاذ شعب حرص على سلمية تظاهراته.

وفي هذا المجال ألاحظ أن من أطرف ما سجلته تعليقات ساذجة الطرح مشبوهة الخلفيات تشكك في مضمون ما نشر في صحفنا حول تجاوزات كتائب القذافي، ومن بينها عملية اغتصاب إيمان العبيدي، وبدا من مضمون التعليقات، الموقعة بأسماء رمزية، أنها من كتابة معلقين غير جزائريين، حيث ركزت على مهاجمة قطر، والتي كتب اسمها بالفرنسية باستعمال حرف (K) في حين أن المألوف عندنا هو استعمال حرف (Q) وكانت قناة الجزيرة بالطبع في صلب الهجوم، تماما في نفس خط العقيد وابنه.

وبالمناسبة، كان هجوم البعض عندنا على قطر صورة طبق الأصل من هجوم بعض العناصر الإعلامية المصرية على الدولة الخليجية قبل ثورة 25 يناير، وقيل يومها أن ذلك كان نتيجة لنجاح قطر الإعلامي بفضل قناة الجزيرة، وتألقها في القيام بوساطات إقليمية أظهرت مدى هزال النظام المصري، الذي كان كباره يشعرون بالضعف وقلة الحيلة والغيرة من نجاح دولة صغيرة في تحقيق المصالحة اللبنانية والتصالح الفلسطيني وصراع دارفور إلى غير ذلك، ولم تكن الجزائر في هذه الوضعية على الإطلاق، وبالتالي لم يكن هناك مبرر لتلك الهجومات، ولعلي أحسست للحظات بأن وراء ذلك الهجوم الغبي عندنا من يتصور أن الجسر المنطقي بين الجزائر وثوار ليبيا هو قطر، ولهذا راح يبذل كل جهد لتحطيم ذلك المعبر الحيوي حتى يغلق الطريق أمامنا طريقا قد نضطر لسلوكه.

---

[13] - قلت هذا بوضوح في مداخلة مع قناة الجزيرة يوم 30 أغسطس.

ولعلي ممن يقولون أن **الجزائر**، والجزائر أساسا، كانت قادرة على إيقاف الانزلاق نحو الهاوية التي وقعت فيها ليبيا، سلطة ومعارضة وشعبا، لكن حذر الجزائر وتحفظاتها منعها من أن **تكون** الجزائر[132].

ولقد كان الاختيار واضحا أمام الشعب الليبي، فإما أن يُمارس الانتحار الجماعي، أو أن يقبل العون الأجنبي بل ويطالب به، سيرا على مبدأ...آخر الدواء...الكيّ، ولم يكن أمام أولئك البسطاء من الثوّار إلا الدفاع عن أنفسهم بكل وسيلة ممكنة، جريا على مبدأ : يا روح ما بعدك روح[133].

من هنا تجاوبت مع سطور الأستاذ فهمي هويدي في الشروق المصرية (22 مارس 2011) عندما قال على وجه الخصوص : "إننا **نكره** التدخل العسكري الغربي في أي بلد عربي أو غير عربي، ونعتبره جريمة في حق الإنسانية، لكن المشكلة أن العقيد القذافي غيّر من موقفنا حين أعلنها حرب **إبادة** ضد الرافضين لنظامه والمطالبين برحيله، وهو بذلك **وضعنا** بإزاء جرم أفدح.

ذلك أن **التدخل** العسكري الغربي يمثل **عدوانا** على **السيادة** وعلى الحق في الحرية والكرامة، ولكن **ممارسات** قوات العقيد صارت **عدوانا** على **الحق في الحياة ذاتها**، ومن ثمّ فإننا عند المقارنة نصبح بإزاء شرّين، شرٌّ أدنى وآخر أكبر وأفدح، وحين كان علينا أن نختار فإننا قبلنا بالشر الأدنى وتجرعنا مرارته، لكي نتجنب كارثة الشر الأكبر"[134].انتهى

---

[132] - يقول "محمود معروف" مراسل "القدس العربي" في الرباط (الجمعة 22 أبريل) وهو فلسطيني مقيم في المغرب: "يسعى المغرب ليكون له دور متميز في ليبيا باتصالات مكثفة مع أطراف الأزمة بالإضافة إلى مشاركته بمجموعة الاتصال الدولية حول ليبيا في الوقت الذي تبرز فيه وسائل الإعلام المغربية تقارير عن دعم الجزائر لنظام القذافي. ويؤكد المسؤولون المغاربة على أهمية الحفاظ على الوحدة الترابية لليبيا وأولوية الوضع الإنساني الذي يعرف تدهورا بالتصعيد العسكري بين قوات العقيد ومعارضيه ويشددون على ضرورة الحل السياسي للأزمة. وقال بلاغ لوزارة الخارجية المغربية أن الطيب الفاسي الفهري استقبل بالرباط وفدا ليبيا يضم محمود شمام ومحمد العلاكي وفتحي بن خليفة وأسامة الصيد". ويصرح وزير الإعلام المغربي بأن "احترامنا لسيادة الشعب الليبي لا يمكن أن يحول دون التعبير عن **استنكارنا** لأعمال العنف التي استهدفت مدنيين أبرياء، ولا نقبل أن التعبير عن موقف سياسي سلمي وديموقراطي يواجه بالعنف (الشرق الأوسط 23 أبريل) ثم يقول معروف: "تبرز وسائل الإعلام المغربية التقارير التي تتحدث عن دعم جزائري للقذافي وتشير إلى (..) مشاركة قوات من جبهة البوليزاريو إلى جانب قواته وهو ما نفته الجزائر والجبهة، وأبرزت وكالة الأنباء المغربية تقريرا لصحيفة "ديلي تلغراف" البريطانية، يتحدث عن صفقة لتجنيد 450 من "مرتزقة" مخيمات تندوف، حيث التجمع الرئيسي للاجئين الصحراويين". وهو ما كان يجب أن يواجه بتفهم جزائري يضع في الاعتبار أن جماعة بنغازي مبتدئون في عالم السياسة، ومن السهل تفخيخهم بهدف دفع الجزائر إلى مواقف مناهضة لهم، وكان المفروض أن نواجه الادعاءات بتحد جزائري واضح يطالب بأدلة موثقة لأولئك "المرتزقة" المزعومون، بدلا من مطالبة مسؤول جزائري جماعة بنغازي بالوضوء !!! ومنطق تصفية الحسابات الذي تمارسه المغرب كان واضحا ويبرزه تعبير "المرتزقة" المستعمل، تماما كالحال في وضعية "البوليزاريو"، ولقد كنا قادرين على اتخاذ موقف تركيا أو يقترب منه، زيادة أو نقصا.

133 - كشفت الدكتورة "فيوليت داغر" رئيسة المؤسسة العربية لحقوق الإنسان بباريس (الشروق29 مارس) أنه تم تسجيل 45 ألف قتيل ومفقود في ليبيا طوال أربعة عقود من حكم القذافي. وكان مما قالته أن سيدتين تعرضتا أخيرا للاغتصاب قبل إيمان العبيدي ولكنهما لم تجرءا على الشكوى. وإيمان هي المحامية التي اندفعت إلى قاعة استقبال فندق يضم الصحفيين واتهمت رجال العقيد باغتصابها، وقال عنها الناطق باسم النظام في البداية أنها مريضة نفسيا، ثم اضطرت السلطات للاعتراف، وكشفت والدتها أن مسؤولين ليبيين في "باب العزيزية"، اتصلوا بها وطلبوا منها إقناع ابنتها بتغيير إفادتها بتعرضها للاغتصاب مقابل دفع تعويض مادي وإغراءات أخرى، وقالت إيمان العبيدي (يو بي آي- UPI— القدس العربي 9 مايو) في حديث لشبكة "سي إن إن -CNN–" الإخبارية إلى أنها، خوفا ، فرت إلى تونس الخميس.

وتنشر "كل الوطن" من الرياض يوم الاثنين 18 أبريل: بعد يوم من الاتهامات التي وجهتها منظمة "هيومان رايتس ووتش" الدولية لحقوق الإنسان لنظام القذافي باستخدام قنابل عنقودية ضد الثوار كشفت صحيفة "صنداي تايمز" البريطانية عن فضيحة جديدة في هذا الصدد ألا وهي "سلاح الفياغرا ". ففي 17 إبريل نشرت الصحيفة (وهي للأمانة صحيفة إثارة) تقريرا أشار بوضوح إلى أن نظام القذافي يوزع عقاقير "الفياغرا" على جنوده لخلق احتقان عند شباب الكتائب يدفعهم لاغتصاب النساء، حيث أن الاغتصاب من الأسلحة التي يعتمد عليها نظام القذافي لعقاب الثوار، ورصدت بالفعل عدة حالات من عمليات الاغتصاب الجماعي، وأكدت ذلك مندوبة الولايات المتحدة في نيويورك سوزان رايس، وكانت بداية تردد هذه المعلومات ما حدث مع ليلى "28 عاما" التي تعرضت للاغتصاب والضرب وهي تحتضن أحد طفليها والآخر ينظر إلى ما يجري وهو ما جعلها تفكر في الانتحار، وتروي ليلى الواقعة التي حدثت في 14 مارس، قائلة :" إن الجنود أبلغوني بأنهم سيقتلونني في حال لم أستجب لهم فرفضت الانصياع لأوامرهم وحضنت أحد الطفلين، فدفعني أحد الجنود إلى السرير وحدث ما حدث". ويبدو أن قصة ليلى هي واحدة من عشرات المآسي التي رصدت، وسيتأكد كل ذلك بعد تحرير طرابلس عندما انفكت عقدة بعض الألسنة، ومن بينها بعض "الأمازونيات".

[134] - في رده على مقال للسيد عبد الباري عطوان في القدس العربي قال السيد عبد الرحمن شلقم (28 أبريل 2011) : اندفع الشباب يوم 15 فبراير في ليبيا في مظاهرة سلمية ببنغازي تطالب بالإفراج عن محام شاب يتابع قضية السجناء الذين قتلوا في سجن "أبو سليم"، ففتحت عليهم قوات القذافي النار وقتلت بعض المتظاهرين، وعندما أراد أهل بنغازي تشييع شهدائهم بالتكبير أمام مقر كتيبة "الفضيل أبو عمر" الأمنية، قام جنود الكتيبة بقتل العشرات من المشيعين.. قاوم هؤلاء العزل هذا الاعتداء بأن تجمعوا أمام الكتيبة يهتفون بسقوط القذافي ويطالبون بنهاية الطغيان، جاء الساعدي معمر

لكن الأمر المُؤسف هو أن القيادات الليبية المعارضـة كانت تفتقد التجربة السياسية والخبرة الدبلوماسية فجرى تفخيخها بشكل بالغ الذكاء، وهكذا ارتكب المجلس الوطني الانتقالي خطأ لا يُبرّر، إذ ارتفعت فيه وعنه أصوات بعض الحمقى لم تدرك أن المجلس، أرادوا أم كرهوا وقبلنا أم رفضنا، هو في وضعية تجعله في حاجة إلى اكتساب أصدقاء وحلفاء جدد كل يوم، أو على الأقل تفادي عداوات لا داعي لها، وغاب عنها أنه، في غياب مصر وتونس فإن الجار الواحد القادر على التأثير، مرحليا ومستقبلا، هو الجار الجزائري.

والواقع أن الأداء الإعلامي لثورة هائلة مثل الثورة الليبية كان أقل كفاءة من أداء أبسط المقاتلين الذين حمل بعضهم السلاح للمرة الأولى في حياته، وجسد مسؤول الأعلام الناطق من بنغازي صورة يتناقض فيها حجم المسؤول البدني مع حجمه السياسي، وكان واضحا أنه يسير بصعوبة وراء ما يتصور أنه متطلبات الثورة واحتياجات الثوار، أو يعبر لاهثا عن خلفيات لا نعرفها حتى الآن.

وهكذا كانت تلميحات وتصريحات **"بعض"** ثوار ليبيا فيما يتعلق بالجزائر **حماقة** كبرى، فبغض النظر على أنه لم يثبت دليل واحد على قيام **الدولة** الجزائرية بتقديم أي دعم **حقيقي** لنظام العقيد القذافيُ، فإن من يمثلون ثوار ليبيا ارتكبوا ما جعلهم في وضعية شنأن لا مبرر له مع **الشعب** الجزائري، الذي يمكن أن يختلف مع نظام حكمه لكنه لا يقبل أن توجه للنظام أي إهانات أو اتهامات غير مبررة.

ويجب هنا أيضا أن أعترف بأن تصريحات جزائرية لم تكن موفقة تماما.

وكان من أسوأ ما عشناه من اندفاع وتسرع رد الفعل على بادرة الجزائر الإنسانية بفتح حدودها أمام بعض أفراد عائلة العقيد القذافي، وخصوصا ابنته التي كانت، كما قيل لنا، على وشك وضع وليدها (وقد وضعت ابنة في اليوم التالي) وهذا بعد أن جرى تداول عدد من المعلومات التي نثرها بعض ذوي النوايا المشبوهة في ساحة فضائيات أصابتها الأحداث المتلاحقة والمتسارعة بنوع من الشراهة الإعلامية.

وإذا كنت لا أملك معلومات عسكرية أو أمنية تسمح لي بالرد على كل ادعاءات الثوار الليبيين التي وقعوا بها في شرك الساعين لإفساد العلاقات بينهم وبين القيادة الجزائرية، فإنني أحاول تحكيم عقلي فيما أسمعه، وكان من أهمه ما نشر في أواخر شهر يوليو من أن سفينة أفرغت أسلحة في ميناء "جن جن" سترسل إلى ليبيا، دعما لقوات العقيد القذافي، وهي معلومات لم يؤكدها أي مرجع محترم.

وكان المنطقي والمطلوب أن يطرح سؤال بالغ البساطة: هل تتعلق القضية ببضعة صناديق من الأسلحة لا تستحق أن تتحرك باخرة من أجلها ولا أن تتعالى الأصوات للتنديد بها، أم هي حمولة محترمة ستغير مجرى الحرب، وهو الأقرب للظن طبقا لمصدر الخبر؟.

وفي هذه الحالة يكون السؤال التالي: كيف ستنقل الأسلحة إلى الحدود الليبية في حين أن الميناء في وسط مدينة جيجل الواقعة وسط ولاية "جيجل"، وهذه محاطة بولايات سكيكدة وميلة وسطيف وبجاية، وحول هذه الولايات توجد ولايات عنابة وقالمة وقسنطينة، وعبرها نصل إلى تبسة وأم البواقي وباتنة ثم خنشلة ثم الوادي وورقلة وأخيرا وعلى الحدود الليبية مباشرة ولاية إيليزي.

فكيف لشاحنات عسكرية ضخمة محملة بما لا يمكن أن يكون صناديق مياه غازية أن تقطع كل هذه المسافات بدون أن يلحظ ذلك المواطنون، الذين لا يمكن السيطرة على تصرفاتهم جميعا، ولا يمكن تفادي تناقل الأخبار عن الشحنات الهائلة بطريقة "التليفون العربي" المعروفة، ولا تجد شخصا واحدا يلتقط صورة واحدة لسيارة واحدة من رتل السيارات الكبير، على اعتبار أن الأقمار الصناعية الأمريكية والأوربية فاتها أن تراقب ذلك لأن الواقفين على شاشات المراقبة كانوا مشغولين بإعداد الفطور أو السحور !!!.

القذافي من طرابلس ومعه قوات مدججة، وكانت مذبحة "جسر جليانه"، حيث قتل أكثر من مائتي مدني أعزل. قاد هذه المذبحة العميد "عبد الله السنوسي" صهر معمر القذافي وأمر مذبحة سجن أبي سليم، واتسعت مساحة الغضب في بنغازي وقرر ثوارها الهجوم على منبع القتل وهو كتيبة الفضيل أبو عمر، هاجموها واستولوا عليها، وأصبح في يدهم سلاح يدافعون به عن أنفسهم، واتسعت رقعة الثورة في الشرق والغرب، واندفعت جماهير طرابلس في فشلوم وتاجوراء تهتف بالتضامن مع بنغازي وتطالب بالحرية، فدارت آلة القتل، وسقط العشرات، ونفذ نظام القذافي وعيده.

[134] - نفى مسؤول حزبي كبير في تصريح لصحيفة الأهرام القاهرية (30 أبريل) أن تكون الجزائر أرسلت بمرتزقة لدعم القذافي، وتعمد في تصريحه أن يضيف لوما واضحا لمن يتهمون الجزائر بإرسال مرتزقة إلى صفوف القذافي ولكنهم هم استعانوا بالناتو ، وكان المسؤول قد هاجم قادة المجلس الانتقالي وطالبهم ب"**الوضوء**" قبل تناول الجزائر، وكان المفروض أن يُلقى في وجه المجلس الانتقالي بالتحدي البسيط القائل ...أرونا أدلتكم إن كنتم صادقين.

إلى جانب ذلك كان وزير الخارجية الجزائري قد نفى مزاعم الدعم الجزائري للقذافي وذلك في مكالمة مع الوزير الفرنسي ألان جوبيه. كما أدلى عضو في المجلس الانتقالي بنفس المضمون (الفجر 20 أبريل).

ثم إن ولاية "إيليزي" المتاخمة للحدود الليبية صحراء تشبه حائطا شديد البياض تكتشف عليه ذبابة من بعد يتجاوز حجمها عشرات المرات.

ويمكن أن يتصور البعض نقل المعدات الضخمة بالطائرات العسكرية.

وفي هذه الحالة لا بد من جسر جوي، وهذا لا يمكن أن يقام بدون أن "يفيق به" مواطنون يعيشون بقرب المطار في جيجل أو في جانيت، عاصمة إيليزي.

وكان من بين الفخاخ التي سقط فيها الناطق العسكري باسم الثوار برقية نشرتها "رويترز" تنسب لمسؤول حكومي جزائري مطالبته المجلس الانتقالي بمحاربة "القاعدة" كشرط لاعتراف الجزائر بها، في حين يعلم الجميع أن الجزائر تعترف بالدول مرة واحدة، بغض النظر عن تغير الأنظمة، وبحيث أن الجزائر لم تعترف بنظام القذافي لأنها كانت قد اعترفت بالدولة الليبية وتبادلت معها السفراء، وهو ما ينطبق على بلدان العالم كله التي تغيرت فيها الأنظمة، من تونس إلى الفيليبين ومن قطر إلى كوت ديفوار.

وأنكر بأن الناطق باسم الخارجية الجزائرية كذب مضمون برقية رويترز في اليوم التالي مباشرة.

وعلى الجانب الآخر كان من بين الفخاخ ما نشر من أن ليبيا الثورة ستغير اسم ميدان "الجزائر" لتسميه ميدان "أبو ظبي"، ومن حسن الحظ أن عبد الحفيظ غوقة كذب ذلك في اليوم التالي مباشرة، وقبل أن تجد ألسنة السوء عندنا الفرصة لتبرير التخاذل والتراخي والإهمال.

ولقد دخلتُ في هذه التفاصيل لأنني أحس بأنه كانت هناك قضايا مفبركة، حتى ولو لم أكن أملك **معلومات** من مصادر موثوقة تنفيها، وأقول "**معلومات**" يُحترم قائلها وليس مجرد **أخبار** صحفية مجهولة المصدر يُستهان براويها وناقلها، وأردت أن أسجل تقصير المراجع الجزائرية في وضع كل المعلومات أمام المثقفين ورجال الفكر في الجزائر بعد التقصير في اتخاذ الموقف المناسب في الوقت المناسب، وأبرز في الوقت نفسه مدى حماقة بعض المتحدثين باسم ثوار ليبيا، الذين استطاعت العناصر العاملة لمصلحة القذافي تفخيخهم لخلق الشنآن مع الجزائر، وهي الجار القادر على التجاوب مع مطالب الشعب المشروعة، ووقع بعضهم، كالمتحدث من لندن، تحت تأثير من يقدمون أنفسهم كمعارضين لنظام الحكم في الجزائر.

وكانت النتيجة ترنح التعاطف الشعبي الجزائري مع ثوار ليبيا، وربما أدى أحيانا إلى تبلور وضعية شعبية تقترب من **التعاطف** مع القذافي، تأخذ صورة التفهم والمقارنة بين شرّين ولكن بعكس مقارنة هويدي، وكانت فرصة لمن راحوا يملئون الجو بالشكوك حول خلفيات ودوافع ومبررات موقف هذا وردّ فعل ذاك، وتجاهل إعلاميون كثيرون، بمبادرة أو بتأثير مهماز، ما قاله العقيد القذافي لوكالة الأنباء الفرنسية في 29 أبريل من أن : "من يقاتلنا هم **إرهابيون** ليسوا من ليبيا بل غرروا بأولادنا (...) جاؤوا من **الجزائر** ومصر وتونس وأفغانستان" (والغريب أن هذه الإشارة للجزائر، والتي كررها ز"يف" الإسلام في حواره مع "واشنطون بوست" ثم قالها موسى إبراهيم قبيل تحرير طرابلس، لم تردْ في صحفنا فيما رأيت، بينما نشرت صحيفة جزائرية في مطلع يوليو تصريحا لابن العقيد أدلى به لمراسلها في طرابلس، يرفض فيه، بأسلوب مفضوح التحايل واضح الإساءة لثوار ليبيا، صفة "الارتزاق" عن الشعب الجزائر البطل....، كما قال).

ولعلي كنت المثقف الجزائري الوحيد الذي صرح لفضائية دولية بأن وجود جزائريين في ليبيا قد لا يختلف عن وجودهم في أفغانستان يوما، وهذا لا يلزم الدولة الجزائرية بشيء، وتحديت الناطقين باسم الثوار أن يقدموا لقطات لمن ادعوا أنهم جزائريون قبض عليهم، وما يثبت إرسالهم من قبل النظام الجزائري[135].

ولعل مما زاد الطين بلة أن بعض الجزائريين، ممن يتقدمون للفضائيات كمعارضين للنظام الجزائري، وخصوصا منهم من يعيشون في الداخل أو يتعيشون في الخارج، تسارعوا إلى انتحال وضعية الدفاع عن ثوار ليبيا، وانتهزوا الفرصة للتنديد بالنظام الجزائري بزعم أنه يدعم القذافي، وهو ما أثار غضب الجزائر وأساء كثيرا لسمعة الثوار الليبيين، حيث أن جلّ أولئك المعارضين يعتبرون في الشارع الجزائري كالبيت سيئ

---

[135] - قلت ذلك خلال شهر مايو لقناة "الحرة" التي لم أكن من المتعاطفين معها منذ غزو العراق، ونقلت ذلك بعض الصحف اليومية في مصر والجزائر (انظر mohieddine amimour - facebook) ثم قرأت أن قاضي التحقيق لدى محكمة ورقلة أودع عصابة تنتمي إلى شبكة دولية (..) وعثر لدى المتهم الأول على تجهيزات تستعمل في تزوير أختام الدولة (..) وتزوير بطاقات التعريف لأجانب التحقوا للقتال في ليبيا وهم ليسو جزائريين (الشروق اليومي – 22 مايو) وبالتالي، كنت، وبرغم عدم وجود معلومات موثقة، أتصرف كمناضل جزائري لا يسمح لأحد أن يمس بلاده، وكان المفروض أن تتم دعوة بعض الأسماء المعروفة لكي يوضعوا في الصورة ويتمكنوا من الردّ على ما يوجه للجزائر من هجومات، لكن ذلك لم يحدث.

السمعة، أو كالماء **النجس**، وهكذا، ونتيجة لهذا، أخذ كثيرون يعيدون النظر في حساباتهم وأحكامهم واتجاه تعاطفهم، وربما كان هناك عندنا أو في بنغازي من يقوم بدور الوسواس الخناس الذي يسعى لاختراق صفوف القيادة أو استقطاب بعض أعضائها، خصوصا وأن أحد هؤلاء كان يتعامل مع السلطات الأمريكية ويصدر في الخليج النسخة العربية من مجلة "نيوزويك"، وهو محمود شمام، مسؤول الإعلام في المجلس.

وخلال هذه الضوضاء الفكرية، التي تتصاعد على الساحة العربية والجزائرية وتتصارع معلوماتها تحت جمجمتي، لم أعط أي اهتمام لمن تزايد تنديدهم بالنظام الليبي نتيجة لكره خاص للقذافي، وبغض النظر عن كل ما يمكن أن يُبرّر الكره أو يُفسّره، لأنني أتصور أنه ليس هناك عاقل واحد لم يُحسن في حياته، ولو مرّة واحدة، بكره للعقيد، غير أنني لم أضِع وقتا كبيرا في إقناع من راح يدافع عن النظام ويختلق لعنفه المبررات، فقد تصورت أحيانا أن من خلفيات الدفاع معطيات جعلته أقرب إلى **التعليمات** منه إلى الآراء **والمعلومات**.

وراح موقفي يتذبذب مع تطور عمليات التحالف، خصوصا وأن حركة المعارضة كانت في البدايات متعثرة في استثمار القصف الغربي الجوي، مؤكدة بذلك أنها **لم تكن مستعدة لأي عمل عسكري**، وإلى درجة يمكن معها القول أنها وقعت في **فخ** لم تكن تنتظره، وبدلا من أن تعترف بذلك وتحاول التكيف مع وقائعه المتجددة راحت بعض عناصرها تتنادى لاستجداء الدعم المتزايد للحلف الأطلسي، ولفرنسا على وجه الخصوص، ولهذا البلد موقع خاص في ظنوننا يستقطب كل الشكوك ويستنفر الكراهية والبغضاء، وتزايد تذبذب موقفي عندما كان ترتفع أحيانا علامات استفهام تارة وتعجب تارة أخرى أمام تصرفات القوة الضاربة للحلف واختيار المواقع التي يستهدفها أو لا يستهدفها.

وتزايد قلقي عندما برزت في بعض صحفنا نغمة غريبة مشبوهة[136].

ففي اليوم الأول لتنفيذ قرار مجلس الأمن قرأت عنوانا يقول: **فرنسا تحتل ليبيا**، وكان مضمون العنوان مشتركا بين صحف معربة وصحف مفرنسة، ولم يكن هناك احتلال ولا غزو ولا هم يحزنون، ومن هنا بدأت أحس بأن هناك من سيحاول استثمار التحرك الفرنسي لأهداف لها خلفياتها[137].

وسيكون من الغباء أن يتصور أحد أن **فرنسا** تتحرك **دفاعا** عن الدم العربي أو عن الشرف العربي أو حتى عن المصالح العربية، ففي التعامل بين الدول لا مجال للعواطف، وكل شيء مرهون بالفوائد المتبادلة، وهنا يصبح من واجب كل وطني أن يحدد حسابات الربح والخسارة في تعاملاته الدولية، وبغض النظر عن أن العقيد وضع كل مقدرات ليبيا تحت تصرف الغرب إثر حلّ قضية "لوكربي" كما سيأتي فيما بعد.

لكن بعض المشتغلين بالشأن السياسي أو المحسوبين عليه، وأحيانا ممن يُمكن أن تثار بعض الشكوك حول ارتباطاتهم، بدءوا يُصدرون تحذيرات هلامية من أخطار **"القاعدة"** التي بدأت تتحرك في المنطقة لتعيد سنوات الإرهاب الدولي، وارتبط ذلك بالتخويف من السلاح الذي يمكن أن يستعمل في إشعال نار الإرهاب، وهو ما تردد حتى قبل أن يعلن القذافي عن فتح أبواب المخازن لتوزيع السلاح على المواطنين، ثم سمعناه من الرئيس

---

[136] - - نشرت صحيفة جزائرية مشهورة السبت 23 أبريل مقالا عن ليبيا جاء فيه بأنّ: "ما يحدث هو "حرب انتقام" أوربي - أمريكي من رجل كبّد الغرب (!!) خسائر مالية تقدّر بمليارات الدولارات في السنوات القليلة الماضية (؟؟) وكشفت تقارير جديدة **(لم تعطنا الصحيفة مراجعها)** "أن التغييرات الأخيرة في التعاملات الاقتصادية الإفريقية مع الغرب، وتراجع التبعيّة المالية لأغلب الدول الإفريقية مع الدول الأوروبية خصوصا وفي مقدّمتها فرنسا، هو أحد أهمّ الأسباب التي دفعت بالرئيس الفرنسي وقادة أوروبا إلى محاربة العقيد الليبي، الذي كبّدت مساهماته المالية (!!) في إفريقيا خسائر مالية كبيرة لأوروبا"، ويجد القارئ المقال كاملا، لأهميته ودلالاته، في نهاية الكتاب (عودة إلى البدايات – 3)

[137] - فوض مجلس الأمن استخدام القوة في ليبيا لحماية المدنيين من الاعتداءات وخصوصا في مدينة بنغازي، التي هدد القذافي بدخولها لإنهاء الانتفاضة ضد نظامه. وبموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، الذي يسمح باستخدام القوة إذا لزم الأمر، اعتمد المجلس القرار 1973 "باتخاذ كل التدابير اللازمة لحماية المدنيين والمناطق المأهولة بالمدنيين والمهددة في ليبيا بما في ذلك بنغازي، مع التشديد على ألا ينتج عن الوسائل التي يجيز القرار اللجوء إليها من أجل ذلك أي شكل من أشكال الاحتلال لأي جزء من الأراضي الليبية ". وذلك بأغلبية عشرة أصوات وامتناع خمسة دول عن التصويت، هي روسيا والصين والهند والبرازيل وألمانيا. وينص القرار على فرض حظر على جميع الرحلات الجوية في المجال الجوي لليبيا، باستثناء الرحلات ذات الأغراض الإنسانية كإيصال المساعدات والإمدادات الطبية والأغذية والعاملين في المجال الإنساني. ويطلب القرار من الدول المعنية التعاون مع جامعة الدول العربية وبالتنسيق مع الأمين العام بشأن تنفيذ هذا الحظر، كما يطلب القرار من جميع الدول الأعضاء، وخاصة دول المنطقة ضمان التنفيذ الصارم لحظر توريد الأسلحة المنصوص عليه في القرار 1970، بتفتيش السفن والطائرات المتجهة إلى ليبيا أو القادمة منها. وينص القرار أيضا وبموجب القرار 1970 على تجميد جميع الأموال والأصول التي يمتلكها نظام القذافي أو من يعملون معه.

غير أن الجامعة العربية لم تقم، فيما رأيت، بمتابعة عمل "الناتو" بشكل منتظم، باستثناء تصريحات عابرة.

التشادي إدريس دبّي، وارتباطاته مع نظام العقيد معروفة منذ دعم استيلاءه على نجامينا، مما أعطاني الشعور بأن هناك **تعليمة** (mot d'ordre) تنتقل من فم إلى أذان لها ألف فم وألف لسان[138].

ويصرح الوزير الجزائري الأول أحمد أو يحيى قائلا، بذكائه المعتاد، أن الجزائر ترفض الانحياز لأي طرف في الأزمة الليبية، ولن تبدي الجزائر موقفا مؤيد لبنغازي إلا إذا دعمهم الشعب الليبي[139].

وتفسح بعض صحفنا مجالا مشبوها لأصوات أعطت الشعور بأنها مُسيّرة من مخابرات العقيد، ومنها التصريح الذي نشر يوم 18 مايو لمن أطلق على نفسه اسم "سيف بن هلال" يقول فيه بأن قرار: "من يسمون (هكذا) بالثوار هو بيد من يدفع مرتباتهم، ونحن نتهم فرنسا وإيطاليا"، وذلك بعد أن يؤكد بأن "الطرف الرسمي في ليبيا موافق على التحرك الذي يقوم به المذكورُ في الجزائر"، والذي يدّعي أنه "وجد ردّا إيجابيا من 1200 قبيلة ليبية"، أما زميله "بشير أبو بكر" فيؤكد في نفس الصحيفة، التي فتحت له صفحاتها لأسباب قد يمكن تخيلها، أنه جاء إلى الجزائر في مهمة "نبيلة"، ويضيف بأنه متأكد من أن منسق التحركات وقبول المبادرات من طرف المجلس الانتقالي هو مستشار الرئيس الفرنسي (الذي لم يذكر حتى اسمه) وواضح أنه يحاول استثمار الشكوك الجزائرية الطبيعية تجاه كل ما هو فرنسي وكل ما هو إسرائيلي[140](وقد ردد ابن العقيد كلاما مشابها في تصريحاته بعد ذلك)

والمهم أن نتائج تحركات كتلك ونوعية تعليقات كهذه كانت كافية لإثارة شكوك أي عاقل يحرص على الموضوعية، خصوصا بعد تهديد العقيد بفتح مخازن السلاح للمواطنين، وهي نكتة بائخة، لأن المفروض أن الشعب هو مسلح أساسا، انطلاقا من شعار "الشعب المسلح" الذي يرفعه النظام.

وأنا لا أفهم كيف يتصور القذافي، وهو يُعلن عزمه توزيع السلاح على المواطنين الليبيين للدفاع عن الوطن، أن "الكلاش" سوف يواجه "التوماهوك" وأن المسدس سيتصدى للفانتوم والرشاش سيسقط الميراج.

وكان الأمر أقرب للمشهد الكوميدي عندما جسّد مذيع في التلفزة الليبية أقوال "العقيد" فراح يهز في وجوهنا مدفعا رشاشا وهو يردد قسما بالله موجها لـ"سيدي القائد"، يتوعد به "الخونة" بالويل والثبور وعظائم الأمور، وكان الطريف أن الرشاش لم يكن يبدو محشوّا بالرصاص، ولم يكن إمساك المذيع المتحمس به مما يمكن أن يشي بأنه متمرن على استعماله، وهو ما كررته هالة المصراتي بعد ذلك وهي تمسك بمسدس قالت أنها ستدافع به عن التلفزة الليبية ضد كل من يهاجمها، وهو ما لم يحدث بالطبع بعد تحرير طرابلس.

واقشعر جسمي انذاك وأنا أتذكر كلمات كان قد قالها ابن القذافي في البداية (وهو يحرك سبابته في وجوه المشاهدين بتعالٍ السمج وبوقاحة صدمت الجميع) حذر فيها من حرب أهلية إذا لم يقبل الليبيون قدرهم في ظل العقيد وتحت حكمه ورهن إرادته، فقد أدركتُ أن سياسة الأرض المحروقة هي البديل المطروح، وربطتُ هذا مع دعوة القذافي أبناء القبائل للزحف نحو بنغازي وهم يحملون أغصان الزيتون، حيث توقعت أن تخفي الأغصان الخضراء ثمارا خبيثة على شكل أسلحة من كل الأنواع سيصوبها الأشقاء إلى صدور الأشقاء، ثم بدا أن العقيد صرف النظر عن مظاهرة أغصان الزيتون الخبيثة بعد أن أدرك صعوبة تحقيقها أو لأنه لم يجد من يقبلون القيام بها، لكنه عاد لفكرة مشابهة عندما أن أعلنت مصادر رسمية ليبية انسحاب كتائب القذافي من مصراتة في الأسبوع الثالث من أبريل وترك المواجهة فيها للمواطنين وللقبائل، وعندما لم تتحرك القبائل ولم يمكن تجنيد مرتزقة بألبسة قبائل راح النظام الليبي يقول بأن الكتائب **أوقفت** وجودها لكنه لم تنسحب، وبأنها أعطت للمفاوضات بين القبائل والثوار مهلة 48 ساعة، ستعود بعدها **لإكمال المهمة في** مصراتة، التي ظلت

---

[138] - كشفت جريدة "لوفيغارو" الفرنسية في موقعها على شبكة الإنترنت الاثنين (12 أبريل) عن مشاركة 300 من الجنود التشاديين في صفوف كتائب القذافي، ووصفت ذلك بدعم رسمي من دولة لدولة. وفي الوقت نفسه أبرزت الدور الذي لعبته السفارة التشادية في طرابلس في تجنيد مرتزقة أفارقة من تشاد ومن دول افريقية علاوة على المهاجرين الأفارقة المتواجدين في ليبيا (..) وبغض النظر عن الانقسام الحاصل في تشاد حول دعم أو مناهضة القذافي، فالنقاش الدائر في هذا البلد وفق "تشاد أكتيبل" التخوف من أن يؤدي سقوط القذافي إلى عودة الصراع في تشاد، بحكم أن الدكتاتور الليبي هو الذي يوفر الدعم المالي والعسكري لإدريس دبي، وفي المقام الثاني، ارتفاع الخطاب السياسي الذي يطالب ليبيا بالتعويض عن المجازر التي ارتكبتها القوات الليبية في تشاد ابتداء من.1973 (عن القدس العربي)

والمثير للدهشة أن تشاد كانت في طليعة من اعترفوا بالمجلس الانتقالي في الأسبوع الأول لتحرير طرابلس.

[139] - استعمل الصحفي الجزائري الذي نقل التصريح إلى صحيفة الشرق الأوسط (9 أبريل 2011) تعبير "المتمردين المتخندقين ببنغازي" بدلا من احترام التعبير الذي جاء على لسان الوزير الأول الجزائري، ولا داعي لأن نتخيل الخلفيات.

[140] - طبقا للتطورات أحسست بأن المقصود هو الفيلسوف الفرنسي الصهيوني برنارد ليفي، وهو ما سيتأكد فيما بعد عندما يُسرب خبر عن رسالة حملها ليفي للقادة الإسرائيليين من المجلس الانتقالي، الذي نفى الأمر.

فريسة لقصف راجمات "غراد" بعيدة المدى، والتي صبّت على المدينة في نفس الليلة أطنانا من القنابل، وراحت عناصر النظام تزرع ميناءها بالألغام وتهدد سفن الإغاثة التي تحمل الطعام والدواء للسكان المحاصرين.

ثم أعلن القذافي أنه يعطي المدينة يومين للاستسلام، وتأكد العالم مرة أخرى أن الذكاء الذي يوصف به النظام الليبي أحيانا هو مزيج من اللؤم والخبث والخداع والتضليل، وبدا واضحا أن المخطط هو سحق المعارضين واستئصالهم بكل طريقة ممكنة، ومن هنا وصلتُ إلى اليقين بأن السلاح، الذي ادعى النظام أنه سيوزعه على مواطنين، هو سلاح سيوزع بشكل شبه مباشر على عناصر معظمها من سجناء الحق العام الذين عرفنا لهم مثيلا في فيلم الإثني عشر مجرما (Les 12 salopards) ولن يُوجّه السلاح ضد الفرنسيين أو البريطانيين، بل سيستعمل لقمع الرافضين لحكم العقيد والمتظاهرين ضد حكمه، ليستكمل بها عمليات الإبادة، إذا نفذت ترسانة صواريخ "غراد" واقعدت الطائرات الحربية وأسكتت المدافع بعيدة المدى، التي استعملها النظام لتطويع مدنيين بسطاء، معلمين وأطباء وطلبة وتجار صغار، لم يكونوا عرفوا بعدُ ما معنى "القناص" وما هو **"كوكتيل مولوتوف"**[141].

وهنا نجد مبرر خوف المحتجين فيما بعد من استعمال العقيد للغازات السامة، خصوصا بعد أن زرعت البريقة ومصراتة بالألغام البلاستيكية، التي لا تكتشفها الآلات التقليدية المتاحة.

وربما نصل هنا إلى فهم أكثر لتهديد العقيد بأنه سيتحالف مع **القاعدة** إذا حيل بينه وبين أهدافه، وبغض النظر عن التناقض مع اتهامه للمحتجين بأنهم عناصر تحركها القاعدة، ويمكن أن ندرك بالتالي المخاوف الجزائرية من تسرب أسلحة مشبوهة عبر الحدود الجزائرية، والتي فشلت بعض قيادات الثوار الليبيين، بتسرع وبحماقة غريبة، في تفهم الموقف الجزائري منها وفي التعامل الإعلامي معها.

لكن أكثر ما أثار غضبي كان المبالغة في رفع أعلام فرنسية وأمريكية في ساحات بنغازي، وبرغم أنه كان تعبيرا عن الارتياح الذي أحست به الجماهير التي أنقذت من قصف القذافي فإنه ذكر على الفور بما حدث إثر الغزو الأمريكي للعراق، وبالتالي استنفر مقارنات بين أوضاع لا تقارن.

وثبت لكثيرين، ممن أغمضوا أعينهم عن حقيقة العقيد الليبي أنه لا يتردد عن استعمال أي عنصر يترجم به غضبه على كل من رفضوا منطقه، ولعل تهديده بعدم مواجهة الهجرة غير المشروعة إلى أوروبا وترك الأفارقة يغزونها يكشف شيئا لم يكن أحد يتوقعه، وهو واضح من تزايد القوافل المتجهة من الساحل الليبي نحو الشمال حاملة مئات ومئات من الأفارقة الذين لا يعرف أحد على وجه التحديد كيف وصلوا إلى السواحل الليبية من أعماق إفريقيا جنوب الصحراء، وإن كانت أصابع النظام واضحة في تجميعهم بشكل ما واستعمالهم كعنصر انتقام من الجنوب الأوربي، ومما يؤكد هذا أن العقيد فيما بعد راح يُهدد الغرب بتشجيع الحركات الانفصالية التي تعرفها بعض دول أوربا.

وتتحدث باربارة لويس (رويترز) من جنيف (ترجمة القدس العربي 11 مايو) عن غرق المئات من المهاجرين في غضون أسابيع خلال محاولتهم عبور البحر المتوسط على سفن متهالكة، أطلق عليها البعض اسم **"قوارب الموت"**، ونقلت وكالات إغاثة عن شهود أن سفينة تقل ما بين 500 و600 شخص غرقت في أواخر الأسبوع الماضي قرب العاصمة الليبية طرابلس، وشوهدت جثث كثيرة طافية في المياه، لكن عدد الغرقى غير واضح، وكانت مفوضة الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين قد أعلنت أن نحو 800 شخص فقدوا منذ 25 مارس بعد محاولتهم الفرار من ليبيا، وأغلب الفارين مهاجرون من جنوب الصحراء.

وكان كثير من هؤلاء المهاجرين يعانون حالة تشوش وذهول، ومنهم امرأة صومالية تمكنت من السباحة عائدة إلى الشاطئ الليبي بعد أن نجت من السفينة التي غرقت في أواخر الأسبوع الماضي وفقدت رضيعها الذي لم يتجاوز عمره أربعة أشهر ثم اضطرت لركوب قارب آخر، لكن أخطر ما في الأمر كله ما قاله مهاجرون من أن: " جنودا ليبيين أجبروهم على ركوب قارب بإطلاق النار في الهواء".

وذكر آخرون أنه "على الرغم من أنهم لم يضطروا لدفع رسوم للعبور فقد جردوا من متعلقاتهم ومدخراتهم"، وهو ما يعني أن كتائب القذافي هي التي تشحن المهاجرين غير الشرعيين في قوارب الموت

---

[141] - قال سيف الإسلام ذلك بشكل واضح مؤكدا إخراج المساجين لينضموا إلى الكتائب - انظر الحوار في القسم الوثائقي.

وتستعملهم لابتزاز أوروبا تماما كما فعلت مع المدنيين الليبيين الذين كانت تستعملهم دروعا بشرية لحماية قواتها، وبدا جليا أن حجم النذالة والخسة وصل إلى مستويات خير منها مستويات الضباع في البيداء.

على ضوء ذلك كله أحسست بأن من واجب كل مثقف تحليل المعطيات المتوفرة في كل ما نعيشه من دروس بالغة الأهمية، يجب أن نستفيد منها جميعا حتى لا يتكرر في بلاد عربية أو إسلامية أخرى ما حدث في ليبيا، وسالت بسببه دماء أبناء الاف من الشعب الليبي الشقيق، بغض النظر عن اتجاهاتهم، وسواء أكانوا مع العقيد أو ضد العقيد، إضافة إلى المئات من المهاجرين والمُهجّرين الأفارقة ممن التهمتهم أسماك المتوسط.

ورحت أتابع تحول الثوار الليبيين إلى **جيش تحرير وطني** بفضل وجود شخصيات عسكرية متميزة في صفوفهم، وانضمام مجموعات من فرق الصاعقة والعسكريين المحترفين وعلى رأسهم عبد الفتاح يونس[142]، وبهذا يتقلص دور حملة السلاح من المدنيين إلى أقل حد ممكن، ليقتصر على حراسة الأحياء.

وكان أملي أن يدرك العسكريون الليبيون أن مهمة المستشارين العسكريين الأجانب الذين تبرعوا بالمجيء إليهم هي أساسا عمل **استخباراتي**، خلفيته الرئيسية التأكد من دقة المعلومات عن تجمعات عناصر العقيد العدوانية، والاطمئنان إلى عدم وجود أي أثر للقاعدة في صفوف الثوار، بجانب ضمان علاقات مستقبلية لها أهميتها بالنسبة للدول الغربية، مثل محاربة الإرهاب والهجرة غير الشرعية، ومن هنا فإن على الثوار الاستفادة بقدر الإمكان من وجود هؤلاء، تماما كما استفاد العقيد من وجود الصرب والأوكرانيين والروس وغيرهم، وأتصور أن هذا دور كان يجب أن يقوم به الأشقاء من البلدان **المجاورة** لليبيا والتي تملك خبرة عالية في هذا الميدان، وهو ما يتطلب أولا وقبل كل شيء حجما من الثقة المتبادلة التي يتحمل الأشقاء مهمة المبادرة بخلقها، وإن كانت الظروف قد لا تمنع من أن نكون نحن المبادرين إلى تأكيدها[143].

وإذا كانت تطورات الأوضاع على الساحة الليبية في الأسبوع الأول من مايو تبعث على الاطمئنان، فإن الأيام الأولى من يونيو بدأت تعطي إشارات عن أمر بالغ الخطورة، إذا صحت رؤيتي له، والتي بدأت منذ أخذ "بعض" المتحدثين باسم الثورة الليبية يطلقون الاتهامات ضد الدولة الجزائرية بأنها تدعم العقيد الليبي، وهي اتهامات وصفتها بداية بالحماقة، أضيفت إليها تلميحات تشكك في الموقف المصري من الثورة، لكنني بدأت أراها إشارة إلى أن احتمال وجود اختراقات على مستوى المجلس الليبي الانتقالي، وهو ما أبرزته تصريحات برنارد ليفي من أنه حمل إلى إسرائيل رسالة طمأنة من قيادة الثوار الليبيين.

وتزايدت هذه التخوفات أمام ما بدا من عجز "الناتو" عن حسم الأمور عسكريا لمصلحة الثوار، والمبالغة في الهجوم على "باب العزيزية" في حين أن أي ساذج يعرف جيدا أن العقيد القذافي موجود في مكان آخر، وبدأت أحس بأن "الناتو" يحاول تمييع الأمور لإحكام السيطرة على قرار الثوار، وهو ما أعطاني إحساسا قويا بأن على الجيران أن يتدخلوا لوضع كل شيء في نصابه، على المدى القريب وعلى المدى البعيد، وأنا لا أملك إلا قلمي وصوتا محدود القوة ومورد معلومات شحيح المادة.

وكان هذا يتطلب توضيح الأمور وكشف الخلفيات وإبراز كل المعطيات وكشف عمليات التضليل.
ورحت أحاول النظر إلى الأفق البعيد كمن يبحث عن طريقه عبر الأشواك في ليلة غائمة ممطرة.

---

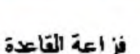
[142] - ولد عبد الفتاح يونس في منطقة الجبل الأخضر عام 1944، وهو ينتمي إلى قبيلة العبيدات، أكبر القبائل الليبية في شرق البلاد، والتحق بحركة الضباط الوحدويين الأحرار التي كانت تعد لانقلاب عسكري بهدف إسقاط الملكية الليبية، وكان ليونس آنذاك دور مهم، حيث تولى مهمة اقتحام إذاعة بنغازي الرئيسية في ليلة الانقلاب عام1969، وعند تأسيس القذافي الجماهيرية الليبية حصل على مناصب رفيعة ومهمة في السلك العسكري، أهمها رئاسة القوات الخاصة الليبية التي قادها في حرب ليبيا مع مصر والصراع الليبي التشادي، وفي عام 2009 تولى حقيبة وزارة الداخلية، وبقي في هذا المنصب إلى أن أعلن استقالته وانضم للمعارضة في الأيام الأولى لإعلان مصطفى عبد الجليل وزير العدل السابق انشقاقه عن نظام القذافي، ونقل وقتها أنه رفض تنفيذ أوامر بقمع المتظاهرين الليبيين، وكان اللواء عبد الفتاح يونس يوصف بأنه "ظل" القذافي في ليبيا، فإذا كان العقيد جالسا في خيمته، فعبد الفتاح هو القذافي الذي يتجول في الشارع، وذلك لإبراز مدى التزامه مع العقيد. وجرى اغتياله في ظروف غامضة في نهاية يوليو، وادعى الناطق باسم القذافي أن "القاعدة" هي التي قتلته انتقاما من مواقفه ضد "قواتها"، وواضح أن الهدف هو تأكيد اختراق القاعدة للثوار.

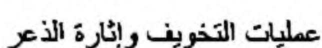
[143] - قالت مصادر الناتو أن الهدف الرئيسي من الخبراء هو التأكد من المعلومات التي يتلقونها من الثوار عن أماكن وجود قوات العقيد التي تهددهم، والتي كانوا يتلقون عنها أخبارا مضطربة ومحدودة المصداقية، وأتصور أنها الأسباب مجتمعة.

ليبيا عضو لجنة الاستخبارات في الكونغرس تصف التدخل الأمريكي بـ"الأحمق"

القاعدة ستسيطر على ليبيا في حالة سقوط القذافي




فزاعة القاعدة


عمليات التخويف وإثارة الذعر

(2)

القذافي بالنسبة للشعب الليبي أكثر **قدسية** من إمبراطور **اليابان** الذي **انتحر** اليابانيون من أجله. **أنا** مقدس للشعب الليبي، **أنا** رمز، **أنا** بالنسبة لهم أب ومرجعية، **أنا** مرتبط لهم بالجلاء، **أنا** مرتبط بتأميم النفط، بالانجازات المادية والمعنوية، والشعب الليبي لا يستطيع أن **ينكر** ذلك (...) وإذا أنكره **فلا يستحق الحياة.**

العقيد القذافي – خطاب القضابية – 29 أبريل

*

خلال إعدادي لهذا الكتاب عدت إلى ملفات كنت حجزتها طويلا في ذاكرة الحاسوب، لأنني لم أرد مواجهة كل التبعات التي كان يمكن أن تنشأ عن نشر ما أعرفه في كتاب، هذا إذا وجدت أساسا من يجرؤ على نشره في هذا الجو الذي نجح البعض في خلقه على الساحة الوطنية.

وتذكرت أنني كنت أعددت مقالا عن فكرة تحويل منظمة الوحدة الإفريقية إلى اتحاد إفريقي، وهي فكرة كان العقيد معمر القذافي وراءها، كبداية لحلمه عن ولايات متحدة إفريقية يكون هو رئيسها بالطبع، وقد يكون مقرها مدينة "سرت"، مكان ميلاد العقيد العزيز على قلبه، بحيث يفضله حتى على العاصمة طرابلس، وهكذا تحل سرت مكان "أديس أبابا"، وتطوى صفحة تاريخية إلى الأبد.

وكنت بدأت أحس بذلك الاتجاه بعد قمة الجزائر في 1999، وبوجه خاص مع انعقاد قمة سرت التي أنهيت فيها منظمة الوحدة الإفريقية لمصلحة إقامة الاتحاد الإفريقي.

وواجهت صعوبات في نشر المقال لأنني وضعت بين سطوره ما كنت رأيته من مبررات كنت أرى فيها اغتيالا للمنظمة التاريخية ليس له ما يبرره، اللهم إلا غيرة بعض الرؤساء الحاليين من القادة المؤسسين لمنظمة الوحدة الإفريقية في أديس أبابا، والمرسومة صورهم على اتساع جدار القاعة الكبرى للمنظمة في العاصمة الإثيوبية، ولست أدري ما إذا كانت اللوحة الجدارية هناك ما زالت كما هي أم حدث لها ما حدث لنقوش الملك حتشبسوت في المعابد الفرعونية المصرية.

وربما تصور مدير التحرير الصديق أنني أهدف إلى تمجيد الملك الليبي الراحل إدريس السنوسي على حساب العقيد القذافي وهو ما يمكن أن يزعج حليفنا العقيد، فرفض نشر المقال، مما اضطرني إلى نشره خارج الوطن، وسوف أعيد نشره في نهاية هذا الكتاب.

وكنت سجلتُ دائما تضامني مع الشعب الليبي خلال فترة الحصـار الأمريكي على القطر الشقيق، تماما كما سجلت قبل ذلك تضامني مع الشعب العراقي عندما كان يتعرض لحصار أكثر ضراوة، فلم يكن ممكنا أن أنسى موقف الشعبين الشقيقين الداعم لثورتنا والمتضامن مع مسيرتنا، وبالرغم من أنه كان هناك من يرى أن الحصار يدعم أنظمة الحكم الدكتاتورية لأنه يوفر لها الانفراد بالشعب وتقزيم كل أنواع المعارضة ومحاربة الخصوم تحت شعار "الدفاع عن البلد ضد الأعداء".

لكنني زرت العراق خلال مرحلة الحصار، وهو ما سبق أن كتبت عنه، وقمت بزيارة ليبيا قبل فك الحصار عنها أكثر من مرة، وكانت المرة الأخيرة منذ نحو ثلاث سنوات عندما كلفت بالذهاب إليها حاملا دعوة المشاركة في تظاهرة الجزائر عاصمة للثقافة العربية.

وحدث أنني واجهت منذ نحو سنتين قضية بالغة التعقيد، فقد رفع العقيد الليبي قضية قذف ضد صحيفة الشروق الجزائرية، وهي صحيفة كنت من بين من تحمسوا لها وساهموا فيها عند انطلاقتها، لأنها كانت فجرا جديدا للصحافة العربية الأسبوعية في الجزائر.

وحاولت إقناع الممثل الدبلوماسي للجماهيرية، وهو رجل فاضل وصديق عزيز، بتفادي رفع دعوى قضائية ضد الصحافة بشكل عام والاكتفاء بإرسال وجهة نظر تنشر طبقا لحق الرد، لكنني فشلت، وفهمت بأنه تلقى أوامر مشددة من طرابلس لرفع القضية.

وكانت المفاجأة الكبرى التي لم أكن مستعدا لها هي أن من كلف بتقديم شكوى العقيد كانت ابنتي المحامية، مُنى، وواقع الأمر أنني لم أفهم سر اختيار محامية شابة لقضية يرفعها رئيس دولة، وبغض النظر عن كفاءتها المشهود لها، بالإضافة إلى أنني لم أكن، كما كنت أتصور، ممن يحظون بحب كبير من العقيد، حيث لم أجد ما يقنعني أنه لم يكن للقب المحامية على وجه التحديد صلة بالاختيار، وبالتالي،هل هو أمر مقصود لإحراجي أم أنني أعطيتُ للأمر أكثر مما يستحقه.

وعندما أبلغتني ابنتي بالأمر، أضعت ساعات كثيرة في التفكير في الموقف اللازم اتخاذه، وأعترف بأنني نظرت للأمر نظرة سياسية مليئة بالشكوك، من واقع معرفتي السابقة بالعقيد ومن واقع إدراكي بأن الجانب القضائي في العملية ليس هو أهم الجوانب، إن لم يكن مجرد واجهة لأمر آخر لم أتمكن من إدراكه على الوجه الأكمل، وفي نهاية الأمر تركت لابنتي اتخاذ القرار وفقا لما تراه، فقبلت الترافع في القضية انطلاقا من اعتبارين أولهما منطق التحدي، الذي ورثته مني على ما أتصور، إذ كان هناك من يعتقد أنها سترفض القضية مراعاة لما يمكن أن يصيبني من حرج، أو أنني سامنعها من تولي الأمر، أما الثاني فكان أكثر بساطة، وشرحته هي لي بقولها أن من حق المتهم بجناية قتل أن يجد من يدافع عنه، والقضاء هو السيد أولا وأخيرا.

وعندما انتهت مهمة منى القضائية طويت الملفات، وكان تصرف الأشقاء دائما تعبيرا عن الأخوة الصادقة والاحترام المتبادل الذي عرفته دائما عن الليبيين ومنهم.

ولعلي أحسست آنذاك بأن الأعزاء في الشروق لم يتفهموا تماما الموقف كما يجب أن يكون التفهم، وإن كانت التطورات ومرور الوقت عاملا لعودة الصفاء، وكان أسخف ما في الأمر أن بعض صغار المحامين صعقوا لأن زميلة لهم اختيرت لعملية يمكن أن تعطيها حجما لا بأس به من الدعاية، وكان منهم أو منهن من رددوا أن تكليف منى جاء بتدخل مني مع السفير الليبي، وهو ما لم يحدث بالطبع.

وما زلت إلى يومنا هذا لا أفهم كل الخلفيات التي أحاطت بهذه القضية.

وأتحدث اليوم عن أمور كنت تناولت بعضها عبر السنوات الماضية في كل فرصة سانحة، وبالأسلوب المناسب للتوقيت وللمنبر، ووجدت الآن أن الوقت قد حان لجمع كل ذلك في كتاب يتناول جانبا من علاقاتنا مع ليبيا، ليستكمل جهودا بذلتها وليشاركني أشقاء الرأي فيما منحني القدر الفرصة لمعرفته، ومنها كتابي عن باكستان، الذي أصدرته إثر انتهاء مهمتي كسفير في إسلام أباد، وكتابي عن العلاقات مع مصر، الذي صدر في أعقاب أزمة الكرة المعروفة، التي كانت، كما سبق أن قلت، مجرد الجزء البارز من جبل ثلج عائم.

ولا أعتقد أن هناك علاقات أكثر التباسا في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين من العلاقات الليبية الجزائرية، ومن هنا فإن هذا الكتاب يقدم رؤية ذاتية لجانب من تلك العلاقات، لعله يجيب عن تساؤلات كثيرة تغلي في صدر مئات بل وآلاف المواطنين.

ولقد كان العامل الرئيسي وراء حماسي لإصدار هذا الكتاب تطور الأحداث التي عبر بها الشعب الليبي في مطلع العشرية الثانية من الألفية الأولى عن غضبته ضد نظام العقيد القذافي، والتي تلت ثورة تونس ثم ثورة

مصر وتأثرت بهما أيما تأثير، وهكذا أحسست بأن واجبي هو أن أضع أمام القارئ كل ما أعرفه عن العلاقات بين البلدين، من موقع الشاهد المباشر لمجموعة أحداث فيها الكثير من الدروس والعبر.

وكنت تناولت بعضها في السنوات الماضية في الحدود التي تسمح بها العلاقات بين البلدين، والتي عرفت مدا وجزرا بشكل تبادلي غريب، وسأركز أساسا على السبعينيات والثمانينيات، لأنها المرحلة التي كنت فيها شاهد عيان، وأعتذر مسبقا عن الصبغة الذاتية للحديث، فأنا أقول وأكرر بأن الشاهد جزء من الحدث، وأنا لا أزعم لنفسي دور المؤرخ أو المراسل الصحفي في الدول المتقدمة إعلاميا، وإنما أكتفي برواية ما عشته وشاهدته ليكون دليلا لمن سيكتبون تاريخ العلاقات بين البلدين، ينكر المؤرخ بكل المواقف خصوصا مواقف الذين نقلوا البندقية من كتف إلى كتف عندما تغيرت الأمور.

وألاحظ هنا أنني، وكما أشرت لذلك في المقدمة، استعنت ببعض المواقع الدولية مثل "غوغل" و"ويكيبيديا"، وبشهادات من صحفيين وكتاب دوليين وإخوة جزائريين وليبيين ساهموا، بشكل أو بآخر، في مسيرة العلاقات بين الشعبين، وبالكثير من الكتابات والوثائق التي بذلت جهدا كبيرا في جمعها، ليكون الكتاب وثيقة مفيدة للجميع.

وأعترف بأن بعض ما يضمه الكتاب لن يكون جديدا على القارئ الذي تابع كل كتاباتي، حيث أن مادته الأساسية مبعثرة عبر عشرات الكتابات التي نشرتها في الداخل والخارج، وإن كان من العسير على كل قارئ أن يلم بها كلها، وذلك ما يُفسر بعض التكرار الذي فرضه عليّ السياق.

لكن الأحداث دفعت إلى سطح المعلومات بكم كبير اختلط فيه الصحيح بالمغرض، والمعلومة بالإشاعة، ومن بينها ما أورده "ألكسندر نجار" في كتابه "تشريح طاغية"[144] بقوله : معمّر القذافي، الابن الأصغر لعائلة بدوية مؤلفة من أم ذات أصول يهودية (؟؟) اسمها عائشة[145] وأب يرعى الأغنام والإبل يُدعى محمد عبد السلام حامد المعروف بأبي منير (أبو منيار، فالكتاب بالفرنسية) وقد شارك هذا الأخير مرّة في فيلم وثائقي عن "حياة العقيد" أنجزه في مناسبة معينة الصحافي الفرنسي "إيريك رولو"، وفيه تحدّث الوالد، وهو في أعوامه التي تجاوزت المائة، عن ابنه باعتزاز كبير قائلاً: "ما زال ولدي يحبّ الحياة البدوية، وكلّما أتى إلينا انفرجت أساريره وانتعش، وما زال ينام على الفراش نفسه عندما يقصدنا، إنّه مخلص للمكان الذي ولد فيه، "سرت"، وعن صفات ولده أضاف: "طالما كان ولدي جديّاً ومتحفظاً وقليل الكلام، وأنا فخور بعمله الثوري ضدّ الاحتلال الإيطالي"[146].

وفي فترة من الفترات انتشرت شائعة غريبة جعلت من معمّر القذافي ابناً للطيّار الإيطالي الكورسيكي "ألبير بريسيوزي" الذي قُتل في روسيا عام 1943 بعدما عاش فترة في الصحراء الليبية، وعن هذه المسألة يقول نجار إنّه على رغم الشبه الكبير الذي يجمع بين الطيّار الإيطالي في شبابه والملازم الليبي الشاب معمّر، إلا أنّ هذه الرواية بقيت تنتشر كخدعة أو نكتة يتناقلها الناس، على رغم اهتمام بعض الصحافة الأجنبية بالأمر وملاحقته، وهذا ما دفع بالكاتب إلى عنونة الفصل الأوّل من كتابه: «بدوي أم كورسيكي؟.انتهى.

وربما كان الالتباس الكبير في علاقاتنا مع العقيد معمر القذافي هو أننا لم نفهم شخصيته الحقيقية، فالخطأ الشائع الذي يتردد شعبيا، وأحيانا على مستويات أعلى من جلسات المقاهي واللقاءات العائلية البسيطة، يرى أن الرجل معتوه، ويمكن في أحسن الحالات أن يكون كأبله القرية الذي جسده "الأخضر حامينا" في فيلم "سنوات الجمر"، وهو على أحسن حال "سكران ويعرف باب داره"، غير أن هذا غير صحيح إطلاقا، برغم أن البسطاء يخلطون بين المجنون والمعتوه، لكن الفرق بينهما شاسع، ثم إن جنون العظمة يُعتبر نوعا من العبقرية مختلة المعطيات.

والعقيد القذافي صورة مجسدة للنرجسية الطاغية، وهو رجل بالغ الذكاء، اتسم ذكاؤه بحجم كبير من الدهاء واللؤم وبمقدرة هائلة على المناورة وقدرة تمثيلية مقنعة وكفاءة كبيرة في المراوغة والكرّ والفرّ، وارتبط هذا خلال مرحلة الشباب بوسامة متميزة تتجسد في قامة رياضية ووجه منسجم الملامح وشخصية قوية طاغية،

---

[144] - ANATOMIE D'UN TYRAN عن دار أكت سود - باريس(ACTES SUD-PARIS) باللغة الفرنسية.

[145] - أعتقد أن المعلومة مزيفة لأن اليهود لا يسمون عائشة.

[146] - العقيد من مواليد 7 يونيو 1942، وبالتالي فالحديث عن دور له ضد الطغيان الإيطالي من باب الخرافة، من جهة أخرى يقول شلقم (الحياة 20 يوليو) معمر كان مقموعاً من أبيه محمد عبد السلام بو منيار، الذي كان بين من جندهم الإيطاليون لمحاربة الليبيين في كتيبة "باندة" في سرت، وهو ليس مجاهدا لكن "رفاته" الآن في مقبرة الشهداء.

وترجم هذا كله صورة من جنون العظمة متزايد الحدة بالغ التعقيد، جعلت الرجل يعتقد، بإيمان حقيقي، أنه عبقري العباقرة وأن الآخرين جميعا أغبياء، وأصبحت الاستهانة بالآخرين والاستعلاء عليهم بل وإهانتهم ممارسة يتلذذ بها، كما يتلذذ المدمن بدخان الأفيون[147]، وأصبح واضحا أنه يشعر بمتعة شبقية عندما يلاحظ أن الآخرين يعتبرونه غريب الأطوار، فيروح يبالغ في ابتكار كل ما يمكن أن يبعث على الاستعجاب والاستغراب بل والاستنكار والاستهجان، تارة بالملابس المبهرجة وتارة بالنياشين وغالبا بالتصرفات التي تؤكد أنه فعلا...غريب الأطوار، ولأن الآخرين يقبلون كل ذلك بل يصفقون له فهو إذن فوق الجميع، وهو على حق والجميع حمقى لا يفقهون، هذا مع التسليم من ناحية التقييم بما قاله عنه إحسان عبد القدوس قبل أكثر من ربع قرن من أنه "ليس حاكما طبيعيا يمكن قياسه بالحقوق والواجبات"، والتمسك من ناحية التوصيف بما قاله عنه غسان شربل قبل أيام من أنه وقع في عبادة صورته، وتفرغ لمخاطبة التاريخ بدل الاستماع إلى شعبه!.

وتجاوزت تصرفات العقيد حدود اللياقة مع نظرائه، ويروي عبد الرحمن شلقم حكايته مع الرئيس التونسي المخلوع زيد العابدين بن علي قبل أن تنجح ثورة الياسمين، حيث عرض العقيد على بن علي أن يصبح أحد أتباعه بإعلانه الانضمام إلى اللجان الشعبية بالجماهيرية، وهو ما جعل الرئيس التونسي يعود غاضبا إلى تونس، أياما قلائل قبل أن تشتعل ثورة الياسمين. وكان الرئيس البرازيلي السابق "لولا دا سيلفا" قد خرج من جلسة مع القذافي حضرها الرئيس الأسبق "بن بلة" و"أورتيغا" بعد أن وجه له القذافي كلاما جارحا بأنه تابع له بعد أن منحه أموالا طائلة في حملته الانتخابية.

وفي هذا الإطار كشف شلقم في حديثه مع العربية يوم 15 أكتوبر عن علاقة القذافي ببقيّة الحكام العرب، قائلا إنه كان يغار من الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر بسبب الكاريزما التي يتمتّع بها، وأنه كان يعتقد بأنه الأحق بحكم مصر من السادات، بينما كان يستلطف الرئيس المخلوع حسني مبارك بسبب أسلوبه الشعبي، في حين كان يُعامل الرئيس التونسي الهارب زين العابدين بن علي بأبوية وفوقية، ويكره الرئيس السوري بشار الأسد "لأنه أطول منه".

ويكشف شلقم واحدا من أسباب ارتداء العقيد للملابس الإفريقية التي تغطي قدميه فيقول أن ذلك لإخفاء كعب حذائه العالي الذي يستعمله ليبدو أطول من حقيقته.

من جهة أخرى، يقول باتريك حايمزاده [148]: القذافي ليس مجنونا كما تصوره وسائل الإعلام الغربية حسب الكاتب، وهو يتمتع بذكاء سياسي حاد وبمعرفة دقيقة لبني شعبه الاجتماعية والذهنية على حد قوله فضلا عن تميزه بروح براغماتية وظفها أكثر من مرة لتجاوز عدة تحديات داخلية وخارجية. وطبق القذافي القناعة التي تثبت حسن قراءته للمجتمع الليبي عام 1973 في خطاب "الزويرة" الذي دعا فيه إلى "أيديولوجية حكم الجماهير" المعادية في نظره إلى للسلطة المركزية القوية.

ويوضح هذا بقوله : لو صح "جنون" القذافي فهو، كما في قول مصطفى سعيد بطل رواية الطيب صالح "موسم الهجرة للشمال"، منتج من منتجات صناعة العنف الأوروبي الإمبريالي الذي لفح الغرب من أكثر من ألف سنة مذ سادوا العالم. فهو قطرة من السم الزعاف الذي حقن به الغرب شرايين التاريخ، القذافي ممثل ماهر أيضا وكثيرا ما موّه وناور بشكل لافت، وحدث أن وبخ بعض وزرائه في مدينة سبها واتخذ قرار معاقبتهم أمام مواطنة عادية اشتكت من انتشار الرشوة، والقذافي الذي لعب دور القائد الشفاف والغيور على شعبه أمام المرأة الساذجة هو نفسه الذي جدد ثقته بالوزراء الذين هددهم بالعقاب في مشهد تراجيكوميدي وسريالي في الوقت نفسه.انتهى.

ووصفت العقيد برقية صادرة من سفير الولايات المتحدة في طرابلس "جين كريتز" قالت بأنه "شخصية زنبقية وغريب الأطوار، يعاني من عدة أنواع من الرهاب (Psychose)، يحب رقص "الفلامنكو" الأسباني وسباق الخيل، يعمل ما بدا له ويزعج الأصدقاء والأعداء على حد سواء". وتضيف البرقية أن : القذافي يصاب

---

[147] - تراجع كلمات العقيد في ذكرى معركة القرضابية ضد الإيطاليين وأوردته وكالة الأنباء الفرنسية يوم 29 أبريل (مقدمة الفصل) ويلاحظ عدد مرات "أنا" والحكم على من ينكر زعامته ومزاعمه.

[148] - Au cœur de la Libye de Kadafi –Patrick HAIMZADAH

عرض بو علام رمضاني في الجزيرة، والمؤلف معرب وضابط السابق في سلاح الطيران ودبلوماسي عمل لعدة سنوات في كل من مصر والعراق واليمن وسلطنة عمان كممثل لفرنسا وللأمم المتحدة، وكمتعاون ومحلل ومفاوض في سياقات تأزمية عديدة كما جاء في الغلاف الخلفي للكتاب، ويبدو لي من اسم المؤلف أنه من أصل إيراني.

بنوبة من الخوف اللا إرادي من المرتفعات، لذلك فهو يخشى الطوابق العليا من البنايات (وربما كانت هذه خلفية التمسك بالخيمة، وإن كان من بين ما تأكد فيما بعد أن العقيد كان يستعمل الخيمة للمظاهر، ولم يكن ينام فيها) كما أنه يفضل عدم الطيران فوق الماء، وهكذا أصبح "باب العزيزية" عاصمة ليبيا الحقيقية التي لا يجد العقيد راحته إلا فيها، بعد أن جُهزت بكل ما يجعل منها أكثر مناعة من مقر قيادة أدولف هتلر[149].(وثبت فيما بعد أن ذلك كله لم يجد نفعا عندما تواصلت الانتفاضة واشتد عودها ودعمها الناتو)

ويرفض عبد الباري عطوان وصف العقيد بالجنون، وهو يقول في مقال افتتاحي بأن: الرجل ليس مجنوناً، أقولها ليس دفاعاً عنه، وإنما عن سبعة ملايين مواطن ليبي حكمهم لأكثر من أربعين عاماً، ولعشرات بل ربما مئات الملايين من العرب أحبوه في فترة ما، ورأوا فيه زعيماً ثورياً ناصر ثورات العالم العربي، بل وفي أكثر من بقعة من المعمورة، ولذلك فان القول بأنه مجنون هو إهانة للشعب الليبي مثلما هو اهانة لهؤلاء العرب المخدوعين (وللتذكير فإن صفة الجنون كان يستعملها عند الضرورة الرئيس المصري أنور السادات فيشير للعقيد بأنه : "الواد المجنون بتاع ليبيا"[150]).

والشيء المؤكد، يقول عطوان، أنه رجل في قمة الخطورة، ولا يتورع عن فعل أي شيء من أجل البقاء، وعلينا أن نتذكر انه قاوم حصاراً غربياً لعدة سنوات، ونجا من أكثر من محاولة اغتيال، وأقدم على حل الجيش الليبي بعد أول محاولة انقلابية أرادت الإطاحة به قادها عمر المحيشي زميله في مجلس قيادة الثورة، الذي أعدمه لاحقاً بعد تسليمه من قبل ملك المغرب الراحل الحسن الثاني في صفقة يندى لها الجبين، والمشكلة تكمن في (..) جلوس العقيد على ثروة هائلة تقدر بعشرات المليارات من الدولارات ومن العملات المختلفة يوظفها حاليا لشراء الذمم، وتجنيد اكبر عدد ممكن من المرتزقة، مضافا إلى ذلك وحدات من الميليشيات المسلحة بشكل جيد تنضوي تحت لواء ما يسمى بالجيش الشعبي[151].

ويشرح عبد الرحمن شلقم حجم سلطات العقيد فيقول: الحاكم الأعلى والمطلق والمرجع في الكبيرة والصغيرة هو معمر القذافي، فليبيا لم تشهد في تاريخها أحزاباً سياسية حرة إلا فترة قليلة (شهور) خلال الحكم البريطاني، ولم تشهد نقابات ولا مجتمعاً مدنياً ولا تنظيمات، صحيح في العهد الملكي كان هناك مجلس للنواب ومجلس شيوخ وهامش حرية للصحافة وكانت أفضل دولة عربية في القانون والشفافية من دون نقاش، في العهد الملكي عندما ينفذ القلم عليك إعادته.

رئيس الوزراء عندما عاد إلى منزله الأساسي (بعد انتهاء مهمته الوزارية) فُقدت مكواة على الفحم من مقر إقامة رئيس الوزراء (الرسمية) فقامت عليه القيامة، ثم جاء القذافي وأزاح كل شيء وبقي هو، وتكونت تنظيمات وأجهزة عنكبوتية غريبة بحكم المصالح تداخلت فيها المصاهرة بالمال بالأمن، وتفاعلت المصلحة وأمن الدولة والمصاهرة مع بعض الكيمياء القبلية وكيمياء مصلحية وكيمياء سلطوية وأصبح للنساء دور وللعائلات دور، لكن في تكوين مغلق، وبقي 99 في المائة من المجتمع على الهامش.

---

149 - يقول اللواء عمر الحريري، وهو من قدامى الضباط الأحرار، أن في العزيزية سراديب تصل إلى 30 كيلومترا، وأن أسوار العزيزية يصل سمكها إلى 100 سم. وكشفت صحيفة صنداي ستار الصادرة الأحد 12 يونيو أن العقيد يختبئ في متاهة ضخمة من أنفاق المياه في الصحراء يصل عمقها إلى نحو 182 متراً تحت الأرض، لتجنب غارات مقاتلات منظمة حلف شمال الأطلسي (ناتو)، بعد تعرضه إلى وابل من الضربات الجوية. وأضافت أن الأنفاق التي يبلغ عرضها نحو 4 أمتار مصنوعة من مقاطع من الأنابيب الخرسانية زنتها 75 طناً ويصل عمق بعضها إلى نحو 182 متراً تحت الأرض، هي جزء من مشروع النهر الصناعي العظيم الذي بناه القذافي في الثمانينات بكلفة 20 مليار جنيه إسترليني، ويُعد أكبر وأغلى مشروع من نوعه في التاريخ وصُمم لاستخراج المياه من عمق 762 متراً تحت الصحراء ونقلها إلى المدن والبلدات الليبية. وأشارت الصحيفة إلى أن الأنفاق تربط بين الصحراء وبين مقر القذافي في العاصمة طرابلس ومدينة بنغازي ومدينة سرت مسقط رأسه، واستخدمها النظام الليبي كمعسكرات لقواته أو لتخزين المركبات والمعدات العسكرية أو حتى الغاز السام.
وهذا كله يؤكد الحقيقة التي تقول بأن القذافي كان مشغولا طوال العقود الماضية في الاستعداد لأي حركة مناهضة له، وهكذا راح يكدس الثروات لتكون تحت تصرفه وحده، أموالا وقطعا ذهبية وعقارات موزعة على أكثر من مستودع، واستطاع تكديس السلاح بشكل جنوني وفي نفس الوقت راح يعد الأقبية والملاجئ المحصنة.
وقال لي عبد القادر حجار أن العقيد استقبله في قاعة بباب العزيزية تقع في الدور الرابع تحت الأرض.

150 - العقيد أدخل فعلا لمصحة للأمراض النفسية خلال وجوده طالبا في القاهرة - الأهرام 6 أبريل.

151 - القدس العربي يوم السبت 5 فبراير 2011، ويقول عبد الرحمن شلقم في هذا الصدد (الحياة 19 يوليو) أنه لا يوجد جيش في ليبيا، فقد تم حلّه واستبدل بالشعب المسلح الذي هو عبارة عن كتائب أمنية يقودها إما أولاد القذافي أو أصهاره أو أبناء عمه، أما وزير الدفاع أبو بكر يونس فهو مسكين وآخر من يعلم.

ليبيا لديها أكثر من 160 مليار دولار في الخارج، والبطالة 32 في المائة، وهذا غير معقول، وفي ليبيا أعلى متوسط دخل فرد في إفريقيا وهي من الدول العشرين الأكثر فقراً في العالم.

كان الأمن ثم الأمن وكان كرسي القذافي فوق كل اعتبار، حتى سيف الإسلام حاول أن يصلح أو على الأقل قال ذلك (؟؟؟) لكن كلما كان يقترب من الأشياء الأساسية كان معمر القذافي يشعر أن سيف يتحسس كرسيه فيركله بقدمه فلا يجد أمامه إلا أن يهرب، وهكذا فإن سيف لم يعش في ليبيا أسبوعين متصلين إطلاقا، كان يهرب، وكان يطمح أن يحكم وأبوه موجود فيبقى أبوه الرمز. انتهى

ويتحدث عبد السلام جلود عن سيف الإسلام مع "الجزيرة" فيقول أنه شاب تافه، اشترى شهادته الدراسية من بريطانيا، وكان لعبة في يد أبيه، وليس صحيحا أنه كان يمثل تيارا فكريا وسياسيا متميزا عن العقيد، ويروي أنه جاء يوما إلى أبيه لعرض قضية ما، ووقف وقفة انتباه عسكرية مخاطبا أباه بتعبير : سيدي القائد، وعندما قال له عبد السلام فيما بعد أن هذا ليس تعامل ابن مع أبيه قال له سيف الإسلام : أنا أفعل هذا لأضمن رضاه.

ويقول شلغم عن القضايا المالية قائلا: من كان يتصرف بالمال، في الفترة الأخيرة على الأقل هو البغدادي المحمودي رئيس الوزراء وعبر شبكة معقدة وطريقة غريبة في الصرف، فلا يعرف أحد أين هذا المبلغ وأين ذاك، هناك مبالغ أعتقد أنها لم تُكتشف بعد في الداخل أو في الخارج، لأن ليبيا دولة طلاسم، فيها عالم النساء وعالم الليل وعالم المصالح، وكما الشبكات التي قامت في روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، هناك في ليبيا شبكات مافيا فوق الأرض وتحت الأرض وفي الداخل وفي الخارج لا يعلمها إلا الله. انتهى.

وحديث عن المال دائما، قال الرئيس السابق للبنك المركزي الليبي فرحات عمر بن قدارة (ق.ع.عن د ب ان 28 أغسطس) إن الديكتاتور الليبي معمر القذافي يمتلك احتياطيات ذهب بالمليارات وإنه من الممكن أن يسعى لاستخدام هذه المليارات لإشاعة الفوضى.

وحسب بن قدارة في تصريحات لصحيفة "كوريرا دي لا سيرا" الخميس فإنه من الممكن أن يكون القذافي قد حمل معه (عند فراره) جزءا من هذا الاحتياطي الضخم الذي يقدره بنحو عشرة مليارات دولار، وذلك لاستخدامه في تقديم رشوة لبعض القبائل الليبية ولإقناعهم بحمايته.

و يستشهد الكسندر نجار في كتابه "تشريح طاغية" بجملة لميشيل تورنييه يقول فيها[152]: "إن سلطة الطاغية المطلقة تنتهي دائماً بجعله مصاباً بالجنون"، ويستهلّ مقدّمته بأنّ العقيد معمّر القذّافي يتصدّر قائمة الديكتاتوريين الدمويين منذ أكثر من أربعين سنةً، وفيها يستعين بتعريف معنى الطاغية المُقتبس عن روجيه بول دروا: "هو شخص لا يعرف الحدود، نزواته تُصبح هي الشرائع، وأهوائه تصير مشاريع وطنية ورذائله الشخصية هي دوماً من أجل تعزيز المصلحة العامة، هو من لا يميّز بين رغباته وحقوقه وموازنة الدولة وبين حساباته المصرفية"

وهذا التعريف يتلاءم في حيثياته وأسلوب معمّر القذافي في إدارة شؤون بلاده ورعيته.

ويقول عبد السلام جلود بعد تحرير طرابلس أن العقيد "مريض بالسلطة، ولا يتخيل نفسه بدونها".

ويؤكد نجار أن "القذافي ليس ظاهرة جديدة على العالم، فصورته بملامحها العامة، تشبه إلى حدّ ما صورة معظم الديكتاتوريين السابقين الذين تأثّر بهم كهتلر وموسيليني وأمين دادا[153]، فهو الزعيم التوتاليتاري الاستبدادي الذي يتلاعب بالدستور ويصنع قوانين على مقاسه، كما يُعاني جنون العظمة ولا يسمح لأي حزب معارض أو رأي مُخالف بالظهور داخل البلد الذي يحكمه بقبضة من حديد".

لكن جهاد الخازن (الحياة 17 أبريل 2011) يعبر عن مزاعم "جنون" العقيد بالتعبير الطريف التالي: كان معمر يملك ثمن تذكرة سفر لمغادرة ليبيا، ومع ذلك اختار البقاء تحت حكم نظام القذافي.

---

[152] - Michel Tournier

ميشيل تورنييه من أشهر الروائيين الفرنسيين الأحياء، تربى في حضن الثقافة الألمانية والموسيقى والكاثوليكية، تابع دراساته الفلسفية في السوربون و" توبنغن" (ألمانيا)، لكنه رسب في امتحان التبريز. زاول الصحافة في صحيفتي "لوموند" و "الفيغارو" من 1956 إلى 1968، واشتغل مترجما عن الألمانية لدى دار النشر "بلون". نشر أولى رواياته عام 1967 "الجمعة أو تخوم الباسفيك" التي فازت بجائزة الأكاديمية الفرنسية عن الرواية.

[153] - المساواة بين هتلر وعيدي أمين داده لا يبررها إلا أن كليهما كانا ضد اليهود، لكن هتلر جعل من ألمانيا المحطمة الممزقة دولة عظمى، وجعل من "المارك" الألماني، وحتى بعد سقوط الرايخ الثالث، عملة دولية رئيسية، وإن كان جنون العظمة والانفراد بالقرار قاده وشعبه إلى التهلكة.

ويقول الوزير السعودي والشاعر غازي القصيبي في كتابه "الوزير المرافق" بأن القذافي "حاد الذكاء لا يبدو عليه أدنى دليل على الاختلال العقلي أو الاضطراب النفسي (..) وهناك مفتاح أساسي للدخول إلى شخصيته : الطموح الأعمى غير المحدود (..) ببساطة، يريد أن يكون زعيم العالم الثالث كله، لا زعيمه السياسي فحسب وإنما معلمه الروحي والفكري، وهذا سبب حرصه على التدخل في أوغندا وفي تشاد وفي ايرلندا وفي شؤون الهنود الحمر (والطوارق عندنا) وكل اجتهادات العقيد الإسلامية من مواليد الطموح".

ويقول نجار بأن : الكثير من الزعماء الذين راقبوا القذّافي وجدوا فيه شخصية استثنائية في جنونها، فهو"إنسان مضطرب" بعين فرنسوا ميتران، و"شخص لا يُطاق" بالنسبة إلى جورج بوش، و"كلب مسعور" وفق رونالد ريغان، و"مجنون" بعين السادات، و"خطر على نفسه وعلى منطقة المغرب العربي" من وجهة نظر الحسن الثاني، أمّا جعفر نميري فاعتبره "إنساناً مزدوج الشخصية"، وهذا ما تُكرسه أفعاله الفصامية التي لا تتقاطع وكلامه البتة، فهو من قال في كتابه الأخضر الشهير إنّ السلطة الحاكمة عندما تصبح ديكتاتورية، فإنّ المجتمع لا يمكنه تصحيح هذا الانحراف إلاّ بالعنف... ما يعني أنّ الثورة هي مقابل جهاز السلطة، إنما الواقع ناقض النظرية هنا، ومن الواضح أنّ العقيد لا يُصدّق ما يكتب ولا يؤمن بما يقول[154].انتهى.

وساهم في إعطاء العقيد كل فرص النجاح توفرُ إمكانيات مالية هائلة لا حسيب عليها ولا رقيب، استقطبت حوله عددا كبيرا من المرتزقة، سياسيين ومثقفين ورجال أمن، ليبيين وغير ليبيين، يسبحون بحمده ويعزلونه عمّا حوله، ويجعلونه يعيش أكثر فأكثر داخل كرة زجاجية لا يسمع ولا يدرك ما يجري غيرها إلا بالقدر الذي يسمحون له به، ويكرر بذلك صورة الملك الذي أقنعته بطانته بأنها صنعت له ثوبا لا يراه أحد، إلى أن كشفت الأمر براءة طفل لا يعرف النفاق.

ويقول شلقم عن قضية المال : ماذا يفعل بالفلوس؟ هو من جماعة "لنا الصدر دون العالمين أو القبر، أي إما في الحكم وإما في القبر، وحين يكون في الحكم يعتبر كل المال له أو بتصرفه، لا اعتقد انه يلمس الفلوس بيده، فهو بالهاتف يصدر الأوامر بالدفع لفلان، أو بشراء بيت لفلان، أو بعلاج فلان، أو ادفع مليوناً لفلان، فالفلوس كلها له، ليبيا وما بها ومن بها له[155].

أما نجار فيقول في كتابه : "ككلّ الديكتاتوريين في العالم العربي يُشارك القذّافي فساده المقربون منه وكلّ أفراد عائلته، فهم يستولون على خيرات البلد الغني – الفقير"، وللقذافي، الذي يُسمّيه نجار في كتابه ساخراً بـ "المرشد" (Le Guide، وأصل التسمية هي "القائد" والترجمة العربية لصحيفة الحياة) تسعة أبناء، وابنته عائشة التي تصفها الصحافة الأوروبية بـ"كلوديا شيفر الصحراء" هي المقربة من والدها، ويُقال إنه كان يهيئ ابنه سيف الإسلام للحكم من بعده، أمّا تصرفات ابنه "هنيبعل" القذرة في جنيف فكانت السبب وراء وقوع أزمة ديبلوماسية بين ليبيا وسويسرا، سحب نتيجتها معمّر القذّافي (وفق صحيفة الغارديان) سبعة مليارات دولار من

---

[154] - الاحظ أنني أضع أمام القارئ كل ما وصل إليّ من تصريحات ومعلومات مصدر موثوق به، وإن كنت أقول دائما أن البشر هم البشر في كل مكان، وعندما تسقط البقرة تكثر السكاكين.

[155] - نشرت صحيفة الشروق يوم 28 أغسطس تحقيقا لسفيان بو عياد كان مما جاء فيه أن اتصالات أجراها بشير صالح، مدير ديوان القذافي ومستودع أسراره، مع أحد كبار بارونات المخدرات الجزائريين، المطلوبين لدى العدالة، مكن التحالف الغربي الذي يقود الحرب في ليبيا، من وضع يده على خطة أعدها القذافي ومدير ديوانه لتهريب عدة أطنان من سبائك الذهب وسيولة مالية كبيرة بالعملة الصعبة، إلى مالي وعدة دول أخرى في أفريقيا الغربية، تمهيدا لإعادة ضخها في السوق السوداء وتجارة الممنوعات في عدة دول في أفريقيا وأمريكا الجنوبية، وتوطين جزء آخر منها في حسابات مصرفية سرية، وقالت ذات المصادر إن بشير صالح، 66 سنة، الذي يرأس ديوان القذافي منذ 13 سنة ويشرف على كل الاستثمارات الليبية في الخارج، طلب في الأيام الأخيرة من نظام القذافي خدمات بارون المخدرات، الشريف ولد الطاهر، الذي يحمل الجنسية المزدوجة الجزائرية المالية، ويقيم في باماكو هاربا من قرار من العدالة الجزائرية بالقبض عليه، ولأنه كان مضطرا فإن الطريقة المرتبكة التي استعملها بشير صالح لتبليغ طلبه وترتيب خطته مع ولد الطاهر، لم تكن آمنة بالقدر الكافي، ويعتقد أنها فضلا عن انكشافها، فقد تكون قد أدت إلى تحديد موقع بشير صالح والقبض عليه في مزرعة بطرابلس وهو متنكر في زي سوداني، ساعات قليلة بعد انهيار نظام القذافي، حسب ما ذكرت بعض المصادر الليبية، في وقت لاحق، وعن سؤال عما إذا كانت الخدمات التي طلبها بشير صالح مبادرة شخصية تخصه أم خطة مبرمجة من النظام، قال مصدرنا، إنها تشكل المرحلة الثانية من خطة أعدها أركان النظام لنقل معقلهم إلى الجنوب، وقيادة حرب استنزاف من هناك، في حالة سقوط طرابلس، معتمدا على دعم ميليشيات من المرتزقة ومن أنصاره في بعض قبائل الجنوب الليبي في سبها، ويضيف: "هذه الخطة بدأت منذ نحو شهرين بنقل ترسانة ضخمة من الأسلحة الثقيلة إلى الصحراء ثم جاء الدور على نقل الأموال وإعادة استثمارها، لأجل أن توفر موردا ماليا دائما يغطي نفقات حرب الاستنزاف تلك" ويعتقد محدثنا أن الوجهة الجنوبية "قد لا تكون تلك الطريق الوحيدة لتهريب الأموال لكنها أكيد هي الأهم".

مصارفها، واعتبر أن قضية توقيف ابنه وسجنه هي إهانة للجماهيرية كلها وليس لآل القذافي فقط، هذا لأنه لا يفصل أبداً بين ذاته كحاكم وبين البلد الذي يحكمه".انتهى.

ويتناول "حايمزاده" القضايا المالية لنظام العقيد فيقول في كتابه، الذي استعرضه بو علام رمضاني : في الفصلين الأخيرين، السادس والسابع، بين الكاتب كيف تتوزع سلطة وثروة المافيا العائلية في كل مدن الجهة الغربية مثل طرابلس، مدينة كل الطموحات، أو "دبي" ليبيا، التي تنتشر فيها سيارات البورش والبي إم دبليو الفارهة (BMW) وتسكت فيها الشرطة على مخالفات أبناء العائلات القذافية الحاكمة، فضلا عن مدينة الزوارة الواقعة غرب طرابلس والمعروفة بنشاطاتها التجارية الكبيرة وسبها التي تعد بؤرة الحكم القذافي بامتياز، وهذه المدينة تكتسي أهمية حيوية ومصيرية في نظام القذافي سياسيا وأمنيا بسبب موقعها الحدودي جنوبا وقاعدتها العسكرية المتواجدة في قلب صحراء قاحلة تعيش فيها قبائل تحتكر تجارة الحدود مقابل ضمانها للأمن والولاء، وتعد سبها مدينة هامة سياسيا لاستمرار نظام القذافي نتيجة العائدات المالية الضخمة المتأتية من التجارة العابرة للحدود التي يحتكرها "قذاذفة" و"مقارحة[156]" سبها الذين يعيشون في قصور فخمة بحيي المنشية والمهدية ناهيك عن قربها لطرابلس التي تبعد عنها بحوالي سبعمائة كيلومتر فقط واعتبارها المدينة الرابعة بعد طرابلس وبنغازي ومصراتة، وتعتبر "سبها" عاصمة "فزان" هامة جدا أيضا بحكم موقعها الذي يجعل منها مركزا محوريا تجاريا لكل المنطقة الجنوبية، ناهيك عن المكانة التي يحتلها الطوارق بحكم سيطرتهم على ريع السياحة الصحراوية في المنطقة.انتهى

وهكذا يسجل العقيد مركزا وحيدا لدوائر متعددة، ولعل أقرب الدوائر له عدد من مسلمي البوسنة، رأيتهم، خلال زيارة قمت بها إلى ليبيا مرافقا للرئيس الشاذلي، يطوفون حوله يحملون أكوابا وأباريق، ويقومون على خدمته في تلبية الاحتياجات اليومية عند الضرورة، ويتميزون بالوسامة والوداعة المطلقة، وهناك ست ممرضات أوكرانيات على رأسهم أوكسانا بالينسكايا (Oksana Balinskaya) ذات الأربعة والعشرين ربيعا، والتي تقول أن العقيد يحب "الكسكسي" بلحم الخروف أو الجمل[157].

ويدعي الحارس الخاص للقذافي العقيد عبد السلام خلف في حوار مع صحيفة الشروق الجزائرية[158] أن الزعيم الليبي كان يحيط نفسه بمجموعة من المشبوهات (فضلت استعمال هذه الكلمة بدلا من الكلمة التي استعملها الحارس ونقلتها الصحيفة، احتراما للقارئ) من الليبيات ومن مختلف الجنسيات، وكان يستخدمهن أكثر في العمل بالكليات العسكرية، إذ كان يستغل هذه الكليات لتفريخ أكبر قدر من (..) وكان يقدم لهن أموالا طائلة، وأما المطربات فحدث ولا حرج، كنّ يأتينه من المشرق والمغرب، وكذا الإعلاميات من مختلف المحطات الإعلامية الكبيرة، ولا أريد فضح الكثيرات بذكر أسمائهن، ويقول خلف عن الممرضة الحسناء أنه

---

[156] - القذاذفة قبيلة القذافي والمقارحة قبيلة عبد الباسط المقراحي، وهي نفسها قبيلة عبد السلام جلود.

[157] - صحيفة "كوزموليسكايا برافدا 5 أبريل 2011- وقيل فيما بعد أن الممرضة كانت عشيقة العقيد المفضلة.

وتقول الممرضة في حديث صحفي أن "بابيك" (الأب كما قالت أنهن كن ينادينه) كان سخياً جداً مع ممرضاته اللواتي عشن حياة مرفهة، وقدم لهنّ أشياء أكثر مما كنّ يحلمن بالحصول عليها "شقة مفروشة من غرفتي نوم، وسائق يظهر كلما طلبته. ولكن كانت شقتي فيها أجهزة تنصّت وحياتي الشخصية مراقبة عن كثب. وأشارت إلى أنه كان يعطي ممرضاته المال للتسوّق أثناء السفر ويهديهن كل عام ساعة ذهبية عليه صورته. وأوضحت أن وظيفة الممرضات كانت التأكد من أن العقيد بصحة جيدة، وأكدت أن " لديه ضربات قلب وضغط دم لرجل أصغر سناً بكثير . وكنا نصر على أن يلبس قفازات في زياراته إلى تشاد ومالي لحمايته من الأمراض المدارية. ونحرص على أن يمشي يومياً حول مقر إقامته، ويأخذ اللقاحات الضرورية، وكنّا نفحص ضغط دمه في أوقات محددة."وقالت أن القذافي كانت لديه عادات غريبة، إذ كان يحب الاستماع إلى الموسيقى العربية على راديو كاسيت قديم، وانه يبدل ثيابه عدة مرات في اليوم وفي تجواله في الدول الإفريقية الفقيرة كان يرمي المال والحلوى من نافذة الليموزين المصفحة للأطفال الذين يتعقبون موكبه، وكان يخاف أن يقتربوا منه مخافة أن يلتقط اية أمراض منهم ، وأكدت بالينسكايا أن القذافي لم يسبق أن نام في خيمة، وانه استخدم الخيمة فقط للاجتماعات الرسمية، وقالت انه كان لديها انطباع بأن ما لا يقل عن نصف سكان ليبيا لا يحبون القذافي وان الموظفين الطبيين الليبيين كانوا يغارون من الممرضات لأنهن يتقاضين ثلاث مرات أكثر منهن (أكثر من 3000 دولار شهريا) .

وعادت ممرضة أوكرانية أخرى للقذافي هي، غالينا كولوتنيتسكا، إلى أوكرانيا في أواخر فبراير الماضي ورفضت الحديث لوسائل الإعلام، إلاّ أن برقية للسفارة الأميركية في طرابلس نشرها موقع "ويكيليكس" كشفت إن القذافي مهووس تقريباً بالاعتماد عليها. ووصفت البرقية كولوتنيتسكا، 38 عاماً، بـ"الشقراء المثيرة "وتناولت شائعات عن وجود علاقة غرامية تربطها بالعقيد (عن القدس العربي 13 أبريل والشروق اليومي 27 أغسطس2011) وهو ما لا يعيبه على كل حال كرجل، ولكنه يتناقض مع الصورة التي يعطيها عن نفسه. وقالت واف (القدس العربي6 مايو) أن غالينا طلبت اللجوء السياسي في النرويج، ثم قيل أنها ذهبت إلى مركز متخصص في الولايات المتحدة.

[158] - الشروق اليومي - حوار دلولة حدادين - 27 أغسطس .2011

كانت للعقيد علاقة جسدية معها، وتلازمه أينما حل، أما زوجته صفية فهي أشبه ما يكون بالجارية، تعيش وكفى، فهي تعلم بكل هذه الأمور وتفاصيل مجونه وعلاقاته، لكنها لا تستطيع فعل شيء، وليس لها أي دخل بحياته الشخصية. انتهى

وطبقا لموقع كل العرب (13 نوفمبر 2011) يقول "فيصل" وهو الطباخ الخاص بالعقيد الليبي المقتول معمر القذافي في حوار مع مراسلة صحيفة بريطانية، إن العقيد كانت له ميول جنسية مثلية وإنه حاول استمالته إلى ذلك (ولعلي أذكر هنا بأمرين متناقضين، أولهما الغلمان البوسنيون الذين سبق أن أشرت إلى وجودهم في الحلقة الضيقة بجوار العقيد، ومجموعة الأمازونيات حوله) بالإضافة إلى هوس القذافي بالجنس، حيث كان يبتلع الكثير من حبوب "الفياغرا" من أجل أن يرضي هوسه بالجنس، وفيصل الذي كان يعرف الكثير من أسرار العقيد الخاصة، ومنها أنه مارس الجنس مع حارساته وهو ما كشفه أكثر من مصدر.

وقال طاهي القذافي إنه كان طالبا في كلية الحقوق التي زارها القذافي لإلقاء محاضرة عن الكتاب الأخضر، وحين رأى فيصل طلبه ليكون الطاهي الخاص في منزله، ويقول أن القذافي كان ذا ميول جنسية مثلية، وقد اكتشف ذلك حين حاول استمالته لممارسة الجنس في عديد المرات، ويقول أيضا إنه كان في نهاية المحاضرات التي كان يلقيها العقيد الليبي في الجامعات كان يختار من يعجبنه من الفتيات ويضاجعهن في غرفة ملحقة بالقاعة الجامعية التي كانت لا تحوي سوى سرير كبير.

وبعد دخول الثوار طرابلس اعتقل فيصل ضمن من اعتقلوا من حاشية القذافي، لكنه على الأغلب لن يحكم بالسجن، باعتبار أنه لم يتورط في أعمال عسكرية ضد الليبيين العزّل ولا المسلحين. انتهى.

ولعلي أتوقف هنا لحظات لأقول أنني، وأنا أتابع كل ما نشر عن العقيد، كنت أحس أحيانا بحرج كبير في رواية بعض ما أقرؤه، وقد تفاديت ذكر الكثير، لكنني كنت أريد أيضا أن أكون أمينا مع القارئ فلا أمارس عليه رقابة تعسفية مطلقة تستهين بذكائه، واعتمدت على المقولة الشائعة : ناقل الكفر ليس بكافر.

ولقد كان هناك من وجهوا إلي عتابا كاد يكون لوما على بعض ما كشفته من فضائح القذافي قائلين: لماذا لم تقل هذا منذ سنوات، وكان ردّي : لو وجدت من بينكم من يضمن لي النشر في أي منبر كان لما ترددت، ولقد رفضت صحيفة وطنية نشر مقال كنت كتبته معربا عن أسفي لإنهاء مهام منظمة الوحدة الإفريقية، لمجرد أن المقال قد يعتبر هجوما على من كان وراء الاتحاد الإفريقي، وهو العقيد القذافي.

والمهم أنه، إثر سقوط العقيد، بدأت تتسرب معلومات مثيرة عن تصرفاته، وهكذا قالت خمس نساء كن ضمن وحدة منتقاة من الحرس النسائي للعقيد الليبي معمر القذافي، أنهن تعرضن للاغتصاب والاعتداء عليهن من قبل الديكتاتور المطارد حاليا، وأوردت القدس العربي يوم 28 أغسطس والشروق اليومي يوم 29 أغسطس أن صحيفة (صنداي تايمز أوف مالطا Sunday times of Malta) ذكرت يوم الأحد أن النساء اعترفن للطبيبة النفسية الليبية "سهام سيرجيوا" في بنغازي بأنهن تعرضن للاعتداء الجنسي من قبل القذافي وأبنائه قبل أن ينبذن بعدما "سئم" هؤلاء الرجال منهن، وتشكل الاتهامات جزءا من ملف تقوم بإعداده سيرجيوا لتقديمه للمحكمة الجنائية الدولية في المحاكمة المحتملة التي قد يواجهها القذافي وأفراد دائرته المقربة في ليبيا حال القبض عليهم أحياء[159].

وروت إحدى النساء لسيرجيوا كيف تعرضت للابتزاز حتى تلتحق بوحدة الحراسة الخاصة، التي كان يعتقد ذات يوم أنها تضم نحو 400 امرأة، وذلك بعدما لفق النظام ما يفيد بأن شقيقها كان يحمل مخدرات بينما كان عائدا إلى ليبيا بعد قضاء عطلة في جزيرة مالطا.

وقالت سيرجيوا للصحيفة في بنغازي: "قالوا لها إما أن تلتحقي بوحدة الحراسة الخاصة أو يقضي شقيقك باقي حياته في السجن، وأضافت، في معرض سرد قصة الابتزاز التي تعرضت لها الحارسة السابقة، فروت قولها بأنها فصلت من الجامعة وطلب منها السعي لوساطة القذافي حتى تعود إليها، وأخبرت أنه ينبغي أن تخضع لفحص طبي شمل اختبارا يتعلق بفيروس (إتش.آي في، أي المسبب لمرض نقص المناعة المكتسبة) أجرته لها ممرضة من أوروبا الشرقية، وأوضحت أنه في النهاية أخذت لتلتقي القذافي في مقره في باب العزيزية في طرابلس، ثم نقلت إلى مقر إقامته الخاص فوجدته بـ"البيجامة"، وقالت سيرجيوا "لم تفهم الفتاة ما

---

[159] - أكدت ذلك صحيفة الفيغارو الباريسية (LE FIGARO) في عددها يوم 31 أغسطس.

يجري لأنها كانت تعتبر العقيد بمثابة أب وزعيم للدولة، وعندما رفضت محاولاته قام باغتصابها (..) وروت النساء ما حدث لهن بعدما بدأت سيرجيوا التحقيق في إدعاءات تتعلق بحالات اغتصاب ممنهجة زعم أنها ارتكبت من قبل قوات موالية للقذافي خلال الاضطرابات التي تشهدها البلاد.انتهى

ولقد تابع العالم كله صور العقيد محاطا بحارساته إحاطة السوار بالمعصم كما يقال، وأتذكر أننا كنا في البداية نحس بالإزعاج الذي يسببه وجود الملتصقات بالعقيد خلال زيارته للجزائر مما يعرقل عمل رجال الأمن الرئاسي عندنا، وقال لي أحدهم بأنه وجد الحل لإبعاد الحارسات عن طريقه باستعمال أحد أصابعه (؟؟) بأسلوب يبدو عفويا، ولم أعرف ما إذا كان هذا صحيحا أو مجرد نكتة.

والفتيات اللواتي كن دائما حول العقيد، وبشكل دائم في كل "الخرجات" القذافية، هن من يُطلق عليهن في الصحافة الإيطالية "الأمازونيات"، وهي نسبة إغريقية قال عنها أنيس منصور أنها كانت لعذارى من الإغريقيات، يهبن أنفسهن للوطن كمحاربات مدافعات عنه، وينزعن أثداءهن لكيلا تعوق بينهن وبين حسن استعمال السلاح، وهي نقطة تختلف عن بعض أمازونيات القذافي، حيث رأينا مكان الأثداء ضروعا.

وبطبيعة الحال، أثارت «الأمازونيات» كثيرا من الاهتمام والإشاعات، ويزعم البعض أن غالبية حارسات القذافي من كوبا، وفي الثمانينات، اعتاد القذافي الاعتماد على حراس شخصيين من ألمانيا الشرقية لحمايته، لكن في التسعينات ظهرت قوة الحراسة الشخصية النسائية المحيطة به، وأكثر الشائعات شيوعا هي أن القذافي يشترط أن يكنّ عذارى ويبقين كذلك، إلا أن الإشارات الخبيثة التي تحوم حول القضية يرفضها أنصار الزعيم الليبي، باعتبارها ظلما بينا له، مستشهدين بأنباء ذكرت أن العقيد يطلق على جميع حارساته اسم ابنته (عائشة) المقربة لقلبه، بحيث أصبحن جميعهن «عائشة 1» و«عائشة 2» وهكذا، مما يوحي بأنه يعتبرهن بناته، وهو الأمر الذي أيدته «عائشة القذافي» التي بررت استعانة والدها بحارسات برغبته في أن يرى المرأة الليبية بجانبه، ولتعزيز مكانتها.

وتضم المجموعة القذافية أربعين "عذراء" (أو هكذا قيل) يتمتعن بالجمال والشباب والرشاقة أحيانا (لغير البدينات منهن)، وهن من خريجات أكاديمية نسوية أنشأها العقيد في 1980، وكان يختار شخصيا طالباتها من العذارى، وقال البعض يومها أن السبب الرئيس هو إخضاع القبائل الليبية المعروفة بأنها محافظة ومتمسكة بالتقاليد، حيث كان يختار الفتيات من بين أبرزها، وهو تجديد لفكرة الرهائن القديمة، وهنّ يُحطن بالزعيم من كل جانب بحيث يبدو أمامهن كديك منتفش الريش أمام دجاجات يشكلن بالنسبة له طوق حماية أول، كأنه وسادة من ريش النعام، ويأتي حوله طوق آخرٌ يختلف عنه بخشونته ومكون من غلاظ شداد تعرفهم بسيماهم وبتصرفاتهم، وحول هؤلاء يأتي الموظفون من قوم تبع وهم لا يجرؤون على رفع بصرهم لأصغر حارس أو حارسة، وحول الجميع نجد تجمعات من شباب تم تسخينه إلى درجة الاحمرار، فأصبح أقرب إلى شباب القمصان السوداء في حزب "موسوليني"، وتكامل هؤلاء فيما بعد مع كتائب القذافي المسلحة والتي كانت شيئا أقرب إلى قوات العاصفة في عهد هتلر، وهي قوات متميزة التسليح معدة للدفاع عن الزعيم ويقودها أساسا أبناؤه، حلت محل الجيش النظامي ومحت تقاليده وأهمها وأولها الولاء للوطن، وليس لفرد أيا كان[160].

وكان ملحوظا الغياب الفاضح لكل أولئك الحسناوات بعد شهر فبراير، فلم نعد نراهن حول العقيد في كل خرجاته المتلفزة، وهو ما كان أمرا أعاد إلى ذاكرتي أقاويل كنت سمعتها عن أنهن تلقين إعدادا عسكريا متميزا، شمل من بين عناصره قيادة الطائرات النفاثة والعمودية بل والتخصص في إطلاق النار عن بعد (أي القنص، وهو ما أكدته إحداهن بعد تحرير طرابلس في حوار مع العربية يوم 1 سبتمبر، وجرى تأكيده خلال معارك سرت، كما جاء في القدس العربي يوم 19 أكتوبر، حيث قال القائد الميداني لكتيبة الزنتان :"قبضنا على العديد من القناصة خلال اليومين الماضيين كان بينهم قناصتان من النساء.)

---

[160] - قالت الأردنية دعد شرعب، التي عملت مستشارة اقتصادية للقذافي على مدى 22 عاماً، في حديث لصحيفة (الرأي) الأحد، أن القذافي يثق بشكل مطلق في 3 من الحارسات الشخصيات له، متوقعة أن يكون قد قام بتصفيتهن، خصوصاً وأنهن على علم بأدق تفاصيل حياته، قائلة" كان يتناول طعامه من أيديهن." (القدس العربي 4 سبتمبر 2011) وحول علاقتها بالقذافي أكدت شرعب أنها كانت تؤثر على قراراته لدرجة أنها كانت "تشكل حكومات وتقيل أخرى" في نظامه، مشيرة إلى أن مدير جهاز مخابرات القذافي السابق موسى كوسا أطلق عليها لقب "القنبلة الموقوتة"، نظراً لطبيعة المعلومات التي تحتفظ بها طيلة الـ22 سنة التي أمضتها في خدمة القذافي.

وهذا كله يمكن أن يشير إلى بعض من يقف وراء عملية القصف والقنص الرهيبة التي طالت الثوار، والتي كان من بين ما قيل عنها أنها من فعل مرتزقة من دول أوربا الشرقية، ومن روسيا البيضاء وأوكرانيا وصربيا على وجه التحديد، وسنفهم الآن سبب تضحية العقيد بكوسوفو.

وباختصار، قضي على الجيش كقوات مسلحة ومدربة تحمل عقيدة قتالية مدافعة عن الوطن، لمصلحة مجموعات أمنية مدربة ومجهزة بالوسائل العصرية، أهم معالم قوتها أدمغة مغسولة وضمائر مشتراة.

ويقول "باتريك حايمزاده" عن هذا: القذافي الذي قام بانقلاب عسكري عام 1969، هو نفسه الذي همش الجيش منذ استلامه الحكم خشية الوقوع ضحية ما قام به، وأسس ما أسماه بالشعب المسلح على الطريقة السويسرية (والقياس مع الفارق طبعا) ويتشكل الشعب المسلح من المناوبة الشعبية والجيوش التقنية المتمثلة في القوات البحرية والبرية والجوية، وحسب الكاتب، فإن جل الضباط الذين يتقاضون أجورا زهيدة يعملون في البزنس بكافة أشكاله، وفي غياب الجيش بمفهومه الحديث، لا يعتمد القذافي على فيالق الأمن أو الكتائب فحسب بل يحمي نظامه بجهاز عسكري وأمني متكامل لقمع أي تمرد، وخلافا للضباط الذين انضموا للثورة بحكم انتمائهم للجهة الشرقية التي انطلقت منها الشرارة الأولى، فإن الوحدات العسكرية والأمنية الوفية للقذافي كلها تنتمي لطرابلس وبنغازي وسرت وسبها والمدن الأخرى الواقعة في الجهة الغربية المسيطرة على الحكم وتتكون أساسا من قبائل القذاذفة والمقارحة الذين يتمتعون بامتيازات غير محدودة على كافة الأصعدة[161].انتهى.



الأمازونيات



أوكسانا الممرضة الحسناء

على ضوء هذا كله تبلورت صورة زعيم أصبح يتصور أحلامه وقائع حية، وتكررت نادرة جحا، الذي أراد صرف الأطفال عنه فزعم لهم أن في دار فلان وليمة كبيرة، ثم راح يُسابقهم للوصول إلى مقر الوليمة.

وأصبح العقيد يتلذذ بكل الأبهة التي تحيط به، ابتداء من ملابسه التي كانت تجعل منه "مانيكانا" رناسيا، لتعدد ألوانها وأشكالها، ثم مظاهر الحماية النسوية المتميزة التي تتكامل معها صور الولاء المتعددة ومعالم الانبطاح والنفاق، وبات الأمر بالنسبة له نوعا من الإدمان، بحيث أصبح يسعده دائما أن ينظر إلى الآخرين مديرا رأسه إلى الخلف لتكون نظراته متجهة من أعلى الرأس إلى أسفله وليس أفقيا كالعادة، وهذا هو ما جعله لا يتصور إطلاقا بأن هناك في الشعب من يجرؤ على عدم الذوبان في عشقه ناهيك عن كراهيته[162].

---

[161] - كتاب : في قلب ليبيا القذافي، وهو ما يبرز أسباب صعوبة اقتحام بعض المواقع من قبل الثوار.

[162] - قال سيف الإسلام بدون خجل ردا على سؤال للواشنطن بوست يتعلق برحيل العقيد:سوف تتحول ليبيا إلى نسخة ثانية من الصومال (انظر النص في الوثائق) بينما يقول رئيس الوزراء المحمودي البغدادي : انه في حالة رحيل القذافي فانه سيأخذ ليبيا معه (القدس العربي 29 مايو) ويقول في تصريح آخر (ق.ع. 27 يوليو) بأن الحديث عن مغادرة القذافي موقع القيادة غير مطروح، متناقضا مع ادعاء العقيد بأنه لا يحتل منصبا قياديا في ليبيا وإلا لرمى باستقالته في وجوهنا.

ويذكر هذا بأن المتظاهرين الذين جمعهم علي عبد الله صالح في اليمن كانوا يرفعوا لافتة تقول للرئيس "أنت الوطن" وتقول لافتة أخرى "الوطن لا يرحل"، ولم يتذكر هؤلاء المقولة الرائعة عن سيد المرسلين : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ويقول شلقم عن رئيس الوزراء (الحياة 19 يوليو) يشرف القذافي حتى على تفاصيل التفاصيل. حتى الإدارة المحلية فككها، لا توجد محافظات أو ولايات، اللجان الشعبية كذبة. هو يدير كل

وربما كان هذا هو التفسير الحقيقي لردة فعل القذافي الشرسة إثر أحداث بنغازي، فقد تزايدت عنده مشاعر الفوقية إلى حد يصعب تصوره، وهو ما بدأت ملامحه في السبعينيات، ولاحظتها للمرة الأولى خلال لقاء جمعه مع الرئيس هواري بو مدين ودار فيه حديث عن التعريب، وقلت يومها ببساطة تعلمتها في رحاب بو مدين وعلى مسمع من كل أعضاء الوفد أنني أفرق بين تعريب المصطلحات وترجمتها، وأرى أن التعريب يكون أحيانا أكثر فائدة من الترجمة، وشرحت الأمر بأن قلت أن استعمال كلمة "التلفزة" هي أقرب لاحتياجاتنا من تعبير "الإذاعة المرئية" (والذي كان يستعمل في ليبيا) حيث أن التعريب إثراء للغة العربية بكلمة تسهل الاشتقاقات، فيقال : تلفاز وبرنامج متلفز وتلفزة، وهو أمر عسير بالنسبة للكلمات المترجمة.

وتعصتب العقيد باستعلاء مثير لتعبير "الإذاعة المرئية"، وبحيث بدا أنه لا يتصور أن يجرأ مرافق للرئيس على التدخل في النقاش بمحضر منه، وقال ما معناه أن استعمال الكلمات الأجنبية تلويث للغة، وهو هنا لم يفرق بين التعريب والترجمة.

وهكذا طلع علينا فيما بعد بكلمات مترجمة من نوع "تل الربيع" (ويقصد تل أبيب)، وإسطبل داوود (كامب دافيد)، ثم واصل ذلك بابتكارات أدت أحيانا إلى مواقف لا تنسجم مع ما يمكن قبوله من رئيس دولة.

فقد روى لي أحد الرفقاء، ما لم أجرؤ على إنكاره لأنني عشت مثيلا له، فقال أن العقيد تناول الكلمة في حشدٍ اجتمع حوله في إحدى المدن المصرية، على ما أذكر، وقال من بين ما قاله أنه كان يوما في بيته قبل الثورة فسمع بوجود تجمع وطني أراد المشاركة، فيه فأخرج "حمامته" وذهب إلى التجمع بدون حراسة و.....وكان يقصد بحمامته سيارة من نوع "بيجو" كان يملكها، فقد كان يتصور أن اسم السيارة هو (pigeon) التي تعني فعلا : الحمامة، وليست (Peugeot) الذي هو اسم الفرنسي مبتكر السيارة.

وغاب عن العقيد أن كلمة "حمامة" تشير في تلك المنطقة إلى العضو التناسلي للطفل الصغير، وكان هذا تأكيد للمستوى الثقافي المحدود للضابط الصغير الذي انتقل بقدرة قادر وبين يوم وليلة من رتبة الملازم إلى رتبة العقيد، متخطيا ثلاث رتب عسكرية يحتاج الضابط سنوات طويلة لاجتيازها.

وهناك نوادر كثيرة من هذا النوع لعل أطرفها ما روي عنه يوما من أن الشاعر البريطاني الشهير وليم شكسبير هو من أصل عربي واسمه الأصلي "الشيخ زبير"، أو في استعماله لكلمة "مطران" عند الحديث عن الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا متران، على أساس أن الكلمة هي اسمه الأصلي بالعربية.

ووصلت الطرافة أقصاها عندما خاطب العقيد الرئيس الأمريكي مؤخرا بعبارة : إلى ابننا فخامة الرئيس بركة حسين أوباما، في ترجمة لاسم الرئيس الأمريكي.

ويورد الكاتب المصري محمد عبد الحكيم دياب صورة عن ولاء القذافي للسياسة الأمريكية فيقول [163]: في خريف 1973 اقتحم الجنرال "أوغستو بينوشيه" جزار تشيلي ورجاله قصر الرئاسة واغتالوا الرئيس "سلفادور الليندي"، وأصدروا أوامرهم بحل البرلمان وتعليق الدستور، وتولى المجلس العسكري برئاسته إدارة شؤون البلاد، فألغى الأحزاب الوطنية واليسارية التي شكلت التحالف الحاكم انذاك، وحرم النشاط السياسي، ونصب أكبر مذبحة لأنصار الليندي والقوى المتحالفة معه، وطاردهم في أنحاء البلاد، وكانت الحصيلة قتل وخطف وإخفاء أكثر من ثلاثة آلاف مواطن، واعتقال وتعذيب أكثر من سبعة وعشرين ألف شخص، ونُفي آخرون، وهروب غيرهم؛ طلبا للنجاة واللجوء لأي بلد يوفر لهم الحماية (..) وكانت مشكلة الليندي أنه وصل إلى الحكم في نوفمبر 1970 عبر انتخابات حرة ومباشرة، في وقت كانت أمريكا اللاتينية تمور بالثورة وكان العداء للاحتكارات والهيمنة الأمريكية على أشده، حتى أن كثيرين من رجال الدين المسيحي والقساوسة الكاثوليك تركوا الكنائس واشتركوا في الثورة، وقاوموا فساد الحكام المحميين من الولايات المتحدة، ورفضت واشنطن ذلك التغيير الديمقراطي، خاصة أن الليندي، ذلك الطبيب الثائر قرر اتخاذ سياسات شجاعة لنصرة الفقراء وضد المصالح الاحتكارية الأمريكية، ولم تستطع الإدارة الأمريكية الطعن أو التشكيك في شرعية حكم الليندي؛ لكونه فاز في انتخابات نزيهة، وقررت التخلص منه على طريقتها الدموية، واختارت لمهمتها القذرة الجنرال أوغستو بينوشيه قائد الجيش، ومكنته من الاستيلاء على السلطة في سبتمبر 1973، فحاصر قصر الرئاسة بالدبابات مطالباً الرئيس بالاستسلام، لكنه رفض، ليسقط قتيلاً في قصر الرئاسة.

شيء عبر الهاتف. هناك بعض الأمور اليومية يتولاها رئيس الوزراء البغدادي، وتحت تصرفه ملايين وأموال طائلة جداً هو وعائلته وأصحابه، وينفذ تعليمات معمر في شكل أعمى.

[163] - القدس العربي – 10 أكتوبر 2011.

في ذلك الوقت كان دوري في كتابة التعليق السياسي اليومي، الذي يذاع عقب نشرة الثانية والنصف ظهرا في الإذاعة الليبية، وكان التوجيه أن يكون عن اغتيال الرئيس الشيلي، وسألني مسؤول الأخبار والشؤون السياسية ماذا ستكتب؟ فقلت سأكتب عن الجريمة الأمريكية التي حاقت بتشيلي وشعبها جراء الإرهاب الأمريكي، وفاجأني بقوله إن التوجيهات تقضي بغير ذلك، وان هناك تعليمات تنص على إدانة الليندي لكونه لم يأخذ بـ"النظرية العالمية الثالثة"، ولو أخذ بها ما جرى له ما جرى.. كدت أجن.انتهى.

وعن هذا يقول عبد الرحمن شلقم [164]: معمر يخاف جداً من الأميركيين. إنه يقول لأوباما: أنت ابني وتعالوا لنتفاهم على النفط، ومعمر منعزل عن العالم، كان شاباً بسيطاً من جنوب ليبيا، جاء إلى طرابلس، درس في الكلية العسكرية في بنغازي ثم جاء إلى الثورة ووجد حوله من رجال الأحزاب القوميين السلفيين الأفاقين، لا يتقن لغة أجنبية (وأذكر هنا بمسرحية العقيد خلال خطابه في الأمم المتحدة، عندما تحدث عن الترجمة ليوحي بإتقانه للغة الأجنبية، وكان ذلك من صنع مكاتب العلاقات العامة المستأجرة).انتهى

وأمام تصفيق السامعين ونفاق بعض من أشار لهم شلقم من المثقفين الأفاقين ممن كانوا يستفيدون من ذهب المعز واصل العقيد اختراعاته، ووصل يوما إلى القول بأن علينا حذف كلمة "قل" من نصوص القران، حيث أنها كانت موجهة من المولى عز وجل لنبيه الكريم، وليست موجهة لنا، وعلينا أن نقرأ آية "قل هو الله أحد"، بحذف فعل الأمر لتكون، مباشرة، "هو الله أحد".

ولقد سمعت العقيد يوما، وأقول ...سمعته، أي شخصيا، يشرح كلمة "الديموقراطية" (Démocratie ديمو كراسي) فيقول أنها مكونة من جزأين، أولهما كلمة "ديمو (التي تعني الشعب) وهي (كما قال) تطوير لكلمة "الدهماء"، وكراسي (وتعني الحكم) وهو يستنتج أن **الديموقراطية** تعني أن **الدهماء**، يعني **الجماهير**، يجلسون على **كراسي** الحكم.

ويورد جهاد الخازن (الحياة اللندنية في 18 مايو) أن العقيد قال في 5 مايو 2006 أنه يستطيع خفض الموازنة الدفاعية الليبية عن طريق تفخيخ كل مواطن وكل سيارة وكل بيت وكل شارع (لم يقل آنذاك ...وكل زنقة) فلا يستطيع العدو النجاة، وقبل نهاية 2008 أعلن العقيد، كما يقول جهاد، بأنه مصمم على إلغاء كل الوزارات وإعطاء الشعب مباشرة دخل البترول، وهو ما لم يحدث بالطبع.

وهكذا كان من حق مواطنين يتمتعون بخفة الدم أن يخترعوا أقوالا لم يقلها العقيد أو روايات لم تحدث أساسا، ولكنها تنسجم مع أسلوب القذافي وما ينتظر منه، ومن ذلك:

- قدمت استقالتي من الحكم، لكني كرئيس للدولة...لم اقبل الاستقالة.
- القذافي في مذكراته يؤكد أن السبب الأصلي للطلاق هو ... الزواج.
- القذافي سمع أن ابن علي "في غيبوبة" فراح يبحث عن خريطة ليعرف...بُعد ..»غيبوبة"...عن ليبيا.
- مراسل الجزيرة للرئيس القذافي: هل تخاف مما فعله المصريون والتونسيين من قلب لنظام الحكم ؟...فيرد القذافي : ما الذي يجعل المصريين والتوانسة يتظاهرون في ليبيا؟
- فتوى للقذافي:إذا أكل شاب وفتاة من نفس "الأيس كريم" المحتوي على حليب فإنها أخته بالرضاعة.
- قال القذافي: الجزائر ليست أفضل منّا ليكون اسمها "بلد المليون شهيد"... لذلك لن أخرج من ليبيا حتى أقتل مليون ليبي، لتكون ليبيا أيضا "بلد المليون شهيد".
- عاجل : أمريكا تهدد بضرب ليبيا .. القذافي يُغطّي ليبيا بخيمة كبيرة مكتوب عليها...هنا الجزائر.
- عاجل جدا - مؤكد : منظمة اليونسكو تحذر من المساس بالقذافي باعتباره مخلوقا نادرا مهددا بالانقراض، وتدعو إلى نقله إلى محمية طبيعية هو وملابسه.
- جمع القذافي علماءه وقال لهم إن أمريكا صعدت إلى القمر ونحن سنصعد إلى الشمس، فرد العلماء أن للشمس درجة حرارة عالية تحرق من يصعد إليها، فرد القذافي: يا أغبياء سنذهب ليلا !
- تصريح للقذافي: أنا حكمت ليبيا وسكانها 2 مليون والآن أصبحوا 7 ملايين، وهكذا فإن لي الحق في التصرف كما أشاء في خمسة ملايين!!
- سُئل القذافي: ما تعليقك على الأقاويل التي تقول أن نهاية العالم ستكون في 2012 ؟ فقال: كلام فاضي، أنا عندي علبة "تونة" (Thon) لا تنتهي صلاحيتها قبل 2015.

---

164 - وزير الخارجية الليبي الأسبق – الحياة اللندنية 19 يوليو

- سألوا القذافي: لماذا يضع الأطباء كمامة طبية على وجههم أثناء إجراء عملية جراحية، فقال: لكيلا يتعرف عليهم المريض إذا قضت عليه العملية.
- بعد سنوات طويلة اكتشفنا أن حسني مش **"مبارك"** وبشار مش **"أسد"** وبن علي مش **"زين"** وعلي عبد الله مش **"صالح"** لكن القذافي هو الوحيد اللي طلع" **معمّر"** (ويبدو أن الكلمة هي لفظ بذيء في مكان ما).
- قال العقيد : من صام ثلاثين يوما من رمضان فكأنما صام رمضان كله.
- قال العقيد لليبيين ...إلى الأمام، ازحفوا عليهم بالملايين، ثم اختبأ تحت السرير.

وتواصلت النكت إلى درجة أن "سليم عزوز" روى في القدس العربي (28 مايو) نكتة تقول إن أحد التونسيين أبدى حزنه لأن الرئيس زين العابدين بن علي جاء بعد ثلاثة وعشرين عاماً من الحكم ليقول لشعبه: "فهمتكم.. فهمتكم"، وكان أسف التونسي هو لهذا الفهم المتأخر، لكن صديقه الليبي قال له إن على التونسيين أن يحمدوا الله، فالليبيون جاء قائدهم بعد أكثر من أربعين عاماً ليقول لهم باستهانة: " من أنتم"؟

وتخرج نكتة تقول أن مواطنا ليبيا اتجه بشاحنة تحمل أقفاصا من فاكهة العنب موجهة للثوار، فأخطأ الطريق ووقع في أيدي كتائب القذافي الذين ما أن عرفوا هدفه الحقيقي حتى أجبروه على أن يدخل إلى جوفه كل ما جاء به من العنب، وكان الرجل يضحك بشكل شبه هيستيري فرض على مرتزقة العقيد أن يسألوه عن سبب الضحك، فقال الرجل وهو يغالب القهقهة : لي زميل قادم وراني يحمل شحنة من الفلفل الحار، وطبعا كان إدخال العنب إلى جوف الرجل من غير الفم، وهذه هي النكتة الحقيقية.

وتواصلت عملية استنكار طرائف العقيد السمجة بعد تحرير طرابلس، وتكثر الحوادث الغريبة التي يتناقلها الليبيون عن معمر القذافي، ويتذكر هؤلاء خصوصا الصورة التي كانت تحتل شاشة القنوات الرسمية حين يغضب القذافي من برنامج ما او من فقرة مرت خلال بث نشرة الأخبار[165].

ويشير سكان العاصمة خصوصا إلى أن بث القنوات الرسمية كان يتوقف حين يشعر القذافي بالغضب فتبرز على الشاشة صورة كاريكاتورية رسمها الفنان محمد الزواوي، وهي عبارة عن حذاء، ويبقى الحذاء سيد الشاشة لساعات، ويعود البث إلى طبيعته حين يقرر القذافي ذلك، علما بان العقيد الليبي كان يتحكم بهذا الأمر من مقره في باب العزيزية، الذي تحول اليوم إلى ما يشبه المقصد السياحي، وأثناء احتلال الحذاء للشاشة، يستمر الموظفون في القنوات الرسمية بعملهم الاعتيادي، ويتواصل بث البرامج وتقديم نشرات الأخبار خشية أن يعود البث في أية لحظة من دون سابق إنذار.

وغالبا ما كان القذافي يستمتع لدقائق بهتاف أنصاره له قبل إلقاء خطاباته الحية التي كانت تستمر أحيانا لساعات طويلة، ويقول أنيس الوخي (20 عاما) أن أحد خطابات القذافي بدأ في إحدى المرات بهتاف الجالسين في الصف الأمامي له، فما كان من معمر إلا أن حيا هؤلاء وطلب منهم السكوت حتى يبدأ بالكلام، ويضيف أن ظلوا يصفقون له كلما حاول الكلام، فما كان منه إلا أن تناول كوب ماء أمامه ورشق المصفقين به، ثم بدأ خطابه وكأن شيئا لم يحدث.

ويتذكر أحدهم أن القذافي مر في طرابلس ووجد أن الزرع يابس، فبادر إلى سؤال رئيس البلدية آنذاك (عز الدين الهنشيري) عن سبب ذلك، فرد على سؤاله بالقول أن هناك نقصا في الماء، وما أن سمع القذافي الجواب حتى حمل خرطوما وأفرغ الماء منه في وجه الهنشيري قائلا له: هل ترى ماء الآن؟

ولا تقتصر هذه المواقف على الليبيين، إذ أن عددا من الزعماء الأجانب نالوا نصيبهم منها أيضا، ويقول مسؤول كبير سابق أن العقيد الليبي قرر في إحدى المرات أن يستقبل الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي أنان في سرت، الذي كان يريد الحديث مع القذافي عن إمكانية تسليم عبد الباسط المقرحي، المدان في قضية لوكربي، فنقل في سيارة بقيت تدور به لساعات في منطقة واحدة، ثم وضع في خيمة، ووضعوا خلف الخيمة جملا، وكانوا يستفزون هذا الجمل طوال الليل حتى يصرخ بصوت عال، وظن أنان أن ما يسمعه هو زئير أسد.

وفي حادثة اخرى جلس القذافي ومساعدوه في مقابل الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" والوفد المرافق له في إحدى خيم القذافي في ليبيا، وفي خضم النقاش طلب القذافي من رئيس جهاز المراسم "نوري المسماري" أن يقوم بكنس التراب داخل الخيمة، ويذكر المسؤول الليبي أن 'هذا الأمر استمر لوقت طويل، وجعل التراب

---

[165] - القدس العربي – 3 أكتوبر 2011 – عن واف.

يتطاير في كل مكان، وعندما كان رئيس الوزراء السابق شكري الغانم يطلب من المسماري التوقف عما يفعله كان الأخير يتجاهل الطلب لأنه سبق أن تلقى الأمر من القذافي ولا يمكنه التوقف حتى يطلب منه ذلك، وهناك حوادث أخرى بينها رفض العقيد الهارب مصافحة وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "كوندوليزا رايس" بعد ان أبقاها تنتظر لقاءه لست ساعات، ويروي أن القذافي كان يقدم لبعض ضيوفه الأجانب "تفاحة واحدة تتوسط طبقا، من دون شوكة او سكين."انتهى.

وعلى ذكر كوندوليزا كتبت القدس العربي في 3 نوفمبر تقول :

قالت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندوليزا رايس والتي كانت قد التقت بالعقيد معمر القذافي في سبتمبر 2008 في طرابلس، إن ولعه الذي كان واضحا بها "كان غريبا ومخيفا بعض الشيء".

ووصفت كوندوليزا في احدث كتبها "لا شرف أسمى": ذكريات سنواتي في واشنطن، كيف أجرى الدكتاتور غريب الأطوار تغييرات على صور فيديو لها، ليخرج التسجيل متناغما مع إيقاع ألفه ملحن ليبي، بعنوان "زهرة أفريقية في البيت الأبيض". وتذكرت رايس خلال مقابلة مع شبكة "سي إن إن" الإخبارية الأمريكية ليل الأربعاء مدى ارتياحها عندما تبين أن التسجيل المصور لم يكن مبتذلا .

وعندما استولى الثوار على معقل القذافي (مجمع باب العزيزية) بوسط طرابلس عثروا على سجل كامل مليء بصور رايس، التي كانت أول سيدة أفريقية أمريكية تتولى منصب وزيرة الخارجية الأمريكية، وهو المنصب الذي شغلته خلال الفترة 2005 2009 ووصفت رايس ألبوم الصور بأنه "استثنائي للغاية..غريب ومخيف" (..) كنت أعلم في واقع الأمر أنه مولع بي، وكانت مهمتي أن أصل إلى هناك وأقوم بعمل دبلوماسي وأخرج..وكان هذا ما فعلته...لكن علي أن أقول إن لحظة عصيبة مرت بي عندما قال لي إنه يمتلك التسجيل المصور لي..سعيدة للغاية أن الأمر انتهى بشكل طيب.انتهى.

ولعل الاستنتاج الرئيسي هنا هو تسجيل مسؤولية كل أولئك المسؤولين الأجانب في إيصال العقيد إلى الحالة التي وصل إليها، ولسبب بسيط لأنهم كانوا جبناء انتهازيين ينظرون إلى مصلحتهم الشخصية تحت ستار المصلحة الوطنية لدولهم، والتي كان يمكن أن تتحقق بإلزام المضيف احترام ضيفه.

وهنا فقط أسجل احترامي للإمام موسى الصدر، الذي يبدو أنه فقد حياته لأنه واجه العقيد برأيه الصريح بدون خوف أو محاباة، فرحمه الله رحمة واسعة.

ومن هنا، ليس من حقنا أن نلوم جماهير ليبيا عندما كانت تصرخ ...الله ومعمر وليبيا ...وبس.

(3)

أي ثورة يتكلم عنها القذافي...الملك إدريس كان شيخا هرماً، وكانت السلطة مرمية في الشارع، فالتقطها معمّر...إنه رجل لا يفرق بين الدم والحبر الأحمر"؟.

الرئيس الجزائري هواري بومدين

واصل العقيد "جهوده" التعريبية فقرر أن يسمي الشهور الميلادية بأسماء عربية، بدءا باعتبارها شهورا "إفرنجية" ونازعا عنها صفة "غريغورية" أو حتى "ميلادية"، وأطلق عليها اسم : أشهر مسيحية أو إفرنجية، وسمى يناير "النار" وفبراير "النوار" ومارس "الربيع" وأبريل "الطير" ومايو "الماء" ويونيو "الصيف" ويوليو "ناصر" وأغسطس "هانيبال" وسبتمبر "الفاتح" وأكتوبر "التمور" ونوفمبر "الحرث" وديسمبر "الكانون"، ثم لم يتوقف عند هذا بل رأى تغيير التاريخ القمري، معتبرا أن البداية الحقيقية للتاريخ الإسلامي يجب أن تنطلق من وفاة الرسول، وبدلا من أن نقول شهر "كذا" من العام الهجري 1320 نقول شهر "كذا" من عام 1331 على وفاة الرسول، أي بإضافة 11 عاما هي الفرق بين الهجرة (9 سبتمبر 622 م) والوفاة (632 م) وهكذا قام بقطيعة مع المرجعية الإسلامية الراسخة منذ أكثر من 14 قرنا.

وأصبحت مادة التاريخ في المدارس تسمى "التفسير" وأصبحت الفلسفة تسمى "التأويل."

وسنكتشف الكثير من "الخريفات" عندما نتابع إفرازات" العقيد الفكرية"، وهو ما جعل الرئيس بو مدين يُفسّر ذلك يوما بقوله: " قد يُثقل معمّر في عشائه، وعندما يأكل أطعمة بالغة الدسامة يقضي ليلة رهيبة مليئة بالكوابيس، فيطلع علينا صباح اليوم التالي بنظرية ثورية جديدة.

ولعل هذا أيضا ما يفسر غضبة الرئيس الجزائري عندما استثارته عملية التمجيد المبالغ فيه للفاتح من سبتمبر وبدأ الزعيم الليبي يقارنه بالثورة الجزائرية، فقال يوما في لقاء احتضنه قصر الأمم : "اي ثورة يتكلم عنها معمّر، فالملك إدريس كان شيخا كبيرا (وكان يوم الانقلاب في تركيا) وكانت السلطة مرمية في الشارع فالتقطها معمّر، إنه رجل لا يفرق بين الدم والحبر الأحمر"؟[166].

وبالطبع، فقد كنت أحذف يومها كل هذه التعبيرات من النص الرسمي الذي كنت أعدّه لكي تبثه التلفزة وتنشره الصحف الوطنية، لكنها كانت تتسرب رغم أنوفنا إلى الشعب، كما حدث مع تعبير بالغ الحدّة استعمله الرئيس يوما في خطاب له، تناول به حاكما عربيا انتقل إلى رحمة الله.

لكن مما يُسجل للعقيد القذافي ما عبر عنه يوما من أنه لا مكان في الجامعة العربية لبلد لا تكون اللغة العربية هي لغته الوطنية والرسمية، وكان يقصد الصومال على ما أتصور، وهو ما أتفق فيه مع العقيد مائة في المائة، حتى ولو لم يكن بذل جهدا عمليا في سبيل فرض ذلك، وخصوصا في عهد الرئيس الصومالي زياد بري، الذي كانت أطماعه في "الأوغادين" الطريق التي انزلقت فيها الصومال نحو الحرب الأهلية.

وربما كانت قضية اللغة تترجم عند العقيد رغبة ملحة في الخروج من إطار الزعيم السياسي إلى قمة المفكر العالمي، وكانت التلفزة الليبية تتحف من يتابعها بساعات وساعات من "الهراء" الفكري، وأحيانا بأفكار يترجم فيها العقيد ما قاله السادات يوما عن "الصدمة الكهربائية"، وقد يرتبط هذا بفكرته عن بناء دولة "إسراطين" (أي جمع إسرائيل وفلسطين في دولة واحدة، اسمها جزء من الاسمين) والتي يعود منطلقها إلى الستينيات، وسوف يجد القارئ فكرتها الأصلية في مقال كنتُ كتبته في مجلة الجيش عدد يونيو 1968، واقترحت فيه إنشاء دولة واحدة تجمع المسلمين والمسيحيين واليهود، داخل إطار من السلام والمحبة لتكون للعالم واحة اطمئنان ومرفا أمان[167].

ويُعتقد أن كثيرا من إفرازات العقيد القذافي الفكرية، والتي جُمعت فيما بعد في "الكتاب الأخضر"، كانت تنبثق من قراءات متسرعة لنصوص فلسفية غربية يترجمها له المرتزقة من بعض الكتابات مثل أفكار "ميخائيل باكونين" الروسي (1814-1876) وغيره من فلاسفة الفوضوية أو بعض الكتابات المثيرة للجدل، وكان بجانبه بعض أساتذة الجامعة الليبيين ممن يقومون بدور "الخياط"، وأسماء بعضهم معروفة[168].

وحرص العقيد على أن تكون الصياغة بطريقة من يريد إبقاء حكمه مفتوحاً، فهو قائد لا يحكم ولا يوقّع أوراقاً ولا تستطيع أن تحاسبه إذا بقي في الحكم 20 أو 30 سنة، فهو يقول إن الشعب هو الحاكم.. وهو قائد الثورة فقط... لا يحاسَب، وهو يردد (كما يقول شلقم[169])...أنا رمز، والمقربون منه عندما يرزقون بولد أو بنت فإنه هو الذي يسمي المولود، وهو يتدخل في تفاصيل التفاصيل، وهو من الناحية النظرية يقول انه لا يحكم، لكن فيما يسمى قانون الشرعية الثورية، وهو نص مكتوب، أي كلمة يقولها أو أي خطاب هو قانون واجب التنفيذ (..) ومعمر ذكي جداً من دون شك، شاب بقي يتآمر عشر سنوات تحت الأرض قبل الإمساك بالسلطة، تفكيره كله تآمري، في السياسة، في الاقتصاد، في العلاقات الشخصية، في العلاقات العامة (..) فلما رأى أن

---

[166] - قيل عن العقيد القذافي بعد مقتله أنه ولد عام (1942) وحكم ليبيا (42) عاما .. قام بانقلابه في (1969) ومات وعمره ()69 ، ولد في سرت ومات فيها . . بدأ حكمه بثورة وقتل نتيجة ثورة ، وحتى في وفاته حكاية ركزو في التاريخ : 2011.....11/20

167 - الجزء الثاني من انطباعات – إصدار المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 (ص 698) وكنت كتبت هذا يوما فاتصل بي السفير الليبي، وهو رجل فاضل محب للجزائر، ليطلب مرجع الفكرة، وأعطيته بالطبع المرجع المذكور هنا، وأتصور أن هناك من طلب منه أن يشكك فيما قلته ويقدمه على شكل ادعاء من مثقف جزائري.

[168] - يقول طلحة جبريل في صحيفة الأخبار 27 مارس 2011 : أعدّ العقيد الكتاب بمثابة "نظرية ثالثة" بين الشيوعية والرأسمالية. ويبدو أنه صاغ بعض أفكاره بعد قراءة قام بها شخصياً لعدة مؤلفات في التاريخ والفكر السياسي، وكذلك نقاشات أدارها بنفسه مع مفكرين عرب وأجانب، وشارك بعضهم في الصياغة، واشترك بعض السودانيين في صياغة "الكتاب الأخضر". ويقول غازي القصيبي في كتابه "الوزير المرافق (بيروت ص 115/ 138 عن "الحياة" 16 يونيو) إيمان العقيد بكتابه الأخضر ظاهرة تستدر العجب والرثاء معا، قال مرة:سمعت أن عشرات الآلاف من الناس في السعودية يتخاطفون الكتاب الأخضر، وأكثر من يطلبه الفتيات.

[169] - الحياة – لندن- 19 يوليو.

الناس بعد الانقلاب ووصوله إلى الحكم تتحدث عن ضرورة قيام دولة ونظام مثل بقية العالم كتب "الكتاب الأخضر" وأوحى للناس أنهم جميعاً سيستفيدون، مثلاً "شركاء لا أجراء" الشركة يملكها العمال. "البيت لساكنه" فإذا كنت مستأجراً منزلاً من صاحبه يصبح ملكك. "السيارة لمن يقودها" فإذا كنت تعمل سائقاً تصبح السيارة ملكاً لك... إذن، هناك طبقة استفادت (وهذه نقطة بالغة الأهمية) لكنه قضى على الطبقة الوسطى، وانتشرت ظواهر فساد فظيعة، فلا أحد يُحاسَب إذا سرق، ثم انشأ كليات للبنات في الجيش وفي الشرطة، وهو حرر المرأة نظرياً، لكنه ضرب منظومة القيم، المرأة تستطيع العودة إلى بيتها في الساعة الثالثة (فجراً) من دون أن يستطيع أبوها محاسبتها (وهذه نقطة أخرى بالغة الأهمية، وتذكر بقصة الأمازونيات). انتهى

وهكذا نجد أن القضية لم تكن دائما انزلاقات لفظية متسرعة ناتجة عن جهل يتكامل مع جنون العظمة، بل يتحدث كثيرون عن اتفاقيات معينة مع دوائر دولية على تمرير أفكار معينة، مثل تطبيع العلاقات مع إسرائيل عبر السماح يوما لحجاج ليبيين بالتوجه إلى بيت المقدس، وهو ما تم بقرار من العقيد فرض بالطبع على اللجان الشعبية، وهذا في الوقت الذي اختطف فيه العقيد الليبي خلال إحدى مؤتمرات القمة في فندق "الأوراسي" قفازا من شرطي جزائري لكي يصافح به الملك الحسن الثاني عاهل المغرب، احتجاجا على ما ادعاه من علاقات للملك مع إسرائيل[170].

وكان هذا التطرف يقوده إلى تصرفات قد تنتج عنها معاناة لمواطنين أبرياء، ومن بينها دعوته فلسطينيي الشتات منذ عدة شهور بالتوجه إلى فلسطين وفرض وجودهم هناك على الإسرائيليين لأنهم أصحاب حق في الأرض، وبعد أن كان قد طرد أعدادا هامة من فلسطينيي ليبيا منذ سنوات إلى منطقة الحدود بينه وبين مصر عقابا لمحمود عباس على اتفاقية أوسلو، وقال لهم : اذهبوا إلى الدولة التي أقامها لكم أبو مازن.

وظل الفلسطينيون هناك شهورا طويلة في معاناة رهيبة.

لكنني ما زلت أقول أنه، في إطار الفوضى الفكرية التي تتناثر من فم العقيد، هناك قضايا أبعد ما تكون عن التفكير الفوضوي أو الخلل الفكري كما يتصور بعض البسطاء، ومن بينها فكرة "الجماهيرية" نفسها، والتي اعتبرها كثيرون مجرد نزوة أراد بها العقيد تحقيق سبق فكري يتجاوز به الشرق والغرب والملكيين والجمهوريين والرأسماليين والاشتراكيين، كل هذا في وقت واحد، لكن الأمر كان أخطر بكثير من ذلك، لأنه كان في واقع الأمر بداية الطريق نحو حكم الأسرة، ودليلا على أمر بالغ الخطورة تأكد فيما بعد، وهو أن العقيد أصبح يجعل من نفسه مرادفا للوطن، الذي تضاءل ليكون "هو"، وكانت وسيلته إلى ذلك استعمال تعبير "الجماهير"، ويفهم منه كل ما هو فوضوي لمنطق الحشد الكبير، والذي ينتج عنه ما يُسمّى "عُصاب الجماهير" (Psychose de masses) وموجز أعراضه أن للطبيب، مثلا، أسلوبا معينا في التصرف ناتج عن تكوينه الاجتماعي وتجربته العلمية وممارساته المهنية وحصيلة تعاملاته مع المجتمع، ونفس الشيء بالنسبة للمحامي أو المهندس، ويختلف الأمر طبعا بالنسبة للفلاح أو العامل البسيط الأمي أو من يعيش فكريا في الدرك الأسفل من طبقات المجتمع، لكن احتشاد مائة طبيب أو محام أو مهندس في مكان واحد سيجعلهم يتصرفون بمنطق

---

[170] - كشفت صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية، التي تصدر باللغة الإنكليزيّة، النقاب عن أنّ الحكومة الليبية دعت ممثلي شتات اليهود الليبيين في بريطانيا إلى زيارة طرابلس، ووصفتهم بأنهم مكون أساسي في المجتمع الليبي في محاولة لتحسين صورتها الدولية. (..) السلطات الليبية بعثت رسالة بالفاكس إلى "رفائيل لوزون"، رئيس طائفة يهود ليبيا يوم 29 من الشهر الماضي بدعوه وقادة اليهود الليبيين هناك إلى المشاركة في حوار متعلق بمستقبل ليبيا المتدهور جراء الحرب الأهلية بين أنصار القذافي والثوار. وجاء في مضمون الرسالة التي وقعها زعيم قبلي وحليف للقذافي اسمه علي محمد سالم: يسرنا أن نوجه الرسالة إليك شخصياً، ومن خلالك إلى عدد من الشخصيات اليهودية الليبية في أوروبا وأمريكا الشمالية الذين يعملون في مجالات مختلفة لزيارة ليبيا في أقرب وقت ممكن، للانضمام إلى القبائل، لأنكم جزء من الشعب الليبي. وقبل استلام الرسالة أجرى لوزون اتصالا هاتفيًا مع نائب وزير الخارجية الليبي "خالد كعيم"، الذي قال إنّ الدعوة موجهة مباشرة من القذافي. علاوة على ذلك، كشفت الصحيفة عن أنّ لوزون رفض دعوة القذافي، بعد التشاور مع أعضاء المنظمة اليهودية، قائلا :إنه يشعر بالقلق على الأشخاص في ليبيا، كما يؤيدهم بشدة في نضالهم ضد القذافي. ونوهت الصحيفة بأنّ هذه الدعوة تشير إلى تغيير جذري في سياسة النظام تجاه الشتات اليهودي الليبي، وقد تكون محاولة فاشلة لتحسين صورة القذافي أمام العالم. وجدير بالذكر أنّ السلطات الليبية سمحت في شهر أغسطس الماضي لرئيس الجالية اليهودية الليبية لوزون وأسرته بزيارة ليبيا والاجتماع مع مسؤولين بارزين في الحكومة الليبية. (القدس العربي - الجمعة 10 يونيو) وسيتأكد ذلك فيما بعد في تصريح بالغ الذكاء للوزن، هاجم فيه محاولة أحد اليهود الليبيين، في مناورة غبية، إعادة فتح معبد يهودي بدون الحصول على تصريح من المجلس الانتقالي الليبي.

وأسلوب الحشود وبنفس الأسلوب الذي يتصرف به مائة فلاح أو أمي، لا خلاف بين هؤلاء وأولئك[171]. (وربما كان عصاب الجماهير الذي أوجده هو السبب الحقيقي وراء مصرعه المأساوي)

وإذا كان الاستفتاء مثلا هو أسوأ الحلال الديموقراطي لأنه يضع المواطن أمام اختيارين لا ثالث لهما في التعامل مع نص قانوني يضم مئات البنود، فإن منطق الحشود، الذي يقدمه البعض كخلاصة للديموقراطية، هو في واقع الأمر قمة الدكتاتورية، لأنه يفترض أن الزعيم غير مسؤول إلا أمام جماهير لا تملك إلا الهتاف له والتسبيح بحمده، بعد إعدادهم إعلاميا لوضعية المتلقي السلبي، وبهذا تختفي كل إمكانيات المراقبة والمحاسبة والمتابعة والمعاقبة، وهذه هي الوضعية التي تناسب الأطماع الداخلية والاحتكارات الدولية.

وقد تبدو "الجماهيريات"، كما يقول نبيل الفولي، مجرد فكرة انفصلت عن الواقع، إلا أن الغالب عليها أنها "فذلكة سياسية" لجأ إليها مستشارو العقيد، أو مؤلفو الكتاب الأخضر المنسوب إليه، للتغطية على نموذج استبدادي له تفرده الخاص في تسيير أمور البلاد بثرواتها الهائلة، والوصول بالقمع والتنكيل بالليبيين في الداخل والخارج إلى مستويات قياسية، حتى لا يبقى في البلاد إلا خانع فاقد لحريته، أو متواطئ منتفع من فتات النظام، ولا مجال بعد ذلك للحديث عن الثروات المنهوبة ولا الحياة الصاخبة التي يحياها الزعيم وأبناء الزعيم، فقط يبحث الناس عن قليل من الحرية، أو حتى مجرد الحياة[172].

وأتذكر يوما في السبعينيات أن سفيرنا في ليبيا المجاهد صالح بلقبي كان يزورني في مكتبي بالرئاسة، وقلت له من بين ما قلته، معلقا على قضية اللجان الشعبية في ليبيا وقرار العقيد بتحويل السفارات إلى مكاتب للأخوة، بأنني سأطلب من وزارة الخارجية حرمان المكتب الليبي في الجزائر من لوحات السيارات الدبلوماسية وغير ذلك من التسهيلات التي تتوفر للسفراء.

والواقع هو أنني كنت أتصور يومها أن الدول الأجنبية سوف يزعجها قرار فوضوي كقرار العقيد، لكن صالح قال لي بأن وزير خارجية إيطاليا ركب طائرة خاصة حملته إلى ليبيا بهدف إثناء العقيد عن رأيه، فإذا به يجد في مطار طرابلس عددا من كبار رجال الأعمال الإيطاليين، عرفوا بالهدف من زيارته، ففرضوا عليه العودة فورا إلى روما قائلين له: ماذا يهمنا نحن من التنظيم الداخلي الليبي والصفة التي تعطيها لبعثاتها الدبلوماسية، فمصالحنا كلها مضمونة، والعلاقات كلها تصب في صالحنا؟.

وعاد الوزير على الفور إلى بلاده بدون أن يلتقي مسؤولا ليبيا واحدا، وهذا المثال يجب أن يكون دائما في أذهاننا عند كل تقاعس نحسُّ به من قبل القيادات الغربية في تعاملها مع العقيد، ويكون من نتيجته بعض التهاون في حماية الشعب الليبي، فحجم المصالح هائل والقذافي على استعداد للتضحية بكل شيء ليظل عميد الرؤساء وملك الملوك وإمام المسلمين، ممسكا بأعنة الحكم، وخصوصا بمال الشعب، متهربا من مسؤولياته وتبعاته والتزاماته تجاه الوطن والأمة، ولم يكن أمامه إلا الحقيقة التي يراها، أو التي يُريد أن يراها، أو التي يُراد له أن يراها، وربما كان من حق خصوم العقيد القذافي أن يُحملونا جانبا من المسؤولية، ولم يكن هناك من يستطيع ذلك بعد أن مات القادرون على وضعه حيث يجب أن يوضع، وكلهم، للعلم، تعرضوا للتعتيم الكامل بعد وفاتهم، وأمن العقيد بعد غيابهم بأنه يبزهم جميعا، وهكذا لن نجد اسم شخصية سياسية واحدة، عربية أو ليبية، برزت خلال الأربعة عقود من حكم العقيد، وحتى عمر المختار لم يسلم من التهميش، فقد نقلت رفاته للمرة الثالثة إلى موقع إعدامه في مدينة "سلوق"، على بعد عدة عشرات الكيلومترات من بنغازي، حتى لا يفكر وفد ممن يزورون عاصمة الشرق الليبي في زيارة ضريح المجاهد الكبير، بما يفرض بث الخبر في وسائل الإعلام الوطنية والدولية، وهو ما يقود آليا إلى التذكير بالشهيد العظيم، ابن بنغازي.

---

171 - كتاب المفكر الفرنسي غوستاف لوبون "بسيكولوجية الجماهير"، الموضوع قبل مئة عام تقريبا، يعرض لتحليل نفسي لحالة الجمهور، بوصفه كتلة ذات خصائص بسيكولوجية وذهنية، تختلف تماما عن الخصائص البسيكولوجية والذهنية لكل فرد من أفرادها. ويعرض لوبون أمثلة كثيرة، تشدد على أهمية الوهم والأسطورة، ودورهما في نقل الفرد إلى الطبقة العاطفية، المتكونة بفعل التربية والنظام الاجتماعي العائلي والتقاليد والموروث الثقافي والحضاري والعادات. وحينما يتعلق الأمر بالجمهور، فلا يعود للتحليل المنطقي والضوابط العقلانية، أي دور يذكر، إذ أن الجمهور يوهَم بالقوة التي اكتسبها للتو بفعل عدده (..)

172 - في كل كلمات العقيد الموجهة للجماهير منذ 17 فبراير لم يرد اسم الكتاب الأخضر على الإطلاق، وكأنه اكتشف أخيرا أنه لا يصلح لممارسة السياسة وحكم الجماهير.

وكان القذافي قد استثمر الشهيد في فيلم سينيماني رائع اختير لبطولته "أنتوني كوين" وأوحت نهايته بأن العقيد هو وريث فكر الشهيد العظيم وجهاده، حيث قدم الفيلم طفلا صغيرا يلتقط نظارات المختار بعد إعدامه، وبإيحاءات تعطي الإحساس بأن الطفل هو معمر القذافي[173].

وحتى عبد الناصر، مُلهم العقيد وقدوته، أصبح هناك من يوحي بأنه لم يُكمل مشروعه التحرري وسقط في الطريق، ولم يتذكره النظام الليبي إلا في 2011 عندما راح يستجدي الليبيين بخطبه ولقطاته.

وأنا لا أخجل من القول أننا نتحمل جميعا، وبنسب متفاوتة، مسؤولية نجاح العقيد في فرض مخططه.

ولست هنا أتجنى على أحد، فكلنا سمعنا الرئيس حسني مبارك يقدمه للخطابة في القمة العربية بصفة : "قائد الثورة وملك ملوك إفريقيا ورئيس الاتحاد الإفريقي وإمام المسلمين"، وبدون أن تبدو على وجهه ملامح ابتسامة، وكلنا رأينا حشدا من الزعماء الأفارقة يهدونه تاج ممالك إفريقيا، وكثيرون يتصورون حجم الهدايا التي قدمت لكل المستويات القيادية في بلدان ومنظمات دولية كثيرة، كان أخرها هدية الجامعة العربية التي اعترف بها عمرو موسى وهي سيارة ثمنها 42 ألف أورو، وترددت أقوال عن سيارة من نوع "أودي" أهديت لوزير جزائري مرموق، وقيل هنا أنه أودعها في حظيرة الوزارة ولم يستعملها، وكثيرون لا يعرفون حجم الأوراق الخضراء التي بعثرت على أفارقة كثيرين وكانت كافية لتكلّ عين الرضا وليسكت لسان التساؤل والشك، ولنسمع قادة ثوريين ومناضلين ملتزمين يكيلون للرجل قناطير الثناء.

واعترف هنا أن ممن كدت أفقد تعاطفي معهم السيد "أردوغان"، رئيس الوزراء التركي، الذي بدت عروضه للوساطة مائعة بشكل يتناقض مع الخشونة المعروفة عن الأتراك، وخصوصا عندما تردد فيما بعد أن هناك استثمارات تركية في ليبيا بعشرة ملايير دولار، وبأن تركيا حصلت من نظام القذافي، قبل الأحداث، على حقوق تنفيذ استثمارات في البُنى التحتية خلال العشر سنوات المقبلة بنحو 37 مليار يورو[174].

لكن الأكثر أهمية في موقف أردوغان، حتى لو صحت تلك المعلومات التي أوردتها كاتبة مشرقية، جاء بعد عدّة أسابيع من التروّي، إذا قال في 3 مايو بأنه حاول إقناع العقيد بتغيير موقفه ولكنه لم يستمع، ثم استقبل رئيس الوزراء التركي في أواخر الشهر رئيس المجلس الليبي الانتقالي مؤكدا دعمه للثوار، ومتمسكا بأن الحل حل سياسي يتلخص في تنحّي العقيد، واعترفُ بأن هذا موقف كنت أتمنى أن تتخذه أقوى الدول المجاورة لليبيا غربا، وليس سليل الإمبراطورية العثمانية، البعيد بآلاف الكيلومترات عند مضيق البوسفور.

وخلال كل هذه التطورات كان السؤال الذي يطرح نفسه: أين الشعب في كل هذا؟

ونجد هنا أن الشعوب كلها تتشابه، فهي ترتفع إلى القمة إذا وجدت من يقودها إلى القمة، وهي تقع في فخ "عُصاب الحشود" عندما يُفرض عليها ذلك بعمل طويل النفس يقوم به الإعلام الموجه المرتزق، الذي تحميه قوات أمن لا ترحم صغيرا ولا كبيرا، إن لم أقل أنها هي التي توجهه وتحدد إيقاع حركته.

ولا أحد يُمكن أن يلوم الجماهير العربية النبيلة في ليبيا، فهي جموع ورثت أمجاد الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي واستنسخت فضائل المجتمع القبلي، ومن جهة أخرى عانت ويلات الحرب العالمية الثانية ثم قاست من محدودية الدخل القومي في مرحلة ما قبل النفط ومع ذلك فهي لم تتردد في دعم كل القضايا العربية والإسلامية، من فلسطين إلى الجزائر، وهي، كالجماهير في كل مكان، تعتز ببلادها وتفخر بوطنها وترى أن من حقها أن تتباهى بزعيمها عندما يقال لها أنه يرتفع بها نحو الذرى، وتتضاءل أمامه هامات الزعماء في الشرق والغرب، ويتسارع الكبار والصغار، على اختلاف مراتبهم إلى تمجيده، وكما تبين ذلك كل قنوات الجماهيرية وصحفها.

وشيئا فشيئا، وعبر نحو أربعة عقود، ذاب الوطن في القائد، وتحول حب الوطن عند "الغاشي" إلى شوفينية جديدة محورها الزعيم الأوحد والقائد الذي لا يشق له غبار، وتجسد الوطن، تاريخا ووجودا ومستقبلا وإرادة،

---

[173] - ولدت فكرة إعداد أفلام ثلاثة عن حياة كل من الأمير عبد القادر والأمير عبد الكريم الخطابي والمجاهد عمر المختار في أروقة رئاسة الجمهورية الجزائرية. ولم يتوقف الأشقاء في ليبيا عند ضرورة اختيار ممثل ليبي لأداء دور عمر المختار، كما حدث عندنا بالنسبة لفيلم الأمير، الذي كنت أرى أننا لا نملك ممثلا يمكن أن يقوم بدوره، وهكذا سبقتنا ليبيا بينما أجهضت فكرة الخطابي مغربيا.

[174] - صحيفة الحياة اللندنية 30 مارس 2011 ، وأذكر بملاحظتي عن استعمال المشارقة لكلمة "يورو" بدلا من "أورو".

في فرد واحد، وستكون هذه المشاعر طوق الحماية الأساسي لزعيم ليس له بديل، كما اقتنع الجميع، إلا... الفراغ والضياع وتفتت البلاد، كما قال ابن العقيد يوما[175].

وكان من المنطقي طبعا ألا يلقي العقيد بالا لتعبير مناضل إفريقي حقيقي، هو "نلسون مانديلا"، الذي قال عندما طلب منه أن يعيد ترشيح نفسه لرئاسة الدولة : لست شخصا لا يمكن الاستغناء عنه.

ويتزايد الفخر عند البسطاء عندما يحمل البلد صفة "العظمى"، التي أضافها العقيد بعد هجوم ريغان في 1986 على العزيزية، وكانت صفة "العظمى" تقليدا لبريطانيا (GB) التي توصف بالعظمى، وهو خطأ لغوي، لأن ترجمة (Great) هو الكبرى وليس العظمى، والمهم، من الذي يكره الانتماء لبلد صفته ...العظمى؟.

وكان أخطر ما في الأمر، وبفعل العزلة شبه الكاملة عن العالم الخارجي أو الحصار الذي لم يترك أمام الجماهير إلا منتجعات في بلدان مجاورة في حاجة للسياحة الليبية، ونتيجة للتبعية الكاملة للإعلام الموجه ولعمليات غسيل المخ المتتالية، نجد أن تلك الشوفينية تحولت إلى مشاعر إقصائية متعالية وانعزالية، تشبه تديّن متعصبي السيخ، أو تستعيد أساليب "الحشاشين" في عهد الحسن الصباح وممارساتهم، ويصبح الشباب المتحمس مريدين متعصبين إلى حد العبادة لشخص الزعيم، الذي يتعاملون معه كشيخ الطريقة مطلق الأحكام، أو كالرائد الديني (Gouro) الذي لا يُرَدّ له قول عند الفصائل الدينية المتشددة (Sectes) وهكذا يتحول الشباب، بفعل عُصاب الحشود، إلى ببغاوات تردد شعارات حماسية بشكل الي وايقاعي، يزيد هو نفسه من حُمّى العُصاب[176].

ويقول ابن ال...عقيد حرفيا في حواره مع واشنطون بوست عن أحاديثه مع الليبيين : كنت أتحدث عن الدستور والحرية والديموقراطية وكان كل فردِ هنا في ليبيا يضحك عليّ ويقول بأن الديموقراطية ليست أولوية ...نحن نريد السلام والأمن والطعام والشراب.

كانت تلك هي الصورة التي يعطيها سيف الإسلام وعملاؤه عن المثقفين من شعبه.

وغطت على صورة الشعب المناضل الكريم والعفيف تجمعاتٌ متشنجة من السوقة والدهماء، أصبحت تتمايل راقصة على صوت الزعيم وهو يقول، في بذاءة لا تقبل من قائد أمة : "طز" في أمريكا، وتستزيده صارخة في شبق عجيب ردا على سؤاله لهم : أنقولها ؟، فيصرخون ...قولها يا عقيد.

ولم يكن غريبا أن تكون مفردة "طز" (وهي تركية الأصل وتعني الاستهانة) بندا في قاموس الأسرة.

ويكتب بسام بدارين قائلا[177]: أثارتني لقطة محددة وردت على شاشة تلفزيون 'العربية' في الليلة التي قرر فيها نجل العقيد سيف الإسلام أنه ما زال على قيد الحياة ولم يعتقل واللقطة تتعلق بامرأة واحدة سوداء البشرة

---

[175] - يقول طلحة جبريل (الأخبار 27 مارس 2011) حتى يمكن فهم أسلوب " القذافي" جيداً، بل حتى شخصيته، لابد من العودة إلى الطريقة التي تعامل بها مع زملائه السابقين في "مجلس قيادة الثورة"، وهي طرق تراوحت بين التهميش، إلى حد أن ثلاثة من الذين بقوا معه، لم يكن لهم من دور داخلياً وخارجياً سوى "جانب بروتوكولي" متواضع اقتصر على استقبال ضيوف العقيد في المطار، أو حمل رسائل في بعض الأحيان إلى قادة دول آخرين، دون حتى مناقشتها، ووصلت العلاقة مع آخرين إلى حد التصفية الجسدية.

[176] - احتار المناوئون لنظام القذافي في تفسير الحماس منقطع النظير، الذي يظهره آلاف الليبيين صغار السن من تأييد وتعاطف مع نظام بات غيرهم في مختلف المدن الليبية يطالبونه بالتنحي والتخلي عن السلطة كما فعل سابقا الرئيسان السابقان التونسي والمصري. وفي طرابلس ثمة من يهمس عبر الهاتف بأن من هم في ميدان الساحة الخضراء تم جمعهم من الملاجئ الكثيرة المنتشرة في المدينة، بالإضافة إلى خريجين حديثي العهد بمؤسسات الإصلاح والتأهيل للأحداث في محاولة من السلطات الليبية لإظهار أن القذافي ما زال يتمتع بولاء سكان العاصمة طرابلس) وقال أحد سكان طرابلس :هؤلاء ليسوا ليبيين بالكامل، إذا دققت في ملامحهم ستكتشف أنهم ليسوا من أهل هذا البلد. لقد استقدمهم القذافي من الخارج، هو، منذ سنوات، دأب على جلب أطفال غير معروفي النسب ويشرف على تنشئتهم بدعوى العمل الخيري، في الحقيقة هؤلاء هم دروعه البشرية. وأضاف: "إذا اقتربت منهم ستجدهم يتحدثون بلهجة غير ليبية، هذا مؤكد. النظام يضمن ولاء هؤلاء أكثر من الشعب الأصلي". ومع ذلك، قال أحد سكان حي فشلوم في طرابلس : نعلم جيدا أن القذافي يستعين بخارجين عن القانون.. إنه يستعين بالأحداث في قضايا سرقات ومخدرات وأفرج عنهم وأطلقهم وسلحهم على الرغم من أن عليهم أحكاما قضائية، وأضاف المواطن، الذي اكتفى بذكر اسمه الأول (محمد) خشية تعرضه للانتقام على الرغم من أنه كان يتحدث عبر هاتف متصل بالأقمار الصناعية: هؤلاء عليهم أحكام (قضائية) وبالتالي إذا أفرج (القذافي) عنهم فولاؤهم حتما سيكون له، خاصة إذا أعطاهم المال وتغافل عن سوء سلوكهم الأخلاقي». وتحدث عن تسليح الشباب وتدريبهم على استخدام السلاح لمساعدة القوات الأمنية الموالية للقذافي مقابل أجر يومي، وقال: هؤلاء يحصلون على حصة تموينية من المخدرات (وهو ما اتهم به العقيد مناوئيه) وبعض المال. النظام يريد أن يضمن ولاءهم، لذلك يغدق عليهم الكثير. (خالد محمود وعمرو أحمد - الشرق الأوسط 18 أبريل 2011)

[177] - القدس العربي 30 أغسطس.

وقفت ترقص بجنون وسط عدد محدود من رجال سيف الإسلام القذافي وهي تقول بهستيريا: الله .. معمر .. ليبيا وبس، وسر دهشتي أن هذه المرأة كانت وحيدة تماما وسط الرجال تتقافز بفرح وهوس حتى دون أن ينتبه لها أحد، فهي تظهر في زاوية الكاميرا.. لماذا تفعل ذلك خصوصا بعدما سقط النظام ؟.. وكيف تمكن نجل القذافي أو أعوانه من تجنيدها لهذه المهمة ؟.(ما لم يلاحظه الكاتب هو أن المرأة كانت تحمل صورة للعقيد وعليها تاريخ اليوم، أي 23 أغسطس، وواضح أنه طلب منها أن تكون هناك وترفع اللوحة أمام كاميرات التلفزة لسبب واضح)

السؤال الأهم : من أين يأتي الديكتاتوريون العرب بكل هؤلاء ممن يرقصون على الجراح ويخرجون للساحات للتغني بهم؟ (..) وأقل ما يفترضه المرء عن مشاهدة لقطة من هذا النوع هو أن هذه المرأة هي خالة القذافي أو حماة سيف الإسلام بمعنى أنها من {عظام الرقبة} ولها مصلحة بترديد الشعار البائس الذي {يؤله} القذافي أو يضعه بمرتبة تالية بعد الله وقبل ليبيا الوطن، لكن سحنة المرأة 'وكشة' شعرها وملابسها الفوضوية توحي بأنها ليست من العائلة الكريمة.

هؤلاء وأمثالهم للأسف يضعون الزعيم دوما بعد الله مباشرة في هتافاتهم وقبل الوطن وهي خصلة تتميز بها زعاماتنا العربية والقيادات الدكتاتورية ولا يحظى بها أمثال "ساركوزي" ولا "أوباما" المنحدر من أصول افريقية ولا حتى تشرشل في زمانه، حيث تكتفي شعوب العالم المتحضر برفع علم أو لافتة صغيرة والوقوف بصمت لتأييد حملة انتخابية عامة بينما تجتاح الهستيريا شوارعنا وينفلق البعض في الشارع وهم يتراكضون ويصرخون لتنكير المُشاهد بالمصيبة القائمة أقصد الزعيم.انتهى.

وترسخت في وجدان الشارع أسطورة الجنس السيد المتفوق في عالم لا يعرف إلا العبيد والمرتزقة والخانعين، وكان هو الكتلة البارزة للتظاهرات التي رأينا منها الكثير، وضمت أحيانا نسوة محجبات منقبات كدن يلتهمن، على ما رأينا، مراسل إحدى الفضائيات، وزعم البعض أن بعض ممن كنّ يصرخن مناديات بحياة الزعيم نسوة من نوع يرتزق من ممارسات أفقية، أمزن أو دفع لهن أجر المشاركة هذه المرة في أوضاع رأسية لتأكيد مشاركة ذوات العفاف وربات الخدور في تمجيد الزعيم، وهو ما لا أستطيع تأكيده، وربما كان جل المتظاهرات من حرس القذافي المشهور وأقاربهن وبعض المرتزقات من سذج الجماهير، كلفن بمهمة فقمن بأدائها، ومما أستدل به على ذلك أننا لم نر صور الحارسات الفاتنات على الإطلاق في كل ما تم بثه عن الوضع في ليبيا من لقطات بعد فبراير أو كل من رأيناهم حول العقيد في خطبه وتحركاته.

ويقول خوان غويتيسيلو : حدثني دبلوماسي إسباني كان قنصلاً في طرابلس عن طرفة لها دلالتها البالغة بشأن "جنة عدن" القذافي، فقد جرى استدعاؤه ذات يوم إلى مركز الشرطة الرئيسي بالمدينة وقيل له بأن أحد المواطنين الأسبان حاول اغتصاب امرأة ليبية، وعندما حضر إلى المكان وقرءوا عليه نص محضر الاتهام، انتابت القنصل الحيرة، فقد تمت محاولة الاغتصاب في وضح النهار في وسط الميدان الأخضر، وإذا ما أخذنا في الاعتبار الأعداد الكبيرة التي تفد إلى هذا المكان يوميا فإن الاتهام غير ممكن، وبعد الكثير من تداول المستندات والاحتجاجات تمكن من الوصول إلى الزنزانة التي بها المتهم، الذي هو أحد البحارة في طاقم مركب كان يقف للتزود بالوقود في طرابلس، واعترف للقنصل بالجريمة: "لقد غمزت لها بحاجبي"، وهنا نجد أن تلك المرأة المعتدى عليها كانت من أفراد الحرس الشخصي للزعيم الأكبر، وبالتالي فهي تنسب إلى القيادات الكبرى، وانتهت المفاوضات الخاصة بالإفراج عن المتهم بشكل غريب، فطبقًا لمحامي الدفاع، كان على المتهم أن يعترف بأنه شاذ جنسيًا، وبذلك فإن ما فعله نحو الحارسة الشخصية لم يكن يقصد منه أي غرض جنسي. كان البحّار يلعن حظه النكد، ووقع على الورقة التي يراها شائنة له لأنها تعتبره شاذا، وأطلق سراحه[178].انتهى

[178] - (الكاتب الإسباني خوان غويتيسيلو – Juan GOYTISILO ترجمة مجلة وجهات نظر – أعداد الثورة – يونيو 2011.)
ويقول علاء الأسواني عن الأديب أنه في عام 2007 وبغرض تجميل وجه النظام الليبي أمام العالم تم تنظيم جائزة أدبية عالمية سنوية، بقيمة حوالي مليون جنيه مصري، باسم جائزة القذافي لحقوق الإنسان، وتم تشكيل لجنة من مثقفين عرب كبار لاختيار كاتب عالمي لمنحه الجائزة كل عام، وقررت اللجنة منح الجائزة للكاتب الإسباني الكبير خوان جويتيسولو البالغ من العمر 78عاماً، ثم كانت المفاجأة: فقد أرسل جويتيسولو خطاباً إلى أعضاء اللجنة يشكرهم فيه على اختياره للفوز بالجائزة، لكنه أكد في نفس الوقت أنه لا يستطيع، أخلاقياً، أن يتسلم جائزة لحقوق الإنسان من نظام القذافي الذي استولى على الحكم في بلاده بانقلاب عسكري ونكل، اعتقالاً وتعذيباً، بالآلاف من معارضيه .
هذه صورة عن الكاتب الذي رفض جائزة بحوالي مليون جنيه مصري لأنها لا تتفق مع ضميره الأخلاقي.

(4)

أغلبية ساحقة في الوطن العربي أحبت القذافي في البداية لأنها رأت فيه صورة متجددة للرئيس جمال عبد الناصر، الضابط العظيم الذي قاتل اليهود في إسرائيل وأصبح مدرسا في كلية أركان الحرب ثم قام بثورة حقيقية بيضاء بدأها بانقلاب عسكري عادي ثم طورها لتصبح أملا للملايين.

*

كانت مشكلتي مع العقيد أنني كنت أحب هذا الرجل الذي ظهر في المشرق العربي مع نهاية الستينيات كشمس وطنية بازغة في ظلام نكسة 1967، فأعطت أملا جديدا للأمة التي كانت تلعق جراحها وتبحث عن بصيص أمل في النفق الطويل الذي وجدت نفسها فيه إثر أحداث ما زالت في الوجدان.

ولم يكن لدينا في واقع الأمر أي مأخذ على نظام الملك إدريس السنوسي، حيث كانت ليبيا وقتها رفيقا عزيزا للمسيرة الجزائرية الطويلة، كما سيأتي فيما بعد، ومن هنا لم ننسجم كثيرا مع تعبيرات استعملها النظام الجديد من نوع : النظام البائد والملك الفاسد وما شابه ذلك من أدبيات مستنسخة عن الثورة المصرية.

وكان الإحساس الغالب في الجزائر أن مجموعة الضباط الأحرار الليبيين هي مشرقية الهوى، ويؤكد اللواء عمر الحريري بأن الثورة قامت لمحاكاة ثورة عبد الناصر، وهو أمر صحيح لدرجة أن النظام الجديد استعمل تعبير الضباط الأحرار، وحاول تقليد مصر في كل شيء حتى لون سيارات التاكسي الليبية، التي أخذت نفس اللون الأبيض والأزرق لتاكسيات القاهرة، ناهيك عن استعمال نسر صلاح الدين ثم صقر قريش كشعار للدولة، وكذلك الرتب العسكرية وبرامج التلفزة والإذاعة.

وكنت، في بدايات علاقاتي مع نظام العقيد القذافي، ممن يعجبون بعدد من الشعارات المرفوعة عبر شوارع المدن الليبية، وبغض النظر عما قيل لي من أن بعضها هو من صياغة بعض المثقفين العرب الذين نجح العقيد في استقطابهم حوله، ولم يكن ذلك عيبا بأي حال من الأحوال.

وكان من تلك الشعارات الرائعة كلمات تقول: لا استقلال لشعب يأكل من وراء البحر.

وكانت هناك شعارات أخرى يمكن أن تكون موضع نقاش مثل شعار: من تحزب خان، والذي أريدَ له أن يُفهم كموقف ضد تكوين الأحزاب في حين أن معناه الأصلي رفض التعصب لحزب معين، وكذلك شعار: التمثيل تدجيل، وهو رفض منطق النيابة عن الشعب، والذي كان إعدادا لمشروع الجماهيرية.

غير أن الإعجاب ببعض الشعارات كان يصطدم بنوع من تعصب الرفقاء الليبيين لكل الشعارات التي يرفعها العقيد، بدون تفكير أو تحليل، ولعل ما يؤكد ذلك شعار أخر يقول : "في الحاجة تكمن الحرية"، والذي كنت أرى أنه يجب أن يكون : "في الحاجة تكون العبودية"، حيث أن حاجة الإنسان لأمر ما تجعل منه عبدا له، والتدخين مثل لذلك، وحدث أنني ناقشت مطولا الرائد عبد السلام جلود حول هذا الشعار ولكنه كان متمسكا بالصيغة التي وضعها العقيد، وكان ممن تابعوا النقاش العقيد قاصدي مرباح، الذي بدا كمن يحاول تحليل شخصية الرائد الليبي عبر حواره معي، وأحسست يومها بقوة التبعية التي ربطت جلود بالأخ القائد، طبقا للتعبير المألوف.

وواقع الأمر أن ذلك العناد كان يعكس حجما من التعالي أصبح فيما بعد صفة مميزة لتعامل القيادات الليبية مع الجميع، وأذكر أنني كنت يوما أشترك مع عبد السلام جلود وعبد العزيز بو تفليقة في كتابة بلاغ مشترك

إثر زيارة قمنا بها إلى ليبيا، وكتبت أنا النص الأولي، وتمسكت بتعبير معين رأيته مناسبا أكثر للهدف المقصود فقال لي جلود بفظاظة ظاهرة : أتريد أن تعلمني العربية؟[179].

وتدخل بو تفليقة على الفور بديبلوماسيته المتميزة ليقترح تكليف جلود نفسه بكتابة النص، وهو ما حدث فعلا، والغريب أن النص الذي كان يكتبه المسؤول الليبي بهمة واضحة كان من إملاء الوزير الجزائري شخصيا على ضوء المشروع المُعدّ، واكتفيت أنا بالمتابعة وتبادل النظرات مع سي عبد القادر.



بيان مشترك مع بو تفليقة وجلود

وليس من قبيل التجني أن أقول بأن الثقافة السياسية للقيادات الليبية الجديدة في البدايات كانت، في معظمها ومع بعض الاستثناءات المحدودة، ترتكز أساسا على خطب الرئيس المصري، والذي أعطى العقيد معمر القذافي دعما تاريخيا في الخطاب الشهير الذي ألقاه في بنغازي، وقال فيه أنه يرى فيه شبابه ويعتبره الأمين على القومية العربية.

ومن السهل أن نتسرع بالقول أن عبد الناصر يُعتبر المسؤول الأول عن كل ما ارتكبه القذافي، إذا تناسينا أنه كان ضيف العقيد، الذي كان مُعقدا من بعض من كانوا حوله، أو هكذا قدّم الأمر للرئيس الراحل، الذي كانت هزيمة 1967 ما تزال جرحا غائرا في أعماقه، وكان بعض رفاق القذافي أقدم منه عسكريا ولا يتعاملون معه كقائد ملهم كما كان يريد، تقليدا لوضعية عبد الناصر، ويمكن أن نرى في تعبير عبد الناصر عن شبابه

---

179 - أورد الرائد عبد السلام جلود في خطاب ألقاه بمدينة سرت خلال ما عُرف بعيد الوفاء الذي أقيم في الذكرى العشرين للفاتح من سبتمبر أنّ النظام أنفق منذ قيام الانقلاب وحتى ذلك التاريخ ما نسبته 22% من عائدات ليبيا النفطية (أي نحو 44 مليار دولار) على تمويل ودعم ومساندة حركة الثورة العالمية وحركات التحرر، ويبقى أن نتساءل عن هوية تلك الحركات وهل كانت كلها حركات تحرر أم مجموعات تخريب. أما الفريق أبو بكر يونس فقد قال خلال الأزمة الدموية : القذافي خط أحمر دونه الروح (الشرق الأوسط – 18 يونيو) لكن شلقم يقول عن جلود أنه : ربطتني به علاقة قريبة وهو عرف العالم، عكس معمر. سافر وانفتح وجالس وحاذث، ينفعل ويغضب لكن قلبه أبيض لا يحقد. كنت أصطدم به ويحبني.. وهو اتخذ موقفاً ولم يُهمّش، هو الوحيد الذي يصرخ في وجه القذافي ويقول رأيه. في بداية التسعينات اتخذ موقفاً. هو يتكلم وينتقد ولا يرضى الخطأ وهو رجل دولة. وكل محاولات التطوير والتنمية والنهضة الاقتصادية التي جرت في السبعينات الفضل فيها لجلود، فهو شخص لا يقبل الفساد. وعندما رأى أن الأولاد بدءوا يتدخلون انسحب باحترام، وفي مؤتمر في بنغازي قال للأخ معمر أنت غلطان. كان يريد تنمية ويريد إسكاناً. وقلتها مرة في محاضرة وأنا وزير للخارجية دافعت عن عبد جلود فالناس اعتبرتني مجنوناً وكتب في الصحف الليبية: شلقم يدافع عن جلود.

ويقول شلقم عن أبو بكر يونس (الحياة 20 يوليو) أنه كان نظيفاً لكن أولاده ورطوه وتورط في الفساد وورط معمر في مستنقع الفساد، وهو الآن من أكبر الفاسدين في ليبيا وأولاده جنوا الملايين، إنه الآن يصفق للدم. انحاز إلى القذافي ويدافع عن القتل للأسف. كان رجلاً طيباً ونظيفاً وقومياً لكن الآن نعتبره مجرماً ومطلوباً لدى الإنتربول وسيجد نفسه أمام محكمة الجنايات. أبو بكر مجرم ومن قتلة الشعب الليبي. كيف تنحاز لشخص ضد شعبك؟

نسخة بالغة التهذيب من تعبير الرئيس بو رقيبة في "البالماريوم"، عندما قال للعقيد ما معناه أنه لم يكن قد وُلد بعد عندما كان المجاهد الأكبر، كما كان يُحب أن يُسمى، يصول ويجول ويُسجن ويُنفى[180].

لكن علينا الاعتراف أيضا بأن أغلبية ساحقة في الوطن العربي أحبت القذافي في البداية لأنها رأت فيه صورة متجددة للرئيس عبد الناصر، الضابط العظيم الذي قاتل اليهود في إسرائيل وأصبح مدرسا في كلية أركان الحرب ثم قام بثورة حقيقية بيضاء بدأها بانقلاب عسكري عادي ثم طورها لتصبح أملا للملايين، وعندما مات كان كثيرون في الوطن العربي يأملون في أن يجدوا في القذافي جزءا من الزعيم الراحل، لكن العقيد كان يفتقد الكثير من معالم شخصية عبد الناصر، إن لم أقل أنه كان لا يملك أهمها[181].

---

[180] - كانت العلاقات مع يوغوسلافيا من بين ما ورثه العقيد عن عبد الناصر، وتورد صحيفة الفجر الجزائرية (الأربعاء23 مارس 2011) بأن زيارات عبد الناصر ليوغوسلافيا التيتوية ساهمت في انفتاح تيتو على المسلمين هناك، وهناك جيل من مسلمي يوغسلافيا يحمل العديد من أفراده ممن ولدوا بين 1956 و 1970 اسم "ناصر". وقد تكرّر هذا الأمر مع القذافي بعد وفاة عبد الناصر، حيث أخذ يتردد على يوغسلافيا ويستثير مشاعر المسلمين هناك، حتى دخل اسم "معمر" لأول مرة في قاموس أسماء المسلمين هناك، وإلى هذا الجيل مثلا ينتمي رئيس "المشيخة" الإسلامية في صربيا الشيخ معمّر زوكورليتش، وكانت للقذافي مكانة خاصة بين مسلمي البوسنة، تعززت، بعد وفاة تيتو، مع د. حارث سيلايجيتش، الذي درس في ليبيا ويتحدث العربية بلكنتها، وبرز كوزير للخارجية ثم كرئيس للحكومة البوسنوية، ولكن القذافي فاجأ "الأصدقاء" بأن تخلى عنهم ومال إلى الطرف الآخر (الصربي) خلال حروب يوغسلافيا. وفي الحقيقة كان ميل القذافي للطرف الذي يرتبط معه بمصالح أكثر، فقد كانت هناك علاقات وثيقة (عسكرية وأمنية) لنظام القذافي مع نظام سلوبودان ميلوسيفيتش، كما كانت الشركات الصربية قد شبكت مصالح مع حاشية القذافي (وهناك إشاعات كثيرة تقول بأن معظم قناصة القذافي هم من مرتزقة الصرب). وكان القذافي منفتحا على الجيل الجديد من رجال الأعمال الذين أرادوا أن يرثوا تيتو في رئاسة البلاد، ومن هؤلاء رجل الأعمال الكوسوفي بهجت باتسولي، الذي كوّن ثروة كبيرة في روسيا خلال عهد إيلتسين بفضل علاقته مع "العائلة"، ومن خلال وجوده في روسيا وانتقاله إلى سويسرا حيث حصل على الجنسية السويسرية وحرية الحركة، وأقام علاقات جديدة مع بعض حكام "العالم الثالث" ومن هؤلاء القذافي، وقد كانت. وفي هذا السياق نشرت جريدة "الإيكونومست" البريطانية (26-2-2011) مقالا عن العلاقة بين القذافي وباتسولي الذي عاد إلى كوسوفو بعد غياب طويل ليؤسس حزبا يدخل به الحياة السياسية. وبعد إعلان استقلال كوسوفو في 2008 وجمود الاعتراف الدولي بالدولة الكوسوفيّة الجديدة أراد باتسولي أن يستثمر علاقاته مع حكام بعض الدول وأن يثبت نفوذه أمام القوى السياسية الأخرى في كوسوفو، فشكّل وفدا كبيرا لزيارة ليبيا والالتقاء بالقذافي لإقناعه بالاعتراف باستقلال كوسوفو في 2010، وبعد رحلة متعبة عبر الصحراء وصل الوفد الكوسوفي برئاسة باتسولي إلى خيمة القذافي، وفوجئ أعضاء الوفد حين وصلوا بطلب من القذافي أن يغنوا ويرقصوا أمامه، ثم فاجأهم بالقول إنه لن يعترف باستقلال كوسوفو لأن زعماءها على علاقة وثيقة مع واشنطن! وهكذا عاد باتسولي إلى كوسوفو مصابا بخيبة من صديقه بعد أن تحولت زيارة الوفد الكوسوفي إلى خيمة القذافي إلى فضيحة بسبب ما صاحبها من رقص وغناء كوسوفي لم يفد القوم بشيء.

[181] - يقول الدكتور فتحي الفاضلي، والعهدة فيما أنقله هنا هي عليه، وأنا على استعداد لكل تصويب أو تعديل موثق:

بدأت بوادر خلافات تظهر على السطح، مبكرا، بين مجموعة آدم الحواز (وزير الدفاع) والمجموعات الأخرى، وكان من مظاهر هذا الصراع استثناء وزير الدفاع ووزير الداخلية من عضوية مجلس قيادة الثورة، بالرغم مما قاموا به لإنجاح الانقلاب، بالإضافة إلى تسرب أخبار عن تشكيل وزارة جديدة، لن يكون الحواز من ضمنها، كما سيعفى موسى من مهام وزير الداخلية، ويعين وزيرا للزراعة. كما أن مجموعة الحواز، وضباط غيرهم كثيرون، من مختلف قطاعات القوات المسلحة الليبية، بدءوا يتحدثون عن "شكل النظام"، وعن "الرئيس"، و"الحكومة"، و"السيادة"، و"السلطة"، و"الشرعية"، و"الدولة"، وغير ذلك من أمور، تمس قوة وسلطة ومكانة معمر ومجموعته، التي تمثلت في أعضاء مجلس قيادة الثورة. بل إن الإعلان عن تشكيل مجلس قيادة الثورة، جاء ليقطع الطريق، أمام الخوض في مثل تلك الأمور. وبيت القصيد، أن الحواز ومجموعته، بدءوا يشكون في نية المجموعة الأخرى، وأكاد اجزم أن المخابرات المصرية قامت بتوسيع رقعة هذا الصراع، وربما أيضا غرس بذرته الأولى وصناعته. فقد رأت أن استمرار الحواز وموسى ومجموعتهم في مواقع القوة، لن تصب في صالح مصر، وأن قوى أخرى، قد تدعمهم لصالحها، وأن دعم مصر لمجموعة معمر، سيكفل مصالح مصر، لذلك نشط صلاح السعدني (أول سفير لمصر في ليبيا في العهد العسكري) وفتحي الديب (من المخابرات المصرية)، وكان ضمن أول وفد مصري يزور ليبيا، مع محمد حسنين هيكل، ولم يغادر الديب ليبيا إلا بعد أن خربها، حيث اتخذه معمر، في البداية مستشارا له. ونشطت المخابرات المصرية في تجميع وربط بل وتلفيق أو تضخيم، ما تيسر من معلومات عن "انقلاب مضاد للثورة" وعن "سرقة الثورة" و"انقلاب ضد الانقلاب" و"مؤامرة ضد الثورة"، و"قتل معمر"، و"محاكمة معمر"، و"الخيانة والتآمر"، و"عرقلة مسيرة الثورة"، وغير ذلك من مصطلحات، امتلأت بها أدراج المخابرات. بل حتى الهتافات والمظاهرات التي انطلقت في ليبيا، بعد المحاكمة الأولى بالذات، والتي أصدرت أحكاما خفيفة نسبيا على المتهمين، تلك الهتافات لم تكن من ثقافتنا أو أخلاقنا أو عاداتنا (في ذلك الوقت على الأقل)، لقد كانت الهتافات دخيلة علينا، وعلى تاريخ الشعب الليبي، وثقافته وعاداته وتقاليده. كانت تلك الهتافات تقول "الشعب يطالب بالإعدام". شعبنا كان لا يعرف هذه الهتافات القذرة، خاصة وان المتهمين لم يقتلوا أو يؤذوا احد. هي من صنع مخابرات أخرى. بل اذكر جيدا عندما كنت طالبا في مدرسة شهداء يناير أن المدرسة خرجت برمتها، طلبة وأساتذة، في مسيرة تأييد، لا اذكر بالتحديد مناسبتها، وكان احد المدرسين المصريين، محمولا على الأعناق، ويصيح بأعلى صوته، والرذاذ يتطاير من فمه، وهو يتمايل يمينا ويسارا، وكأنه في "حفلة زار"، أو "حضرة"، ويهتف قائلا:"الشعب.. الشعب.. الشعب.. الشعب"، (أربع مرات) وكنا نردد ورائه، بدون وعي، أربع مرات ثم يهتف بتجلٍ، "الحرية.. الحرية" ونردد بعده "الحرية.. الحرية"، فهلك، منذ ذلك اليوم، الشعب، وضاعت الدولة، وضاعت الحرية. وهكذا كانت أثمن هدية تقدمها المخابرات المصرية،

ولعلي أوضح ثانية بأن ما أقوله هو أبعد ما يكون عن التشفي في الرجل الذي كان رقما رئيسيا في معادلة العمل العربي عبر أكثر من أربعة عقود، وكان في بدايته رمزا لكل ما هو نبيل في هذه الأمة، لكننا بدأنا نكتشف شيئا فشيئا أن الرجل مُصابٌ بجنون العظمة، وأعطاه القدر فرصة التحكم في أسلحة فتاكة، كان أخطرها سلاح المال الوفير وكان ثانيها سلاح الدهاء وثالثها سلاح الصبر ورابعها مزيج الغدر والكذب والخداع وأهمها الضعف الإنساني لدى جلّ من تعامل معهم، وخصوصا من المثقفين ورجال الرأي.

والسؤال الذي قد يتبادر إلى ذهن القارئ: لماذا لم أقل كل هذا قبل اليوم؟ وهو سؤال وجيه، والإجابة النزيهة سهلة، فكثير من ذلك لم أكن أعرفه، وكثير مما كنت أعرفه لم أكن أجرؤ على قوله التزاما بموقف مسؤول الدولة، وبعضه موجود بشكل ما في كتاباتي.

لكن المثقف الذي تابع مواقفي وكتاباتي عبر نحو أربعة عقود سيتذكر أنه قرأ الكثير مما يرد في هذا الكتاب عبر مقالات كانت نشرت هنا وهناك، وبعضها كان جزءا من كتب طبعت أكثر من مرة، وليس ذنبي أن قارئا ما لم يستطع العثور عليها أو متابعتها.

ويبقى أن السؤال الأهم الذي يقف وراء هذا الكتاب ويلح على الكاتب والقارئ كألم الأضراس هو: كيف استطاع العقيد أن يظل على رأس السلطة أكثر من أربعة عقود؟

والإجابة عليه بالغة السهولة، فأمثال العقيد، والذي سبق أن قدمت صورة شبه متكاملة عن شخصيته، يجدون على الساحة الدولية مكاتب علاقات عامة متخصصة في تلميع صور الزعماء وتسويق نفوذهم السياسي، وهذه المكاتب مرتبطة بأهم مركزين للنفوذ في العالم، مؤسسة المخابرات في الدول الاستعمارية والمؤسسات المالية في الشركات العابرة للقارات بالإضافة إلى مؤسسات للمرتزقة من بقايا الحروب الجهوية ونفايات الكتلة الاشتراكية، وللإسرائيليين باع كبير في ذلك المجال.

ولأنه يملك المال ولا يعاني من أي مراقبة على استعماله يبدو أنه يمتلك قوة خرافية.

ويقول غسان شربل (رئيس تحرير "الحياة") إثر حديثه مع عبد الرحمن شلقم : من التسرع الاستنتاج أن معمر القذافي رجل ساذج، الرجل الساذج لا يستطيع أن يقيم عقوداً في السلطة، يمكن القول أنه مناور بارع في لعبة الاحتفاظ بالحكم، فرض "الكتاب الأخضر" على شعبه وكأنه الإجابات النهائية عن كل الأسئلة قديمها وجديدها، ذوّب الجيش الذي توكأ عليه للوصول إلى السلطة، ثم وزع الكتائب الأمنية على الأبناء والأصهار، رجل غريب يعتبر المواعيد الرسمية قيوداً (..) أفراد عائلة "القائد" يتصرفون (كما يريدون) ولا يجرؤ أي مسؤول على وقفهم أو لفت نظرهم.

ويفصل شلقم ذلك قائلا : لا تستطيع أن تصلح إطلاقا وزوجة هنيبعل (ابن القذافي) اللبنانية ترسل طائرة "إيرباص" من طرابلس إلى بيروت لإحضار كلب، من يستطيع أن يقول لها لا؟. من يستطيع أن يقول لعائشة ابنة معمر القذافي ألا تأخذ طائرتين لتذهب إلى بريطانيا لتلد هناك أو لتقيم حفلات، هل يستطيع أحد؟ من يستطيع أن يقول لمعتصم معمر القذافي ألا يصرف في سهرة واحدة أربعة ملايين دولار على المطربات (خارج ليبيا)؟ من يستطيع أن يقول لسيف الإسلام لا تصرف كذا مليون في عيد ميلادك في البندقية أو في سردينيا أو في الكاريبي؟ من يستطيع أن يقول للقذافي لا تبعث وفوداً تحمل حقائب ملأى بالملايين توزعها على هذا وذاك لتمرير قرار هنا لهذه المناسبة أو تلك. انتهى.

ويعلق الكاتب الإسباني "خوان غوتيسيلو" بقوله: يمسك القذافي بكل مقاليد السلطة في بلد بدون دستور أو برلمان أو أحزاب سياسية، وبلغ تألهه درجة لا حدود لها، ولهذا فالمشهد الذي نراه في الأيام الأخيرة والذي يتمثل في خروج عشرات الآلاف من المتظاهرين، مثلما يحدث في إيران، إلى الشارع متحدين رصاص

لمعمر، ولمجلس قيادة الثورة، هي "اكتشاف خيوط مؤامرات خطيرة لسرقة الثورة". لقد بدأ القبض على بعض المتهمين في هذه المحاولة، في الرابع من ديسمبر من عام 1969، (النقيب فرج التومي على سبيل المثال، قبض عليه في طرابلس في الرابع من ديسمبر)، وبعضهم في السابع منه. و كم يحز في النفس، أن الضباط الشجعان الذين ضحوا بكل شيء تقريبا، أرواحهم ومستقبلهم وعائلاتهم وأوطانهم ورتبهم ووظائفهم وأعمالهم، واقتحموا الحدود إثناء الحرب بين مصر وإسرائيل، ليقاتلوا بجانب إخوانهم في العروبة والإسلام، ويدافعوا عن مصر، ويموتوا من اجلها، يحز في النفس، أن هذه النخبة من الأبطال، تشي بها، المخابرات المصرية، نفس مخابرات الدولة التي ذهبوا ليموتوا من اجلها. فهل نسى الذيب، وهو يخط ويضخم وشاياته الكاذبة، عن أبناء بلادنا، ويضرب أبناء ليبيا بعضهم ببعض، هل نسى أن بعض من وشى بهم، ظلما وعدوانا، قاموا يوما باختراق الحدود الليبية ليموتوا من اجل مصر؟ (عن الدكتور الفاضلي - بتحفظ)

البوليس والمرتزقة، إنما يملأ بالثورة والفرحة قلوب الذين يعرفون نظامه القمعي الذي يخدم جنون العظمة.انتهى

وكانت سطوة العقيد الحقيقية ترتكز على جهاز مخابرات كشفت بعض جوانبه وثائق عُثر عليها في مقر الجاز الذي كان يُسيّره عبد الله السنوسي، ولم يكن تهديد معمر القذافي بملاحقة المتمردين على نظامه "بيت بيت، زنقة زنقة"، تهديدا عبثيا بل كان يستند إلى جيش المخبرين والمسلحين الذين كانوا ينتشرون في كل زاوية من زوايا المدن، وخصوصا طرابلس[182].

وفي مكتب في مبنى يقع في شارع البلدية المتفرع من ساحة الشهداء التي كانت تعرف سابقا بالساحة الخضراء، عثر الثوار على حلقة من شبكة التجسس التابعة للنظام السابق، ويقول عبد الكريم قادر وهو احد الثوار لوكالة فرنس برس "هذه كانت غرفة التحكم بكل طرابلس"، مشيرا إلى ثلاث خرائط أخذت من الأقمار الاصطناعية وتحمل تفاصيل اصغر الشوارع في العاصمة وتحدد كل المناطق المهمة فيها.

وتشير المسامير المثبتة على الخرائط إلى المداخل التي يمكن أن يستخدمها المخبرون لدخول الأحياء بحثا عن معارضي النظام.(..) وأضاف قادر إن الصور المأخوذة من كاميرات المراقبة على شاشات عملاقة ساعدت أجهزة الاستخبارات والمخبرين في التعرف على الذين شاركوا في التظاهرات المناهضة للنظام، وقال قادر "الوشاية كانت تطال كل منزل، ونظام القذافي كان يعرف كل من يسكن في كل منزل، ومن معه ومن ضده.

ويتحدث قادر على سبيل المثال عن حي سوق الجمعة في جنوب طرابلس ويوضح أن "هذا الحي الصغير كانت فيه خمسة حواجز ثابتة و14 حاجزا متحركا و170 رجلا مسلحا و90 عنصر دعم جاهزين للتحرك والانقضاض على المعارضة، وفي مكتب شارع البلدية، تحمل عشرات الملفات أسماء العملاء وغالبيتهم يملكون أسلحة، ويتبعون 15 مركزا امنيا ووزارة الداخلية والخارجية وأجهزة الاستخبارات والأمن الوطني والشرطة العسكرية وقوات طرابلس والمجالس الثورية، وكان هناك على الأقل 500 مخبر صغير بينهم سائقو سيارات الأجرة الذين كانوا يعملون في مركز المدينة خلال فترة نظام القذافي.

من جهة أخرى، نجد على المستوى المحلي عددا لا بأس به من خبراء "**الخياطة**" ممن برعوا في إعداد الأزياء الدستورية والقانونية التي تسهل للرئيس تمرير سياسته وتبريرها، ويضاف إلى هؤلاء عدد من علماء السلطان الذين تكاثر عددهم بتكاثر الفضائيات وانهيار مصداقية اليسار العربي نتيجة النكسات المتتالية للوطن العربي التي تواطأ في بعضها العديد من عناصر اليمين العربي، عندما نسي الجميع حكاية الثور الأبيض.

ويقترن هذا طبعا باستبعاد المثقفين الوطنيين، وهم الثروة الحقيقية لأي بلد من البلدان[183].

ودُفعت أموال طائلة لبعض القادة الأفارقة من الدرجة الثانية، وهكذا طلع علينا القذافي بصورة متجددة عن "جان بادل بوكاسا"، الذي نصب نفسه إمبراطورا على إفريقيا الوسطى، وإذا بزبانية العقيد "يشترون" له لقب "ملك ملوك إفريقيا"، في حين أن أهم الإنجازات التي كان يفخر بها هي القضاء على الملكية في ليبيا[184].

---

[182] - القدس العربي 4 سبتمبر عن واف.

[183] - كتب سمير عطا الله في الشرق الأوسط (6 أبريل 2011) : كان الصادق النيهوم رمز الشباب الليبي عندما نشأ معمر القذافي، وكانت كتاباته تسحر الليبيين، ولم يخف العقيد في البداية تأثره بفكره (..) ثم بدأ يتطلع حوله ويرى أسماء لا يطيقها، حتى أسماء مذيعي التلفزة منع وضعها على الشاشة، ويروي عطا الله عن الأديب الليبي الكبير أحمد إبراهيم الفقيه بأنه إذا لمع متحدث سارع العقيد إلى إطفائه، وقبل أشهر قليلة استأجر عدد من أهل بنغازي أحد مطاعم المدينة لإقامة تكريم للصادق النيهوم، أكثر أقلام ليبيا إشراقا، وفي الوقت المحدد للاحتفال دخل المطعم ضابط من كتائب القذافي وأعلن أنه سبق أن حجز الصالة، ولن يسمح لكائن سواه بالدخول.

184 - قبل 30 سنة ساعد القذافي الرئيس الحالي لأوغندا "يوفيري موسيفيني" للوصول إلى الحكم، وتملك ليبيا أو "القائد" مثلما يرى البعض، في أوغندا سلسلة كاملة من المؤسسات الكبيرة بينها "بنك تروبيكال"، "أوتيل فيكتوريا" والشركة النفطية "تام أويل إيست أفريكا" وثلثي أسهم شركة "تيليكوم"، كما يحمل شارع ومسجد في كمبالا اسم القذافي أيضا .)وبام 25 يحبرعلا قورشلاا(مع التذكير أن رئيس تشاد إدريس ديبي مدين للقذافي بالكثير.

واتضح فيما بعد أن الهند، التي استخدمت علاقاتها الدبلوماسية سرا ليكون النظام الليبي موجودا في قمة "الهند افريقيا" الثانية لها في ليبيا مصالح اقتصادية حيث لديها شركات في قطاعات الطاقة والهيدروكربونات، وتشارك شركات نفطية مثل "إنديان أويل" في مشاريع الطاقة، وهناك مشاريع مصرفية مشتركة مع المصرف المركزي الليبي، (براكيتي غوبتا – نيودلهي – عن الشرق الأوسط 3 يونيو) ويقال أن الهند تلقت وعودا هامة من القذافي.



ملك ملوك إفريقيا

وعن مهزلة ملك ملوك إفريقيا يقول شلقم : قال لي مدير مكتب العقيد، بشير صالح، يوما : "صاحبك سيعلن نفسه ملك الملوك"، واستفسرت: ملك ملوك مَنْ؟، أجاب: ملك ملوك أفريقيا (..) إنه جهز تاجاً وأساور وخواتم وسيعلن ذلك اليوم أو غداً وهذه كارثة». قلت: أنا لا أصدق ذلك، دعني أذهب للتحدث إليه، قال لي: لا تحاول ذلك، فقد قال لي أنا رجل غير مسبوق في التاريخ ولم ينصفني أحد، الأفارقة قرروا أن ينصبوني ملكهم وهم أفضل منكم، وسألبس التاج وسأري العالم أنني أنا ملك الملوك، أنا رجل غير مسبوق، قلت لبشير: هل تمزح؟ فوضع كفيه على جبهته وقال: يا أخي هذا ما حصل (..) وفوجئنا أنه فعلاً ظهر (بتلك الهيئة) وهذه كانت صدمة لليبيين وساهمت في انطلاق الثورة ضده لأن الليبيين فقدوا كل أملهم فيه ونظروا إليه أنه أصبح إنساناً غير عادي، إنساناً مريضاً، إنساناً مجنوناً، إنساناً أهبل، شاذاً لجهة لباسه. انتهى

ثم جُمع له قوم من أشباه علماء الدين وزعماء القبائل المنقرضة قام بإمامتهم أمام الكاميرات التي ستنقل ذلك إلى المواطنين الطيبين في ليبيا ليعتزوا بقائدهم الذي أصبح يحمل لقب إمام المسلمين، وأعتقد أن هذه "الكوميديا الإلهية" تم تصويرها في منطقة "أغاديز" في النيجر، وهي نقطة مفصلية مر بها فيما بعد كل الهاربين من ليبيا وعلى رأسهم الساعدي القذافي، ولا أعتقد أن أحدا منهم توقف لأداء الصلاة.

وأضيفت الإمامة إلى الألقاب التي حملها العقيد، وكما قال بنفسه في تدخل متلفز، عميد الحكام العرب.

ويزعم حارسه الخاص، العقيد عبد السلام خلف، في حديث لمراسلة الشروق اليومي، دلولة حديدان، بعد تحرير طرابلس أن القذافي كان يقضي كل يومه مع النساء، واللهو والفسق، وليست له أية هواية أخلاقية يستفاد منها، فلا كرة تنس ولا كرة قدم، ولا مطالعة، لا هواية له إلا حياة المجون، حتى الصلاة هو لا يصلي وحينما يأتيه وفد وقت الصلاة، يدعوهم لأداء الصلاة للتظاهر أمامهم بأنه مصلٍ، وفي ذكرى المولد النبوي الشريف يجمع من يصلي بهم، وحينما أذيع خبر اعتداء ابنه على خادمة سويسرية شحذ الناس بالمشاعر الدينية ثم استغل حادثة منع إقامة المآذن فيها لينسيهم الإساءة التي قام بها ابنه مستغلا تعلق الناس بالدين، فهو يستخدم الدين وسيلة لتحقيق غاياته، وفي نظري هو زنديق فاسق وشاذ.انتهى.

وكثيرون لا يستسيغون قراءة معلومات كهذه بينما العقيد لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وبرغم أن هذا ليس ذنبي، فأنا لا أملك، كما سبق أن قلت، حجب أي معلومة أتلقاها عن القارئ الباحث عن الحقيقة، وأكتفي باستعمال كلمات من نوع ...يزعم ويدعي، وكأنها قفازات أمسك بها شيئا ملوثا.

وعودة إلى بوكاسا، فقد وجد العقيد في الشاويش السابق صيدا ظنه ثمينا فعرض عليه دخول الإسلام (وكان هذا مقابل مبلغ مالي كبير كما قيل يومها) وقيل لبوكاسا، الذي اختار له القذافي اسم صلاح الدين، أن عليه أن يخضع أولا لعملية "الطهارة"، ويبدو أن المبلغ الذي أعطي له كان كافيا ليقبل إجراء العملية في تلك السن المتقدمة، لكن أحدا قال له بأنه أصبح مسلما ولو خرج عن الإسلام فإنه سيكون مرتدا ويُقطع عنقه، وقال بوكاسا ساخطا : ما هذا الدين الذي نواجه بالسكين عندما نعتنقه ويواجهنا السكين عندما نخرج منه.

لكن الرئيس البينيني "ماتيو كيريكو" كان من القلائل الذين رفضوا إغراءات القذافي، وناداه العقيد في أحد القمم باسم إسلامي فصرخ على مسمع من كل المجتمعين في القاعة الكبرى: أنا مسيحي، واسمي ماتيو[185].

وهنا يأتي الشكل الخارجي للعقيد، فقد تخصصت بيوت أزياء معينة في الاستجابة لنزواته بحيث تكاثرت أزياؤه وتعددت ألوانها وتباينت أشكالها إلى درجة لا تعقل، وكان أكثرها إثارة للسخرية الملابس العسكرية متعددة الألوان، والمرصعة بنياشين دول لا يعرف معظمنا أين تقع على الخريطة، وذلك في تقليد هزلي للرئيس أنور السادات، الذي كان مغرما بالأزياء العسكرية المرصعة بالأوسمة.

وكنت أعجب عندما أرى بعض الأشقاء ينظرون بإعجاب إلى صور العقيد بتلك الملابس التي كنت أراها شيئا مقرفا ومثيرا للضحك، والتي أصبحت أقرب إلى ملابس القادة الأفارقة من أمثال بوكاسا.

وللعلم هنا فإن الرئيس هواري بو مدين توقف عن لبس الملابس العسكرية إثر توليه الرئاسة، ونفس الشيء مع الرئيس عبد الناصر والرئيس أمين الحافظ وحافظ الأسد.

ويقول شلقم عن ملابس العقيد[186] : ملابسه نوع من الشذوذ ليقول أنا أختلف عنكم يا معشر الناس، وهذه ليست سمة معمر القذافي فقط فكل الديكتاتوريين والمشوهين والذين يعانون من العُصاب ومن الشذوذ يحاولون أن يختلفوا عن الأخرين، نحن كلنا نلبس "بدل" وربطة عنق ومتشابهون، أما هو فيريد أن يقول إنه "يختلف عنا، والاختلاف بيننا لا تستطيعون أن تصلوا إليه، أنا ألبس ملابس لا يستطيع أن يفكر أحد في لبسها، إذن... المسافة في الاختلاف بيني وبينكم ليست قابلة ليس فقط للتطبيق بل لمجرد التفكير فيها"... الألوان الفاقعة مثلاً... أنا لو أعطيتني 100 مليون دولار وقلت لي البس ملابس القذافي أقول لك لا، وذهابي إلى "العصفورية" (مستشفى المجانين) أفضل لي.

وعند إعلانه نفسه ملك ملوك أفريقيا اعتقدت جازماً أن الليبيين سيدعون الثورة ضد القذافي حتى قبل أحداث تونس وقد سمعت ذلك بالفعل من الحلقة القريبة منه فقد كانوا في حالة غضب وبؤس. انتهى

وعن نفس الموضوع يقول "غوتيسيلو" : إن ميله الشديد للأقنعة والمشاهد "البدوية الأصيلة" كانت كلها أمورا فريدة، فهاهي الطاقية على شكل طبق، وزي البوابين، والميداليات، والصدريات، والزي الخاص بقائد القوات، أو الزي المجري النمساوي، والطرابيش العثمانية، والشيلان القبلية، والشيلان الزرقاء التي تتناغم مع قلنسوات من القماش نفسه، وعباءات رائعة بكل ألوان قوس قزح، كل ذلك يضع إطارا لوجه يزداد عدم قدرة على التعبير ويتحول إلى قناع كارتوني، فكّه مرتفع إلى أعلى على شاكلة ما كان يفعله موسوليني، هذا النمط الاستعراضي كان يرافقه في كل رحلاته وفي المناسبات التي يقدمها له الطغاة الأفارقة[187]. انتهى.

---

[185] - قال القنصل الليبي الأسبق في باماكو، موسى الكوني، إن القذافي كان يتولى كل النفقات الشخصية الخاصة برئيس مالي ومقربيه، وانه كان شاهدا على منحه 12 مليون دولار لتغطية نفقات آخر حملة انتخابية لتجديد عهدته الرئاسية الحالية. وعن العلاقات مع مالي يرد اسم الشريف ولد الطاهر و هو أحد أكبر بارونات المخدرات في منطقة الساحل والصحراء، ومطلوب لدى العدالة الجزائرية، حيث صدر في حقه أمر بالقبض قبل أشهر بعد أن ورد اسمه في التحقيقات بشأن تهريب شحنات ضخمة بعشرات الأطنان من الكيف المغربي عبر الحدود الجنوبية الغربية للجزائر، لكنه يتمتع بالحماية من شخصيات نافذة في نظام الرئيس المالي أمادو توماني توري، ويحمل جنسية البلد ويقيم في إحدى أرقى أحياء عاصمته باماكو" وقد ورد اسم ولد الطاهر صراحة في التحقيقات حول الطائرة الشهيرة التي جرى تفجيرها، قبل أكثر من عام، بالقرب من "غاو" شمال مالي، بعد أن أفرغت عدة الأطنان من الكوكايين حملتها من إحدى دول أمريكا اللاتينية، وهي طائرة شحن من نوع "بوينغ 727 " نقلت الشروق قبل أسابيع نقلا عن مصدر موثوق، أنها مملوكة لشركة الطيران الليبية الحكومية "الخطوط الجوية الإفريقية"، ومالك الشركة ليس سوى محفظة ليبيا إفريقيا للاستثمار التي يديرها بشير صالح، مدير ديوان القذافي، ونفهم هنا سر ارتباط بعض القادة الأفارقة بالعقيد الليبي.

[186] - صحيفة الحياة 20 يوليو، وقالت صحيفة مصرية عن العقيد في عهد السادات الذي تعرض فيه لحملة من الكراهية أن العقيد مغرم في خلوته بلبس أردية نسوية (Travesti)، وكانت محاولة للإيحاء الظالم بشذوذه، وهو ما أشار له حارسه.

[187] - Juan GOYTISILO مجلة وجهات نظر الشهرية – أعداد الثورة – يونيو 2011.

والحديث عن وجه العقيد يتطلب الإشارة إلى خبراء التجميل الذين يبذلون كل الجهود لحماية الصورة الشبابية للقائد، ومن بينهم الحلاقون المتخصصون في الأصباغ المناسبة، وبالطبع الجراح البرازيلي "إلياسير ريبيرو"، الذي تولى عملية تجميل للزعيم الليبي، وقال في حوار نشرته القدس العربي يوم الاثنين 28 مارس 2011 أن القذافي لا يبدو في حالة جيدة هذه الأيام، حيث بدا جلده "متنفخاً وخشناً ومترهلاً"، كما قال أن "القذافي رفض إجراء جراحة شد الوجه لأنها ستكون ملحوظة، وفضل اللجوء إلى حقن الوجه بدهون تم استخراجها من حول المعدة"، كما ذكر أن "الجراحة أجريت في ملجأ للقذافي يضم تجهيزات جراحية كاملة في يناير 1995، وكان عمره 53 عاماً، لكنه كان يبدو في ذلك الوقت أكبر من عمره بعشر سنوات، وبدا عقب الجراحة كمن يبلغ 45 عاماً".

ورفض الجراح الكشف عن قيمة الأتعاب التي تقاضاها، لكنه قال إن "القيمة كانت أكبر مما يتقاضاه في البرازيل"، وأكد أنه ظل في ليبيا لمدة عشرة أيام حتى تعافى الزعيم الليبي.

ورغم أنني، كمسلم، لا أعترض على الصورة التي يُظهر بها الخالق مخلوقاته، فإنني لا أستطيع أن أتجاهل الوجه القبيح الذي أصبح العقيد يبدو به في شيخوخته، خصوصا عندما أطلق لحية محدودة الحجم تكاملت مع شارب لم يكن يحمل صورة الشارب الحقيقي، فأصبحت صورة وجهه مضحكة، مقارنة بكثيرين كانت وجوههم في شيخوختهم جليلة توحي بالمهابة والمحبة والوقار، ومن بينهم أحمد بن بله وحسين آيت أحمد والشاذلي بن جديد وعبد الرحمن شيبان وعبد الحميد مهري في الجزائر وحسين الشافعي وسعد الدين الشاذلي في مصر وإبراهيم ماخوس من سوريا، بل ومن الفنانين والفنانات الحاج الفرقاني والشيخ الغفور وكلثوم عندنا ومحمد عبد الوهاب ويوسف وهبي وفاتن حمامة في مصر وكثيرون غير هؤلاء وأولئك، على النقيض من صورة العقيد أو آخرين لا أحب أن أذكرهم، لأن ذلك يذكرني برائعة "أوسكار وايلد" : صورة دوريان غراي[188].

تلك كانت صورة عن العقيد وكل ما يحيط بالعقيد وما يبتكر له لكي يكتسب ويحافظ على الصورة التي يريدها لنفسه، جثمانيا وفكريا وسياسيا، لكنني أكرر القول بأن من أول من يتحملون مسؤولية الستار الحديدي الذي كان يحمي صورة العقيد العدد الكبير من رؤساء الدول، خصوصا الأفارقة جنوب الصحراء، وكبار المسؤولين والمثقفين والفنانين الذي كانوا يقبضون "كاش" كما يُقال، بالإضافة إلى صور أخرى من الدعم لدول أخرى كان بعضها دعما مرحليا أو أسلحة من كل نوع لمتطلبات الأمن المحلي.

وكان الخط العام عندنا، من منطلق الحفاظ على علاقات حسن الجوار، كان عدم استفزاز الليبيين، وأتذكر يوما وقف فيه سفيرنا في ليبيا يدعوني للتحكم في أعصابي عندما ثرتُ على سوء استقبال السلطات في "سرت" لوفد جزائري كنت من بين أعضائه، ولم أكن أهمهم ولا كنت مسؤولا ساميا آنذاك، غير أنني رأيت في الأمر استهانة برموزنا الوطنية فغضبت وتصرفت طبقا لما رأيته، وهو ما سأتناوله فيما بعد.

وكان اليقين العام أن العقيد، أو من يُشيرون عليه، أدرك أهمية وجود مؤسسات مالية في البلدان الشقيقة، ولست أملك كل المعطيات التي أشرت لبعضها عند الحديث عن مصر ونشاطات أحمد قذاف الدم هناك، لكنني أذكر بأن وزير المالية كريم جودي أعلن بداية شهر يونيو الماضي، أن الحكومة أرسلت تعليمة إلى البنوك والمؤسسات المختصة لحصر أصول وأموال القذافي وأركان النظام الليبي والشركات الليبية، التي تشملها العقوبات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي، تمهيدا لتجميدها وفقا للقرار الأممي.

ونشرت صحيفة "الخبر" الجزائرية في وقت سابق أسماء عدد من من البنوك التي تنشط في الجزائر والتي تملك فيها ليبيا أسهما، ويشملها القرار الأممي، على غرار "أراب بنكينغ كوربوريشن" والشركة المالية "أراب انفستمنت كومباني" و"بنك المغرب العربي للتجارة والاستثمار"، الذي يساهم فيه البنك الخارجي الليبي بنسبة 50 بالمائة، وبنك المصرف الإماراتي الذي تمتلك فيه ليبيا نسبة 42,28 بالمائة، وبنك الإسكان للتجارة والمالية "هاوسينغ بنك" الذي تمتلك فيه "لافيكو" الليبية نسبة 15 بالمائة، كما يعتقد بأن يكون لليبيا استثمارات سياحية في الجزائر كامتلاكها لأسهم في فندق "شيراطون" وهران (وإن كان الادعاء بأن لليبيا أغلبية أسهم فندق تلمسان الجديد باطل، كما قال لي شخصيا السيد "ملزي"، وهو اسم أكثر من معروف في الجزائر).

---

[188] - هو (أي العقيد القذافي) سألني مرة لماذا لا تحضر إلي ليبيا؟.. كانت قد مرت وقتها 25 عاما لم أره فيها، وقلت له: أنا ممتنع عن زيارة ليبيا حتى احتفظ بالصورة التي رأيته فيها أول مرة. كنت لا أريد مشاهدة الواقع حتى لا أفجع، هناك فارق كبير بين الصورة والواقع.. وهو لم يعد هو، وحتى في الشكل.. ليس هو. (هيكل في حوار للأهرام 15 مايو)

وللتذكير أيضـا، فقد أعلنت الحكومة الجزائرية تسليمها إلى الأمم المتحدة تقريرا شاملا بشأن الأصول المالية التابعة للقذافي وأركان نظامه في الجزائر، تنفيذا لقرار مجلس الأمن الدولي 1970 ولم يتم الكشف عن حجم وطبيعة الأصول الليبية التي تم تجميدها في الجزائر.

وأكد الناطق باسم وزارة الشؤون الخارجية، عمار بلاني، أن "الحكومة الجزائرية سلمت في 20 جوان الماضي تقريرا للجنة العقوبات التابعة للأمم المتحدة حول تجميد أصول شخصيات ليبية تشملها العقوبات المتضمنة في قرار مجلس الأمن الصادر في 26 فبراير الماضي تحت رقم 1970 -الفقرة : 25، وقال بلاني إن الجزائر نفذت التزامها وفقا للقرارات الأممية، لكنه لم يعط أي توضيح بشأن حجم وقيمة الأموال والأصول والودائع الليبية التي تم تجميدها في البنوك الجزائرية من قبل وزارة المالية، موضحا أن الجزائر سلمت التقرير إلى الأمم المتحدة أسبوعا قبل الموعد المحدد[189].انتهى.

وهكذا لم تكن خطة نظام العقيد القذافي الدفاعية تقتصر على حصون "باب العزيزية" أو أنفاق "النهر العظيم" بل تعدت ذلك لتشمل مجالات كثيرة، أهمها المجال المالي حيث تمكن من ادخار كميات هائلة من النقد الأجنبي وسبائك الذهب، وكذلك مجالات الاقتصاد التي تمكنه من اختراق بلدان كثيرة عبر إشراك بعض مسؤوليها في أرباح المؤسسات، وهو ما كنت أشرت له عند تناول نشاطات العقيد القذافي في مصر، وذلك بالإضافة إلى تمويل العديد من المنظمات التي ترفع الشعارات التحررية، وهو ما سأشير له عند تناول علاقات نظام القذافي مع لبنان.

لكن لا بد من التذكير دائما بأن أهم قواعد النظام كانت إعجاب الأغلبية الليبية في مرحلة ما بزعيمهم، حيث كان المواطنون يعتزون بنشاط القذافي في "تلميع" صورة ليبيا، عندما فرض على رئيس الوزراء الإيطالي "بيرلسكوني" أن يعتذر عن جرائم إيطاليا، ويعوض ليبيا عن خسائرها خلال الاحتلال الإيطالي، وهو ما لم تجرؤ على القيام به دول أخرى تعرضت لأضعاف أضعاف ما تعرضت له ليبيا، وكانت صورة العقيد وهو يضع صورة إعدام عمر المختار على صدره المرصع بالنياشين مصدر اعتزاز أولئك البسطاء من الناس، في حين أن الأمر كان محل سخرية كل من يعرف أن للملابس العسكرية قيودا يفقد الاحترام من لا يلتزم بها، ولكن هذه الآراء لا تصل للمواطن البسيط، الذي يقال له أن الفضائيات الأجنبية يحركها أناس يغيرون من التألق الليبي ويعملون على أجل تشويه سمعتها الدولية، وعليه بالتالي أن يرتبط بفضائياته فقط.

وهكذا لم يتوقف أحد عند تفصيل صغير يقول بأن إيطاليا تبرأت من أفعال "بنيتو موسوليني"، الذي ترفضه هي نفسها جملة وتفصيلا كما ترفض ألمانيا الانتماء لأدولف هتلر، وهو ما يعني أن الاعتذار عن جرائم "الدوتشي" جاء من عدو له، والاعتذار قدم بالتالي للشعب الإيطالي نفسه، الذي كان قد أعدم موسوليني وعشيقته قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية.

أما التعويض المالي الذي أعطته روما لليبيا، وبغض النظر عمن استفاد منه، فقد نالت إيطاليا في مقابله عشرات الملايير من الصفقات كانت دماء جديدة للاقتصاد الإيطالي المنهار، وهو ما يعني ببساطة أن رئيس الوزراء الإيطالي ضحى بهيبته "الشكلية" لمصلحة هيبة بلاده "العملية"، وهو ما يجب مقارنته بالعقيد الذي أراد أن يحرق بلاده دفاعا عن هيبته المنتحلة، بعد أن بعثر ملايير الشعب سعيا وراء هيبة مصطنعة، وهو كان يفعل ذلك بمنطق الرشوة، وهو ما يؤكده فض الاتفاقات البترولية الليبية معها مؤخرا، رغم أنها كانت في صالح الشعب الليبي، أو هكذا قيل عند عقدها.

ولعل في هذا تفنيد لادعاءات النظام بأن هجمات الناتو تستهدف أساسا الاستيلاء على ثروات ليبيا، فالواضح أن الثروات كانت فعلا تحت تصرف الشركات الاحتكارية التي تضمن نصيب العائلة منها.

وفيما يتعلق بنا كان موقفنا من ليبيا، فيما أعرف، هو دائما الموقف من بلد جار ومن شعب شقيق كان عمقا إستراتيجيا لنا خلال مرحلة النضال والجهاد ضد المستعمر، واختلطت دماء أبنائنا وأبنائه في أكثر من موقع، وتكاملت مصالحنا في أكثر من مرحلة، وهو حليفنا اليوم وغدا وبعد غد.

ولقد صبرنا كثيرا على تجاوزات متكررة، وكان هناك استغلال كبير لمواقفنا الحاسمة ضد الإرهاب وصل إلى حد المزايدة، لكن أهم ما كنا نكرهه هو أن نتهم يوما بقلة الخير أو الجحود تجاه من وقف معنا عندما كنا نعاني عزلة الجمل الأجرب.

---

189 - صحيفة الخبر 4 أغسطس.

وربما كان المنطق أن لا أحد يتوقع منا ان نكون أكثر من الأشقاء اهتماما بقضاياهم الداخلية، أو أشد منهم حرصا على مصالحهم الوطنية كما يرونها ويعملون لها، ولهذا تحملنا الكثير من عناصر النقد أو اللوم، خصوصا في المرحلة التي كان الشعب الشقيق يجتاز فيها مرحلة تكالب القوى الخارجية عليه، وهو نفس الموقف الذي اتخذناه مع شعوب أخرى، وبوجه خاص، مع الشعب العراقي والتونسي.

وكان التدخل الأجنبي هو أخوف ما نخافه خلال مرحلة الأزمة الحادة، والتي أفهم أنها كانت مصدر انتقاد لسياستنا، وربما كان أهم ما يمكن أن يؤخذ علينا أننا لم نلجأ لمؤسساتنا الوطنية ونكلفها بالدور الذي تؤهله لها مهامها الأساسية، تشريعية أو فكرية أو إعلامية أو ديبلوماسية، وكان ذلك ما رأيناه وذلك ما ارتأيناه، وما تصرفنا على ضوئه إيمانا واحتسابا.





العقيد بملابس الماريشالية وبيرلسكوني يمالئه

العقيد بملابس عسكرية عادية والمسدس في جنبه الأيسر

القسم الثاني
التاريخ القديم

"نحن لا نستسلم... **ننتصر** أو **نموت**.... وهذه ليست النهاية... بل سيكون عليكم أن تحاربوا الجيل القادم والأجيال التي تليه... أما أنا... فإن **عمري** سيكون أطول من عُمْرِ من شنقني.

عمر المختار – سبتمبر – 1931



ليبيا دولة كبيرة المساحة، قليلة السكان، تبلغ مساحتها مليوناً وسبعمائة وخمسين ألف كيلومتر مربع، لها ساحل على البحر الأبيض المتوسط بطول 1750 كلم، في شرقها الجبل الأخضر، دائم الاخضرار، وفيه عشرات الخلجان تخلب العقول، وغابات لا يصدق الكثيرون أنها في ليبيا، وفي الغرب، امتداد ساحلي خلاب، يمتد من بنغازي إلى طرابلس، بحر شاعر، لا علة فيه ولا تلوث، الجبل الغربي، جبل نفوسه، هضبة مرتفعة، جميلة الأجواء، يقطنها مزيج من العرب والبربر ترسم فسيفساء اجتماعية إثنية متجانسة تربط معزوفة التاريخ بتميمة الحاضر... ونحو الجنوب، تطالعك دنيا من الجمال والجلال وضرورة الامتداد، الامتداد الجغرافي والتاريخي والعرقي حيث يتداخل البربري بالعربي بالإفريقي، في تماوج شفاف ومغرٍ، تنداح قوارب الماضي والحاضر نحو الجنوب حتى تلتف حولك التلال والرمال، كلما تكتب سؤالاً، وتمد إجابته فوق ما كان وما يكون من صحائف التراب اليباب، حتى إذا طويت من الدنيا مفازات، وأصبحت الخطوات حالات، وقالت حبات التراب للمكان قولاً، وتلألأ الزمان متدفقاً رسماً ونحتاً في صفحات صخور جبال "أكاكوس" نطق الزمان بلغة الصخور، وتعالى الماضي بخوراً يريك ذاتك، ويفك من خلال النظرات مكنون الكلمات.

ومن الشرق إلى الغرب، من الشمال إلى الجنوب، يتعملق المكان الليبي عبقرياً ناطقاً وصامتاً، فليس كل المكان رقعة تراب أو ارتفاعاً من حجارة أو دغلاً أخضر يجيد كتابة اسمه. مكان ليبيا ومضة جغرافية مستعصية قدر ما هي جنونية، ليبيا هي التي تترجم لغة المكان بين إفريقيا وأوروبا، ليبيا هي التي تربط مفاصل الوطن العربي بين مشرقه ومغاربه، ليبيا هي التي تنفخ الحياة في مفازات الصحراء الكبرى الأفريقية فتجعلها فجاج حياة، بحلوها من المياه والنفط والمناجم، ومزها من مهربي البشر ومقاتلي القاعدة مثلما كانت يوماً جسراً للقوافل، ومعبراً لتجار العبيد. ليبيا المكان العبقري الذي لا يستطيع قراءة حروفه التي عرفها هيرودوت، أولئك الذين نصبوا أنفسهم كتبة للزمان والمكان[190].انتهى.

---

190 - من مقال لعبد الرحمن شلقم.

والشعب الليبي يشكل وحدة إثنية ولغوية ومذهبية، فهو في أغلبيته الساحقة، شعب أمازيغي العمق التاريخي، عربه الإسلام فأصبح عربي الحضارة مسلم العقيدة أشعري المذهب المالكين وهناك بعض الإباضية ولكن الفروق الفقهية بين المالكية والإباضية ضئيلة جدا[191].

والعلاقات التي تربطنا بالشقيقة ليبيا يمكن أن تكتب حولها كتب وكتب، وهي ترتبط بي شخصيا برباط خاص، حيث أن ليبيا كانت، بشكل شبه مباشر، باب خروجي من المهنة الطبية ودخولي ميدان السياسة، كما سيأتي فيما بعد.

وليس هذا هو مجال استعراض مفصل للأعماق التاريخية للعلاقات، والتي تمتد إلى عصور موغلة في القدم، كانت فيها منطقة الشمال الإفريقي تسمى كلها لوبيا، قبل أن يطلق عليها الزعيم الجزائري "يوغرطة" اسم إفريقيا، وهو يرفع شعاره الخالد : إفريقيا للأفارقة.

ثم عرفت ليبيا الفترة الفينيقية والمرحلة الإغريقية ثم الرومانية ودخلها الوندال ثم نعمت بالفتح الإسلامي، وكانت معبر الإسلام نحو إسبانيا، فقد اجتازها المسلمين الأوائل إلى تونس والجزائر، حيث جندوا قبائل البربر تحت لواء ابن المدية، طارق بن زياد، كما كانت معبر الفاطميين نحو الشرق بعد أن ولدت النطفة في منطقة "ميلة" شرق الجزائر ثم تبلورت الدولة في "المهدية" في تونس.

وكانت ليبيا دائما قلعة كفاح متميزة ضد الصليبية منذ سقوط الأندلس، وهناك أسطورة تكبر كل يوم، عكس بقية الأساطير، وهي جهاد الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي خصوصاً في حقبة الفاشيين.

وكانت ليبيا، عندما عرفتُها للمرة الأولى في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، دولة ملكية على رأسها مجاهد من أصل جزائري هو محمد إدريس ابن المهدي ابن محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي الحسني، الذي ولد في واحة "الجغبوب" جنوب شرق طبرق بشرق ليبيا في 12 مارس 1890، ونشأ في كنف أبيه الذي كان قائما على أمر الدعوة السنوسية في ليبيا، وعلى يديه وصلت الدعوة إلى ذروة قوتها وانتشارها[192].

كانت ليبيا في مطلع القرن العشرين ولاية تابعة للإمبراطورية العثمانية، وبعد احتلال فرنسا لكل من الجزائر(1830) وتونس (1881) والمغرب الأقصى (1912)، أقدمت إيطاليا سنة 1911 على تجهيز حملة عسكرية لغزو ولاية طرابلس الغرب، وهي منطقة النفوذ الوحيدة التي بقيت للدولة العثمانية في منطقة شمال إفريقيا، وادعى الإيطاليون أولا أنهم جاءوا لتحرير الليبيين من الحكم العثماني، وبعد أن استولى الفاشيون على الحكم في إيطاليا (1922) اشتدت وطأة الاحتلال في ليبيا، وعادت المذابح البشرية تطل من جديد، واستولى المحتلون على الزوايا السنوسية وأعلنوا إلغاء جميع الاتفاقات التي عقدتها الحكومة الإيطالية مع السنوسيين،

---

191 - سعيد بن سعيد العلوي - الشرق الأوسط – 15 سبتمبر.

192 - الطريقة السنوسية واحدة من الطرق الصوفية المنتشرة بين المسلمين، وقد تأسست في القرن التاسع عشر على يد الجزائري محمد السنوسي .التقى السنوسي في رحلته إلى مكة عام 1824 شيخا صوفيا اختاره خليفة له، فأسس في العام 1840 طريقته في شرق ليبيا .لكن الطريقة سرعان ما امتدت إلى الجنوب في الصحراء وصولا إلى تشاد .كانت الطريقة السنوسية معارضة للدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر، ثم قاتلت الاستعمار الايطالي في النصف الأول من القرن العشرين بقيادة عمر المختار. ثم قدمت السنوسية الملك الذي حكم ليبيا بعد استقلالها، وهو الملك إدريس، غير أن العقيد القذافي قاد انقلابا عسكريا في العام 1969، وأمسك بمقاليد البلاد، فأصبحت السنوسية حركة محظورة تقريبا. ويؤكد أحمد ريفي أن القذافي لم يكن يحب السنوسية، وعمل كل ما في وسعه حتى يقضي عليها، لكن مريديها ما زالوا موجودين. ولم يكن متاحا لهم أن ينضموا إلى الجيش أو الشرطة. ويرى دبلوماسي غربي طلب عدم الكشف عن اسمه أن أعضاء الطريقة السنوسية كانوا دائما أشخاصا معتدلين، واليوم بعد أن أضعفوا لم يعد لهم أي دور في حركة الثورة ، أما "ايغور شيرستيتش" الباحث في الانتروبولوجيا فيرى أن السنوسية فككت عمليا، على المستوى الرسمي على الأقل، لأنها كانت تؤيد الملكية. ويضيف : أسهمت السنوسية بدور أساسي في تاريخ ليبيا المعاصر، لكن ما زال هناك نقاش حول ما إذا كان هذا الدور ناجما عن وجود توجه سياسي في الطريقة، أو انه نتيجة لظروف تاريخية دفعتها إلى العمل في السياسة .ويقول العماري "نحن مسلمون سنة، مثل الآخرين ومعتدلون جدا، ونحن لا نخلط الدين بالسياسة ...الناس يقولون أن عمر المختار كان شيخ الطريقة وكان يقاتل الايطاليين، إذا هناك رسالة سياسية للطريقة، أنا أقول: إذا جاءك أناس ليغزوا ديارك، لن تبقى مكتوف الأيدي... تصلي". وإذا كانت الطريقة السنوسية لم تضطلع بدور في الثورة الليبية الحالية، إلا أن أعضاءها يساندون المبادئ التي يطرحها الثوار. ويقول العماري في هذا الإطار "لا نريد عودة إلى النظام الملكي، نريد ليبيا ديموقراطية".

وكان من نتيجة ذلك أن اشتعلت حركة الجهاد، وكلما عجز المحتلون على وقف المقاومة أمعنوا في أساليب الإبادة والإفناء ومحاربة اللغة العربية والإسلام والعمل على تنصير المسلمين، فقرر إدريس السنوسي الرحيل إلى مصر، وكلف شقيقه الأصغر محمد الرضا السنوسي وكيلاً عنه على شؤون الحركة السنوسية في برقة، وعين عمر المختار نائباً له وقائداً للجهاد العسكري (نوفمبر 1922)

وقد خلف الغزو الإيطالي ردود فعل مختلفة في العالم العربي الإسلامي، وخاصة في بلدان المغرب العربي المجاورة، التي شعرت شعوبها بأن الاعتداء على ليبيا واحتلالها إنما هو ضربة للعروبة والإسلام، ولذلك استنفرت القوى الوطنية في هذه البلدان إمكاناتها من أجل مساعدة أشقائها في طرابلس الغرب (تمييزا لها عن طرابلس المشرق في لبنان) وأحدث الاحتلال الإيطالي صدمة كبيرة في وسط الجزائريين على وجه الخصوص، فليبيا كانت تعتبر عندهم الملاذ وقت الشدة، وكثير من الجزائريين اتخذوها دار هجرة، وكانت المعبر نحو المشرق العربي والبقاع المقدسة، ولذلك فقد تأثر الجزائريون كثيرا لاحتلال ليبيا وهبوا لمساندة أبنائها في محنتهم بمختلف الوسائل، وشارك العديد منهم عسكريا في الجهاد الليبي ضد المحتل الإيطالي، وهب آخرون إلى جمع التبرعات والتضامن مع إخوانهم في ليبيا بالتنديد عن طريق الجرائد والعرائض بجرائم الاحتلال الإيطالي وبفضح أساليبه الاستعمارية، واستمر التضامن طيلة الحرب العالمية الأولى.

ويقول بعض المؤرخين أنه كان من بين من دعموا المجاهدين الليبيين الشيخ محمد الهاشمي الشريف الذي قدم مساعدات، منها تجنيد 350 مجاهدا جزائريا مزودين بما يحتاجونه من تجهيزات حربية، ليكونوا تحت قيادة سليمان الباروني لمساندة المقاومة التي تزعمها الشهيد عمر المختار، وهم يرون أن العلاقات كانت تستمد قوتها وديمومتها من عوامل متكاملة ومتعددة، فهي تاريخية (الأصل الأمازيغي) ودينية (الانتماء للإسلام)، ومذهبية (المالكية) وثقافية (لغة وعادات وتقاليد) واجتماعية (استقرارا ومصاهرة)، وجغرافية (تضاريس ومناخ) وإستراتيجية (مصالح مشتركة، ومواجهة أخطار خارجية) ونفسية عقلية (ذهنيات وطموح) ومن العوامل القوية التي كانت تقارب بين البلدين المدنُ القائمة بالقرب من تخوم البلدين وأسواقها، والطرق التجارية الرابطة ما بينها، ومن أهم تلك المدن "اغدامس"، التي كانت سوقا تجارية هامة للجزائريين، ومركزا للتبادل، ومعبرا للمرور إلى المشرق بأمان، مثلما كانت مدينة وادي سوف وغيرها من المدن الجزائرية موطن استقبال طيب ونشاط مثمر للإخوة الليبيين، ووسيلة تنقل من هذا البلد إلى البلد الآخر، وكان العلماء والشيوخ يفدون إلى هذه المدن من دون صعوبة .

ويروي مؤرخ جزائري نسيت اسمه صورا من التآزر والتحالف حدثت في باريس عام 1833 بين حمدان بن عثمان خوجة الجزائري وحسونة الدغيس الليبي، اللذين قاما بدور هام لصالح القضية الجزائرية، ولصالح الأمة الإسلامية، وتشير بعض الوثائق إلى أن الباب العالي قلّد علي رضا أفندي بن حمدان خوجة الجزائري عدة مناصب كان آخرها "دفتر دار" بطرابلس في عهد حكم أحمد عزت باشا (1848-1851) ولعب دورا هاما في العلاقات الجزائرية الليبية.

وكان طبيعيا بالتالي أن يكون الجزائريون، في حدود إمكانياتهم، سندا لأسد الصحراء، الشهيد عمر المختار، الذي حارب الإيطاليين وهو يبلغ من العمر 53 عاماً لأكثر من عشرين عاما في أكثر من ألف معركة، واستشهد بإعدامه شنقاً في سبتمبر 1931 عن عمر يناهز 73 عاما.

ولقد كانت آخر كلمات عمر المختار قبل إعدامه:

"نحن لا نستسلم... ننتصر أو نموت.... وهذه ليست النهاية... بل سيكون عليكم أن تحاربوا الجيل القادم والأجيال التي تليه... أما أنا... فإن عمري سيكون أطول من عُمُر من شنقني"[193].

---

[193] - وثائق من "غوغل" وكتابات الدكتور الصلابي ووثائق "مستغانم كوم، ومعظمها من "ويكيبيديا" إضافة إلى كتابات أخرى من بينها كتاب الهادي المشيرقي ومذكرات مصطفى بن حليم وفتحي الفاضلي ومحمد يوسف المقريف وآخرون.



عمر المختار



شيخ الشهداء في طريقه إلى المشنقة صابر محتسبا

المملكة الليبية

جدُّ الملك إدريس جاء إلى ليبيا من الجزائر هارباً من الطغيان الفرنسي وأمضى حياته في نشر الدعوة الإسلامية وإيقاظ الأمة الإسلامية لتقاوم موجة الطغيان والتنصير الفرنسي، ووالد الملك إدريس ظل يقاوم تغلغل المد الفرنسي في تشاد والسودان والنيجر، حتى لقي وجه ربه، والسيد احمد الشريف والملك إدريس أفنيا عمرهما في الجهاد ضد الطليان.

رئيس الوزراء الليبي الأسبق مصطفى بن حليم
مخاطبا الرئيس جمال عبد الناصر



استقر إدريس السنوسي منفيا في القاهرة حيث فرض عليه الاحتلال البريطاني في مصر عدم الاشتغال بالسياسة، فأصبحت حركته محدودة، وكان من حين إلى آخر يكتب في الصحف المصرية حول قضية بلاده، وتعرف به هناك عدد من الجزائريين المهاجرين أو طلبة العلم في الأزهر الشريف كان من بينهم الشيخ إبراهيم طفيش والشيخ الهلالي عميمور[194] والشيخ إسماعيل جفري وآخرون، ربما كان من بينهم الشيخ الفضيل الورتلاني، الذي تردد اسمه بعد ذلك كلاعب رئيسي في انقلاب عبد الله بن الوزير في اليمن.

---

[194] - والدي، وهو من خريجي الأزهر ويحمل شهادة العالمية كبقية رفقائه.



الشيخ الهلالي عميمور شابا وشيخا



الملك إدريس السنوسي شيخا

ولما اشتعلت الحرب العالمية الثانية نشط إدريس السنوسي فعقد اجتماعا في داره بالإسكندرية حضره ما يقرب من 40 شيخا من المهاجرين الليبيين، وذلك في 20 أكتوبر 1939، وانتهى الحاضرون إلى تفويض الأمير مراجعة الحكومة المصرية والحكومة البريطانية لتكوين جيش تحت إمرته، يشترك في استرجاع الوطن مع الحلفاء ضد إيطاليا.

وأقيم معسكر للتدريب في إمبابة بمصر بلغ المتطوعون فيه ما يزيد عن 4 آلاف ليبي، وكانوا من أبناء القبائل الليبية المهاجرة إلى مصر، ساهموا بعد ذلك مساهمة فعلية في الحرب، بالإضافة إلى ما قدمه المدنيون في ليبيا والقبائل الليبية بمصر من خدمات كبيرة للجيوش المحاربة لتحرير ليبيا من إيطاليا، وعندما وقع الآلاف من الليبيين بالأسر تم نقلهم إلي شرق قناة السويس، وقام بزيارتهم الأمير إدريس برفقة أعيان القبائل الليبية المهاجرة بمصر.

ولما انتهت الحرب بهزيمة إيطاليا، وخروجها من ليبيا، عاد إدريس السنوسي إلى ليبيا في يوليو 1944 فاستقبله الشعب في برقة، وهي المنطقة الشرقية وعاصمتها بنغازي، استقبالا حافلا.

وفي عام 1946 اعترفت إيطاليا باستقلال ليبيا، وبحكم محمد إدريس السنوسي لها، لكن الإمارة لم تكن كاملة السيادة بسبب وجود قوات إنجليزية وفرنسية فوق الأراضي الليبية.

وما إن استقر الأمير في برقة حتى أخذ يعد العدة لنقل الإدارة إلى حكومته، فأصدر قرارا بتعيين حكومة ليبية تتولى إدارة البلاد، وأصدر دستور برقة، وهو يعد وثيقة مهمة من وثائق التاريخ العربي الحديث، إذ كفل الدستور حرية العقيدة والفكر والمساواة بين الأهالي وحرية الملكية، واعتبر اللغة العربية لغة الدولة الرسمية، ونص على أن حكومة برقة حكومة دستورية قوامها مجلس نواب منتخب.

كانت الشكوك تساور الليبيين في نوايا بريطانيا بعد انتهاء الحرب، واتضحت هذه النوايا بعد هزيمة إيطاليا الفاشية وسقوط كل من بنغازي وطرابلس في أيدي القوات البريطانية، كان هدف بريطانيا المتماشي مع سياستها المعهودة (فرق تسد) هو الفصل بين إقليمي برقة وطرابلس ومنح فزان لفرنسا، وكذلك العمل على غرس بذور الفرقة بين أبناء ليبيا، وبينما رأى الليبيون أنه بهزيمة إيطاليا سنة 1943 يجب أن تكون السيادة على ليبيا لأهلها، إلا أن الإنجليز والفرنسيين رفضوا ذلك وصمموا على حكم ليبيا حتى تتم التسوية مع إيطاليا، وأصبحت هاتان الدولتان تتحكمان في مصير ليبيا ضد رغبات الشعب الليبي.

وبعد العديد من المفاوضات تم الاتفاق على منح برقة استقلالها الذي اعترف به الإنجليز على الفور، وكان ذلك في أول يونيو 1949، ولكن هذا الإجراء الذي كانت غايته تقسيم ليبيا وتهدئة الليبيين وإلهائهم عن قضيتهم لم يُسكت صوت أحرار ليبيا الذين استمروا في المطالبة بحقوقهم واستعادة حريتهم، هذا الإصرار من جانب شعب ليبيا ضمن لقضية ليبيا مكاناً في جداول أعمال المؤتمرات التي عقدتها الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية كما نقل الليبيون قضيتهم إلى الأمم المتحدة.

في هذه الأثناء كانت الدوائر الاستعمارية تدبر المكائد وتحيك المؤامرات على مستقبل ليبيا، فقد اتفقت بريطانيا وإيطاليا في 10 مارس 1949 على مشروع (بيفن - سيفورزا) الخاص بليبيا الذي يقضي بفرض الوصاية الإيطالية على طرابلس والوصاية البريطانية على برقة والوصاية الفرنسية على فزان، على أن تمنح ليبيا الاستقلال بعد عشر سنوات من تاريخ الموافقة على مشروع الوصاية، وقد وافقت عليه اللجنة المختصة في الأمم المتحدة في يوم 13 مايو 1949، وقُدم إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة للاقتراع عليه، ولكن المشروع باء بالفشل لحصوله على عدد قليل من الأصوات المؤيدة، نتيجة للمفاوضات المضنية لحشد الدعم لاستقلال ليبيا التي قام بها وفد من أحرار ومناضلي ليبيا للمطالبة بوحدة واستقلال ليبيا، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم 289 في 21 نوفمبر 1949 الذي يقضي بمنح ليبيا استقلالها في موعد لا يتجاوز الأول من يناير 1952، وكُونت لجنة لتعمل على تنفيذ قرار الأمم المتحدة ولتبذل قصارى جهدها من أجل تحقيق وحدة ليبيا ونقل السلطة إلى حكومة ليبية مستقلة.

وفي شهر أكتوبر 1950 تكونت جمعية تأسيسية من ستين عضواً يمثل كل إقليم من أقاليم ليبيا الثلاثة عشرون عضواً، وفي 25 نوفمبر من السنة نفسها اجتمعت الجمعية التأسيسية برئاسة مفتي طرابلس لتقرر شكل الدولة، وعلى الرغم من اعتراض ممثلي طرابلس على النظام الاتحادي فقد تم الاتفاق، وكلفت الجمعية التأسيسية لجنة لصياغة الدستور، فقامت تلك اللجنة بدراسة النظم الاتحادية المختلفة في العالم وقدمت تقريرها إلى الجمعية التأسيسية في سبتمبر 1951، وكانت قد تكونت حكومات إقليمية مؤقتة بليبيا، وفي 29 مارس 1951 أعلنت الجمعية التأسيسية عن تشكيل حكومة اتحادية لليبيا مؤقتة في طرابلس برئاسة السيد محمود المنتصر، وفي يوم 1951/10/12، نقلت إلى الحكومة الاتحادية والحكومات الإقليمية السلطة كاملة ما عدا ما يتعلق بأمور الدفاع والشؤون الخارجية والمالية، فالسلطات المالية نقلت إلى حكومة ليبيا الاتحادية في 15 ديسمبر 1951، ونتيجة لمطالبة الليبيين بضرورة الاحتفاظ بوحدة الأقاليم الثلاثة (برقة- طرابلس- فزان) تحت زعامة الأمير إدريس أرسلت الأمم المتحدة مندوبا إلى ليبيا لاستطلاع الأمر وأخذ رأي زعماء العشائر فيمن يتولى أمرهم، فاتجهت الأراء إلى قبول الأمير إدريس السنوسي حاكما على ليبيا، وأعقب ذلك في 24 ديسمبر 1951 إعلان الدستور واختيار إدريس السنوسي ملكا على المملكة الليبية المتحدة بنظام فيدرالي يضم ثلاثة ولايات (طرابلس، برقة، فزان) واتجه الأمير بعد أن توحدت البلاد تحت قيادته إلى تقوية دولته، فأسس أول جمعية وطنية تمثل جميع الولايات الليبية (في 25 نوفمبر 1950)، وأخذت الجمعية عدة قرارات في اتجاه قيام دولة ليبية دستورية، منها أن ليبيا دولة ديمقراطية اتحادية مستقلة ذات سيادة على أن تكون ملكية دستورية، وأن يكون الأمير محمد إدريس السنوسي ملكا للمملكة الليبية المتحدة، كما انصرفت إلى وضع دستور للمملكة، وأصدرته في 7 أكتوبر 1951 متضمنا 204 مادة دستورية.

في 24 ديسمبر 1951 أعلن الأمير محمد إدريس السنوسي من شرفة قصر المنار في مدينة بنغازي ميلاد الدولة الليبية كنتيجة لجهاد الشعب الليبي وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة، وبناءاً على قرار الجمعية الوطنية الصادر بتاريخ 2 ديسمبر 1950، وأعلن أن ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، واتخذ الأمير لنفسه لقب ملك المملكة الليبية المتحدة، متعهدا بأنه سيمارس سلطاته وفقاً لأحكام الدستور.

ثم انضمت ليبيا إلى جامعة الدول العربية سنة 1953 وإلى هيئة الأمم المتحدة سنة 1955.

وعلى الرغم من كل ما قامت به بعض الدوائر الاستعمارية بعد 1951 من أجل الإبقاء على ليبيا مقسمة وضعيفة تحت ذلك النظام الاتحادي، فقد قام شعب ليبيا عبر ممثليه المنتخبين في 26 أبريل 1963 بتعديل دستورهم وأسسوا دولة ليبيا الموحدة وأزالوا جميع العقبات التي كانت تحول دون وحدة ليبيا تحت اسم المملكة الليبية وعاصمتها طرابلس[195].

وعندما اندلعت الثورة الجزائرية في نوفمبر 1954 كان من الطبيعي أن تكون ليبيا هي عمقها الإستراتيجي شرقا ولسببين رئيسيين، أولهما طبيعة العلاقات الأخوية بين الشعبين وطول الحدود بين البلدين في الجنوب

---

[195] - تلاحظ روح الوحدة الوطنية القوية بين كل محافظات ليبيا والتي تمسك بها الشعب طوال العقود الماضية، رغم انطلاق الدولة من بنغازي، أي ولاية برقة، وهو بالتالي ما يسقط كل الشكوك حول احتمالات تقسيم البلاد، فالبلاد لا تقسم إلا بناء على إرادة شعبها أو جزء منه، كما حدث في السودان.

ولوحظ أن من خططوا لتحرير طرابلس في أغسطس حرصوا على أن يقوم بالعملية شباب من كل نواحي ليبيا، ومن بينهم بالطبع شباب العاصمة.

حيث الرقابة الاستعمارية محدودة الفعالية، والثاني أن ليبيا هي المعبر الطبيعي لمصر التي ستكون مصدرا رئيسيا لنقل الأسلحة نحو الجزائر.

وكان من أهم أسباب النجاح الذي حققته الثورة الجزائرية في استقطاب الدعم الليبي وجود أعداد هامة من الليبيين الذين يحملون الكثير من التقدير للدعم الجزائري خلال مرحلة المقاومة الليبية، ووجود الألاف من الليبيين المؤمنين بأن الثورة الجزائرية هي تعبير عن الإرادة العربية الإسلامية في التخلص من الاستعمار بكل صوره وأشكاله.

ومع قيام الثورة الجزائرية وجدت الجزائر في الشعب الليبي حليفا قويا، رغم إمكانيات البلاد المحدودة انذاك ووجود قواعد أجنبية بها، وربما كانت ليبيا من الدول الشقيقة القليلة التي لم تحاول أبدا التدخل في الشأن الجزائري، وتكونت فيها العديد من جمعيات دعم الكفاح الجزائري كان على رأسها، ممن أتذكرهم بعد كل هذه السنين، الشيخ محمود صبح والهادي المشيرقي والبشير المغيربي وعلي المصراتي وصالح بو يصير[196] (الذي قتل في طائرة ليبية أسقطتها إسرائيل في فبراير 1973 في سيناء بعد أن ضلت طريقها، أو قيل كذلك) وغيرهم، وعرف الجزائريون في طرابلس قاعدة "المزرعة" التي كانت قاعدة للكفاح الجزائري، كما عرفت طرابلس أول محاولة للاعتداء على حياة الرئيس الأسبق أحمد بن بله في منتصف الخمسينيات، وكانت الأسلحة تنقل عبر التراب الليبي ليلا حتى لا تتنبه لها عناصر مرتبطة بالقواعد الأجنبية في الشمال، وكان الملك إدريس نفسه في مقدمة الحريصين على دعم الجزائر، وتتناقل بعض الروايات نكاتا حول لقائه مع الكولونيل عمر أو عمران، الذي لُقن بعض العبارات بالعربية قبل لقائه بالملك، ولكن رده على ما قاله الملك من أنه يضع كل إمكانيات ليبيا تحت تصرف الثورة الجزائرية كان، وطبقا لرواية الأخ سعد الدين نويوات: إحنا متأسفين"، وكان بالطبع يريد أن يقول "نحن شاكرون".

وذكر رئيس الوزراء الليبي الأسبق السيد مصطفى احمد بن حليم في كتابه صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي في الباب التاسع تحت عنوان "ثورة الجزائر ودور ليبيا في مساندتها" أنه عندما كان بالقاهرة اتصل به الرئيس جمال عبد الناصر ودعاه لاجتماع منفرد معه، وفاجأه قائلاً: أنه يود أن يتحدث معه عن الثورة الجزائرية التي اندلعت.

وقال الرئيس أنه اتفق مع الملك سعود والأمير فيصل على أن تقوم المملكة العربية السعودية بتقديم كافة الأموال اللازمة لشراء السلاح والعتاد والإمدادات اللازمة للثورة الجزائرية وأن يقوم رجال الجيش المصري والمخابرات بشراء ذلك السلاح والعتاد وإيصاله إلى الحدود الليبية وهو يأمل أن يشرف رئيس الحكومة (السيد

---

[196] - كان السيد صالح مسعود بو يصير نائباً لرئيس مجلس النواب الليبي خلال العهد الملكي عندما فرّ من ليبيا في عام 1955 خوفاً من إلقاء السلطات الأمنية يوم ذاك القبض عليه. واستقر المقام بالسيد بو يصير لاجئاً سياسياً في مصر. وعندما وقع انقلاب الأول من سبتمبر تصادف أن كان في زيارة لمدينة لندن، وكان ضمن الشخصيات الليبية التي سارعت بالعودة إلى ليبيا عن طريق تونس، ولا يعرف الكثير متى تم اتصال الانقلابيين بالسيد بو يصير أو اتصاله بهم عند عودته إلى البلاد، ولا عن قناة الاتصال وكيفيته، ولكن الذي يعرفه الجميع، وربما لم يفاجأ به سوى البعض، أن اسمه ظهر ضمن تشكيلة أول حكومة أعلن عنها يوم 8 سبتمبر 1969 برئاسة الدكتور محمود المغربي.

ويعتبر السيد بو يصير أحد الشخصيات الوطنية ذات التاريخ المعروف في معارضة النظام الملكي في الفترة منذ الاستقلال في عام 1951 وحتى تاريخ هروبه من البلاد في عام 1955 سواء من داخل البرلمان الذي كان عضواً فيه ونائباً لرئيسه أو من خلال صحيفة " الدفاع " المستقلة التي كان صاحب امتيازها، وفضلاً عن ذلك فهو ينتمي إلى قبيلة "العواقير" إحدى قبائل برقة الكبيرة وقد عرف عنه توجهاته القومية والإسلامية واهتمامه بالقضية الفلسطينية . كما اعتبر من قبل الكثيرين أنه من الشخصيات الليبية المقربة من النظام المصري وتحظى بتأييده ودعمه.، ولا غرو في ضوء هذا كله أن يكون قد وقع في تصوّر السيد بو يصير – وهو محق في ذلك إلى حد كبير- أنه الأجدر والأكثر تأهيلاً لرئاسة أول حكومة بعد الانقلاب ، وعلى الأخص فهو أجدر بذلك من شخص مثل المغربي الذي لا يملك تاريخاً نضالياً معروفاً في ليبيا (باستثناء حفنة محدودة من الحزبيين)، كما انه لا ينتمي إلى قاعدة شعبية أو قبلية بل لا يكاد معروفاً من قبل احد.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن ثلاثة من أهم الشخصيات التي كانت تثير الشكوك حول الدكتور المغربي وهم الصحفي علي الوريث وعضو مجلس قيادة الثورة النقيب امحمد أبو بكر المقريف ووزير الخارجية صالح مسعود بو يصير كلهم لقوا جميعاً مصرعهم في حوادث غامضة، الأول في حادث سيارة خلال شهر أغسطس 1970، والثاني في حادث سيارة آخر يوم 1972/8/21، والثالث في حادث طائرة الركاب المدنية الليبية التي أسقطتها المقاتلات الإسرائيلية فوق الأراضي المصرية يوم 21 فبراير 1973. ولا شك أن سلوك القذافي إزاء تشكيك بو يصير في المغربي يثير أكثر من علاقة استفهام حول القذافي نفسه ونسبه، وتفيد مطالعة كتاب "فتحي الديب " أن السيد بو يصير لم يكن يحظى لديه ولدى النظام المصري وأجهزته بنفس المكانة التي كانت لشخصيات من أمثال محمد بشير المغيربي ووريث والفويل ومحمود صبحي وغيرهم. وتفيد بعض المصادر أنه كان للسيد بو يصير خط علاقة مباشر مع الرئيس عبد الناصر عن طريق رجل المخابرات المصري اللواء أحمد كامل عشماوي ولا يمر هذا الخط عبر الديب. المصدر : محمد يوسف المقريف

مصطفى بن حليم) بنفسه بنقل ذلك السلاح والعتاد عبر ليبيا إلى الحدود الجزائرية حيث يستلمه منه ممثلو الثورة الجزائرية.

ويذكر بن حليم أن الرئيس عبد الناصر استفزه قائلا : لعلك ستخشى الفرنسيين وتخاف بطشهم؟ فرد عليه قائلا: يا ريس، لعلك لا تعرف أن جد الملك إدريس جاء إلى ليبيا من الجزائر هارباً من الطغيان الفرنسي وأمضى حياته في نشر الدعوة الإسلامية وإيقاظ الأمة الإسلامية لتقاوم موجة الطغيان والتنصير الفرنسي، ووالد الملك إدريس ظل يقاوم تغلغل المد الفرنسي في تشاد والسودان والنيجر، حتى لقي وجه ربه، والسيد احمد الشريف والملك ادريس أفنيا عمرهما في الجهاد ضد الطليان.

ويقول بن حليم أن جمال عبدا الناصر رد قائلا: ألا تستوعب الدعابة ؟ إنني أعرف كل هذا وأعرف أن الليبيين أبطال جهاد، ولكنني رغبت أن أرى رد فعلك[197].

ويواصل بن حليم قائلا بأن الملك إدريس رحب بتمرير السلاح من مصر عبر الأراضي الليبية، وقام بتوجيه المسؤولين لاتخاذ الإجراءات اللازمة حتى لا يتعرض استقلال البلد لأي هزة، وقام مدير عام قوة دفاع "برقة"، الفريق محمود بوقويطين، باتخاذ إجراءات الرقابة التي ستصاحب قوافل السلاح عبر برقة، وكلف رئيس الوزراء مجموعة من خيرة ضباط "طرابلس" يشرف عليهم المجاهد العقيد عبد الحميد، بدرنة، للإشراف على هذه المهمة الخطيرة.

وبرغم معاهدة الصداقة وحسن الجوار المتفق عليها بين المملكة الليبية المتحدة والجمهورية الفرنسية التي تم التوقيع عليها في طرابلس يوم 10 أوت 1955، رفضت طرابلس طلب فرنسا بتمرير أنبوب المحروقات من الجزائر عبر التراب الليبي، وقام الشعب الليبي بوقفة تاريخية فريدة من نوعها تمثلت في الدعوة إلى مقاطعة كل أنواع البضائع الفرنسية الواردة بحرا وبرا، وكذلك بضائع الدول المارة عن طريق فرنسا.

وتزايدت في الخمسينيات عمليات التبرع الشعبي واسعة النطاق لصالح الثورة الجزائرية، وكان مسؤول مكتب الجزائر في بنغازي آنذاك عبد المجيد بو زبيد (مدير الأمن الوطني فيما بعد) ويساعده الأخ سعد الدين نويوات (السفير ثم مستشار رئيس الجمهورية حاليا) وباشر الليبيون مع إخوانهم الجزائريين تنفيذ ما اتفقوا عليه، وتسرب السلاح من ليبيا إلى الجزائر تدريجياً، واستمر هذا الحال في سرّية وكفاءة تامتين لمدة سنة تقريباً، وهو ما عشت شخصيا جانبا منه في 1957.

لكن ما كان يُعلن كان أمرا أخرا يمكن تفهمه، فقد كانت الحكومة الليبية شديدة الحرص على الادعاء بأنها تقف موقفاً محايداً تماماً، وهي تتعاطف مع آمال الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال إلا أنها لا تساعد على أعمال العنف! ولذلك فهي تدعو فرنسا وثوار الجزائر إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات للوصول إلى حل سلمي، وكان كل هذا ستارا دبلوماسيا لأن مساعدات ليبيا للجزائر زادت نوعاً ومقداراً بل وسُمح للمؤسسات الشعبية في أنحاء ليبيا بتكوين جمعيات شعبية لنصرة الشعب الجزائري وجمع التبرعات وإرسال برقيات التأييد للثورة الجزائرية وبرقيات الشجب للحكومة الفرنسية، وكانت الحكومة الليبية تدعي أن لا دخل لها بالأعمال الشعبية العفوية، وأن خير سبيل أمام فرنسا هو الاستجابة لنصائحها باتباع الطرق السلمية مع الثورة الجزائرية وإيقاف القمع والقتل والتشريد التي تقوم بها القوات الفرنسية في الجزائر.

ويقول رئيس الوزراء الليبي الأسبق بأن الملك إدريس تقدم بطلب رسمي لرئيس الجمهورية الجنرال ديجول بأن يطلق سراح أحمد بن بلاً ورفاقه، أو على الأقل أن يخفف وطأة السجن إلى إقامة جبرية أو شيء من هذا القبيل، ويقول أنه بعد أيام نُقل بلاً ورفاقه إلى فيلا في ضاحية (شانتيي) بجوار باريس[198].

وفي يناير عام 1961، ودائما طبقا لرواية رئيس الوزراء الليبي الأسبق، زار ليبيا "الكونت دوباري"، موفداً من طرف الجنرال ديغول، واستقبله محمد عثمان الصيد بصفته رئيساً للحكومة في طرابلس، وكان الكونت دوباري يحمل رسالة خطية من ديغول للملك إدريس السنوسي، تقول أن فرنسا ستعمل قريباً على إيجاد حل لقضية الجزائر يضمن مصلحة الجزائريين ويلبي المطامح العربية، لكنه يرجو من القادة العرب، خاصة

---

[197] - اتهم بن حليم بعد سبتمبر 1969 من قبل بعض عناصر النظام الجديد، المتشنجين ضد من كانوا يسمونهم رجال العهد البائد، بأنه تنازل عن أرض ليبية للجزائر.

[198] - كانت فرنسا قد ألقت القبض على أحمد بن بله وثلاثة من رفاقه وهم يتجهون على متن طائرة مغربية من المغرب إلى تونس وذلك في 22 أكتوبر 1956، أي سبعة أيام قبل العدوان الثلاثي على مصر، حيث قامت باختطاف الطائرة، وكان هذا أول عملية إرهابية من نوعها عرفها القرن العشرين، وبهذا كانت لفرنسا أسبقية خطف الطائرات.

أولئك الذين تعرف عليهم إبان الحرب العالمية الثانية ومنهم الملك إدريس، تفهم ظروف فرنسا الداخلية، ومساعدته حتى يمكن إخراج هذا الحل إلى حيز الوجود، وبالفعل لم تمض أربعة أشهر حتى بدأت مفاوضات الاستقلال بين فرنسا والجزائر في 20 مايو 1961 في إيفيان.

في تلك المرحلة من الكفاح الجزائري كان العقيد معمر القذافي، كما روى شخصيا بحضوري للرئيس هواري بو مدين في 1978، طالبا في ثانوية سبها، وكان يدعم الجزائر ببيع صور للمجاهدة الجزائرية جميلة بو حيرد بمبلغ خمسة قروش، توضع في صندوق دعم الثورة.

وهكذا كانت ليبيا عمقا إستراتيجيا لنشاط الثورة التحريرية، واختارت الثورة عقد ثلاثة من مؤتمراتها الخمسة في طرابلس، كان آخرها يومي 22 -23 فيفري 1962.

القسم الثالث

(1)

ليبيا هي الجسر الطبيعي الذي يربط بين المشرق والمغرب العربيين، وهو دور هام وخطير ألقت به الأقدار على عاتق شعب أؤمن بصدق بصيرته وعمق إيمانه، وأثق بقدرته على القيام بالدور التاريخي الذي تؤهله له جغرافية المنطقة السياسية وتاريخها وانتماؤها ومستقبلها المشترك.

د.عميمور – مجلة الجيش – يناير 1971

عرفتُ ليبيا في بداية الخمسينيات عندما تركتُ عائلتي في "عنابة" وأنا في منتصف العقد الثاني من العمر واتجهت للدراسة في "القاهرة" عبر الطريق البري الذي يجتاز كلا من تونس وليبيا، وهي نفس الطريق التي عبرها الرئيس الراحل "هواري بو مدين" لنفس الهدف والغاية، وفي نفس المرحلة الزمنية تقريبا.

كنت أنطلق من عنابة بالقطار لأصل تونس العاصمة (312 كم) وأقضي الليل فيها، ثم أركب مع آخرين إحدى الحافلات العتيقة ونقضي الليل في "قابس" (وكنا نعرفها بمياهها سيئة الطعم نتيجة لما تحتويه من أملاح) وننطلق صباحا نحو طرابلس (حوالي 800 كم) لكن المسافة الكبرى كانت بين طرابلس وبنغازي وتتجاوز 1000 كم، ولا توقف فيها حيث لا توجد مدن في منتصف الطريق، ومن بنغازي نتجه نحو الحدود المصرية عبر مدينة درنة، وكانت آخر نقط الحدود الليبية قرية "كابوتزو" التي أصبح اسمها "أم ساعد" وهي على بعد 500 كم تقريبا، وتوجد على هضبة تطل على آخر مدن مصر الحدودية، أي السلوم.

ولأن الوصول غالبا كان يتم في ساعة متأخرة من النهار كان علينا أن نقضي الليل في كابوتزو، في شبه أكواخ تعتبر فنادق، حيث نجد في انتظارنا أسرابا من حشرات البق الجائع، ثم ندخل السلوم في صباح الغد لنلحق بالقطار الذاهب إلى مرسى مطروح (215 كم) ثم القطار الذاهب إلى الإسكندرية (290 كم) فقطار الصحافة البطيء العائد إلى القاهرة فجرا (190 كم) وهي رحلة تستغرق نحو ستة أيام أو سبعة.

وكانت الطريق البرية الليبية هي تلك التي أعدتها البلدان المتقاتلة في الحرب العالمية الثانية لضمان تحرك قواتها، وكانت بقايا الأسلحة والمتفجرات ملقاة على جانبي الطريق، بحيث بدت الأرض كمقبرة كبيرة للأسلحة والدبابات، وكانت ليبيا يومها بلدا هادئا يتسم بالبساطة وكان التعامل مع أبنائه على أحسن ما يكون، وكانت

النقطة المركزية في طرابلس هي ساحة الشهداء التي كان يميزها وجود بنك روما، في أول شارع عمر المختار المتجه نحو الجنوب الغربي والذي كانت مدينة طرابلس تنتهي به غربا، حيث يوجد المعرض الدولي، كما تنتهي بفندق المهاري من الجانب الآخر نحو الشرق، وبالطبع فقد توسعت بعد ذلك بشكل يثير الدوار، واستقطعت مساحات كثيرة من البحر لتضاف إلى الكورنيش.

ثم مررت بليبيا أكثر من مرة ذهابا وإيابا، لكن السفرة التي لا تنسى كانت تلك التي غادرت فيها القاهرة مع عدد من الرفاق إلى مدينة سبها بمنطقة فزان الليبية (نحو 500 كم جنوب طرابلس)، متطوعين في جيش التحرير الوطني، في طريقنا إلى منطقة جنوب الصحراء الجزائرية، وكان ذلك على وجه التحديد يوم 6 أوت 1957.



على الحدود الليبية الجزائرية أكتوبر 1957

وقد تناولت هذه الحملة الصحراوية الجزائرية في كتابات أخرى، ربما لم يطلع عليها البعض، ولهذا أحس بأن علي أن أقدم عنها هنا عرضا بالغ الاختصار، تذكيرا بما نسيه كثيرون عن الوقائع والرجال.

كانت فكرة فتح جبهة جنوبية واحدة من بين الأفكار الثورية التي عاشت في وجدان بعض القيادات الجزائرية، وقد أشار محمد حربي لها في كتابه: "جبهة التحرير السراب والواقع " Le FLN, Mirage et réalité"، كما أشار لعدد ممن شاركوا في العملية، ومن بينهم كاتب هذه السطور، الذي كان آنذاك ملازما بسيطا يحاول أن يفهم ما يدور حوله بصعوبة، وفي جو عدائي لا مجال للتوقف عنده اليوم.

وانطلقت العملية في منتصف عام 1957 تحت قيادة ضابط سابق كان قد فرّ لتوه من الجيش الفرنسي، هو المرحوم الرائد "إيدير"، وكانت تضم خليطا يثير وجوده في مكان واحد دهشة تقترب من الاستنكار، فقد ضمت، وفي حدود ما بقي في الذاكرة، الشهيدين المعروفين مصطفى الأكحل وعلي سواعي، والمرحومين نور العموري وتوفيق بو عتورة ونور الدين خلادي والأخوين عبد الحميد زناتي ومولود عينوز، والدكاترة أوشارف والعربي بن وبن عصمان، كما ضمت رفقاء آخرين أثار وجودهم بيننا دهشة كبرى، فقد كانوا بحارة أشرف الرئيس الأسبق أحمد بن بله على إعدادهم في القواعد البحرية المصرية ليقوموا بأعمال الضفادع البشرية ضد سفن العدو، وفهم وجودهم معنا كمحاولة لطمس مشاريع الرئيس الأسبق، بعد اختطافه مع الزعماء الثلاثة، محمد خيضر ومحمد بو ضياف وحسين آيت أحمد، وكان المرحوم العقيد أوعمران يعتبرني، خطأ، واحدا منهم، ومن بينهم أذكر عثمان دامرجي وعبد القادر جوتي وعبد الله دباغ والمرحومين رشيد بن ادريس ومسعود بزة ومحمد شربال.

بالإضافة إلى أولئك كانت هناك الدفعة الثالثة من متطوعي الطلبة الجزائريين في القاهرة، ومن بينهم: سعيد الشايب ومنور مروش ومحمد طالب وإدريس حاجب وحمودي ومحمد ذراعو والشهيد صحابي والمرحوم محمد مفتاحي، وكنت الوحيد من بين الطلبة الذي تلقى تدريبا عسكريا في مصر، بفضل معسكرات تدريب الفدائيين في قناة السويس.

كانت الحملة تضم نحو ثلاثمائة عنصر، تم تجميعهم في مكان مهجور في المنطقة الجنوبية الغربية من ليبيا، يسمى "أم العبيد"، وبعد المرحلة الأولى نقلنا إلى منطقة الحدود المباشرة في منطقة غات، حيث تمركزنا مؤقتا في واحة تسمى "فيوت"، وهنا اتخذ "الكومندان إيدير" القرار بمهاجمة قافلة فرنسية، وأتذكر أن أهم غنائمنا آنذاك كانت جهاز راديو استمعت فيه للمرة الأولى إلى خالدة عبد الوهاب، "بأفكر في اللي ناسيني"، وما زالت الأغنية ترتبط في ذاكرتي بعملية منطقة جنوب الصحراء الجزائرية.

وتهاجم طائرات فرنسية موقعا مدنيا ليبيا على الحدود، بظن أن المجاهدين يختبئون فيه، وهي واقعة "إيسيين" المشهورة التي أراد النظام الليبي أن يجعل منها مرادفا لساقية سيدي يوسف في تونس.

ولست أذكر ما إذا كان هناك ضحايا أم لا، ولكنني بحثت الأمر يوما مع الأستاذ عادل المشيرقي، وقلت له يومها أنني أفضل تعبير "واقعة" وليس تعبير "معركة" لأنه أكثر دقة، وعادل هو ابن المجاهد الليبي إبراهيم المشيرقي، الذي كان لوصى في 2008 بأن يدفن في الجزائر، ولبت الجزائر رغبته.

وبعد تلك المرحلة في الخمسينيات لم أعرف ليبيا إلا في نهاية الستينيات.

كنت يومها قد استقلتُ من القوات المسلحة الجزائرية، التي عملت فيها كبيرا لأطباء البحرية ومحافظا سياسيا لها، لأفتتح عيادة خاصة في شارع أول نوفمبر المنبثق من ساحة الشهداء بالجزائر، مع العمل، طبقا لنظام نصف الوقت المطبق آنذاك، في مطار العاصمة الجزائرية، طبيبا للمراقبة الصحية على الحدود، وكلها تفاصيل يجدها القارئ المهتم في العديد من كتبي[199].

وكنت بدأت تلمس طريقي في ميدان الكتابة عبر مجلة "الجيش" مع عدد من الرفاق، كان من بينهم عبد الله ركيبي ورشيد النجار وعبد الله بن التل وزهور ونيسي وحمودة عاشوري وعثمان سعدي وعمر البرناوي وعبد الله شريط والتركي رابح وغيرهم، وكنت عرفت من الجنرال (الرائد آنذاك) الهاشمي حجريس، مدير المحافظة السياسية، أن وزير الدفاع الوطني العقيد هواري بو مدين، يتابع ما نكتبه باهتمام كبير، وأعترف أن ذلك كان يدفعنا للاهتمام أكثر بما نكتبه ويجعلنا نحرص على أن يظل محتواه ومستواه جديرا بمجموع القراء، وبالقارئ الذي أصبح فيما بعد رئيس الدولة.

وانتقلت فيما بعد للكتابة في المجاهد الأسبوعي، اللسان المركزي لحزب جبهة التحرير الوطني، وقيل لي أن مقالاتي السياسية حول القضايا العربية كانت أحيانا مصدر عتاب كبير من الرئيس المصري جمال عبد الناصر، سمعه كثيرون من الشخصيات الجزائرية التي كانت تزور مصر آنذاك.

وفي شهر ديسمبر 1970 كنت، مع الرفيق الهاشمي العربي، أزور المجاهد رشيد زقار في منزله بشارع البشير الإبراهيمي، بعد صدام حدث معه وتناولته في بعض كتاباتي، وعرفت أنه تحدث عن الصدام مع الرئيس بو مدين، الذي ضحك مما حدث، وكان مما قاله له أن "فلانا" يكتب بشكل جيد، وكان رشيد يظن في البداية أن خطي (calligraphie) جميل، إلى أن شرح له الهاشمي المعنى المقصود من تعبير الرئيس والذي يعني مضمون الكتابات وأسلوبها، ونشأت بيننا مودة، كانت وراء الزيارة[200].

وجلسنا نتبادل أطراف الحديث، وهو يسألني عن كيف ومتى عرفني "سي بو مدين"، وتأكدت أن حديثا جرى بينهما أكثر من مرة كنت أنا محوره، ويدق جرس الهاتف وكانت مكالمة من الرئيس هواري بو مدين كما أبلغنا وهو يُغطي بوق الهاتف، ثم سمعته يقول للرئيس :"فلان عندي"، ولم أسمع ما قاله الرئيس، لكن رشيد سألني، وهو يغطي بوق الهاتف ثانية بيده : الرئيس ذاهب إلى ليبيا، هل تذهب معه؟ ورحبت بالطبع.

---

[199] - ...وخصوصا "أنا وهو وهم" وكذلك "أيام مع الرئيس بو مدين" و"تأملات على عتبة قرن يُحتضر".

[200] - مسعود زقار (8 ديسمبر 1926 - 21 نوفمبر 1987) كان أحد أبرز رجال المخابرات الجزائرية وهو مجاهد كبير عاش لأجل بلده الجزائر التي وهب نفسه لأجلها بنفسه وماله الخاص أيضاً. وكان قد مول العديد من عمليات الجاسوسية الناجحة في الخارج رغم أنه لم يتم الكشف إلا على القليل جدا منها، وهو رجل كانت تحسب له المخابرات الفرنسية ألف حساب، وبلغ به الأمر حد تكوين علاقات مع شخصيات أمريكية راقية وبعض أعضاء الكونغرس الأمريكي فكان يحضر معهم معظم الحفلات والنشاطات التي ينظمونها، وقد أتيحت له الفرصة بأن يتعرف على السيناتور جون كينيدي الذي أصبح بعد سنوات رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، فكان يوظف كل هذه العلاقات لدعم القضية الجزائرية أما عملياته الاستخباراتية فقد كللت بنجاح باهر وبدأ الرجل يوسع دائرة استعلاماته في عدة أماكن، ويقال أنه تمكن من خلق علاقات في محيط الرئيس الفرنسي شارل ديغول، وكان في كل مرة يزود قيادات الثورة بمعلومات سرية للغاية وكان بمثابة النواة لشبكة المخابرات التي لعبت دورا بارزا في الاستعلام الحربي، ورفض أي منصب رسمي بعد استرجاع الاستقلال وفضل التفرغ للأعمال الحرة، ولكنه ظل على صلة بالجهات الاستخباراتية، وكانت لي مشاكل معه تسبب فيها أحد الرفقاء الذي زعم له أنني وراء ما نشرته صحيفة "لو موند" الفرنسية من إساءات له في قضية "ماسكينو" حيث أنني الوحيد الذي يتميز بنفوذه في الصحيفة، وهو ما كان عملية إيقاع وراءها سوء النية.

وكانت لرشيد علاقة متميزة مع الرئيس هواري بو مدين الذي كان يكلفه بمهام كثيرة في الولايات المتحدة، ومن بينها ملف تمييع الغاز الذي عُرف باتفاقية "البازو"، حيث أبلى فيه بلاء حسنا، وكنت أشرت إلى كل ذلك في سلسلة "لله وللوطن"، وبعد وفاة الرئيس بو مدين لفقت له تهم قدم بسببها إلى المحكمة العسكرية في البليدة، وقيل أن المخابرات الفرنسية كانت وراء التلفيق، واستدعيت شاهدا في المحكمة وقلت ما أعرفه عن جهاد الرجل وكفاءته، وقد برأته المحكمة بعد صراع قانوني كبير، وقال لي المرحوم تعليقا على موقفي في المحكمة : اليوم عرفت قيمة الرجال.

ولعلي تصورت أن عرض الرئيس بو مدين، وأنا أعرف قوة ذاكرته، ارتبط بمقال كنت كتبته في 26 أبريل من نفس العام في صحيفة المجاهد بمناسبة زيارة العقيد القذافي للجزائر، وجاء في المقال، تحت عنوان أهلا:

لا أذكر على الإطلاق أنني كتبت عن أي زيارة رسمية يقوم بها رئيس دولة للجزائر (..) ولكن زيارة العقيد القذافي للجزائر تكتسي صبغة أكثر مما يظن البعض، وتستجيب لمطلب حقيقي من مطالب الأمة، وأكثر من هذا، بالنسبة لي، تتجاوب مع مشاعر كنت عبرت عنها في أحاديث سابقة.

لقد اريد لليبيا أن تكون محيطا أصفر يفصل بين مشرق الأمة ومغربها، وجاءت ثورة سبتمبر لتعطي لليبيا وجهها العربي الحقيقي الذي يستمد قوته من بطولات الشعب الليبي وتضحياته التي لا يمكن أن ينساها مناضل حقيقي (..) ولقد كنت أضع يدي على قلبي خوفا من نجاح محاولات الاصطياد في الماء العكر، والتي تهدف من بين ما تهدف إليه جعل ليبيا حدودا شرقية...مجرد حدود شرقية.انتهى.

وأتذكر أنني استأذنت في السفر من الحاج حمدي، بصفته مسؤول الإدارة الصحية التي كنت أعمل بها، وعندما قلت له أنني سأسافر مع الرئيس نظر لي بنوع من الشك، فأريته الأمر بالمهمة الذي كان بتوقيع "هواري بو مدين"، وتغيرت نظرته لي تماما بعد ذلك، بحيث أحسست أحيانا أنه أصبح يخافني.

وهكذا ذهبت إلى ليبيا ضمن الوفد الرئاسي على متن الطائرة "إليوشين 18"، وهي طائرة مزعجة كانت هدية من الاتحاد السوفيتي للرئيس أحمد بن بله، وكان ممن دهشوا لوجودي في الوفد مدير التشريفات الرئاسية الأخ عبد المجيد أعلاهم، وكاتب جزائري كان يشيع بين الناس أنه الناطق غير الرسمي باسم الرئيس، بما كان يوحي بأنه سيصبح مستشاره الرسمي قريبا، ولعله بدأ يشك في أن لوجودي صلة بالموقع الذي لن ينعم به أبدا، لكنني كنت آنذاك بعيدا كل البعد عن توقع الأمر.

كانت ليبيا قد خرجت من العهد الملكي بالانقلاب الذي قام به العقيد (الملازم آنذاك) معمر القذافي أول سبتمبر 1969[201]، ولعل العلاقات مع ليبيا كانت محكومة بأكثر من خلفية ذات أهمية، من أهمها أن الرئيس جمال عبد الناصر، كما سبق أن قلت، وضع كل ثقله وراء الملازم الشاب، وقال عنه يوما بأنه يذكره بشبابه وبأنه هو الأمين على القومية العربية، وكان الموقف المصري تعبيرا عن شعور القيادة في القاهرة بأن ما حدث في ليبيا هو تعويض سياسي عربي عن هزيمة 1967، كما كان انتصار الثورة الجزائرية في 1962 تعويضا عربيا عن نكسة الانفصال الذي أجهض الوحدة المصرية السورية في سبتمبر 1961[202].

ومن هنا يمكن فهم الحماس الكبير الذي كان يتحكم في تعامل الرئيس المصري مع الزعيم الليبي الشاب، الذي أطلق على المجموعة التي قامت معه بالعملية اسم "الضباط الأحرار"، تقليدا لما حدث في مصر في يوليو 1952، وكانت الانطباعات الأولى عما عرفته ليبيا إثر الانقلاب، الذي أصبح يسمى "ثورة الفاتح"، هي تلك التي حملها إلى عبد الناصر رجله الإعلامي محمد حسنين هيكل.

لكن الجزائر لم تتوقف عند تلك التفاصيل، حيث أن موقع ليبيا في الشمال الإفريقي وجنوب المتوسط ومكانتها لدى شعوبنا وتاريخنا المشترك لم يكن يحتمل إهمال التحرك الذي حدث فيها، وهكذا توقف الرئيس بو مدين في العاصمة الليبية بعد انتهاء مشاركته في مؤتمر القمة الإفريقي في أديس أبابا، وحاول هناك أن يفهم ما

---

[201] - خرجت يومها إشاعات تقول بأن القائد الحقيقي للانقلاب كان العقيد سعد الدين بو شويرب، الذي عين ملحقا عسكريا بعد ذلك في القاهرة، وكان وراء الإشاعات التلميح بأن مصر كانت وراء كل شيء، وهو ما نفاه الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي قال بأن مصر فوجئت تماما بالانقلاب، والعلم عند الله.

ويروي عبد المنعم الهوني لصحيفة الحياة منذ أقل من عام قصة الثورة ويقول فيها : كانت لمعظم الذين انضووا في التنظيم علاقات حزبية أو تنظيمية من قبل. أبو بكر يونس كان مع البعثيين. ربما لأن العسكريين كانوا يبحثون آنذاك عن سبل تغيير النظام. لكن القذافي كان صاحب المبادرة التي أدت إلى ضم كل هؤلاء في تنظيم عسكري. والواقع أن التعصب للتنظيم جعلنا لا نتوقف عند المآخذ على تصرفاته والتي كان الضباط الأرفع رتبة يبدونها. وبعضهم كان يتهمه بالإفراط في المظاهر خصوصاً حين يكون في النادي العسكري ويحين موعد الصلاة وينادي الحاضرين للصلاة معه. يضاف إلى ذلك أنه كان يعارض استخدام أي نعت قاس بحق احد الزملاء. وإذا حدث شيء من ذلك كان يترك الجلسة ويعتبر ما حدث سقطة كبيرة جداً. وكان لاحقاً يعاتب من ارتكب ما يعتبره هو خطأ كبيراً وربما امتنع عن الكلام مع هذا الشخص يومين أو ثلاثة احتجاجاً. ويقول طلحة جبريل عن الهوني أنه : من بين الذين اختلفوا في سنوات الثورة الأولى مع العقيد وعاش في المنفى متنقلاً بين الجزائر ومصر، وتعرض لمحاولة اغتيال فاشلة. ثم تصالح مع القذافي قبل سنوات وتولى منصب مندوب ليبيا في الجامعة العربية، ثم انضم إلى معارضي القذافي حالياً، وهو من منطقة زنزور في طرابلس.

[202] - روى البعض أنه عندما سمع الملك إدريس، عشية انقلاب معمّر القذافي، هتافات ضده تقول: إبليس ولا إدريس قال: اللهم آمين، اللهم آمين، فكان له ولهم ما طلبوا (جهاد الخازن – الحياة – 17 أبريل 2011)

حدث ويحدث، وكان مما أثار اهتمامه أن الشخصية المصرية التي كلفها جمال عبد الناصر بالملف الليبي كان رجل المخابرات المصرية المعروف العقيد فتحي الديب، والذي كانت النظرة الجزائرية له محكومة بخلفيات كثيرة، منها الصحيح ومنها المفتعل ومنها المبالغ فيه[203].

و كان من العُقد في العلاقات الجزائرية الليبية بعد الانقلاب الأصلُ الجزائري للملك إدريس السنوسي، والذي راحت الثورة الجديدة تكيل له تهم الفساد، في تقليد واضح لما قامت به ثورة عبد الناصر ضد الملك فاروق، وبدا أن صلب الفكر السياسي للنظام الليبي الجديد كان خطب الرئيس عبد الناصر ومواقفه الوحدوية، وسيكون ذلك هو المشروع الرئيس في نشاط القذافي في العقد الأول لثورته، حيث أصبح يتصرف وكأنه هو الوريث الشرعي لعبد الناصر، الذي انتقل إلى رحاب الله في سبتمبر 1970، أي بعد عام من "فاتح" ليبيا.

وهكذا كان الإحساس العام بأن العقيد الليبي أدرك حجم الفراغ الذي تركه غياب عبد الناصر عن الساحة المشرقية، فراح يمني النفس بوراثته، ولعله كان يرى أن ليبيا أصغر من مستوى طموحه.

وفي هذا الجو جاءت زيارتي إلى ليبيا في ديسمبر 1970، وكنت أكثر الناس دهشة لوجودي في وفد رئاسي لم تكن لي فيه مهمة واضحة، وتصورت في البداية أنني ذاهب بصفتي الطبية فأخذت معي حقيبتي الطبية لكن أحدا لم يتعامل معي على هذا الأساس، ولم أسمع كلمة واحدة من الرئيس، وإن كنت أحس بأنه كان يتابع بطرف عينه وجودي في الوفد وحواري مع الأخرين في حفل العشاء.

وعندما عدت إلى الجزائر كتبت عن الزيارة التي رفع فيها الأشقاء هناك شعارات الوحدة العربية الشاملة بما يوحي أن نهاية الزيارة ستشهد إعلان الوحدة بين البلدين، وكانت السطور في مجلة المجاهد عدد 10 يناير 1970 وتحت عنوان: "دين في عنقي"، وعرفت أن الرئيس قرأها باهتمام، وكان مما جاء فيها:

الرحلة من الجزائر إلى طرابلس تقترب من نهايتها، وشريط من الذكريات تتابع صوره في مخيلتي...ذكريات من الكفاح المرير الذي قاده عمر المختار، وذكريات عن المعارك الطاحنة التي دارت رحاها على هذه الأرض بين جنود الحلفاء وجنود المحور.

وتذكرت أياما عشتها بين طرابلس وبنغازي وسبها إبان الثورة الجزائرية، لمست فيها صلابة هذا الشعب وإيمانه بوحدة المصير العربي، وتعاطفه الرائع مع الثورة التي أعادت إلى الفرد العربي ثقته بأمته.

(..) وفي إحدى الحفلات التي أقيمت بمناسبة الزيارة وجدت نفسي على مائدة العشاء مع مجموعة من الرفقاء الليبيين (..) وقلت للأصدقاء في ليبيا[204] :كمواطن عربي يعيش أحداث الأمة العربية بعقله وبوجدانه أحس بأن اللقاء بين ثورتي أول نوفمبر وأول سبتمبر هو خطوة جادة لتحقيق تضامن عربي فعال.

ذلك أن قيام ثورة سبتمبر قد فتح بالفعل آفاقا جديدة للتعاون بين البلدين، والتعاون الحقيقي هو التعاون الذي يقوم على أساس الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية وعلى أساس تنسيق الجهود وخلق التكامل في كل قطاعات الحياة، كخطوة رئيسية لخلق الانسجام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهي اللبنات الحقيقية لبناء الوحدة الحقيقية.

وتجاهل الواقع الإقليمي، مهما كانت نظرتنا له وحكمنا عليه، يمكن أن يؤدي بنا إلى نكسات خطيرة لست أعتقد أن بإمكاننا تحملها بعد أن تكاثرت علينا النكسات.

وقلت للأصدقاء في ليبيا، وكمواطن يضع قلبه على لسانه، ما سبق أن رددته على هذه الصفحات، كم أن ليبيا هي الجسر الطبيعي الذي يربط بين المشرق والمغرب العربيين، وهو دور هام وخطير ألقت به الأقدار على عاتق شعب أؤمن بصدق بصيرته وعمق إيمانه، وأثق بقدرته على القيام بالدور التاريخي الذي تؤهله له جغرافية المنطقة السياسية وتاريخها وانتماؤها ومستقبلها المشترك.

******

وفي الأسبوع التالي مباشرة كتبت في نفس المنبر مجموعة من الانطباعات العابرة كان منها:

---

[203] - أنظر للكاتب: أربعة أيام صححت تاريخ العرب – إصدار دار هومة 2010– الجزائر.

[204] - حذفتُ فقرات كثيرة من المقال لأنها لا تخدم سياق الحديث هنا.

بمناسبة الوحدة أقول للذين يعتقدون بأن الحل الحقيقي لكل مشاكل الوطن العربي هو الوحدة الفورية: أنتم تنسون بأن من أهم مشاكل الوطن العربي..حملة شعار الوحدة الفورية.

******

ولم يكن أحدٌ طلب مني ان اقول ذلك ولا كنت اطلعتُ على ملفات العلاقات بين البلدين، وكنت، كما هو الحال في كل كتاباتي، أعبّر عما كنت أحس به وأراه، لكنني احسست بشكل ما أن هناك من رأى في كتاباتي تعبيرا عن الموقف الرسمي الجزائري، وربما كان ذلك نتيجة لبعض مقالاتي السابقة في الجيش والمجاهد، والتي كانت، ولم أكن أقصد ذلك أو أتعمده، تعبيرا عن موقف الرئيس هواري بو مدين تجاه الواقع العربي، وهو ما سمعته بعد ذلك من الرئيس شخصيا.

وبعد الوصول بعدة أيام التقيت في مطار العاصمة العقيد طبيب محمد أمير، الأمين العام لرئاسة الجمهورية، الذي أسرّ لي، فيما بدا استمزاجا لرأيي، بأن الرئيس يرغب في أن أعمل إلى جواره، وطلبت مهلة للتفكير، ثم حدثني في الأمر نفسه الأخ رشيد زقار، وسمعت من العقيد محمد الصالح يحياوي أن الرئيس ابلغه بأنه سوف يستدعيني للعمل معه، وقررت بيني وبين نفسي ألا أعطي إجابتي إلا للرئيس مباشرة، لأن أهم شروطي للعمل معه ألا يكون بيني وبينه أي واسطة، وهو ما حدث بالفعل، فبعد أن طال الأمر نحو ستة أشهر بين عروض متكررة وتردد متواصل، حسمت الأمر في 11 مايو، يوم وجدت رسالة في مكتبي بالمطار تبلغني بأن الرئيس يطلبني شخصيا، واتجهت إلى مكتب الرئيس في المرادية، وهكذا بدأت مرحلة جديدة في حياتي[205].

وخلال السنوات الأولى من عمر انقلاب سبتمبر الليبي بدأ مجلس الثورة يتآكل[206].

وربما كان من العناصر التي شكلت تناقضات بين المواقف الجزائرية والليبية الموقفُ من وحدة المغرب العربي، فالموقف الليبي كان محكوما بنظرة مشرقية لأفكار الوحدة العربية، تضع المشروع التاريخي الذي كان حلم أبناء المغرب العربي في نفس الخانة التي يوضع فيها مشروع الهلال الخصيب سيئ الذكر.

وأتذكر مناقشات اتسمت ببعض الحدة في "حاسي مسعود" بيني وبين الرائد عبد السلام جلود تعليقا على شعار كانت تحمله لافتة كبيرة في طريق المطار، يشير إلى وحدة المغرب العربي كطريق نحو الوحدة العربية الشاملة، وهو ما انتقده جلود (وكنت أنا، بحكم مسؤوليتي في الرئاسة المكلف بإعداد اللافتات التي ترفع في الشوارع تحية لضيف كبير) وكان تأثير الفكر الناصري واضحا في هذا المنطلق على وجه التحديد.

وكان هناك عنصر آخر أتردد في نسبة تأثيره للرئيس المصري الراحل وهو إصرار النظام الليبي الجديد على الإشادة المتكررة بالرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بله[207]، الذي كان يومها يقضي سنوات الإقامة الجبرية في فيلا "هولدن"، على الطريق بين العاصمة والبليدة، وإلى درجة تلويح مسؤول ليبي بالاتجاه نحو إطلاق اسم أحمد بن بله على إحدى المنشآت الليبية، واعتقد أنها كانت مؤسسة طبية، وبدا وكأن القضية كانت

---

[205] - انظر كتبي : أيام مع الرئيس بو مدين – التجربة والجذور – أنا وهو وهم – نظرة في مرآة عاكسة (موفم) وكان أساس الاستدعاء رغبة الرئيس، كما قال لي، في أن يقدم لي عزاءه في وفاة والدي مطلع الشهر، وبعد كلمات رقيقة فاتحني في الأمر، وعرضت عليه شروطي التي قبلها مشكورا، بحيث خجلت من نفسي.

[206] - للتذكير، في نهاية 1969 اعتقل عضوان بتهمة التآمر لقلب النظام الجديد وهما آدم الحواز وزير الدفاع وموسى أحمد وزير الداخلية، وبعدها بأيام قرر مجلس قيادة الثورة تشكيل محكمة عسكرية خاصة قيل أنها لحماية الثورة، وبعد نحو عام استقال الرائد عبد المنعم الهوني وأضيفت وزارة الاقتصاد للرائد عبد السلام جلود (الذي سيستأصل سياسيا وإداريا بعد نحو عقدين) وعين الخويلدي الحميدي وزيرا للداخلية، واستقال، أو أقيل، الرائد محمد نجم من منصبه كوزير للخارجية، وتوج كل هذا بالتخلص ممن كان يعتبر المثقف الوحيد من بين أعضاء المجلس وهو عمر المحيشي، وكان امحمد أبو بكر المقريف قد مات في حادث سيارة دار حوله لغط نسي مع الأيام. والمهم أن من بقي من أعضاء المجلس بعد أربعة عقود كان أبو بكر يونس ومصطفى خروبي (والأول كان مختفيا خلال الأحداث الليبية الأخيرة أما الثاني فقد كلف باستقبال الوفد الإفريقي في المطار) والخويلدي الحميدي الذي يقود ابنه كتيبة "سحبان" المؤيدة للعقيد، بينما لم يظهر هو على الساحة. ويقول اللواء عمر الحريري عن بقية الأعضاء بأن : مختار القروي خرج من مجلس قيادة الثورة في 1974 وبشير هوادي وضع في إقامة جبرية (الشرق الأوسط 1 يونيو) ويضيف اللواء قائلا : القذافي كاذب عندما يقول بأنه قام بالثورة منفردا، وأنا من اعتقل ولي العهد الحسن الرضا.

[207] - روى العقيد الطاهر زبيري للشروق العربي يوم 2 أبريل 2011 أنه، خلال مرحلة تناقضه مع الرئيس بو مدين، حاول مسؤول ليبي جس نبضه للقيام بعمل ضد الرئيس الجزائري لاختطاف أحمد بن بله، ويبدو أن العقيد الليبي كان يرى نفسه هتلر الذي اختطف موسوليني وأعاده إلى السلطة، وفات العقيد أنه ليس هتلر وأن بن بله مجاهد جزائري، لم يكن ليرضى حتى بأن يُطرح الأمر عليه، كما أن الزبيري مجاهد جزائري ما كان يقبل أن يساهم في أمر كهذا.

استفزازا مقصودا من القذافي شخصيا للرئيس هواري بو مدين، الذي لم يتوقف عند الأمر أساسا (ولقد ذكرتُ يوما أنني لم أسمع من بو مدين طوال عملي معه أي تعبير فيه إساءة للرئيس بن بله).

(2)

كانت عملية تأميم النفط الجزائري في فبراير 1971 وما أدت إليه من حصار للجزائر سببا في طلب وديعة مالية ليبية توضع في البنك المركزي الجزائري من باب الاحتياط المالي، وهو ما قام به العقيد القذافي مشكورا، وربما كان من أسباب الودّ الجزائري تجاه ثورة الفاتح من سبتمبر.

*

شهد العامان المتتاليان 1970 و1971 حدثان لهما أهمية بالغة في مسيرة المنطقة، وكان إجلاء الولايات المتحدة عن قاعدة هويلس في 1970 واحدة من ألغاز العلاقات الأمريكية الليبية، فهذه القاعدة كانت دولة داخل الدولة، ويُقال أنه كان لها معسكراتها ومطاراتها في كثير من أنحاء ليبيا.

وكانت "هويليس" أكبر قاعدة للولايات المتحدة فيما وراء البحار، وتمركزت فيها كل أصناف الطائرات القاذفة للحمم حيث كانت تربض فوقها مئات الطائرات من أنواع (الفانتوم) إلى جانب القاذفات الإستراتيجية (ب -52) كما ضمت مركزا كبيرا لتوجيه الأساطيل الأمريكية، إضافة إلى ميدان رماية جوي في عمق البحر، حجزت له مساحة جوية شاسعة على طول الساحل الليبي لتدريب الطيارين على مختلف عمليات الرماية والتزود بالوقود والرماية البحرية وغيرها، والبعض يشككون في خلفيات قبول الولايات المتحدة إخلاء أهم قواعدها جنوب المتوسط لكن كثيرين يرون بكل بساطة أن واشنطون وجدت بأن القواعد العسكرية مُكلفة ومستفزة وغير عملية، في حين أن الأسطول السادس يستطيع القيام بنفس المهمة وربما بفعالية أكبر وتكلفة أقل، ولعلها كانت تنتظر الفرصة التي يكون القرار أكثر ملائمة لمصالحها.

ولا بد من التذكير بأن قرار إجلاء كل القواعد الأجنبية، البريطانية والأمريكية، كان قد تم اتخاذه من قبل "البرلمان" الليبي والحكومة الليبية في 1964، أي في العهد الملكي، حيث تم إبلاغ الإنجليز والأمريكان بهذا القرار، وأصبحت العملية بالتالي عملية وقت لا أكثر ولا أقل، وكان القرار يقضي بعدم التجديد للعقود المبرمة مع الإنجليز والأمريكان بعد انتهاء مدة تأجير الأراضي الليبية التي بنيت عليها تلك القواعد في وقت كانت ليبيا فيه من أفقر الدول في العالم وفي حاجة ماسة إلى المال، وقد وافق الأمريكان والإنجليز على قرار الليبيين بالجلاء عند انتهاء مدة العقود المبرمة .

لكن قرار الجلاء الأمريكي كان أكبر دعم سياسي للنظام الجديد في ليبيا، وهذه هي خلفية من يشككون في خلفيات القرار، ويصل البعض إلى حد القول صراحة أن واشنطون تمكنت من الحفاظ على ليبيا كقاعدة سياسية لا تكلفها شيئا على الإطلاق، وهو في تصوري نوع من عمليات جلد الذات التي برع فيها بعض الأعراب، وهو ما أرفضه حتى ولو سلمتُ بأن النظام الليبي أساء كثيرا لكل معطيات النضال العربي الوحدوي، وأقام "لا نظاما" أسماه سلطة الشعب، تستر وراءها الأبناء والأقارب وأبناء القبيلة، أو بعضهم.

ولا بد، للأمانة، أن نتذكر بأن ليبيا القذافي دعمت عملية التأميم التي قامت بها الجزائر في 24 فبراير 1971 بتأميم 51 في المائة من النفط الجزائري، وهي نسبة اعتبرها البعض، بعد وفاة الرئيس هواري بو مدين، تقصيرا واضحا، مقارنة بالتأميم الكامل، أي مائة في المائة، الذي دعا له وزير الطاقة في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، وكان ذلك يندرج في سياق حملات التشويه التي تعرض لها نظام بو مدين.

والواقع أن كثيرين، جهلا أو تجاهلا، لم يضعوا عملية التأميم في إطارها الزمني، سواء بالنسبة للجزائر أو لمجموع الدول المصدرة للنفط، حيث كانت العملية أول إجراء من نوعه بعد عملية تأميم النفط التي قام بها الزعيم الإيراني حسين مصدق في بداية الخمسينيات، وكانت سببا في إسقاطه على يد المخابرات الأمريكية (وتلا ذلك تأميم النفط العراقي في أول يونيو 1972).

وكانت ردود الفعل الفرنسية على عملية التأميم الجزائري، رغم أنه كان جزئيا، حملة دولية رهيبة وصف فيها البترول الجزائري بأنه بترول أحمر (أي شيوعي) ورد بو مدين يومها بأنه إذا كان البترول أحمر اللون، فهذا بفضل دماء الشهداء على أرض الجزائر[208].

وكانت عملية التأميم وما أدت إليه من حصار للجزائر سببا، على ما أعرف، في طلب وديعة مالية ليبية توضع في البنك المركزي الجزائري من باب الاحتياط المالي، وهو ما قام به العقيد القذافي مشكورا، وكان من أهم أسباب الودّ الجزائري تجاه ثورة الفاتح من سبتمبر، وفي حدود ما أعرفه، ولم أكن يومها في موقع المسؤولية، أعيدت الوديعة إلى ليبيا قبل أن يبدأ العام الجديد، طبقا للاتفاق[209].

لكن العام شهد عملية أخرى كانت وراء بعض النفور القيادي الجزائري من العقيد الليبي.

كنت بدأت عملي كمستشار بالرئاسة في أول يونيو 1971، وألفتُ، خصوصا في أيام العطلات أو في بعض ساعات الليل، أن أمر بمكاتب الأخبار البرقية لا لمجرد العلم، فقد كنت على اتصال هاتفي مستمر بمناوبة الرئاسة، ولكن ليُحس العاملون معي بأنني أتابع كل شيء، وهو ما تعلمته من أسلوب الرئيس.

وفي يوم السبت العاشر من يوليو التقطت عيناي سطورا بدأت تطبعها آلة التلكس، تتحدث عن تحركات وطلقات رصاص خارج القصر الملكي في الصخيرات.

كانت العلاقات الجزائرية المغربية تمر بفترة من الهدوء أسميتها "السلام البارد"، في مقارنة بتعبير "الحرب الباردة"، حيث ساهمت لقاءات تلمسان وإيفران بين الرئيس بو مدين والملك الحسن الثاني في قلب صفحة الغزو الفاشل الذي قامت به القوات المغربية للأراضي الجزائرية في أكتوبر 1963[210].

وكنا نعرف أن العاهل المغربي يقيم في قصر "الصخيرات" حفلا كبيرا قيل أن من بين حضوره الفنان المصري عبد الحليم حافظ وعدد من الدبلوماسيين وكبار الصحفيين والفنانين من مختلف الجنسيات.

وبمجرد أن أكملت الطابعة الخبر أحسست بخطورته، فاختطفت الورقة وأرسلت بها فورا للرئيس بو مدين، وفي أقل من نصف ساعة كان الرئيس في مكتبه يتابع الأحداث أولا بأول عبر ما أرسله له من برقيات وما يقوم به من اتصالات هاتفية[211].

كان الرئيس بو مدين، كما عرفته بعد ذلك أكثر فأكثر، يؤمن بأن الخروج من مرحلة التخلف وتحقيق الانطلاقة الاقتصادية الاجتماعية يرتكزان على ضمان الاستقرار في الجزائر وحول الجزائر، ويدرك بأن

---

208 - كان اختيار نسبة التأميم بالغ الذكاء، فبالإضافة إلى أنه خفف من حدة الغضب الأوربي أكد سيادة الجزائر بالنسبة للنفط وفي الوقت نفسه حافظ على وجود الشركات الأجنبية حرصا على حسن صيانة الآبار وتجديد طاقتها، وهو ما اضطرت الجزائر للقيام به في التسعينيات وبتكلفة وطنية ومالية أكبر.

209 - قيل لي أن الجزائر طلبت من ليبيا في 1998 وديعة مالية مشابهة تواجه بها مصاعب ظرفية ناشئة عن مرحلة الإرهاب الإجرامي، واستجاب العقيد القذافي بسرعة للطلب الجزائري، وقيل أنه قدم دعما أمنيا كبيرا للجزائر آنذاك، ولا أجزم بشيء لكنني أتخيل، إذا كان الأمر صحيحا، أن السلطات الجزائرية ظلت تشعر بالامتنان للعقيد.

وقال لي أحمد كوجيتي، وكنا معا في جنازة العميد الهاشمي حجريس يوم 22 سبتمبر، أن حجم الوديعة الأولى كان 500 مليون دولار، ولم ألتق مصدرا يؤكد أو ينفي حجم الوديعة، الذي كنت أعتقد أنها كان أقل من ذلك، وربما في حدود 100 مليون دولار.

210 - كان الاسم السائد إعلاميا للغزو هو "حرب الرمال" وهو تعبير مشبوه تمسك به الأشقاء في المغرب بشدة وجرى فرضه تدريجيا على كل وسائل الإعلام ورفضته الجزائر دائما، لكن الرفض كان دائما من طرف واحد وبدون دليل، إلى أن صدر كتاب وزير الخارجية المغربي عبد اللطيف الفيلالي وأكد أن القضية كانت بالفعل غزوا عسكريا سافرا تم بطلب القيادات السياسية المغربية.

211 - انظر : أيام مع الرئيس هواري بو مدين – دار اقرأ – بيروت/ المؤسسة الجزائرية للفنون المطبعية- الجزائر.

تحقيق الأمن القومي الجزائري يتطلب الاهتمام بما وراء الحدود، أي أن حدود الأمن القومي تتجاوز الحدود الجغرافية للبلاد، ومن هنا كان يتابع الأحداث التي تمر بها المنطقة المحيطة بالجزائر بكل دقة واهتمام.

ولعل هذا هو ما يفسر حرص الجزائر على إنهاء كل القضايا العالقة المتعلقة بالحدود الجغرافية، وحرصها على احترام مبدأ عدم التدخل في شؤون الجيران، واحترام الاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأشقاء، وهو ما يعني الحرص على ألا يكون هناك نقص في فهم ما يحدث، بما يمكن أن يؤدي إلى خلل في التفهم، ثم إلى اختلال في العلاقات تقود إلى صدامات قد تبرر التدخل الأجنبي.

وتجمعت لدينا عصر ذلك السبت من يوليو، وعبر البرقيات الصحفية والاتصالات الهاتفية مع بعض الإعلاميين الدوليين، صورة تؤكد حدوث عملية انقلابية ضد العاهل المغربي، وكنت أتردد، لمواصلة استكمال جوانب الصورة، على مكتب الأمين العام لرئاسة الجمهورية الدكتور محمد أمير، الذي يتصل مباشرة بمكتب الرئيس عبر باب جانبي.

وكان الرئيس يلتحق بنا بين الحين والآخر ليطلع على آخر التطورات ويلح على ضرورة إقامة اتصال هاتفي مع الملك الحسن الثاني، وهو ما تم بالفعل، وكان الرئيس الجزائري هو أول من تحادث مع الملك المغربي إثر توقف إطلاق الرصاص، وعرف منه تفاصيل ما حدث، وهكذا كان بو مدين أسرع القادة العرب فهما لأبعاد الحدث، وكان هذا شأنه مع كل الأحداث التي عرفها الوطن العربي.

ويطرق أحد الموظفين باب مكتب الأمين العام الخارجي ويدخل ليبلغه بأمر ما، فيخرج الدكتور أمير ونبقى وحدنا، الرئيس وأنا، في المكتب، ويدق جرس الهاتف فأسرع لرفع السماعة، وإذا بعامل "البدالة" يبلغني بأن العقيد معمر القذافي على الخط، وهو يريد أن يتحدث مع الرئيس الذي لم يكن موجودا، بالطبع، في مكتبه، ويسألني العامل عما إذا كان الرئيس موجودا بجانبي، وطلبت منه أن يدعو العقيد إلى الانتظار لحظات، وبعد استشارة الرئيس أعطيته السماعة فجلس إلى مكتب الأمين العام للحديث مع محاوره، واتجهت أنا نحو باب الخروج لأتركه وحده، فإذا به يشير لي بيده أن أظل في مكاني.

وهكذا رحت أتابع حوارا من جانب واحد، كان فيه الرئيس في البداية بالغ الهدوء، ثم أحسست بأنه بدأ يتصرف بنوع من ضيق الصدر وهو يكرر عباراته أكثر من مرة.

ولم أكن أسمع بالطبع ما يقوله الجانب الآخر، لكنني كنت أتابع ما يقوله الرئيس ويكرره من أن هناك بالفعل محاولة انقلابية حدثت في الصخيرات، وبأنه تحدث مع الملك بعد خروجه من مخبأ أمين، سليما معافى ويسيطر على مجرى الأمور. وراح صوت الرئيس يرتفع وهو يعيد ما قاله ويؤكد لمحاوره بأن القضية هي انقلاب قصر وليس ثورة شعب، وليس هناك ضباط أحرار ولا عهد بائد ولا هم يحزنون.

واختتم الرئيس المكالمة ليلتفت نحوي قائلا وكأنه يحدث نفسه : العقيد يريد مباركة من الجزائر ليرسل طائراته لقنبلة قصر الصخيرات و"القضاء على العهد البائد" كما يقول.

ويضيف الرئيس بسخرية مريرة: أنا على يقين من أنه، في هذه اللحظة على الأقل، لا يملك حتى خريطة سياحية تبين موقع القصر في المغرب.

ولعلي هنا، وللأمانة التاريخية، أكرر ما سبق أن كتبته منذ عدة عقود من أنني تساءلت أمام الرئيس يوما عن تقصيرنا كبلد ثوري في دعم المعارضة الوطنية لبعض الدول الشقيقة، وأتذكر أن الرئيس رمقني بنظرة خيل إلي أنها ترثي سذاجتي، ثم قال لي بالحرف الواحد حول بعض عناصر المعارضة التي كنت أعنيها : "هؤلاء الناس على وجه التحديد كانوا يجيئون إلينا ويتناقشون، بعلمي، مع جماعتنا، ثم يأتيني بعد أقل من أسبوع وزير خارجية البلد المعني بالمعارضة ليسلمني محضرا حرفيا للحوار الذي جرى عندنا".

وأقول هنا، والرئيس بو مدين في رحاب الله، أنه لم يكن صحيحا، كما كان يدعي البعض، أنه كان يعمل على تقزيم الأشقاء أو الجيران انطلاقا من تطلعات تسلطية تريد أن تكون للجزائر اليد العليا في المنطقة، فقدكان رجلا ذو نظرة إستراتيجية تفهم معنى التوازن وتدرك متطلباته، على مستوى الوطن أو على الساحة الإقليمية والدولية، وهو صاحب تعبير أنه إذا كان الأسطول الأمريكي يفرض وجوده في البحر الأبيض فإن وجود الأسطول السوفيتي لا يمكن أن يكون مرفوضا.

ولكنني أقول أيضا أنه كان في الوقت نفسه يرفض أن يفكر أحد في تجاوز الجزائر أو تجاهل وجودها أو استغلال مشاعرها الوحدوية والمزايدة عليها، ولم يكن ممن يقبلون ركوب القطار بعد انطلاقه، أو ممن يمكن أن يُفرض عليهم أي أمر واقع مهما كانت الظروف[212].

كان بو مدين، في تصوري، يرى أن الجار القوي يبعث على الاطمئنان أكثر بكثير من الجار الضعيف، لأن التعامل معه يكون دائما على أساس قواعد واضحة متفق عليها، تضمن المصلحة المشتركة والمنافع المتبادلة، ووجود أي قطر مجاور في وضعية ضعف يمكن أن يجعل منه ثغرة يتسرب منها النفوذ الأجنبي، لأن الجار الضعيف قد يلجأ إلى الابتزاز واللعب على عناصر التناقض بين دول المنطقة.

وهكذا كانت ردود الفعل على عملية الصخيرات إثباتا لحسن النوايا الجزائرية، وتأكيدا لرفضها أي تدخل في الشؤون الداخلية للجيران، وهو ما فهمه القذافي جيدا.

لكن نفس الشهر عرف أمرا بالغ الأهمية في تقييم مسيرة العقيد، وعلاقاته مع المعسكر الرأسمالي، وهو ما لم نتوقف عنده طويلا للأسف أنذاك لنعطيه حقه من التحليل، وكان هذا الأمر هو دوره في إسقاط انقلاب هاشم العطا الشيوعي ضد نظام جعفر نميري في السودان، والذي سُمي بحركة 19 يوليو التصحيحية.

فعلى غير المعتاد، عاد الرئيس نميري إلى منزله الاثنين 19 يوليو 1971 حوالي الساعة الثانية والنصف بعد يوم عمل مرهق ليرتاح قليلا، وقبل أن يفيق من غفوته، كان صوت الدبابات قد اقترب من المواقع الإستراتيجية في العاصمة السودانية، وكانت المفاجأة تامة بفضل التوقيت المناسب الذي اختاره قادة الحركة، حيث أن كل الانقلابات العسكرية التي حدثت قبل ذلك كانت تختار ظلام الليل، إلا أن حنكة الحزب الشيوعي ومقدرته على التنظيم دفعته إلى التحرك في وضح النهار.

واقتحم مقر الرئيس الملازم أول عبد العظيم عوض سرور شاهراً مدفعه الرشاش وخلفه كوكبة من الجنود المدججين بالأسلحة في حالة استعداد لإطلاق النار، وكان أول ما خطر لنميري أن هذا التحرك تم بواسطة الأحزاب التقليدية، لكنه اكتشف الأمر عندما سأله الملازم: لعلك الآن تذكرت الإساءات التي وجهتها لحزبنا، فسأله نميري : أي حزب ، رد الملازم :الحزب الشيوعي.

وبمجرد انتصار الحركة، ظهرت قيادات الحزب الشيوعي إلى سطح الأحداث، ثم انهالت برقيات التأييد للنظام الجديد من مختلف أنحاء السودان، وبعد أن استتب الأمر للرائد هاشم العطا، اصدر قرارا جمهوريا ألغى بموجبه كل القرارات السابقة ونظم به السلطة الجديدة واجتمع بوكلاء الوزارات وأوضح لهم بان حركته عملية تصحيحية للأخطاء والانحرافات التي أحدثها نميري، وأعلن تشكيل مجلس الثورة الجديد برئاسة المقدم بابكر النور وكان نائبا له ، وبموجب ذلك أصدر هاشم العطا قرارات لتأمين الثورة تم بموجبها تسريح جميع الطيارين العاملين بسلاح الطيران وأخلى الطائرات من الوقود والسلاح من الذخيرة والصواريخ، كما أعطى الخبراء الروس إجازة في منازلهم، واعتبر تسريح ضباط الطيران تسريحا نهائيا، واعتقل اغلبهم.

وكان المرشح لرئاسة مجلس الثورة الجديد أنذاك في زيارة إلى لندن مع الرائد فاروق حمد الله، وقررا العودة إلى الخرطوم، لكن علاقة الرئيس نميري بالجماهيرية الليبية وبالعقيد القذافي مهدت الطريق إلى عودة نميري للحكم من جديد، فبعد أن وصلت معلومات تفيد بان المقدم بابكر النور والرائد فاروق حمد الله متوجهان على متن طائرة الخطوط الجوية البريطانية المتجهة إلى الخرطوم عن طريق فرانكفورت/روما، أعدت الترتيبات لا نزال الطائرة في مطار "بنينه" ببنغازي ولاعتقال الشخصيتين القياديتين، وحينما أشارت الساعة إلى التاسعة من صباح الخميس 22 يوليو 1971 كان كل شيء قد تم واعتقل الوفد وأقلعت الطائرة بدونهم، وهي عملية اختطاف لشخصيات سياسية كانت تستقل طائرة مدنية كان يجب أن يدينها الجميع، خصوصا أولئك الذين اتهموا العقيد الليبي فيما بعد بأنه كان وراء اختطاف الإمام موسى الصدر في 1978 وقتله ودفنه في مكان مجهول.

---

[212] - يروي الطاهر بلخوجة في كتابه عن بو رقيبة "سيرة زعيم" أن الرئيس التونسي فاجأ مضيفه الجزائري الرئيس هواري بو مدين الذي كان يتحدث في لقاء الكاف في 11 مايو 1973 عن الوحدة بأن قال: إن ضم منطقة قسنطينة (الجزائرية) إلى تونس تحقق توازنا جغرافيا بين البلدين (يسهل عملية الوحدة) ص 207. ويمكن أن نتخيل غضبة الرئيس الجزائري، الذي لم ينس الأمر أبدا. وكان يُردد أحيانا عند تذكره له بكلمات ساخطة : كان بورقيبة يريد أن نعطيه نصف الجزائر ليقبل الوحدة.
وأذكر هنا بموقف الرئيس بو مدين من وحدة "جربة" الاندماجية بين ليبيا وتونس، والتي لم تصمد أمام غضبته إلا ساعات معدودة.

وفشل انقلاب هاشم العطا، وأعدم كل الذين قاموا به ومن بينهم من قبض عليهما القذافي وسلمهما للنميري في سابقة مخزية، ولم يعرف إلى يومنا هذا دور الولايات المتحدة في تنفيذ المخطط كله، ولكن النتيجة كانت أنها تخلصت، بسقوط الانقلاب، من احتمال قيام نظام شبيه بنظام "مانجستو ماريام" في إثيوبيا.

وتمكن اليمين العربي من القضاء على أقوى حزب شيوعي عربي، لم يدرس تجربة الحزب الشيوعي العراقي الذي كان السبب الرئيسي في التطورات التي أدت إلى مقتل عبد الكريم قاسم.

في هذا الوقت كان القذافي يواصل رفع شعارات الوحدة العربية، واتجه هذه المرة غربا بعد أن فشلت محاولته مع الرئيس السادات وأدت إلى تصفية الجناح الناصري من قمة الحكم في مصر[213].

وهكذا وفي أكتوبر من نفس العام جرى استقبال العقيد القذافي في حاسي مسعود، وهو اللقاء الذي أشير له أيامها باللقاء الوحدوي، وتمخض الجبل فلم يلد شيئا، لأن نظرة الرئيس بو مدين إلى قضايا الوحدة كانت تختلف تماما عن نظرة العقيد.

ولعلي هنا، ولضرورة السياق، أستبق الأحداث لأسجل موقف الرئيس بو مدين التاريخي الذي أجهض بعد ذلك الوحدة الاندماجية بين ليبيا وتونس في 12 يناير 1974.

فقد اجتمع كل من الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة والعقيد معمر القذافي قائد الثورة الليبية في جزيرة "جربة" التونسية لإعلان الوحدة بين تونس وليبيا في ما سمي بالجمهورية العربية الإسلامية التي سيكون لها دستور واحد وعلم واحد ورئيس واحد وجيش واحد وسلطة تشريعية وقضائية واحدة.

وأستعرض هنا، وبكل تحفظ، خلفيات وحدة جربة، وأتعمد أن يكون ذلك على ضوء الكتاب الذي أصدره بالفرنسية وزير الداخلية التونسي الأسبق الطاهر بلخوجة، وعنوانه " العقود الثلاثة لبورقيبة"، ونشرت منه جريدة الشرق الأوسط بعض الحلقات بتاريخ 17 – 22 فبراير 1999.

ويقول السيد بلخوجة: بتاريخ 10 مارس 1970 انفصل القذافي عن اللجنة الدائمة للتنسيق بين السياسات الاقتصادية لبلدان شمال أفريقيا، والذي أنشئ في الشهر الحادي عشر من عام 1964 بطنجة، وبدأ يرفع شعار الوحدة ويوجه تهديده خاصة إلى تونس، مما جعل بورقيبة يرسل الوزير الأول الباهي الأدغم ووزير الخارجية محمد المصمودي لحضور احتفالات الجلاء عن القاعدة الأمريكية هويلس[214]، ولتهدئة الأوضاع بين البلدين، وفي حين عاد الوزير الأول بقي وزير الخارجية ليكمل الاحتفال مع القذافي، بحضور جمال عبد الناصر، وكان مما قاله عبد الناصر للقذافي (طبقا لرواية الوزير التونسي) : " يا معمر، لا ترتكب حماقة مهاجمة تونس، إني أعرفهم جيدا، فهم مجاهدون، وإن أردت يوما تحقيق الوحدة مع بلد عربي فحاول أن تنجزها مع التونسيين، وعندئذ خذ رأي المصمودي فإنه سيفيدك (!!).

ويواصل الوزير التونسي قائلا : لم تكن نصيحة عبد الناصر للقذافي، بأن يأخذ رأي محمد المصمودي، آتية من فراغ، فالمصمودي لازال يعيش في فرنسا، وهو من عملاء أمريكا المخلصين (؟؟) مثله مثل محمد مزالي (وزير أول أسبق) والحبيب عاشور (كان رئيس الاتحاد العام التونسي للشغل) وأحمد المستيري (كان وزيرا في السابق وهو الآن الرئيس الشرفي لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين) وقد كان هؤلاء لسنوات طويلة بعض أدوات أمريكا في تونس[215]، وظل ضغط القذافي مستمرا على تونس حتى أوائل عام 1974، وبالتحديد في 12 يناير، يومها عُقد في جزيرة "جربة" التونسية ما سمي "اتفاق جربة " وأقيمت الوحدة

---

[213] - من العمليات الوحدوية الفاشلة التي انغمس فيها العقيد:
- ميثاق طرابلس الوحدوي في 27 ديسمبر 1969 بين مصر – السودان – ليبيا.
- إعلان القاهرة في سنة 1970 الذي استند إلى مبادئ الثورة، الحرية، الاشتراكية، وأقام الوحدة بين البلدان الثلاثة.
- اتحاد الجمهوريات العربية 1971 بين ليبيا، مصر، سوريا باعتبارهما النواة الأساسية لتحقيق الوحدة الشاملة. (وستأتي بعد ذلك على الفور الوحدة الاندماجية بين ليبيا ومصر سنة 1972، والمسيرة الوحدوية التي قادها العقيد من رأس أغدير متجهة إلى مصر تعبيرا عن "إرادة الشعب العربي في تحقيق الوحدة العربية الاندماجية" 1973، وكانت تجربة تيليفزيونية صاخبة سيكررها الملك الحسن الثاني بعد نحو سنتين ويسميها المسيرة الخضراء).

[214] - سُميت فيما بعد قاعدة معيتيقة.

215 - أذكر بأنني أتحفظ على كلام الوزير التونسي، الذي يريد أن يؤكد عمالة كبار المسؤولين التونسيين للسياسة الأمريكية والبريطانية، ويروي كتاب سيدة قرطاج (La Régente de Cartage) للمؤلفين (Nicolas BEAU & Catherine GRACIET) دار (La Découvert) أن بلخوجة كان من المحسوبين على السيدة وسيلة بو رقيبة وقام مزالي بتصفيته في 1983..

الاندماجية بين تونس وليبيا وقامت "الجمهورية العربية الإسلامية"، التي تولى فيها بورقيبة رئاسة الجمهورية الجديدة وصار قائدا أعلى للقوات المسلحة، في حين أصبح القذافي نائبا للرئيس وقائدا عاما للقوات المسلحة.

ويواصل الطاهر خوجة قائلا: لنتصور ماذا يمكن أن يحصل عندما يكون الرئيس شيخا هرما بلغ عمره واحدا وسبعين عاما، بينما يكون نائبه شابا يافعا لم يتجاوز سنه ستة وثلاثين عاما، وقد أستغل القذافي، أو لنقل أمريكا، حبّ بورقيبة للزعامة واتصافه بجنون العظمة، حيث كان يطلق على نفسه " المجاهد الأكبر "، ومن الواضح أن الغرض التكتيكي من هذا الاتفاق هو مد الجسور مع عملاء أمريكا في تونس وإعداد الطبخة معهم وبشكل رسمي، ريثما تتهيأ الظروف أو تهيأ لتسلم أحد عملاء أمريكا الحكم في تونس (ويشير بلخوجة فيما بعد إلى أن اختيار زين العابدين بن علي تم في هذا الإطار، وأسجل تحفظي هنا بعنفوان أقل)

ثم يقول الوزير التونسي :الناظر في ظروف اتفاق "جربة" يلاحظ الدور الكبير الذي لعبه وزير الخارجية التونسي محمد المصمودي في إخراج هذا الاتفاق إلى حيز الوجود، فلقد حدث هذا الاتفاق في ظل غياب للوزير الأول التونسي آنذاك وهو الهادي نويرة، المعروف بعمالته العريقة للإنكليز (!!) حيث كان في زيارة رسمية إلى إيران، كما كانت زوجة (زوج) الرئيس التونسي، صاحبة النفوذ الكبير في شؤون الحكم، غائبة عن البلاد عندما تم اتفاق جربة، فقد كانت تقوم بزيارة إلى كل من السعودية والكويت ولبنان وسوريا، ولولا دهاء بريطانيا، التي مازالت في قوتها ونفوذها وقتئذ، لنجحت أمريكا في أخذ تونس منذ ذلك التاريخ (..) لقد كانت ردود الفعل الإقليمية والدولية على اتفاق جربة تكشف عن مدى الصراع الأنكلو-أمريكي على تونس في ذلك الوقت، وكتبت جريدة نيويورك تايمز تمدح هذا الاتفاق قائلة: في إطار التكامل الاقتصادي بين البلدين، يستطيع هذا الاتحاد تجنب التوترات والنزاعات عبر العالم العربي، أما بريطانيا فكان ردها سريعا، وجاء ذلك أولا على لسان الرئيس هواري بومدين (!!!) الذي قال: إن الاتحاد المتسرع والمصطنع لا مستقبل له، وجاء ثانيا عن طريق المغرب الذي صرح قائلا:" إن أيّ تسرع وارتجال من شأنه أن يحرم الوحدة المنشودة من حظوظ النجاح، بل يُخشى أن يؤول إلى الفشل المحقق "، وعلى إثر هذا الاتفاق أرسل الحسن الثاني مبعوثيْن اثنين إلى الجزائر للتصدي لهذا الاختراق الأمريكي.

ويختتم بلخوجة حديثه قائلا : هذه هي ردود الفعل دوليا وإقليميا، أما في تونس فإن رئيس الوزراء الهادي نويرة (..) وبمجرد عودته إلى تونس هدّد بالاستقالة وطلب من بورقيبة إعفاء المصمودي من وظيفته الدبلوماسية، وفي أول اجتماع لمجلس الوزراء اتهم المصمودي بالخيانة والتآمر مع القذافي، ولم يمضي وقت طويل حتى وقع إعفاء الوزير، وهذا يرجع خاصة إلى الدور الكبير الذي قام به الهادي نويرة، الذي عمل كل ما في وسعه لإفشال الوحدة ودفنها دون أن يجرح كبرياء بورقيبة، ولم يمضي شهر على اتفاق جربة إلا وكان نويرة يقابل الرئيس الجزائري هواري بومدين في مدينة عنابة الجزائرية بتاريخ 8 فبراير 1974، حتى يطمئنه أن الأمور مازالت تحت السيطرة. (انتهى)

ولقد أوردتُ كلام الطاهر بلخوجة حرفيا رغم أنني أشك في صدقية الكثير مما جاء في مذكراته، فالقول بأن هناك اهتماما للأطراف الدولية بما يحدث في منطقة المغرب العربي لا يعني بالضرورة أن نجعل الأمر مؤامرة بين أنصار أمريكا وأنصار بريطانيا، والذي وصل إلى درجة أنه جعل من الرئيس الجزائري والملك المغربي ناطقين باسم لندن، ومع ملاحظة أن الوزير التونسي لم يتحدث عن دور فرنسي، في حين أن المعروف هو أن لباريس اليد الطولى فيما يحدث في المنطقة، وهو مما أثار شكوكي.

والواقع أن الرئيس بو مدين غضب أشد الغضب من مفاجأة جربة، خصوصا وأن النص الذي وزعته وكالة الأنباء الفرنسية كان يتحدث عن وحدة اندماجية (Fusion) وكان الرئيس يقول ما معناه : أي وحدة هذه التي تتم في غرفة مغلقة مع رئيس في خريف العمر يعيش معظم ساعات اليوم غائبا عن الوعي، وأي اندماج بين بلدين لا يجمع بينهما شيء، فلا برامج تعليم موحدة ولا وحدة نقدية ولا حتى خط حديدي يربطهما (..) الوحدة كالزواج، ونحن نقول أن زواج ليلة يتطلب إعدادا يستغرق سنة أو أكثر، ومن هذا المنطلق فإن وحدة جربة هي زواج متعة.

وهكذا لم تعش الوحدة إلا ساعات معدودة، وأنهى ما حدث حياة محمد المصمودي السياسية إلى الأبد، وأسرّها العقيد في نفسه.

ويقول سفيرنا السابق في ليبيا الأخ صالح بلقبي في حديث لصحيفة الشروق أن مواقف القذافي النرجسية عرقلت أي محاولة لوحدة مغاربية أو إفريقية، وأكد أن الرئيس الراحل هواري بومدين رفض طلب العقيد معمر

يفانقلاالمتعلق بضم كلا من الجزائر وليبيا، واقترح عليه مقابل ذلك فكرة التنسيق في المواقف والسياسات ةقلعتملاباالدولتين، وأوضح السفير أن القذافي طلب نفس الشيء من بورقيبة والرئيس حافظ الأسد في ذلك الوقت، مشيرا إلى أن القذافي كان يكيد في الخفاء للجزائر، غير أنه كان يتظاهر بالانسجام والتودد، خاصة وأنه كان يسعى لتنفيذ مخططه الوهمي المتعلق برئاسة جمهورية الصحراء الكبرى، حتى يسيطر على صحراء نادلبالمغرب العربي، بإشراك القبائل الجنوبية للتراب الجزائري، وهو المشروع الذي كلل بالفشل (ولا أملك عنه للأسف معلومات موثقة كافية)

وذكر الدبلوماسي الجزائري أن القذافي عطل كل المحاولات للوصول إلى وحدة عربية مغاربية، أو مغاربية إفريقية، منبها إلى أن مواقفه المتقلبة جعلت رؤساء الدول لا يثقون في قراراته ولا في إستراتيجيته تجاه بلدانهم بعد إدراكهم لاستحالة التعامل معه، وهو الأمر الذي أفشل كل المبادرات الايجابية التي عمل على اهديسجتز عماء المنطقة.

ويروي لي بلقبي، الذي كان سفيرا للجزائر في 1972 في موريطانيا، عن زيارة عاشها للقذافي فيقول أن العقيد، لسبب لم يُعرف، كان يريد القدوم إلى الجزائر عن طريق تندوف في أقصى الجنوب الجزائري والتي تقابل خط الحدود الأفقي بين المغرب شمالا والصحراء الغربية جنوبا.

ويتلقى صالح مكالمة هاتفية مشوشة، طبقا لإمكانيات ذلك العصر، من مدير التشريفات الرئاسية عبد المجيد أعلاهم تقول: "صاحبك قول له يرجع للبيت بسرعة لأن زوجه على وشك الولادة **وقابلة** (مُولِّدة) الأسرة تنتظره"، ومع التركيز على كلمة "القابلة" واللعب بحروفها، وفهم صالح، بعد أكثر من محاولة لفك الشفرة التي كنا نضطر إلى استعمالها هاتفيا آنذاك، أن المطلوب هو ألا يتجه العقيد إلى "تندوف" بل إلى "وهران" في الشمال الغربي، حيث الوالي يُسمى ولد **قابلية** (وزير الداخلية الحالي) واستطاع بصعوبة أن يقنع القذافي بالأمر.

ويواصل بلقبي روايته المقتضبة جدا (وفسر لي ذلك الاقتضاب قائلا أنني سأجدها في كتاب سينشره قريبا) فقال أن الملك الحسن الثاني صرح فيما بعد بأن جوارح الجو كانت ستلتهم العقيد، وفهم ذلك أن طائرات معينة كانت سوف تستهدف طائرته، وربما كان هذا هو الرد المحتمل لموقف العقيد تجاه أحداث الصخيرات.

(3)

كان العقيد في بداية عهده بزيارة الجزائر يصل إلينا بالملابس العسكرية ويتدلى من الجانب الأيسر من خاصرته مسدس في جراب قماشي، وأتذكر أن ذلك أثار قرف الرئيس بو مدين الذي التفت لضيفه على مدخل قاعة الاجتماعات بحاسي مسعود قائلا : نحن داخلون للتحاور وليس للحرب، فانزع هذا المسدس.

وعلى الفور نزع القذافي حزامه وسلمه لأحد مرافقيه

*

منذ قيام الثورة الليبية في سبتمبر 1969 حرص الرئيس هواري بو مدين، وهو المعروف بنظرته الإستراتيجية، خصوصا لمنطقة المغرب العربي والمتوسط بشكل عام، على تكثيف اللقاءات مع قائد الثورة العقيد القذافي، الذي تزايدت وحشته العربية إثر وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وفي الوقت نفسه

تزايد طموحه لوراثة الزعيم المصري الراحل، ومن هنا كان يتصور أن عليه ضمان أكبر قدر من تفهم الرئيس الجزائري، الذي كان يُعرف عنه ألا مطامع لديه فيما يتعلق بالزعامة العربية.
وشهدت ولاية ورقلة، وعلى وجه التحديد قاعدة "حاسي مسعود" لقاءات متعددة، وتميز بعضها بمفاجآت تعودنا عليها من العقيد القذافي، الذي كان يصل أحيانا إلى الجزائر بدون اتفاق سابق.
وأتذكر يوما أبلغنا فيه بأن الوفد الرئاسي الليبي قادم إلى الجزائر، ولم يحدد الخبر مكان اللقاء، وإن كنا استنتجنا بأنه سيكون في الصحراء كالعادة، وهكذا ذهبنا إلى مطار ورقلة لاستقبال العقيد ومرافقيه لكن انتظارنا طال، ثم جاءتنا الأخبار بأنه قادم عبر الطريق البري.
وروى لي أحد الضباط من عناصر حماية الحدود أن الزعيم الليبي وصل إلى نقطة الحدود البرية بين البلدين بشكل مفاجئ، ودهش الجنود المكلفون بالحراسة لرؤية الموكب وهو يقترب لكنهم لم يرفعوا الحاجز المألوف، وأبلغهم مرافقو العقيد بشخصيته فتردد الجنود لعدم تلقيهم أي تعليمات بالأمر، وهنا حاول بعض مرافقي العقيد رفع الحاجز بأنفسهم ففوجئوا بالجنود الجزائريين يشهرون أسلحتهم ويصوبونها نحوهم وهي في وضعية إطلاق النار الفوري، وتراجع الليبيون على الفور فقد ووجهوا بما لم يتعودوا عليه.
واستطاع الضابط الجزائري المكلف تفادي الأسوأ، وتم تجاوز الأمر.
وكان العقيد في بداية عهده بزيارة الجزائر يصل إلينا بالملابس العسكرية ويتدلى من الجانب الأيسر من خاصرته مسدس في جراب قماشي، وأتذكر أن ذلك أثار قرف الرئيس بو مدين الذي التفت لضيفه على مدخل قاعة الاجتماعات بحاسي مسعود قائلا : نحن داخلون للتحاور وليس للحرب، فانزع هذا المسدس.
وعلى الفور نزع القذافي حزامه وسلمه لأحد مرافقيه، وأسفت لأنه لم يكن هناك من يلتقط الصورة، وقلت يومها للمصور نور الدين زياني: ضاعت عليك صورة بمليون دينار.
وواقع الأمر أن الرئيس بو مدين كان الرئيس الوحيد مع جمال عبد الناصر اللذان كان العقيد يحس أمامهما بالضآلة، ولعلها هنا فرصة لوقفة سريعة عن جانب من صورة العلاقات الليبية الجزائرية آنذاك.
كانت علاقات القذافي مع دول الجوار يحكمها التعامل بذهب المعز أو بسيفه، كما قال محمد عمر باعية، الناطق السابق باسم الحكومة الليبية[216].
لكن واقع العلاقات مع الجزائر كان يتسم بخصوصيات أخرى، من بينها مكونات الشخصية الجزائرية شعبيا ورسميا، والتي لم يكن القذافي، لخوفه منها، يستفزها أو يتطاول عليها علنا، وأرغمه هذا الأمر على اتباع سياسة المراوغة والدس زرع الألغام الموقوتة تحت سجاد البيت الجزائري لتنفجر بعد أن يكون قد ابتعد وأخفت الرياح آثاره في رمال الصحراء، كما فعل بعد رحيل هواري بومدين، الزعيم القوي الذي كان القذافي يخافه ويتودد إليه[217].
وعندما مات بو مدين أحس القذافي أن الأرض مهيأة له ليلعب في حديقة جاره الكبير لعبة بلغت أوج نجاحها بوصول عبد العزيز بو تفليقة للسلطة، والذي كان أسير وفائه للعلاقة الجيدة التي جمعته بالعقيد (..) ومع ذلك ظل العقيد طوال فترة حكمه يرفض ترسيم الحدود مع الجزائر (ودائما بحجة أنه قومي لا يعترف بالحدود "المصطنعة")
لكن هذا الوفاء من الجانب الجزائري لم يحل دون استخفاف العقيد بمؤسسات السلطة في الجزائر، فزاد من محاولات اختراقها (..) والضغط عليها، ثم حاول تجاوزها بعدة تحالفات بين قبائل الطوارق في الجنوب قافزا فوق الجار الكبير جغرافيا وبشريا والمتواضع قيادة وقدرة (كما كان يصور له خياله المريض) محيطا إياها بحزام طوارقي ملتهب يضم النيجر ويؤسس لمشروع مملكة الطوارق (..) ما دام سيضمن دعم وولاء بضعة ملايين من الرجال "الزرق" الأشداء، الذين ستثبت حرب الأشهر الستة بين طاغية باب العزيزية أنه كان يمدهم بالأموال والغنائم ليزحف بهم على مدن ليبيا، ويطهرها ...بيت بيت ودار دار وزنقة زنقة.
وعودة إلى السياق التاريخي.

---

[216] - الحياة 16 سبتمبر 2011– لندن.
[217] - نفس المصدر.

فبعد لقاء حاسي مسعود الأول توجه الرئيس بو مدين في زيارة رسمية إلى ليبيا، وكان ذلك بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثانية لما اصطلح على تسميته ثورة الفاتح من سبتمبر، وكان من بين الرؤساء الذين شاركوا في الاحتفالات الرئيس السوداني جعفر نميري.

وفي أحد أيام الزيارة أبلغنا بأن العقيد القذافي سيمر مساء على الرئيس بو مدين في مقر إقامته بالعاصمة الليبية، وهو قصرُ ولي العهد الليبي السابق، ليتناول معه عشاء غير رسمي، وبالفعل، نزل الرئيس بو مدين، المعروف بانضباطه الشديد فيما يتعلق بالمواعيد، إلى القاعة السفلية للقصر قبل الثامنة بدقائق وراح يتجاذب أطراف الحديث مع الوفد الجزائري الذي التف حوله، في انتظار وصول العقيد.

ومرت الساعة الثامنة ثم التاسعة ثم العاشرة ثم اقتربت من الحادية عشرة ولا خبر عن العقيد، ونظر لي الرئيس بو مدين وقال بهدوء وعيناه تقولان أكثر من الكلمات : أظن أن الوقت قد حان لنتناول العشاء.

وخرجت من القاعة على الفور لأجد مدير التشريفات الجزائرية عبد المجيد أعلاهم يتميز من الغيظ، وكان يقف مع أحد عناصر التشريفات الليبية في انتظار لوصول العقيد، وتبادلنا النظرات بسرعة كعادتنا في التعامل، وفهم كلٌ منا الآخر وأنا أقول له بصوت عالٍ :الرئيس يرى أن الوقت حان لتناول العشاء.

ويجيب عبد المجيد وهو يُركّز عيناه عليّ لكيلا أنطق بكلمة أخرى: أعطنا عشر دقائق وسيقدم العشاء.

واختفى ممثل التشريفات الليبية، وبعد أقل من عشر دقائق وصل القذافي، وعندما دخل على الرئيس بو مدين فاجأه هذا بالقول : أهو عشاء يا معمّر أم سُحور؟

ولعلي أقول هنا بأن الرئيس بو مدين، تماما مثل الرئيس ناصر، كان ينادي العقيد الليبي باسمه الأول، ولم يجرؤ القذافي على أن يناديه يوما بغير صفة... "الأخ بو مدين".



الرئيس النميري..بعد البيرة

عشاء يا معمر وإلا ...سحور

وسار الرئيسان جنبا إلى جنب إلى قاعة الطعام حيث نصبت المائدة على شكل حرف (T) وجلس على رأسها العقيد وعلى يمينه الرئيس الذي كان على يمينه الرائد عبد السلام جلود بينما جلس وزير الخارجية الجزائري على يسار العقيد، وجلسنا نحن كيفما اتفق على امتداد ساق المائدة، وجلست أنا في المقعد الثالث أو الرابع على الجانب الأيمن، وبجانبي وأمامي بقية الرفاق، وكان المقعد الموجود أمامي فارغا.

وفجأة وعلى غير انتظار يدخل علينا الرئيس نميري قائلا ببساطة : السلام عليكم، ورددنا السلام ونحن نهم بالوقوف مقلدين في ذلك الرئيس بو مدين، بينما لم يتحرك العقيد القذافي على الإطلاق ورمق القادم بنظرته الاستعلائية المعروفة ورأسه مائل إلى الخلف.

وجلس الرئيس السوداني وأخذ يتناول عشاءه في صمت، ولم يحاول العقيد مجاذبته أطراف الحديث بينما بدا الرئيس بو مدين مُحرجا من الموقف كله، وفجأة ناداني إدريس جزائري من الطرف الآخر للمائدة قائلا :أعطني"قارورة الملح يا دكتور، وإذا بنميري ينتهز الفرصة ليقول شيئا يخترق به جدار الصمت، فيلتفت لي سائلا عمّا إذا كنت دكتوراً في الطب أم في السياسة، ثم يواصل الدردشة فكّا لعزلته الواضحة وهو يقول ببساطة أن الأطباء يخطئون عندما يعتمدون على الأدوية الكيميائية ويتجاهلون وسائل العلاج الطبيعي، ثم يقول بنفس البساطة : أحسن علاج للكلى هو "البيرة".

وأسمع صوت الرئيس بو مدين العميق قادما من يساري وهو يسأل ببراءة، بدت لي ماكرة : ماذا يقول لك الرئيس يا محيي الدين؟

وأجيبه، بعد تردد وتلعثم، وأنا أتصور أنه، بأذنه الحادة، قد سمع كل كلمة قالها نميري : الرئيس يأخذ على الأطباء تركيزهم على الأدوية الكيميائية ويشير إلى فائدة السوائل بالنسبة لأمراض الكلى، بما في ذلك ...البيرة، ولفظت الكلمة الأخيرة بسرعة وبغمغمة أردتها غير مفهومة.
لكن العقيد القذافي رمقني بنظرة نارية ثم انهال عليّ لوما وتقريعا لتلفظي بمثل هذه الكلمات في بلد إسلامي مثل ليبيا، وهو قلة ذوق و...الخ..الخ.
وتحفزت للرد ولكن، وكما هي العادة في محضر الرئيس، اختلست نظرة له أستأذنه بها في الدفاع، فوجدته ينظر إلى الأفق بكل هدوء وهو يجذب أنفاس سيغاره الكوبي، الذي كان يتحفه به مجانا صديقه فيديل كاسترو، ولمحت على فمه شبح ابتسامة، بحيث بدا لي وكأنه يستمتع بالمشهد ...يتصوره تمثيلية متلفزة.
واضطررت للسكوت، وعشت عدة دقائق مرّت كساعات تحت "دوش" من حمم الأخ العقيد، وبدون أن أنبس ببنت شفة، فقد أدركت، رغم أنه كان يُركز نظراته عليّ، أنه كان يتوجه بكلماته الحادة إلى الرئيس نميري، الذي ظل صامتا وكأن الأمر لا يعنيه، وقلت يومها لزميلي إدريس: ستشتعل الأمور بين الرئيسين بعد حين، وهو ما حدث بالفعل.
وأتذكر هنا، وأنا أراجع الأحداث في مخيلتي، أمرا أسجله حتى لا أنساه مع زحمة المعلومات، وهو أمر لست على يقين منه، وأورده لعل من بين القراء من يملك ذاكرة أقوى من ذاكرتي، فيوضح الأمر تحقيقا للأمانة التاريخية.
ففي أول وصول للعقيد القذافي للجزائر طرحت قضية السلام الوطني الذي يجب أن يعزف تحية للوفد الزائر، ولم يكن من المعقول بالطبع أن يُعزف السلام الملكي، الذي كان من تلحين الموسيقار المصري عام 1951 ومن كلمات الشاعر الليبي البشير العربي مبارك[218].
ورحنا نضرب أخماسا في أسداس وطائرة العقيد على وشك الهبوط، وفجأة ألهمنا المولى عز وجلّ فكرة بدت معقولة، ولست أذكر ما إذا كنت أنا أو واحدا من رجال التشريفات هو الذي خرج بالفكرة، وكانت الاكتفاء بعزف موسيقى نشيد كان مألوفا آنذاك في الوطن العربي، وكانت الفرقة الموسيقية الجزائرية تحفظه، وهو نشيد "الله أكبر".
ومن هنا، وإذا صدقت ذاكرتي، فإن النشيد الوطني الليبي الذي اعتمده العقيد بعد ذلك عزف في الجزائر قبل أن يُعزف في ليبيا، وهو ما أورده هنا بكل تحفظ، فالذاكرة أصابها ما أصابها مع الأيام.

(4)

العرش المغربي هو ضمان للاستقرار في المغرب، واستقرار المغرب ضمان لاستقرار المنطقة كلها.

الرئيس هواري بو مدين

*

يتحمل العقيد معمر القذافي مسؤولية كبيرة في انسداد الآفاق أمام بناء وحدة المغرب العربي، وخصوصا فيما يتعلق بتعامله مع قضية الصحراء الغربية التي أصبحت عقبة حقيقية في وجه مسيرة الشمال الإفريقي لإنشاء تكامل حقيقي يقوده إلى تحقيق الحلم الذي عاشت عليه أجيال وأجيال.

218 - الشرق الأوسط – 24 أكتوبر 2011.

وأجد عليّ هنا أن أضع الأمر في إطاره التاريخي، لتتضح أهم أسباب تعثر بناء المغرب العربي مقارنة بالنجاح الذي حققه اتحاد دول الخليج العربية على وجه التحديد، لأن مثال الوحدة الأوربية كان بعيد المنال.

ولا بد في البداية من أن نفهم أن دول منطقة المغرب العربي لا تشبه دول الخليج، المرتبطة تاريخيا والمتشابهة اجتماعيا والمتوازنة سياسيا والمتماثلة اقتصاديا إلى حد كبير.

وباختصار شديد، المغرب ملكية تقليدية ذات توجه يميني مؤكد جعلها أقرب للغرب، وهي ترتبط بصلات أكثر من وثيقة مع كل الملكيات والإمارات العربية[219]، بل ومع بعض المحسوبين على اليسار العربي من الدول ذات الطموحات الإقليمية أو الجغرافية، وكان للمغرب عبر التاريخ صلات ذات طابع ديني غالبا مع المنطقة الواقعة إلى جنوبه وحتى نهر السينيغال، بل إن من الممالك التي قامت في المغرب ما وصل أثرها إلى إسبانيا، ويعتمد المغرب في تسليحه تماما على المصادر الغربية.

والجزائر نظام ثوري بتر وجوده كدولة ممتدة إلى العصر النوميدي قبل الميلاد وواجهت الرومان والوندال، ثم تم غزوها في 1980 ولكنها انتزعت استقلالها بعد مقاومة استغرقت أكثر من قرن من الزمان، بدأها "أحمد باي" في الشرق ثم عرفت محاولة استعادة بناء الدولة على يد الأمير عبد القادر بن محيي الدين، وتواصلت حركات المقاومة طوال عقود الاحتلال إلى أن توجتها ثورة شعبية كبرى دامت أكثر من سبع سنوات، ودفعت خلال ذلك التاريخ كله ما يقرب من خمسة ملايين ضحية وشهيد، ومع كل هذا قبلت الاحتكام إلى تقرير المصير عبر استفتاء عام يشمل التراب الوطني كله، ولدت إثره دولة متوقدة الحيوية ذات توجه يساري عملي، وجعلتها مسيرتها والتزاماتها ومنهجها التنموي أقرب إلى الكتلة الاشتراكية التي تعتمد عليها أساسا في التسلح، وهي تتعامل مع الغرب من موقع الندية وتتبادل المنافع الاقتصادية مع واشنطن لكنها لا تتنازل عن مواقفها المبدئية، خصوصا بالنسبة للصين الشعبية أو للفيتنام الثورية أو لحركات التحرر الوطني بشكل عام، وخصوصا في إفريقيا.

وتونس نظام براغماتي أضاف إلى القاموس السياسي أثافي جديدة يمكن تسميتها بثلاثية "الدولة ـ الزعيم ـ الأمة"، واستفاد من المعطيات الدولية والجهوية، ومن انضباط الشعب وتفهمه للظروف الاقتصادية وللمتطلبات السياحية، كما استفاد من وجود ثروة من الإطارات تتجاوز نسبة ما تعرفه الجزائر وربما المغرب، واختار، في ظروف سياسية معقدة، اعتمدت أحيانا التصفية الجسدية[220]، بناء نظام علماني لعله الوحيد من نوعه في الوطن العربي، ربما كان من أهم ركائزه حرية أكثر للمرأة، استفادت منها بالدرجة الأولى شرائح بورجوازية معينة، ولم يكن هناك ما الدلائل ما يمكن أن يشير إلى أنها سوف تكون أول ثورة شعبية عربية في القرن الواحد والعشرين.

أما موريطانيا فكانت دولة ناشئة ضعيفة تعمل للخروج من الوضعية القبلية عبر نظام رئاسي حاول الاستفادة من كل الظروف الجهوية لتحقيق أكبر حجم ممكن من التنمية الوطنية، وكان للجزائر على وجه التحديد دورها الكبير في دعم خطواتها الأولى، خصوصا وأن معظم بلدان الوطن العربي رفضت الاعتراف بها حال قيامها في نوفمبر 1960، تجاوبا مع الضغوط المغربية.

وكانت ليبيا في بداية السبعينيات تخرج من مرحلة ما قبل النفط وتحاول أن ترسم لنفسها صورة ثورية جديدة، ظلت دائما مرتبطة بالمشرق العربي متناقضة مع فكرة المغرب العربي، كما أسلفت.

ذلك، بصورة برقية بالغة الاختصار أرجو ألا تكون أخلت بالمعطيات الرئيسية، هو وضعُ المغرب العربي في مطلع السبعينيات، عندما بدأت أوروبا تحصد نتائج لقاء روما الاقتصادي المنطلق من مجمع الحديد والصلب الذي أطلقته ست دول في 1958، والذي ستبنى من خلاله وعلى أساسه الوحدة الأوروبية، مستفيدة من المصالحة التاريخية بين فرنسا "شارل دو غول" وألمانيا "كونراد أديناور" في مطلع الستينيات، وهي المصالحة التي وضعت الحد النهائي لعداوة تاريخية سالت فيها الدماء أنهارا، وأطلقت عملية تضامن تاريخي جعلت من البلدين المحور الحقيقي للوحدة الأوروبية، وكان هذا هو المثال الذي كان يجب أن تستلهمه كل من

---

[219] - في خطوة بالغة السخافة حمقاء التسرع أعلن مجلس اتحاد دول الخليج العربي، أسف...العربية، في مايو عن دعوته للمغرب لكي ينضم إلى الاتحاد. وكان الأشقاء في المغرب أذكياء وهم يقبلون دعوة لا يستطيعون رفضها ولكن مع إعلان تمسكهم باتحاد المغرب العربي.

[220] - من بين من اتهم الرئيس التونسي الراحل الحبيب بو رقيبة بتصفيتهم المناضل المعروف صالح بن يوسف.

الجمهورية الجزائرية والمملكة المغربية، خصوصا وأنه لم يكن بين أكبر بلدين في المغرب العربي عداوات دموية كالعداوات الأوربية.

لكن المصالحة بين فرنسا وألمانيا لم تنجح لمُجرد أنه كان هناك أديناور ودوغول ولم يكن هناك أدولف هتلر وفيليب بيتان، ولكن أساسا لأن ألمانيا تخلت تماما عن أطماعها في الألزاس واللورين، وحذفت من قاموسها منطق "المجال الحيوي"، وبغض النظر عما دفعها وعمن دفعها إلى ذلك، وتخلصت في الوقت نفسه من أعباء التسليح بالإضافة إلى ما استفادت به من برنامج مارشال، ولست أدري لماذا يتعامى عن ذلك من يقارنون بيننا هنا وبينهم هناك، بما يبدو أحيانا جلدا للذات العربية وتضخيما للإنجاز الأوروبي، في حين أن الأمر بالغ السهولة لمن أراد أن يستقرئ التاريخ[221].

ولا بد من القول أنه كان على رأس كل من الجزائر والمغرب في الستينيات والسبعينيات زعيمان يمكن أن يُقال أن كلا منهما كاد يكون نقيضا للآخر، رغم أن كلا منهما كان بالغ الذكاء غزير الثقافة واسع الاطلاع، وكان كل منهما، إلى حد كبير، محصلة التجربة التي خاضها شعبه في مجال الكفاح من أجل الاستقلال الوطني، وكان المغرب أسير منطق حكم لم يستطع الفكاك منه لضروريات داخلية أساسا، بينما كانت الجزائر شديدة الارتباط بالمنطق السياسي الذي حققت به الاستقلال الوطني.

وعليّ أن أسجل هنا للهواري بو مدين أنه كان صاحب الخطوة الأولى في السير نحو الحسن الثاني بعد جفاء الستينيات، الذي حاولت اللقاءات في تلمسان وإيفران التخفيف من حدته.

وهكذا انتزع الرئيس الجزائري المبادرة التاريخية بوعي كامل لكل الأبعاد والمعطيات والتداعيات، وكان ذلك في يوليو 1971 عندما حدثت محاولة انقلاب الصخيرات[222].

يومها رفض بو مدين كل محاولة لتأليبه على العاهل المغربي (وهي قضايا سبق أن تحدثت عنها بالتفصيل غير المريح) وظل ملتصقا نهار السبت العاشر من يوليو بمكتبه لا يبرحه حتى اطمأن على وضعية الملك المغربي وعلى استرجاعه لزمام الأمور، بعد أن أمنت له مصالح الرئاسة الجزائرية الاتصال الهاتفي مع الحسن الثاني، ونقل عنه يومها قوله بأن : "العرش المغربي هو ضمان للاستقرار في المغرب واستقرار المغرب ضمان لاستقرار المنطقة كلها"، وهو بالطبع ما أثار عليه حملات الانتقاد من جنرالات المقاهي ووحدويي الساحات العامة في المشرق العربي، ومن يعيشون عندنا شعارات مستوردة بسذاجة من المشرق.

غير أن بو مدين كان يدرك تمام الإدراك بأن وجود المغرب العربي كقوة مؤثرة على الأحداث، وخصوصا بالنسبة للتعامل مع أوروبا، يتطلب استئصال عوامل التوتر بين دول المنطقة، وأساسا عبر حلّ كل القضايا العالقة المرتبطة بالحدود، وضمان تفهم كل دولة لاختيارات الدولة الأخرى سياسيا واقتصاديا، ثم تشجيع عمليات التعاون المشترك، ثنائيا وجهويا، مع رفض التعامل بالمنطق الذي يقسم المنطقة إلى دول كبرى وأخرى صغرى، والذي كان وراء الصراعات في مناطق مجاورة.

ومن هنا واصل الرئيس بو مدين ضغوطه من أجل الاعتراف بموريطانيا، وبعد أن تم ذلك وقبلت في الجامعة العربية في 1973، أي بعد حصولها على الاستقلال بنحو 12 سنة، واصلت الجزائر تقديم الدعم للدولة الناشئة، وإن كان ذلك الدعم قد أخذ غير الطريق الذي كان يفضله البعض في القارة الإفريقية، فالجزائر لم تعتمد تقديم الهبات المالية لكبار القادة في حقائب "السمسونيت"، بل ركزت على دعم المشروعات التنموية في الدول المعنية، وسيبدو هذا واضحا بشكل جليّ بالنسبة لمن وضعوا ثقلهم وراء الاتجاهات المعادية للاختيار الجزائري داخليا وخارجيا.

ولم يكن سرّا أن قضايا الحدود هي من أهم عوامل التوتر التي كانت تشكل قنابل موقوتة مرشحة للانفجار في أي وقت، وكان منطق الجزائر في التعامل مع هذه القضايا منبثقا من قرارات منظمة الوحدة الإفريقية في أديس أبابا (1963) والمستكملة في القاهرة (1964)، والقاضية باحترام الوحدة الوطنية في إطار الحدود الموروثة عند استرجاع الاستقلال، حتى مع الاعتراف بظلمها أحيانا وعدم منطقيتها غالبا، وهو ما بدا جيدا في تخطيط الحدود العربية الناتج عن "سايكس- بيكو".

---

[221] - أبرز الزعيم المغربي علال الفاسي منذ 1955 بالقاهرة خريطة المغرب الأقصى في العهد المرابطي وجعله يمتد إلى السنغال، وتبنى حزب الاستقلال المغربي المشروع (أنظر كتاب الطاهر بلخوجة عن الحبيب بورقيبة)

[222] - أنظر للكاتب : أيام مع الرئيس بو مدين (موفم – الجزائر) وكذلك : نظرة في مرآة عاكسة (موفم)

وكان المغرب قد تحفظ على قرارات منظمة الوحدة الإفريقية، وكان من مبرراته في ذلك أن الموافقة قد تعرقل جهوده لتحرير سبته ومليلة، وهو منطق معقول لو كانت المملكة بذلت جهدا تحريريا في هذا الاتجاه، إلاّ أن ذلك التحفظ كان جبل ثلج يخفي أشياء أخرى، وظلت هذه نقطة خلاف كبرى مع القطر الشقيق، خصوصا بعد أن تم حل قضايا الحدود مع كل الجيران.

كان طول الحدود الجزائرية المغربي نحو 1375 كم، وكان الجزء الشمالي قد رُسِم عموديا تقريبا، ولمسافة 136 كم ابتداء من البحر وحتى نقطة " ثنية الساسي"، في إطار اتفاقية "لالا مغنية" (1845) وبقيت الحدود التي تلي ذلك جنوبا، وطولها نحو 1239 كم بدون ترسيم.

وراحت الاتصالات بين البلدين تزداد أهمية مع اقتراب موعد انعقاد القمة الإفريقية الثانية عشرة في الرباط في جوان 1972، وكانت النهاية المثمرة، وبعد شد وجذب، توقيع اتفاقية ترسيم الحدود بين البلدين بمحضر نحو أربعين رئيس دولة وحكومة إفريقية، وانتهى خط الحدود المُرسَمة، وعلى غير رغبة المغرب، مع بداية الحدود بين الجزائر والصحراء الإسبانية سابقا، وهي نحو خمسين كيلومترا.

وتم في الوقت نفسه التوقيع على اتفاقية تتضمن الاستغلال المشترك لمناجم الحديد الغنية في منطقة "غار جبيلات" الواقعة في الأرض الجزائرية، وتتضمن نقل الخام عبر الأرض المغربية نحو مصنع يملكه البلدان مناصفة في الشمال، ويعمل فيه أساسا عمالٌ مغاربة لينتج الفولاذ لمصلحة البلدين، وهذه هي خلفية مزاعم الممر الذي قيل أن الجزائر تساوم به المغرب، في حين أن المشروع يتحدث عن نقل الحديد باتفاق مشترك عبر الأرض المغربية المعتمدة دوليا، نحو مصنع للحديد والصلب يقام على مشارف أوروبا وفي شمال الأراضي المغربية بملكية مشتركة، ويمكن أن يشبه الأمر بأنبوب الغاز الجزائري الذي يجتاز المغرب اليوم إلى إسبانيا ويستفيد منه الجميع، ولم يكن للجزائر أي مصلحة في ممر يصلها بالمحيط الأطلسي، حتى إذا كانت ستستعمله لأنابيب الصرف الصحي[223].

وصادقت الجزائر على معاهدة ترسيم الحدود في العام التالي لتوقيعها في الرباط، ولم يصادق المغرب عليها إلا في 1989 ، أي بعد 16 سنة من توقيعها وبعد نحو 144 سنة من توقيع اتفاقية "لالاّ مغنية"، ولم تنشر في الجريدة الرسمية المغربية إلا في 24 يونيو عام 1992، أي بعد ثلاث سنوات من المصادقة في الرباط وقبل أسبوع من اغتيال الرئيس الجزائر الشهيد محمد بو ضياف [224].

وبالطبع فأنا أسجل الأحداث ولا أوحي بأي ربط بينها.

وكانت الجزائر قد أعطت اهتماما خاصا لقضية الاستثمار المشترك لحديد "غار جبيلات"، انطلاقا من أن القواعد الاقتصادية هي الدعامة الرئيسية للعمل الوحدوي (ويلاحظ هنا أن المغرب تجاهل هذه الاتفاقية تماما عند تصديقه على ترسيم الحدود بعد توقيعها بسنوات طويلة، مما جعل الأمر يبدو كعملية ابتزاز) وكان هذا كله مصدرا لخيبات أمل متتالية في الجزائر، حيث تزايد عدد المشككين في نوايا الطرف المغربي.

ورغم كل المناورات، ولا أريد أن أعطيها صفة أخرى، قلت بأنني أتفهم المنطق المغربي، لكنني كنت أرى صدقية وواقعية أكثر في المنطق الجزائري الرافض لنظرية الحقوق التاريخية، خصوصا وقد عشنا مآسيها فيما بعد (فحرب الصومال لانتزاع "أوغادين" بحجة الحقوق التاريخية للصومال قادت إلى حرب أهلية طاحنة تركت وراءها قلاقل متتالية ومجاعة رهيبة، وما زال الصومال إلى يومنا هذا أسير تداعياتها، أما غزو العراق للكويت، وبنفس منطق الحقوق التاريخية، فقد نتج عنه الكثير مما يتعرض له العراق منذ سنوات وما يعانيه الوطن العربي اليوم، ولعلي أذكر هنا بأن المحرض والداعم والمُموّل كان واحدا)

وهكذا كان التزام الجزائر بقرارات منظمة الوحدة الإفريقية حول الحدود الموروثة عند الاستقلال منطق دولة انتزعت حقها في استرجاع الاستقلال عبر استفتاء تقرير المصير، رغم أنها لم تتوقف عن الكفاح نحو

---

[223] - كرر الطاهر بلخوجة مزاعم المنفذ الجزائري نحو الأطلسي في ترديد آلي للادعاءات المغربية (ص 202) وهو أمر غريب من مسؤول سياسي يعرف جيدا أن الشعب الجزائري شعب متوسطي لا علاقة له بالأطلسي، وإلى درجة أنه لم يتقبل الأسماك الموريطانية عندما استوردتها الدولة، ثم إن الكتلة السكانية الكبرى تبعد نحو أربعة آلاف كم عن المحيط، ويضاف إلى هذا أن الجزائر تمتلك بالفعل ممرا يخترق الأراضي المغربية نفسها ويحمل الغاز الطبيعي لها ولإسبانيا.

224 - حدث ذلك بعد زيارة خاصة قام بها الرئيس محمد بو ضياف إلى المغرب واستقبله خلالها الملك الحسن الثاني، ورأى كثيرون أن المصادقة على الاتفاقية كانت نتيجة للقاء، وربما لإغراء رئيس مجلس الدولة باتخاذ موقف جديد من قضية الصحراء الغربية، ويُقال أن موقف اللواء خالد نزار إثر عودة الرئيس هو الذي دفع إلى تشبث الجزائر بموقفها، وإن كنت أشك كثيرا في ما روجته مصادر مغربية من انحياز الرئيس الشهيد لوجهة نظرها.

قرن وثلث، توجته بثورة دامت أكثر من سبع سنوات، وتم استفتاء كل المواطنين الجزائريين وعلى كل الأراضي الجزائرية في 1962، وكان الاستقلال هو النتيجة المعروفة.

وبدأ يطفو على السطح في بداية السبعينيات ما اصطلح على تسميته : قضية الصحراء الغربية، التي تفجرت بشكل شديد العنف في منتصف العشرية، وكان المثير للدهشة أن ذلك حدث في نفس العام الذي تم فيه توقيع الاتفاقية الثانية لفك الاشتباك على الجبهة المصرية الإسرائيلية والذي اعتبره كثيرون خطوة نحو "كامب دافيد"، وفي نفس العام الذي اغتيل فيه الملك فيصل، والعام الذي انفجرت فيه الحرب الأهلية اللبنانية، والعام الذي فتحت فيه قناة السويس لتفقد مصر أهم ورقة ضغط على أوروبا الغربية (وكان الرئيس السادات قد قال لي شخصيا بأن تطهير القناة هو قرار مصري أما فتحها فهو قرار عربي، ونقلت ذلك للرئيس بو مدين الذي لم يبدُ مطمئنا) وكلها كانت مصادفات تثير أكثر من تساؤل عما إذا كانت فعلا مجرد مصادفات.

وأنا من الذين يتصورون أن المغرب كان يمكن أن يُحقق مبتغاه بشكل سلمي ومتفق عليه لو قبل في بداية السبعينيات مبدأ الاستفتاء على تقرير المصير، الذي كان هو أول من نادى به في منتصف الستينيات، وأكاد أقول بأن الصحراويين، وهم يلاحظون نقص الاهتمام الجزائري النضالي بالقضية في البداية، ويدركون معالم الضعف الموريطاني في مواجهة المغرب من جهة أخرى، ثم يقدرون الوضعية الصعبة التي كانوا يعيشونها في ظل الأسبان، كان يمكن أن يُصوّتوا بكثافة نسبية في صالح الانضمام للمغرب، وهو واحد من اختيارين كانا مطروحين، وذلك على حساب الاختيار الثاني وهو الاستقلال، الذي كان فتور كثيرين في الجزائر نحوه في البداية انطلاقا من يقين ثابت بأن وجود جار ضعيف هو عبء ثقيل على دولة تريد تحقيق الاستقرار، وتخشى من وجود طرف يبتزها أو يسهل الأمر لمن يزايد عليها.

وكانت الجزائر، وهي تتفهم مطالبة الصحراويين بحقوق تكفلها الشرعية الدولية، تلتزم بتخييرهم بين أمرين، الانضمام إلى المغرب أو الاستقلال، وتنأى بنفسها عن أي مطالب ترابية أو سكانية، رغم أن بعض الساسة قدروا يومها أنه كان على الجزائر أن تضع مطالب ترابية تقوي من موقفها، وهو ما سمعته شخصيا من وزير الخارجية الجزائري في الثمانينيات، محمد الصديق بن يحيى.

وترك الرئيس بو مدين للقادة في المغرب وموريطانيا حرية إيجاد الحل السلمي لقضية الصحراء، لكنه أحس بأنه وقع فريسة لعملية خداع غير مقبولة عندما عرف، قرب منتصف السبعينيات، بأن البلدين قررا اقتسام الصحراء بينهما، وهو أمر لم يكن ليخطر له ببال كرجل يعرف أهمية التمسك بالتراب الوطني الذي لا يمكن التنازل عن شبر واحد منه، وعُرف أن الاتفاق بين الرباط ونواقشوط تم في مطلع السبعينيات، وقبل لقاء بشار الشهير بين بو مدين وولد داده في أكتوبر 1973 بشهور طويلة، والذي قيل أن الرئيس الجزائري هدد فيه ضيفه، في حين أنه حذره من الاستخفاف بالشرعية الدولية وبحقوق الشعوب المشروعة.

والواقع أن تواطؤ "المختار" مع "الحسن" لاقتسام الصحراء كان تجاهلا للإرادة الإفريقية وصدمة لبو مدين، الذي لم يكن يتوقع أن يقبل زعيم عربي على التخلي عن أرض يقول أنها جزء من بلاده فيقتسمها مع آخر لمجرد الإضرار بثالث لم يكن له من مطمع شخصي أو هدف إقليمي، ناهيك عن أن يُرد الخير بالجحود وتواجه الثقة بالخديعة[225].

وترددت يومها قصة امرأتين تقاضيتا أمام سليمان على بنوة طفل.

وقتها كانت الجزائر تدعم جماعة نشأت في جنوب المغرب تنادي بالكفاح من أجل تحرير الصحراء وتسمى حركة مقاومة الرجال الزرق "مورهب" (Morhob) ثم سحبت دعمها عندما أحست بأن الحركة مخترقة، وفي 1973 أنشأ مصطفى سيد الوالي حركة البوليزاريو، التي أحدث بروزها كعنصر فاعل تغييرا في

---

[225] - كما سبق أن قلت، رفض الملك الحسن الثاني الاعتراف باستقلال موريطانيا التي كان ينادي بتبعيتها للمغرب، واضطر إلى قبولها بضغط من الرئيس بو مدين في 1969، ولكنه استطاع أن يجتذب الرئيس الموريطاني المختار ولد داده ليقبل اقتسام الصحراء الغربية معه لمجرد النكاية في الجزائر. وقال للطاهر بلخوجة عندما استقبله في الرباط : "إن قضية الصحراء قضية مغربية موريطانية (!!!) وقد نجح البلدان في إقناع إسبانيا بالانصراف (!!!) وتريد الجزائر أن تتدخل لتعقد الوضع (الطاهر بلخوجة - الحبيب بو رقيبة – سيرة زعيم ص 218)

معطيات المعادلة، فقد كانت أول كفاح معاصر مُسلح يتم ضد الوجود الإسباني بعد إفشال ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في الشمال[226].

وكانت ليبيا هي الداعم الرئيسي الأول للبوليزاريو[227]، لكن الجزائر دخلت على خط الدعم بعد انكشاف قرار التقسيم، ووصل الدعم إلى قمته بعد اتفاق مدريد، في 14 نوفمبر 1975 ، الذي ظل، من ناحية الشرعية الدولية، اتفاقا غير شرعي، حيث لم يعترف به "الكورتيس[228]" ولم يُسجل بالتالي في الأمم المتحدة، وجرى تغيير عنوانه احتيالا وتدليسا فأصبح يُشار له على أنه "نقل للسيادة" وليس "نقلا للإدارة"[229].

وواقع الأمر أنني لم أكن سمعت كثيرا عن مشكل الصحراء الغربية، لكن تكليفي بأن أكون صلة الوصل مع ممثلها الأخ "أحمد بابا مِسكي" أعطاني فرصة معرفة الكثير عن القضية، ومتابعتها حتى يومنا هذا.



الملك الحسن يستقبل الرئيس بو مدين والعقيد الشاذلي وراءه



أحمد بابا مِسكي.

لهذا أضيف هنا أمورا لم أكن تطرقت لها قبل اليوم، وأحس بمسؤوليتي أمام القارئ والمواطن للحديث عنها بصفتها وقائع تاريخية عشتها ساعة بساعة، وهي تندرج في إطار الذكريات التي يشكل العقيد القذافي جانبا منها، وهو محور هذا الكتاب.

فالذي حدث قبل انتصاف السبعينيات أن الجنرال فرانكو وقع في غيبوبة تصورها الجميع غيبوبة الموت، ورأى الملك الحسن بأن إسبانيا قد تنحو منحى البرتغال بعد غياب سالازار، وستدفع بها الفوضى المترتبة عن غياب فرانكو إلى التخلص المُتسرع من الصحراء الغربية، وهكذا اتخذ الملك ما يُمكن أن يُعتبر إعلانا للحرب

---

226 - البوليزاريو هي الحروف الأولى لجبهة تحرير الساقية الحمراء وريو دورو (أي وادي الذهب) باللغة الإسبانية، وتأسست الجبهة على يد مصطفى السيد الوالي في مدينة الزويرات على الأرض الموريطانية في 10 مايو 1973 كجبهة تحرير لمحاربة الأسبان وانتزاع استقلال الصحراء الغربية.

227 - ذكرت حكومة الصحراء الغربية وجبهة البوليساريو أن نظام القذافي أوقف المساعدات للشعب الصحراوي من 1982, عندما أبرم صفقة مع المخزن. تجسد ذلك في سنة 1984 في ما سمي بـ"الاتحاد العربي الإفريقي"، حسب بيان صدر أمس عن وزارة الإعلام الصحراوية. وجاء التذكير ردا على خبر نشرته وكالة الأنباء المغربية مفاده أن "556 من المرتزقة من جبهة البوليساريو ذهبوا لنصرة قوات القذافي تم توقيفهم على يد مقاتلي المجلس الانتقالي الليبي". وجاء في رد الصحراويين "إن الحكومة المغربية تسعى بنشر مثل هذه الأكاذيب، من أجل طمس الحقيقة المعروفة لدى الرأي العام الدولي"، يضيف البيان.

228 - البرلمان الإسباني، وهو ما يعني أن الاتفاقية غير قانونية، وهذا سبب رفض الأمم المتحدة الاعتراف بها.

229 - يروي الطاهر بلخوجة وزير الداخلية التونسي الأسبق، لقاءه آنذاك مع الرئيس هواري بو مدين فيقول : كان بو مدين هادئا ولكن مكفهرا. وقال : لقد غُدِر بنا بالاتفاق الثلاثي المبرم في مدريد بالرغم من لقاءاتنا وحسن استعدادنا. وأقحمت إسبانيا في المنطقة من جديد (..) إن الجزائر كانت تتصرف تصرفا صادقا، فكان جزاؤها في آخر الأمر الغدر والبهتان (نفس المصدر السابق - ص 216/215)

على إسبانيا، وما زلت أذكر خطابه في 1974 الذي قال فيه بأن الرئيس هواري بو مدين وعده بأن يكون الجيش الجزائري بجانب الجيش المغربي إذا حدثت مواجهة مع الأسبان.

لكن فرانكو يفيق من غيبوبته، ويجد الملك الحسن الثاني نفسه أمام فخ سياسي مُحرج، وأذكر هنا أنني سمعت الرئيس بو مدين يتساءل أكثر من مرة عن المخرج الذي يمكن أن يلجأ له العاهل المغربي للتخلص من هذه "الورطة"، بحد تعبيره حرفيا[230].

ووجد الملك، بثقافته وبدهائه، الحل، فقام برفع الأمر إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، وتجاوبت معه الجزائر بحماس، بل وقبلت اقتراحه بتعيين قاض متخصص (Juge ad hoc) كان من أصدقاء الملك على ما أتذكر، وينتمي لكوت ديفوار، ومع ذلك كانت النتيجة لغير صالح مطالب المغرب[231].

وهكذا، وبعد رفضه لاستفتاء الشعب الصحراوي، رفض الملك أيضا الالتزام برأي محكمة العدل الدولية الذي كان قد طلبه شخصيا، واكتفى بقراءة مبتسرة له تبرر تحركاته المُستقبلية، وطلع على العالم بفكرة "المسيرة الخضراء"، والتي كانت عملية إعلامية ضخمة انطلقت يوم 6 نوفمبر 1975 وتوقفت يوم 9 من نفس الشهر، ورُفعت فيها أعلام بعض الدول العربية المؤيدة للعرش المغربي لأسباب معروفة، ولم يثبت أن المسيرة دخلت أي مدينة صحراوية، علما بأن مدينة "العيون" كانت على بعد عدة كيلومترات، بل إن هناك من يقول بأن المسيرة لم تخرج من حدود المغرب الدولية، وبنيت حواجز مؤقتة للمتطلبات التيليفيزيونية (مع ملاحظة أن الجيش الإسباني كان لا يزال موجودا في المنطقة، وكانت التعليمات التي أعطيت للمُسيَّرين، طبقا لما أعلنه الملك شخصيا، عدم الاصطدام بالجيش الإسباني)[232].

وكانت تلك العملية الإعلامية، التي استقطبت الأنظار في الشرق والغرب نتيجة لما سُلط عليها من أضواء، ستارا لتسرب قوات هامة من الجيش الملكي إلى الصحراء الغربية على الجانب الشرقي، أو ما يُسمى بمحور "المحبس"، وكان الهدف هو السيطرة على القبائل الرافضة للوجود المغربي، وقيل يومها أن عمليات إبادة واسعة النطاق أدت إلى فرار الكثيرين نحو الأرض الجزائرية، حيث استقروا في منطقة "تندوف"، التي أصبحت مركز تجمع اللاجئين الصحراويين، وقامت قوات من الجيش الوطني الشعبي، معظمها من رجال الخدمة الوطنية، بحماية النازحين، وهو ما كان وراء صدامات "أمغالا".

وكان من بين ما قيل في تفسير الاحتلال المغربي العسكري للصحراء الغربية أن الملك الحسن، وقد عاش انقلاب الصخيرات في 1971 والهجوم على طائرته الخاصة في 1972، كان يشعر بالقلق من حدوث فوران في الجيش، فرأى أن يبعث بأهم قواته العسكرية إلى الجولان في سوريا في بداية السبعينيات (وقد أبلت، للأمانة، بلاء حسنا في حرب أكتوبر 1973) ثم إلى الصحراء في الجنوب للتخلص من وجود قوات مؤثرة في المملكة، ولا أتصور أن هذا أمر صحيح بشكل مطلق، بدون أن ينفي وجود نار وراء الدخان.

ودخلت ليبيا على الخط مرة أخرى وبشكل غير المعادلة تماما.

فقد كانت الجزائر تتفهم مطالبة الصحراويين بحقوق تكفلها الشرعية الدولية، وتتعامل مع البوليزاريو كحركة تحرر من الأسبان أساسا، ومن هذا المنظور أرسل الأخ عبد العزيز بلخادم إلى أديس أبابا في منتصف

---

[230] - قبل سقوط فرانكو في الغيبوبة الأولى قال الملك الحسن الثاني لوزير الخارجية الإسباني لوبيز برافو : أعطني العهد بأنكم لن تمنحوا الاستقلال للصحراء (..) وأني مستعد لقبول استمرار الحضور الإسباني (الطاهر بلخوجة – سيرة زعيم ص 213) ويجب أن أذكر هنا بأن خطاب الملك للمُسيَّرين فيما سمي بالمسيرة الخضراء بعد ذلك كانت بألا يصطدموا بالأسبان .. وهو ما يفضح دعاوى تحرير الأرض من الاستعمار الإسباني.

[231] - ضم نص محكمة العدل الدولية النقاط التالية:

1 - ثبت للمحكمة وجود روابط ولاء قانونية بين سلطان المغرب وعدد من القبائل التي تعيش على الأرض الصحراوية (وتلاحظ دقة الصياغة وتحديد نسبة الانتماء السكاني، فلم يتحدث النص عن قبائل صحراوية بل عن قبائل تعيش على الأرض الصحراوية)

2 - ثبت للمحكمة وجود روابط ولاء قانونية مرتبطة بالأرض مع المجموع الموريطاني.

3 – لم يثبت للمحكمة وجود أي روابط سيادة بين المغرب والصحراء الإسبانية

4 – يظل قائما قرار استفتاء السكان لتقرير مصيرهم تمشيا مع نص الجمعية العامة 1514.

[232] - أتعفف عن الإشارة إلى نوعية المشاركين طبقا لما أوردته آنذاك صحيفة لو موند وأكتفي بالقول بأن الجسم الرئيس للمسيرة كان أعدادا كبيرة من العاطلين، وكان هناك، طبقا للصحيفة الفرنسية، نسوة يُمكن أن يُقال عن حرفتهن الكثير مما لا يُقال.

السبعينيات ليطالب الأفارقة بمنح وضعية "جبهة تحرير وطني" للبوليزاريو، وبدأ عمله حال وصوله، كما أكد لي ذلك شخصيا.

ويتصل بي الأخ عبد الفتاح النعاس سفير الجمهورية العربية الليبية (ولم تكن آنذاك قد أصبحت جماهيرية) ويطلب موعدا عاجلا استجبت له على الفور، فجاءني مرفوقا بشخصين قال أنهما مبعوثان خاصان للعقيد القذافي، ويحملان رسالة عاجلة تطالب باعتماد إنشاء الجمهورية الصحراوية بناء على اتفاق للعقيد مع السيد مصطفى الوالي، قائد البوليزاريو، وكانت مفاجأة لم أكن أنتظرها، مع ملاحظة أن الشخصين لم يكونا من العناصر التي كنا نعرفها، لكن وجود السفير معهما كان كافيا لتأكيد مصداقيتهما.

وبالطبع، قلت لثلاثتهم أنني لا أملك إلا أن أسجل ما قالوه لي وسأرفع الأمر للرئيس، وهو ما حدث بالفعل، وفيما بعد استدعاهم الرئيس بو مدين حيث استقبلهم مطولا، وجاءني بعدها إلى مكتبي في الرئاسة كل من مصطفى الوالي مرفوقا بأهم شخصيات الجيش الجزائري وهو العقيد قاصدي مرباح[233]، رحمهما الله، لإعداد اللازم في إطار ما تم الاتفاق عليه[234].

وكان المطلوب هو إصدار بلاغ تشكيل الحكومة الصحراوية وإذاعة البلاغ من التلفزة والإذاعة الجزائرية، وفوجئت بأن عليّ أن أعدّ كل ذلك، ولم يكن الجانب التقني مشكلة كبيرة فقد أصدرت تعليمات بذلك للتلفزة، لكنني قلت للوالي بأن عليه أن يحدد مكانا على الأرض الصحراوية ليلقى منه الإعلان، والذي يجب أن يلقيه مسؤول معروف.

وطلب مني الوالي أن أكتب نص إعلان قيام الجمهورية الصحراوية، وهو ما حدث بالفعل، وكان الطريف أنني كتبت النص على ورقة من ورق التذاكر الطبية (ordonnance) كنت استعملها كمسودة لكتاباتي بعد أن توقفتُ عن استعمالها لصرف الأدوية عندما أغلقت عيادتي، وأتذكر أن الوالي قال لي ضاحكا إنها المرة الأولى التي يُكتب فيها إعلان دولة على تذكرة طبية، واحتفظ، رحمه الله، بالوثيقة الأصلية للذكرى، وألقى البلاغ رئيسُ المجلس الصحراوي في منطقة عين الحلو بالصحراء الغربية، وسجّل مصطفى الوالي نفس النص في مكتب مدير الأخبار المدني حواس بالطابق الثامن للتلفيزيون بالجزائر، وبحضوره مع عبد الرحمن شريط المدير العام للمؤسسة، وبدون أن يظهر أي منا في الصورة بالطبع

وتغير دعم الجزائر للبوليزاريو، فبدلا من اعتبارها حركة تحرير، وبمطالبة ليبية بالغة التسرع أكدت اتفاقها على ذلك مع الجبهة، أصبح دعما لمطالب دولة مستقلة[235].

وبالطبع، فقد أصيب بلخادم بصدمة وهو يتلقى التعليمات الجديدة .

---

[233] - العقيد قاصدي مرباح أو مصطفى خالف، كان مدير الأمن العسكري الذي كان مكلفا بالتعامل في الجانب العسكري مع البوليزاريو ، بينما كنت أنا مكلفا بالتعامل الإعلامي مع بابا مسكي، وتولى مرباح رئاسة الحكومة بعد أحداث أكتوبر 1988، ثم جرى اغتياله خلال العشرية الدموية مع ابنه، وكان رجلا تميز بالكفاءة في أداء مهامه كما كان لطيف المعشر وديع التعامل بالغ الأدب رغم منصبه الأسطوري آنذاك، ولم يكن يخاطبني إلا بتعبير: سي محيي الدين..

[234] - ولد مصطفى السيد الوالي مفجر ثورة 20 مايو 1973 في سنة 1948، وتعلم بزوايا الصحراء وحفظ بعضا من القرآن الكريم إبّان طفولته، وبعد بلوغه 10 نزحت عائلته لمدينة طانطان جنوب المغرب على غرار باقي العائلات الصحراوية هربا من الاستعمار الإسبّاني، وتدرّج في المدارس الابتدائية، ثمّ الثّانوية بكل من طانطان ومراكش وتارودانت، إلاّ أنّه عانى كثيراً من الطّرد بسبب مواقفه، ورغم ذلك حصل على الباكالوريا وهو يبلغ من العمر 22 سنة بثانوية ابن يوسف في مرّاكش (1970 أوج الانتفاضة الشعبية ضد المستعمر الإسبّاني) ، والتحق بجامعة محمّد الخامس بالرباط ليتخصّص في ميدان العلوم السياّسية، وتميّز بشدّة انتمائه للعروبة والإسلام، وبناء ثقافته على أسس اللغة العربية حيث أنّه ركّز قراءاته على مؤلّفات مصطفى لطفي المنفلوطي، طه حسين، العقّاد، إحسان عبد القدّوس، توفيق الحكيم، وشعراء المهجر، وكلّ الكتب الّتي ألّفها سيد قطب، واتجه عامي (1967 و 1968) لإقامة إتّحاد لطلاّب الصّحراء الدّارسين بالمغرب، واتّصل بعديد من التّنظيمات الطّلاّبية في المغرب وبيروت ومدريد، وأنّه أعتقل مرّات عديدة (1972/1971)، ولم يثبت انضمامه لأيّ حزب سياسي مغربي ، وإن كان اتصل بعدد منها لمعرفة اتجاهاتها حول قضية الصحراء.
وقد تعرفت به في منتصف السبعينيات، وكان هادئ الحديث دمث الخلق عميق الإيمان بالقضية الصحراوية، وقمت بتقديمه لعدد من القيادات الفكرية العربية. واستشهد في يونيو 1976 عن عمر لا يتجاوز 28 سنة

[235] - روى لي الأخ صالح بلقبي سفير الجزائر السابق في موريطانيا ثم في ليبيا في يوليو 2007 قصتين متناقضتين، الأولى هي أن رئيس النيجر سيني كونتشي قال له بأن دعوة الجزائر للتعامل مع البوليزاريو كحركة تحرير لن تلقى قبولا في إفريقيا والمنطق هو أن تعلن الصحراء كدولة، وهو ما يعني أن الفكرة الأصلية لتكوين الحكومة جاءت من النيجر، أما القصة الثانية فهي أن سليمان هوفمان قال له أن الجزائر هي التي كانت صاحبة فكرة تكوين الحكومة الصحراوية، وهنا يتناقض أيضا مع ما رويته أنا وعشته شخصيا، ومن هنا أتحفظ على رواية هوفمان، وأورد كل هذا للأمانة التاريخية.

والمهم أن الوضع ازداد تدهورا على ساحة الصحراء، وكاد الجيشان الجزائري والمغربي يشتبكان معا لولا أن القيادة في كل من البلدين استطاعت أن توقف الأمور عند حدود أمغالا (1) وأمغالا (2)، ورُوي أن كلا من القيادتين كانت أمامها، في ظروف مختلفة، فرصة سانحة لإنزال ضربة موجعة للخصم، ولكنها لم تتخذ القرار بذلك[236].

وتزايد تعقد الأمور إلى أن وصلت إلى طريق مسدود أدى إلى انسحاب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية، التي كانت قبلت الحكومة الصحراوية كعضو كامل الحقوق، بعد أن رفض المغرب تماما قبول الاستفتاء، ثم حاول التلاعب في قمة نيروبي بأن أعلن عن قبول استفتاء يؤكد "مفهوم" المغرب لحقوقه المشروعة، وهو ما رفضته الجزائر بالطبع تأييدا لموقف البوليزاريو.

وأذكر، من باب وضع كل شيء في سياقه التاريخي، أن تلك المرحلة، وعلى وجه التحديد 1976، عرفت صدور بلاغ عن أربعة من الساسة الجزائريين تضمّن مطالبة بالديموقراطية، وتستر بهذا المطلب للتعبير عن الانسجام مع الطرح المغربي لقضية الصحراء، وقيل يومها أن ذلك كان بتأثير أحدهم وكان واحدا من الملاك الجزائريين في المغرب التقى مع أحقاد مرحلة الحكومة الجزائرية المؤقتة [237].

ورأى بو مدين في موقف السياسيين عملية نفاق رخيص يتناقض مع منطق الدولة ويُضعف من موقف الجزائر، ووُضع الأشخاص الأربعة رهن الإقامة الجبرية.

ولعلي هنا أسمح لنفسي هنا بالقول أن خطأنا الرئيس فيما يتعلق بقضية الصحراء الغربية، وخصوصا منذ نيروبي[238]، هو نسيان حقيقة تاريخية تقول بأن الملوك، الذين يعتدّون بالحقوق الإلهية، يرفضون كل ما يمكن أن يعتبر تشكيكا في سلطتهم، وكان يجب أن نفهم أن المغرب لن يقبل الاستفتاء على الإطلاق إلا إذا جرده من مضمونه، وأن نتصرف على هذا الأساس.

ولكن قبول هذا المنطق آنذاك كان صعبا على أي مناضل جزائري لم تعرف بلاده الحكم الملكي قط، ولدرجة أن مؤرخين يقولون أن نظام "الدايات" في الجزائر كان أقرب إلى جمهوريات عسكرية منها إلى الملكيات، حيث كان "الداي" يُعيّن بالانتخاب.

غير أن الاستطراد هنا سيذهب بنا بعيدا عن مضمون الكتاب، ولهذا أعود أدراجي.

---

[236] - كان من بين الوساطات آنذاك وساطة الرئيس المصري أنور السادات عبر نائبه حسني مبارك ووساطة الرئيس التونسي الحبيب بو رقيبة عبر وزيره للداخلية الطاهر بلخوجة.

[237] - قيل أنه، مع آخر عرف بارتباطاته مع بلد خليجي كبير ولم يكن راضيا على تعيين إبراهيم مزهودي كسفير في القاهرة حيث كان يريد المنصب لنفسه وثالث قيل أنه غاضب لأنه لم يعين وزيرا للأوقاف، وراء البلاغ الذي صدر باسم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ضد سلطة الرئيس أحمد بن بله في 1964 وأعاد شنآن الخمسينيات بينهما، وأفقد التيار الإسلامي تعاطف السلطة لمصلحة اليسار المتمسك بوضعية النفاق التي حملت عنوان التأييد الناقد (*Le soutien critique*) الذي يضمن الفوائد ولا يلزم بالخسائر. انظر الشروق اليومي – عدد 16 يوليو 2011.

[238] - إشارة لمؤتمر نيروبي الذي أعلن فيه الملك الحسن قبوله لاستفتاء أعتبر استفتاء تأكيديا، أي تحصيل حاصل، إذ قال في خطابه أنه : يقبل استفتاء يؤكد **مفهوم** المغرب لحقوقه الشرعية في الصحراء الغربية، أي يؤكد المفهوم لا الحقوق.

وظل الموقف على حاله حتى بعد وفاة الحسن الثاني حيث جاء في مشروع الدستور الذي أعده الملك محمد السادس في يونيو تعبير : التمسك بالحدود الوطنية **الحقة**، (Authentique) وصفة الحقة زائدة من الناحية اللغوية ولكنها واضحة الخلفيات من الناحية السياسية، وتعني بوضوح أن الحدود الحالية في نظر جلالته ليست نهائية، ولن تكون "حقة" إلا بضم الصحراء الغربية، وهو استفزاز بدا لي طفوليا.



الشهيد مصطفى الوالي مؤسس البوليزاريو – إلى اليمين أحمد حمروش

(5)

سيدي الرئيس، عندما استدعيتني للعمل إلى جانبك قلت لي حرفيا..."مهمتي هي السياسة أما أنت فمهمتك هي الأمن، وفيما يتعلق بي، أنا لم أحاول ممارسة السياسة، فهل أطمع يا سيادة الرئيس ألا نخرج عن ذلك الاتفاق؟

مدير الأمن الرئاسي الرائد عبد الملك كركب للرئيس هواري بو مدين

*

كانت المؤتمرات الإقليمية والدولية، بشكل عام، فرصة ينتهزها الرئيس الراحل هواري بو مدين فيصطحب معه دائما عددا من القيادات الوطنية من أعضاء مجلس الثورة والحكومة وذلك لإعطائهم الفرصة للتعرف على أهم القضايا الجهوية والدولية، وأتصور أنه كان ينتهز الفرصة أيضا لتحقيق هدفين، الأول دراسة شخصية معاونيه عن كثب واكتشاف مدى وعيهم فيما يتعلق بالتعامل مع تلك القضايا وحجم متابعتهم لها ومدى تجاوبهم مع القرارات المتخذة بشأنها، والثاني استطلاع مواقفهم والتعرف على اتجاهاتهم فيما يتعلق ببعض القضايا والمشاريع الوطنية، وهو هدف أتصور أنه أهم من الهدف الأول، حيث كنت ألاحظ أن الرئيس كان يوجه الحوار دائما نحو قضايا داخلية أو أفكار يحاول أن يجس النبض حولها.

وقد منحتني تلك اللقاءات فرصة رائعة للتعرف على فكر الرئيس ودراسة أسلوبه في التعامل من جهة، ومن جهة أخرى التعرّف على نوعية الرجال الذين يسبحون في فلك صناعة القرار.

وأعطاني هذا أيضا فرصة دراسة المواقف وفهم التطورات واكتشاف الخلفيات والتعرف على شخصيات، رائعة أحيانا، وأحيانا أخرى ممن ينطبق عليهم التعبير المشهور عن المعيدي.

وكنا في منتصف السبعينيات نستعد للتوجه نحو إحدى العواصم الإفريقية، وأعتقد أنها كانت العاصمة الأوغندية كمبالا، للمشاركة في قمة منظمة الوحدة الإفريقية، وعلمت عند الإقلاع أننا سنمر على طرابلس لاصطحاب العقيد القذافي، الذي أراد أن يسافر في الطائرة الرئاسية الجزائرية تحت حماية الرئيس بو مدين،

حيث أن العلاقات بين العقيد القذافي والرئيس المصري أنور السادات كانت في أسوأ حالاتها، وكانت الطائرة تجتاز بالضرورة الأجواء المصرية.

كان الرئيس يستعمل في رحلاته القصيرة داخل الوطن إحدى طائرتين من نوع "ميستير 20" (رقمها 7T-VRE أو 7T-VRP) كانت في واقع الأمر مملوكة لشركة "سوناطراك" البترولية الجزائرية، حيث لم تكن ميزانية رئاسة الجمهورية تسمح بشراء طائرة خاصة للرئيس، وربما لم يكن الرئيس نفسه ليقبل ذلك.

أما بالنسبة للرحلات بعيدة المدى فقد كان يستعمل، كما قلت، طائرة سوفيتية الصنع من طراز "إليوشين 18"، وهي طائرة توربينية مروحية، كانت تبدو في ضجيجها كأنها "تراكتور" طائر.

وفي منتصف التسعينيات أصبح الرئيس يستعمل طائرة من طائرات الخطوط الجوية الجزائرية، تكون غالبا من طراز "بوينغ 727 "، يعاد تنظيم ثلثها الأمامي بأسلوب متواضع، ففي الجانب الأيمن من الجزء الأمامي، وبعد دورة المياه التي تلي قمرة (cockpit) القيادة مباشرة وتترك عادة لاستعمال الرئيس، يقام حاجز نصفي بعرض الطائرة يوضع وراءه سرير بسيط بجانب نوافذ الطائرة ويفصله ستار عادي عن الممر الذي يخترق الطائرة من القمرة حتى ذيلها، وبعد حاجز نصفي أخر وراء السرير من الجهة الأخرى، نجد فراغا ثم مائدة مثبتة في النصف الأيمن من القاعدة الأرضية، على جانبيها أربعة مقاعد متقابلة، ويجلس الرئيس عادة في الكرسي الخلفي الأيمن، ويترك المقعد المجاور له عادة فارغا، ويجلس أمام الرئيس واحد أو اثنان من أعضاء الوفد البارزين، أما بقية أعضاء الوفد فيخصص لهم الثلث الثاني من الطائرة، والمعزول بحاجز عرضي وراء المائدة وكراسيها الأربعة ويخترقه الممر، ويتجمع باقي الوفد من رجال الأمن والتشريفات، والصحفيين أحيانا، في الثلث الأخير من الطائرة.

وكثيرا ما كان الرئيس يفز إلى "قمرة" القيادة للدردشة مع الطيارين حول قضايا مختلفة، أو للإطلاع على الخريطة التي توضح خط الطيران والمناطق التي نحلق فوقها.

وأحس الرئيس، قرب نهاية السبعينيات، أن استعمال طائرة الخطوط الجوية الجزائرية يمكن أن يربك الرحلات التجارية، وربما كان هناك من نبهه لذلك، وهكذا اتخذ قرار شراء طائرة من نوع غرومان (G-2) وكان الغريب أن الطائرة وصلت بعد أن أصبح هو في ذمة الله، وهكذا حملت الطائرة كرقم الحروف الأولى من اسمه(7T-VHB) [239]، وكانت هي الطائرة التي سقطت بالوزير محمد الصديق بن يحيى وطاقم وزارة الخارجية في مايو 1982 وهو يقوم بوساطته لإنهاء الحرب العراقية الإيرانية.

وكانت العادة قد جرت على أن نرسل حقائبنا إلى قصر الشعب عشية اليوم المحدد للسفر، لتتولى المصالح المعنية نقلها إلى الطائرة بمعرفتها، حيث لا يسمح لأحد، أيا كان، باصطحاب حقائبه إلى الطائرة مباشرة، ولا يُسمح أن تكون على الطائرة حقيبة لغير مسافر على متنها.

وأتذكر هنا أمر طريفا يوضح ذلك.

ففي إحدى الرحلات الخارجية كان من بين مرافقي الرئيس الأخ شريف بلقاسم رحمه الله، الذي أرسل حقيبته كالعادة إلى قصر الشعب، وفي اليوم التالي، وقبل إقلاع الطائرة ،أبلغنا في مطار العاصمة بأنه لن يرافقنا لعذر عائلي، فاستأذنه الرائد عبد الملك كركب مدير الأمن الرئاسي في الانتظار بضع دقائق حتى تسحب حقيبته من الطائرة، ولم يبدُ "سي جمال" متعجلا بينما أصر عبد الملك على إنزال الحقيبة من الطائرة.

وهنا غضب الوزير واتجه إلى الرئيس ليشكو له الأمر، فطيب خاطره لكنه لم يتدخل للحيلولة دون تنفيذ طلب مدير الأمن، وبعد الإقلاع استدعى الرئيس عبد الملك ليقول له أنه لم يشأ أن "يكسّر" الأمر الذي أعطاه بخصوص الحقيبة، لكنه يتصور أنه كان من الممكن التعامل مع الأمر بشكل مختلف.

ويقول له الرائد بكل احترام: سيدي الرئيس، عندما استدعيتني للعمل إلى جانبك قلت لي حرفيا..."أنا أهتم بالسياسة أما أنت فعليك الاهتمام بالأمن، وفيما يتعلق بي أنا لم أحاول التدخل في عملك، فهل أطمع يا سيادة الرئيس ألا نخرج عن ذلك الاتفاق؟

وصرفه الرئيس من حضرته بابتسامة وهو يقول : الله يعاونك.

---

[239] - يشير (7-T) إلى جنسية الطائرة. أما حرف (V) فيشير إلى أن الطائرة مدنية، ورقم الطائرة هو الحرفان الباقيان (HB)

وأعود للرحلة، فقد حطت طائرتنا في مطار طرابلس، وعلمنا هناك بأن طائرتين ليبيتين من طائرات الخطوط الجوية الليبية تقلان الوفد الليبي ستتوجهان خلفنا إلى العاصمة الأوغندية، وبالطبع فقد حرص عبد الملك على أن توضع أمتعة الوفد الليبي كلها في الطائرة الليبية، وتوزع أعضاء الوفدين على الطائرات الثلاثة.

وعند المغادرة جلس العقيد بجانب الرئيس، ومع إقلاع الطائرة طلب القذافي من بعض معاونيه ورقا للكتابة، وفهمت، وأنا أتابع ما يحدث من مقعدي، أن العقيد كان يريد أن يشرح للرئيس التنظيم الشعبي الجديد الذي يعتزم تطبيقه في ليبيا، وكان متحمسا لإدخال المشروع في مخ الرئيس، الذي كان يتابع حديث العقيد بأدبه المعهود، وبدون أن يتدخل بأي حال من الأحوال.

وعندما أبلغنا بأن الطائرة تستعد للهبوط في مطار الأقصر للتزود بالوقود، وبمجرد وقوف الرئيسين استعدادا لمغادرة الطائرة، قمت كالعادة، وتحت النظرات الثاقبة للعقيد، بجمع كل ما كان يوجد على المائدة من أوراق، ووضعتها في حفظتي بعد أن قمت بعدّها، وكانت تسعة أوراق تحمل في أعلى اليسار وتحت شعار الجمهورية وهو على شكل نسر، كلمات :الجمهورية العربية الليبية، وتحمل في الجهة المقابلة يمينا، وبعد البسملة : ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، ثم كتابات ورسوم العقيد.

وتوقفنا في الأقصر المدة اللازمة بالتزود بالوقود، ولاحظت أن تعليماتٍ ليبية أعطيت لمضيفي الطائرتين الليبيتين التجاريتين بتوزيع كل ما كانت تحمله من تبغ وعطور وغير ذلك على موظفي المطار، واحتشد هؤلاء أمام الطائرة الليبية وهم يهتفون بحياة العقيد، وتخيلت فيما بعد أن التعليمات صدرت من مستوى عالٍ لأنني عرفت أنها تقليد متبع في كل المناسبات، وربما من منطق "أطعم الفم ....، أو اللسان".

وعندما عدنا إلى الطائرة الرئاسية أعددتُ الأوراق الليبية لتكون تحت تصرف الرئيسين، لكن أحدا لم يطالبها، وكان محور الحديث هذه المرة هو أغاني الشيخ إمام التي كانت تهاجم الرئيس المصري أنور السادات، وأعطى القذافي للرئيس مجموعة من التسجيلات سلمها لي الرئيس أمام العقيد بشكل بدا أنه يتعمده، لكي أحتفظ له بها إلى ما بعد انتهاء المهمة.



وعدنا إلى الجزائر مرهقين، وبعد يومين على ما أذكر توجهت لمكتب الرئيس الذي بادرني كالعادة بسؤالي عمّا وراني، وأجبته بهدوء أنني أحمل له زادا ثوريا، فزوى ما بين حاجبيه، أو ما كنا نسميه الدوبلفيه (W) بما جعلني أفهم أنه لم يلتقط الرسالة، فوضعت الأوراق التسعة التي كانت تحمل شروح العقيد، واختفى تقطيب الرئيس، وكانت فرصة لتعليقات مرحة.

واعتقدت أن الأمر انتهى عند هذا الحد، ولكن حدث بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات وفي بداية 1978 أن حل العقيد القذافي ضيفا على مدينة عنابة بالشرق الجزائري، واصطحب الرئيس الراحل ضيفه لمقر إقامته في فندق "سيبوس"، على سفح جبل "إيدوغ"، وفي المساء جلس الزعيمان في حديقة الفندق يتبادلان أطراف الحديث، وحولهما عدد من المرافقين، أذكر من بينهم الجنرال (الرائد آنذاك) الهاشمي حجريس ووالي عنابة الأخ مدوي وبقية أعضاء الوفدين.

وبادرني العقيد سائلا إياي بصوت مرتفع سمعه الجميع، بحيث بدا كأنه يُحدثُ طفلا ضبطوه متلبسا بسرقة الحلوى : عندما ذهبت معكم على متن الطائرة الرئاسية إلى القمة الإفريقية، أنت جمعت أوراقا كنت شرحتُ فيها للرئيس بعض النقاط أين ذهبت تلك الأوراق؟

وكان سؤالا غريبا لا أعرف ماذا فهم منه الرئيس بو مدين، فقد سكت قليلا وكأنه يستمتع بالموقف ويتخيل ما يمكن أن يكون عليه رد فعل العقيد الليبي، ثم قال بهدوء : الأوراق عندي يا معمر.

وسكت القذافي ثم راح يستعرض ذكرياته في مرحلة الشباب ومساهماته في دعم ثورة الجزائر، وقال بأن من بين نشاطاته آنذاك كان بيع صورة جميلة بو حيرد بخمسة قروش، توضع في صندوق دعم الثورة.

وقال الزعيم الليبي، بما بدا نوعا من اللوم، بأن تلك المرحلة شهدت وجود مجاهدين جزائريين على الحدود الليبية الجزائرية، قاموا بنصب كمين لقافلة إمداد فرنسية كانت تتحرك بين غات (في ليبيا) وجانيت (في الجزائر) وردت القوات الفرنسية على العملية بعنف، وقصفت قرية ليبية تسمى "إيسيين"، مما أدى إلى سقوط عدد من الشهداء الليبيين (وكنت أشرت للقضية من قبل) وكان الرئيس بو مدين يتابع الحديث بهدوئه المعروف، وهو يجذب بين الحين والآخر نفسا من السيغار الكوبي، ولعله كان يحمد في سره بركات فيديل كاسترو. وخيل إليّ أن طابع اللوم في حديث العقيد دفعت الرئيس الراحل إلى القول، وهو يغالب ابتسامة بدت ماكرة: " يا معمر.. محي الدين هذا هو واحد ممن اشتركوا في تلك العملية ".

والتفت العقيد بكل جسمه نحوي وهو يتساءل بصوت بدا لي أنه يجمع بين الدهشة والاستنكار:" أنت... من المجاهدين"؟. ورددت على الزعيم الليبي بسرعة وعينيّ على الرئيس بو مدين :" كل الذين بجانب الرئيس مجاهدون".

والمهم أن تلك القضية ظلت في فكر العقيد، الذي عرف بذاكرته القوية جدا حين يريد، وبذاكرته الضعيفة جدا حين يريد تجاهل أمر ما أو أحد ما، لسبب ما، في ظرف ما.

فقبل أن ينتهي العام ينتقل الرئيس بو مدين إلى رحاب الله، وأستعد أنا للعودة للمجال الطبي، لكن الرئيس رابح بيطاط، الذي كنت إلى جواره خلال الفترة الانتقالية، يتفضل بترشيحي للجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني، ثم يتفضل الرئيس المنتخب الشاذلي بن جديد فيمنحني ثقته، ويُصرّ على أن أواصل عملي في نفس الموقع السابق.

وأكتشف هنا تأكيدا لما كنت أظنه وهو أن العقيد القذافي كان يكره كل ما يرتبط وكل من يرتبط بالرئيس بو مدين، لأنه يذكره بأنه كان أمام الزعيم الجزائري الكبير مجرد سياسي هاوٍ.

فخلال أول زيارة له إلى الجزائر بعد وفاة الرئيس بو مدين قال للرئيس الشاذلي بن جديد، وهو يراني واقفا أمام مكتب الرئيس بقصر الشعب، وبعد أن أدرت ظهري للمكتب بدون أن أغلق أذني : هل احتفظت معك بالدكتور عميمور؟

وكان السؤال يحمل رنة الاستنكار، أو هكذا خيل إليّ[316].

وشهدت تلك الزيارة موقفا يعكس رغبة العقيد في التميز.

كانت الزيارة بمناسبة الاشتراك في احتفال الجزائر بثورة أول نوفمبر، التي كانت تبدأ باستعراض عسكري كبير في شارع جيش التحرير، وكان من بين المدعوين عدد هام من الشخصيات الدولية، كان على

---

[316] - أنظر كتابي : أنا وهو وهم – المؤسسة الجزائرية للفنون المطبعية

رأسهم الرئيس وليام تولبير رئيس جمهورية ليبيريا، وطلب من المدعوين جميعا أن يكونوا في العاصمة الجزائرية في اليوم السابق للاحتفال على أبعد تقدير، حيث سيكون الرئيس شخصيا في استقبال الرؤساء، وأبلغ الجميع أن المطار سيغلق صباح يوم أول نوفمبر (حيث أن الطريق المؤدية للمطار هي التي ستستعمل للقوات المشاركة في العرض)

ووصل الجميع بالفعل إلا العقيد معمر القذافي، الذي فوجئنا بأنه سيصل في حدود الثامنة من صباح أول نوفمبر، وبالطبع فإن رئيس الجمهورية لم يكن على استعداد ليستقبل الضيف في المطار حيث أنه سيكون في ساحة العرض العسكري يستعد لتفتيش القوات العسكرية المتجمعة استعدادا له.

وبالطبع، فقد كان هناك سبب آخر بالغ الأهمية هو الخوف من أن يمارس العقيد عادته في ترك الجميع ينتظرونه ساعات وساعات، ويؤدي هذا إلى فشل أول احتفال في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد.

ويوفد الرئيس رابح بيطاط إلى المطار ليستقبل العقيد ويأتي به مباشرة إلى المنصة الشرفية، وتصل طائرة العقيد ولكن الضيف لا ينزل منها، ومرت دقائق ودقائق وبدا أن العقيد لم يكن راضيا على أنه الرئيس الشاذلي ليس في استقباله، مع أن من كلف باستقباله هو رئيس الدولة السابق ورئيس المجلس الشعبي الوطني، الذي يحتل المرتبة البروتوكولية الثانية في الدولة، بجانب دوره التاريخي في ثورة نوفمبر، حيث كان واحدا من الستة، أو التسعة الذين فجروها باسم جبهة التحرير الوطني.

وتمر الدقائق ثقيلة وتجري اتصالات هاتفية متعددة مع موقع العرض الذي بدا واضحا أنه سيتأخر.

كان بيطاط يقف كالعادة عند سلم الطائرة، ولكان الطبيعي أن من في الطائرة رأوه وتعرفوا عليه، وفي لحظة معينة عبر بيطاط عن غضبه واستدار ليعود إلى مبنى القاعة الشرفية ويترك للضيف أن ينزل متى أراد ليستقبل كيف يريد المضيف من قبل أحد عناصر التشريفات، وهو ما لاحظه السفير الليبي الذي كان يقف في مدخل الطائرة.

وعلى الفور بدا العقيد خارجا من باب الطائرة وكأن شيئا لم يكن، ومرت الأمور بالأسلوب العادي وإن كان تصرف الرئيس بيطاط ظل ماثلا في ذاكرة العقيد، وسنواجه بذلك بعد أقل من عشرين سنة، كما سوف نرى فيما بعد، وتأكد أن العقيد لا ينسى شيئا يتعلق بالتعامل مع شخصه.

وكانت مغادرة العقيد للجزائر في نفس يوم مغادرة الرئيس تولبير، ولما كانت طائرة الرئيس الليبيري تغادر أولا فقد أعطيت له أسبقية الحديث للصحافة، وكان واضحا أن ذلك لم يعجب العقيد فلم يدلِ بأي تصريح رغم عشقه للتصريحات.

وفي نفس العام تحتضن بنغازي القمة الرابعة للجبهة القومية للصمود والتصدي، التي شاركت فيها الجزائر بوفد يقوده الرئيس الشاذلي بن جديد، وكان يضم عددا من كبار المسؤولين الجزائريين آنذاك، لعلي أذكر من بينهم الأخ بو علام بسايح، واكتشفنا أن واحدا من أهم عناصر اللقاء كان الاحتفال بنقل رفات الزعيم الليبي العظيم عمر المختار (للمرة الثالثة) من مدينة بنغازي إلى منطقة سلوق حيث أعدم في مطلع الثلاثينيات، وكان هذا هو المبرر الرسمي لنقل الرفات، لكن أصواتا همست لنا بأن الهدف هو إبعاده عن مركز العاصمة الثانية لليبيا.

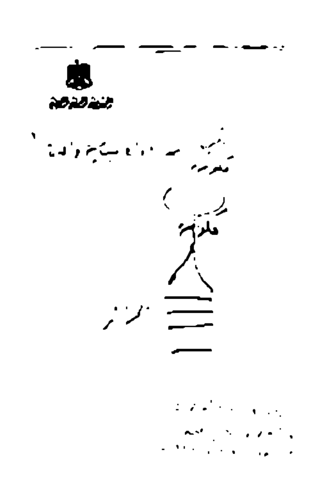
وكان الدليل على هذا أنه لم يدع وفد رسمي واحد زار بنغازي بعد ذلك إلى زيارة ضريح عمر المختار، الذي تناساه العالم بعد عدة أجيال، ولم يعد يُذكر به إلا فيلم أنتوني كوين (ويعتزم ثوار ليبيا إعادة بناء الضريح من جديد).

وعندما كان الرئيس القذافي يستعد لافتتاح الجلسة دار بعينيه على وجوه الوفود المشاركة، ولاحظت أنه ركز النظر للحظات على وجه الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، وكانت الأمور بين الزعيمين في إحدى مراحل الجزر الكثيرة.

وفجأة صوب العقيد نظراته إليّ وقال بصوت جاف : " يا فلان..الكمين الذي نصبته جماعتكم خلال الثورة هل كان على الأرض الليبية أم على الأرض الجزائرية ؟ ".

والتفت إلى الرئيس الشاذلي، الذي كنت وضعته في الصورة، كما تقتضي التقاليد، حول ما أعرفه عن علاقاتنا بالوفود الموجودة، وأحسست من نظرته بأنه يترك لي حرية الإجابة، فقلت على الفور وبنغمة جافة : " الأخ العقيد، نحن في ثورتنا لا نحارب عدونا على أرض الآخرين".

ولدهشتي، أحسست بأن العقيد ارتاح للإجابة، لأنه لم يواصل السؤال، وفهمت أن السؤال لم يكن أساسا موجها لي، كما حدث في قضية الرئيس نميري، لكنه لم يرحمني، بل سألني، مرة أخرى وعلى مسمع من الحضور جميعا، عن الأوراق التي كنت جمعتها من مائدة الطائرة الرئاسية منذ أكثر من خمس سنوات.
ولأن الرئيس الشاذلي كان في الصورة فقد كانت إجابته صاروخية وهو يقول: الأوراق موجودة الآن في ملفات الدولة التي تركها الرئيس الراحل.
لكن ما لم يقله الرئيس هو أنني كنت احتفظت بصورة للأوراق كلها، للذكرى وللتاريخ.



الأفكار الثورية التي أراد العقيد أن يقنع بها بو مدين

(6)
سيبوني اأدبه.

الرئيس أنور السادات للرئيس هواري بو مدين
عن العقيد القذافي

*

كانت حرب أكتوبر 1973 مجالا لشنآن كبير بين العقيد القذافي ومصر، فبعد الأحلام التي راودت العقيد عن وراثة الرئيس جمال عبد الناصر أحس بأن مصر هي أكبر من أن يتجاهلها، وخصوصا وأن مجال حركته في المغرب العربي لم يكن تبلور في ذهنه بعد.
ويقول عبد الرحمن شلقم (الحياة 16 يوليو) عن علاقات القذافي مع مصر عبد الناصر أنه لو استمر الرئيس المصري حياً إلى 1972 لكان أكبر عدو لمعمر القذافي (..) والسبب هو السبب هو الوسط الذي جاء منه، فقد جاء من صحراء سرت فقيراً ضعيفاً جائعاً محتاجاً .طفولته صعبة.
كان والده راعياً فقيراً، وكان معمر يأتي للدراسة في "سرت"، يسير يومياً نحو عشرة كيلومترات، لم يكن لديه إخوة ذكور، له شقيقتان، أحياناً كان يجد سيارة تعيده إلى بيته وحين لا يجد كان ينام في المسجد، ثم انتقل إلى سبها حيث تسيطر أسرة سيف النصر وهي في موقع الزعامة في قبيلة أولاد سليمان.
وذات يوم تسبب القذافي ببعض المشاكل فأقدم احد أفراد عائلة سيف النصر وهو "الباي" محمد سيف النصر على ضربه ضرباً مبرحاً، وهكذا ولدت لديه عقدة الاستضعاف والاضطهاد، ثم سمع العقيد، عبر الإذاعة، بشخصية عبد الناصر فأعاد إنتاجها وتمثيلها أمام الطلاب (خلال مرحلة دراسته) وكأنه يحتمي بتلك الشخصية، احتمى الشاب الجائع المضطهد الخائف بشخصية عبد الناصر وكأنه وجد فيها طوق نجاة، لهذا كانت له مع عبد الناصر علاقة حب وتحسس في آن، وبعد وصوله إلى السلطة بدأ الوضع يختلف.

كان عبد الناصر مهزوماً ولا يملك مالاً، وفي المقابل، القذافي لا علاقة له بالهزيمة ونجح في تغيير الوضع في ليبيا وهو يملك مالاً، ثم إن عبد الناصر كان مضطراً لكي يطلب مالاً من القذافي.

واعتبر معمر أنه هزم الملكية وطرد القواعد البريطانية والأميركية وطرد الإيطاليين، وهنا جاء بعض الكتّاب والصحافيين المشارقة وبدءوا إقناعه بطرق مختلفة أنه أهم من عبد الناصر، إنهم أقلام تشبه الشقق المفروشة ويستأجرها الحاكم الذي يملك مالاً، واستمرأ معمر اللعبة وفيض المدائح، ثم جاء كثيرون من مشارق الأرض ومغاربها ليقولوا له: : أنت "غيفارا" مضروباً بمائة مرة ... طبعاً كان مجرد التشبيه بغيفارا يعتبر مديحاً، فكيف إذا كان الممدوح يوصف بأنه أهم منه بمائة مرة.انتهى

وبعد وفاة ناصر راح العقيد يحاول التغلغل في المجتمع المصري، وفي المجال الإعلامي والجامعي على وجه التحديد، وكانت التوجيهات التي تلقاها الجميع من رئاسة الجمهورية ومسؤولي المخابرات ضرورة مجاراة القذافي، حرصا على مصالح مصر في ليبيا، ومن أهمها الحفاظ على العدد الكبير من العمال المصريين، والذي لم يكن يوازيه، فيما أعرف، إلا عدد العمال المصريين في العراق، والذي زاد فيما بعد خلال الحرب العراقية الإيرانية.

ويروي الصحفيون المصريون قصصا كثيرة عن الساعات التي كانوا يقضونها مدعوين إلى ندوات العقيد، وربما كان منهم من كان يستفيد من عطايا الزعيم الليبي والتي قيل أنها شملت سيارات فاخرة، كما يروي بعض أساتذة الجامعة قصصا أخرى، معظمها قصص مسلية، سمعت بعضها من الكاتب الدرامي المصري الشهير محفوظ عبد الرحمن، كاتب سيناريو فيلم ناصر 56 ومسلسل أم كلثوم.

وفي مجال العلاقات المصرية الليبية وأسلوب التأثير على البلد الآخر يتذكر كثيرون يوم نشرت بعض المجلات المصرية تحقيقا مصورا عن بيت يُدار للدعارة وتشرف عليه الفنانة المصرية المعروفة م.ش، ولم يفهم البعض في البداية تركيز الصحف على أمر لم يكن نشازا في المجتمع الخلفي المصري إلى درجة تستوجب التشهير إلى هذا الحدّ، ثم عرف فيما بعد أنه كان من بين الصور الملتقطة، والتي لم تنشر بالطبع، صور لبعض القيادات الليبية السامية، وكان النشر تهديدا واضحا بضرورة التزام الخط المطلوب وإلا....

وهذا يذكرني بما أشرت له في بعض مذكراتي بزيارة قمت بها إلى بلد عربي شقيق (وكنت يومها أشغل منصبا ساميا في الدولة) ودعاني أحد الرفقاء إلى عشاء في مطعم شهير، وخلال العشاء راحت راقصة جميلة تتمايل فوق كتفي، وكان هناك بالطبع من يلتقط الصور، وقلت للداعي ضاحكا : لا تنس أن ترسل لي مجموعة من الصور الملتقطة، فعندنا في الجزائر لا يُعتبر رجلاً من لا يحظى بمثل هذا الاهتمام النسوي.

واختفت الراقصة، ولم تصلني الصور إلى يومنا هذا.

وأعود للسياق، فمع الاستعداد لحرب أكتوبر كان إطلاع العقيد القذافي على الاستعدادات لشنها أبعد ما يكون عن التفكير المصري، الذي كان مركزا على الملك فيصل بن عبد العزيز، كقاطرة لدول النفط، وإلى حدّ ما على الجزائر، كرصيد ثوري ومعنوي لجبهة الصراع مع إسرائيل.

وكان واضحا أن السادات يريد القيام بعمل يتحكم فيه وحده، وهو ما ثبت عبر حوار أورده الفريق سعد الدين الشاذلي في مذكراته عن حرب أكتوبر، عندما ردّ الرئيس على سؤال للفريق عن مجالات التنسيق العربي، فقال: "ستكون المعركة مصرية أساسا، وسوف يقف العرب موقف المتفرج في البداية، ولكنهم سوف يجدون أنفسهم في موقف صعب أمام شعوبهم فيضطرون في النهاية إلى أن يُغيّروا من موقفهم".

هكذا كانت نظرة الرئيس المصري لحلفائه الإستراتيجيين، وباستنتاج بسيط، كان واضحا أن السادات يريد القيام بعملية عسكرية تتوجه قائدا مظفرا لا للشعب المصري فحسب، وإنما للشعوب العربية كلها، حيث سيكون هو صاحب قرار الحرب وصاحب قرار السلم.

ويكشف محمد حسنين هيكل ما سمعه من الرئيس السادات بأنه : "من بين إخواننا العرب، فإن الملك فيصل هو الوحيد الذي يتم إخطاره مقدما، بدون تحديد اليوم والساعة، أما معمر القذافي فلا إخطار مسبق، ويسمع من الإذاعات[317].

ويُشير هيكل في موقع آخر من نفس الكتاب إلى لقاءات بين الرئيس السادات والسيد كمال أدهم، مدير المخابرات السعودية، موضحا علاقات السيد أدهم بالمخابرات المركزية الأمريكية، وتاركا لنا الاستنتاج.

---

[317] - كتاب السلاح والسياسة ص 306

وفوجئ العقيد الليبي تماما بالحرب في أكتوبر برغم أنه كان يعرف وجود الاتجاه المصري نحوها، خصوصا إثر تمركز سرب الطائرات الجزائرية (ميغ 21) في بنغازي، بصفتها منتصف الطريق تقريبا من الجزائر إلى ساحة المعركة[318].

وفي الأيام الأولى للحرب يتوجه العقيد إلى مصر (ولم يذهب إلى سوريا في حدود ما أتذكر، التي زارها الرئيس بو مدين إثر زيارته لمصر) ويطلب زيارة غرفة عمليات الحرب التي كانت أنذاك في قصر الطاهرة، وكانت الزيارة عملية استعراضية إعلامية للشعب الليبي أكثر منها دراسة عسكرية لمسيرة حرب كان يشرف على إدارتها عدد من قمم العسكرية المصرية من بينهم الفرقاء سعد الدين الشاذلي وعبد الغني الغمصي وأحمد إسماعيل وغيرهم ممن لا يمكن أن يذكر بجانبهم ملازم سابق في الجيش لم يعرف عنه أي تألق في المجال العسكري.

وغادر العقيد مصر غاضبا، وترددت إشاعات، أكدتها مؤخرا بعض الصحف المصرية، بأن العقيد، وقبل وقف إطلاق النار، سحب سرب مقاتلات "الميراج" الذي كان أرسل به للمساهمة في حرب أكتوبر.

ويقول شلقم في حواره مع "الحياة" أن القذافي كان يتكبر على السادات، وكان يغدق عليه الوعود ثم يربط ذلك بشروط من نوع... قطع العلاقات مع السعودية أو مهاجمة الملك حسين أو الدخول في وحدة مع ليبيا، وكان السادات يتضايق من أسلوب معمر وبدأت بينهما علاقة حب وكره، وراح منسوب الكراهية يرتفع إلى أن حصل الصدام العسكري على الحدود في 1977 [319].انتهى

كان الشارع المصري قد انفجر في 18 و19 يناير 1977 احتجاجا على خيبة الأمل من النتائج الاقتصادية الاجتماعية الهزيلة بعد حرب أكتوبر، وطلب رئيس الوزراء المصري أنذاك إنزال الجيش إلى الشارع للسيطرة على الأوضاع التي فشلت الشرطة في مواجهتها، لكن الفريق الغمصي، وهو واحد من أبطال أكتوبر الحقيقيين، رفض ذلك، ولعل هذا كان وراء التخلص منه بعد فترة لم تطل كثيرا.

ونصح الفريق بإلغاء الزيادات التي طرأت على أسعار المواد الاستهلاكية أولا، وهو ما استجاب له الرئيس صاغرا، لكن اضطراره للموافقة أحدث جرحا كبيرا في كبريائه، جعله لا يتوقف عند السبب الحقيقي للمظاهرات بل يحاول أن يتخيل المدبر لها، وهكذا، وكما يقول هيكل : "بدلا من أن يتجه إلى تفسير **اجتماعيّ** لما حدث اختار أن يلجأ إلى تفسير **بوليسيّ** له".

وبداية، فكر في أن ينسب الأحداث لمؤامرة سوفيتية، ولكنه لم يجد دليلا مقنعا على ذلك.

أنذاك كان الاتحاد السوفيتي ينتظر، بعد أن طوي الملف العسكري، أن يكون له نصيب من عقود تعمير كان تمويلها العربي جاهزا، وكان ذلك مطلوبا لأسباب مرتبطة باستيراد قمح ضروريّ من كندا، وأحس عرفات بالقلق السوفيتي وتشاور فيه مع قادة أخرين، كان من بينهم القذافي، الذي وافق على تعويض موسكو بشراء صفقة سلاح كبيرة من موسكو يُدفع ثمنها نقدا، وهو ما حدث، وعرف السادات ذلك فقال، بجحوده المألوف (هيكل ص 313) متشفيا في السوفييت الذين حارب بسلاحهم وتولى طياروهم حماية العمق المصري من الضربات الإسرائيلية خلال حرب الاستنزاف: "أولاد الـ؟؟؟؟، ليسوا عاجزين فقط، ولكن مفلسين"

وكان همّ السادات الأول بالتالي حلّ المشكلة المصرية الاقتصادية التي تهدد بتكرار ما حدث في بداية عام 1977، وفجأة تسرب إلى فكره اقتراح كان الوفد **الإسرائيلي** قد همس به إلى الوفد المصري في لقاء جنيف أواخر 1973، وكان محوره أن على مصر ألا تنظر **شرقا**، حيث المشاكل كثيرة والمردود محدود، لكن عليها أن تنظر **غربا** لأن الفائدة هناك مضمونة والمخاطر محدودة.

---

[318] - عندما رجعتُ من مصر مع العقيد عبد الغني يوم 8 أكتوبر 1973، وكانت "الميغ 21" قد تلقت الأمر بالمغادرة إلى مصر، لتحل محلها الميغ – 17، التقينا العقيد (يومها) أبو بكر يونس، ودهشت عندما سمعت منه تعبيرا عن الضيق الليبي، من سحب الطائرات لأنه سيترك الأجواء الليبية، كما قال، بدون حماية، وتبادلنا النظرات، عبد الغني وأنا، ولم نعلق.

[319] - كان معمر يعرف حسني مبارك يوم كان الأخير نائباً لرئيس الجمهورية وتقول مصادر أنه لم يكن يحترمه، وكان يعامله بفوقية. وفي السنوات العشر الأخيرة قام بينهما نوع من التحالف وكان يدعم مبارك دعماً غير محدود واشترى له طائرة وهذا خبر جديد، إذ أن المعروف أن طائرة مبارك كانت هدية مستنفرة من السعودية، وقال آخرون أنها من الإمارات، وأورد أحمد المسلماني تفاصيل جديدة في برنامج"الطبعة الأولى" تقول بأن الطائرة كانت "عمولة" تسلمها جمال مبارك من شركة صناعة الطائرات إثر نجاحه في عقد صفقة تم فيها توريد طائرات لليبيا، وإذا صدق هذا فهو تكريم لجمال مبارك الذي تلقى العمولة ولكنها تركها لرئاسة الجمهورية المصرية بدلا من أن يستفيد بها أو بثمنها شخصيا.

وتباكى العقيد على مبارك إثر تنحيه، ولام الشعب المصري على ذلك، ويبدو أنه كان يفكر في نفسه.

ويقول هيكل بأن السادات "توصل إلى حلّ بالغ الغرابة فقد خطر له أن **يغزو** ليبيا، وفي ذهنه أن يحتل الجانب الشرقي من ولاية برقة حيث معظم منابع **البترول** الليبي، وكانت الذريعة صفقة السلاح التي كانت ليبيا قد عقدتها مع الاتحاد السوفيتي بوساطة حافظ الأسد وياسر عرفات"[320].

ولعل السادات نسي هنا أن من أكبر أخطاء أدولف هتلر في سعيه إلى الحصول على **النفط**، هجومه على الاتحاد السوفيتي في 1941، والذي تناسى فيه أن ثلوج موسكو أنهت أسطورة نابليون بونابرت من قبله.

وهكذا أصبحت ليبيا هدفا للنظام المصري، وكانت قوته الضاربة الأولى ترسانة **الإعلام** الهائلة التي ورثت من مرحلة أحمد سعيد أسوأ ما فيها، ولم تأخذ عنها إيجابية رئيسية واحدة.

وكانت بداية التحرك الساداتي التضخيم الإعلامي لصفقة الأسلحة التي اشترتها ليبيا من الاتحاد السوفيتي إرضاء له على استهانة السادات به، وهكذا **ضخّم** الإعلام، أو من زودوه بالمعلومات، حجم الصفقة من مليار دولار إلى الضعف، وقيل أن من بين بنودها قوة مدرعة تصل إلى ألفي دبابة (..) وإقامة قواعد عسكرية برية وبحرية وجوية في ليبيا (..)

واستشهد الإعلام المصري بالمجلة الأمريكية المتخصصة في شؤون الطيران الحربي، أسبوع الطيران (Aviation week) مشيرا إلى أن الطائرات التي تملكها ليبيا لا تجد طيارين ليبيين لقيادتها (..) وكان الاستنتاج الآلي أن من سيقودونها هم **السوفييت** (..) وكان هذا، كما أكد الإعلام المصري، خطرا شديدا على الأمن المصري، المؤكد أنه كان أكثر خطرا، إذا صح وجوده، من خطر حماس في العشرية الثانية من الألفية الأولى على الأمن القومي المصري، لأن الدبابات الفلسطينية لا يمكن أن تمر عبر أنفاق رفح !!! وليس هناك في غزة مطار صالح للاستعمال تقلع منه طائرات الفانتوم والميراج الفلسطينية لضرب مصر.

وفي يوم 19 يوليو يُنشر في القاهرة أن قوات **ليبية** قامت بالإغارة على مواقع مصرية في منطقة السلوم، على الحدود مع ليبيا، ثم يُعلن أن قوات مصرية **ردّت** على"**العدوان**" وقامت بالدخول إلى المواقع التي انطلقت منها العمليات ضد المواقع المصرية، وقامت بتدميرها وعادت إلى قواعدها بعد تنفيذ مهامها ضد القوات الليبية **المعتدية**" !! (..و) عاد النظام الليبي "واستأنف قصف مواقعنا الأمامية بنيران المدفعية (..) وقامت قواتنا بالردّ عليها بالنيران حتى أسكتتها، وفي صباح 22 يوليو قامت الطائرات الحربية الليبية بثلاث غارات جوية (..) ولما كان النظام الليبي مستمرا في اعتداءاته بطريقة تهدد أمن قواتنا وأراضينا (..) قامت قواتنا الجوية، كما روى هيكل، بمهاجمة قاعدة "العضم" الجوية (ولم يقل البلاغ المصري أنها أصبحت منذ قيام الثورة الليبية تسمّى قاعدة جمال عبد الناصر، ولم يتذكر أحد أن الهجوم تم خلال أيام الاحتفالات بثورة يوليو) وأسفر هجومنا عن تدمير شديد للقاعدة ومنشآتها وبعض الطائرات فيها"

وكان الهجوم تقليدا هزيلا للهجوم الإسرائيلي صباح 5 يونيو 1967 على القواعد الجوية المصرية، تماما كما كانت عملية "لارناكا" في قبرص فيما بعد تقليدا سخيفا ومأساويا لعملية "عنتيبي" الإسرائيلية، ولكن ما حدث قدمه الإعلام المصري كانتصارات ساداتية، قامت فيها القوات المصرية بعملية تعويض نفسي للجماهير على ما كانت تعانيه في حياتها اليومية.

ويقول السفير الأمريكي في القاهرة "هرمان ايلتس" بأنه : "أطلع على صور استكشافٍ قامت به الأقمار الصناعية فوق منطقة العمليات، واتضح منها أن ناقلات الجنود المصرية إلى الحدود الليبية تعطلت على الطرقات"، وبأن عدم نجاح العملية العسكرية كان سوف يؤدي إلى "فقدان الجيش المصري ثقته بنفسه (..) والنقطة المركزية هنا هي أن أرض العمليات واسعة جدا، والسيطرة عليها شاقة، خصوصا إذا لجأت ليبيا إلى المقاومة على طريقة حرب العصابات".

وأحدث الهجوم على القاعدة الليبية خسائر كبيرة، ومن المُحزن أن الجرحى نقلوا إلى مستشفى طبرق، الذي كان يضم مجموعة من الأطباء المصريين العاملين في إطار القوات الليبية، والذين كان تصرفهم رائعا ونبيلا، ليس فقط من الناحية المهنية بل من الناحية الوطنية، ويقول هيكل (ص 331) أن : "الصورة كانت مأساوية لدرجة أن الجراح المصري الدكتور مصطفى الشربيني بعث ببرقية إلى الرئيس السادات يقول له فيها أنه كان يُجري العمليات للجرحى من الضباط والجنود الليبيين وهو لا يكاد يرى مواقع جراحهم، لأن الدموع كانت تملأ عينيه".

---

[320] - محمد حسنين هيكل - عواصف الحرب والسلام (ص 328)

وكان الهجوم المصري صدمة هائلة للرئيس هواري بو مدين، فتوجه فورا إلى طرابلس ثم إلى الإسكندرية، حيث كان السادات يقضي أيام الصيف في أحد القصور الملكية (لعله قصر المنتزه) وتوجه إثر هبوط الطائرة في مطار "جاناكليس" لمقابلة السادات مرفوقا بوزير الخارجية عبد العزيز بو تفليقة، بالإضافة إلى الأخ مولود حمروش مدير التشريفات الرئاسية، وقيل لنا أنذاك أن الجانب المصري أصرّ على **ضغط** عدد الوفد، وهكذا ظللنا في الفندق الذي نقلنا له، ورحنا، الأخ عبد الملك كركب مدير الأمن الرئاسي وأنا، نضرب أخماسا في أسداس في مقر إقامتنا، وعرفنا فيما بعد أن اللقاء بين الرئيسين كان بالغ الحدة، وهو ما أكده هيكل (ص 333) وراح السادات يُعدد مبرراته قائلا بأن : "القذافي كان يتحرك بمخطط مرسوم له من **موسكو**، وهو يقوم ضده بحملة **كراهية** ويُعبئ الشعب الليبي ضده للتغطية على مشاكل ليبيا الداخلية، وهكذا افتعل مشكلة مع مصر ولم يكن أمام السادات إلا الرد عليها، خصوصا عندما بدأ القذافي يستعمل وسائل الحرب البكتيريولوجية ضد القوات المصرية (!!!) وقام بتسميم عدد من الآبار التي تعتمد عليها القوات المصرية للحصول على ماء الشرب".

وراح السادات يُردد أمام بومدين، كما رُويَ لنا : **سيبوني أأدّبه**.

وفوجئت واشنطون بالتصعيد الخطير الذي حدث، وبينما كان السادات يتصور بأنها لا تمانع في عمل يقوم به لتأديب الزعيم الليبي، لم يكن في واشنطون من هو مستعد لفكرة استيلاء مصر على حقول النفط الليبية، ولعل آخر ما كان يتصوره السادات هو أن يتلقى طلبا **حازما** منها بإيقاف عملياته العسكرية، ويومها بدأ يروج الحديث من جديد عن دور للولايات المتحدة الأمريكية في قيام ثورة سبتمبر الليبية.

ودام اجتماع بو مدين مع السادات حوالي ست ساعات، ثم عدنا إلى طرابلس بعد أن بدأت إجراءات وقف إطلاق النار، بينما تقاطر قادة كثيرون على مصر لركوب قاطرة التهدئة التي قادتها الجزائر، وكان من بين القادمين الرئيس "أياديما" رئيس التوغو، ورئيس منظمة الوحدة الإفريقية آنذاك، الذي اصطحب معه "آدم كوجو" الأمين العام للمنظمة.

ولم يُعرف دورٌ للجامعة العربية أو للمؤتمر الإسلامي آنذاك، كما حدث في الكثير من المشاكل التي لم يتحرك فيها المهماز، وترددت حول موقفهما النكتة التي تشير إلى تصرف القوات الملكية العراقية خلال حرب فلسطين في 1948، عندما رفضت التحرك للدفاع عن اللدّ والرملة، والذي لخصته كلمتا : ماكو أوامر.

(7)

خوفا من الإدانة الدولية أنكر القذافي بأن لديه قوات ليبية في تشاد، وعندما قامت الأمم المتحدة بالذهاب إلى هناك للتأكد من صحة تدخل القوات الليبية قام النظام السياسي بتشكيل ما سُمّي باللواء الأسمر، حيث استبدل جميع الليبيين ذوي البشرة البيضاء بذوي بشرة سوداء.

*

كان السفير الليبي لدى الجزائر في السبعينيات رجلا من أفضل الرجال، هو الأخ عبد الفتاح النعاس، الذي ربطتني به صداقة متينة، وكانت لي معه حكايات وحكايات.

وكان مما أعطى لعلاقتنا طابع متميز ما حدث يوما خلال زيارة لوفدنا الرئاسي إلى طرابلس، فقد لقيته في بهو قصر الضيافة، وكنت أبحث عن سيارة تحملني إلى المدينة، فسألني عمّا إذا كان هناك سبب مُعيّن

يدفعني إلى الخروج فقلت له أن احد زملائي أخبرني بأن في شارع سبتمبر محل يبيع أجهزة التلفزة الملونة المتميزة، وأريد شراء أحدها، فقال لي : لا تزعج نفسك، إن أخي يملك حانوتا لبيع الأجهزة، وسأطلب منه أن يختار لك واحدا بسعر جيد.

وفي اليوم التالي كنت أقف مع مستشار السفارة الجزائرية الأخ بو زيان التلمساني فجاءني البشير عماري المكلف بأمتعة الوفد ليبلغني بأن جهاز التلفزة الذي طلبته قد وصل إلى القصر، ويطلب مني أن اتسلمه وأسلمه له لينقله مع الأمتعة، واتجهنا إلى المخزن، بو زيان وأنا، ووجدنا بالفعل صندوقا كبيرا لجهاز تلفزة لا أنكر ماركته، لكنني لاحظت أن هناك بطاقة ملصقة عليه تحمل اسم وزارة الشؤون الخارجية الليبية، وعلى الفور طلبت من "البشير" أن ينتظر قليلا، وبحثت عن عبد الفتاح فوجدته في مكتب التشريفات، فشكرته على جهاز التلفزة وسألته عن الثمن فتهرب من الإجابة، وقلت له أن الجهاز لن يصعد إلى الطائرة إذا لم أعرف ثمنه لأعطيه له، وكان واضحا أنني وضعته في موقع محرج، فالجهاز كان، بطلب منه، هدية فعلا من وزارة الخارجية، واعتذرت منه فلم أتعود أن أطلب هدايا من أحد، وهكذا ظل جهاز التلفزة في مقر الإقامة ولم أحمله معي قط، وكانت هذه القضية محور تندر بو زيان طويلا، وظلت كذلك في ذاكرة السفير.

وطلب عبد الفتاح يوما رؤيتي لسبب عاجل، والتقينا بالفعل عشية زيارة قام بها العقيد القذافي للجزائر في منتصف السبعينيات، وقال لي السفير بأن العقيد سترافقه حرمه[321]، ونظرا للعادات الشرقية فإنه يفضل ألا يركز المصورون على وجود السيدة.

ولست أدري لماذا تملكني الشعور بأن السفير الصديق لم يصدقني القول، وبأن هناك من طلب منه أن يقول لي ذلك انطلاقا من تصور البعض أن معرفتي بخبر كهذا وفي جو العداء المتوقع مني تجاه العقيد سيدفعني إلى تسريب الخبر يمينا ويسارا لأضمن السبق لبعض أجهزتنا الإعلامية أو لمصور صديق هنا أو هناك، وهكذا تنتشر صور حرم العقيد في كل الصحف، ويكون ذلك صيدا لوكالات الأنباء الأجنبية.

وربما كان سبب ما أحسستُ به هو أن مجلة "جون أفريك" كانت قد نشرت منذ نحو أسبوع خبرا عن علاقات للعقيد مع سيدة من أحد بلدان المغرب العربي، مما سبب له بعض المشاكل مع حرمه كما قيل، ومن هنا فإن الزيارة للجزائر في حد ذاتها هي محاولة للقول بأن الأمور على ما يرام في بيت العقيد.

وكنت أمل لو أن الأشقاء تعاملوا معي بشكل لا يستخف بذكائي إلى هذا الحد، ومن هنا قررت أن "أرقد" في الخط كما يُقال، وأصدرت تعليمات واضحة لصحفيينا، وخصوصا على مستوى التلفزة، بتفادي بث أي صورة لحرم العقيد، ولأن العلاقات يومها مع الإعلام كانت علاقات احترام متبادل للالتزامات ولمتطلبات الدولة، فقد جرى تجاهل تام لوجود السيدة الفاضلة.

ومز اليوم الأول والثاني وعشية اليوم الثالث أبلغنا أن العقيد يريد زيارة ضريح الرئيس هواري بو مدين رفقة حرمه معه، وقمنا بإبلاغ السفير بأن السيدات لا يزرن المقابر في صحبة أزواجهن، ويمكن ترتيب زيارة خاصة للسيدة قرينة العقيد، وأحس السفير بالضيق لدرجة أحسست أنه سوف ينفجر، خصوصا ويبدو أن الضغط عليه كان شديدا، فاعترف لي بالأمر الذي تظاهرتُ بأنني فوجئت به، منعا لإحراجه، وفي اليوم التالي ظهرت حرم العقيد على شاشة التلفزة بشكل عادي جدا، وأغلق الملف.

وتأكد بالفعل أن الهدف هو ما كنت تخيلته، وهو ما يُعطي صورة عن أسلوب تفكير بعض الأشقاء، وقلت للسفير الصديق أننا نتعامل في كل القضايا بدون لف أو دوران، وأنا أعرف أنه ربما كانت للعقيد تجارب معينة في قطر معين، ولكن هذا لا يحدث عندنا.

وفي تلك المرحلة كانت قضية تشاد أكبر صفعة لنظام العقيد[322].

وتعود علاقات ليبيا مع الدولة الإفريقية الواقعة جنوبها إلى مرحلة الحركة السنوسية في تشاد، والتي كانت بداية العلاقة بين السنوسية ومنطقة السودان الأوسط انطلاقا من اللقاء الذي تمّ بين مؤسس الحركة

---

[321] - لعلها كانت السيدة صفية فاركاس حرم العقيد الثانية التي أنجب منها كل أبناءه ما عدا محمد، وهو ابن السيدة فتحية خالد التي طلقها العقيد، كما قيل، في بداية السبعينيات، وربما كانت هذه الزيارة شهر عسل لم نفهمه نحن لأننا لم نكن نتوقف، أنذاك، عند القضايا الشخصية.

[322] - المصدر الرئيسي للمعلومات ويكيبيديا (غوغل) ويقول شلقم عن العلاقات مع تشاد أن 80 في المائة من قبيلة القذاذفة كانوا في تشاد وعادوا الآن إلى جنوب ليبيا وإلى سرت على وجه التحديد، وكلهم لهم علاقة بتشاد ويحبون الإبل والمراعي وتشاد أنسب لهم، ويقال أن لدى معمر حاويات من الذهب والدولارات موجودة في تشاد.

السنوسيّة الإمام مخمّد بن علي السنوسي والسيد مخمّد شريف بن صالح (التشادي) في مكة المكرمة أثناء وجودهما في الحجاز.

وبعد تأسيس الحركة السنوسيّة في ليبيا وتولي السيد مخمّد الشريف (1835– 1858) الخلافة في "وداي" خلفاً لشقيقه سلطان علي الشريف، توطدت العلاقة، فازدادت الروابط بين السنوسيّة ووداي منذ ذلك العهد، وخاصة بين الخليفة محمد المهدي السنوسي، والسلطان يوسف بن مخمّد الشريف (1874 – 1898) وظلت العلاقة بين الشعبين الليبي والتشادي متشابكة متداخلة وحميمة طوال فترة نشاط الحركة السنوسيّة، واستمرت ودية بين البلدين دون أن يعتريها سوء تفاهم طوال عهد الملك محمّد إدريس السنوسي.

ونالت تشاد استقلالها عن فرنسا في أغسطس 1960، لكن فرنسا لم ترحل بالكامل، فقد تركت بعض قوّاتها بحجّة الدفاع المشترك بين البلدين، وزرعت بذور الفرقة والشقاق، واختارت تشاد دستورا علمانيا واللغة الفرنسية كلغة رسمية، وظلت فرنسا تتحكم في اقتصاد البلاد، وتم تنصيب رئيس الحزب التقدمي "فرانسوا تومبالباي"، رئيسا لتشاد، وهو مسيحي ينتمي إلى قبائل "السارة" التي تقطن الجنوب.

ولم تعرف العلاقة بين ليبيا وتشاد التوتر والنزاعات والصدامات المسلحة إلاّ بعد مجيء معمر القذافي إلى السلطة في ليبيا في الأوّل سبتمبر من عام 1969، وقد قطع الرئيس التشادي "تومبالباي" العلاقات الدبلوماسيّة مع ليبيا بعد أقل من سنتين من وصول القذافي إلى السلطة، وذلك في مطلع عام 1971، حيث قام نظام القذافي بتدريب وتسليح مجموعة من التشاديين (المسلمين) للقيام بمحاولة لقلب نظام تومبالباي في تشاد، وكانت العلاقات التشاديّة الليبيّة فيما بين 1970 إلى 1990 عدائية تارة، وودية تارة أخرى، وإن كان العداء هو الأصل، إذا استثنينا الفترة التي تمّ التوقيع فيها على اتفاقيّة الوحدة الاندماجيّة بين البلدين.

وعملت ليبيا في عهد القذافي على تسليح فصائل المعارضة المتتالية للحكم المركزي في "انجامينا" والمساهمة في تصعيد الخلافات الداخليّة بزعزعة استقرار البلاد لتبرير وجودها وتدخلها في الشئون الداخليّة التشاديّة، واعتبر العقيد القذافي أن تشاد هي مجاله الحيوي، الذي يجب أن يوليه اهتمامه الأساسي، وذلك لضمان الحصول على موارد بديلة لمورد البترول الذي كان مقدراً له أن ينضب خلال خمسين عاماً.

وهكذا انطلق نزاع "أوزو" بين تشاد وليبيا والذي أدى إلى حرب شرسة بين البلدين[323].

ويعود أصل المنازعات إلى أوائل الخمسينيات، فليبيا ادعت بأن الإقليم كان يقطنه السكان الأصليون الذين يدينون بالولاء للسنوسية، وبعد ذلك إلى الإمبراطورية العثمانية، واستندت إلى اتفاق قديم بين إيطاليا (في عهد بينيتو موسوليني[324]) وفرنسا (في عهد رئيس وزرانها بيير لافال[325])، عُرفت بمعاهدة (موسوليني-لافال)، عُقدت بين إيطاليا (الدولة المحتلة لليبيا) وفرنسا (الدولة المحتلة لتشاد) في روما في 7 يناير 1935، تضمنت تنازل فرنسا لإيطاليا عن هذا الشريط ليصبح من حدود ليبيا، وقد صادقت الجمعية الوطنية الفرنسية في عهد حكومة "فيشي" على هذه المعاهدة، بينما لم يصادق عليها البرلمان الإيطالي، وفي رسالة مذيلة بتوقيع "تومبالباي"، أقر فيها بأحقية ليبيا في أوزو، فدخلت القوات الليبية، إلى شريط أوزو، اثر معاهدة ديسمبر 1972، واثر التقارب الذي نتج عنها.

وقد تواجدت قوات ليبية في الشريط، حتى قبل ذلك التاريخ، وبالتحديد، منذ شهر أبريل من نفس العام، وأصبحت المنطقة تدار، منذ ذلك الحين، بإدارة ليبية، بل وأصدرت ليبيا بطاقات تعريف لسكان الشريط، ثم ألحقت المنطقة إداريا بمدينة "مرزق"، ثم أعلنت ضمها رسميا في 1976.

وفي 6 يناير من عام 1981، أعلن فجأةً عن قيام وحدة بين ليبيا وتشاد، وأصبحت ليبيا وتشاد بناء على هذا الإعلان، وبين يوم وليلة، دولة واحدة (تماما كما حدث في جربة مع تونس) وأثار هذا الإعلان، حفيظة وغضب الجميع، بما في ذلك معظم الدول الأفريقية تقريبا بالإضافة إلى "منظمة الوحدة الأفريقية" و"فرنسا"، فقد اعتبرت أغلب هذه الدول أن إعلان الوحدة بين البلدين، وبهذا الأسلوب، وفي الظروف التي تمر بها تشاد، هو في حقيقته محاولة من جانب ليبيا للاستيلاء على تشاد.

---

[323] - قطاع "أوزو" *Aozou* هو شريط من الأرض في شمال تشاد على طول الحدود مع ليبيا. ويبلغ طوله حوالي 965 كيلومترا، ويمتد جنوبا إلى عمق نحو 100 كيلومتر ويختلف عرضه من منطقة إلى أخرى، وهي منطقة شاسعة تبلغ مساحتها حوالي 80 ألف متر مربع، تقع في شمال منطقة "تبيستي"، الغنية باليورانيوم والمنجنيز.

[324] - قتلته الجماهير الإيطالية هو وعشيقته كلارا بيتاتشي قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية.

[325] - أعدم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بتهمة التواطؤ مع النازيين.

في تلك الأثناء، كان القذافي قد انتهك اتفاق "كانو" الأول، الذي عقد في مدينة كانو بنيجيريا في الفترة من 7 - 16 مارس 1979 وذلك بدعم محاولة انقلابية ضد" غوكوني وداي"، بمنح مساعدات وتسليح إلي أصيل أحمد، قائد جيش "البركان" والعربي الأصل، مما أتاح لجيشه التقدم نحو الجنوب.

وطالب وداي بخروج القوات الليبية من تشاد، وأعلن ذلك في مؤتمر صحفي، فانسحبت القوات المسلحة الليبية بصورة مفاجئة وسريعة مما خلق فراغا عسكريا استغله "حسين هبري"، الذي كانت قواته توجد على حدود تشاد مع السودان، وهكذا زحف بقواته على العاصمة "انجامينا" في 7 يونيو من عام 1982، واحتلها، وخرج "وداي" وأصبح "هبري" رئيسا لتشاد، وعلى الفور ولخشيته من نظام هبري تصالح القذافي مع وداي، الذي تمكن من العودة بتسليح وتدخل القوات الليبية في تشاد، وبدون غطاء أو اتفاق دولي.

وخوفا من الإدانة الدولية أنكر القذافي بأن لديه قوات ليبية هناك، وعندما قررت الأمم المتحدة الذهاب إلى تشاد للتأكد من صحة تدخل القوات الليبية في تشاد قام العقيد بتشكيل ما سُمّي باللواء الأسمر، حيث استبدل جميع الليبيين ذوي البشرة البيضاء بذوي بشرة سوداء حتى انتهت مدة المراقبة (ويبرز هذا مدى خبث النظام في ليبيا في تعامله مع الآخرين) وفي أعقاب ذلك أخذت قوات غوكوني وداي في الزحف جنوباً، بدعم عسكري ليبي، حتى سقطت مدينة "فيالارجو" الإستراتيجية في أيدي قوات غوكوني، وتم تقسيم البلد إلي قسمين شمالي بقيادة غوكوني وجنوبي تحت خط عرض 16 بقيادة هبري حتي عام 1986.

وبسبب محاولة القذافي وللمرة الثانية تصفية غوكوني، حيث حاول اغتياله في طرابلس الغرب مما أدى إلى قتل اثنين من حراسة الشخص وإصابته هو بجروح بالغة، طلب غوكوني من قواته الانضمام إلي قوات هبري، ودخل الرئيس حسين هبري في حرب مباشرة مع ليبيا لتحرير الشمال من القوات الليبية المحتلة، واستطاع تحرير كل أراضيه الوطنية بما فيه قطاع أوزو والدخول إلي الأراضي الليبية والاستيلاء على قاعدة السارة، وانهزمت قوات القذافي هزيمة تاريخية منكرة وأسر منها الآلاف.

قبل ذلك حدث أمر بالغ الأهمية.

كان هناك عدد من الشخصيات الجزائرية على اتصال دائم بقيادات ليبيا، ومن بينهم الأشقاء محمد العربي الزبيري، المساعد الأول لمسؤول الحزب أنذاك محمد الشريف مساعدية، وعبد القادر حجار، الذي كان محافظا وطنيا للحزب في ورقلة.

وكانت ليبيا قد عرفت عددا مهما من السفراء الجزائريين منذ 1962، كان أولهم على ما أتذكر الشاعر أحمد الطيب معاش رحمه الله، وكان من بينهم علي كافي، رئيس الدولة السابق، ومصطفى بن عوده وصالح بلقبي وعبد الله فاضل وعلي عمار ومبارك جدري ومحمد صباغ ومحمد سعيدي وصالح بوشه وآخرهم عبد الحميد بو زاهر.

لكن وجود عبد القادر حجار على الخط في العلاقات المباشرة مع ليبيا أهله في 1986 إلى تولي منصب سفير الجزائر لدى طرابلس وحتى 1989، واستطاع، بحكم علاقاته مع عناصر النظام في الجزائر، وتمتعه بثقة العقيد القذافي، من أن يكون من السفراء القلائل الذين كانوا جسرا حقيقيا بين قيادتي البلدين، ولم يسبقه إلى تلك الوضعية، فيما أعرف، إلا الأخضر الإبراهيمي، سفير الجزائر في مصر خلال عهد كل من هواري بو مدين وجمال عبد الناصر.

ومع تزايد مشاكل النظام الليبي في تشاد يقوم اللواء عبد الله بلهوشات بزيارة إلى ليبيا، ويسمع من العقيد وبحضور السفير الجزائري، أن النظام في حاجة لدعم عسكري جزائري يمكنه من التفرغ نسبيا لمواجهة ما يحدث في تشاد، ويبلغ السفير ما سمعه للرئيس الجزائري.

كانت الجزائر منذ مطلع الستينيات ونتيجة للغزو المغربي الذي استهدفها في أكتوبر 1963 تحتفظ بقوات رئيسية على الحدود الغربية، وكان هدوء الأوضاع على الحدود الجزائرية مع الست دول المجاورة واحدا من أهم أهداف النظام، الذي نجح في توقيع العديد من الاتفاقيات معها، لكن قيام مشكل الصحراء الغربية في منتصف السبعينيات اضطرها إلى تركيز حجم هائل من طاقتها العسكرية على الحدود الغربية، خصوصا مع عدم استقرار الأوضاع في موريطانيا.

ومن هنا كان هدوء الأوضاع على الحدود الشرقية من أهم ما حرصت عليه قيادات الجزائر، وفي هذا الإطار نظر الرئيس الشاذلي إلى الطلب الليبي باهتمام كبير، لكنه حرص على التأكيد بأنه، ومهما كانت الظروف، فإن الجيش الجزائري لن يطلق رصاصة واحدة خارج الحدود الجزائرية.

واستقبلت الجزائر العقيد "الخويلدي" حاملا رسالة خطية من العقيد القذافي تناولت المطلوب من الشقيق الجزائري، وتم يومها تخيل "سيناريو" للدعم العسكري، تنتقل بموجبه قوات مسلحة جزائرية عالية الكفاءة لتقوم بحماية الشمال الليبي، وهكذا يتفرغ الجيش الليبي لحل المشكل التشادي عسكريا، وطبقا لما سمعته من حجار، كان المكلف بهذا الملف هو اللواء خالد نزار ويعاونه في ذلك اللواء محمد العماري.

ويفاجأ العسكريون الجزائريون الذين توجهوا إلى ليبيا لتنظيم العملية أن السلطات الليبية أصرت على شرط بالغ الغرابة، فقد طلبت ألا تكون مخازن الذخيرة التابعة للقوات الجزائرية في نفس مكان تموقعها، وكان هذا سببا في تأفف قيادة القوات الجزائرية، ولعلها رأت أن القضية ستصبح بهذا الشكل نوعا من الفولكلور، لأن أي قوات مقاتلة لا يمكن أن تتخلى عن فاعلية أسلحتها بوضع الذخائر في مكان بعيد عنها.

وربما كان السبب أن القذافي، بمشاعره المتشككة دائما، تخوف من أن تكون القوات الجزائرية بشكل أو بآخر قوات تدعم احتمال انقلاب الجيش الليبي عليه، ورغم أن الشعب الليبي كان فرحاً بالدعم الجزائري المقترح طبقا لما قاله العقيد فيما بعد، فإن المشروع لم يتحقق.

وارتبط هذا كله بحكاية طريفة، تعطي فكرة عن أسلوب تعامل العقيد القذافي.

فقد حدث أن تصريحات صدرت من الجانب الليبي تمجد الدعم الذي لقيته من بعض القيادات اللبنانية والفلسطينية المتمركزة في لبنان، وتزامن ذلك مع عدم تنفيذ مخطط الدعم الجزائري، وعندما التقى العقيد بالسفير الجزائري سمع منه ما يفهم على أنه تأفف جزائري من تمجيد قيادات لم تقدم لليبيا ما كانت الجزائر تعتزم تقديمه، وهو ما جعل الجيش الجزائري يتفادى تنفيذ ما اتفق عليه، وهو غير صحيح بالطبع.

وفي لقاء جمع الرئيسين فيما بعد عبر العقيد عن تعجبه من استعمال الجزائر لمبرر تمجيده لأحمد جبريل ووليد جنبلاط، ورد الرئيس الشاذلي على الفور غاضبا : من قال لك ذلك، وعلى الفور التفت العقيد لسفيره في الجزائر سعد مجبر قائلا : لماذا تعطونني معلومات خاطئة.

لكنه، عند استقباله لسفير الجزائر فيما بعد، قال له: أنت قلت لي ذلك الأمر، ولم أرد أن "أحرقك" أمام رئيسك، وسيكون هذا التصرف من العقيد سببا من أسباب قوة العلاقات بينه والسفير.

وهكذا لم يتم تنفيذ المشروع، وادعى البعض أن القذافي لم يكن مطمئنا لوجود قوات جزائرية متميزة على الأرض الليبية، ولعله خشي من أن تقوم بتدبير انقلاب ضده، أو على الأقل، هذا ما همست به ألسنة السوء.

ومع تطورات الأوضاع في تشاد نحو السوء يحدث أمر يؤكد أسلوب الجزائر في التعامل دائما مع نظم الحكم في الجوار، وكان هذا خلفية موقفها من محاولة انقلابية حاول القيام بها العقيد حفتر (وربما سيكون هذا فيما بعد سببا من أسباب التنافر مع الثوار الليبيين الذي كان حفتر، وقد أصبح جنرالا، يتولى مسؤولية هامة في صفوفهم)

ولا أملك كل التفاصيل، لكن ما عرفته من سفيرنا في طرابلس انذاك أن "حفتر"، الذي كان يعيش في الولايات المتحدة إثر انشقاقه عن النظام، استمزج رأيه في إمكانية دعم الجزائر لحركة انقلابية ضد العقيد القذافي، تكون قوتها الضاربة الأسرى الليبيين الذين كانوا في قبضة نظام نجامينا، والذين عادوا إلى ليبيا وقلوبهم ملأى بكراهية النظام الذي تسبب في هزيمتهم أمام متمردي تشاد.

ونقل السفير هذه المعلومات فورا إلى الرئيس الشاذلي بن جديد.

كانت الجزائر تؤمن، كما سبق أن بينت، أن استقرار الدول المجاورة هو جزء من ضمان الاستقرار في الجزائر نفسها، وتعاملت على هذا الأساس مع المحاولة الانقلابية في "الصخيرات" عام 1971، ولم يكن سرّا أن أكثر ما كانت تخشاه الجزائر هو حدوث وضع يفرض على الأنظمة المجاورة أن تستنجد بحليف أجنبي، مما يؤدي إلى تعقيد الأوضاع في المنطقة وتهديد الأمن القومي للجزائر.

وكان ردّ الرئيس الشاذلي على ما سمعه هو قوله : قل لهؤلاء الجماعة أن أي حركة من جانبهم تستعين بقوات أجنبية ستضعهم مباشرة في مواجهة الجيش الجزائري (..)

وبالطبع، فإن حجار أبلغ العقيد القذافي بكل ما حدث، وكان هذا من أهم أسباب تزايد قوته ومصداقيته لدى النظام في طرابلس، ولا أعرف ماذا قال السفير لحفتر وجماعته ولا كيف تلقوا رفض الجزائر لدعمهم أو تفهموا ذلك في حينه.

واقترح الرئيس الشاذلي انذاك على القذافي طرح القضية التشادية على محكمة العدل الدولية في لاهاي، وقال للقذافي بأنه سيضع تحت تصرف ليبيا الخبير القانوني الجزائري محمد بجاوي، الذي كان رئيسا للمحكمة، ليمكن الاستعانة به في صياغة الموقف الليبي من القضية برمتها.

وبالموازاة مع ذلك، وبتشجيع جزائري، بدأت مفاوضات ليبية تشادية في مقر إقامة الثري الجزائري جيلالي مهري في باريس، طبقا لما سمعته من سفيرنا في طرابلس.

واعترف القذافي بحكومة هبري وأعلن عن رغبته في تسوية علاقته مع الحكومة المركزية في انجامينا، وعبر وساطة إفريقية تم اللقاء بين القذافي وهبري في " باماكو" عاصمة جمهورية مالي، وتم إعادة العلاقات بين البلدين في 3 أكتوبر 1988 بعد سلسلة الهزائم والنكسات العسكرية التي منيت بها قوات القذافي العسكرية، وتم توقيع اتفاقية الجزائر في إقامة الميثاق يوم 31 أغسطس 1989.

ويبدو أن العقيد لم ينس هزيمته أمام هبري، وظل يتحين الفرص للقضاء عليه، وعندما هاجمت قوات الحركة الوطنية للإنقاذ (MPS) بقيادة العقيد "إدريس دبي" المعارضة لهبري في 10 نوفمبر 1990، وانطلاقاً من الأراضي السودانية، تضامن معها العقيد وهكذا، وبأسلحة ليبية، دخل دبي العاصمة "انجامينا"، وعندما حاول حسين هبري صد الهجوم رفضت فرنسا (لاختلافها معه) أن تعطيه الصور الجوية التي تحدد موقع المتمردين، وبعد سقوط الرئيس حسين هبري في 30 نوفمبر 1990 تولى دبي الحكم في الأول من ديسمبر 1990، أي منذ أكثر من عشرين سنة، وهو بهذا يدين اليوم بحكمه للقذافي (ومع ذلك اعترف بالمجلس الانتقالي الليبي في الأسبوع الأول لتحرير طرابلس).

وتم رفع قضية قطاع أوزو إلى محكمة دولية، واصدرت محكمة العدل الدولية في فبراير 1994 قرارها، وجاء القرار في صالح تشاد، وكان للجزائر فضل كبير في إعداد الملف الليبي.

(8)

الإمام موسى الصدر دفن في منطقة" سبها" في جنوب البلاد (فزان) والمقدم الطيار نجم الدين اليازجي كان يتولى قيادة طائرة القذافي الخاصة، وكلف بنقل جثة الإمام الصدر لدفنها، وبعد فترة وجيزة من تنفيذه المهمة، تعرض اليازجي بدوره للتصفية على أيدي الأجهزة الليبية، لمنع تسرب قصة مقتل الصدر.

عبد المنعم الهوني – صحيفة السفير – فبراير 2011

*

سبق أن ذكرت بأن ليبيا كانت سباقة لدعم البوليزاريو (الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب، أي الصحراء الغربية) لكن العقيد انقلب على عقبيه بعد ذلك، وكان الثمن هو رقبة الرائد عمر المحيشي، الذي كان يعتبر أكثر أفراد مجموعة الضباط الأحرار ثقافة، برغم أن بشير هوادي كان هو المسارع غالبا بالتدخلات الأدبية في حضور العقيد، ونظرا لأن معظم الرفاق غاب عن الساحة لابد من استعراض سريع لمسيرة العقيد القذافي تجاه رفاقه عبر خمس مراحل.

المرحلة الأولى: من أول سبتمبر عام 1969 إلى ابريل عام 1975.

ففي هذه المرحلة الأولى كان لابد من أن يُظهر القذافي أمام أبناء الشعب تواضعه وتدينه وزهده وتقشفه، ليكسب قلوب أبناء الشعب الليبي، وخاصة قلوب أبناء القوات المسلحة، وعلى رأسهم أعضاء مجلس قيادة الثورة وأعضاء تنظيم الضباط الأحرار الذين كان يخشى بأس بعضهم، خاصة من أظهر قدرا ولو بسيطا من الاختلاف في الرأي معه في القضايا الداخلية والخارجية، وكانت البداية بالتخلص من وزيري الدفاع والداخلية،

في أول وزارة بعد الانقلاب، وهما المقدم ادم الحواز[326]، والمقدم موسى أحمد[327] واللذان لعبا دورا مهما في نجاح الانقلاب، لأنهما الأعلى رتبة بين ضباط سبتمبر، كما يروي الدكتور فتحي الفاضلي.

وكانت الجريمة الكبرى اغتيال النقيب الأمازيغي (أمحمد أبو بكر المقريف) عضو مجلس القيادة ووزير الإسكان في أول وزارة، وهي وزارة الدكتور محمود سليمان المغربي، وقيل أن النقيب قتل في حادث سيارة كان معه فيها الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة، الذي نجا من الحادث، وظهر بعده في المستشفي مربوط اليدين والوجه والرأس والقدمين بالضمادات ليغادر المستشفى بعد يومين دون أن يظهر فيه

---

[326] - ولد المقدم **أدم سعيد الحواز** عام 1939، بمدينة المرج. والتحق بالكلية العسكرية بالعراق. استلم عدة مهام في الجيش الليبي، كما قام بنشاطات عديدة تتعلق بمجال عمله، فقد كان آمرا لمنظومة مخابرات الجيش، ومشرفا على إعداد منظومة اتصالات للجيش الليبي، وكان آمرا لسرية المخابرات، بمعسكر قار يونس، وآمرا لمعسكر قار يونس ليلة انقلاب سبتمبر 1969. تلقى دورتين عسكريتين في الولايات المتحدة الأمريكية، خلال الأعوام 1964 و 1965م. كتب ونشر عدة مقالات، تناولت قضايا عسكرية وسياسية وحركية هامة، كما ترجم العديد من الإعمال التي تتعلق بمجال المخابرة. وكان الحواز يتمتع باحترام ومحبة وتقدير الجميع، وكان ضابطا طيبا مهذبا وعلى درجة عالية من الثقة بالنفس والأخلاق والذكاء، ويحمل صفات قيادية عديدة، وهو أيضا مثقف وقارئ وكاتب جيد، يتمتع بطاقة عملية هائلة ظهرت على الرجل في جميع المهام التي كُلف بها، قبل وبعد الانقلاب.

وكان النقيب **محمد فرج التومي** أول من قتل تحت التعذيب نتيجة للاتهام في عملية الحواز، وهو مولود بمدينة طرابلس عام 1946، وأكمل دراسته الثانوية في عام 1963. والتحق بعدها بالكلية العسكرية وتخرج برتبة ملازم ثان، وذلك في أغسطس عام 1966، وانضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي وإلى تنظيم الضباط الوحدويين الأحرار، واشترك، كغيره من ضباط هذا التنظيم، في انقلاب سبتمبر. وكان شجاعا كريما، ويتمتع بذكاء وأخلاق عالية ومتفوقا في دراسته، ومتفوقا أيضا على دفعته، فقد ذكرت بعض المصادر انه كان "الثاني" على دفعته. واعتقل في ديسمبر عام 1969، في مدينة طرابلس، بتهمة الاشتراك في المحاولة الانقلابية، التي اتهم بقيادتها الحواز، والمقدم موسى، ومثل إمام المحكمة العسكرية الأولى (برئاسة الرائد محمد نجم)، وحكمت عليه المحكمة في مارس من عام 1970، بالسجن لمدة ثلاث سنوات. وعندما أعيدت المحكمة (برئاسة النقيب سليمان شعيب)، صدر ضده (في أكتوبر 1970) وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة عشر عاما، وتعرض النقيب داخل السجن المركزي بطرابلس، إلى اشد أنواع القمع والتعذيب والعذاب، وظل قيد الاعتقال حتى استشهد داخل السجن في شهر مايو من عام 1976، وذلك بعد أن كُسرت جمجمته تحت التعذيب، وقد تواترت التحليلات، على أن أسباب اعتقال وتصفية الشهيد، تعود إلى عوامل عديدة، من بينها ثقافته، وجرأته، وانتمائه السياسي، ووطنيته، وذكائه، وتفوقه، ثم قوة تأثيره. ويكفي عامل واحد من هذه العوامل، لتحريك الغيرة والمخاوف في قلب السيد القائد، الذي يريد أن يخلق حوله بطانة من دُمى، صم بكم عمي، لا يرون ولا يسمعون ولا يتكلمون ولا يفقهون. كما يروى، أن الرائد عبد السلام جلود، قال للمساجين، عندما زارهم، في السجن المركزي بطرابلس، أن الانتماء السياسي للتومي، هو السبب الرئيسي لاعتقاله.

[327] - المقدم **موسى أحمد الحاسي** ولد ، بمدينة سوسة، عام 1937، التحق بالقوات المسلحة، وتولى فيها عدة مهام، ، ويعتبر من الوطنيين الشجعان المخلصين، كما اتصف بالمروءة والكرم والوفاء، و اشترك في انقلاب سبتمبر، ولعب فيه دورا بالغ الأهمية. فقد كان نائبا لآمر كتيبة المشاة الخامسة بمدينة درنة، وكانت مهمة هذه الكتيبة تتمثل في احتلال معسكر قرنادة، الحصن الحصين للقوات المتحركة، العدو اللدود للقوات المسلحة الليبية، واليد اليمنى للنظام الملكي، والقوى الوحيدة القادرة (عدة وعتاد)، على التصدي لتحركات الجيش، وانطلق المقدم ليلة الانقلاب متوجها من درنة، إلى معسكر قرنادة، ودخله وسيطر عليه، وكان قد نجح، قبل ذلك، في إقناع ابن عمه النقيب عبد الله شعيب الحاسي بالاشتراك في الانقلاب، ولعب عبد الله دورا فعالا في تسهيل سقوط المعسكر ، فقد كان يشغل مهمة "ضابط الخفر" في تلك الليلة، أي الآمر الناهي في شؤون المعسكر. ويؤكد اغلب المراقبين العسكريين والسياسيين، أن نجاح انقلاب سبتمبر، في أجزاء كبيرة من ليبيا على الأقل، كان يتوقف على احتلال معسكر قرنادة، والسيطرة عليه. وفعلا كان الجميع، ينتظرون سقوطه، قبل المضي خطوة أخرى في تنفيذ الانقلاب، بل يروى أن معمر كان مختفيا في بنغازي، في مكان ما (يُرجح انه معسكر قار يونس)، تحت حماية الحواز، آمر المعسكر في تلك الليلة، ينتظر خبر سقوط قرنادة، ولو لم يسقط لما ألقي بيان الانقلاب. وبعد نجاح الانقلاب، عُين موسى، كأول وزير للداخلية في العهد العسكري، وظل يشغل مهام هذه الوزارة، إلى أن تم اعتقاله في شهر ديسمبر عام 1969، بتهمة التخطيط لقلب نظام الحكم، وتهمة التآمر على الثورة، والخيانة، ومثل المقدم أمام المحكمة العسكرية الأولى (برئاسة الرائد محمد نجم)، والتي حكمت عليه بالسجن، ثم حكمت عليه المحكمة الثانية بالإعدام، لكنه بقي في السجن لمدة ثمانية عشر عاما، قضاها في السجن المركزي، صابرا محتسبا، ثم أطلق سراحه في الثاني من شهر مارس عام 1988، ومن المعروف أن "الثاني من شهر مارس" هو ذكرى إعلان سلطة الشعب، وذكرى تغيير اسم ليبيا الوطن، إلى اسم "الجماهيرية". وفي شهر ابريل من عام 2004، وبالتحديد في الرابع والعشرين منه، قُتل المقدم موسى احمد الحاسي، طعنا بالسكاكين (حسب رواية الأمن)، وذلك بعد أن هاجمت "مجموعة من الأفارقة" ؟؟ مزرعته في ضواحي مدينة طرابلس، ويرى المراقبون أن هناك ملابسات وجوانب وابعاد لم تتضح معالمها بعد، وأن "الأفارقة " أبرياء من دم الرجل. ويروى أن النظام في ليبيا رفض دفن موسى في مدينته، وأصر على دفنه في مدينة طرابلس، وربما يعود ذلك إلى خوف النظام، من أن يصبح رمزا، وعندما يمر أبناء قبيلته على قبره يذكرهم بجحود قادة النظام في ليبيا، ونكرانهم للجميل. ويذكرهم أيضا بوفاء وإخلاص وشجاعة الرجل، بل قد يثير فيهم أيضا دوافع الانتقام، أو المطالبة بالقصاص، تماما كما حدث للشهيد محمد مصطفى رمضان، والشهداء الذين رفض النظام دفنهم على تراب الوطن، وكما حدث للشهيد الشيخ محمد البشتي، الذي أعلن النظام، حديثا، أن قبره مازال مجهولا، حتى يومنا هذا (عن الدكتور فتحي الفاضلي).

ادنى خدش، في حين لقي المقريف حتفه مصـابا بأكثر من أربعين كسرا في جسمه، ولهذا تقول إحدى الروايات أن المقريف لقي حتفه بإلقائه من طائرة هليوكوبتر، وأن الذين قاموا بإلقائه عدد من ضباط الصاعقة، كان من بينهم بعض الضباط التابعين لدولة عربية (لم يشر لها المصدر، وتتأرجح الشكوك بين مصر والأردن)[328].

لكن في صيف عام 1976 قام عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة يتقدمهم الراندان عمر المحيشي وبشير هوادي مع مجموعة من الضباط الأحرار، نذكر منهم عمر الحريري، عمر الواحدي[329]، الكاديكي، بمحاولة انقلاب ضد القذافي، ولكن كشف أمرهم قبل تحركهم، والقي القبض على اغلبهم بمن فيهم بشير هوادي وعوض حمزة، وللأمانة، ففي الوقت الذي قاد فيه الرائد عمر المحيشي المحاولة، لم يتجاوز دور الرواد عبد المنعم الهوني وبشير هوادي وعوض حمزة مجرد العلم بالمحاولة دون إعلام السلطات عنها، أو بمعنى آخر دون الوشاية بها، مما يؤكد، على الأقل، رضاهم وتأييدهم لمبدأ "تصحيح مسار الثورة" التي انحرفت عن مسارها المتفق عليه بين أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الوحدويين الأحرار[330].

ويرجح أن مجموعة من السياسيين الليبيين المتواجدين خارج ليبيا كانوا قد التفوا حول الرائد عمر المحيشي وتعاونوا معه وشجعوه على مواصلة المقاومة ضد النظام الليبي بعد فشل محاولة أغسطس، واختير المحيشي، في البداية أمينا عاماً لهذا التنظيم، أما باقي المشاركين في محاولة اغسطس، كما أصبح يطلق عليها، فقد اختلفت مصائرهم، حيث تم إبعاد أو تجميد عضوي مجلس قيادة الثورة، أما الرائد عبد المنعم الهوني فقد استقر في القاهرة حيث كان متواجدا خارج ليبيا أثناء اكتشاف المحاولة أو أثناء الإعداد لها.

ونظرا لحجم ومكانة وأوضاع المشاركين فيها لم تعتبر تلك المحاولة "انقلاباً" على الثورة ، بل اعتبرت "انشقاقاً" عن الثورة، وذلك لان الذين صنعوا "الثورة" كانوا هم انفسهم الذين أرادوا بعد ست سنوات من قيامهم بها أن يصححوا مسارها.

وبعد أكثر من عام على المحاولة حكمت محكمة عسكرية على المشاركين في المحاولة بالإعدام حضوريا على 21 ضابطا، وبالإعدام غيابيا على ضابطين من بينهم الرائد عمر المحيشي، ثم حكمت بمدد تراوحت من المؤبد إلى السجن لعام واحد على أكثر من 35 ضابطا آخرين.

وفرّ المحيشي مصر، وعندما ذهب السادات إلى القدس، شتم المحيشي السادات وطرد من مصر فذهب إلى المغرب، وفعل القذافي المستحيل مع الملك الراحل الحسن الثاني لاسترجاعه، حتى وصل الأمر إلى الدخول معه في تجربة وحدوية (اتفاقية وجدة) سُمّيت وقتها الاتحاد العربي الأفريقي (18 أغسطس 1984) وتبين فيما بعد أن الغرض الأساسي منه ضرب تواجد المعارضة الليبية في المغرب، وعلى رأسها الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، وسلم الحسن الثاني عمر المحيشي، الذي لجأ له وكان في حمايته، للقذافي.

---

[328] - روى الأستاذ محمد حسنين هيكل لمحمد كريشن على أمواج "الجزيرة" في يونيو 2011 أن الزعيم الفلسطيني "أبو أياد" جاءه يوما في وضعية ذعر وأبلغه أنه قادم للتو من ليبيا وأن العقيد القذافي طلب منه صراحة التخلص من أحد أعضاء القيادة الليبية، ولعله عبد المنعم الهوني.

[329] - النقيب **عمر محمد الواحدي الذي قام** مع الملازم خليفة عبد الله الدرسي والنقيب حسين زايد الكاديكي والعميد سليم الحجاجي قاموا باقتحام الحدود الليبية، واجتازوا الحدود المصرية بقوة ليبية مدرعة ، بغرض الاشتراك بجانب الجيش المصري في حرب 1967. وقد رحبت مصر بهذه الخطوة، وبعد نهاية الحرب، بقى الضباط الليبيون في مصر، حتى انقلاب سبتمبر 1969، فعادوا بعدها والتحقوا بالجيش الليبي، وكان الشعب ينظر لهم كإبطال مغاوير، رفعوا رأس الجيش الليبي. ولا ادري (يقول الدكتور الفاضلي) أين كان معمر في ذلك الوقت، ولماذا لم يصاحبهم، أو على الأقل لم يقم بعمل بطولي مثلهم. وإذا اعتبر معمر أن المظاهرة التي اشترك فيها في 1965 عملا بطوليا خارقا خطيرا، فماذا عن مثل هذا العمل؟.

وفي ديسمبر 1969، اعتقل النقيب عمر الواحدي، مع المقدم أدم والمقدم موسى، بتهمة الاشتراك في محاولة الانقلاب، وحكمت عليه المحكمة الأولى بالسجن، وحكمت عليه المحكمة الثانية بالإعدام. وبقى في السجن، إلى أن أشيع انه اعدم أو قتل داخل السجن، مع المقدم آدم الحواز، إما بعد أحداث 1984 أو قبيل إفراجات 1988، ولم يُسمع بهذا الخبر، إلا بعد أن تم الإفراج عن باقي المعتقلين، في 1988، ولم يكن الواحدي والحواز ضمن المفرج عنهم. كما لم يتأكد خبر الإعدام حتى يومنا هذا. فالواحدي يعتبر رسميا من الأحياء، ويعتبر النظام مسؤولا عن حياته، وتوضيح مصيره.

[330] - **عمر عبد الله المحيشي** هو ضابط ليبي من أصل شركسي من مدينة مصراتة، كان برتبة رائد، وهو احد الضباط الوحدويين الأحرار، وكان من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية. وقام بمحاولة انقلابية في عام 1975 على نظام معمر القذافي، وكان من أوائل من تصدي وواجه شهوة القذافي للسلطة وانحرافه عن مبادئ الثورة، ووصلت هذه المعارضة في أحد اجتماعات مجلس الثورة إلى أن رفع المحيشي رشاشه علي القذافي، ثم وصل خلاف عمر المحيشي مع القذافي إلى حد لم يستطع فيه من تغيير واقع ليبيا والشعب الليبي شفوياً، فتمت المواجهة الأخيرة بين المحيشي والقذافي من خلال تخطيط الأول لثورة انقلابية تصحيحية في أغسطس 1975، إلا أن المحاولة فشلت.

ويعطي عبد الرحمن شلقم (الحياة 16 يوليو) بعض التفاصيل عن القضية فيقول : كان القذافي يدعم جبهة البوليساريو وكان الحسن الثاني يخطط مع حسين هبري رئيس "تشاد" لتشكيل قوات في تشاد بدعم من المغرب والعراق لمهاجمة نظام القذافي من الجنوب، ثم تمت صفقة عجيبة مع العاهل المغربي دفع بموجبها العقيد للملك 200 مليون دولار (لم تذهب طبعا إلى خزينة الدولة) إضافة إلى حمولة ناقلتي نفط كما سلم للملك مجموعة من ثوار البوليزاريو كانوا في رعايته، و"تبرع" له بمعلومات حساسة عن الجبهة.

وسلمت أجهزة الملك الحسن الثاني عمر المحيشي إلى الليبيين، وعندما هبطت به طائرة مغربية في "سرت" كان يظن أن الطائرة حطّت في المملكة العربية السعودية لأداء العمرة إلى ليبيا، وذُبح كالخروف... ذبحه، سعيد راشد الذي كان مهندس الكترونيات، لكنه كان يعمل مع الأمن، وكان من المكلفين بعمليات القتل وقتل في بداية الأحداث الحالية، وتردد أن المعتصم نجل القذافي كان غاضباً منه فقتلوه مع ابنه وابن أخيه، وهكذا تم التخلص من الرائد عمر المحيشي، الذي لا يُعرف قبره إلى اليوم (شلقم).

أما عبد المنعم الهوني فقد شغل مناصب عدة بينها وزارة الداخلية ووزارة الخارجية ومديرية الاستخبارات الليبية، إلا أنه تحول إلى المعارضة بعد بضع سنوات من تسلم القذافي السلطة احتجاجا على سياسات الثورة، فانتقل إلى القاهرة حيث مارس نشاطات سياسية أخرى ضد النظام (منها تأسيس، أو المشاركة في تأسيس، الهيئة الليبية للخلاص الوطني وهيئة التنسيق) ثم أنهى صراعه مع النظام وعاد إلى طرابلس وتصالح مع القذافي ليصبح ممثل ليبيا الدائم في الجامعة العربية منذ سبتمبر2000، واستقال مؤخرا احتجاجا على عمليات القمع والعنف ضد المتظاهرين، معلنا في تصريح صحافي في القاهرة انضمامه إلى صفوف الثورة، ولم يتميز وجوده بمنزلة خاصة[331].

المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد خطاب (أزوارة) في أبريل 1973 حتى مارس 1977 وهي مرحلة إعلان ما سُمّي بسلطة الشعب، وتشمل تلك المرحلة تقليص صلاحيات مجلس الثورة تمهيدا لإلغائه فيما بعد، لتجسيد القيادة الفردية للعقيد القذافي.

المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد خطاب (أزوارة) في أبريل 1973 حتى مارس 1977 وهي مرحلة إعلان ما سُمّي بسلطة الشعب، وتشمل تلك المرحلة تقليص صلاحيات مجلس الثورة تمهيدا لإلغائه فيما بعد، لتجسيد القيادة الفردية للعقيد القذافي.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي بدأت من "إعلان سلطة الشعب" إلى الغارة الأمريكية في أبريل عام 1986، وهذه المرحلة تميزت بتنامي بطش اللجان الثورية التي سيطرت على كل شيء في ليبيا، وعرفت تلك الفترة تدخلات القذافي العسكرية الفاشلة في أوغندا وتشاد، وتآمره على جيرانه العرب في مصر وتونس والسودان، الأمر الذي دعاه إلى التخلص من كثير من أعوانه مدنيين وعسكريين، بإرسالهم إلى معسكرات وحروب الموت في أوغندا وتشاد، ليلقوا حتفهم هناك بعيدا عنه وعن وطنهم الذي قد يفكرون يوما في إنقاذه.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة ما بعد العام 1986م حتى العام 2003 عام الانبطاح الكبير والنهائي، وفيها تخلص القذافي من بقية أعضاء مجلس القيادة، بإنهاء أدوارهم، وعلى رأسهم الرائد عبد السلام جلود، وليبقي على ثلاثة أعضاء فقط، وهم أبو بكر يونس والخويلدي الحميدي ومصطفى الخروبي، وجردهم من كل صلاحيتهم وامتيازاتهم باستثناء الامتيازات المالية، بمنطق "أطعم الفم تستحي العين"، وليبقي لهم المستوى المتميز الذي يعيشون فيه هم وأقاربهم وذووهم، وأطلق على هؤلاء القيادة التاريخية للثورة، وتضمنت تلك الفترة التخلص من بعض أقارب العقيد والمقربين، وأهم هؤلاء العقيد (حسن أشكال) الذي صفاه القذافي رغم صلته الوثيقة به، لإحساسه أنه يشكل خطرا عليه.

وخلال عقد التسعينيات تم أيضا تصفية عدد من أعمدة نظام القذافي وهم ابراهيم بكار أمين العدل الذي صفي في حادث سيارة وهو قادم من تونس بعد حضوره لمؤتمر وزراء الداخلية العرب، وترددت إشاعات كثيرة لم تكن صادقة (كما يؤكد شلقم) عن مقتل إبراهيم البشاري الذي شغل منصب المسئول الأول عن الأمن

---

331 - عن الهوني يقول شلقم : عبد المنعم الهوني من طرابلس رجل حضري والفرق بينه وبين القذافي مثلاً أن الهوني كان يذهب إلى مصر وهو ضابط قبل الثورة ويلتقي في طرابلس بالمثقفين، وكان الرجل الثاني في الثورة مثل عبد السلام جلود. وكان يقول عندما يؤجلون موعد القيام بالثورة: لماذا تخافون من الثورة، أنا استولي على النظام.
واتخذ الهوني موقفاً مبكراً وقال لي... أحسست أن معمر تغير من بداية السبعينات ويريد أن يستولي على السلطة (..) والهوني إنسان وطني لا غبار عليه، مخلص متحضر وهو زاهد لا يريد منصباً إطلاقاً. يريد فقط ليبيا حرة.

الخارجي في الثمانينيات وأصبح أمينا للخارجية ثم رئيس قلم القائد، وخلال تلك المرحلة، والتي ناهزت الثلاثة عقود، وأشرف مع الشخصية الأخرى (عبد السلام المزادمة) على تصفية العديد من الليبيين المعارضين في الخارج، وعلى خطف وزير الخارجية الليبي الأسبق المعارض منصور الكيخيا، واضطلع الاثنان، وبتعليمات من العقيد، الذي كان يرفع شعار العداء لكل تطبيع مع العدو الصهيوني، بترتيب رحلة الحجاج الليبيين إلى القدس المحتلة، وعلى ظهور الجمال كما زعموا، حيث تم هناك الاجتماع بالعديد من زعماء إسرائيل عبر اليهود الذين كانوا مقيمين في ليبيا، وعندما انفضح الأمر جرى التخلص منهما بحوادث مدبرة[332]، وتم التخلص في حادث سيارة مدبر من العقيد أمبارك عتيق، مسئول الارتباط للقيادة بالقبائل وزعمائها في المنطقة الشرقية.

ولا بد من وقفة سريعة عند منصور الكخيا، الذي يقول عنه عبد المنعم الهوني :

كان سياسيا قوميا ومثقفا ليبراليا ومناضلا شجاعا، وكان يتردد على مصر من دون حراسة ومن دون أن ينتبه إلى عمق العلاقة بين الأجهزة الاستخباراتية للبلدين ، فقد كان رجلاً مسالماً وطيباً إلى حدود السذاجة ولم يكن يملك الحس الأمني، وكان يردد: لماذا يقتلني العقيد؟ أنا لم أحمل ولن أحمل سلاحاً ضده، بصري ضعيف وصرت في السبعين.

والذي حدث هو أن منصور الكيخيا، رحمه الله، أجرى حسابات خاطئة.

كنا، امحمد المقريف والكيخيا وأنا، معاً في الجزائر كوفد من المعارضة، التقينا المسؤولين الجزائريين وطلبنا دعماً سياسياً وأدبياً، واعتقد أن ذلك كان في 1992، وبعض الإخوة في المعارضة لم يقدّروا خطورة الظروف ونشروا لنا صوراً ونحن في الجزائر، واعتبر المسؤولون في طرابلس الأمر خيانة كبرى، وبدءوا التركيز على منصور، وأرسلوا أصدقاء له طلبوا عبرهم اللقاء به في أي مكان.

اتصل بنا الرئيس الجزائري السابق احمد بن بله وألح على الالتقاء بنا فالتقيناه، منصور وأنا، في فندق "إمباسادور" في جنيف، فجاءنا برسالة من القذافي تطلب منا العودة إلى ليبيا مع استعداد لإعطائنا وظائف سياسية إذا كنا نطلب ذلك، والتقى بن بله أيضاً في لقاء أخر عز الدين الغدامسي ومحمود المغربي، أنا ومنصور قلنا إننا لا نريد وظائف، بل نريد تغييراً في البلد، فنقل بن بلة نتيجة اللقاء إلى القذافي وبدأ الأخير بخطة لتصفية منصور، فأرسل له إلى جنيف أحمد قذاف الدم، الذي عرف أن منصور سيغادر في اليوم التالي إلى مصر، فأبلغه أنه سيرسل إليه في القاهرة مسؤولاً رفيعاً للقائه والاستجابة إلى طلباته

وعندما ذهب إلى القاهرة تلقى اتصالاً قال فيه المتصل: نريد التحاور معك في بيت السفير الليبي في مصر إبراهيم البشاري[333]، ويقول "شلقم: عمر سليمان مدير الاستخبارات المصرية كان يعتبر مندوب ليبيا في مصر، وكان يتولى شخصياً العلاقة بين البلدين، (وله علاقات حميمة بالمخابرات السعودية) ودفع منصور الكخيا ثمن هذا التعاون (..) اتصلوا بمنصور وتمت دعوته إلى منزل إبراهيم البشاري على النيل قرب منزل أنور السادات، وقُبض عليه هناك، وتولّى الأمن المصري نقله إلى "طبرق" حيث تسلمه عبد الله السنوسي عديل القذافي، ونقل إلى سجن أبو سليم الذي شهد مجزرة في 1996 قتل فيها 1286 شخصاً، وهناك من قال أن الكيخيا قتل في المذبحة التي شهدها السجن، في حين قال أخرون انه مات بفعل المرض ونتيجة معاناته من السكري والقلب والضغط.

ويقول شلقم بأن الأمن المصري سلم للقذافي معارضا ليبيا آخر اسمه جاب الله مطر، وكان القذافي، كما يؤكد شلقم، يدفع مبلغا من المال مقابل كل معارض يسلم له (وبالطبع، لم يكن المال يودع في خزينة الدولة وإنما يذهب مباشرة إلى جيوب البعض) انتهى.

ويؤكد تلك الرواية ممثل المؤتمر الوطني للمعارضة الليبية في القاهرة محمد فايز جبريل، الذي : دعا كلا من رئيس المخابرات العامة المصرية السابق عمر سليمان ورئيس المخابرات الليبي السابق موسى كوسا وأسامة الباز (مستشار الرئيس مبارك) واللواء عبد السلام المحجوب (مسؤول ملف ليبيا في المخابرات المصرية) إلى الكشف عن أسرار عمليات اختفاء المعارضين الليبيين في عهد الرئيس المصري المخلوع، وقال

---

[332] - الحياة يوم 23 فبراير 2011.

[333] - تولى البشاري لاحقاً إدارة الاستخبارات وقتلوه في حادث سيارة مُدبّر (ينفي شلقم ذلك التدبير في حوار الحياة) واتهموه بأنه سرّب إلى الفرنسيين معلومات عن تفجير ليبيا طائرة الـ"يوتا"، والذي دُبّر لأن الأجهزة الليبية تلقت معلومات عن وجود شخصية ليبية معارضة على الطائرة وهي الدكتور محمد المقريف (ويؤكد شلقم هذه المعلومة) وشاءت الصدفة أن المقريف غير موعد سفره (الهوني).

للشروق أن : سليمان وكوسا (الموجود حاليا في قطر) والباز والمحجوب، على علم بكل تفاصيل عمليات خطف وتسليم المعارضين الليبيين لمعمر القذافي[334].

وقال جبريل أن منسق العلاقات الليبية والمصرية أحمد قذاف الدم، الموجود حاليا في القاهرة يقف خلف اختفاء زعيم المعارضة الليبية، ووزير الخارجية السابق، منصور الكيخيا في مصر عام 1993.

ويقول المعارض الليبي أنه في العاشر من مارس 1993 الذي اختفى فيه الكيخيا: كانت تربطني به علاقة قرابة وصداقة، فهو أستاذي ومعلمي، وقبل اختفائه بساعات حضرنا أمسية في أحد فنادق القاهرة، ثم تناولنا العشاء بمنزل ابن شقيقته (زوج أختي)، ثم عاد إلى الفندق حيث يقيم، وفي صباح اليوم التالي تلقيت اتصالا هاتفيا من شقيقه مصطفى الذي وصل لتوه من ليبيا إلى القاهرة، ليبلغني أن منصور اختفى.

وختم بقوله: تلقيت رسالة بخط يد المقريف بعد اختفائه مازلت أحتفظ بها، روى فيها تفاصيل اختطافه وتسليمه للقذافي وذكر أسماء المسئولين عن عمليات الاختطاف، واستنجد بنا لنمنع إعدام المعارضين، ولكننا لم نستطع نجدتهم رغم أننا أبلغنا المخابرات المصرية بمضمون الرسالة، وبعدها وقعت مذبحة سجن بو سليم، فتأكدنا أن جميع المعارضين الذين سلمتهم مصر للقذافي تمت تصفيتهم.انتهى

ولا بد للأمانة من أن أنكر هنا بأن معظم هذه المعلومات مستقاة من الشبكة العنكبوتية ومن تصريحات العديد من المعارضين، ولا دليل عندي عليها إلا أقوال من رددوها، والتحقيق فيها هو مهمة كل عربي شريف يؤمن بأن لدم الإنسان وحياته قدسية، وكلها، إن صحت، تعطي فكرة عن سبب التعلق الشديد لمساعدي القذافي المباشرين بنظام حكمه، إذ أن سقوطه سيؤدي بهم لا محالة إلى محكمة الجنايات الدولية، إذا لم يلق كل منهم، حيثما كان، مصير أديب الشيشكلي[335]، ولا أقول ...تروتسكي[336].

ويقول شلقم عن اغتيالات القذافي : العقيد يأمر بقتل من يتآمر عليه ويحاول أن يسقطه ولو كان من اقرب الناس إليه كما حصل مع العقيد "حسن اشكال"، وهو ابن عمه وكان من فريق القتلة، لكن قيل انه كانت له اتصالات مع الأمن الفرنسي وأن هذه الاتصالات قد ضبط.فطلب القذافي من أحد أقاربه أن يقتل اشكال، وهذا ما حصل، واستخدمت مجموعة فلسطينية في اغتيال صاحب مجلة "الحوادث" سليم اللوزي بعدما وضع غلافاً في المجلة بعنوان "العقدة والعقيد"، وطلب من المنفذين غمس يد اللوزي بالأسيد (الحامض) قبل قتله ليكون عبرة لمن يهاجم القذافي (وكان الشائع أن اللوزي قتل بامر من الرئيس حافظ الأسد)

القذافي لا يتهاون أبدا مع من يقترب من الكرسي، و"الوزر" الثاني الذي يُرشح للقتل هو التطاول على شخصه (..) وإذا ارتكب ليبي شيئاً من هذا النوع، فإن القذافي مستعد لدفع ثروة من اجل تصفيته، والثالث في اللائحة هو من يتطاول على عائلته... "الأوزار" الثلاثة لا يمحوها إلا الدم، وحين يسقط النظام سنعرف بالتأكيد مصير مئات من الليبيين يحيط الغموض بظروف اختفائهم أو مقتلهم، وهناك اغتيالات حصلت في الخارج ولم يسلط عليها الضوء.

هناك مرحلة تمتد من 1975 إلى بداية التسعينات كان معمر القذافي فيها عنيفاً جداً في تعامله مع الداخل والخارج، وألقى في مطلع الثمانينات خطبة أطلق فيها عملية **تصفية** من سمّوا بـ**"الكلاب الضالة"**، وقال في الخطاب: سنقتلهم وسنسبي نساءهم ونيتّم أطفالهم ونرمّل زوجاتهم...ألقى الخطاب أمام مئات الآلاف وكان مرعباً (..) وتمت تصفية معارضين في الخارج مثل المحامي محمود نافع ومحمد أبو زيد ومحمد مصطفى رمضان في لندن وعز الدين الحضيري في ايطاليا وقتل أشخاص في ألمانيا وقتل كثيرون في الداخل، بينهم

---

[334] - الشروق المصرية 21 يوليو 2011.

[335] - **اديب الشيشكلي** زعيم سوري ترأس البلاد بعد أن انقلب على سامي الحناوي الذي قاد الانقلاب على حسني الزعيم، وأعدمه، ثم فرّ بعد تنحيته في 1954 إلى أمريكا اللاتينية وهناك لحق به أحد أقرباء من قام بإعدامهم وأنهى حياته. وكان من أهم القوانين التي أصدرها الشيشكلي في سوريا قانون تحريم الدعارة.

[336] - أهم القادة الشيوعيين (1879 -1840) واسمه الأصلي **ليف دافيدوفيتش برونشتاين**، و سمى نفسه ب"تروتسكي" أثناء هروبه من بطش القيصر، وكان اسم تروتسكي هو اسم حارس السجن الذي أودع فيه في سيبريا، وهو ثوري بلشفي ومثقف ماركسي وسياسي مؤثر في بدايات الاتحاد السوفييتي، وكان كوميسار(مفوض) شعبي للعلاقات الخارجية وبعدها كان هو مؤسس وقائد الجيش الأحمر والكوميسار الشعبي لقيادة الحزب. وكان أيضا مؤسس وعضو في المكتب السياسي السوفيتي. وبعد صراع على السلطة مع جوزيف ستالين في عشريات القرن العشرين، تم طرده من الحزب الشيوعي وإبعاده عن الإتحاد السوفييتي؛ وتم اغتياله لاحقا على يد العميل السوفييتي "رامون ميركادير" في المكسيك، وتم دفنه هناك. وكتب ليون عدة كتب أهمها تاريخ الثورة الروسية والثورة الدائمة- نتائج وتوقعات والثورة المغدورة، و كانت أفكار تروتسكي نواة للنظرية الشيوعية المعروفة باسم التروتسكية.

عامر الدغيص قائد حزب البعث في ليبيا (..) ومن يتخذ قرار قتل معارض هو معمر القذافي شخصياً، حتى إذا فكر أي مسؤول في قتل أحد، فلا بد من أخذ موافقة من معمر القذافي[337]. انتهى.

ولم يقتصر الدور الدموي على الداخل الليبي بل تعداه إلى الخارج.

ويتناول الكسندر نجار في كتابه "تشريح طاغية"، وطبقا لدراسة "مايا الحاج" في "الحياة" (أول يوليو) دور العقيد في الحرب الأهلية في لبنان ويقول بأنه دور لا يُستهان به، حيث ساهم في تأجيج نار الفتنة الداخلية، ويعتبر الكاتب أنه، وإن لم يكن المسؤول عن اشتعال الحرب، إلا أنه كان من دون شك أحد المسؤولين عن إطالتها من خلال توزيعه الأسلحة والعتاد والذخائر للأحزاب المتصارعة فيما بينها، ويؤكّد أنه، خلال عام واحد من 1975 إلى 1976، صرف الديكتاتور الليبي 700 مليون دولار للفصائل اللبنانية المقرّبة من الفلسطينيين، كما أنّه يُدعّم أراءه بتصريحات عدد من الزعماء والإعلاميين اللبنانيين ومن بينهم زعيم الحزب الاشتراكي وليد جنبلاط الذي لم ينفِ تلقيه الأسلحة والإعانات من قائد الثورة خلال حوار تلفزيوني على شاشة (BBC) في فبراير 2011، وهو ما أكده سمير عطا الله في الشرق الأوسط (1 يوليو).

ويقول شلقم عن علاقات القذافي مع لبنان (الحياة 20 يوليو) معمر يعيش على قناعات "السلفية" القومية ويخضعها لمصلحته، لكن الحقيقة أنه شخص غريب، لا يؤمن بالقومية العربية ولا يؤمن بالوحدة العربية، لا يؤمن إلا بمعمر القذافي، كل شيء يخضع لشخصه ويخدم شخصه، قضيته الوحيدة هي معمر القذافي بسلطته وصورته، وكان يعتبر لبنان مصنعاً للزعامة العربية ويراه بلداً مفتوحاً يمكن أن تستأجر فيه أحزاباً وجمعيات وكتاباً وصحافيين وشعراء، أي أنك تعثر على من يهتف باسمك ومن يلمع صورك ومن يتحدث عن إبداعاتك، واعتبر أن شيئاً من زعامة عبد الناصر صنع في بيروت وأن ثورة 1958 هناك (ضد كميل شمعون) كانت الحدث الثاني لعبد الناصر بعد معركة السويس قبل ذلك بعامين، ثم أن بيروت كانت تستضيف الثورة الفلسطينية بعد إخراجها من الأردن، وكان العقيد يعتبر أن الدكاكين السياسية في لبنان هي التي ستصنع **الكيمياء** التي ستنتج منها زعامته، ويعتبر أن الولاء في لبنان يباع على الرصيف، بل وتستطيع حتى شراء فنانين، وأيضا هناك العلاقة العنكبوتية المركبة بين معمر وسورية، وهناك تماس مع إسرائيل والمادة الإسرائيلية ضرورية لصنع الزعامة عبر الحديث عن المقاومة والتحرير والقومية... كل هذه الخيوط موجودة على أرض لبنان، وقد أحب معمر لبنان المحتوي على هذه الخيوط وأنفق فيه بشكل فظيع، كان يجلس جلسات طويلة مع وليد جنبلاط ومحسن إبراهيم وجورج حاوي وعاصم قانصوه، ولكن لمعمر مشكلة مع اللبنانيين، فهو القائد والزعيم والمفكر لكن اللبنانيين "كلمنجيون" ويحبون النقاشات والأخذ والرد وهو ما لا يستسيغه، وقد فعل القذافي أشياء مشابهة في دول أفريقية حيث كان يأتي بشخص ويغدق عليه الأموال ثم يطلب منه تنفيذ انقلاب وإذا نجح يلجأ بعد فترة إلى دعم شخص ضده. فعل ذلك في النيجر وتشاد وغيرها.

ثم طوى الصفحة لاحقاً مع لبنان ولم يعد يتحمس لشيء. انتهى

في نفس السياق، نشرت جريدة السفير اللبنانية الصادرة في 23 فبراير 2011 خبراً قالت فيه أن عبد المنعم الهوني عضو مجلس قيادة الثورة الليبية السابق كشف في مقابلة مع صحيفة "الحياة" أن الإمام موسى الصدر قُتل خلال زيارته الشهيرة لليبيا العام 1978 ودفن فيها.

وقال الهوني، بحسب مقتطفات من المقابلة، أن الإمام موسى الصدر دفن في منطقة" سبها" في جنوب البلاد (فزان) وأضاف أن المقدم الطيار نجم الدين اليازجي، وهو قريبه، كان يتولى قيادة طائرة القذافي الخاصة، وكلف بنقل جثة الإمام الصدر لدفنها، وبعد فترة وجيزة من تنفيذه المهمة، تعرض اليازجي بدوره للتصفية على أيدي الأجهزة الليبية، لمنع تسرب قصة مقتل الصدر[338].

---

[337] - يقول الدكتور فتحي الفاضلي : هل من المصادفة، على سبيل المثال، أن يموت خيرة جنود وضباط وضباط صف، الجيش الليبي، وهم أيضا من أذكى وأكفأ جنود وضباط الوطن العربي؟. هل من المصادفة أن يموت أغلبهم، ميتة غير طبيعية، أما بسبب انفجارات، هنا وهناك، أو عبر جرائم قتل، أو انقلابات، أو حروب عبثية، أو يموتون قتلا، أو طعنا بالسكاكين، أو في ظروف غامضة، أو في حوادث غامضة، أو إعداما في غياهب السجون؟. ومن لم يمت منهم تحت التعذيب، في معتقلات معمر، قضى في تلك المعتقلات، من السنين، ما يكفي ليخرج منها الإنسان، شبه إنسان.

[338] - الإمام **موسى الصدر** : ولد في مدينة قم بإيران عام 1928. وتخرج من جامعة طهران، كلية الحقوق والاقتصاد والسياسة وليس العلوم الشرعية وتربطه بالخميني صلة نسب، وتوجه الصدر إلى لبنان سنة 1958 بقرار من فؤاد شهاب الذي تولى رئاسة الجمهورية في لبنان بين عامي 1958 ـ 1964، وفي نهاية الستينات اختير رئيساً للمجلس الشيعي الأعلى الذي شكلته الحكومة وقتها استجابة لطلبات الشيعة، حيث أصبح صوتها عالياً ومؤثراً في مسرى الحياة السياسية اللبنانية بفضل الصدر وبموافقة الموارنة. وبتشكيل المجلس الشيعي الأعلى انفصل الشيعة عن السنة في

ويبدو مما تسرب حتى الآن أن الإمام الصدر أدرك بأن إنهاء الحرب الأهلية في لبنان يتطلب قرارا عربيا مشتركا فتنقل بين مختلف العواصم العربية مما أثمر عن عقد قمتي الرياض والقاهرة سنة 1976 وفيهما تقرر إنهاء الحرب اللبنانية عن طريق قوات الردع العربية.

وسعيا منه لإنقاذ جنوب لبنان، حيث تمركزت القوات الإسرائيلية، زار الصدر عددا من البلدان كسورية والأردن والسعودية والجزائر، قبل أن ينتقل إلى ليبيا بهدف لقاء العقيد القذافي، المنتشي انذاك بتحويل ليبيا من النظام الجمهوري إلى الجماهيرية، وصاحب النفوذ القوي على كثير من أطراف الحرب الأهلية بلبنان، وخصوصا السنة، وهو بالتالي رقم أساسي في المعادلة اللبنانية، وكان عبد السلام جلود، أحد أهم أركان النظام الليبي انذاك، قد قام بزيارة للبنان قبل ذلك بسنتين حيث قضى خمسا وأربعين يوما اجتمع خلالها بمختلف الفرقاء اللبنانيين دونا عن الإمام الصدر، قبل أن يصبح هذا الأخير هدفا للحملات الإعلامية انطلاقا من الصحف اللبنانية الموالية لليبيا[339].

ووصل الإمام إلى ليبيا في الخامس والعشرين من شهر أغسطس 1978 وانتهى به المطاف في الواحد والثلاثين من نفس الشهر مختفيا إلى اليوم، ويقول البعض أن الزيارة صاحبها الكثير من علامات تثير الشكوك، لعل أهمها كان التعتيم الإعلامي الرسمي لوسائل الإعلام الليبية على الزيارة، ولدرجة أن مسؤولي السفارة اللبنانية في طرابلس لم يعلموا بوجود الإمام إلا صدفة، كما أن الاتصالات الدولية قطعت عن الإمام طوال مقامه بليبيا وهو الذي كان معتادا، حسبهم، على الاتصال الدائم بعائلته وبالمجلس الأعلى الشيعي للتواصل حول مستجدات الأمور، وهذه المعطيات تثير الشكوك حول نوايا القذافي تجاه ضيفه ومدى وجود نوع من الترصد له منذ وصوله إلى مقامه الليبي، خصوصا وأن ما حدث بعد الاختفاء كرّس لدى حركة أمل والشيعة عموما اليقين بأن موسى الصدر انتهى به المطاف أسيرا أو قتيلا لدى العقيد.

فبعد أن رفض العقيد تلقي أي اتصالات هاتفية من الرئيس اللبناني إثر الاختفاء مباشرة، تم إعداد سيناريو لتأكيد مغادرة الضيوف الثلاثة لليبيا إلى ايطاليا من خلال إرسال شخصين إلى فندق بالعاصمة الايطالية بجوازي سفر الإمام الصدر ورفيقه محمد يعقوب، ودخل الاثنان الفندق لدقائق قبل أن يغادرا إلى غير رجعة، تاركين عباءة الإمام وحقائبهما وجوازي السفر.

لكن الإخراج لم يكن بالدقة المطلوبة، حيث تضمنت وثيقتا كراء غرفتي الفندق توقيع موسى الصدر **باللاتينية** في حين أن توقيعه معروف ومُميز **باللغة العربية**، كما أن جوازي السفر تضمنا تأشيرتي دخول إلى ايطاليا وفرنسا صادرتين عن سفارتي البلدين بطرابلس في الواحد والثلاثين من أغسطس 1978 في حين أن الجوازين يحملان أصلا تأشيرتين صالحتين لدخول البلدين، فلماذا الحاجة إلى اثنتين جديدتين؟

ولتكتمل الحكاية صدر اتهام ليبي رسمي لأجهزة مخابرات مختلفة إيرانية وأمريكية وإسرائيلية (كان الصدر ينشط أيضا على واجهة الثورة الإيرانية في مواجهة الشاه) وكذلك الكتائب الحُمْر والمنظمات الألمانية المتطرفة بالوقوف وراء اختفاء الصدر، وهو الاتهام الذي جاء في رسالة مجهولة بُعث بها إلى الصحف الايطالية، تدعي أن منظمة لبنانية علمانية اختطفت الصدر ورفيقه وذلك بفضل مساعدة الصحافي عباس بدر الدين المنتمي لنفس التنظيم، وكان ثالثهما في الرحلة الأولى إلى ليبيا.

أما عن ظروف القتل فيقال أن القذافي كان منحازا إلى السنة في الحرب الأهلية اللبنانية، وتوجه الإمام الصدر لزيارته في ليبيا لتليين موقفه من الشيعة، ويقال أن ذلك كان بنصيحة من الرئيس الجزائري الذي كان يعمل لإيقاف الحرب الأهلية في لبنان بمحاولة وضع قواسم مشتركة للحوار بين المتخاصمين.

لبنان وصاروا طائفة مستقلة كالموارنة. وقام الصدر بعد ذلك بإنشاء المدارس والنوادي وجعلها مركزاً لنشاطه السياسي، وهو مؤسس حركة أمل اللبنانية الشيعية، وهي حركة شيعية لبنانية مسلحة، أسسها الإمام سنة 1975 لتكون الجناح العسكري لحركة المحرومين (الشيعة) وللدفاع عن مصالح الشيعة، كمذهب متميز عن السنة، في الصراع الطائفي اللبناني. فبعد حرب رمضان عام 1973 عبأ موسى الصدر شيعة جنوب لبنان لحماية الشيعة في مواجهة اليهود في فلسطين المحتلة. وفي عام 1974 أسس حركة المحرومين.. للدفاع عن مصالح الشيعة في لبنان، وألحق بها ميليشيا مسلحة عام 1975 أطلق عليها اسم (أفواج المقاومة اللبنانية) وحملت هذه الميليشيات اختصاراً اسم (أمل) وهي كلمة تضم الحروف الأولى من اسم الميليشيا، وتدربت حركة أمل على السلاح في معسكرات منظمة فتح الفلسطينية، وبقيت تحت قيادة الصدر إلى أن اختفي الإمام، فاستلم قيادتها نبيه بري القائد الحالي للمنظمة.

339 - اشتعلت الحرب الأهلية في لبنان في عام 1975، وكنت أشرت إلى توافقها مع أحداث أخرى عرفتها المنطقة في نفس العام، وواضح من اغتيال الإمام الصدر وهو يحاول إطفاء نارها أن الذين أشعلوا تلك النار كانوا لا يزالون في حاجة للهيبها، والذي استمر نحو 17 سنة، عرف فيها الوطن العربي انزلاقات كثيرة أهمها اتفاقية كامب دافيد بكل تداعياتها.

وفي ليبيا استقبل العقيد الإمام ومساعده، ويتصور البعض أنه دار نقاش تزايدت حدته إلى مستوى مقلق، ودخل أحد الحراس الليبيين على صوت الشجار وتصور أن الشيخ يتهجم على العقيد فأطلق عليه النار وأرداه قتيلا مع صاحبه، ويزعم البعض أن أمر القتل أعطاه العقيد شخصيا بينما يدعي آخرون أنه هو الذي أطلق الرصاص بنفسه، والحقيقة الكاملة يعلمها المولى عز وجل، ومن قام بتصفية الإمام.

وعن هذا يقول المستشار محمد بشير الخضار أن كل عمليات الاغتيال التي عرفتها ليبيا كانت بتعليمات من العقيد شخصيا، وحتى الدجاجة عندما تذبح يكون معمر القذافي على علم بالأمر[340].

وفي اليوم الذي قتل فيه الصدر كان الشيخ يلتقي بالعقيد، وكانت المقابلة ساخنة جدا، وقال الصدر للقذافي: أنت كافر، وكاد العقيد يضربه (وكان الإمام متين البنيان) واستمر النقاش والحوار بينهما مدة خمسة ساعات، حدث بينهما صدام، وانتهى بانتهاء حياة الرجل الذي كان ضيف ليبيا، ودفن في سرت ونقل منها إلى سبها ثم إلى أماكن أخرى (..) أمس (سبتمبر 2011) وجدوا جثة لواحد من مرافقي الصدر ولا نعلم من هو، وجدوه بملابسه في ثلاجة عُثر عليها في ميناء طرابلس، وأنا أرجح أنه الصحافي بدر الدين يعقوب، ووجدت بها أيضا رفات أشخاص آخرين. (واحتمال أن تكون الرفات للإمام الصدر ورفيقه هو احتمال قائم)

وغضب الرئيس بو مدين غضبا شديدا لاختفاء الصدر وحاول أن يعرف تفاصيل الاختفاء من معمر القذافي لكن هذا تهرب من إعطاء إجابات شافية، ويعتقد عبد الرحمن شلقم أن هذا ضاعف من حجم التوتر بين العقيد القذافي والرئيس بو مدين، الذي فارق الحياة بشكل غامض قبل نهاية العام[341].

ويروي عبد الرحمن شلقم في حواره مع صحيفة الحياة بعض التفاصيل فيقول : بعد الانتفاضة الليبية استمعت (وغريب أن يقول مسؤول في وزن شلقم أنه ...استمع) إلى رواية أخرى تقول أن الإمام الصدر قتل في ليبيا لأنه اصطدم بالقذافي خلال استقبال الأخير له وقال له: أنت لا تفهم في الإسلام، وقتل على يد احد الضباط المقربين من القذافي، وثمة من قال أن الضابط لاحظ انزعاج القذافي من ضيفه فلجأ إلى تصفية الضيف لأنه تجرأ على القائد، وقيل يومها أن الصدر سافر إلى ايطاليا لكن ذلك لم يثبت، وتم لاحقاً تداول اسم الليبي الذي لعب هذا الدور وملامحه ليست قريبة جداً من ملامح الصدر. انتهى.

ويقول الخضار أن الجميع يعرف هذا الشخص، الذي كان نائب مدير الأمن الداخلي، وتولى ترك ملابس الإمام في الفندق الإيطالي.

وتناول المعلقون المعنيون مجمل هذه الوقائع ليكذبوا الرواية الليبية الرسمية جملة وتفصيلا، بناء على قرائن مستقاة من التحقيقات الرسمية الايطالية واللبنانية، ومن شهادات بدأت تتكشف بعد انشقاقات بعض من رموز النظام الليبي الذين كانوا شهودا على تلك المرحلة وما ميزها من دسائس، وأيضا اعتمادا على تسريبات زعماء عرب وأجانب في لقاءات مختلفة غير رسمية في أغلبها، لأن القذافي ظل دوما مخيفا بشكل غريب لكثير من الزعماء شرقا وغربا.

والخلاصة النهائية، وبعد صدور القرار الاتهامي الذي أصدره قاضي تمييز لبناني في الثاني عشر من أغسطس 2008، أن القذافي أصبح، وسبعة عشر من المسؤولين اللبنانيين، فارين من وجه العدالة اللبنانية، بتهم التحريض والاشتراك في خطف الإمام ورفيقيه، في انتظار رفع السقف إلى محكمة الجنايات الدولية وما قد يستتبع ذلك من قرارات ربما لن تمهل ثورة السابع عشر من فبراير الساعين إليها وقتا لتطبيقها.

ويجد جديد في 10 أكتوبر 2011، إذ يتقدم للشهادة الملازم السابق في قسم جوازات السفر الليبي السيد "عبد الرحمن غويلد" الذي يقول في برنامج "لقاء اليوم " على شبكة الجزيرة بأنه تعرض لضغوط هائلة من العقيد عمر قويدر، مديره المباشر، والعقيد يونس بلقاسم مدير المخابرات آنذاك، ليشهد في التلفزة الليبية بأنه قام في يوم 31 أغسطس 1978 بختم جواز الإمام موسى الصدر، الذي غادر ليبيا في ذلك اليوم، ويقول غويلد أنه اضطر للإدلاء بذلك القول بدون أن يعترف بأنه رأى الإمام شخصيا، وفسر ذلك لمحاوريه بأن الشخصيات الكبيرة لا تمر بقاعة المسافرين العادية.

---

[340] - صحيفة الشرق الأوسط – لندن – 16 سبتمبر. والدكتور الخضار كان آخر مدعي عام عسكري في نظام العقيد القذافي، الذي تناول في نفس الحوار مأساة سجن أبو سليم ودور المحامي عبد الحفيظ غوقة في إبراز المأساة، التي قتل فيها بدم بارد وخلال يومي 27 و 28 فبراير 1267 شهيدا.

341 - عبد الرحمن شلقم في حديث لقناة العربية يوم 14 أكتوبر 2011.

وقيل يومها للملازم الشاب أن الإمام كان يريد أن يجلس إلى يمين العقيد في احتفالات سبتمبر ليثبت لمن يشاهدون الصور مدى علاقته بالزعيم الليبي، ولما رفض الأمر غضب وتوجه إلى المطار ليغادر ليبيا، وأن السلطات الإيطالية التي تم الاتصال بها لتأكيد سفر الإمام إلى روما طلبت شهادة ضابط الجوازت، وقدم الأمر له على أنها قضية روتينية.

وأشار غويلد إلى اسم عريف اسمه أحمد الترهوني كان متواطئا في العملية، وتلقى فيما بعد، باعترافه، مكافأة مالية، كما قال بأن الشخص الذي لبس ملابس الإمام، وسبقت الإشارة إلى الأمر، كان السيد محمد الربحي.

ومن المؤكد أن المستقبل سيشهد اعترافات أخرى تؤكد أن سفر الإمام كان تمثيلية مدبرة.

(9)

إذا نجحت مبادرة السادات بزيارة القدس المحتلة في تحقيق المطالب العربية، فسوف أذهب إلى القاهرة، حتى بدون إخطار مُسبق، ومن هناك أعلن أنني كنت على خطأ، وإذا فشلت المُبادرة، وكان هناك رجوع عنها، فإنني لن أتردد في الذهاب إلى القاهرة لأضع إمكانياتي وإمكانيات الجزائر في خدمة المرحلة القادمة من العمل العربي المُوحّد".

الرئيس هواري بو مدين

*

قام الرئيس السادات في 26 أكتوبر، واستعدادا لزيارة إسرائيل، بتعيين د. بطرس بطرس غالي وزيرا للدولة (وليس وزيرا) للشؤون الخارجية[342]، ويعلق وزير الخارجية المصري الأسبق إسماعيل فهمي في مذكراته على بعض ما رواه السادات في كتابه عن فكرة زيارته لإسرائيل، مُفندا ما قاله الرئيس في محاولة لتغليف "مبادرته" بهالة من الغموض، من أن "فكرة الزيارة جاءته وهو يطير فوق تركيا ويعبر الجبال إلى إيران وأراد إحداث موجات صدمة" (Shock waves) فيقول بأن السادات كان سأله: أريد أن أعرف رأيك في رحلة خاصة إلى القدس، وإلقاء خطبة في الكنيست ؟ فأجابه : "هل عندك أي معلومات لا أعرفها تبرر هذه الرحلة؟ وأمام نفي الرئيس يواصل فهمي قائلا: أنت تلعب بكل أوراقك في القدس بدون أن تجني شيئا، كما أنك ستفقد مساندة البلدان العربية (..) وستجبر على التنازلات (..) عليك الا (..) تعطيهم فرصة لعزل مصر عن العالم العربي (ص 310) وإذا ما حدث هذا فإن إسرائيل لا شك ستملي عليك شروطها".

ويقول فهمي أنه عندما أبلغ مدير مكتبه، أسامة الباز، بحواره مع الرئيس : "انفجر أسامة قائلا : هذا جنون، هذا الرجل غير متزن، لا بد من منعه حتى ولو استعملنا القوة".

ويطلق السادات جملته المشهورة في لقائه بمجلس الشعب المصري يوم الأربعاء 9 نوفمبر 1977 من أن: "إسرائيل ستندهش عندما أقول أنني مستعدٌ للذهاب إلى بيتهم، إلى الكنيست ذاته، ومناقشتهم"، ويقول الأمين

---

[342] - في النظام المستوحى من التنظيم البريطاني تسمية وزير الدولة هي درجة أقل من درجة الوزير بعكس النظام المستمد من التنظيم الفرنسي، في حين أن النظام الأمريكي يعتمد تسمية كاتب الدولة وهو وزير كامل الصلاحيات.

العام للجامعة العربية محمود رياض الذي حضر اللقاء، بأنه لم يدُر في خلده أن الرئيس يعني ما يقوله، واعتبر ما قاله مبالغة كلامية، وهو نفس ما قيل لياسر عرفات، الذي أصرت السلطات المصرية على أن يحضر الاجتماع، وكان بعد الخطاب في حالة عصبية شديدة ويقول بأن: "الرجل ألبسني العمامة (كلّحني) وأنا جالس أمامه"، لكن بطرس غالي يقول بأنه، وعرفات، لم يفهما تداعيات ما قاله الرئيس (زيارة القدس ص 20) ويلتقط بيغين الكرة ولكنه يعلن شروطه مسبقا ويقول: "إسرائيل لن تنسحب إلى ما وراء خطوط 1967، ولن تقبل بقيام دولة فلسطينية".

والواقع أن إسرائيل رحبث بالزيارة لأنها، في حد ذاتها، اعتراف بها وتطبيع للعلاقات معها وفرصة للانفراد بمصر، وسوف يمكنها من ذلك ما بدأ يتردد في بعض الأوساط المصرية، وهو نفس ما كان يقوله الشاه، عن تضحيات مصر الهائلة ولا مبالاة العرب الآخرين بها.

ويتوجه السادات إلى سوريا لإقناع الأسد بفكرة الزيارة، ولكن مضيفه يقول بأن : مجرد الذهاب إلى إسرائيل في حد ذاته يعطي معنى الاستسلام، فإذا أضيف إليه أنه يتم بدون تأكيدات أو ضمانات فهو يخشى أن يكون هناك من يضعها موضع الخيانة، وهنا، كما يقول هيكل (ص 364) انفعل السادات وتساءل بحدة : من الذي يستطيع أن يتهمني بالخيانة، هؤلاء الأقزام الذين لم يُحاربوا واكتفوا بإلقاء الخطب ؟(..) إن الناس تعبوا من الحرب، وأنا أيضا تعبت، ويرد الأسد : إن الشعوب لا تتعب من أي تضحيات تعطيها لتحقيق أهدافها ولكن الذي يتعبها هو ضياع هذه الأهداف، ثم راح يتحدث عن المسؤولية القومية وعن كفاح الأمم، ولكن السادات قاطعه قائلا : هذا هو الكلام الذي عطلنا عن مواكبة العصر سنين طويلة.

ثم نفذ صبر الأسد وقال للسادات : إن هذا التصرف استهتار وخفة، ويرد السادات (..) بأنه إذا كان الأسد على استعداد لأن يعطيه الإذن بالتحدث باسم سوريا، كان بها، وإن لم يكن..فيا دار ما دخلك شر، ويرد الأسد بأن الشر ملأ الدار كلها.

وفي حدود ما أعرفه فإنه لم يحدث أي جس للنبض مع كل من ليبيا وتونس والجزائر، أما المغرب فقد كان في الصورة منذ اليوم الأول، إذ أن أهم الترتيبات تم القيام بها في القصر الملكي.

وتحدث اتصالات سريعة بين سوريا وليبيا والجزائر لمواجهة الزيارة المصرية للقدس المحتلة، وتلتقي خمس دول عربية في العاصمة الليبية طرابلس في الأسبوع الأول من ديسمبر، ويتم تكوين الجبهة القومية للصمود والتصدي، التي ضمت قادة الجزائر وليبيا وسوريا واليمن الجنوبي ومنظمة التحرير الفلسطينية، وحضر طه ياسين رمضان ممثلا عن عراق صدام حسين، وهي الجبهة التي أطلق عليها إعلاميا اسم جبهة الرفض، وهي، في الإعلام المصري، صفة قدحية تشير لمن يرفضون السلام!!!، وأي سلام.

وقررت الجبهة تجميد العلاقات الدبلوماسية مع مصر، ويقول بسام أبو شريف أن : "عرفات كان ملزما بقطع العلاقات حسب قرار القمة لكن الاتصالات غير العلنية مع مصر استمرت، وأعلن السادات في يوليو 1978، دعوته إسرائيل لإجراء مفاوضات حول انسحابها من الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية بعد فترة انتقالية تدوم خمس سنوات، ورد "بيغن" برفض ذلك رفضا قاطعا.

وإذا كنت أسترجع ما قاله أبو شريف فلا بد من التذكير بمقولة بو مدين التي سمعتها منه خلال الاجتماع الأول في طرابلس، حيث قال للمجتمعين: "يجب في كل الإجراءات التي يمكن أن نتخذها أن نتذكر أن هناك شعب مصر الذي يجب أن نحرص عليه".

ويعلق هيكل على ذلك فيما بعد قائلا أنه : لم يكن ممكنا لأية عبارات بالتحية لهذا الشعب (المصري) أن تخفف من وقع الصدام، خصوصا إذا كانت هذه التحية لن تصل إليه.

ويُذكّر هيكل بمقولة بو مدين من أنه : "إذا نجحت المبادرة في تحقيق المطالب العربية، فسوف يذهب (الرئيس) إلى القاهرة، حتى بدون إخطار مُسْبق، ومن هناك يُعلن أنه كان على خطأ، وإذا فشلت المُبادرة، وكان هناك رجوع عنها، فإنه لن يتردد في الذهاب إلى القاهرة ليضع إمكانياته وإمكانيات الجزائر في خدمة المرحلة القادمة من العمل العربي المُوحّدْ".

وتصدرُ مصر قرارا بقطع العلاقات مع دول طرابلس، وكان الغريب أن البلاغ الأول لم يكن فيه اسم العراق، الذي تمت إضافته بعد نحو ساعة أو أكثر، وجعلني هذا أسترجع موقف المندوب العراقي الذي راح

يناور خلال الجلسة الأخيرة ليبتعد بها عن اتخاذ قرار نهائي، في انتظار تعليمات من صدام، لم تأت قط، وكانت النتيجة أن جمد العراق مشاركته في الجبهة، وكانت الحجة قبول سوريا بالقرار 242[343].

وأتذكر هنا أن الرئيس بو مدين عاد في ساعة متأخرة من الليل إلى مقر إقامته في العاصمة الليبية، وبقيتُ في قصر الشعب أتابع أخبار الاتصالات مع بغداد، والتي لم تصل إلى شيء، وهو ما كان يتوقعه الرئيس كما فهمته منه عندما نقلت له ما صرح به طه ياسين رمضان، وكانت هذه واحدة من الإشارات إلى أن هناك ترتيبا ما بين صدام والسادات، سيؤكده دعمه للعراق في حربها ضد إيران، وموقفه الحاد ضد الثورة الإيرانية، التي عاداها منذ اليوم الأول.

وقررت جبهة الصمود والتصدي طرد مصر من جامعة الدّول العربيّة ونقل مقرها من القاهرة إلى العاصمة التونسيّة، واستطاعت الجزائر تحويل القرار إلى تجميد لعضوية مصر، وعُقدت بعد ذلك القمة العربية في بغداد عام 1978 ورفضت نهج السادات، واعتبرت كامب ديفيد عملية استسلام من قبل النظام المصري للعدو الصهيوني، وضربة للتضامن العربي والنضال الفلسطيني.

وعن قمة 1977 يروي بسام أبو شريف، وهو أحد القيادات التاريخية في حركة القوميين العرب ثم في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي انتخبته عضواً لمكتبها السياسي في العام 1972 وكان مقرباً من الزعيم الأسطوري للشعب الفلسطيني، فيقول بأن العراق الذي اتخذ موقفا سياسيا معارضا لخط السادات لم يكن منطقيا، أو منسجما مع نفسه عندما أبرز أسباب عدم موافقته على الانضمام لجبهة الصمود والتصدي.

أما على الصعيد الفلسطيني فقد نجحت الجهود في إعادة توحيد صفوف الفلسطينيين وصدر بيان للرأي العام حول ذلك وانضمت م.ت.ف لجبهة الصمود والتصدي، واتفق الجميع على مواجهة خط السادات السياسي، لكن دب خلاف حول من يحضر من الفلسطينيين جلسة القمة، فقد أراد الرئيس ياسر عرفات أن يكون الوفد الحاضر هو وفد منظمة التحرير، لكن إصرار الدول مكن تنظيمات شكلت جبهة الرفض الفلسطينية، المعارضة لخط ياسر عرفات، من الحضور.

وتقرر أن يحضر جورج حبش واحمد جبريل (وتردد أن العقيد القذافي يقف وراء هذا) وعندما أيقن عرفات أن هذا سيتم أصر على دعوة نايف حواتمة لحضور الجلسة، وكانت الجبهة الديمقراطية قد رفضت الانضمام لجبهة الرفض وبقيت في الوسط بينها وبين عرفات، الذي حرص على ترك المجال لحواتمة بالحديث قبله، فبدأ كلمة طال أمدُها لدرجة أن الرئيس هواري بومدين قاطعه قائلا: قل لنا ماذا تريد بالضبط؟

ويقول بسام: طلب مني أبو أياد صياغة بيان حول إعادة الوحدة لمنظمة التحرير، وتدخل الليبيون والجزائريون ومورس الضغط فوافق الجميع، وكان خاليا من أي إشارة لموافقة المنظمة على قرار 242 وإقامة دولة فلسطينية على الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام 1967، وكان يشير فقط لمعارضة منهج السادات، ولم يكن الرئيس ياسر عرفات راضيا عن ذلك، لكنه، وتحت ضغط موازين القوى الداخلية الفلسطينية والخارجية العربية رضخ دون أن يقتنع.

وجاء القذافي إلى القاعة المطلة على شرفة قصر الشعب في طرابلس حيث عقد المؤتمر، وأمسك بذراع عرفات وخرج به إلى الشرفة، وكان عرفات يقول له: ألم تقل لي يوما، عليك أن ترفع علم فلسطين المستقلة، حتى ولو على خيمة؟ وأجاب معمر القذافي: نعم ولا زلت عند رأيي، لكن أين الخيمة؟

فأجاب الرئيس عرفات: سأجدها وسأرفع العلم وأفهم من كلامك انك عند وعدك، فقال له: نعم (ولست أدري ما إذا كانت الخيمة هي ما نتج فيما بعد عن أوسلو)

وتقدم القذافي وأمسك بذراع جورج حبش وذراعي وتقدم الجميع نحو حافة الشرفة المطلة على الساحة الكبيرة أمام قصر الشعب، حيث احتشد رجال الصحافة، ورفعنا الأيدي متشابكة والتقطت الصور التي تعلن إعادة الوحدة لصفوف م.ت.ف وانضمامها لجبهة الصمود والتصدي، ولم يقطع الرئيس ياسر عرفات الخيط، وأبقى عينه على ما يدور على جبهة المفاوضات، لكن موقف بيغن الرافض للمشاركة الفلسطينية المتساوية هو الذي أغلق الباب أمام عرفات، الذي لم يرد إطلاقا إغلاقه تحت شتى المسميات.

---

[343] - علق الرئيس حافظ الأسد على ذلك في قمة الجزائر مرددا مثلا سوريا يقول : إللي ما يحب يزوج بنته يغلّي مهرها.

كان هذا هو السبب الذي دفع عرفات للاستمرار في جبهة الصمود والتصدي، واعتقد أنه لو نجح السادات في فرض تلك المفاوضات لإنهاء احتلال الضفة وغزة والقدس الشرقية، لما تردد عرفات بإرسال وفد للمفاوضات، لكنه لا يطلق عصفورا من يده قبل أن يتأكد من أن عشرة عصافير تمسك بها يده الأخرى.

ويواصل بسام : جاء رد بيغن على اقتراح السادات حول إجراء مفاوضات لإنهاء احتلال الضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية بعد ثلاثة أسابيع من دعوة السادات، لكن الدعوة أثارت قلق دول الصمود والتصدي، فدعي لاجتماع قمة طارئ في الجزائر، وأراد المجتمعون أن يكبلوا عرفات وان يمنعوا أي نوع من التعاطي مع اقتراح المفاوضات حول الانسحاب من الضفة الغربية والقطاع والقدس الشرقية، ولم تدم القمة طويلا، فقد حسمت جلسة مغلقة الأمور، وكان النقاش حادا، وأراد المجتمعون اخذ تعهد من عرفات بعدم التعاطي مع هذه الدعوة، فحاول التخلص من أي التزام لدرجة انه قال: أستطيع ان أعطي أمرا الآن بإطلاق مئات الصواريخ على الجليل فمن منكم جاهز لتلقي نتائج ذلك ؟ إما أن تقاتل الأمة العربية أو أن تفاوض.

وهكذا اتخذ قرار بان ترسل م.ت.ف مذكرة للامين العام للأمم المتحدة تؤكد فيها عدم تخويلها لأي جهة بالتحدث نيابة عنها أو التفاوض نيابة عنها، وخرجنا من القاعة، وأمسك الرئيس بومدين بذراع عرفات من جهة اليمين، وأمسك بذراعي من الجهة اليسرى (وكانت تربطني به علاقة صداقة عميقة) فهمس عرفات :لماذا هذا القرار؟ فأجاب بومدين ضاحكا: لنتأكد أنك لن تتصرف بما يخالفه.

في تلك القمة التي حضرت جلساتها العامة والمغلقة، دار نقاش لم يخل من الحدة حول قطع كافة العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع مصر، وتصادم في النقاش حافظ الأسد ومعمر القذافي وذلك حول الفجوة بين الموقف والعمل، وطالب الأسد بترجمة الأقوال إلي الأفعال، أي أن الحديث عن التصدي يجب أن يترجم عمليا بالدعم المالي من الدول القادرة، خاصة الدول المنتجة والمصدرة للنفط وعلي رأسها ليبيا.

وفي جلسة مصغرة جدا، ضمت اليمن والجزائر وليبيا، حاول الطرف الفلسطيني التوفيق بين الطرفين، كان خالد الحسن صريحا مع العقيد معمر القذافي وقال له إن المصداقية تذوب عندما لا يتبع الكلام بالفعل.

وعندما احتد النقاش، اقترحتُ أن تضع سورية لائحة بالأسلحة المطلوبة والطائرات المطلوبة لتقوم الدول القادرة بتمويل شرائها، فوافق القذافي، ثم قرر الاستئذان لأن لديه ارتباطا وترك الجميع يتناقشون، ولم تكن لدينا أية فكرة حول ارتباطات العقيد، وعندما هبطتُ إلي قاعة الاستقبال في فندق "شيراطون" حيث عقدت القمة ابلغني البعض أنهم شاهدوا الرئيس القذافي والرئيس عرفات ينطلقان في موكب مشترك[344].

وانتشر الخبر كالنار في الهشيم، واجتمعت القيادات فورا، وتدارس المجتمعون الأمر، وقرروا إصدار بيان ضد هذه الزيارة وأهدافها، وطلب البعض الانتظار لحين عودة الرئيس عرفات للتأكد من الخبر والموضوع، وعندما عاد الموكب، ابتسم عرفات قائلا: لقد خطفني العقيد معمر ليصالحني مع الملك حسين، أتريدون أن تبقي م.ت.ف والأردن في حالة خلاف دائم؟.

ولم أعرف ما إذا كانت تلك كانت مبادرة من العقيد أو أمرا تم تدبيره مع الملك حسين، الذي أذكر بخصومته الرهيبة مع العقيد خلال شهر سبتمبر 1970.

وفي موازاة ذلك التحرك العربي يقوم وزير الدولة المصري للخارجية بطرس غالي بجولة إفريقية لاستجداء دعم القارة السمراء، ويعود ليقدم تقريره للسادات قائلا بأن : "زعماء إفريقيا يُقدِّرون مبادرته ولكنهم يريدون إبقاء النزاع العربي بشأن مبادرة السلام بعيدا عن قمة الخرطوم المقبلة [345](..) كان هناك اختلاف ملحوظ بين السادات وسلفه جمال عبد الناصر (..) كان عبد الناصر معاديا للاستعمار وللغرب بشدة، أما السادات فمعجب بالثقافة والتقاليد الغربية وعلى استعداد للتحالف مع أعداء الشيوعية (..) وكانت الدول الراديكالية بقيادة الجزائر (بو مدين) وبينين (كيريكو) وليبيا (القذافي) ومدغشقر (راتسيراكا) تسيطر على مجرى المناقشات (..) كان هذا الاستقطاب أقوى انطباعاتي في الخرطوم (غالي ص 124) إذ كان في قدرة مجموعة راديكالية متماسكة تتحرك بسرعة أن تسيطر على ثلث أصوات أعضاء منظمة الوحدة الإفريقية، وهم يُشاركون في كل الاجتماعات ويسهمون في كل مناقشة ويتدخلون باستمرار، ويظلون جالسين في مقاعدهم حتى الفجر بدون أن يبدو عليهم التعب أو الملل، وفي نفس الوقت فإن الأغلبية الصامتة من المعتدلين (!!!) كانت

---

344 - أوردت حرفيا ما قاله بسام رغم إحساسي بوجود نوع من الخلط بين القمم، والمهم مضمون الحوار.

345 - يوليو 1978، وهي آخر قمة إفريقية حضرها الرئيس بو مدين.

تفتقر إلى الوحدة وإلى الالتزام، وتفضل الدردشة أثناء احتساء كوب من للبيرة، كانوا نادرا ما يأخذون الكلمة في الجلسات، وعندما يتكلمون تكون حججهم ضعيفة واقتراحاتهم غير موحدة وبياناتهم غير مقنعة".

وتصبح ليبيا والجزائر في مقدمة خصوم النظام المصري، وتأتي الفرصة في ألعاب البحر الأبيض المتوسط التي احتضنتها العاصمة الجزائرية في شهر يوليو 1978، وتحدث مشاجرة بين اللاعبين المصريين والليبيين، وهو أمر يحدثُ في أي مكان في العالم، وخاصة في المباريات الحساسة، وشاهد عشرات الآلاف من المتفرجين والحكام والرياضيين ما حدث، وقام رجال الأمن الجزائريين، وبكل حزم وكياسة، بإبعاد اللاعبين عن بعضهم البعض (والصور شاهدة على ذلك) ولكن بعض "الفتوات" المرافقين للفريق المصري رفعوا القواعد الحديدية للميكروفونات لضرب رجال الشرطة وهم يحاولون الفصل بين المتشاجرين، ودخل الاحتياطيون المصريون إلى أرض الملعب (بشهادة الصحف المصرية نفسها) للمساهمة في الكفاح المقدس، وراحت تجمعات منهم تصرخ بحياة السادات، بطريقة "المظاهرات العفوية"، وهو أمر أثار استغرابا كبيرا آنذاك لأن اسم الرئيس المصري أقحم في غير موضعه، ولم يُفهم حقيقة ما حدث إلا فيما بعد عندما قرئت الأحداث قراءة سياسية.

وكان ذلك هو ردّ السلطات المصرية على نشاط الجبهة القومية للصمود والتصدي، واستكمل ذلك، بقرار من السلطات العليا يندرج في نفس الخط بمهزلة مباريات الكرة في القاهرة وأم درمان عام 2009.

ويقول عبد الرحمن شلقم عن علاقات العقيد القذافي مع ياسر عرفات : علاقته بعرفات كانت قلقة، فلعرفات وهج حامل القضية والقذافي يريده تابعاً لأنه يدعمه مالياً، وعرفات زئبقي ويريد توظيف كل العلاقات في خدمة قضيته. كنا في سرت وجاء عرفات في وقت كانت منظمة التحرير تعيش أزمة مالية خانقة. طلب مساعدة من القذافي فردّ عليه بالقول: أنا لا أحكم في ليبيا ولا أستطيع أن أدفع أموال الليبيين ولدينا مشاكل كثيرة.. لماذا لا تذهب وتتحدث أمام مؤتمر الشعب العام (البرلمان).

وفي السر أعطيت تعليمات لبعض أعضاء البرلمان لمهاجمة عرفات.

إنها لعبة من ألعاب القذافي لكي يُشعر الآخرين بالحاجة إليه.

وعن جهود العقيد لإحداث الشقاق الداخلي الفلسطيني يقول شلقم أنه موّل الانشقاق داخل حركة "فتح" في 1983 وقدم دعماً مالياً وكان قدم السلاح، وبالتأكيد كانت سورية متعاطفة مع هذه الحركة ووفرت لها دعماً ميدانياً أو تسهيلات. في هذه المواضيع كانت مواقف معمر تتقاطع مع الحسابات السورية. كانت سورية تستفيد من معمر لتغطية الجانب المالي وكان يجمع الطرفين العداء لعرفات فضلاً عن شعارات كثيرة. معمر مزاجي. ذات يوم كان ابراهيم قليلات (رئيس حركة الناصريين المستقلين - المرابطون) هو كل شيء. ثم دعم الضابط أحمد الخطيب الذي انشق عن الجيش اللبناني. يمكن القول إن سفير ليبيا في لبنان في تلك المرحلة صالح الدروقي أنفق الملايين على الدعم العسكري والمالي لأحزاب وشخصيات ومؤسسات. هناك كميات هائلة من الأسلحة أرسلتها ليبيا إلى الفلسطينيين في لبنان وكانت لا تزال في صناديقها حين استولت عليها إسرائيل إبان اجتياح 1982. استشهد ليبيون مع الفلسطينيين وعادت جثامين بعضهم قبل ثلاث سنوات.

وعن علاقات العقيد الفلسطينية مع الدكتور جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (وهو مسيحي) يقول شلقم: ليس صحيحاً أن موضوع الدين كان مهماً بالنسبة إلى القذافي على رغم تصريحاته التي دعا فيها المسيحيين اللبنانيين إلى اعتناق الإسلام، فحبش كان يختار إبقاء مسافة معينة مع من يلتقيهم، ونجح في تحقيق ذلك مع القذافي لأنه كان رجلاً نظيف الكف ونزيهاً وواضح الأفكار وصاحب قضية، وكان يتحدث ولا يتملق ويفرض احترامه على الجميع، ولم يكن يستخدم دبلوماسية القبل والمدائح التي اعتمدها عرفات، طبعاً هذا لا يقلل من أهمية عرفات الذي كان يعرف أن يقول لا حين يكون ذلك ضرورياً، و أثناء الحصار الإسرائيلي بيروت وحين نصح القذافي القادة الفلسطينيين قائلاً: الانتحار ولا العار قال له عرفات: تفضل وانتحر معنا.

أما عن علاقته بصلاح خلف (أبو إياد) عضو اللجنة المركزية لحركة فتح فيقول: كان أبو إياد بمثابة عدو للقذافي، وفي 1980 كنت رئيساً لتحرير وكالة الأنباء الليبية وكان الدكتور مفتاح الأسطى عمر، رحمه الله، مديراً لمكتب القذافي، وطلب مني مفتاح كتابة تعليق يتضمن القول إن صلاح خلف من أصل يهودي وشدد على نشره سريعاً في نشرة الوكالة، فقلت له: هذا لا يجوز لأن خلف سيأتي بعد وقت ويعانق معمر، يمكن أن نكتب

أنه مخطئ ويمكن حتى أن نقول إنه خائن ولكن لا يجوز أن نقول إنه من أصل يهودي والرجل مناضل فلسطيني.

غاب قليلاً ثم اتصل قائلاً إن القائد يطلب منك تنفيذ الأمر، فذهبت إلى مقر القيادة في باب العزيزية وقلت للأسطى إنني أريد مقابلة القائد فأجابني انه سيطلق عليك النار وسيصل به الأمر إلى درجة مهاجمة الوكالة بالدبابات لأنه اتهمك بالاستيلاء على الوكالة.

بقيت نصف ساعة ثم خرج الأسطى وعاد ليبلغني بضرورة إعداد التعليق ونشره، فكتبت التعليق انطلاقاً من تصريح لخلف وقلت فيه إن من يدلي بتصريح من هذا النوع يوحي بأنه صوت يهودي وبث التعليق في الفترة الميتة أي بعد صدور الصحف لشعوري بأن معمر يفضل هذا النوع من المعالجات.

والحقيقة أن أبو إياد كان شخصية قوية وكان يصطدم كثيراً بالقذافي وبعبد السلام جلود ويجاهر برأيه ويغضب ويسافر، وفي فترة من الفترات راح أبو إياد يدعم المعارضة الليبية ويعطي بعض أفرادها جوازات سفر مزورة (وأذكر هنا بما قاله أبو إياد لمحمد حسنين هيكل من أن العقيد طلب منه تصفية إحدى الشخصيات الليبية). انتهى

(10)

الجزائر لم تكن تريد حركة مسلحة على حدودها، خصوصا وأن مواقف الرئيس بو مدين، والرئيس أحمد بن بله قبله، كانت واضحة تماما في رفض التدخل في الشؤون الداخلية للجيران، وكان موقف بو مدين في انقلاب الصخيرات واضحا، سواء في عدم تأييد الانقلاب أو في رفض قبول عروض القذافي لمهاجمة القصر المغربي، وسار الرئيس الشاذلي بن جديد على نفس النهج بعد توليه الحكم.

تعليق مراقب حول قضية قفصة

*

عرفت مدينة قفصة التونسية أحداثا في يناير 1980 سُميت باسم المدينة وأدت إلى تأزم حاد في العلاقات بين تونس وليبيا، وتمكن الثائرون من السيطرة على أغلب مراكز المدينة، إلا أن دعواتهم السكان إلى التمرد باءت بالفشل، وتمكنت قوات الأمن والجيش التونسي في نهاية المطاف من إعادة السيطرة على قفصة وأسر قائد المجموعة[346].

وادعى القذافي في حوار صحافي مع مجلة فرنسية بأن رجل المخابرات الجزائرية القوي "قاصدي مرباح" عرض عليه خطة الهجوم، وأن التونسيين قد عرفوا منذ اليوم الأول أن الجزائر ضالعة في العملية، لكنهم تجنبوا أية إشارة إلى ذلك، ولم يثبت الادعاء إطلاقا في حين أكدت مصادر متطابقة أن العقيد هو الذي

---

346 - **قفصة**. هي كبرى مدن الجنوب الغربي التونسي وفيها يقع مقر ولاية قفصة. يبلغ عدد سكان بلدية المدينة حوالي 90،000 نسمة. شهدت المدينة سنتي 1942 و1943 أثناء الحرب العالمية الثانية عدة عمليات قصف تسببت في إحداث دمار جزء من القصبة. في يناير 1980 شهدت المدينة حركة مسلحة قام بها كوماندوس مناوئ لحكم الرئيس الحبيب بورقيبة. تطورت مدينة قفصة بفضل استغلال مناجم الفوسفات الذي اكتشف سنة 1886 والتي تعتبر من أهم المناجم في العالم ويتم سنويا استخراج أكثر من 7.5 مليون طن من الفوسفات من هذه المناجم, مما يجعل من تونس رابع منتج للفسفات في العالم, كما تمكنت تونس بفضل عائداته من تشييد مركب رياضي بتونس العاصمة احتضن فعاليات الألعاب المتوسطية لسنة 1967. كانت قفصة تملك شبكة خاصة من خطوط سكك الحديد إلى حدود الثمانينات. تخصصت قفصة في الصناعات الحرفية التقليدية للسجاد البربري أو المرقوم منذ القديم وقد قام الفنان المعروف حميدة وحادة سنة 1958 ببعث صناعة للسجاد معتمدا على خصائص النقوش البربرية. ويعتبر وحادة أول من بعث صناعة للنسيج في تونس.

رتب كل شيء، ويعتقد البعض أن ذلك كان للانتقام من رئيس الوزراء الهادي نويرة الذي أفشل الوحدة، ولكيلا تنسحب تونس نحو الجزائر في عملية التجاذب السياسي على الصعيد الإقليمي[347].

كانت الجزائر يومها تعيش العام الثاني بعد رحيل الرئيس بو مدين إلى دار البقاء، وكان الرئيس الشاذلي بن جديد مشغولا بتثبيت حكمه، ولم يكن بالتالي في حاجة لأي مشكلة تقوم على حدوده الشرقية، خصوصا وعلاقاته مع الرئيس الحبيب بو رقيبة كانت على أحسن ما يكون، ويمكنني القول أنها كانت أحسن، على المستوى الإنساني، من علاقات الرئيس التونسي مع الرئيس الراحل.

وأعترف أنني لا أملك المعطيات التي حاول البعض على أساسها إقحام اسم الضابط السامي الجزائري قاصدي مرباح (والوزير الأول للجزائر في نهاية الثمانينيات) في قضية قفصة، لكنني سأورد مضمون الرواية التي أوردها وزير الداخلية التونسي في حديث لمجلة الصياد اللبنانية، ثم تناولها في كتابه عن الرئيس بو رقيبة، ويتلخص مضمون الرواية المستقاة من التحقيقات الأولية في ثلاث نقاط :

1 - تورط النظام الليبي في إرسال عناصر مسلحة تسللت عبر الحدود التونسية الجزائرية المشتركة للإيحاء بأن الجزائر مشتركة في العملية، وبالتالي تعكير العلاقات بين البلدين .

2 - محاولة استيلاء هذه العناصر على المؤسسات الرسمية في المدينة وافتعال اقتتال أهلي وإعلان حكومة مؤقتة تعلن سقوط النظام البورقيبي وقيام حكومة جديدة تدعي العمل لإنقاذ الشعب التونسي، وعندئذ يتدخل سلاح الجو الليبي بإلقاء الأسلحة وإنزال الجنود بناء على طلب تتقدم به هذه الحكومة المزعومة .

3 - أما سبب كل ذلك فهو الانتقام من الرئيس الحبيب بورقيبة الذي رفض الوحدة مع ليبيا على أساس الصيغة التي طرحها العقيد معمر القذافي، وهدد الرئيس الليبي، كما قال الهادي نويرة، بتشكيل لجان ثورية تتكفل بشن حرب شعبية تسقط النظام البورقيبي.

أما التحقيقات، كما قال المسؤولون في تونس، فقد كشفت عن أن العناصر التي قامت بالتسلل هي ذاتها التي أرسلها العقيد القذافي إلى لبنان وأوغندا، وبعضها فار من وجه العدالة التونسية.

وقد كشف وزير الإعلام التونسي السيد فؤاد المبزع (رئيس الدولة بعد فرار زين العابدين بن علي) أن بلاده طلبت مساعدات عاجلة من فرنسا والمغرب وحصلت عليها، كما أن الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد اتصل بالرئيس بورقيبة واطلع منه على حقيقة ملابسات الحادث.

ويعترف كاتب تونسي أن الجزائر لم تكن تريد ثورة مسلحة على حدودها، خصوصا وأن مواقف الرئيس بو مدين، والرئيس أحمد بن بله قبله، كانت واضحة تماما في رفض التدخل في الشؤون الداخلية للجيران، وكان موقف بو مدين في انقلاب الصخيرات واضحا، سواء في عدم تأييد الانقلاب أو في رفض قبول عروض القذافي لمهاجمة القصر المغربي، وسار الرئيس الشاذلي بن جديد على نفس النهج.

وعودة إلى أحداث قفصة، كان عدد الكوماندوس لا يزيد عن 27 رجلا، اغلبهم جاؤوا من لبنان[348]، وقد تدرب أغلبهم في معسكرات الجبهة الشعبية القيادة العامة (احمد جبريل) وفي فجر السابع والعشرين يناير 1980 هاجموا ثكنة قفصة العسكرية ثم دخلوا إلى المعهد الثانوي للسيطرة عليه ثم سيطروا على الجامع الكبير للمدينة، بعد ذلك اتجه فريق منهم إلى مدينة مدنين جنوب شرق البلاد.

---

[347] - الهادي نويرة (1911-1993) سياسي تونسي مرموق، حضر في 1934 تأسيس النواة الأولى للحزب الحر الدستوري الجديد رفقة الحبيب بورقيبة (الذي كان عضوا في الديوان السياسي للحزب) وأصبح عضوا ناشطا في الحزب وعرفت عنه توجهاته اللبرالية. أصبح في أوت 1954 وزيرا للتجارة في حكومة الطاهر بن عمار ثم وزيرا للمالية في حكومة الحبيب بورقيبة الذي كلّفه بإنشاء البنك المركزي التونسي الذي شغل به منصب المحافظ منذ تأسيسه في 1958 إلى 1970. نظرا لفشل التجربة التعاضدية التي قادها الوزير أحمد بن صالح، وسعي بورقيبة نحو الانفتاح الاقتصادي، عيّن نويرة وزيرا أولا في 1970 وكلفه بمهمة إعادة هيكلة الاقتصاد الوطني. وشغل المنصب لعشر سنوات تميزت بنجاح اقتصادي كبير وتحسن للأوضاع الاجتماعية إلا أن هذه العشرية شهدت بوادر الأزمة السياسية وخصوصا في ما يتعلق بالعلاقة بين السلطة والاتحاد العام التونسي للشغل. وغادر الحياة السياسية نهائيا في 23 أفريل 1980.
وأذكر هنا بتصريح عبد الرحمن شلغم الموجود كاملا في القسم الوثائقي من الكتاب.

[348] - كانت الجزائر تقتصر في كل علاقاتها على منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات، ولم تكن لها علاقات هامشية تواطئية مع الفصائل الفلسطينية باستثناء حركة فتح، ولم يكن ذلك موقف العقيد القذافي.

كان عز الدين الشريف، الذي سبق أن حوكم في محاولة الانقلاب الفاشلة عام 1962، يعتقد أنه بمجرد إعلان الهجوم فإن الشعب سيلتحق بالثورة، وقد يكون هؤلاء الشباب قد تلقوا وعودا تفيد بأنه بمجرد تحرير مدينة قفصة، فإن إمدادات جوية ستهبط عليهم من السماء، ولكن لا شيء تحقق من ذلك.

أنذاك كان بورقيبة يقضي عطلته الشتوية بواحة الجريد (نفطة) التي لا تبعد أكثر من 100 كلم عن قفصة والواقعة مباشرة على الحدود الجزائرية، فعاد إلى صفائه وتوهجه، واختار أن يبقى في نفطة حتى لا يظهر وكأنه هارب من مجموعة من المراهقين، كما قال بنفسه، ثم دعا الرئيس الفرنسي جيسكارد ديستان والعاهل المغربي الحسن الثاني إلى التدخل، وجاءت المساعدات بسرعة من المغرب، فبدا وكأن الحسن كان ينتظر تلك الفرصة ليقيم علاقة تحالفية مع تونس ضد كل من الجزائر وليبيا، اللتين تدعمان البوليزاريو، وهو ما يبرر شكوك الجزائر المتواصلة تجاه المواقف المغربية، أما ديستان فقد أرسل متأخرا باخرة حربية إلى خليج قابس في محاولة لتهديد ليبيا، التي كانت إذاعتها تدعو الشعب التونسي المقهور ليلا ونهارا إلى الثورة.

والتزم راديو الجزائر الصمت، ويدعي البعض أن بورقيبة أيقن أنه ليس من المصلحة ولا من الحكمة أن يهاجم كلاً من الجزائر وليبيا دفعة واحدة، فتغاضى عن دور الجزائر فيما شنّ حملته على القذافي الذي قال عنه: انه أخطأ كالعادة.

وفي تلك الليلة الفاصلة بين 25 و26 فبراير، ليلة تعيين إدريس قيقة على رأس الداخلية التونسية، أصيب الهادي نويرة بشلل نصفي انزله من كرسي الخلافة مرة واحدة وأخيرة[349].

وظلت قضية قفصة مرتبطة بالعقيد معمر القذافي، ولم تتأكد علاقة قاصدي مرباح بها.

لكن محاولات العقيد لزعزعة الاستقرار في المنطقة تواصلت، وهو ما أكده عبد الرحمن شلقم في حديث للشروق الجزائرية نشر يوم 19 يونيو وجاء فيه : إن القذافي حاول إثارة القلاقل والفتن في جنوب الجزائر، ودعم الطوارق هناك، بل وسعى لإقامة دويلة للطوارق في جنوب الجزائر، وشمالي مالي والنيجر، وأكد شلقم المقيم في نيويورك في حوار مع الشروق، أن سياسة القذافي مع دول الجوار، كانت تقوم على أساس أنه إذا كانت دول الجوار تعيش في قلاقل، فإنه في مأمن، أما إذا كانت في استقرار فهو في خطر، لذلك سعى لإثارة الفتن في الجزائر ومصر وتونس والسودان وتشاد ومالي والنيجر.

ويستكمل شلقم الصورة في حواره مع الحياة (20 يوليو) فيقول : كانت لدى معمر نظرية مفادها أن جارك يجب أن يكون غير مستقر لأنه إذا استقر يصبح خطراً عليك، وناقشته مرة في هذه النظرية وقلت له إننا يمكن أن نستفيد من استقرار الدول المجاورة، وجادلني بعض الحاضرين لكنه قال إنني محق...أحياناً يتظاهر بالاقتناع من دون أن يغير سياسته، ومعظم الأوقات كان يقتنع بنظرية من يقولون إن الجار يجب أن يبقى ضعيفاً كي أبقى أقوى منه، وهو يحب التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى لأنه يبحث عن أتباع، وكان يحلم أن يقلد عبد الناصر كأن يقول للقادة العرب هناك قمة ستعقد غداً فيسارعون إلى الحضور ولا يغيب أحد، هذه كانت عقدته، وحاول أن يفعل ذلك ولم ينجح. وكان هذا سبب كرهه للعرب في مرحلة لاحقة وتوجهه إلى أفريقيا، والأفارقة مساكين في غالبيتهم، فقراء، يأتون إليه ويجاملونه وهو جالس على كرسي عال بينما يقبلون الجلوس على كراس أقل، يعطي لهذا خمسين ألف دولار وعشرين لذاك وعشرة لثالث، أما العرب فقد رفضوا الخضوع لمعمر القذافي باستثناء من هم على استعداد أصلاً لبيع ولائهم.

وبعد ثورة تونس انتقد القذافي هروب الرئيس التونسي قائلا أنه أفضل من حكم تونس وكان المفروض أن يُترك حتى نهاية عهدته، ثم ذهب في دفاعه عن اتهام زين العابدين بنهب المال العام إلى القول: كيف تتهمون زين العابدين بنهب المليارات..؟ من أين له ذلك.؟ فالمواطن التونسي لا يملك إلا عنزة وحبتي زيتون (كانت كلماته بالعامية) هذه العبارات التي تنضح بالكبر والاستخفاف، لا يتأتى لمواطن عربي بسيط له ذرة من احترام الذات أن يتلفظ بها في حق شعب عربي، صدرت من رجل له أربعين عاما على سدة الحكم يبدو لم تكن كافية ما لصقل اللسان وتهذيب السلوك مع الآخرين، فكيف لمواطن عربي أن يحترم من لم يحترم شعبا بأكمله[350].

وكانت علاقات العقيد مع نظام زين العابدين بن علي نقطة توقف عندها وزير الخارجية الليبي الأسبق في حواره، وقال: عندما علم معمر بما حدث في تونس (يقصد ثورة الجماهير ضد بن علي) ظهر على قناة "نسمة" منتفخ الوجه (..) وكان منهاراً، وكان يخطط أن يعيد بن علي إلى تونس بأي ثمن، ولولا الانفجار في ليبيا لكان

---

[349] - أنظر للهادي بلخوجة : الحبيب بورقيبة – سيرة زعيم – مطبعة علامات - تونس

[350] - القدس العربي -4/30.

معمر مستعداً أن يصرف كل ثروة ليبيا لإعادته لأن سقوط تونس يعني سقوطه هو، ويرفض محامي الرئيس التونسي السابق، اللبناني أكرم عازوري، ما أورده شلقم في الحوار معه من أن بن علي كان يتلقى راتباً شهرياً من الزعيم الليبي معمر القذافي، وينصح شلقم أن يحصر أقواله برئيسه الذي خدمه قبل أن ينقلب عليه، داعياً

إياه إلى نفي ما جاء في أقواله حول راتب بن علي تحت طائلة الملاحقة القضائية[351].

وألاحظ هنا أنه إذا كان عسيرا على شلقم إثبات ما قاله فإنه من المستحيل على المحامي نفي الاتهامات، ونصيحته لوزير الخارجية الليبية الأسبق سيّست الجانب القانوني للاتهام، وجعلته يبدو مضحكا.

ويقول محمد كريشان (ق.ع.27 يوليو) أهان العقيد التونسيين (في دفاعه عن بن علي) بالقول إن نساءهم كن يعملن خادمات في بيوت الليبيين في حين صارت الليبيات الآن هن من يعملن في بيوت التونسيين، حسب زعمه (..) بن علي كان عميلا للمخابرات الليبية منذ 1971 وقد كانت مفاجأة للغاية للرئيس بورقيبة ووزيره الأول انذاك الهادي نويرة أن تم وضع اسمه من قبل القيادة الليبية في حكومة الوحدة بين تونس وليبيا التي ولدت ميتة عام 1974 مع أنه كان نكرة تماما وقتها، وهذا ما أكده الطاهر بلخوجة ومحمد بنور الذي عاش في المنفى ثلاث وعشرين سنة الماضية لأنه كان يعلم الكثير عن فضائح بن علي وارتباطاته المريبة.

(11)

عندما ذهبنا للجزائر كنت لا أفهم في البداية اللهجة الجزائرية، كانت صعبة عليّ ولكن عشت بين هؤلاء الناس 14 سنة ولم أر مثلهم أبداً، كانوا ملائكة وتعاملوا مع الفريق كرئيس جمهورية...عدت من الجزائر بالكثير من الذكريات الرائعة، وهم عاملونا معاملة راقية جداً.

السيدة زينات الشاذلي أرملة الفريق سعد الدين الشاذلي

*

عرفت نهاية السبعينيات والشهور الأولى من الثمانينيات الصراع الحاد بين العقيد القذافي والرئيس أنور السادات عبر نشاطات الجبهة القومية للصمود والتصدي التي انطلقت في طرابلس إثر زيارة الرئيس المصري للقدس المحتلة.

ويقول عبد الرحمن شلقم (حوار "الحياة" 17 يوليو) كانت قصة الصمود والتصدي هي المطروحة وكان السادات هو الخصم الأول، وكانت سورية مفتاحاً مهماً في هذا الموضوع، كما كانت تمسك بالقرار في لبنان أيضاً وهو إحدى الساحات التي استخدمت في هذه المعركة أنذاك، وكانت تريد الإفادة من القذافي، بينما كان القذافي يريد الإفادة من سورية، وظهرت اختلافات أو تباينات لكن لم تحصل صدامات، فالأسد كان ذكياً في استيعاب معمر وهذا ما سمح له باستعماله، وكان لدى القذافي نوع من التهيب حيال الأسد (..) بعد غياب عبد الناصر اعتقد كثيرون أن الكرسي فارغ، وإخواننا في الخليج لم تكن لديهم فكرة الزعامة القومية، وكانوا يهتمون بمنطقتهم وبالشؤون العربية والإسلامية لكن ليس لديهم مشروع زعامة على مستوى الأمة، وحتى الملك فيصل بن عبد العزيز لم يقدم نفسه كزعيم وحيد للأمة العربية.

---

[351] - الحياة 16- 21 يوليو.

الإخوة في المغرب العربي لم يخوضوا أيضاً حرب الزعامة العربية الشخصية، و السباق كان دائماً من اختصاص الذين يرفعون الشعارات القومية، وخرج السادات من سباق الزعامة حين اختار طريق "كامب ديفيد"، أما حافظ الأسد فكان يمارس في الزعامة قدراً من الواقعية، فبلاده ليست غنية والزعامة تحتاج إلى إنفاق لشراء الضمائر المفروشة التي تشبه الشقق المفروشة، وبسبب أوضـاع بلاده كان الأسد يقبض ولا يدفع، لكنه كان رقماً مهماً في معادلة المنطقة بسبب استثماره أهميةَ موقع بلاده وحنكته ومحاولته جمع أكبر عدد من الأوراق خارج حدوده كلبنان والموضوع الفلسطيني، وبقي في السباق صدام حسين ومعمر القذافي، الأول بعثي والثاني ناصري ولدى كل منهما المال لشراء حلفاء ومؤيدين ومداحين، وجاء موضوع إيران فاختلفا.

وبدأ السلوك الثأري يتخذ بعداً جديداً، فقد راح القذافي يدعم أكراد العراق وجاء قادتهم مرات إلى ليبيا، ثم دعّم المعارضة العراقية، وردّ العراق بدعم تشاد ضد ليبيا، ثم استقبل المعارضة الليبية وساعدها وأنفق عليها، ولأن معمر كان قلقاً من حزب البعث فقد قتل مسؤوله في ليبيا "عامر الضغيص" (..) وصدام كان شرساً مع القذافي، وفي إحدى القمم العربية قال له: أخ معمر ماذا سميت ليبيا؟ الجماهيرية العربية...وايش ...أعطيني العنوان الكامل؟ طبعاً هذا الكلام رسالة استخفاف علنية، والقذافي كان يخشى صدام حسين لأن الأخير صاحب شخصية صدامية وتحولت العلاقة إلى كراهية شديدة، وهذه الكراهية كانت أصلاً وراء قيام القذافي بتسليم إيران الصواريخ التي استخدمتها في دك المدن العراقي (..) وكانمن أسباب علاقة القذافي مع إيران كراهيته لصدام حسين ورفع إيران شعارات معادية لأميركا واعتقاده أنه يمكن أن يستفيد من الثورة الإيرانية وأنه قد يستطيع إعداد مشروع يزاوج فيه بين ما يعتبره فكره الأممي والفكر الشيعي، وكان القذافي يسوق أيضاً أنه من أحفاد موسى الكاظم أحد أئمة الشيعة، وحين استُهدفت بعض المراقد في العراق بعث بمساعدات وبوفد من قبيلته، وهناك عنصر اخر وهو أنه كان يأمل في استخدام ورقة إيران لإزعاج الدول العربية في الخليج وابتزازها. انتهى

وفي مطلع شهر أكتوبر 1981 ذهبنا رفقة الرئيس الشاذلي بن جديد إلى ولاية قالمة في زيارة تفقدية، ووصلتنا في حدود منتصف نهار السادس من أكتوبر أنباء عن إطلاق النار على الرئيس المصري أنور السادات، وتركزت متابعاتنا للأخبار على ما حدث في منصة العرض العسكري في مدينة نصر بالقاهرة.

ولم تكن الأخبار الأولى قد تحدثت بعد عن وفاة الرئيس المصري، وراح وزير السكن يومها يزايد علنا أمام الرئيس الشاذلي ويقول لي على مسمع منه: أعدك بكبش لو مات السادات (ولقد مات السادات فعلا ولم يصلني كيلو لحم واحد من الوزير، الذي اختار بعد خروجه من الوزارة أن يواصل عمله حيث مال النفط الكثير في الخليج) لكن الرئيس كان بالغ العفة في التعامل مع الحدث، ولعلي أتذكر أنه لم يتلفظ بكلمة سوء واحدة ضد السادات، برغم كل ما كنا نأخذه على الرئيس القتيل، وكان تصرف الجزائر، تبعا لذلك، تصرف دولة تحترم نفسها ولا تحاول التشفي في سقوط خصم سياسي كنا نرى أنه يتحمل مسؤولية كبيرة في مأساة الوطن العربي، وهكذا أعطيت أخبار الاغتيال بأسلوب بالغ الوقار احتراما للوضع الذي نتج عن وفاة رئيس دولة عربية في ظروف مأساوية (وأذكر أنه كان في الجزائر يومها أربعة صحف فقط منها ثلاث صحف بالعربية، وكلها تابعة للدولة)

ومع العودة إلى العاصمة اتصلت بي حرم الفريق سعد الدين الشاذلي الذي كان يعيش أيام المنفى في الجزائر، وعرفت منها أن الفريق ذهب إلى ليبيا، وفهمت منها أنها تريد مني القيام بزيارتها[352].

---

[352] - الفريق سعد الدين الشاذلي (1922 - 2011)، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين 16 مايو 1971 وحتى 13 ديسمبر 1973. يوصف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصري الناجح على خط الدفاع الإسرائيلي بارليف في حرب أكتوبر عام 1973. عاش حياته على مدار 89 عاما، عاصر فيها فترات متنوعة في تاريخ مصر إلى أن وافته المنية مع بداية ثورة عصرها الجديد. خاض الشاذلي العديد من المعارك العسكرية الناجحة والتي توجت بحرب أكتوبر المجيد، ليدخل بعدها في حرب سياسية من الرئيس السادات، اعتراضا على سياسته في إبرام اتفاقية كامب ديفيد ليصبح بعدها لاجئا سياسيا في الجزائر على مدار 14 عاما متواصلة رحل خلالها الرئيس السادات ليحاكم الشاذلي في عصر الرئيس مبارك بتهمة إفشاء الأسرار العسكرية

والفريق هو مؤسس وقائد أول فرقة قوات مظلية في مصر (1954-1959)، وهو الذي ابتكر الخطوة السريعة التي أصبحت تستعملها قوات الصاعقة في مصر وكل البلدان العربية، وكان قائد أول قوات عربية موحدة في الكونغو كجزء من قوات الأمم المتحدة (1960-1961). وقائد القوات الخاصة (الصاعقة) (1967-1969). وتولى قيادة منطقة البحر الأحمر (1970-1971). ثم رئاسة هيئة أركان القوات المسلحة المصرية وكان مخطط حرب أكتوبر (1971-1973). ثم سفير مصر في بريطانيا (1974-1975). وأخيرا سفير مصر في البرتغال (1975-1978) ومنها انتقل إلى الجزائر. ويقول الشاذلي عن

وعندما قمت بذلك مع حرمي قالت لي أنه بمجرد اغتيال الرئيس السادات تلقى الفريق دعوة للذهاب إلى ليبيا، وفهمت منها أنها غير مطمئنة لذلك، خصوصا وقد بدأ الفريق في إلقاء عدة بيانات ضد نظام الحكم المصريّ عبر التلفزة والإذاعة الليبية (وبالطبع فقد أبلغتُ الرئيس بذلك فيما بعد، وكنت سعيدا لأنه شاركني في عدم الاطمئنان)

ويحدث أن يتصل الفريق هاتفيا من طرابلس بالسيدة حرمه فقالت له : "فلان ٌعندي، وهو يُسلم عليك"، وأحسست منها أنه يريد الحديث معي، ومنذ الكلمات الأولى أحسست أيضا أنه غير مستريح للوضع الذي وجد نفسه فيه، واضطررت للقيام بتلاعبات لفظية بهلوانية ليفهم بأننا أيضا غير مرتاحين، وبأننا ننتظر مجيئه للجزائر لاستكمال كتاباته والعودة لانطلاقة جديدة في النضال ضد بقايا الرئيس السادات[353].

وبالفعل عاد الفريق إلى الجزائر وواصل نضاله هنا ولم يعد، في حدود ما أتذكر، مرة أخرى إلى الحديث في التلفزة الليبية، ولم أحدثه حولها على الإطلاق، وتفرغ بعد ذلك لإصدار كتب بالغة الأهمية، وفي مقدمتها حرب أكتوبر ثم سنوات الديبلوماسية ثم الحرب العربية الإسرائيلية الثامنة، والتي تنبأ فيها بالكثير مما حدث بعد ذلك ضد العراق.

وطوال تلك السنوات كنت أحس، وهو ما أتحمل هنا مسؤوليته كاملة، بأن البعض في ليبيا حاول استغلال الفريق والمتاجرة باسمه في الصراع القائم مع مصر مبارك بعد مصر السادات، وربما كان الوضع في العراق مشابها، مما أعطاني فكرة عن سبب لجوء الفريق على وجه التحديد إلى الجزائر بعد خلافه الشديد مع الرئيس السادات، والذي أدى إلى إنهاء مهامه كسفير لمصر في البرتغال.

ولم نحاول نحن بأي من الأحوال أن نحرجه فيما يرتبط بعلاقاته العربية، وإن كنا نحس أن هناك مبالغة من قبل الرئيس حسني مبارك في عدائه للفريق، والذي كان المفروض أن تنتهي خلافاته مع النظام بعد وفاة الرئيس أنور السادات، لكن ذلك لم يحدث.

وقالت أرملة الفريق السيدة زينات السحيمي في حوار لصحيفة "المصري اليوم" عن وجودها في الجزائر إلى جانب زوجها فقالت : عندما ذهبنا للجزائر كنت لا أفهم في البداية اللهجة الجزائرية، كانت صعبة عليّ ولكن عشت بين هؤلاء الناس 14 سنة ولم أر مثلهم أبداً، كانوا ملائكة وتعاملوا مع الفريق كرئيس جمهورية، وعدت من الجزائر بالكثير من الذكريات الرائعة، وهم عاملونا معاملة راقية جداً.

وتقول "شهدان" ابنة الفريق: عندما ترك منصبه كسفير لمصر في البرتغال وأبدى اعتراضاً على اتفاقية كامب ديفيد وهاجمها بقوة، تلقى عدة اتصــالات ودعوات من مختلف الملوك والأمراء العرب، أذكر منهم صدام حسين وأكثر من دولة عربية لكنه فضل الجزائر واستقر هناك (..) لأنها كانت الدولة الوحيدة التي بها قيادة

الخطة التي وضعها للهجوم على إسرائيل واقتحام قناة السويس وسماها "المآذن العالية" إن ضعف الدفاع الجوي يمنعنا من أن نقوم بعملية هجومية كبيرة، ولكن من قال إننا نريد أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.؟. ففي استطاعتنا أن نقوم بعملية محدودة ، بحيث نعبر القناة وندمر خط بارليف ونحتل من 10 إلى 12 كيلومترا شرق القناة"، وهو ما حدث فعلا.

وبعد اندلاع الحرب في 6 أكتوبر عارض الفريق الشاذلي بشدة أي تطوير خارج نطاق الـ12 كيلو التي تقف القوات فيها بحماية مظلة الدفاع الجوي ، وقال أن أي تقدم خارج المظلة معناه أننا نقدم قواتنا هدية للطيران الإسرائيلي.

وفي عام 1978 انتقد **الشاذلي** بشدة معاهدة كامب ديفيد و عارضها علانية مما جعل الرئيس السادات يأمر بنفيه حيث استضافته الجزائر. وفي المنفى كتب الفريق الشاذلي مذكراته عن الحرب و التي اتهم فيها السادات باتخاذ قرارات خاطئة رغماً عن جميع النصائح من المحيطين أثناء سير العمليات على الجبهة أدت إلى وأد النصر العسكري والتسبب في الثغرة و تضليل الشعب بإخفاء حقيقة الثغرة و تدمير حائط الصواريخ و حصار الجيش الثالث لمدة فاقت الثلاثة أشهر كانت تصلهم الإمدادات تحت إشراف الجيش الإسرائيلي، كما اتهم في تلك المذكرات الرئيس السادات بالتنازل عن النصر و الموافقة على سحب أغلب القوات المصرية إلى غرب القناة في مفاوضات فض الاشتباك الأولى و أنهى كتابه ببلاغ للنائب العام يتهم فيه الرئيس السادات بإساءة استعمال سلطاته وهو الكتاب الذي أدى إلى محاكمته غيابيا بتهمة إفشاء أسرار عسكرية و حكم عليه بالسجن ثلاثة سنوات مع الأشغال الشاقة. ووضعت أملاكه تحت الحراسة, كما تم حرمانه من التمثيل القانوني وتجريده من حقوقه السياسية . وعاد إلى مصر بعد استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد وفي ظروف سبق أن تحدثت عنها فأدخل السجن، وتوفي في 10 فبراير 2011 عشية تنحي الرئيس حسني مبارك، الذي اتهمته ابنة الفريق بأنه زور تاريخ أكتوبر ومارس التعتيم على والدها.

[353] - روى سليم عزوز (القدس العربي 4 يونيو) مقاطع من خطاب للعقيد إثر اغتيال السادات جاء فيه : انتصب الأخ العقيد معمر القذافي خطيباً عقب اغتيال الرئيس السادات، وقال إن الشيوعيين المصريين (يقصد أفراداً بعينهم) ضحكوا عليه.. ففي كل مرة يقولون نريد مصاري لقلب نظام السادات الخائن العميل.. خذوا مصاري.. نريد مصاري لقلب نظام السادات الخائن العميل.. خذوا مصاري.. وفي النهاية فإن من قلبوا نظام السادات هم آخرون لم يحصلوا مني على مصاري.

جماعية ولم يكن مسيطراً عليها فرد، مثل باقي الدول العربية وقتها، أبى أراد أن يكون في ضيافة دولة وليس فرد أياً كان.
وقالت شهدان بعد أن سقط مبارك أن الرئيس المصري مارس تعتيما كبيرا على دور الفريق في حرب أكتوبر".
وواقع الأمر هو أنني لم أدرك سبب ذلك التعتيم وما يدل عليه من كراهية بل وغيرة إلا بعد أن رأيت صورة لحسني مبارك وهو يسير خلف الفريق، وأدركت أن البشر هم البشر في كل مكان، والكبير يظل كبيرا ويظل الصغير صغيرا.



في مقر إقامة الفريق بالجزائر - 1989 – إلى اليمين المجاهد المدني حواس

(12)

هل ما زلت محتفظا بالدكتور عميمور؟

العقيد القذافي

في سؤال موجه للرئيس الشاذلي بن جديد
إثر توليه الرئاسة، بدا لي استنكاريا.

*

كانت الزيارة العربية الثانية للجزائر في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد هي الزيارة التي قام بها العقيد القذافي، والتي كان من بين بنودها زيارة إلى "تيزي وزو" رافقه فيها الرئيس الشاذلي، تكريما للرئيس الضيف، وهو ما كان فرصة للقاء الرئيس مع السلطات المحلية للولاية، حضره بالطبع العقيد الضيف.

وكالعادة قبل كل لقاء، وضعتُ أمام الرئيس بعض العناصر التي يمكن أن تكون من محاور اللقاء، ومن أهمها، والتي سلطتُ عليها الأضواء في البلاغ الذي كنت أصدرته بعد اللقاء، أن: "الخط العقائدي للجزائر أصبح واضحا بعد إقرار الميثاق الوطني بالمصادقة الشعبية.

وكانت الرسالة هنا تعني أن الأمور محسومة، وأنه لم يعد هناك مجال للاجتهاد الفردي فيما يتعلق بالخط الإيديولوجي للبلاد، وفهم البعض يومها أن العبارة كانت موجهة أساسا للعقيد الضيف حتى لا يندفع في شرح نظرياته، وليدرك أن الجزائر أكبر من أن تنتظر توجيهاته، وهو ما أعترف اليوم أنه كان صحيحا.

وارتبطت زيارة العقيد القذافي إلى الجزائر بالعديد من المشاكل، وفوجئت بأنه يتخذ مني موقفا بدا لي معاديا بدون سبب، إذ أنني لم أصدق بعض ما قيل من أن رفقاء يتصلون به يشيرون إلى شخصي كمحرك كل المشاكل، وكنت، وما زلت، أعتقد أنني كنت أذكر العقيد بالرئيس الراحل هواري بو مدين، الذي كان يتردد في أوساط كثيرة أنه كان مكروها من الزعيم الليبي، خصوصا يوم تسرب إلى القذافي نبأ هجوم حاد شنه عليه بو مدين في اجتماع مغلق، ولا أعرف من الذي نقل الأمر للعقيد[354]، وربما كان هذا من الأسباب التي دفعت البعض إلى القول بأن الوحيد الذي كان العقيد يحسب له ألف حساب هو بو مدين.

ولهذا تصورت دائما أنه كان يكره كل ما كان ومن كان يرتبط بالرئيس الجزائري الراحل، ولقد قلت أنني سمعته بأذني يقول للرئيس الشاذلي بن جديد في بداية عهدته الأولى وهو يشير إليّ بلهجة استنكارية قائلا: هل ما زلت محتفظا بالدكتور عميمور؟

وكان الرئيس الضيف قد طلب أن يلتقي بأكبر عدد ممكن من مناضلي حزب جبهة التحرير الوطني، وتذكرنا على الفور ما حدث إثر وفاة جمال عبد الناصر، وفهمنا أن العقيد تصور بأن وفاة بو مدين خلقت في الجزائر فراغا عقائديا، وربما .. قياديا، وهو المؤهل الوحيد لملئه، وكان يجب أن يوضع عند حدّه بكل أدب.

وتم، بالتنسيق مع قيادة الحزب في زيغود يوسف، بقيادة المجاهد المعروف محمد الصالح يحياوي، المسؤول الأول عن الحزب آنذاك، إعداد اجتماع موسع للإطارات الحزبية الموجودة في العاصمة وما جاورها، وأصدرتُ تعليمات واضحة ومحددة بعدم استحضار فرق التلفزة والتسجيل الصوتي، حيث أن الاجتماع داخلي مغلق، فقد كنت أتوقع أن يكون هناك من سوف يُحاول أن يفرض علينا بث محتوى الاجتماع على الجمهور، وعلى أقل تقدير، سيطالب مساعدو الضيف بنسخ عن اللقاء، سوف تبث بعد "منتجتها" عبر التلفزة الليبية التي يتابعها البعض في المناطق الحدودية، وسيشاهد المواطنون هنا وهناك كيف أن إطارات جبهة التحرير الوطني تحولوا، بعد وفاة بو مدين، إلى تلاميذ أمام معلم يلقنهم ألف باء النضال.

وكان الرئيس الشاذلي في الصورة بالنسبة لكل ما كنت أنتويه أو أقوم به، وعرفت فيما بعد أن تفاصيل نقلت إلى العقيد بعد ذلك وبمبالغات استعدائية، ولا أعرف من تطوع بذلك، ولكنني أحسست أنه ساهم في زيادة عداء العقيد للعبد الضعيف.

ولأن موعد الاجتماع كان الرابعة فقد طُلب من المناضلين التوجه إلى مقر الحزب في حدود الثالثة، وكنت أنا في مقر إقامة الضيف بقصر الشعب في الثالثة والنصف، في انتظار المرافق الرسمي للعقيد القذافي وهو الأخ محمد الصالح يحياوي، وبمجرد وصوله طلبنا من عناصر التشريفات الليبية، التي كان يرافقها السفير الفاضل عبد الفتاح النعاس، إخطار العقيد بأن الأخ يحياوي في انتظاره.

---

[354] - تفاصيل أخرى تجدها في : أيام مع الرئيس هواري بو مدين (دار إقرأ – بيروت/ موفم- الجزائر) ولقد أشرت إلى ما سمعته منه بأذني رأسي، ولست أعرف ما إذا كان العقيد عرف أنني سمعت ما قاله أم أنه قاله عمدا لأسمعه.

ومر الوقت ونحن وقوف والعقيد لم ينزل بعد من غرفته، وفي حدود الرابعة والربع بدأ يحياوي في التوتر فطلبت منه أن يستريح في قاعة الاستقبالات الكبرى ورحت أتأكد من أن العقيد قد تم إخطاره، وهو ما أكده لي عبد الفتاح، الذي لحقني إلى قاعة الاستقبال لإبلاغ يحياوي شخصيا بذلك[355].

وتقترب الساعة من الخامسة ويتزايد توتر منسق الحزب، ورأيته يقف غاضبا لينادي السفير الليبي الذي كان واقفا في ممر القصر وفي مواجهة سلم الدور العلوي، فطلبت منه بإلحاح أن يترك الأمر لي، فهو بحكم منصبه ومسؤوليته لا يملك الحرية التي أملكها أنا في ارتكاب الأخطاء البروتوكولية مع رؤساء الدول.

وخرجت أقول للسفير الليبي بهدوء ولكن بصوت عالٍ سمعه كل من يوجد في القاعة والممر المحاذي لها:

" سنعطي الأخ القائد عشرة دقائق للنزول من غرفته، وإلا سوف أضطر إلى إخطار المناضلين، الذين ينتظرون منذ ساعتين، أن سيادته تراجع عن اللقاء بهم".ثم رجعت إلى القاعة رافضا الاستماع لأي رد.

وبعد نحو خمسة دقائق أبلغنا بقدوم العقيد الذي نزل بكل هدوء، وصافح منسق الحزب الذي خف لاستقباله، ونظر إليّ بطرف عينه، ثم سأل أحد مساعديه بصوت عالٍ:

"ما هو برنامج ما بعد ظهر اليوم ؟".........وذهلت.

ويجيبه مساعده الأخ عبد المجيد القعود، الذي كان بجانب السفير: "الأخوة الجزائريون طلبوا إعداد لقاء مع مناضلي الحزب"، ولم أتمالك نفسي فقلت موجها الكلام للعقيد وبصوت عالٍ أيضا: "آسف، للتوضيح.... الاجتماع طلبه الجانب الليبي ووافقنا نحن عليه، والمناضلون ينتظرون منذ الساعة الثالثة".

ولم يبد على العقيد أنه سمع شيئا، ولم ينبس يحياوي ببنت شفة.

وتم اللقاء في جو تعتيم إعلامي قيل فيما بعد للعقيد أن مدبره هو كاتب هذه السطور، ولا أعرف ماذا قيل له أيضا، ولكن قائمتي السوداء عنده تضخمت، وسيكون هناك مكان للمزيد. وحاول الليبيون فيما بعد الحصول على أي تسجيلات للقاء، لكننا اعتذرنا بأن اللقاء لم يسجل لأنه، وحسب طلب العقيد، كان لقاء داخليا.

وسيكون المجال الإعلامي ساحة لما كان وراء بعض التنافر مع العقيد، وكمثال، كان مقررا أن يقوم رئيس وزراء اليمن الشمالي بزيارة إلى الجزائر في بداية الأسبوع الثاني من شهر جوان قادما من ليبيا، وفي اليوم السابق للزيارة أصدرتُ، كالعادة، البلاغ الرئاسي الخاص بها.

وفي المساء علمت بأن المسؤول اليمني لن يصل في اليوم التالي بل في اليوم الذي يليه، لأن السلطات الليبية ألحت عليه في أن يزيد مدة زيارته لحضور الاحتفالات بعيد الجلاء، وتخيلنا حجم الضغوط التي مورست في آخر لحظة على المسؤول اليمني لقضاء ليلة أخرى في طرابلس، وادعى البعض أنها كانت لمجرد مضايقة الجزائر، ولهذا تعمدت، في الخبر الذي أصدرته عن تأجيل الزيارة، الإشارة إلى السبب وهو إصرار الأشقاء على دعوة المسؤول اليمني لحضور احتفالات الجلاء عن ليبيا، وبالتالي تأجيل سفره إلى الجزائر، وسجلت صياغة الخبر كموقف عدائي آخر من العبد الضعيف.

وتمر السنوات وأتجاوز عما عرفته العلاقات الجزائرية الليبية بعد 1984، حيث كنت أعفيت من مهمتي برئاسة الجمهورية إثر التصفيات التي تعرض لها عدد من القياديين في حزب جبهة التحرير الوطني، ومكثت بدون عمل رسمي نحو خمس سنوات، ثم استدعيت في نهاية الثمانينيات لتولى مسؤولية السفارة في باكستان، ثم أنهيت مهمتي في بداية التسعينيات لأجتاز الصحراء للمرة الثانية بعد أن روّج البعض إشاعة تقول بأنني، وأنا في إسلام أباد، أرسلت ببرقية تهنئة لرئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ إثر فوزها في الانتخابات التشريعية لعام 1991، وكان عمل كهذا خلال تلك الأيام يعتبر، على مستوى السلطة، أخطر من الشرك بالله، وهكذا رجعت لأغرق في العمل الفكري والكتابات الصحفية والندوات الفكرية، بحيث لم أشعر بالفراغ يوما واحدا[356].

ولم يحل ذلك بيني وبين النشاط على المستوى الخارجي في إطار نفس الاتجاه الذي سرت عليه في الداخل، ووجدت نفسي في ربيع 1993 في مواجهة مسؤولية لم أكن قادرا على تجاهلها برغم أنها بدت لي أكبر من طاقتي، وخفف عليّ من عبئها أن رفيقي الرحلة كانا عبد العزيز بلخادم رئيس المجلس الوطني السابق

---

[355] - كان البعض يحاول الإيحاء بوجود علاقات خاصة بين العقيد وبين يحياوي، حيث كان ، بعد وفاة الرئيس بو مدين، يسأل عنه في المطار إثر وصوله وبشكل واضح إذا لم يجده في استقباله، ويطلب أن يلتقيه وحده. وكانت فرصة لخصوم يحياوي للإساءة له. ونسوا أن رجلا بمستوى يحياوي لا يُمكن أن يكون ولاؤه لغير الجزائر.

[356] - أنظر كتابي : ....سفيرا زاده الخيال و أنا وهو وهم (إصدار موفم – الجزائر)

(الذي لم يكن يحتل مركزا رسميا، وكانت السلطة تنظر له بكثير من الريبة) وعبد القادر حجار (الذي كان يعيش وضعية تقاعد لم تكن بالنسبة لي واضحة المعالم).

يومها كانت العلاقات مع ليبيا تمر في أسوأ مراحلها، بعد أن صرح العقيد معمر القذافي بطريقته، التي يحرص على أن تبدو عفوية، أنه مستعد للتوسط بين النظام في الجزائر وقيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، الذين قال أنه أمّهم في الصلاة، وكان مجرد الحديث آنذاك عن عباسي مدني وجماعته استثارة للقيادة الجزائرية.

وهكذا جنّ جنون السلطة في الجزائر، وتناقل كثيرون أخبارا مفادها أن رئيس الدولة السيد علي كافي رفض أكثر من مرة تلقي مكالمة هاتفية من العقيد، مما رفع من مستوى التوتر بين البلدين[357].

آنذاك تلقيت والرفيقين دعوات شخصية من مؤسسة ثقافية ليبية للمشاركة في ندوات كان هدفها الرئيس خرق الحصار الذي فرضته واشنطن على ليبيا إثر قضية "لوكربي".

ورأيتُ أن الظروف تحتم علي استشارة السلطات المختصة في الجزائر لأن القضية تتجاوز قدرات التصرف الفردي وحدوده، خصوصا والأمر يتعلق بإطارات لها وزنها في حركة الدولة حتى وإن كانت تعيش بعيدا عن مراكز القرار، واتفق الرفيقان معي في ذلك التحليل، وكان أن استشرت الزميل القديم الجنرال العربي بلخير، الذي كان يعيش، إداريا، مرحلة التقاعد، ولكنني كنت أعرف أنه على صلة مستمرة بأصحاب القرار، طبقا للتعبير المُستعمل آنذاك بل وإلى حد الساعة، وهكذا تم ترتيب موعد لنا مع الجنرال الشهيد "سعيدي فضيل" الذي استقبلنا في مكتبه بضاحية "بني مسوس" باحترام كبير، وشجعنا على تلبية الدعوة الليبية بعد أن وضعنا في صورة كل التطورات التي تعرفها العلاقات بين البلدين[358].

وأتصور أنني فهمت، وأنا أتحدث مع واحد من قمم المخابرات العسكرية في الجزائر، بأننا لسنا بعيدين عن مستوى الصدام المُسلّح[359].

---

[357] - نشرت الشروق الجزائرية في 13 يوليو مقالا عنوانه : القذافي طلب لقاء جمال زيتوني ةيملاسلإا ةعامجلا مرجم( )فورعملاالتموين "الجيا" بالمال والسلاح والذخيرة!، وجاء فيه : تحصلت "الشروق" على نسخة نادرة من نشرية "الجماعة" لسان حال التنظيم الإرهابي الأكثر دموية في الجزائر، الجماعة الإسلامية المسلحة "الجيا"، وهذا العدد كان قد صدر في شهر سبتمبر من عام 1996، وفيه مواضيع مختلفة، بينها لقاء أجرته مع أميرها آنذاك الدموي "عنتر زوابري" الذي قضت عليه قوات الأمن في 2002، حيث راح في حديثه يبرر جرائم قتل الشعب وفق عقيدة التترس، وذلك بالسيارات المفخخة والتفجيرات والمجازر بصنم لغش يذلا "نيجاط ظوفحم" وعدملا نأ "ةعامجلا" ةيرشن تدكأ دقو)..(.
بئان ريملأا ينطولا ـل "ايجلا" فيرشب يمساوق حرت اريمأ اينطو ةرتفل ةدودحم، مواق ةقيرطب ةيرس لاسرإب تاعومجم ىلإ
نانبل ةيروسو، مغرلاب نم نأ لامج ىنوتيز هرمأ فقوتلاب نع كلذ دعب ةعفدلا ىلولأا)..(وعدملا "نيجاط ظوفحم" حرتقا
ىلع "ىنوتيز لامج" دقع ءاقل عم ميعزلا يبيللا رمعم ىفاذقلا، فدهلاو هنم "قافتلاا ىلع ليومت ةعامجلا لاوملأاب
حلاسلاو ةريخذلاو داتعلاو". نإو تناك "ايجلا" مل حضوت بابسأ اذه حارتقلاا، لاإ نأ ضعب ءامدق ميظنتلا اوفشك نأ "ظوفحم
نيجاط" لالخ ةرتفلا يتلا اهاضق نيب ةيروس نانبلو يقتلا طابضب تارباخم نييبيل اوناك نولمعي يف ةرافسلا ةيريهامجلا
قشمدب توريبو، كرجو لصاوتلا مهنيب ىلع ةروص قيسنتلا نواعتلاو يذلا مل متي بيرست هاوتحم،)..(وهو ام دكؤي نأ
حارتقا ىلإ ريشي هسفن ريرقتلا نأ ةصاخ، ةيناريإ طئاسو ربعو "نيجاط ظوفحم" قيرط نع "ايجلا" ءاوتحا دحاو يفاذقلا
ظوفحم اضيأ "ءاقتللاا ريزو ةيلخادلا يناريلإا سفنل ضرغلا" كلذكو عم لوؤسم ينادوس مل فشكي نع ةيوهـ

وعن مصير طاجين أكدت "الجيا" في تقريرها، أنه ألقي عليه القبض وتم استنطاقه وأخذ المعلومات منه، التي فضحت أنه كان على اتصالات موثقة مع معمر القذافي وحزب الله اللبناني والنظام الإيراني ومع حركة الجهاد الإسلامي وكانت له مراسلات مع فتحي الشقاقي، والذي كما ورد في الدراسة أنه لعب دورا بارزا في وصول مجموعات من "الجيا" للتدرب بمعاقل "حزب الله"، وأشارت أن "الجيا" حصلت على تلك المراسلات، وبعدها أمر جمال زيتوني بتصفيته.!

[358] - انظر في القسم الوثائقي نص مقال الشروق الجزائرية عن العلاقات الليبية الجزائرية في هذه المرحلة، والتي فهمنا منها أن الجزائر تريد تحسين العلاقات مع القذافي، وذلك قبل أن ينكث بوعوده ويضطر السلطات الجزائرية إلى الاتصال بالمعارضة الليبية في أكتوبر من نفس العام، كما جاء في مقال الشروق.

[359] - كنت أحمل للعلاقات مع المخابرات العسكرية ذكريات ممتازة، وكانت تجربتي الأولى معها هي خلال عملي بالبحرية الجزائرية حيث تعاملت مع بعض ضباطها في إطار لجنة التحقيق في انفجار الباخرة "نجمة الإسكندرية" التي كنت عضوا بها، وخصوصا العقيد علي تونسي، الذي كان نعم الرفيق طوال عملي في القوات المسلحة ثم خلال عملي الطبي ونشاطي في رئاسة الجمهورية، وتواصلت علاقاتي الأخوية معه خلال عبوره للصحراء ثم خلال تكليفه بالإدارة العامة للأمن الوطني وإلى حين اغتياله في 2010، ثم تعاملت خلال عملي في رئاسة الجمهورية بشكل مباشر مع العقيد قاصدي مرباح الذي كان رجلا من أفضل الرجال، ولم يناديني يوما بغير "سي محي الدين"، ورويت الكثير عن العلاقات بيننا في كتابي "أنا وهو وهم" (موفم 2009)

وكانت تجربتي مع اللواء السعيدي فضيل ثاني تجربة لي مع المخابرات العسكرية خلال مرحلة عبوري الأول للصحراء، حيث كانت الأولى إثر تصفيتي في 1984، عندما استدعيت للشهادة أمام المحكمة العسكرية في قضية "رشيد زقار" عام 1986، وكتبت عن ذلك مسجلا تقديري لرجال المخابرات الذين تعاملوا معي خلال التحقيق بكل احترام وتقدير، رغم

وتوجهنا إلى ليبيا عبر "جربة" التونسية التي وصلناها جوّا، واتجهنا منها برّا نحو طرابلس، نتيجة للحصار الجوي المفروض على الجماهيرية، وفوجئنا لدى وصولنا بمقال عنيف في صحيفة "الشمس" التي يُقال أنها تعبر عن أعلى مستويات القيادة الليبية، وكان مضمون المقال هجوما عنيفا على القيادة الجزائرية لموقفها من تصريح العقيد القذافي، وقيل لنا هناك بأن العقيد نفسه وراء المقال.

وألقينا نظرة سريعة على حضور الندوة الثقافية فإذا من بينهم واحد من قياديي الجبهة الإسلامية للإنقاذ هو الشيخ عزوز زبدة، إلى جانب عدد من الشباب كان واضحا أنهم ينتمون إلى التيار الإسلامي، وفوجئنا بأن أول المتحدثين في الندوة الأولى كان الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني جورج حاوي، الذي كان خطابه نقدا واضحا للوضع في الجزائر، وكان معروفا أنه كان ممن تشملهم رعاية العقيد.

والتقينا، الرفيقان وأنا، لكي ننسق عملنا، واقترحتُ أن نتصرف كوفد يرأسه عبد العزيز بلخادم، رئيس المجلس الشعبي الوطني السابق، وأن يتولى حجار الاتصال بمن كان يتعامل معهم عندما كان سفيرا للجزائر في طرابلس، وأن يُمهّد للقاءات على مستوى عالٍ لبلخادم أو لثلاثتنا، بينما أتفرغ أنا للعمل في القاعة وكواليسها، وكان هدف الخطوة الأولى بالنسبة لي ضمان الانسجام التام في إطار المجموعة الجزائرية.

وكان أول من اتجهت له الشيخ عزوز زبدة، وهو شيخ كفيف أحسست فيما بعد أنه يتمتع ببصيرة حادة، وعرفت أنه يتابع مقالاتي باهتمام كبير، فقلت له داخل القاعة وفي نهاية الجلسة المسائية أنني أريد أن ألتقيه، فطلب مني رقم حجرتي ووعدني بأن يطلبني صباح اليوم التالي، وهو ما حدث بالفعل، وانطلقت المكالمة الهاتفية ببداية غريبة انزلقت إليها بدون قصد، إذ سألني الشيخ بهدوء : "سي محيي الدين ..ماذا تفعل الآن" ؟ وأجبته على الفور وبدون تفكير: " أنني أفعل ما لا تستطيع أنت فعله".

وساد صمت ثقيل لثوان بدت دقائق لعل الشيخ كان خلالها يحاول تخيل ما أفعله، وقطعتُ الصمت لأواصل قائلا: "إنني أحلق ذقني يا شيخنا"، وانفجر الشيخ ضاحكا، وكانت بداية طيبة للحوار معه، والذي استعرضتُ فيه التوتر القائم بين ليبيا والجزائر وقلت بأن واجبنا هو أن نعمل على تلطيف الأجواء، وهو ما يتطلب منا أن نعمل معاً كوفد منسجم لا كوجود مبعثر لأفراد متناقضين يذهب كل في اتجاه معاكس لرفيقه أو غير منسجم معه، وأبلغته اتجاهنا لاختيار بلخادم رئيسا للوفد والأسلوب الذي ارتأيناه للنشاط، ووافقني الشيخ وقال لي : "لكم عليّ ألاّ أفتح فمي حتى أستأذنكم، واعتبروا توقيعي على كل ما تقررونه مضمونا".

ولم أكن أطمع في أكثر من ذلك، وبدون أن أستأذن الرفاق قلت له أن جماعة من أصدقاء الجزائر الذين كانوا عونا لنا خلال الثورة سينظمون حفلا على شرفنا هذا المساء، وحضوره، مع ابنه الذي يتكئ عليه، سيسعد الجميع، وقبل الشيخ الدعوة على الفور.

وأعترف هنا أنني انطلقت من خلفية أساسية هي إرسال رسالة للسلطات في عين المكان تقول بأن المجاهدين الليبيين سيظلون دائما أنصارا للثورة الجزائرية، التي لن تنسى أبدا الدعم الليبي، وبأن الجزائريين، ومهما كانت الخلافات بينهم، يلتقون على حب الوطن وتكريم من دعموا كفاحهم، وبالطبع فإن دعوة الشباب الجزائري الموجود في الندوة كانت أمرا مفروغا منه، وأشهد أنهم كانوا جميعا عند حسن الظن بهم.

أن صلب شهادتي كان الدفاع عن زقار، المتهم يومها بالخيانة العظمى، وكنت خارج أي منصب رسمي إن لم أقل أنني كنت، بمقالاتي آنذاك في الصحافة الوطنية، ممن يعتبرون متناقضين مع السلطة.

وكان تعاملي مع اللواء فرصة للتعرف بواحد من خيرة رجال المخابرات الجزائرية، يقول عنه مدير مخابرات مالي السابق ووزير دفاعها فيما بعد "بوباي مايغا" لـ"الخبر" (عبد النور بو خمخم 2010/1/19) بأن "اللواء كان من أهم من عملوا على تأسيس تنسيقية للمخابرات في منطقة الساحل الإفريقي، وبذل مجهودا كبيرا لإنجاح المشروع، ثم يقول "هذا الرجل الذي أعرفه عن قرب واشتغلنا سويا على ملفات عديدة تهم أمن بلدينا وأمن المنطقة، عمل بكل جهده ووقته وكأنه لا يملك أي حياة شخصية وعائلية، كان أمن البلاد على حدودها الجنوبية وتفكيك الأزمات التي كانت تهدد المنطقة شغله الشاغل. في طريقه إلى نواكشوط التي تم اختيارها لاحتضان الاجتماع التأسيسي، مر اللواء سعيدي عليّ في باماكو لمرافقته في الطائرة الخاصة التي كانت تقله، كانت فرصة لتعميق النقاش أكثر حول الموضوع، وتقريب الرؤى حول طريقة التعاطي مع العقبات التي يمكن أن تعترض التعجيل بوضعه حيز التنفيذ ومنحه الفعالية المطلوبة، أذكر هذا الرجل لأنني لا أنسى أنه ذهب إلى قادة التمرد المسلح بين كل فصائل التوارق لإقناعهم واحدا واحدا بالجلوس إلى طاولة المفاوضات والوصول إلى حل سلمي مع حكومتنا، وهو أحد المهندسين الرئيسيين لاتفاق السلام العام في 1992"، واستشهد في 4 يونيو 1996.

وكان من بين عناصر الاحتفال أغان للسيدة أم كلثوم اداها شاب ليبي، ولم يبد الشيخ زبدة أي تبرم من ذلك، وكان الطف ما حدث هو أن الأشقاء جاءوا معهم بباقة ورد كبيرة كهدية لوفدنا، واقترحت انا بسرعة أن تقدم الباقة للشيخ زبدة، وهو ما حدث بالفعل.

واتذكر أن الأشقاء يوم الحفل اصطحبوا سيدة ليبية ترتدي الملابس العسكرية لرتبة العقيد، ورأيت انا، عند اختتام الحفل، أن أهمس للشيخ بوجود السيدة، واقترحت عليه أن يهديها الباقة، فاستجاب لما طلبته منه وقام بذلك تحت تصفيقات الجميع.

والواقع أن الأشقاء في ليبيا تلقوا الرسالة بذكاء وكانوا في منتهى الكرم معنا، وكان واضحا أن هذا ما كان ليحدث إلا لو كانت التعليمات بذلك جاءت من مستوى العقيد القذافي نفسه، ولا أستطيع أن أعطي تفسيرا لذلك إلا رغبته في رأب الصدع مع الجزائر، وتغير وضع ثلاثتنا، وقيل لنا أننا سنستقبل، وبدون أن نطلب ذلك، من قبل وزير الدفاع الجنرال أبو بكر يونس، وهكذا اصطحبنا معنا إليه ملحقنا العسكري، الذي كان ينتظر موعدا معه لم يتحقق منذ شهور، واستقبلنا أيضا من قبل مدير المخابرات الليبية السيد موسى كوسا (الذي أصبح فيما بعد وزيرا للخارجية ثم قيل أنه فرّ إلى بريطانيا في مارس 2011) وعدد أخر من المسؤولين شرحنا لهم جميعا الأوضاع في الجزائر على ضوء الصورة التي كان الجنرال سعيدي فضيل رحمه الله قد زودنا بها، وسمعنا منهم كلاما كثيرا عن السنة السوء من الأشقاء والجيران.

وتوجتْ زيارة ليبيا باستقبال العقيد لكل من بلخادم وحجار بينما فررتُ أنا من اللقاء، الذي تعطل أكثر من ساعة لأن الجميع كان يبحث عني، وكان لي في الأمر رأي خاص، فقد كنت أعرف أن للعقيد رأي سلبيّ في بعض من عملوا مع الرئيس بو مدين، ولم أكن أريد أن يفلت مني تعبيرٌ قد يُفسدُ كل ما قمنا به.

وللأمانة، فلم أعرف ماذا قال القذافي للرفيقين، ولم أحاول أن أعرف ماذا دار بينهم لا بالتفصيل ولا بالاختصار، كما أنني لم أعرف ما إذا كانا قد قدما تقريرا عن هذا اللقاء على وجه التحديد للهيئة الرسمية الجزائرية التي تعاملنا معها، ولم أحاول أيضا ان أعرف.

وعندما عدنا إلى الجزائر قمت بإعداد التقرير المفصل عن الزيارة طبقا لما عشته ورأيته، وأرسلت به إلى رئاسة الجمهورية عن طريق المسؤول الوحيد الذي اهتم بأمرنا وهو الجنرال سعيدي فضيل.

وكان ذلك أخر لقاء لي مع الجنرال.

وسمعنا أن وزير الخارجية محمد الصالح دمبري كان غاضبا لأن الأمور لم تتم عن طريقه، رغم أنها تتعلق بشؤون خارجية، وللأمانة فقد كان محقا في رأيه، وقمت بالاتصال به لترطيب الأمور.

وحدد لنا الوزير بسرعة موعدا استقبلت فيه المجموعة الثلاثية في وزارة الخارجية بكل تقدير، واستبقت عتاب الوزير بأن قلت له، بمحضر من الزميلين، أنني أحمل له تقديرا كبيرا منذ زيارة الرئيس الشاذلي بن جديد لموسكو والتي عملنا معا من أجل إعداد ملفها، لكنني اعترفت له بأنني اصبحت أكثر حساسية وأنا أعبر الصحراء من تصرفات بعض العاملين في الخارجية.

ثم رويت له أنني كنت تلقيت في بداية العام دعوة من جامعة الأخوين بفاس للمشاركة في تظاهرة فكرية، وطلبت من أحد السفراء السابقين الذي كان على صلة منتظمة بوزارة الخارجية، أن يبلغ المدير العام للمنطقة المعنية بسفري إلى المغرب (وهو ليس، بأي حال من الأحوال، بلدا عاديا بالنسبة للجزائر) وكان الرد الذي سمعه الزميل من المسؤول الديبلوماسي (الذي لم أطلب منه بالمناسبة أي عون كان، حتى ابلاغ سفارتنا في الرباط) : "فليذهب حيث شاء، فنحن لا نمسك به"[360].

وقلت للوزير بأن هذا الأسلوب الذي تصرف به الديبلوماسي، الذي ما زال إلى يومنا يمثل الجزائر، يسيء للوزارة، ويوضح عدم إدراك موظفيها لمنطق الدولة والتزاماتها، ولهذا لم أحاول الاتصال بالوزير، الذي كان سيتم بالضرورة عبر بعض مساعديه، وقد يكون من بينهم من لا يختلف عن صاحبنا السابق.

وكان اللقاء مع دمبري متميزا.

لكن ما لم نكن نعرفه أن الأمور ستأخذ منحى اخر قبل أن ينتهي العام، وسيكون العنصر الحاسم فيها الجنرال سعيدي نفسه، الذي استشهد في حادث سيارة في جوان 1996، لتأخذ الأمور منحى أخرا أيضا.

---

[360] - ذهبنا فعلا إلى فاس، الزميل محمد العربي الزبيري وأنا، وذلك في إطار النشاطات التي كنت نقوم بها خلال العشرية الدموية، إيمانا واحتسابا، وكتبت عند العودة استعراضا لنشاطنا هناك، واستقبلنا بكل أخوة ومحبة جديرة بالكرم المغربي.

(13)

كانت قضية "لوكربي" سياسية لكن حلها أيضا كان سياسيا، وحكاية الإفراج عن المقرحي استثمر كمظاهرة سياسية خلال المرحلة التي كان العقيد يخلق لنفسه تألقا جديدا على الساحة الدولية، بعد أن وضع أمام الغرب كل ما كانت تملكه ليبيا من وثائق على حركات التحرير الوطني وأساليب تمويلها وأسماء مشجعيها

*

عرفت العلاقات الأمريكية الليبية فترات توتر شديد، كان من أهمها مرحلة الغارة الأمريكية على طرابلس عام 1986، والتي كان من نتائجها أن أضاف العقيد صفة "العظمى" لاسم الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، فأصبح اسما من ست كلمات (في تقليد لبريطانيا العظمى التي هي من كلمتين).

فقد اتهمت الإدارة الأمريكية تحت رئاسة رونالد ريغان ليبيا بتفجير ملهى "لابيل" الليلي ببرلين مما أسفر عن مصرع عدد هام من الجنود الأمريكيين[361]، وقامت يوم 15 أبريل 1986 بغارة جوية على مدينتي طرابلس وبنغازي استخدمت عددا من الطائرات قيل أنه كان حوالي 50 طائرة (وأعتقد شخصيا أنه كان أقل بقليل، وحدث خلط، ربما كان مقصودا، بين عدد الطائرات وعدد الطلعات الجوية للطائرات) واستهدف القصف الأمريكي قواعد عسكرية، ومقرات للمخابرات الليبية، وبوجه خاص مقر العقيد القذافي في معسكر باب العزيزية، بطرابلس، وقيل أنه كان من بين أهدافها اغتيال الزعيم الليبي، وإن كان راج بأن العقيد كان على علم بالغارة التي خلفت 37 قتيلا، من بينها ابنته بالتبني، إضافة إلى 170 جريحا من المدنيين الأبرياء، داهمهم الموت الأمريكي وهم نيام، ولم يُصب العقيد، المقصود بالهجوم، بأي بسوء.

لكن التوتر بين البلدين تضاعف فيما بعد إثر ما عُرف بقضية "لوكربي".

ففي يوم الأربعاء 21 ديسمبر 1988 انفجرت الطائرة البوينغ 747، التابعة لشركة PANAM أثناء تحليقها فوق قرية "لوكربي" الاسكتلندية، وأودى الحادث بحياة 270 من جنسيات مختلفة، وفي حطام الطائرة وجد المحققون شظايا قليلة من قنبلة لوحظ في إحداها وجود أثر ملتو يقود إلى أجهزة المخابرات السرية الليبي، واتهمت ليبيا بمسؤوليتها عن الانفجار.

وبدأت بريطانيا والولايات المتحدة في التحرك داخل مجلس الأمن وتمكنتا من إصدار قرار في 31 مارس 1992 يحمل الرقم 748 بأغلبية 10 أصوات وامتناع 5 أعضاء عن التصويت من بينها المغرب، يوجب على ليبيا الاستجابة لطلب الدولتين، ويهدد بفرض عقوبات عليها من بينها حظر الطيران منها وإليها، وقد رفضت ليبيا الاستجابة لهذا القرار، وتم فعلاً توقيع العقوبات في الموعد المضروب كأجل نهائي وهو 15 أبريل 1992.

ويروي المستشار محمد بشير الخضار قصة رهيبة تبرز، إن صدقت، مدى إجرام العقيد، إذ يقول لصحيفة الحياة أن القذافي أمر بإسقاط طائرة ليبية بها 230 راكبا كانت متجهة من بنغازي إلى طرابلس ليحمّل المسؤولية للحظر الجوي الذي فرض عليه في إطار عقوبات "لوكربي"، ويقول الشاهد أن الضباط الذين أسقطوا هذه الطائرة منذ 11 عاما ما زالوا على قيد الحياة، ويؤكد أن القذافي أمر باغتيال وزير العدل إبراهيم بكار لأنه علم بالأمر، فخشي أن يُسرّب المعلومة أو يجعل منها مادة للمساومة، وتم القتل بسيارة نقل مسروقة لم تكن تحمل أرقاما معدنية وذلك في المكان المفضل للقتل، وهو منطقة الخمس[362].

وتحت ضغط أمريكي بريطاني مشترك أصدر مجلس الأمن الدولي في 11 نوفمبر من نفس العام قرارا برقم 883 يطوّر من نوع العقوبات المفروضة ويوسعها لإجبار ليبيا على الإذعان لمطالب الدولتين، وفرض القرار عقوبات على ليبيا شملت حظر الطيران منها وإليها، ومنع تصدير الأسلحة، وتقليص العلاقات التجارية والدبلوماسية معها، ثم تزايدت العقوبات، واستمر الحصار على الجماهيرية تحت مظلة الأمم المتحدة، وأمينها العام آنذاك بطرس بطرس غالي، ورغم ما جره هذا الحصار من معاناة للشعب الليبي ظل العقيد القذافي يرفض

---

[361] - أكد عبد الرحمن شلقم مسؤولية ليبيا عن تفجير الملهى في حواره مع "الحياة" 18 يوليو، ويقول أنه كان من عمل سعيد راشد وهو مهندس الكترونيات عمل في الاستخبارات الليبية، وكانت هناك تسجيلات تثبت هذه المسؤولية.

[362] -صحيفة الحياة – لندن – 16 سبتمبر 2011.

الضغوط والتهديدات، متشبثاً بالسيادة الوطنية، وقيل يومها بأن الحصار كان فرصة للعقيد لكي يُحكم سيطرته على الدولة، فالقاعدة هي أنه لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، ولأن ليبيا تواجه الاستعمار الغربي كله فدعمها فرض عين يلتزم به الجميع، والليبيون في المقدمة.

وأصدرت الحكومة الفرنسية في نهاية 1992 إعلاناً أشارت فيه إلى أن التحقيق القضائي في تحطم الطائرة DC10 التابعة لشركة طيران (U T A) فوق صحراء النيجر والتي راح ضحيتها 170 شخصاً خلال رحلتها رقم (772) أثبت تورط عدد من الموظفين الليبيين، ونتيجة لذلك طلبت من الحكومة الليبية أن تقدم كل الأدلة المادية وتسهيل الوصول إلى الوثائق والإجابة إلى طلب التسليم الذي صدر من المحكمة التي تقوم بعملية التحقيق، ولم تتقدم الحكومة الفرنسية بطلب تسليم الموظفين الليبيين بل حاكمتهم غيابياً.

وفيما يتعلق بلوكربي، لم تستجب ليبيا لمطالب الدولتين التي اكتسبت طابع الدولية، وبدأت تحركاً دولياً واسعاً يستهدف إقناع العالم بالوقوف إلى جانبها، على الأقل بالقبول بمحاكمة المشتبه فيهما في بلد ثالث إذا لم يكن بالإمكان تجاوز القرار الدولي، ولقد نجحت ليبيا في ذلك إلى حد بعيد، عندما حصلت على دعم الدول العربية ممثلة في جامعتها، التي شكلت لجنة سباعية دائمة لهذا الغرض، كما حصلت على دعم دول عدم الانحياز، ولعل أهم دعم حصلت عليه كان من الدول الأفريقية التي قررت في قمتها التي انعقدت في "واغادوغو" عاصمة "بوركينا فاسو" في 10 يونيو 1998 كسر الحظر المفروض على ليبيا بحلول شهر سبتمبر من نفس العام ما لم تتم الاستجابة إلى مطالبها (وقيل أن طرابلس دفعت مبالغ طائلة لقيادات إفريقية لكسر الحصار ولتشجيع قيادات إفريقيا على القيام بزيارة طرابلس، وكان واضحا أن هناك تواطؤا حول ذلك)

وصدر قرار محكمة العدل الدولية لصالح الاعتراض الليبي بأن القضية ليست من اختصاص مجلس الأمن، لأنها لم تنطو على ما يهدد السلام الدولي، كما صدرت سلسلة قرارات لحركة عدم الانحياز، ومنظمة الوحدة الأفريقية التي تحدى العديد من رؤساء دولها الحظر الجوى المفروض على ليبيا.

ورغم أن فكرة تسليم المشتبه فيهما ليحاكما في بلد ثالث هي في الأصل فكرة ليبية، ظل الكثيرون يشككون بل يجزمون باستحالة تنفيذها، وقدمت لطرابلس ضمانات بألا تتحول محاكمة المتهمين إلى محاكمة سياسية، وأنهما سيلقيان محاكمة جنائية عادلة، ويتبع تسليمهما فوراً البدء بإجراءات رفع العقوبات عن ليبيا.

وقبلت بريطانيا والولايات المتحدة في 24 أغسطس 1998 بمحاكمة الليبيين في بلد ثالث هو هولندا حسب طلب ليبيا، وأدانت المحكمة أحد المواطنين (عبد الباسط المقرحي) استنادا على قرائن ظرفية وبرأت الاخر (لامين فحيمة) ثم أفرج عن المقرحي مؤخرا وبعد سنوات من السجن بمبررات صحية.

وقبلت ليبيا رسميا مسؤوليتها المدنية دون الجنائية باعتبارها مسؤولة عن موظفيها، ولذلك فإن الحكومة أقرت بمسؤوليتها عن تصرفهم، ودفعت ليبيا تعويضات تبلغ قيمتها مليارين وسبعمائة مليون دولار لأسر الضحايا، وتخلت عن كل نشاطها النووي وسلمت كل المعلومات المتعلقة بنشاطاتها وعلاقاتها الثورية لواشنطن، وكان هذا أبرز نتائج إعدام الرئيس العراقي صدام حسين.

وتشير معلومات متواترة كشفت مؤخرا عن دور كبير قام به رئيس الوزراء البريطاني الأسبق "توني بلير" في إنهاء عقوبات لوكيربي مقابل أموال طائلة دفعت، ولا يعرف نصيب السمسار البريطاني فيها، وكان من بين ما قيل أيضا أن رئيس الوزراء البريطاني الأسبق كان سمسارا لشركة روسية.

لكن قضية لوكربي كانت محاكمة سياسية بالدرجة الأولى، وهو ما فهمه نظام العقيد القذافي، وكانت هناك ثغرات في المعالجة القضائية للقضية[363].

فقد ادعى المحققون الإنجليز والأمريكيون أن القنبلة التي استخدمت في التفجير كانت موضوعة في حقيبة بها ملابس داخلية، كما ادعت أن هذه الملابس لم تحترق في الانفجار، بل ظلت على ما هي عليه، وبفحص هذه الملابس تبين أنها مشتراة من محل تجاري في "مالطا"، فقام المحققون بزيارة المحل والتقوا بصاحبه، وهو رجل عجوز ادعى أن الذي اشترى هذه الملابس شخص ليبي، وبعد التدقيق وعمل رسم تقريبي لهذا الشخص، افترض المحققون أن الليبي هو ضابط أمن اسمه "عبد الباسط المقرحي".

لكن كيف استطاع هذا الضابط أن ينقل القنبلة من ليبيا إلى مالطا ومن ثم إلى بريطانيا؟ وهنا "افترض" المحققون أن مدير مكتب الخطوط الجوية الليبية في مالطا واسمه الأمين خليل فحيمة، هو الذي ساعد المقرحي

---

[363] - يقول شلقم في نفس الحوار: استنتجتُ أن "لوكربي" قد تكون نوعاً من الانتقام من الغارة على باب العزيزية (..) تفجير لوكربي لم يكن صناعة ليبية خالصة.

في نقل القنبلة من ليبيا إلى مالطا، كما أنه ساعده في تمرير الحقيبة ذات القنبلة في مطار (لوقا) بمالطا إلى مطار (هيثرو) بلندن، وافترض المحققون (دائما افترضوا) أن المقرحي سافر مع الحقيبة إلى لندن، وأنه استطاع أن يتخطى حواجز الأمن في المطار وأن يضع الحقيبة الملغومة في طائرة الـ"بان أمريكان" المتجهة إلى الولايات المتحدة، ولم يغادر المقرحي مع الحقيبة الملغومة، بل عاد أدراجه إلى ليبيا.

ابرز البروفيسور "روبرت بلاك" (استاذ القانون الاسكوتلندي في جامعة إدنبرة)، الذي يعتبر مهندس فكرة محاكمة المقرحي ومواطنه الأمين خليفة فحيمة (الذي برأته المحكمة) في هولندا، هشاشة الأدلة التي قدمها الادعاء، وقال أن القضاة الاسكتلنديين الثلاثة قبلوها على علاتها، وأوضح أن الادعاء لم يقدم أي دليل مصدره مالطا يؤيد طرحه بأن الحقيبة غير المصحوبة الحاوية للقنبلة التي دمرت طائرة الـ«بان أم» فوق لوكربي باسكوتلندا في 21 ديسمبر (كانون الأول) 1988 بدأت رحلتها من مالطا على متن طائرة مالطية متوجهة إلى مطار فرانكفورت.

وبالنسبة لفرانكفورت أشار بلاك إلى أن الدليل الوحيد كان سجل كومبيوتر يشير إلى أن حقيبة غير مصحوبة مرت بنظام الحقائب في المطار في وقت مقارب لوقت تفريغ حمولة الطائرة المالطية، ولكن مع ذلك اقتنع القضاة بأن الحقيبة جاءت من مالطا.

ومن نقاط الضعف الأخرى التي ابرزها بلاك في أدلة الادعاء ما يتعلق بشهادة "أنتوني غوتشي"، صاحب المتجر المالطي الذي زعم الادعاء أن المقرحي اشترى منه ملابس عثر على بقاياها ضمن بقايا الحقيبة الملغومة. وقال بلاك ان غوتشي قدم 17 إفادة للمحققين قبل المحاكمة ولم يقل في أي منها أن المقرحي هو الرجل الذي اشترى منه الملابس بل قال إنه يشبه ذلك الرجل، وأشار أيضا إلى الأوصاف التي قدمها غوتشي لذلك الرجل وقوله: عمره لا يقل عن 50 عاما وطوله ستة أقدام على الأقل، مذكرا بأن المقرحي كان في ذلك اليوم في السادسة والثلاثين من العمر وطوله كان ولا يزال خمسة أقدام وثماني بوصات.

وأشار بلاك أيضا إلى أن غوتشي تعرف أيضا على شخصين آخرين باعتبارهما يشبهان الرجل الذي اشترى منه الملابس، وأثار بلاك تساؤلات حول تاريخ زيارة المقرحي المزعومة للمحل المالطي، موضحا أن ما ورد في سياق المحاكمة وإفادات غوتشي لا يثبت إطلاقا بأن المقرحي زار محله في 7 ديسمبر1988 كما يزعم الادعاء، وقال أن القضاة بدلا من أن يفترضوا حسن النية لدى المتهم حسب قاعدة «المتهم بريء حتى تثبت إدانته» فإنهم أحسنوا الظن بالادعاء وأخذوا مواقفه وطروحاته على علاتها.

إذن كانت القضية سياسية لكن حلها أيضا كان سياسيا، وحكاية الإفراج عن المقرحي استثمر كمظاهرة سياسية خلال المرحلة التي كان العقيد يخلق لنفسه تألقا جديدا على الساحة الدولية، بعد أن وضع أمام الغرب كل ما كانت تملكه ليبيا من وثائق على حركات التحرير الوطني وأساليب تمويلها وأسماء مشجعيها[364].

ولم يكن ذلك الجهد الجزائري الوحيد لدعم ليبيا خلال مرحلة الحصار، فبناء على تعليمات من الرئيس الشاذلي بن جديد كان السفير الجزائري في طرابلس، وكما روى لي شخصيا، بالغ الحزم مع السفير الأمريكي في الجزائر جونستون، الذي كان يتولى تنسيق نشاط السفراء الأمريكي في شمال إفريقيا كلها، بما في ذلك مصر، وكان السفير يستعمل كل طاقته في الإقناع لدفع دول المنطقة نحو تشديد الحصار على القذافي، وقيل له بكل وضوح أن استقرار الأوضاع في ليبيا هو ضمان للأمن الجزائري الذي يهدده حلفاء واشنطون من الناحية الغربية، وكانت تلك هي تعليمات الرئيس.

وعرف الحصار على ليبيا قصة بالغة الأهمية عن الدعم الجزائري للشقيق الليبي.

والذي حدث هو أن الليبيين قاموا بتكوين شركة وهمية في "هونغ كونغ" لشراء طائرتين من نوع "غيربوس" للخطوط الجوية الليبية، وتم ذلك بالفعل، وأرسلت طائرة منها إلى الأردن والثانية إلى أبو ظبي وتم حلّ الشركة، ولكن حدثت تعقيدات مع شركة التأمينات العالمية في لندن، التي رفضت تأمين الطائرتين، واستنجدت ليبيا بالجزائر آنذاك، فأرسلت على عجل وفدا إلى طرابلس ضم الأخوين الأخضر الإبراهيمي والجنرال سعيد فضيل، وهكذا قامت الجزائر بشراء الطائرتين بعقد صوري وراحت تستعملهما في خطوطها بشكا عادي، وأعطت ليبيا بدلا منهما طائرتين من "بوينغ 727"، استعملتهما ليبيا على أنهما مؤجرتين من الخطوط الجوية الجزائرية.

---

[364] - أنظر : غوغل - ويكيبيديا

وتم إنهاء العملية في 14 أبريل 1991، أي عشية تنفيذ حظر الأمم المتحدة على ليبيا، وواصلت الجزائر بعد ذلك وعلى كل المستويات تخفيف أعباء الحصار على ليبيا، وكانت معظم حاجياتها الأساسية تنقل لها من الجزائر، وواصل عدد من المثقفين الجزائريين المساهمة في النشاطات الفكرية الليبية، وفي طليعتهم الدكتور محمد العربي الزبيري.

وخلال تلك المرحلة أخذت الجزائر في التفكير جديا في احتمالات طول الحصار على الشعب الليبي، وبدأت تظهر تدريجيا فكرة إقامة مطار دولي في منطقة "الدبداب"، على الحدود المباشرة مع ليبيا، يمكن أن يكون شريان حياة للقطر الشقيق، حيث يصل إليه كل الذاهبين إلى ليبيا من أي مكان في العالم، ويستكملون رحلتهم داخل ليبيا بالحافلات المعدة لذلك، وينتقل إليه الليبيون المسافرون خارج البلاد لتحملهم الطائرات حيث يريدون.

ولم يتم تنفيذ المشروع لأن الأمور تدهورت بعد ذلك بين الجزائر وليبيا، كما سيأتي فيما بعد.

وتؤكد مصادر كثيرة أن ليبيا، كدولة، لم تتضرر من الحصار، حيث كانت علاقاتها النفطية على أحسن ما يرام، ولم تقصر الجزائر في أداء واجبات الشقيق، وتمكن نظام الحكم الليبي من استثمار الحصار، كما سبق أن قلت، في إحكام سيطرته على البلاد، ولم يكن ذلك ذنب الجزائر.

وفي تلك المرحلة من نهايات الثمانينيات كانت قضية الصحراء الغربية قد وصلت إلى طريق مسدود نتيجة لتعنت المغرب في رفضه أي اعتراف بحقوق الشعب الصحراوي، ولجأ الأشقاء آنذاك إلى دولة خليجية كبرى أقنعوها بأن حل القضية يكمن في التفاهم بينهم وبين الجزائر، وهنا بدأت عملية كبرى قيل أن من الذين سهروا على تحقيقها في الجانب الجزائري الجنرال العربي بلخير، وهي العملية التي نتجت عنها قمة زيرالدا، على هامش القمة العربية الطارئة التي استضافتها الجزائر آنذاك، والتي زرعت فيها فكرة اتحاد المغرب العربي، وتحمس لها الرئيس الشاذلي بن جديد الذي جرى إقناعه بأن حل قضية الصحراء الغربية بما يُرضي كل الأطراف يمكن أن يتم في إطار المغرب العربي.

وهكذا عقدت قمة زيرالدا بالجزائر يوم 10 يونيو 1988 بحضور جميع قادة البلدان المغاربية، ثم تلتها القمة التأسيسية للاتحاد بمراكش 17 فبراير 1989، واحتضنت تونس أول اجتماع لمجلس رئاسة الاتحاد في يناير 1990 الذي استضافته ثانية في أبريل 1994.

وكان لقاء زيرالدا انطلاقة عاطفية أخذت الشكل المؤسساتي في العام التالي في المغرب، وكان واضحاً منذ الأيام الأولى أن الجانب العاطفي الذي نفخت في جذوته أطراف عربية من خارج المنطقة يمكن أن يكون عامل تشجيع على تحويل الحلم إلى حقيقة، ولكن الحلم يمكن أن يصبح وهما ثقيل الظل إذا لم يكن كل طرف مستعدا لتجاوز الأسوار الإقليمية الضيقة والمصالح الداخلية المحدودة[365].

في تلك المرحلة انطلقت فكرة إقامة وحدة بين الجزائر وليبيا، وكان من بين المتحمسين لها في الجزائر عدد من إطارات جبهة التحرير الوطني وبعض المثقفين، غير أنني، وأنا أعرف تاريخ المحاولات الوحدوية للعقيد القذافي، كنت متخوفا من هذه العملية، التي كان ردّ فعل الشارع الجزائري عليها بالغ السلبية.

كنت يومها بعيدا عن دائرة السلطة، فقد تمت تصفيتي في يناير 1984، لكن متابعتي للشأن العام أعطتني الشعور بأننا مقبلون على عاصفة كبرى، وهو ما كنت تناولته في سلسلة مقالات في الصحافة اليومية الجزائرية أسماها قراء كثيرون سلسلة "الطلقاء"، حيث كان محورها التذكير بمرحلة الفتنة الكبرى التي عرفها الإسلام، والتحذير من فتنة مشابهة يعد لها من أوحيت بأنهم صورة عصرية لطلقاء فجر الإسلام.

لكنني لم أتناول مشروع الوحدة بين الجزائر وليبيا من قريب ولا من بعيد، وأساسا لأن المعطيات الجوهرية، أو بمعنى أدق، خلفيات الجانب الجزائري لم تكن واضحة لدي.

وللتذكير فإن منتصف الثمانينيات عرف هزات اقتصادية بتراجع أسعار البترول، ومس انخفاض أسعار الدولار نحو 42 في المائة مي إيرادات الجزائر، وانخفضت عائدات البترول من 13 مليار دولار سنة 1985

---

[365] - من مقال كتبته في صحيفة الشرق الأوسط في 24 يناير 2002، وذكرت فيها بما كنت قلته من أن كثيرين كانوا ينادون بتكريم الاتحاد، بالإسراع بمواراته التراب في مقبرة التاريخ على أساس أن إكرام الميت هو التعجيل بدفنه، وهو ما كتبه بصراحة حادة واحد من كبار الكتاب السياسيين في الجزائر، وكان يعكس إلى حد كبير إحساس الجزائريين بالمرارة تجاه الأشقاء، بعد أن عُرقلت مساعي عقد اجتماع القمة منذ منتصف التسعينات، وأحست الجزائر بأنها تقف وحيدة أمام وضعية دموية رهيبة، محاصرة بين اللامبالاة من جهة والتشفي من جهة أخرى (وكنت أنا أيضا ذلك الكاتب)

وانخفضت عائدات البترول من 13 مليار دولار سنة 1985 إلى 7.88 مليار في السنة التالية، واختل ميزان المدفوعات الجزائري بصورة خطيرة، وتم تعديل قانون الميزانية في يوليو 1986 للمرة الثانية في تاريخ الجزائر.

في تلك المرحلة كان هناك حول الرئيس من يحبذ تقاربا أكثر مع ليبيا، في حين كان هناك من يذكر بأن المغرب يسعى نحو السوق الأوربية المشتركة، ويتساءل عن إمكانية ليبيا في الانضمام إليها، ويجيب الرئيس الشاذلي : إذا حاولنا عزل هذا البلد فإنه قد يتحالف مع الشيطان ضدنا[366].

ويستقبل الرئيس الشاذلي الرائد عبد السلام جلود ويقول له بدون تمهيد : إذا كان الأخ معمر يسعى دائما إلى بناء المغرب العربي فنحن في الحزب والدولة نسعى لنفس الهدف، وفهم العقيد آنذاك أن الشاذلي يقصد عقد معاهدة وحدة بين البلدين.

ويذهب محمد الشريف مساعدية، الرجل الأول في الحزب آنذاك، لمقابلة العقيد القذافي، ويعلن للصحافة الليبية : لا خيار لنا الآن، نحن أمام وضع يجب أن نضع فيه اليد في اليد، ولقد كلفني الرئيس بن جديد بتنشيط التعاون الجزائري الليبي، وفي الأسبوع التالي يأتي العقيد إلى الجزائر ليقول لنواب المجلس الوطني الشعبي : إذا أردتم الاتحاد مع ليبيا فسأتخلى عن الكتاب الأخضر وأقبل بالميثاق الوطني الجزائري.

كان مساعدية أكثر المسؤولين حماسا لفكرة الوحدة مع ليبيا، وكان يتحدث عن ملف يسمى مشروع "مصراتة"، ويتفاخر بأنه مشروع سيضمن تشغيل ثلاثة ملايين عاطل في مدى ثلاث سنوات[367].

ثم بدأت بعض الدلائل عن تصاعد التوتر الناشئ عن احتمال أن تعرف الجزائر أزمة في المواد الاستهلاكية، وهو ما كان البعض يعمل على تحقيقه بل وافتعاله أحيانا، حيث يبدو أن هناك من كان يُعدّ لأحداث أكتوبر 1988 باستثارة التوتر الشعبي الناجم عن نقص المواد الأولية.

وعرف شهر سبتمبر، الذي كان المفروض أن تنطلق به عملية الإعداد للوحدة، تصاعدا للتوتر الجماهيري، انطلق مع خطاب الرئيس الشاذلي بن جديد، الذي كان أسلوبه غاضبا، ومضمونه إدانة لكل شيء في البلاد، وقلت يومها أنني لو كنت في موقعي في رئاسة الجمهورية لما أذعت الخطاب على الإطلاق.

وجاءت بعده مباشرة أحداث أكتوبر 1988، ولن أخوض كثيرا في حديث تلك الوقائع لأنني لم أعشها من الداخل، وأمل أن يكون هناك من يملك المعلومات الكافية التي تؤهله لاستعراضها ورواية تفاصيلها.

وما عرفته عن الاتصالات الجزائرية الليبية قبل سبتمبر أنها كانت متواصلة، وكان حجار "يتنطط" ذهابا وإيابا بين طرابلس والعاصمة الجزائرية، وخرجتْ يومها فكرة كانت وراءها اقتراحات ليبية بمد أنبوب للغاز الطبيعي الجزائري بين جنوب البلاد والجنوب الليبي، طاقته 6 مليار متر مكعب من الغاز، وهو ما كان مربحا للطرفين على أساس أن نقل الغاز الليبي من الشمال إلى الجنوب عملية مكلفة، وربما رأى من يعملون وراء العقيد أن هذا أسلوب متميز يضمن العلاقات الدائمة بين البلدين.

لكن من كانوا يقفون وراء الرئيس الشاذلي كانوا يرون أن الاهتمام يجب أن يتركز على خط الغاز الموجه إلى إيطاليا عبر تونس، وضاعت فكرة الأنبوب الجزائري الليبي أدراج الرياح، وذلك بموازاة التقارب مع المغرب.

ويطلب الرئيس من حجار جس نبض القذافي حول إمكانية تحويل عدد من بواخر التموين المتجهة إلى السواحل الليبية نحو السواحل الجزائرية، ولا أعرف ماذا تم بالضبط يومها، لكن حجار أكد لي أن القذافي وضع تحت تصرف الجزائر، وبنفس الأسلوب الذي تم سابقا، وديعة بقيمة 200 مليون دولار.

لكن أحداث أكتوبر 1988 أجهضت فكرة الاتحاد الجزائري الليبي من أساسها وقضت عليها إلى غير رجعة، وأمل أن يكون هناك من يملك المعلومات الكافية التي تؤهله لاستعراض تلك الأحداث ورواية تفاصيلها، لأنها جزء رئيسي من العلاقات الجزائرية الليبية.

والذي حدث أن صحيفة الشروق الجزائرية نشرت يوم الأحد 25 سبتمبر أسباب رفض المؤسسة العسكرية (الجزائرية) للعرض الليبي المتعلق بإقامة مشروع إتحاد جزائري ليبي، حيث درست لجنة العمل المختصة التي أوكلت لها وزارة الدفاع مهمة دراسة العرض الليبي في شهر سبتمبر 1987، واستندت في

---

366 - محمد خوجة – سنوات الفوضى والجنون. ص 27/25.

367 - نفس المرجع – ص 39.

رفضها على المشروع التمهيدي للدستور، الذي حاول القذافي تمريره بالضغط على الرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد، الذي كاد أن يرضخ لضغوط القذافي لولا التحذيرات الصريحة والضوء الأحمر الذي صدر عن المؤسسة العسكرية، خاصة أن العرض الليبي تحدث عن إنشاء قيادة عسكرية مشتركة بين القوتين العسكريتين رغم التباين الفكري والاستراتيجي.

ملاحظات المؤسسة العسكرية مكنت من الإبعاد المسبق لكل المناقشات المتعلقة بالملائمة السياسية لمشروع هذا الاتحاد، إذ أصدرت مجموعة من التحذيرات الصريحة من مغبة التورط في اتحاد مع القذافي، وقالت صراحة إن المقترح تتهدده النتائج السلبية على كافة الأصعدة بداية من التأثيرات على سياسة الدفاع مرورا بتأثيراته على الصعيد الدولي والإقليمي، وخلصت المؤسسة العسكرية إلى استحالة الاتحاد مع دولة نظامها الدفاعي مختلف تماما على النظام الدفاعي الجزائري الذي يرتكز على العنصر الشعبي، بينما دور القوات المسلحة في ليبيا تبقى تشكيلتها متنافرة ومتكونة من عناصر أجنبية وضئيلة مقارنة مع المليشيات الشعبية واللجان الثورية.

كما نبهت المؤسسة العسكرية انذاك، من خلال لجنتها، إلى المسؤولية التي ستقع على عاتق الجزائر في الحد من الحماس الثوري للمسؤولين الليبيين الذين يفتقدون للمصداقية على الصعيدين الجهوي والدولي، كما حذرت من الآثار السلبية التي قد يثيرها الاتحاد مع ليبيا عند الدول الغربية، التي تنظر إلى تصرفات القادة الليبيين كعنصر مشوش غير ثابت وباعث لعدم الاستقرار في المنطقة، كما نبهت أيضا إلى أن الجزائر تنبذ الأفكار التوسعية على نقيض القذافي الذي لم يتخل يوما على أفكاره التوسعية، فقبل العرض الذي قدمه للشاذلي سبق للقذافي وأن قدم عرضا مماثلا للرئيس الراحل هواري بومدين، إذ عرض عليه إقامة إمبراطورية في منطقة المغرب العربي على حساب الجارتين تونس والمغرب، وعرض صراحة على الجزائر اجتياح المغرب وتوليه هو اجتياح تونس، وهو العرض الذي لم يرق لمستوى الدراسة يومها، مثلما عليه الشأن بالنسبة لعهدة الشاذلي، إذ "كان رد بومدين صريحا".

(..) وعلى الصعيد الإفريقي اعتبر أصحاب الوثيقة انضمام أعضاء دول المجموعة الإفريقية، أمر مستحيل، بسبب الأفكار التوسعية الليبية، والتي تعتبر تصرفاتها باعثة لعدم الاستقرار على مستوى القارة الإفريقية، كما أكدوا أن ليبيا لم تعترف كليا بمبدأ استقرار الحدود الموروثة غداة الاستقلال، وأشار إلى أن اتحاد الجزائر مع ليبيا يشكل عائقا لمبادئ السياسة الإفريقية.

وعلى صعيد البحر الأبيض المتوسط، سجلت المؤسسة العسكرية أن الاتحاد يحمل تأثيرا جوهريا على التوازن بالمنطقة، على اعتبار أن إدماج الأجهزة العسكرية الليبية والجزائرية، كما نص عليه المشروع التمهيدي للدستور من شأنه إدخال معطيات جديدة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط تعطي تفسير سلبيا لمشروع الاتحاد الجزائري الليبي لقوات حوض البحر الأبيض المتوسط، على اعتبار أن هذا التفسير يمكن أن يترجم بوضع وسائل ضغط ترمي لإضعاف الاتحاد، ونبهت الوثيقة إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار في صياغة القرار النهائي فرضية مشاركة مباشرة لقوات حوض البحر الأبيض المتوسط في تسيير وحل أزمة الصحراء الغربية.

على الصعيد الدولي، نظرت الجزائر للاتحاد على أنه يمكن أن يشكل الوسيلة المفضلة للتخفيف من الحدة الثورية للمسؤولين الليبيين، على اعتبار أن الجزائر ستكون بمثابة الإطار الملائم للحوار والمناقشة، غير أنها أكدت على ضرورة وضع نصب أعينها أن هذا الاتحاد قد يغير موقف قوات الدول العظمى اتجاه الجزائر المعترف بدورها الباعث للاستقرار، مستشرفة أن هذا الاحتمال يمكن أن يصطحب بضغوط عديدة سواء على المستوى الاقتصـادي أو العسكري.

(14)

عندك تفويض مُطلق (carte blanche)

الرئيس رابح بيطاط للدكتور عميمور

في خيمة القذافي - سرت

*

كان انتخاب الرئيس عبد العزيز بو تفليقة لرئاسة الجمهورية صفحة جديدة تفتتح في الجزائر، ولأن أهم أوراق الرئيس الجديد كانت المصالحة الوطنية فقد بدأ الاتجاه نحو إجراء استفتاء على قانون الوئام الوطني في الجزائر يتبلور تدريجيا، وفي الوقت نفسه بدأت الجزائر في الاستعداد لأول قمة تعقد على أرضها منذ سنوات طويلة، عاشت خلالها في ظل حصار رهيب جعلها تبدو، في المراحل الدموية، كجمل أجرب يتحاشاه الجميع[368].

وشكلت القمة الإفريقية النجاح الدولي الأول بو تفليقة، سواء فيما يتعلق بحجم الحضور أو بتنظيم الأشغال أو بربط الصلات الوثيقة مع أهم القيادات الإفريقية، وفي طليعتها قيادة إفريقيا الجنوبية، أو بتأكيد الدور الطلائعي لإفريقيا الشمالية، مع التذكير بأن الخرجة الدولية الأولى للرئيس كانت لمنتدى دافوس[369].

كانت الجزائر تدرك مدى النفوذ الإفريقي للعقيد القذافي (وبغض النظر عن المعطيات الموضوعية لذلك) وكان القذافي يومها مصابا في حادث سيارة كما قيل وكان يسير على عكازين، ومن هنا كانت تحرص على وجوده في القمة، وكان هو يحرص أيضا على ذلك لأنه يعطيه، كما تصور، وجودا سياسيا جديدا على الساحة الجزائرية، قد يسهل له علاقاته مع طوارق الجنوب باستبعاد أي ضغوط يمكن أن تفرض عليهم نتيجة لاتصاله بهم.

وقرر الرئيس إرسال وفد متميز يقوم بدعوة العقيد، وهكذا ذهبنا على رأس وفد "شعبي" إلى الجماهيرية تشجيعا للعقيد القذافي على المشاركة وضمانا لاشتراك "أصحابه" من القادة الأفارقة، وضم الوفد، الذي ترأسه رئيس الدولة السابق الأخ رابح بيطاط، عددا من كبار المناضلين من بينهم محمد الشريف مساعدية والهاشمي حجريس والهادي خديري وغيرهم.

ونزلت بنا الطائرة في مطار سرت، وهناك تم اقتيادنا نحو منطقة بدت قاحلة فوجئت بأن في أحد جوانبها "سكانير" من النوع الذي تعرفه المطارات، وبالطبع كان علينا أن نمر خلاله.

وسرت وراء الأخ محمد الشريف مساعدية فإذا بنا نفاجأ بعد العبور بضابط يشهر في يده جهاز الكشف عن المتفجرات ويتأهب لتمريره على جسم محمد الشريف، وهنا لم أملك إلا أن أصرخ فيه، واضطر المسكين إلى التراجع بعد أن خلته سيطلق عليّ النار.

ووصلنا إلى خيمة كبيرة وجدنا فيها كرسيا وثيرا بجانبه مائدة عليها جهازيْ هاتف، وأمامه صفوف من الكراسي العادية يجلس عليها من يستقبلهم العقيد، وهم غالبا من جماعات اللجان الشعبية وأمثالهم.

ولم أستطع احتمال هذه الوضعية التي رأيت فيها إهانة لبلد في مستوى الجزائر، ولم يكن ممكنا أن أترك الأمر يمرّ بدون تسجيل موقف، برغم أنني لم أكن أتحمل أي مسؤولية في الوفد، بل كنت مجرد عضو في مجلس الأمة، وتذكرت موقف الرئيس بيطاط أمام طائرة العقيد في مطار الجزائر، وتلفتّ إلى الرئيس أستأذنه في التصرف تجاه هذا التنظيم البروتوكولي الهزلي بعد أن لاحظت استياءه، فقال لي، رحمه الله : عندك تفويض مُطلق (carte blanche) وهنا رحت أحتج بصوت مرتفع، مهددا بالخروج من الخيمة ومغادرة ليبيا تماما، ليفهم رجال التشريفات الليبية أن الوفد الجزائري يضم رئيسا سابقا للدولة وشخصيات سياسية سامية ليس وفدا من طلبة المدارس الابتدائية أو صغار الكشافة.

واقترب مني سفيرنا في طرابلس ليحاول تهدئتي هامسا بأن هذا هو النظام المتبع هنا، ونظرت له بحدة وقلت: "إما أن تدعمني وإما أن تعود لمكانك وتسكت"، وابتعد عني فعلا مُعطيا صورة عن سلبية بعض سفرائنا، ممن ينطبق عليهم المثل الشعبي : حشيشة طالبة معيشة.

وبدأ رجال الأمن الليبي في التجمع حولي وأعينهم تقدح بالشرر، وجاء على صوت الضجيج الأخوان علي التريكي وسليمان الشحومي، وهما من الدائرة المقربة للعقيد، وفوجئ الجميع بوصلة من العناق جعلت

---

[368] - (انظر: سلسلة "لله وللوطن" – دار موفم ، وانظر كذلك للمؤلف : الجزائر، الحلم والكابوس : دار الفارابي في بيروت ودار هومة في الجزائر) وكنت وضعت كل ثقلي لدعم ترشيح عبد العزيز بو تفليقة بمبادرة ذاتية.

[369] - تألق الرئيس بو تفليقة في دافوس خصوصا عندما توجه له وزير إسرائيلي سابق بسؤال أجاب عليه بشكل عادي جدا سحب من السائل فرصة استثمار الأمر بافتعال الضجيج ضد الدول العربية التي ...تعادي السامية.

رجال الأمن والتشريفات يراجعون ردود فعلٍ لعلهم اعتزموها، وعندما عرف الصديقان، ولم أكن أعرف وجودهما هناك، خلفية احتجاجي، أعطيت الأوامر لتلبية طلبي على الفور، ووضع على يمين ويسار كرسي العقيد كرسيان مماثلان جلس عليهما كل من بيطاط ومساعدية، الذين صافحهما العقيد وحدهما عند دخوله، وسارت الأمور كما أردت.


مساعدية


بيطاط

وجلست أنا في الصف الثاني وفي مواجهة العقيد الذي مسح الحضور بنظراته المألوفة ولم يتوقف عند أي من الحضور، بمن فيهم أنا بالطبع، لكن لقاء العقيد كان ممتعا، ولم يبد عليه أنه يعرفني أو أن بيننا أي تاريخ مشترك، ولا أعرف إذا كان قد احتج مرة أخرى لدى القيادة الجزائرية الجديدة على وجودي أم لا.

وسعدت عندما عبر بعض الرفقاء عن تقديرهم لتحركي وارتياحهم لأنني لم أترك الأمور توحي بأننا يمكن أن نقبل كل شيء، وقال البعض بأنني مشكور لأنني انتصرت لشخصيات من وفدنا.

ونظر لي أحدهم بعد أن انتهى الأمر نظرة من يرى في الأمر شيئا مفروغا منه لا فضل فيه لأحد، رغم أنه انتحى جانبا عندما كنت أصرخ منددا، ولم أعلق فقد ألفت أمثال هذه المواقف السلبية.

وكان أكثر الجميع تعبيرا عن ارتياحه بل وإعجابه محمد الشريف مساعدية.

وفي المساء أقام العقيد حفل عشاء متميزا للوفد الزائر حضره بنفسه، وهو ما لم يكن مألوفا بالنسبة لوفود لا يقودها رئيس فعلي للدولة، وخلال العشاء أيضا لم يبدِ العقيد أي بادرة نحوي، وكنت في الواقع أنتظر طوال السهرة أن يأتيني أحد رجال التشريفات قائلا بأن العقيد يرغب في رؤيتي، وكان هذا بالنسبة لي، وخصوصا بعد قضية الكراسي في الخيمة والتي أجزم أن الأمر فيها أعطي من العقيد شخصيا، دليلا على أن العقيد كان يعرف وجودي في الوفد، وأراد أن يمارس معي استعلاءه المعروف، ولعله كان ينتظر أن أطلب أنا لقاءه أو أتجه نحوه لمصافحته للمرة الأولى منذ أكثر من عشر سنوات.

لكنني لم أتخذ أي خطوة تجاهه، لأن البرتوكول ينص على أن رئيس الدولة هو الذي يبادر بالمصافحة، ولم أكن مستعدا لأجد نفسي في موقف يفرض علي رد فعل قد يفسد هدف الزيارة كلها.

ولا بد من الاعتراف بأن مشاركة القذافي في القمة الإفريقية فعالة إلى أقصى الحدود، وشارك إلى جانبه عدد هام من الرؤساء الأفارقة بحيث كانت قمة الجزائر الإفريقية عام 1999 من أنجح القمم، وكانت دعما دوليا للرئيس عبد العزيز بو تفليقة في مطلع عهدته الرئاسية الأولى.

وأظن أن الرئيس لم ينس ذلك للعقيد، وتحمل الكثير من حماقاته إكراما لموقفه مع الجزائر، والتي أدت إلى مشاركة رؤساء أفارقة كان من المحتمل أن يترددوا، لولا تشجيع العقيد.

ولن أتوقف كثيرا عند القضايا التي أزعجت المضيف الجزائري، الذي كانت القمة أول إنجازاته بعد ليل دموي طويل، وكان من أسهل القضايا قضية الخيمة الشهيرة التي ألف العقيد أن ينقلها معها إلى كل بلد يزوره والتي ترتفع تكاليف نقلها إلى ما يعادل ثمن بناء فيلا جديدة، فذلك شأن العقيد.

لكن يوم الافتتاح أتي معه بمشكلة كان يجب أن تجد حلا.

كان العقيد يومها يسير مرتكزا على عكازين إثر كسور أصيب بها نتيجة لانزلاقه كما قيل، وكان المكلف بالتشريفات الجزائرية قد رأى أن ينتقل الرؤساء من فندق "شيراطون" إلى قصر الأمم بحافلات ضخمة، تفاديا للمشاكل المألوفة عند زيادة عدد السيارات التي تقل الرؤساء ورجال أمنهم ووزراءهم.

ونظرا لحالة العقيد القذافي رئي أن يتمتع بالانتقال بسيارة خاصة، كان في واقع الأمر قد أرسل بها من ليبيا، لكن العقيد رفض عند الوصول أن يدخل إلى القاعة الشرفية التي يجتمع فيها الرؤساء قبل دخولهم إلى قاعة المؤتمر، وأصر على أن يدخل القاعة صحبة رئيس المؤتمر، الرئيس عبد العزيز بو تفليقة، وجاءه السيد

نوري المسماري مدير تشريفاته وكبير مرافقيه بكرسي حمله شخصيا ليجلس عليه بجوار مدخل المطعم في انتظار تكامل عدد الرؤساء ودخولهم إلى القاعة قبل رئيس المؤتمر[370].

واستطاع يزيد زرهوني، وزير الداخلية ورئيس لجنة تنظيم المؤتمر، إقناع العقيد بتكامل عدد الرؤساء وهكذا اصطحبه إلى القاعة الشرفية ليدخل مع الجميع.

لكن العقيد كان مصمما على أن يكون له وضع خاص في المؤتمر.

وكان تنظيم المؤتمر قد ارتأى أن تخصص ثلاثة مقاعد في صدر القاعة يجلس عليها، في مواجهة المؤتمرين، الحاضران من الأعضاء المؤسسين لمنظمة الوحدة الإفريقية، وهما الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بله والرئيس التانزاني الأسبق جوليوس نيري، وأجلست في الكرسي الثالث حرم رئيس جنوب إفريقيا توم امبيكي، تكريما لزوجها، ولأنها كانت حرم الرئيس الوحيدة في المؤتمر، ولم تكن عضوا في وفد بلادها.

ويروي لي مدير التشريفات الجزائري قائلا بأن السيد نوري (والذي انشق فيما بعد على نظام العقيد واستقر في فرنسا) حمل بنفسه مرة أخرى كرسيا وضعه إلى جانب الكراسي الثلاثة، وهكذا فرض الأمر الواقع وجلس العقيد حيث لا يحق له أن يجلس، وكان واضحا أن ذلك تم بتعليمات منه.

وأكد لي هذا بعض خلفيات مناداة العقيد فيما بعد بإنشاء الاتحاد الإفريقي على أنقاض منظمة الوحدة الإفريقية، والتي كانت قمة الجزائر آخر قممها العادية، حيث عقدت فيما بعد قمة سيرت الاستثنائية وولد الاتحاد الإفريقي، الذي كان الصورة المقبولة إفريقيا لمشروع الولايات المتحدة الإفريقية الذي تقدم به العقيد.

وفيما بعد حرص الرئيس عبد العزيز بو تفليقة، لتأكيد امتنانه، أن يسجل حرص الجزائر على سلامة ليبيا، ويقول شلقم في هذا أنه : في 2001 في بداية عهد جورج بوش الابن في الرئاسة، طلب مني معمر قبل ذهابي إلى الجمعية العامة أن أقابل الرئيس عبد العزيز بو تفليقة وأطلب منه أن يكلم بوش لتطبيع العلاقات بين واشنطن وطرابلس، وقابلت الرئيس بو تفليقة فأعلمني أن لديه موعداً في اليوم التالي مع الرئيس بوش وسيبلغه، وبعد يوم من اللقاء امسكني بو تفليقة من يدي في الممر بين الجمعية العامة ومجلس الأمن وقال لي: قابلت الرئيس بوش ويقول لك التالي: "إما أن تنزعوا أسلحة الدمار الشامل أو سيدمرها هو بنفسه ويدمر كل شيء من دون نقاش"، وقلت للرئيس أنني قلت هذا الكلام للأخ معمر فقال لي أنت جبان وخانف، فقال لي الرئيس بو تفليقة: بلغه أن لديك شقيقاً في الجبن والخوف هو عبد العزيز بو تفليقة، وكنت أبلغت القذافي أن علينا التخلص من هذا البرنامج فنحن لا نحتاج (هذه الأسلحة) وليس لدينا عدو، ولا أرض محتلة، وتخزينها صعب وقد تتسرب وتتسبب بكارثة ولدينا أولويات (تجاه) شعبنا فاعتبرني القذافي فزّانياً جباناً (فزّاني نسبة إلى أهل الجنوب وهم ناس طيبون يحبون القرآن وغير عدوانيين فيعتبرهم البعض جبناء، فليس بيننا قطاع طرق أو من يهجمون على قبيلة لأخذ ابلها فهذا في عرفنا حرام، وأغلبهم يعيشون في واحات وهم متدينون ويقرءون القرآن ولا يأخذون مالاً حراماً) ويواصل شلقم حواره مع "الحياة" فيقول: كانت هناك قمة إفريقية في "مابوتو" في "موزمبيق" وكنت أنزل في فيلا ومعي عمرو موسى وجلسنا سوياً إلى العشاء فاتصل بي نوري المسماري مدير المراسم في ليبيا وقال لي "الأخ القائد يريدك أن تأتي بسرعة"، فسألته مَنْ معه؟ فقال "معه الرئيس بو تفليقة"، فاستأذنت عمرو موسى وذهبت إليه فوجدت معه الرئيس الجزائري، وبعد السلام قال: ها قد جاء عبد الرحمن (شلقم) فأبلغني (موجها حديثه لبو تفليقة، للتأكد على ما يبدو من رواية شلقم) ما قصة إنه شقيقك في الجُبن؟ فروى له القصة. انتهى

عودة إلى البدايات

[370] - وصل الرئيس المصري محمد حسني مبارك إلى العاصمة الجزائر متأخرا وهكذا جاء إلى مقر المؤتمر في نادي الصنوبر من المطار على متن سيارة خاصة، وكان الاستثناء الثاني في المؤتمر بعد العقيد القذافي.

(1)

التبني حرام في الإسلام، وباعتبار أن مجلس الأمن **تبنى** قرار فرض الحظر الجوي على ليبيا فالقرار يعد باطلا.

هالة المصراتي في التلفزة الليبية الحكومية

*

عندما استيقظت صباح السبت 19 مارس كنت في وضعية إحباط لم أعرفها في حياتي، بعد أيام قضيتها معلق النظرات بشاشة التلفزة ومحركا إصبعي على أزرار موجّه القنوات بحثا عن أخبار ليبيا عبر كل الفضائيات المتاحة، وللأسف الشديد، بعيدا عن قنواتنا الوطنية، التي فشلت في إشباع غليلنا وطمأنة النفوس[371].

كان مجلس الأمن قد أصدر مساء يوم 17 مارس 2011 قرارا بفرض الحظر الجوي على ليبيا، وكانت مشاعري متناقضة، فقد كانت القوة السياسية الرئيسية وراء اتخاذ القرار هي الجمهورية الفرنسية بقيادة نيكولا ساركوزي، وكان هذا في حد ذاته مبررا كافيا لكي أندد بالقرار وبمن يؤيد القرار وبمن يسعى لتطبيقه ضد بلد عربي ارتبط تاريخه في ذاكرتنا بكل ما هو نبيل وشريف.

لكن الوضع الذي عاشه الشعب الليبي منذ شهر كان مأساويا لدرجة أن استعمال آخر الدواء بدا ضرورة لا بد منها، خصوصا وقد كان تحذير ابن القذافي لسكان بنغازي واضحا، ووقاحته كانت تتجاوز سخافته، وأكدت نواياه الشريرة التجمعاتُ العسكرية المتجهة نحوها ووحشية القصف الذي بدأ ينهمر على ضاحيتها الغربية، مما كان يهدد بمذبحة تتضاءل بجانبها "سربرينيتسا"، التي كانت ترجمة واضحة لإرادة استئصال يحركها حقد كليل البصر أعمى البصيرة.

واسترجعتُ على الفور خطب العقيد معمر القذافي وابنه منذ أحداث 17 فبراير في بنغازي شرق ليبيا، والتي كانت في بدايتها تظاهرات عادية لم ترفع سلاحا ولم تحرق سيارة ولم تتلف بناية بل ولم ترفع علما معاديا لنظام العقيد، ولكن الزعيم الليبي جرؤ على إلقاء خطاب أنكر فيه مجرد وجود أي تظاهرة في ليبيا، وأنكر بالتالي أن تكون ووجهت بالرصاص الحيّ، وأصبح ردّ الفعل الرسمي في ليبيا أمرا لا يمكن أن يوصف إلاّ بالسفه وبالجنون بل والإجرام، ونجح العقيد في تحويل تظاهرة سلمية عادية كان يمكن أن تمرّ بهدوء إلى انتفاضة مسلحة اضطر إليها الشعب الليبي إثر عمليات القمع العنيف الذي ووجه به.

وبدلا من كلمات حكيمة تتعامل مع المتظاهرين كشباب نقي يُمكن أن نقول أنه لا يملك كل المعطيات، وهو يندفع بدون حساب للنتائج السلبية، تصرّف والدُ الأمة وإمامُها معهم ككفار خرجوا عن الملة فجرؤوا على إنكار زعامته الإلهية، وقدّم المتظاهرون كشراذم من عملاء "القاعدة" يسيرون بالحبوب "المهلوسة" ويمارسون التخريب والتدمير، تحولوا في نهاية شهر أبريل، كما يقول زيف الإسلام، إلى تجار مخدرات.

وأتوقف لحظات عند قضية الحبوب "المُهلوسة" أو المخدرات بشكل عام[372].

---

[371] - ألاحظ هنا أنني أتوسع كثيرا في استعراض الأوضاع استنادا إلى مصادر كثيرة، والسبب هو أنني لاحظت أن تسارع الأحداث وكثافة المعلومات وتعدد المصادر جعل من الصعب على القارئ غير المتخصص متابعة كل ما يحدث، ناهيك عن فهم كل المعطيات بوضعها جنبا إلى جنب، وبالتالي فلا أجد نفسي مضطرا إلى الاعتذار عن الإطالة.

[372] - قالت هاجر محمد القريف من الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا لمجلة كل الوطن الإلكترونية السعودية بتاريخ 24 أبريل : القذافي لم يكتف باستخدام الصواريخ والقنابل والمدرعات والأسلحة الثقيلة ضد الشعب الليبي ولكنه استهدف النساء أيضاً عن طريق عمليات الاغتصاب وهتك الأعراض المنتشرة الآن في ليبيا، بعد أن زود كتائبه بعقاقير منشطة جنسياً كـ"الفياغرا" واستخدامها كسلاح يستهدف النساء ، ومن المعروف أن هذه الطريقة تستخدم كأحد أسلحة الحروب القذرة، وصنفها مجلس الأمن ضمن جرائم الحرب، وتركزت حالات الاغتصاب والاعتداءات الوحشية في مناطق "رأس لانوف" و"أجدابيا" وحتى "مصراته" ، لافتة إلى مدي وحشية استخدام سلاح الاغتصاب المدمر على جسد ونفسية المرأة تلك الآلام التي لا تنتهي ، ولا يمكن الشفاء منها بسبب تداعياتها وتأثيرها السلبي على حياة المرأة ومكانتها الاجتماعية ومستقبلها، وتضيف القريف : نحن ننتظر لجنة التحقيق الأممية التي وعدت أنها ستزور ليبيا برئاسة الدكتور شريف البسيوني للنظر بجميع الانتهاكات، وخاصة فيما يتعلق بعمليات الاغتصاب والانتهاكات الإنسانية ضد المرأة وعمل لجنة لتقصي الحقائق وجمع المعلومات الخاصة بالعدد الدقيق للنساء اللواتي تعرضن لهذا النوع من العنف، كما قررت مجموعة من نساء مدينة البيضاء شرقي ليبيا محاكمة معمر القذافي على جميع جرائم الاغتصاب وهتك العرض التي ترتكب يومياً.

فلعل العنف الرهيب (والذي عرضته فضائيات عدة، عربية وغير عربية) الذي تعاملت به كتائب القذافي مع الشعب المُسالم، وخصوصا مع من قبض عليهم من الثوار وكانوا في معظمهم جرحى، بالإضافة إلى ما يتردد من عمليات اغتصاب واسعة النطاق، يفرض علينا أن نتصور أن عناصر الكتائب كانت فاقدة الوعي تماما بما تفعله، وسواء كان ذلك بتأثير كلمات تحريض أو أقراص تخدير، فقد تجاوز عنفها ما شاهدناه من إجرام ضباط الأمن المركزي المصري وبلطجيته، وعناصر الأمن السوري وشبيحته ونبيحته (وهي كلمة جديدة على وزن شبيحة اشتقتها الجماهير من النباح) ومرتزقة علي صالح في اليمن ومسلحيه.

ولست أدرى لماذا ينسى كثيرون أن نظام القذافي لا يستند إلى أي شرعية شعبية، لأن هذه يتم التعبير عنها بانتخابات حرة نزيهة شفافة، فالرجل انقض على الحكم بمبررات كان هو أول من تناقض معها، ولم يقل لنا أحد بالطبع من الذي أعطاه حق التشبث بكرسي الحكم والتصرف المطلق في ثروات البلاد أكثر من أربعين سنة، فهذه أمور سيُعتبر طرحها من باب قلة الأدب، خصوصا وهو يصر على أنه زعيم ثورة وليس رئيس دولة وإلا... "لرمى باستقالته في وجوه الجميع"، هكذا، بهذه الوقاحة السمجة.

وإذا كان ممكنا القول أن حسني مبارك أو زين العابدين بن علي أو على عبد الله صالح قد تلقوا مبايعة جماهيرية، حتى ولو اتسمت بالتزوير الفاضح أو النسبي، فإن العقيد لم يتقدم أبدا لأي استفتاءات جماهيرية تبرر السلطة المطلقة، التي تمكن من انتزاعها بالقضاء على كل من رافقوه ليلة الفاتح من سبتمبر 1969.

وسقط القناع عن ابنه، الذي كان يقدم لنا نفسه كبديل المستقبل العاقل المثقف لنظام اقترب عمره الافتراضي من نهايته الحتمية، و هكذا خرج "زيف" الإسلام يهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور، ويهز سبابته في وجوه الناس محذرا إياهم بأنه .... لن يكون هناك نفط .... ولن يكون هناك غاز، وكان هذا وذاك من إفرازاته اليومية، من لُعاب وغير ذلك[373].

ثم راح، بأسلوب الفتى المدلل (Play boy) الغاضب من خدمه وحاشيته وجواري والده، يحذر من عواقب رفض الزعامة القذافية، ويبشر بحرب أهلية تأكل الأخضر واليابس، وبتفتت ليبيا إلى شرائح قبلية، وبعودة الاستعمار بكل طغيانه وتجبره، فهذا هو البديل عن القبول بحكم آل معمر منيار القذافي، وبدون أن يقول

وأطلعت مجموعة من الناشطات الليبيات اللاتي تعملن في المجال الاجتماعي السفيرة ليلى نجم، مدير إدارة الصحة والمساعدات الإنسانية ورئيسة البعثة الإنسانية المشتركة للجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي في ليبيا، على جهودهن في تشكيل هذه المحاكمة خلال الفترة القادمة.ويذكر أن هذه المجموعة التي رفضت الإفصاح عن هويتها قالت إنه نظرا لحساسية هذه القضية في المجتمع الليبي المحافظ المتمسك بعاداته وتقاليده، فلقد تقرر تكليف طبيبات بتقصي المعلومات من الضحايا الموجودات بالمدينة، وكثيرات منهن لاجئات من مدن أخرى. وأوضحت المجموعة التي تشكلت خلال ثورة "17 فبراير" واسمها جمعية ليبيا الكرامة أن الطبيبات سيستمعن إلى شهادات الضحايا وسيطالبن المجتمع الدولي بإرسال لجنة لتقصي الحقائق حول هذا الموضوع، وطالبن الجامعة العربية بتبني قضيتهن.

وينشر موقع "كل الوطن" في 11 نوفمبر 2011 خبرا جاء فيه : أحيلت العديد من ملفات النساء الليبيات اللواتي خطفن واغتصبن من قبل كتائب القذافي للتحقيق ومحاسبة مرتكبيها، وكان لمدينة زوارة النصيب الأكبر في مأساة عدد من نسائها وفتياتها.

كاميرا "العربية" التقت بعض النساء اللاتي تعرضن للاعتداءات، وعبرن عن أملهن في بدء صفحة جديدة لحياتهن في ليبيا ما بعد القذافي، فلم يتوقع أهالي مدينة زوارة رفع علم الحرية في عهد القذافي، لكنهم ينطلقون الآن في بلدتهم، وهي تنزف لما تعرضت له بعض فتياتها من اعتداءات على يد مقاتلين في كتائب القذافي قبل سقوط النظام، ورغم أن الحديث في هذه القضية بدا حساساً وجارحاً بسبب قسوة الانتهاكات، لكن بعض الفتيات تجرأن وقصصن لـ"العربية" كيفية تعرضهن للاغتصاب علي يد كتائب العقيد القذافي، فنيروز فتاة تعرضت للاختطاف والتعذيب، ولم تتوارى عن الأنظار، بل كشفت عن وجهها وخرجت تحكي للعالم مأساتها وكيف تعرضت للتعذيب والاغتصاب على مدار 3 أيام، وإن لم تقل كلّ الحقيقة. وتبذل الناشطة الحقوقية رباب حلبي جهوداً كبيرة من أجل معالجة تبعات حالات الاعتداء على فتيات المنطقة، وتحدثت لـ"العربية" عن صعوبة وحساسية القضية، موضحة أن غالبية الفتيات يتم ترحيلهن إلي تونس حتي لا يفضحن وينكشف سرهن وأمرهن، وكشفت التحقيقات عن المتورطين في هذه القضية، وأحيلت قوائم بأسماء المطلوبين إلى المجلس العسكري في زوارة، ويبدو أن الآلام لم تبدد نشوة الثورة، فالحرية وحدها كانت كافية لثوار زوارة للسهر على حماية مدينتهم رغم الجراح، مرددين هتافات لا تنقطع قائلين "الله أكبر الله أكبر". عشرات الفتيات والنساء الليبيات تعرضن للاختطاف والاغتصاب وقت اندلاع الثورة على أيدي كتائب القذافي، لكن ربما كان انتصار الثوار بارقة أمل لهنّ لبدء صفحة جديدة في ليبيا من دون القذافي، وإن كانت قسوة المجتمع وسطوة التقاليد والأعراف أكبر.

[373] - يقول عبد الرحمن شلقم، المندوب الليبي في الأمم المتحدة المستقيل بأن سيف الإسلام هو أسوأ إخوته، وكراهيته للشعب تفوق كراهية أبيه، بينما يقول عنه عبد السلام بأنه تافه، والصورة التي أعطيت عنه هي صورة زائفة.

لنا بداية ... من هو، وماذا يؤهله للحديث باسم دولة عضو في كل المنظمات الدولية والجهوية، والمفروض أن فيها شخصيات سيادية ومراتب قيادية تسير أمورها[374].

وتواصل الكذب الفاجر الأحمق مع الأيام الأولى للانتفاضة، فنفى العقيد، بصوته وصورته وأسلوبه المتعالي، بأن هناك تظاهرات شعبية على الإطلاق، في حين تظهر اللقطات المتلفزة كذب ما يقوله بالصوت والصورة، ثم نفي إطلاق الرصاص وسقوط ضحايا في حين تبرز الصور لقطات أليمة من مشرحة المستشفيات ومن جنبات المقابر، ثم طلع علينا بأكذوبة مضحكة تقول بأن مدينة "البيضاء" شهدت ولادة إمارة إسلامية أقامتها "القاعدة"، ناسيا أن البعبع الإسلامي أصبح مجرد وحش ورقي منذ ثورة تونس ومصر، وأن الغرب لم يعد يصدق أسطورة الخطر الإسلامي، وأن الإرسال المتلفز من البيضاء موجود بشكل مباشر، والمراسلون، الذين قتل زبانيته أحدهم بدم بارد، ينقلون ما يحدث أولا بأول.

وتبث التلفزة خطابا مسجلا للعقيد كان واحداً من أسوأ خطبه، فقد أُعدّ داخل "ديكور" مضحك في مدخل "البيت الصامد"، كما يسميه، في "باب العزيزية"، ورغم أن البيت موجود في أكثر مواقع الأرض تحصينا فقد كان المنبر وراء حواجز من زجاج بدا وكأنه مضاد للرصاص، وكان المستمعون له في عين المكان بعض أفراد من الحرس وعناصر الأمن، وشعرتُ بالخجل وأنا أسمعه يخرج عن كل منطق خطابي ويتشنج مدعيا أن الجماهير التي شككت في زعامته وخرجت عن طاعته جرذان يجب متابعتهم ...زنقة زنقة[375].

ثم يصل في نفس الخطاب إلى مستوى البلطجية، فيهدد شعبه ضمنيا منكرا إياهم بقصف الأمريكيين للفالوجة والشرطة الروسية لمختطفي الأطفال في مدرسة روسية وبسحق المتظاهرين الصينيين في ساحة "تين إين منه" بل وبقنبلة الدوما (البرلمان الروسي) من قبل عسكر "إيلتسين"، وكان هذه الأمثلة، التي يخجل منها اليوم من ارتكبوها، هي منطقهُ في مواجهة شعبه، وهي القدوة التي يحتذيها وسوف يطبقها حرفيا[376].

---

374 - يقول أحمد الهوني احد مستشاري سيف الإسلام في الغارديان (ترجمة القدس العربي 6 أبريل) أنه في ليلة 19 فبراير انهي خطابا أعده لسيف الإسلام، ووضع فيه نقاطا تبرز أهمية الحديث بلغة تصالحية، وضرورة الاعتذار عن الضحايا الذين قتلوا في بنغازي، وتؤكد على إصلاح النظام السياسي في ليبيا والذي يترأسه والده منذ أربعة عقود. وقال الهوني: "كتبت له ما يجب أن يقوله، وانه يجب أن يعتذر لعائلات الضحايا، ولكن عندما ذهب لوالده قام الأخير بتغيير الخطاب".

وعندما ظهر سيف الإسلام على التلفاز بدا وكأنه نسخة عن والده. وبعد الخطاب ترك الهوني البلاد بعد أن كتب رسالة مفتوحة لسيف الإسلام اتهمه فيها بأنه يلبس عباءة والده التي لوثتها أربعون عاما من الحكم. وكان خطاب سيف الإسلام في حينه مخيبا لكل من عرفوه في الغرب وأدى لحملة شرسة عليه في الإعلام وتحقيقات في ماضيه الأكاديمي.

[375] - يجمع المراقبون أن القذافي يهوى الظهور الإعلامي في الأماكن الغريبة وهو ما تعكسه خرجاته الإعلامية من فوق السطوح وداخل سيارة تشبه "التوك توك" ورأيناه يرفع مظلة في عدم وجود أمطار أو شمس محرقة، وبجانب الجدران المهشمة قبل عقود ليحاول تصوير مشهد إثبات وجوه على هرم الخارطة السياسية في ليبيا رغم أن كل المؤشرات تؤكد انهياره، . وهكذا كان ظهوره الأول طويلا ويحمل الكثير من الحماسة الممتزجة بالخوف لدرجة مزقت ملابسه من إبطه فسجل أول خطأ في مسيرة خطابته، ثم رأيناه من فوق سور مبنى تاريخي في الساحة الخضراء، أطل منه في ثالث خطاب يحمل واحدة من أبرز الأخطاء التي تضاف إلى جملة الأخطاء التي تضمنتها منابر الظهور الإعلامي للقذافي، منذ أن أصابته أنفلونزا الثورات العربية/ واستمرت فنتازيات الأخطاء في خطابات القذافي لتبلغ حد الاعتراف بسرقة المال العام الليبي عندما تحدث عن تمويله لحملة ساركوزي الانتخابية من المال العام الليبي دون وجه حق، ثم ظهر القذافي بملابس شتوية وهو يستقبل ضيفه الروسي رغم أن صور الزيارة تم تسجيلها في عز الصيف، وسجلت الحملة الدولية نصيبها في إرباك القذافي حتى وهو يخطب صوتا من دون صورة كما هو حال آخر خطاب له الذي شمل آخر ثلاث هفوات للعقيد في مسيرة الأخطاء التي حاولنا رصدها، ففي حديثه أمس الأول قال القذافي أن عدد الشعب الليبي 3 ملايين وهو ما يخالف الإحصائيات التي تؤكد أن عددهم 5 ملايين، فهل أراد القذافي الإشارة إلى تقسيم ليبيا أم أن أوراق التاريخ بدأت تسقط من لسانه الذي أخطأ بها أيضا في حق الشعب الجزائري قائلا أن حرب فرنسا لم تكن ضد الجزائر شعبا وأرضا بل ضد جبهة التحرير الوطني. (محمد علال - الفجر الجزائرية - 19 يونيو - بتصرف).

[375] - ردد سيف الإسلام القذافي نفس التهديدات في حديثه لواشنطون بوست، وهو ما أستنتج منه أنه كان يردد آليا ما يقوله العقيد ويصادق على كل ما يفعله، ولأنه لا يبدو أن الابن يتمتع بعبقرية خاصة لا أملك إلا أن أذكر بمكاتب الدراسات التي سبق أن أشرت لها، ويقول جهاد الخازن (الحياة 17 أبريل) بأن زيف الإسلام حصل على دكتوراه من مدرسة لندن للاقتصاد، دفع ثمنها عدّا ونقدا، ولم يفعل للدكتوراه غير مجرد ترديده على الجامعة الشهيرة.

[376] - موسى كوسا، والذي يسمونه "الصندوق الأسود للنظام" (على غرار الصندوق الأسود للطائرات) من مواليد طرابلس عام 1949، حاصل على ماجستير في علم الاجتماع من جامعة متشغان عام 1978. وبدأ حياته المهنية في أجهزة الاستخبارات الليبية عام 1979، وعمل سفيرا في لندن ولكنه طرد منها إثر مصرع شرطية بريطانية برصاص أطلق من داخل السفارة، فواصل شغل المناصب الأمنية وتخصص في تصفية المعارضين الليبيين في الخارج، وله تنسب عملية تصفية منصور الكخيا، وشغل منصب مدير الأمن الخارجي لمدة 15 سنة وتم تعيينه وزيرا للخارجية في مارس الماضي، ويعتبر مهندس تفكيك البرنامج النووي الليبي وإخراج ليبيا من عزلتها الدولية بتصفية ملف لوكربي، واختفى موسى فترة عن المشهد الليبي في مارس 2010 وقيل أن ذلك جاء إثر خلاف حاد له مع المعتصم القذافي الذي صفعه، ولكن العقيد

كان خطاب "العزيزية" الأول وصمة عار لأي زعيم سياسي، واستثمرت عدّة فضائيات أسوأ ما فيه، وحوله ناشطون إلى أغان ورقصات كوميدية، وكان خطابا حفل بالتناقضات التي تدين النظام كله.

ولقد ادعى العقيد أن الملايين وراءه وأن كل الشعب الليبي يفديه بنفسه، لكننا، وخلال ما يقرب من شهرين، لم نسمع صوتا ليبيا واحدا يمكن أن نعتبره ممثلا معتبرا للشعب الليبي أو معبرا محترما عنه أو متحدثا مؤهلا للحديث باسمه، وسواء انتقد النظام أو دافع عنه.

وينفجر في ذهن أي عاقل سؤال ملحّ، يدق في الرأس كألم ضرس العقل الملتهب.

أين هي الطبقة السياسية التي تقود ليبيا ومختلف مؤسساتها، وهل يعقل أن دولة كاملة لا يسمع فيها صوت لرئيس حكومة أو لوزير (باستثناء خرجة يتيمة لوزير الخارجية موسى كوسا وأخرى لأحمد الزوي، وآخر قيل أنه أمين اللجنة الشعبية، أي رئيس الوزراء، أبرزته التلفزة مرة واحدة بلقطة تكررت مائة مرة وهو يزور مستشفيات تضم جرحى قيل أنهم مدنيون من ضحايا القصف الجوي الغربي للمراكز الصحية، وهي مراكز لم تقدم لنا لقطة واحدة تؤكد أنها مستشفى مدني، كما قالت أخبار الجماهيرية)[377].

ولم نسمع، كما حدث في تونس، صوتا كصوت أحمد المستيري أو قايد السبسي أو إدريس قيقة أو أحمد بن صالح، أو كما حدث في مصر، يحيى الجمل أو حسنين هيكل أو عصام العريان أو البرادعي أو حمدي قنديل أو عمرو موسى أو حتى ...شعبان عبد الرحيم، أو العشرات من السياسيين والعسكريين في اليمن، ولم نسمع كتابا أو فنانين أو رياضيين أو حتى مغنيين شعبيين تفاعلوا مع العقيد وقالوا لنا شيئا يمكن أن يكون دفاعا محترما عنه أو تبريرا معقولا لما يقوم به.

وإذا انطلقنا من أطروحة "الشعب الذي يقود نفسه بنفسه" كما تقول "عقائديات" الفاتح فإننا نتساءل أين هي اللجان الشعبية التي تعبر عن سلطة الشعب، والتي لم نر منها إلا جموعا هائجة متهيجة ترفع أعلاما خضراء كأنها مسيرات للطرق الصوفية في مولد وليّ مشكوك في وجوده، ولم نسمع منها إلا هُتاف ...الله، معمر، وليبيا وبس (وليبيا تأتي وراء العقيد في الترتيب، الذي لم يوضع لحسن الحظ أمام اسم الجلالة).

وبرغم محاولات الكاميرا تضخيم عدد المشاركين باستعمال زوايا معينة للرؤيا، فما رأيناه من مظاهرات مؤيدة للنظام لم يكن بأي حال من الأحوال مثيلا لتظاهرات تونس ومصر والبحرين واليمن وسوريا، وبالتالي فلا مقارنة، لأنها تذكر بالحكمة التي تقول : ألا إن السيف يفقد قدره إذا قلت أن هذا السيف خير من العصا.

وكان صحفيو التلفزة الليبية أسوأ من كل من رأيناهم على شاشات التلفزة المصرية والتونسية قبل انتصار الثورة، فقد كانوا بؤساء بكل المعاني والصور، وكنت أتخيل معاناتهم وهو يعيشون التناقض الفاضح في المواقف الرسمية الممزوج بكذب فاجر، هم مطالبون بتبريره وحسن تقديمه للجمهور[378].

ولم نجد في التلفزة الليبية إلا تجمعات شعراء "الملحون" الذين يؤدون أشعارهم في الحفلات مقابل أجر، ولم نسمع إلا غلمانا وفتيات من مبتدئي الصحافة[379].

استرضاه وعينه مستشارا للأمن القومي، وكان من الملفات التي تعامل معا ملف هانيبال القذافي في سويسرا وملف الممرضات البلغاريات، ويسجل له أنه كان رافضا للهجوم على بنغازي (وحدة أبحاث الشرق الأوسط)

[376] - كتب خطيب بدلة في القدس العربي يوم 2 مايو : أرادت المؤسسةُ الأمنية الإعلامية الليبية (المتحدة) أن توجه ضربة قاصمة للظهر إلى أولئك المنشقين، العملاء، المتواطئين، ناكري الجميل الذين تمردوا على الأخ القائد، رغم عطاءاته المتواصلة للشعب الليبي منذ 1969 وحتى الآن، وذلك بأن تُفقدهم مصداقيتهم أمام الله، والشعب، والعالم... فما كان منها إلا أن ذهبت إلى منزل المعارض الليبي عبد الرحمن شلقم، وتحدثت، بالشفافية الإعلامية المعهودة لدى الإعلام الليبي، مع والدته التي أرادت أن تخلص ذمتها أمام الله والشعب الليبي والشعوب العربية وشعوب العالم، والتاريخ، فقالت إنها لم تكن تتوقع من ولدها أن يكون له رأي أصلاً!.. وأما أن يصل به هذا الرأي الخبيث إلى حد معاداة الأخ القائد والخروج عنه ومعارضته فهذا أمر لا يمكن التساهل فيه، ومن ثم فهي تعلن، على الملأ، براءتها من هذا الابن العاق المارق، وتطلب من الله جل جلاله أن يغضب عليه ويقصف عمره كالعود اليابس. وفي اليوم التالي.. ظهر المعارض الليبي عبد الرحمن شلقم على إحدى الفضائيات (العميلة)، وأوضح للناس أن والدته قد توفيت قبل عشر سنوات.

[379] - الفضائية الليبية تبث ثلاثة أنواع من البرامج .الأول :عبارة عن ندوات يجتمع فيها المفكرون والمنظرون والمحللون الإستراتيجيون مع مذيع أو أكثر، ليس من أجل أن يتحاوروا.. حاشاهم!.. بل ليعرضوا على الإخوة المشاهدين رأيَهم الوحيد، الموحد، الأوحد، اليقيني، القائل بأن تاريخ الشعوب العربية، والعالمية، كلها، لم يشهد ولادة قائد عبقري، تاريخي، فذ، مُلْهَم، من طراز الأخ القائد معمر القذافي، وأن ما تبقى من أيام البشر، إلى يوم القيامة، لا يمكن أن تشهد ولادة قائد مثله.. الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هم أبناؤه.. والسبب في ذلك هو علم الوراثة طبعاً، الذي يقول بانتقال ملامح العبقرية عبر الكروموزومات! الثاني: طبل، وزمر، ودبكة يقوم بها مواطنون ليبيون ملتفون بالأعلام الخضراء، ويحملون

وكان من أطرف ما قدمته التلفزة هالة المصراتي، وهي مذيعة ليبية نددت بقرار الحظر الجوي الذي صدر عن مجلس الأمن الدولي قائلة بأن التبني حرام في الإسلام، وباعتبار أن المجلس تبنى القرار فالقرار يعد باطلا ولاغيا لا يمكن الالتزام به، وكان المفروض أن تمنع المذيعة من الظهور أساسا لمجرد أنها تناولت قضية التبني بالنقد، في حين أن العقيد كان قد تبنى طفلة قتلت في غارة رونالد ريغان عام 1986، وهي الغارة التي لم يقل لنا أحد بخصوصها كيف تموت ابنة العقيد بالتبني ولا يموت الأبناء الآخرون، وهم يعيشون معا في نفس البيت[380].

وترددت مؤخرا أقوال كثيرة تدعي بأن العقيد القذافي كان على علم مسبق بالغارة الأمريكية، التي نظمتها واشنطون تحت أضواء إعلامية كاشفة، لضرورات أمريكية داخلية.

وعودة إلى هالة المصراتي، المذيعة التي شاهدها الآلاف على موقع "يو تيوب" وهي تظهر حماسا بالغا في الدفاع عن القذافي وسياساته حتى تنسيك أنها مذيعة أو إعلامية، إذا انطبق عليها الوصف كما يقول سليم عزوز، ونراها تجلس في التلفزيون الليبي الرسمي أمام صحافية سورية تعيش وتعمل مع عائلتها في طرابلس لتستجوبها، بأسلوب بوليسي على طريقة المفتش كولومبو، وتحاول تفنيد جميع الأقوال التي تتحدث عن قطع شبكات الاتصال الهاتفي أو الالكتروني وعن إغلاق المتاجر والمحلات وعن أي ظاهرة تحدث عنها الإعلام في بداية الانتفاضة الليبية، وتؤنب هالة الصحافية المسكينة أمام الكاميرات وكأنها سجينة متهمة بجريمة، تكاد تنقض عليها بسبب شهادتها على الأوضاع في طرابلس. ويقول سليم (القدس العربي 9 أبريل) والعهدة عليه، أن مذيعة أخرى قالت عن القذافي أن: "الله سخر له المطر ليسقط بين يديه، والعواصف لتهلك خصومه"[381].

ويعرض علينا كهل ملتح، اسمه على ما أتذكر ... يوسف شاكير، قيل أنه معارض سابق أصابته الهداية الربانية، استنتاجات ساحر يؤكد أن الله سينتقم شر انتقام من كل من وقفوا ضد العقيد[382].

صور الأخ القائد، تنقلها الفضائية ضمن بث مباشر من الأراضي الليبية التي لم يسيطر عليها الثوارُ بعد، أو تلك التي لم تقصفها طائرات حلف الناتو بعد، "يدبكون" تعبيراً عن شدة حبهم للأخ القائد القذافي وأولاده. وقد تخيل أحدُ المشاهدين الخبثاء أنه سيأتي يوم، يكون فيه هؤلاء الدبيكة منهمكين في شغلهم الشاغل، وإذا برجل يأتي من أقصى المدينة، ويهمس لرئيس الدبيكة قائلاً له إن الأخ القائد وأولاده قد "رزموا" أموالهم وهربوا.. ووقتها سيضرب منديل الدبكة بالأرض ويقول: عيب على الأخ القائد ..يتركنا ندبك ويهرب؟!.. ويقول لزملائه: هيا شباب..اهربوا أسوة بالذي تدبكون على شرفه! الثالث: لقاءات جماهيرية في الشوارع مع أفراد الشعب الذين لم تتح لهم فرصة الانشقاق عن الأخ القائد بعد، يدلون بآرائهم (الموحدة)، في المؤامرة الاستعمارية، الأمريكية، البريطانية، الفرنسية، الصهيونية، الصليبية، المتوافقة مع القنوات الفضائية العربية العميلة للاستعمار، والصهيونية، والحلف الصليبي، ويحيون الأخ القائد الصامد، ومن أكثر الصور تكراراً صورة صبية تتحدث باللهجة المحلية، وهي تقول: نريدو نحبو الأخ القائد ...وهم يريدو يمنعونا. (خطيب بدلة- نفس المصدر)

[380] - قرأت مؤخرا تعليقا لقارئ قال بأن الفتاة المذكورة ما زالت حيّة ترزق، وأن اسمها هناء، وهي تعيش في لندن، وأكد ذلك المعارض الليبي السيد القماطي من لندن، ثم أكد ذلك أكثر من مصدر، بل ونشرت صور لها في إحدى الصحف، وربما كانت الشروق أو النهار، وإذا صحّ هذا فهو صورة من خداع الإعلام الليبي في عهد العقيد، وهذا مما زرع الشكوك في الروايات التي قدمها الإعلام الليبي الرسمي عن أحداث كثيرة منها مقتل ابن العقيد، والذي قالت مصادر غير موثقة أنه قتل في عملية فدائية استهدفت العقيد نفسه، وتم التعتيم عليها واتهام الناتو بقصف منزله، والعلم عند الله.

[381] - يقول محمد الرفاعي في مجلة صباح الخير المصرية: أصبح الأخ العقيد، بتاع زنقة زنقة، (إلهي يتزنق في بلاعة البعيد لحد ما يفطس) زعيماً للكوميديا العربية وأصبحت خطاباته، التي تحتاج لترجمة أنيس عبيد (صاحب الترجمة العربية على الأفلام الأجنبية) أشهر الفقرات الفكاهية على جميع الفضائيات لدرجة أن البعض طالب هيئة المسرح بالتعاقد معه لتقديم عمل كوميدي، بعد أن ينتهي من التخليص على شعبه فردا فردا، وسوف تحقق نجاحاً باهراً، بس الخوف، قوات التحالف تضربه. وبعد أن انتزع الأخ العقيد عرش الكوميديا من عادل إمام، قرر أن يصبح تليفزيون الجماهيرية مسخرة، ينافس بها برنامج ساعة لقلبك زمان، فقد (..) خرج علينا مذيع آخر (..) وأخرج بندقية من جانبه وأخذ يلوح بها (..) ولأن هذه الفقرات لم تكن ناجحة جماهيرياً بالشكل الذي يتفق مع دماغ الأخ العقيد، فقد استضاف التليفزيون الليبي أحد المشايخ الذي بدأ في تحضير العفاريت، وفك "المربوط" الليبي، عشان "يهدّ" حيل الدول التي شاركت في ضرب ليبيا، والغريب أن المربوط الليبي لم يظهر مفعوله، مع أن صاحبه أكد أنه سيظهر بعد يوم على أمير قطر، وعلى ساركوزي أيضا، رغم أنه استعان بالملك سليمان في تعاويذه التي أطلقها.

وبعد تحرير طرابلس خرجت هالة المصراتي على الناس بتصريح قالت فيها أنها، بعد دخول الثوار للتلفزة الليبية، لجأت إلى أسرة ليبية، وأضافت في تصريح لقناة "ليبيا الحرة " التابعة للثوار أن أحدا لم يقبض عليها، وأنها سلمت نفسها للثوار عندما وجدت أنهم شباب ليبي مؤدب ومعاملتهم جيدة (..) وقالت أن ليبيا لا يختزلها معمر القذافي ولا أولاده (سبحان الله) ولا أنت ولا أي مخلوق، ليبيا فوق الجميع، ثم بكت ما طاب لها البكاء..ندما..

وظللت أنتظر معلومات عن مصير يوسف شاكير وعرفت، بعد لجوء زوج القذافي وابنته إلى الجزائر في سبتمبر، أن قيادات حزبية جزائرية توسطت لدى الحكومة لاستضافته، وكان الأمر بالرفض طبعا

382 - للعلم، يوسف الأمين شاكير الأرناؤوطي من مواليد مدينة بنغازي عام 1952، ويُقال أنه من أصل ألباني وجاء أجداده إلى ليبيا ضمن ما وفد على المنطقة من أتباع الدولة العثمانية، وكان مقيما في مصر ومتزوج من سيدة مصرية وله

وفي هذا الصدد يقول العقيد طيار صالح منصور العبيدي، المنضم لصفوف الثوار (الشرق الأوسط 1 يوليو) أن القذافي يستدعي السحرة الأفارقة من دول مالي وموريتانيا ونيجيريا وغامبيا والمغرب، وينفق عليهم أموالا باهظة من أجل إنقاذ حكمه ومساعدته للتغلب على الثوار، كما يقوم بإرسال الكهنة من السحرة إلى ساحة القتال لقراءة الكثير من الطلاسم السحرية على جنود القذافي للسيطرة عليهم بالسحر حتى لا ينشقوا عنه، لافتا إلى أن القذافي قبل قيام ثورة 17 فبراير وبعدها يعتبرُ السحرة بمثابة جهاز مخابرات ليبي أخر بجانب جهاز المخابرات الرسمي، للتجسس على المسؤولين والقيادات الليبية.

وروى العبيدي للصحيفة ما يفعله السحرة وما اكتشفه الثوار عند سيطرتهم على بعض المناطق التي كان يسيطر عليها القذافي، قائلا: ما سأقوله علمته من أقرب المقربين للقذافي، وهو أن القذافي استدعى ساحرا من غامبيا قام بعمل بعد الطلاسم والمشعوذات له لإبقائه حيا وحتى لا يتعرض للإصابة وقت هجمات الثوار أو قوات التحالف الأجنبي، وقام الساحر بعمل تعويذه سحرية على عباءة القذافي حتى لا يصيبه الرصاص ولا يتأثر بالتفجيرات، لهذا نجده يرتديها حتى ولو في الحر ولا تفارقه أبدا.

وقال العبيدي أن القذافي يعتقد أن السحر سيطيل عمره وحكمه، لهذا نجده دائما ما يرتدي اللون الأحمر لتعلقه بالسحر، وكان القذافي لا يبدأ أي مراسم أو احتفالات إلا بعد أن يدخل ساحران أو ثلاثة إلى قاعة الاحتفال ليرشوا المياه ويقوموا بعدة طقوس سحرية، لم يفصح عنها العبيدي، واكتفى بقوله إنها لا تتماشى مع الشريعة الإسلامية، وأكد أن القذافي بمجرد علمه بوجود ساحر ليبي قوي في السحر يرسل له الأموال والعطايا ويوفر له أكثر مما يحتاج ليسيطر عليه، مثل ساحر ليبي يسمى الحصادي، كان يعيش في جرنه وبمجرد علم القذافي بشأنه قام بنقلة إلى طرابلس وأسكنه في مزرعة كبيرة بالقرب من مزرعته، وكان بعض السحرة يخافون منه حتى لا يسيطر عليهم ويحجمهم.

واستضاف التلفزيون الرسمي الليبي في بداية الثورة ساحرا ليبيا توعد قوات التحالف وهددهم بما سماه "المربوط الليبي"، قائلا للقذافي "الصالحون يحاربون معك، كما أن أهل الباطن (الجن) معك". انتهى.

ويقول "اسعد امبية ابو قيلة"، الذي يقدم نفسه كصحفي وكاتب ليبي ومقدم مذكرة الاعتقال ضد لويس اوكامبو المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية فقال : معمر القذافي لا يملك منزل ولا سيارة ولا رقم حساب مصرفي، نعم القذافي لا يملك كل ذلك ولكن مساعدة الناس بما يستطيع (..) بعد المسيرة المليونية أجريت عددا من اللقاءات مع الجماهير الشعبية تركزت على مواقف إنسانية للقائد معمر القذافي مع بعض المواطنين ومن بين هذه المواقف ما رواه مواطنٌ ليبي (لم يذكر اسمه) قال: كنت في أحد المساجد في طرابلس أصلي الفجر فوجدت مواطنا ينتظر ما يجود به عليه الناس (..) فقلت له : القائد خصص معاشا لكل مواطن ليبي فقير عاجز عن العمل (..) وهذه العباءة والحذاء هدية تبرع بها القائد لي عندما صلي الفجر في المسجد[383].انتهى.(وغريب أن يُصلّي العقيد بدون أن تلتقط صور لهذا الإنجاز الكبير، واللهم لا اعتراض، فهذا مستوى جماعة العقيد ومريديه، ومعذرة للقارئ الذي فرضت عليه مقاسمتي في بعض ما نكبت به من معلومات).

وهكذا، كانت أربعون سنة من الثورة الليبية تلالا من الرمال غطت ليبيا العظيمة وغلالات من الدخان أخفت وجهها وغطت على كل وجود وأخفت كل حركة، وخنقت هدير الجماهير المتشنجة كل الأصوات، ولم يعدْ على الساحة إلا العقيد وأبناء العقيد والمنادين بحياة العقيد وصرخات ...الله، معمر وليبيا...وبس.

وحتى من بقي من زعماء سبتمبر 1969 اختفوا تماما فلم نسمع صوت أبو بكر يونس أو عبد السلام جلود أو الخويلدي الحميدي، ولم يبرز على الساحة من القادة التاريخيين، كما أصبحوا يُسمّون، إلا مصطفى خروبي، الذي رأيناه يستقبل بعثة الاتحاد الإفريقي يوم 11 أبريل، وكأنه موظف تشريفات متقاعد لا يقيم أحد له وزنا، ثم رأيناه في جنازة ابن القذافي، لا يعيره أحد اهتماما.

منها أولاد. وقد سبق له الزواج من سيدة ليبية فاضلة من عائلة بن عمران (..) وأصبح الاتهام تشير إلى يوسف بسبب علاقته بيوسف نجم، المتورط الأول في عملية اختطاف الأستاذ منصور الكيخيا في الثالث عشر من ديسمبر 1993.

[383] - اسم الصحفي غريب لأن "القيلة" هي ورم هام يصيب صفن الخصية، أو الكيس، الذي يحتويها، لتجمع مياه فيه.

وكانت قمة السخافة، والنظام يتحدث عن جمع الشمل، إعلانا ليبياً يرصد 400 الف دولار لمن يقبض على السيد مصطفى عبد الجليل، الذي أصبح رئيسا للمجلس الوطني الانتقالي[384].

ولم نسمع بعد قيمة الجائزة لمن يقبض على كوسا، الذي قيل فيما بعد أنه مريض، أو على أحمد قذاف الدم، ولم نشاهد لقطة واحدة تؤكد أن عبد الله السنوسي حيٌ يُرزق.

ويصل الكذب والاختلاق إلى مستويات لم تعرفها حتى نسوة الأزقة ومنحرفات الليالي، فتخرج التلفزة الليبية بخبر عن توبة اللواء يونس واستقباله من قبل العقيد، وتقدم اللقطة الاستقبال فإذا من بين من يظهرون في اللقطة مواطن ليبيٌ كان قد قتل منذ عدة أيام، ثم تخرج شائعات أخرى عن مقتله يكذبه ظهوره بعد يومين في تصريحات متلفزة لفضائيات دولية، ثم عندما يُقتل فعلا في ظروف غامضة يسارع النظام لاتهام "القاعدة" باغتيال اللواء الليبي.

ثم نكتشف أن وكيل وزارة الخارجية المتحمس في الدفاع عن سياسة العقيد، هو السيد الكعيم، وهو نفسه المحامي الليبي الذي تم استنجاره للدفاع عن ابن القذافي، الذي اتهمته السلطات السويسرية وزوجه بإساءة معاملة خادميهما، فأقام العقيد الدنيا ولم يقعدها دفاعا عن ابنه، وراح يطالب المسلمين في العالم كله بمهاجمة سويسرا، باسم الإسلام وحماية الإسلام، ثم اعتقل مواطنا سويسريا لم يكن له في الأمر ناقة ولا جمل، ولا أعرف إلى الآن ما إذا كان الكعيم انذاك موظفا في الخارجية أو أنه عين فيها كمكافأة بعد انتهاء الأزمة مع سويسرا[385]، ليصدر بلاغات ينطبق عليها التعبير الجزائري الذي يستعمل كلمة "الخرطي" لوصف مثيلاتها، وليعلق على موقف مجلس الثمانية الكبار الأوربي، بمن فيهم روسيا، الذي صرح في نهاية مايو بأن نظام القذافي قد انتهى، فيقول أن "المجلس "اقتصادي" وليس من حقه اتخاذ موقف كهذا !!!، وبالتالي فإن ليبيا ليست معنية بهذا القرار، تماما مثلما قرر "وليد المعلم" تجاهل وجود أوروبا على خريطة الدنيا.

وهكذا بدأ الأمر كله يأخذ صورة تثير الاشمئزاز والقرف لكثرة تناقضاته وتفاهة ألاعيبه.

ولعلي أذكر بأنه عندما صدر القرار الأممي بفرض منطقة حظر الطيران فوق ليبيا كانت قوات القذافي مشتبكة مع الثوار في مصراتة غربا وفي إجدابيا شرقا وعلى بعد نحو مائتي كيلو متر عن بنغازي، التي حذر أوباما شخصيا من ضربها، وهو ما تزامن مع إعلان وزير الخارجية الليبي قبوله وقف إطلاق النار.

وفي نفس الليلة صرح مسؤول أمريكي كبير بأن قوات القذافي تتجه إلى بنغازي، فأعلن "زيف" الإسلام أنه ليس في نية القوات دخول العاصمة الشرقية بل ستلتف حولها، ثم تأتي الأخبار قرب منتصف الليل أن قوات العقيد على بعد نحو 50 كيلومترا من بنغازي، وكاد يتملكني الشعور بأن قادة العالم المتحضر المزود بكل الإمكانيات التكنولوجية العصرية ووسائل الحسم العسكري المتطورة يُملون لقوات العقيد لكي تتقدم إلى مسافات تمكن من ضربها تحت الإدراك العام بأنها خرقت ما وافقت عليه.

---

[384] - ذاع صيت مصطفى عبد الجليل بعد أن كان أول مسؤول كبير يعلن استقالته من نظام العقيد معمر القذافي بعيد تفجر ثورة 17 فبراير عام 2011، محتجا على "الأوضاع الدامية واستعمال العنف المفرط" ضد المتظاهرين، وتقلد منصب وزير العدل في عهد معمر القذافي ومع أنه يوصف بأنه شمولي، فقد وجد لنفسه مساحة للتحرك خارج ما يريده النظام حيث كان قد استقال احتجاجا على عدم تنفيذ أحكام القضاء واستمرار الأجهزة الأمنية في اعتقال أكثر من 300 سجين سياسي يقبعون في المعتقلات السياسية بعين زارة وسجن أبو سليم، رغم أن محاكم ليبية قضت ببراءتهم. وانتقد عبد الجليل في 16 أكتوبر 2009 تغوّل جهاز الأمن الداخلي على أحكام القضاء. وقد رفض الزعيم الليبي معمر القذافي إطلاق سراح هؤلاء السجناء ممن سماهم "إرهابيين من القاعدة"، وتساءل، ردا فيما يبدو على وزير العدل، قائلا "من يستطيع أن يضمن هؤلاء المنضمين لـ أيمن الظواهري وأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة"، وأشار أمام مؤتمر الشعب العام المنعقد بمدينة سرت نهاية يناير 2010 ، إلى أنه "إذا كان هناك من يضمنهم، سواء كان أمين اللجنة الشعبية العامة للعدل أو أي شخص اخر، فعليه أن يوقع على ذلك حتى يتم إطلاق سراحهم".

وكان من جملة تصريحات عبد الجليل المثيرة إعلانه في مقابلة له بتاريخ 2011/2/23 نشرتها صحيفة إكسبريسين ديلي السويدية بعد اندلاع ثورة 17 فبراير عام 2011 أنه يملك أدلة على أن معمر القذافي هو الذي أمر شخصيا بتفجير طائرة الركاب الأميركية "بان أم" فوق قرية لوكربي باسكتلندا عام 1988 م والذي أودى بحياة 270 شخصا غالبيتهم من الأميركيين فيما عرف بقضية لوكربي. وأضاف أن معمر القذافي فعل كل ما في وسعه لإعادة "عميل المخابرات السري السابق عبد الباسط المقرحي إلى ليبيا، لإخفاء دوره في إصدار الأمر بالتفجير". كما حذر أثناء ثورة 17 فبراير عام 2011 من أن القذافي قد يرتكب ما وصفه بـ"حماقات" كاستخدام أسلحة جرثومية ضد المتظاهرين إذا شعر بالنهاية.

[385] - اكتشفنا في الوقت نفسه أن الناطق الرسمي باسم العقيد هو واحد من أقاربه، يخفي لقبه حتى لا تتأكد صورة الحكم العائلي الضيق الذي يمسك بخناق ليبيا ، وكان موسى في الأصل مترجما أمضى 15 سنة من عمره في بريطانيا ومتزوج بألمانية (خالد محمود – الشرق الأوسط – 6 أبريل) 2011 .

ثم يخرج علينا ممثل الخارجية الليبية ليقول أن ليبيا تقبل قرار مجلس الأمن وتتفاعل معه إيجابيا، ثم يطلع وزير الخارجية موسى كوسا منكس الرأس[386] (ويبدو أنه كان يُعدّ للفرار الذي تميز بالغموض) ونسمع صوته للمرة الأولى منذ بداية الأحداث وهو يسجل قبول ليبيا للقرار ويعلن وقف إطلاق النار.

لكن زيف الإسلام يقول في مساء الجمعة أن الأمور ستحسم خلال 48 ساعة وسيقضى على الخونة، وخلال الليل تتجه دبابات القذافي إلى بنغازي لتهاجمها، مع قنبلة مصراته وإجدابية.

ثم تعلن ليبيا أن قرار مجلس الأمن غير ذي موضوع، وتحاول تجمعات من أنصار العقيد، باستعمال الأسلوب الإسرائيلي المعروف، التسرب داخل التجمعات السكنية في مصراتة، لتتقي ضربات التحالف التي أجهضت عملية تصفية بنغازي، لكن الكذب يتواصل ويفاجأ الناس بالعقيد يقول بوضوح في خطابه يوم 29 أبريل بمناسبة معركة "القرضابية" موجها حديثه لقوات التحالف: " أدعوكم إلى التفاوض، نحن لن نستسلم، تريدون النفط تعالوا نعقد اتفاقيات ومعاهدات مع شركاتكم ولكن بدون حرب، مستعدون للتفاوض مع فرنسا وأمريكا لكن بدون شروط"، ثم يكذب بفجور غير مسبوق قائلا : "إيقاف إطلاق النار ؟، نحن أول من رحب بذلك ووافق عليه، لكن الهجوم الصليبي لم يتوقف (..) لكن هل يمكن أن يتحقق وقف إطلاق النار من طرف واحد؟ (ولست أدري لماذا لم يقل له أحد بأن هذا الكلام يُوجّه له أولا، فهو من يواصل إطلاق النار) ويلقي العقيد خطابه في نفس اليوم الذي يطلق فيه زيف الإسلام عبارات التحدي قائلا بأن التحالف يمكنه أن يقتبل ليبيا اربعين سنة، فلن يتغير الموقف، وفي هذا الخطاب نفسه تحول الثوار في رأي ابن العقيد إلى تجار مخدرات.... قالها بدون خجل.

ويُذكر هذا بواحدة من أكثر الأكاذيب إثارة للسخرية، وهي ادعاء النظام الليبي، إثر هجمات الطائرات الفرنسية على قواته، بأنها محاولة جديد من الاستعمار الصليبي للاستيلاء على ثروات ليبيا، في حين يعلم

---

[386] - يقول أيمن خالد في القدس العربي إشارة إلى الأدوار الإستخبارية: "الأمريكان لن يقبلوا ولا حتى بأي فرد من عائلة القذافي، لكنهم يتعاملون مع ليبيا بمنطق واسع الذكاء، فالقذافي ليس كيانا سياسيا عاديا، بل هو مؤسسة أمنية ضخمة، وهو مستودع أسرار القارة الإفريقية الأمني، وليس من الغريب أن تتم صفقة وزير الخارجية الليبي موسى كوسا في لندن، الدولة الحليف المطلق لأمريكا، ومنطق السياسة كان يفرض أن يسافر هذا الرجل إلى دولة محايدة، أو إلى أي دولة أوروبية، غير أن المشهد الذي خرج به كان أمنيا بامتياز. فالأمريكان من خلال ليبيا، يعملون على تفكيك كامل ألغاز القارة الإفريقية، ونهاية القذافي لا تريدها أمريكا بمجرد ضربة عسكرية، فهي ستأتي في الوقت المناسب، بحيث تكون نقطة تحول ضخمة على مستوى القارة السوداء، لا تريد أمريكا أن تترك هذه القارة للعجوز أوروبا أو الصين، خصوصاً في ظل الأزمات الاقتصادية، التي تحتاج تدميراً في بنية دول عديدة وإعادة صناعة بنيتها التحتية من جديد". ولهذا ، عندما سمعت عن التجاء كوسا إلى بريطانيا ملأتني الشكوك ولكنني قلت : أفلح إن صدق، خصوصا وقد ترددت أقوال كثيرة تدعي بأنه يقوم بدور ضابط الاتصال بين دوائر العقيد والسلطات الأوربية عن طريق قطر، أو بعض مسؤوليها.

ويؤكد "دافيد إغناتيوس" بعد ذلك في الشرق الأوسط (يوم 16 يونيو) بقوله : توضح المحاولة الفاشلة لانشقاق موسى كوسا، وزير الخارجية الليبي السابق، منذ عدة أشهر، الإستراتيجية غير المؤكدة التي دفعت بحملة حلف شمال الأطلسي ضد العقيد معمر القذافي. ولكن رغم ذلك، فإن نظام القذافي يشعر بما يكفي من الضغط لإرسال مبعوث إلى واشنطن خلال هذا الأسبوع لاستكشاف إمكانية التوصل إلى تسوية عن طريق التفاوض (..) وانشقاق كوسا حالة كلاسيكية من الارتباك غير المعلن، حيث كان من المقرر أن ينشق المسؤول الليبي ويذهب إلى فرنسا. ويقال إن ضابطا في المخابرات الفرنسية قد اتصل به في 10 مارس الماضي خلال اجتماع للاتحاد الأفريقي في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا، كما التقى به مسؤول الاستخبارات الفرنسية مرة أخرى في 29 مارس في فندق «رويال جاردن» في جزيرة جربة التونسية، وأقنعه بالانشقاق واعدا إياه بالإقامة والمساعدة المالية والحصانة القانونية. وتعثرت الخطة الفرنسية في صباح اليوم التالي بعد أن طالبت باريس، وذلك كجزء من الصفقة، كوسا بأن يظهر علنا مع الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي لدى وصوله إلى باريس وأن يقوم بإدانة القذافي، غير أنه رفض وبدأ يجري اتصالات محمومة مع ممثلي المخابرات البريطانية في لندن بشأن الفرار إلى هناك. وفي البداية، طلبت بريطانيا مهلة لمدة ثلاثة أيام حتى تقوم بدراسة التفاصيل، ولكن عندما قال كوسا إنه يجب عليه مغادرة البلاد فورا، توصلت المخابرات البريطانية إلى أساسيات الاتفاق في غضون عدة ساعات، وتوجه المسؤول الليبي إلى مطار فارنبورو في جنوب غربي لندن. وبدأ هروب كوسا إلى بريطانيا بداية سيئة، حيث استقبله ضباط المخابرات البريطانية في المطار، ولكن لم تكن أوراقه وتأشيرته جاهزتين لعدة ساعات. ولم يطلب البريطانيون من كوسا أن يقوم بانتقاد القذافي علنا، ولكنهم لم يقدموا له الحصانة من الملاحقة القضائية سواء في تفجير لوكيربي عام 1988 أو إطلاق النار على شرطية بريطانية في عام 1984. وكان استجوابه في بيت أمن على الساحل الجنوبي صعبا للغاية، ويعود ذلك بشكل جزئي إلى الضجة الإعلامية المثارة حول انشقاقه، وكان كوسا يقرأ عناوين الصحف مثل عنوان صحيفة «ديلي ميل» الذي وصفه بأنه «مسؤول القذافي لتقليع الأظافر». وعندما حصل كوسا على جواز سفره مرة أخرى في منتصف أبريل، غادر فورا لدولة قطر، ظاهريا لحضور اجتماع "مجموعة الاتصال" المعارضة، ولم يغادر الدوحة منذ ذلك الحين. وكان حظ كوسا العاثر في الانشقاق بمثابة "أضحوكة" في ليبيا حيث قوض آمال تجنيد أشخاص آخرين، وفقا لمصدر استخباراتي.

القاصي والداني أن القذافي وضع كل ثروات ليبيا تحت تصرف الشركات الاستعمارية من كل جنس ومن كل دين، وحوّل الشعب الليبي كله إلى مجرد موظفين في خدمة الاحتكارات العالمية منذ أن وعى حكاية راس الذنب الطائر إثر إعدام الرئيس صدام حسين، ووصل به الخوف الذليل إلى مستوى التبليغ عن علماء الذرة المسلمين الذين تعاونوا معه لبناء الوجود النووي الليبي، مثل الباكستاني عبد القدير خان، مما أدى إلى التضييق عليه في إسلام أباد[387].

وفتح العقيد أرشيف مخابراته أمام كل من يريد من المصالح الغربية، وانفق أموالا هائلة لرشوة سياسيين في كل البلدان[388].

والحديث عن الرشوة، وهي قاعدة العمل في السياسة القذافية، يفرض التوقف عند ما ادعاه "زيف" الإسلام مؤخرا عن تمويل ليبيا لحملة ساركوزي الانتخابية، فبفرض صحته يجب أن يطرح السؤال التالي:

هل عُرِضَ دعمُ الرئيس الفرنسي على اللجان الشعبية، صاحبة القرار في ليبيا كما يزعم النظام، وهل استصدر منها قرارٌ برشوة فرنسا، أم أنه كان قرارا اتخذه ابن العقيد الليبي، وإذا لم يكن الأمر نتيجة استشارات

---

[387] - نشرت صحيفة جزائرية هامة يوم 5 مايو مقالا جاء فيه : اعتبر الخبير في الشؤون الإفريقية والشرق الأوسط مهدي داريوس نازيموروبا (لم تقل الصحيفة ما هي جنسية الخبير الذي لم أسمع عنه قبل اليوم) أن الولايات المتحدة وحلفاءها يعملون على تحقيق انقسام ليبيا وتحويلها إلى "بلقان ثانية" واستعمارها عسكريا للحفاظ على مصالحهم الاقتصادية. وأكد الخبير أن الانسداد الذي تعرفه ليبيا مخطط له من طرف الولايات المتحدة والحلف الأطلسي، فالطرفان يريدان أن تبقى الوضعية على حالها بين الحكومة الليبية في طرابلس والمجلس الانتقالي في بنغازي حتى تجبرهما للتوجه اليها لحل النزاع. وأشار ذات المتحدث في حوار لمجلة "لايف ويك" الصينية (لماذا صحيفة صينية على وجه التحديد، والعثور عليها هنا للتحقق أمر عسير) إلى أن المجلس الانتقالي في ليبيا سيقدم تنازلات أكبر، في حين أن حكومة القذافي ستطلب من واشنطن وبروكسل إنهاء الصراع وتقدم تنازلات هي كذلك لكن أقل (وعلينا أن نصدق هذا الهراء) وأضاف قائلا "أريد أن أؤكد أن الطرفين يريدان أن تتحول ليبيا إلى ما خططا له بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أي انقسامها". والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، حسب المتحدث، لديهما خبرة في هذا حيث "استطاعا تقسيم الشعوب العربية التي من المفروض أن تكون دولة واحدة، كما قسموا الهند والبلقان وحتى دول جنوب شرق آسيا، والآن تحولوا إلى إفريقيا من أجل تقسيمها كما يعملون على تقسيم العالم الإسلامي بين السنة والشيعة". وذكر الخبير في شؤون إفريقيا والشرق الأوسط (لم نعرف أين يعمل؟) أن كلا من أمريكا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا وضعوا سنة 1951 مخططا لتقسيم ليبيا إلى 3 مقاطعات مختلفة توضع كل واحدة منهن تحت وصاية واحد منهم، على أن تشرف الولايات المتحدة على الفيدرالية. إلا أن رفض الاتحاد السوفيتي آنذاك لهذا الاقتراح، ومطالبته بالإشراف على مقاطعة طرابلس أفشل المخطط وهي الآن تعمل على تقسيم ليبيا على الأقل إلى بلدين، كما تدفع لإشعال فتيل حرب قبلية لتحويل ليبيا إلى يوغسلافيا جديدة، وهي الحروب التي ستنتقل إلى مناطق أخرى في إفريقياكما أكد السيد نازيموروبا. الذي قال عن مستقبل ليبيا أن بريطانيا وضعت مخططا لاستعمارها باستعمال الدول العربية كقطر والإمارات لتمويل جيش من المرتزقة البريطانيين والأمريكان للدخول عسكريا في ليبيا، حيث إنه رغم أن الولايات المتحدة هي من قامت بقيادة الهجمات، فدول أوروبا الغربية ستتكفل بالاحتلال، وهذا تحت غطاء قوات حفظ السلام. ويختتم "أتوقع أن الولايات المتحدة تريد إقامة مقر أفريكوم في ليبيا' (وواضح من استعمال اسم قطر والإمارات على وجه التحديد أن المخابرات الليبية وراء المقال)

388 - يعتبر البعض أحمد قذاف الدم مهندس عمليات الاختراق المالي الكبرى في الوطن العربي، وهو ابن عم معمر القذافي ، ولد بمصر لأب ليبي وأم مصرية، وكان يعرف في مصر خلال سنوات بأنه منسق العلاقات الليبية المصرية، ويقال أن الهدف الأساسي من نشاطاته في مصر كان إخفاء الأموال الليبية وحمايتها من التعرض للمصادرة عندما كانت ليبيا تخضع لفرض عقوبات، وكان يصنف ضمن دائرة كبار المسؤولين الأمنيين في النظام الليبي، وكلفه القذافي هو ومدير المخابرات اللواء على كوسه بملف المعارضة الليبية في الخارج، واتهم بالمشاركة في التخطيط لعمليات التصفية الجسدية لبعض المعارضين المقيمين في أوروبا، ويمثل عمله في مصر أول نجاح له فيما يكلفه القذافي به من مهام حيث وطد علاقته بالمخابرات ورئيسها عمر سليمان وعائلة الرئيس والعديد من الشخصيات المصرية وأدخلهم في **شراكة مالية وتجارية** مع النظام الليبي، كرشوة وأيضا لمساعدة ليبيا في تحويلات مالية لصالحها تندرج ضمن وصف **غسيل الأموال**، والمرجح أن تلك النشاطات بدأت بعد اغتيال السادات مع بداية حكم مبارك وتواصلت خلال العقود الثلاثة التالية، وكان في البنك المركزي المصري ودائع ليبية لا تظهر في ميزانيته ولا تخضع إدارتها لمحافظ البنك وإنما يتولاها جمال مبارك، الذي كان له مكتب في البنك دون تعيين رسمي له فيه مثلما كان له مكتب أيضا في قيادة سلاح الطيران، والأرجح أن جزءا هاما من ثروة مبارك وعائلته وعدد من أركان حكمه تولدت أساسا من إدارتهم للاستثمارات الليبية وما يحصلون عليه من عمولات، كما أن حصول مبارك نفسه على حصة من عائدات قناة السويس كان الهدف منه في البداية تسديد ديون على الحكومة المصرية تم بها تمويل ما عرف بالمشروعات القومية من أموال ليبية وفي مقدمتها مشروع توشكي، إلا أن تضخم أرصدتهم المالية زادتهم جشعا واستغلالا لنفوذهم ومواقعهم للوصول بالأرصدة إلى أرقام فلكية، وبالإضافة إلى أن قذاف الدم يتولى حسابات سرية خاصة بالقذافي في مصارف عربية وأوروبية فإنه أيضا واسع الثراء ولديه أملاك وعقارات كثيرة في الداخل، وحسابات مصرفية عديدة في الخارج بجنيف وباريس ولوزان والقاهرة والرباط، ويتحرك في البلاد العربية وأوروبا يرافقه حرس خاص، أو تتولى عناصر استخبارات دول عربية حراسته في بعض العواصم الأوروبية.ويوصف برجل المهمات الصعبة، لكثرة إيفاده من القذافي في المهمات ذات الصبغة الخاصة والسرية. (فؤاد منصور – فيس بوك)

واسعة للمعنيين بالدبلوماسية والأمن والاقتصاد وانطلاقا من خطة إستراتيجية واسعة المدى لاختراق الدول الأجنبية، وهو حق لكل دولة، فهو يعني ببساطة أن الشأن العام في ليبيا تسيره مجموعة، لكيلا أقول عصابة، تستعمل الرشوة سلاحا ذا فائدة مزدوجة؟. فهي تأخذ من المال العام حصتها التي تودع لحسابها في البنوك الأجنبية ثم تعطي المرتشي جزءا، لعله يقلّ عن النصف، وتخصص حجما معتبرا لتمويل مجموعات العلاقات العامة ومكاتب الدراسات التي تعتمد عليها في تخطيط تحركاتها حيث أنها، بحكم التكوين المحدود، عاجزة عن التفكير العلمي السليم، وهكذا يجد الجميع فائدته في الأوضاع السائدة، ويتضح أهم أسباب التمسك بالسلطة إلى حد التشنج، فهو الخوف من فقد الامتيازات في مرحلة أولى ثم الذعر من التعرض للمحاسبة في مرحلة تالية[389].

ويبدو كم هو ساذج السؤال: أين الدولة الليبية ومن يُسيّر شؤونها؟

وواقع الأمر أن الإجابة على هذا السؤال هي التي ترسم صورة "ليبيا الفاتح". فقد بدا بوضوح أن الهدف هو تفتيت كل شيء وبعثرة كل تنظيم وتشتيت كل جهاز، والاكتفاء بتسيير الأمور عبر عدد محدود من الأمرين المنفذين، وطبقا لمخطط تحدده مكاتب خبرات وعلاقات عامة مأجورة وعابرة للجنسيات، تنفق عليها مئات الملايير بدون حساب، وفي حماية مخابرات شرسة تحمي منطق العائلة ورباط القبيلة وسلطة المال.

باختصار شديد، هو نظام شرير، يقوده رجل لن يفخر أحد في المستقبل بالانتماء له، نظاما أو فكرا أو حتى قرابة أو نسبا، وسيذكره التاريخ كما يذكر أبا جهل وأبا لهب[390].

---

[389] - قدرت صحيفة "يو إس توداي" الأمريكية ثروة حرم القائد صفية فركاش بنحو 30 مليار دولار، متفوقة على ليلى طرابلسي زوجة الرئيس زين العابدين بن علي وتملك شركة الطيران "البراق"، بالإضافة إلى مخزون من الذهب يقدر ب 20طنا (..) وصفية هي الزوجة الثانية للزعيم الليبي ،أنجبت منه ابنتهما عائشة و6 من أبنائه، في زواج اتصل بعد انفصال الزائدة الدودية عن أمعاء القذافي سنة 1971، بعد ما كانت هي ممرضته الخاصة. (الشروق الجزائرية 25 مايو)

[390] - تعبير "شرير" ليس مجرد وصف غاضب، فزبانية القذافي تم إعدادهم بشكل وحشي جعلهم أقرب إلى الحيوانات الضارية التي لا تقيم وزنا لأي اعتبار إنساني. وتناول تقرير في "الغارديان" قصص السجناء الذين اعتقلهم النظام، حيث تحدث شابٌ للصحيفة اعتقل معه عدد من الشباب وشهد تعذيبهم على أيدي جنود القذافي، ووصف حالة المعتقلين بعد التعذيب الذين عادوا بأرجل وأيد مكسرة ووجوه معفرة بالدم وقال أن الجنود نادوا على كل فرد معتقل في غرفة السجن وقاموا بركلهم وكسر أصابعهم وهشموا وجوههم، وقال الحدث واسمه "مفتي" أنه شاهد الجنود وهم يركلون مقاتلا جريحا حتى نزف للموت. وأضاف انه شاهد رجلا كان يزحف على أطرافه الأربعة وظلوا يركلونه وظل يزحف ولا يوجد جزء من جسده لم يتعرض للضرب. وكان عليّ قد اعتقل ومجموعة من المتطوعين الذين حملوا الماء من بنغازي للمتطوعين في "راس لانوف" ولكنهم عندما وصلوا وجدوا قوات القذافي هناك، حيث اعتقلوا ونقلوا في عربات. ويقول أنه عندما وضعوا في عربة كانت تحتوي أيضا على جثث الموتى ورأى جندي في الشارع جثة مقاتل فنزل واخذ يركلها حتى تأكد من أنه ميت. وعندما وصلوا سرت اخذوا مع بقية المقاتلين المعتقلين حيث أطلق الجنود النار على عضو احدهم الحساس، ويقول الشاب أن جنود القذافي صوروا الحادث على هواتفهم النقالة واخذوا يشتمونه بعبارات جارحة ثم اخذوا يركله في المكان الذي أطلق النار عليه حتى مات. ويقول مفتي انه وضع مع 28 شخصا في زنزانة وهم خليط من المقاتلين والمدنيين . وعندما حاول النوم مع البقية دخل الجنود عليهم واخذوا يركلونهم ويتهمونهم بالإرهاب والقاعدة وأنهم يريدون تدمير البلد .(كان هذا بالطبع صلب التوجيه الذي أعطي لكتائب القذافي، وهو ما اعترف عدد من المنشقين عن الكتائب ونشرته القدس العربي يوم 21 يونيو) ويشير إلى أن حدثين آخرين جاءا في اليوم التالي وقالا أنهما اعتقلا لأنهما أرادا حراسة بيتهما من النهب في "راس لانوف" وما أنقذه من التعذيب والآخرين هو أن قريبهما يعمل في الأمن الداخلي برتبة عقيد وعليه خاف الجنود التسبب بالأذى لأحد أقاربه. وتشير الصحيفة إلى أن قصة مصطفى تقدم صورة عن التعذيب الذي يدور في أقبية سجون القذافي للمعتقلين وتدعمها صور تظهر جثث مقاتلين عليها آثار التعذيب والدم، وتقول "أمنستي انترناشونال" أن عددا من المقاتلين اعدموا بعد دخول قوات القذافي مدينة "إجدابيا" . فيما انقطعت أخبار المئات منهم ومن الممكن أنهم معتقلون ويعذبون. وربما كانت هناك مبالغات في وصف ما لاقاه الأسرى لكنه لا ينفي مضمون الوقائع، حيث تنشر الشرق الأوسط (7 أبريل) تقريرا من الزاوية كتبه كل من ديفيد كيرك باتريك وسي جي شيفرز، كان مما جاء فيه استعراض لزيارتهما لمركز شرطة محترق حيث وجدا صورا مبعثرة لجثث تحمل آثار تعذيب، وقد حملت وجوه الموتى تعبيرات عن الرعب. وتنشر "الخبر" الجزائرية يوم 19 أبريل تصريحات لمصري فار من ليبيا ادعى فيها أنه : إلى جانب عمليات الإبادة، هناك عائلات ماتت داخل مساكنها، وكان "الأفارقة" يهجمون على البيوت في مصراتة ويقتلون من فيها، كما يقومون باغتصاب السيدات والبنات في وسط الميادين أمام أزواجهن وآبائهم، في "حفل" جنسي موسع، ثم يقتلون الرجال بالرصاص الحي.

(2)

سقوط العقيد الليبي معمر القذافي قد يُعقد جهود مكافحة الإرهاب للولايات المتحدة على المدى القريب، فالقذافي كان شريكا جيدا لواشنطن، ووكالة الاستخبارات الأمريكية ارتبطت بعلاقات عمل جيدة مع معمر القذافي وموسى كوسا وزير خارجيته الذي انشق مطلع ابريل، وأيا كان رأيكم في القذافي وكوسا، فقد كانا شريكين جيّدين في مكافحة الإرهاب.

مايكل هايدن

المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية

*

بدأت أتساءل عن خلفية من يمطرنا بأخبار معينة لهدف لم يتضح بعد، خصوصا بعد أن نشرت معلومات أشيرَ إلى مصدرها بأنه "وكالات أنباء"، بدون تحديد الوكالة، تقول بأن الثوار أعدموا أسرى من قوات القذافي، وهو ما لم أسمعه في أي فضائية تابعتها ولم أجده في أي جريدة دولية أقتات على أخبارها، ثم قرأت في نفس الصحيفة العربية أنباء عن انشقاقات بين الثوار، ثم خبرا يقول بأن الليبيين في بنغازي (أي الثوار) قبضوا على رهائن من البحارة الإيطاليين، وكان الخبر صحيحا مع فرق بسيط هو أن العملية قامت بها، وطبقا لكل المصادر، ميليشيات القذافي في طرابلس، وليس شباب الثوار في بنغازي.

وذكرني هذا على الفور بالأخبار التي بثتها التلفزة الليبية عن ضحايا مدنيين لعمليات القصف الغربي، وقبل أن اتساءل عن سبب وجود مدنيين في مواقع عسكرية أو أصدق ما روي من أن العقيد يستعمل المدنيين كدروع بشرية قرأت في صحيفة دولية أن ما جاءت به التلفزة الليبية هو محض اختلاق، وأن الشهداء لقوا مصرعهم في هجوم قامت به دبابات العقيد في مكان آخر، ونقلوا إلى موقع القصف الجوي ثم دفنوا بدون تقرير للطبيب الشرعي يوضح نوعية الإصابات، وكان واضحا من صور بعض الجثث أنها كاملة الأطراف بعكس الجثث الناتجة عن القصف الجوي، وأقول هنا رحم الله الجميع، فكلهم ضحايا، بشكل أو بآخر، للنظام الذي يلجأ الآن إلى فكرة الحشود الهاتفة، وهي في واقع الأمر رهائن يشكل بها دروعا بشرية[391].

ولعلي أتوقف لحظات عند ما بثته وسائل الإعلام الليبية من أن الطيران (الصليبي كما تسميه) قام بقتل المدنيين الليبيين لأؤكد بأن كل نقطة دم عربية أهرقت هي خنجر في ضلوع أي عربي أو مسلم، بغض النظر عن انتماء من سالت دماؤه، لكن **أكاذيب الإعلام الليبي** شوهت كل الحقائق بشكل فج ممجوج، بحيث أصبحت متابعته عبئا لا يحتمل، وتحول العمل الإعلامي إلى كذب سوقي لا يليق بأحقر المنتسبات إلى أقدم مهن العالم، وإن بدا هذا أمرا طبيعيا في بلد **ينفي** فيه الزعيم وجود تظاهرات رأها الجميع، وينكر قيام الأمن بإساءة التعامل مع المتظاهرين، في حين أن الفضائيات صورت قوافل الضحايا تتابع على أبواب المقابر.

بل إن العقيد كرر نفس ادعاءاته في خطابه يوم 23 أبريل بمناسبة معركة القرضابية، حيث قال متحدثا عن الثوار بأن: **الزنادقة** سنواجههم بالأطفال والنساء والشيوخ والأطفال ولكن **بدون سلاح** (...) وممكن أن نسمح لهم بمغادرة ليبيا، ودعا إلى إرسال لجنة دولية لتقصي الحقائق إلى ليبيا، مشككا بالأرقام المتعلقة بالقتلى في القتال الدائر في هذا البلد، وقال :نحن نتحدى أن يكون قد مات **ألف** شخص كما يدعون، فليأتوا بأسمائهم وجثامينهم وقبورهم، وتساءل :هل من المعقول أن يبني مجلس الأمن قراره على تقارير وكالات أنباء كاذبة.

---

391 - تقول مراجع عسكرية أوردتها "ياهو" في أبريل بأن الطائرات الفرنسية المشاركة في الحملة العسكرية تلقي على ليبيا قنابل لا تنفجر لأنها تحتوي على الاسمنت وليس على مواد متفجرة، وذلك بهدف تفادي إحداث أضرار جانبية. ونفذت أول ضربة بهذه القنابل الثلاثاء 27 أبريل واستهدفت مصفحة لقوات القذافي في مصراتة. كما قال المتحدث باسم رئاسة الأركان الفرنسية الكولونيل "تيري بوركار" خلال لقاء صحافي. وأضاف أن غارات أخرى استخدمت هذه القنابل التي تحتوي على 300 كلغ من الاسمنت. وتستخدم هذه القنابل عادة في مهمات التدريب وهي تسقط على الهدف بسرعة 300 متر في الثانية. وقال الكولونيل "بوركار" أن هذه القنابل الدقيقة التصويب تستعمل بهدف الاستفادة من اثر الاصطدام الذي تحدثه بهدف الحد من الأضرار الجانبية. إنها ضربة شديدة الدقة، لا تؤدي إلى تطاير شظايا، وأن حصول ذلك ضعيف، وعرضت رئاسة الأركان شريط فيديو يظهر إلقاء قنبلة من هذا النوع على دبابة وتدميرها.

وبغض النظر عما قيل من أن قبورا عديدة سويت بالأرض وجثثا كثيرة ألقيت في حفر جماعية رُدمت كيفما اتفق حتى لا توحي بما تحتضنه الأرض، فسنفترض أن الذين استشهدوا هم أقل من ألف، أو أقل من مائة، أو حتى أقل من عشرة، فهل هذا يعفي القاتل من خطيئة القتل العمد، في حين أن من قتل نفسا واحدة فكأنما قتل الناس جميعا.

وتحضرني لقطات عرضت في التلفزة الفرنسية الثانية يوم السبت 26 مارس قدمت فيها صور لصاروخ أمريكي أصاب منطقة مدنية، ولكن الصحفي يُرينا بكل ذكاء أن حفرة الصاروخ كانت أصغر بكثير من المتوقع، بحيث أكدت اللقطة أن الصاروخ لم ينفجر في عين المكان، وأن شظاياه نقلت من مكان ثان.

ويُشحنُ الصحافيون الأجانب إلى المقبرة لتشييع ضحايا القصف الجوي من المدنيين، كما قيل لهم، فيجدون في المقبرة جموعا هاتفة للعقيد، لم يكن من بينهم أي أقارب للقتلى، وبالطبع فلم يكن هناك تقارير طب شرعي تؤكد ظروف الوفاة وتوقيتها، وكلها أحداث تكررت إلى درجة أن في "الناتو" من بات يشعر بنوع من العقدة نتيجة ما يقال عن إصابة المدنيين، وهو جزء رئيسي من مخاطر أي حرب، خصوصا إذا كان هناك من يستعمل المدنيين كدروع بشرية وهو يعلم علم اليقين بأن حياتهم ستكون في خطر، وهو ما يعني أنه يتحمل نفس مسؤولية من يرسل بالصواريخ إن لم تكن مسؤوليته أكثر جرما لأنه يعرف.

ويبرز الصحفيُ صور ثقوب توجد على حائط مباني مدنية قيل أن القصف الجوي قد استهدفها، وكانت مستديرة الشكل وليست شروخا كما يحدث في حالة القصف الجوي، ويؤكد الصحفي أن الثقوب، شكلا وتوزيعا على الحائط، هي رصاص قناصة، ولم يكن من بين "الثوار" من كان يعرف معنى القناصة.

ويقول وزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس (ما أوردُه هنا بكل تحفظ لأنني أعرف أن الدعاية جزء من العمل الحربي) وذلك في مقابلة ضمن برنامج "واجه الأمة Face the nation" على محطة "سي بي إس نيوز CBS News" الأمريكية، سُجلت السبت (عن القدس العربي 27 مارس) أن الاستخبارات تشير إلى أن قوات القذافي تضع جثث مدنيين في مواقع هاجمتها قوات التحالف الدولي، وقال الوزير لمحاوره بوب شيفر: "لدينا الكثير من المعلومات عن قيام القذافي بأخذ جثث أشخاص كان قد تم قتلهم ووضعها في مواقع استهدفناها"، وشدد وزير الدفاع الأمريكي على أن قوات التحالف "حذرة جداً في عملها العسكري"[392].

ورغم أنني لا أصدق الأمريكيين على طول الخط فإنني تابعت من أكاذيب رجال القذافي ما يكفي، ولعل هذا هو نفس موقف من يفشل في إقناعنا بصدقية اللقطات التي تقدمها التلفزة الليبية، فيروح يجادل بأن هدف التدخل الأممي هو أساسا دفاع الغرب عن مصالحه الخاصة، بحماية آبار النفط من سياسة الأرض المحروقة التي بدأ العقيد في تنفيذها ابتداء من "راس الأنوف". ولن أنساق مع هذا الجدل مكتفيا بالقول أن واجبنا يصبح شكر قوات التحالف، التي لم تنقذ المدنيين في بنغازي فحسب، بل قامت بحماية النفط الليبي، وهو الثروة الرئيسية للشعب الليبي، من مصير مأساوي عرفه يوما النفط الكويتي في بداية التسعينيات.

لكنني أعترف بأن رفع **الأعلام الفرنسية** في ساحات بنغازي **صدمني**، تماما كما صدمتني الأعلام **الأمريكية** في ساحات الكويت بعد إجهاض الغزو العراقي في بداية التسعينيات، فلم تكن الجماهير، أو من يحركها، في حاجة لمثل هذا التصرف الساذج الذي لوث الانتفاضة الليبية الوطنية.

وبغض النظر عن كل شيء فقد كان أكثر ما صدمت به وتحكم في ردود فعلي ما كان يصلنا عن المصادر الليبية الرسمية من أخبار معظمها كان مشبوها وكاذبا ومراوغا، وهو ما خدع به كثيرين عندنا، وإن كنت أعرف أيضا أن هناك من كان يعرف، ولكنه، لأسباب يعلمها الله وأولوا العلم، يخون أمانة الكلمة، وكان هذا يغطي على غضبي من سذاجة الانفعالات العاطفية في شوارع بنغازي.

وهكذا رحت أعيش الأيام ممزقا بين مشاعر متناقضة، بعضها يصل إلى درجة الاستفزاز البليد، خصوصا عندما سمعت من مسؤول حزبي، أشك كثيرا في معلوماته وأشك أكثر في خلفياته، نفيا متحمسا لاستعمال العقيد لقوات من المرتزقة، وتحداني إن كنت رأيتهم، في حين عُرضت صورهم في أكثر من قناة إخبارية، وعندما قلت له أنني رأيتهم وسمعت تصريحاتهم تركني متشككا فيما كنت أقوله.

وتعود فزاعة "القاعدة" إلى الظهور إعلاميا، فتنشر بعض صحفنا تصريحا لمسؤول أمني **غامض!!** نقلته القدس العربي يوم الثلاثاء 5 أبريل، يقول بأن جناح **تنظيم القاعدة في** شمال أفريقيا، المعروف باسم تنظيم

---

[392] - ترددت هذه المعلومات مرة أخرى إثر ما أعلنته المصادر الليبية من مقتل ابن العقيد الأصغر في غارة أطلسية، والغريب أن بيرسكوني رئيس الوزراء الإيطالي، وطبقا لوكالات أنباء في نهاية شهر مايو ، كذب مقتل سيف العرب.

القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي: "**حصل من ليبيا** على صواريخ "ستريلا" التي تحمل على الكتف، وهي مضادة للطائرات، وتعرف في دوائر حلف شمال الأطلسي باسم سام 7" وقال المسؤول، الذي قالت الصحيفة أنه طلب عدم الإفصاح عن اسمه، بأنه : "توجهت قافلة من ثماني سيارات نقل صغيرة من نوع تويوتا "ملأى" (هكذا) بالسلاح قبل عدة أيام عبر تشاد والنيجر ووصلت إلى شمال مالي"[393].

وأضاف نفس المسؤول **الغامض** بأن : "الأسلحة شملت "آر.بي.جي-7" و"إف.إم.بي.كي"، وهي بنادق الكلاشنيكوف الآلية الثقيلة، وبنادق كلاشنيكوف ومتفجرات وذخائر ونعلم أن هذه ليست أول قافلة"[394].

ثم يقول ... "وما زالت العملية مستمرة".

لكن صحيفة "القدس العربي" التي أوردت الخبر شككت في مضمونه وخلفياته، وأتبعته بتعليق ينفي فيه المعارضون الليبيون أي صلة لهم بالقاعدة، وأوردت ما قاله في الأسبوع الماضي الأميرال الأمريكي "جيمس ستافريديس" قائد قوات حلف الأطلسي في أوروبا (والذي يملك أكبر حجم من المعلومات عن المنطقة) من أن معلومات المخابرات تظهر وجودا ضعيفا للقاعدة في ليبيا، ولا يوجد لها دور كبير في الانتفاضة الليبية (واعترف أحد الثوار أن بين صفوفهم نحو عشرين ممن كانوا معتقلين في سجون القذافي بتهمة الأصولية)

وتعلق "القدس العربي" على تلك المعلومات يوم الأربعاء 6 أبريل فتقول : "دعونا نسلم أن هذه المعلومات صحيحة تماما (وهي لم تقل بأن **مصدر المعلومات** المؤكد هو المخابرات الليبية) ثم دعونا نتساءل فقط عن الأسباب التي جعلت عمليات تهريب كهذه تنجح، فنحن نجد أن المعلومات في غاية الدقة...عدد السيارات وأنواع الأسلحة التي كانت تحتويها والطريق الذي سلكته، وهو لا يمتد عشرات أو حتى مئات

---

[393] -اعتبر الصحفي الأمريكي اليكساندر اميريك جونز، الذي "قيل" أنه معروف بمعارضته للإدارة الأمريكية واللوبي الصهيوني وله مواقف كثيرة ضد سياسات بوش وحتى باراك أوباما (هل قرأ له أحد شيئا قبل اليوم؟) أنه بمقدور أي شخص تابع تسلسل الأخبار خلال العشرية الماضية التأكد من أن تنظيم القاعدة صناعة امريكية أنشأتها وكالة الاستخبارات الأمريكية "سي أي أي". وقال جونز: "القاعدة التي تم إنشاؤها بدعم من السعودية وإسرائيل والمخابرات الباكستانية وبتنسيق مع القوات الخاص البريطانية هي أكبر خدعة شهدها العصر الحديث". أوضح جونز، في حلقة من برنامجه الأمريكي الشهير "Show The Alex Jones"، طبيعية تنظيم القاعدة خلقته الاستخبارات الأمريكية للقيام بعمليات تصنع بؤر توتر في المنطقة الاقتصادية الإستراتيجية من أجل تبرير تواجد قوات التحالف الدولية. وشدد جونز على أن القاعدة تنظيم استخباراتي بالدرجة الأولى قائلا: "القاعدة تمولها البنوك الخاصة للدول الكبرى من أجل مساعدتها على السيطرة على ثروات الدول الغنية بالثروات". واشار جونز أن الدول الكبرى تود الإطاحة بالقذافي لأنه أضحت ترى فيه تهديدا لمصالحها الاقتصادية خصوصا بعدما تأكد لديها بأن القذافي أصبح يود الاستفراد بالقارة الإفريقية تحت غطاء الاتحاد الإفريقي ودعم القذافي للأفارقة، الذي يقوم بتأجيج مشاعرهم تجاه الدول الغربية(وواضح هنا أن للمخابرات الليبية دور في صياغة هذا التقرير الذي لا يتمتع كاتبه باي سمعة دولية) وأوضح جونز أن القذافي يسير شؤون إفريقيا عبر البنك الليبي المركزي وليس عن طريق البنوك الخاصة وهو ما يزعج أصاحب رؤساء الأموال والبنوك الخاصة.وأضاف: "معظم قادة المعارضة تلقوا تدريبات في فرجينيا الأمريكية من طرف السي أي أي (CIA)والاستخبارات هي التي تحرك الأوضاع في ليبيا". وأوضح جونز، أن تنظيم القاعة سينتقل للقيام بمهام مشابهة كتلك التي لعبها في العراق وقال جونز: "CIA لجأت إلى التنسيق مع الإسلاميين الراديكاليين والمسلحين المصريين والسعوديين (!!!) من أجل لعب دور في اتجاه مخطط الإطاحة بالقذافي وبسط الطريق أمام القوات الدولية". وأوضح جونز أن القوائم السوداء التي يتحدث عنها قادة ""البنتاغون" ويقولون بأنهم يضعون رموز قادة القاعدة ضمنها، ما هي إلا قوائم وهمية، وأشار جونز أن أبرز رموز قادة القاعدة ينسقون مع البنتاغون لتنفيذ عملياتهم الإرهابية وصنع بؤر توتر، ونقل دورهم من منطقة إلى أخرى، وقال جونز: "السي أي أي قامت بنقل قادة طالبان عبر طائرات لقيادة الحرب في الصرب ثم لكي ينتقلوا إلى القيام بعمليات أخرى في دول متعددة". وأكد جونز أن بن لادن لم يكن العصب الأقوى في تنظيم القاعدة، وقال: "أنور العولقي هو القائد الحقيقي للتنظيم الذي يتحرك وفق أجندة أمريكية، الذي يلتقي بشكل دائم وسري بقادة البنتاغون، في وقت تم وضع اسمه في قائمة المطلوبين الدوليين من أجل إبعاد شبهة التورط مع البنتاغون عنه". هذا وأوضح أن تنظيم القاعدة الجديد، سيكون في ليبيا وسيشكل المنشقون الليبيون جزءا هاما منه، وقال: "لا شك أن القذافي شخص سيئ لكن حقيقة ثوار بنغازي أسوأ ، والقوات الخاصة البريطانية التي سبق لها القيام بمهام في العراق انتشرت في ليبيا قبل اندلاع ثورة المعارضة الليبية، وهم من قاموا بإطلاق النار على الشرطة في مدينة البصرة العراقية وهو ما فجر الصراع بين الشيعة والسنة". وأوضح جونز أن "بريزنسكي" أكد في كتابه أن تنظيم القاعدة الذي تم إنشاؤه سنة 1979 من أجل القيام بعمليات ضد الروس هو تنظيم القاعدة اليوم الذي لا يزال يواصل القيام بتنفيذ أجندة السي أي أي. وأشار إلى أن أعضاء تنظيم القاعدة تلقوا تدريباتهم على يد قادة وزارة الدفاع الأمريكية. (علال محمد – الفجر – 5 مايو - ويلاحظ أن صلب التقرير يؤكد مضمون تقرير آخر موجود في هامش آخر يقول أن سقوط القذافي خسارة لإفريقيا، وبهذا يتضح المستفيد من التقارير، كما يلاحظ أن الصحفي الجزائري الذكي قدم التقرير في صورة من يقول بأن ...ناقل الكفر ليس بكافر)

[393] - الخبر الجزائرية 18 أبريل 2011. وفاتني أن أقول أن الفضائية الليبية، ومعروف من يُزودها بالمعلومات والتوجيهات، أعطت نفس المحتوى الخبري أكثر من مرة.

[394] - أي جدية هذه عندما يتهرب مسؤول أمني عن إعطاء اسمه وصفته، والمعلومات، إن صدقت، كان يجب أن تصدر عن هيئة مؤهلة لإعطاء المعلومات الأمنية وليس بطريقة التسريب التي تستهدف نشر معلومة بدون تحمل مسؤوليتها.

الكيلومترات، قافلة محملة بأسلحة وذخائر حربية متطورة تسير في صحراء عارية آلاف الكيلومترات، وتصل إلى نقطة الوصول دون أن يتمكن منها أحد أو يبلغ عنها أحد، بل الأدهى من ذلك هو أن المصادر الأمنية تؤكد أو لعلها تهدد أن هذه ليست أول قافلة، وأن العملية مستمرة، وتواصل الصحيفة قائلة: "دعونا نسلم جدلا أن هناك فعلا تنظيما قويا يدعى القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، كم هو تعداده وما هو قوامه؟ عشرات، مئات، آلاف أم مئات الآلاف؟ المسؤولون المؤتمنون على أسرار التنظيم يؤكدون أن أعداد هؤلاء لا تتجاوز بضع مئات، وأمام الحرب المستمرة والإمكانيات والخبرات المرصودة لمحاربة هذا الخطر، لا بد لنا أن نتساءل مرة أخرى، هل هي قوة وفاعلية التنظيم الإرهابي أم عجز أجهزة الأمن التي جعلت بضع مئات من البشر ينجحون في زرع الرعب في المنطقة والعالم أجمع، ويهددون استقرار دول لسنوات وسنوات، أم أن هناك تفسيرا آخر أصح، لكن لا يريدون من الناس أن يعرفوه؟!"

وأنا أطرح أقرب الاحتمالات إلى التصديق، على ضوء ما أعلنه العقيد من أنه سيفتح مخازن السلاح للجماهير، وما قاله سيف الإسلام من أنهم سوف يفرجون عن المساجين، وبالإضافة إلى أن المتظاهرين في ليبيا بدءوا بشكل متناثر وغير منظم، بالتالي ويكون الاحتمال المنطقي أن **قوة منظمة** هي من تولت إرسال قوافل الأسلحة إلى تجمعات القاعدة جنوب الصحراء، والقوة المنظمة الوحيدة القادرة على ذلك هي نظام **القذافي**، الذي أعلن أنه سيفتح الباب أمام نشاط القاعدة إذا هوجم، والنظام **نفسه** هو الذي سرب المعلومات التي تتهم الثوار[319].

وتنقل وكالة الصحافة الفرنسية الخبر التالي: في احد مساجد بنغازي معقل الثوار الليبيين يصلي اثنا عشر رجلا بسكينة..إنهم مريدون في الطريقة السنوسية الصوفية التي سطرت صفحات من تاريخ البلاد، قبل أن يطمس آثارها العقيد معمر القذافي، ويقول حسن البالغ من العمر 72 عاما "القذافي لا يكف عن القول أن الناس هنا مع تنظيم القاعدة، وها أنت ترى! نحن أناس معتدلون، أناس وسطيون، أناس طيبون، ولدى اندلاع الانتفاضة في ليبيا، اتهم العقيد الثوار بأنهم من أتباع زعيم تنظيم **القاعدة** أسامة بن لادن، الأمر الذي أصاب الناس بالدهشة في شرق البلاد، معقل المعارضة والمهد التاريخي للطريقة السنوسية الصوفية، ويضيف هذا الرجل المسن : "أراد القذافي القضاء على الطريقة السنوسية لأنه كان يرى فيها خطرا على سلطانه".

وبينما **نفى** وزير الخارجية الإيطالي "فرانكو فراتيني" أن يكون تنظيم القاعدة قد اخترق صفوف الثائرين الليبيين، تنشر صحيفة جزائرية في منتصف شهر أبريل عنوانا كبيرا على صفحتها الأولى يقول بأن "**القاعدة ستسيطر على ليبيا** في حالة سقوط القذافي"، وتنسب الخبر إلى نائبة أمريكية اسمها "ميشيل باشمان"، لم نكن سمعنا عنها قبل اليوم، وقيل لنا أنها عضو لجنة الاستخبارات بمجلس النواب الأمريكي، وهو خبر كان يمكن أن يكون منطقيا لو صدر على لسان مدير المخابرات المركزية أو الناطق باسم البيت الأبيض أو البنتاغون أو السيدة كلينتون، وكان الطريف في الخبر أن مضمونه جاء في إطار نفس المقال الذي أشار إلى خبر نشرته صحيفة "نيو يورك تايمز"، وهي من هي، تقول بأن "الحكومة الأمريكية تقوم ببحث مكثف لإيجاد **بلد يمكنه أن يستضيف القذافي**"[320].

---

[319] - تنظر محكمة جنايات الجزائر العاصمة هذا الشهر، في أخطر قضايا التجسس التي كانت ستضر بسمعة الجزائر وبمصالحها الاقتصادية، حيث يتعلق الأمر بإجراء مخابرات مع عملاء دول أجنبية كان من بينها ابن الرئيس الليبي معمر القذافي. القضية التي تورط فيها المدعو اسكندر الذي سيواجه الجناية في 13 جوان الجاري في غياب نجل القذافي (حنبعل) الذي كلف المتهم الجزائري بتفجير مؤسسات وهياكل هامة في سويسرا ومطار جنيف الدولي. كما تورط المتهم في تسريب معلومات للقنصلية الفرنسية بولاية عنابة، المدينة التي ينحدر منها وتتعلق المعلومات بأخبار تمس بالجانب الدبلوماسي والاقتصادي، بعد فراره من ليبيا شهر مارس 2010، أين كان يعمل كنادل في مركز استراحة بطرابلس. وعقب توقيفه بمنطقة الدبداب، صرح المتهم إن نجل الزعيم الليبي اعتمد عليه في مهمة سرية في سويسرا وبلدان أوروبية أخرى، مؤكدا أن ابن القذافي أمره بتفجير مطار جنيف الدولي، ووعده انه سيحمّل تنظيم "القاعدة" هذا التفجير الإرهابي، وكان اسكندر قبل هذه المهمة جاء إلى الجزائر لزيارة أهله بطريقة سرية، ولدى عودته إلى ليبيا زود ببطاقة هوية ليبية باسم (مراد سنان) وببطاقة مهنية عسكرية برتبة نقيب وسلاح فردي. وكشفت مجريات التحقيق عن حقائق مثيرة تتعلق بأسرار العقيد القذافي ونجله قائد القوات البحرية الليبية، حيث كان يعمل اسكندر في مطعم (استاكوزا) بالمنطقة السياحية بليبيا، وذلك منذ سنة 2008، واقترح عليه صاحب المطعم نقله لأحد مراكز الاستراحة وهو مركز خاص بنجل الرئيس الليبي، أين تعرّف الجزائري على الرجل الثاني في مجلس قيادة الثورة الليبية، لأن المركز يضم شخصيات مقربة من معمر القذافي كزعيم المخابرات الليبية عبد الله سنوسي. (الشروق العربي – 5 يونيو)

وفي اليوم التالي (الجمعة 22 أبريل) مباشرة يصرح رئيس أركان حرب القوات الأمريكية "مايك مولن" بأنه **لا وجود للقاعدة في** أوساط الثوار، والمؤكد أنه اطلع على تصريح السيدة باشمان، وبموازنة المصادر يبدو ما قالته السيدة المذكورة محاطا بالشكوك التي يجب أن يأخذها صاحب القرار بعين الاعتبار.

ويبدو الأمر أحيانا توزيعا للأدوار، فالمدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي أي إيه- بين العامين 2006 و2009) مايكل هايدن يصرح في 27 أبريل لوكالة الأنباء الفرنسية (عن القدس العربي يوم الثلاثاء 26 أبريل) بأن "سقوط العقيد الليبي معمر القذافي قد يُعقد جهود مكافحة الإرهاب للولايات المتحدة على المدى القريب، فالقذافي كان **شريكا جيدا** لواشنطن، ووكالة الاستخبارات الأمريكية ارتبطت بعلاقات عمل جيدة مع القذافي وموسى كوسا وزير خارجيته الذي انشق مطلع ابريل، وأيا كان رأيكم في القذافي وموسى كوسا، فقد كانا شريكين جيدين في مكافحة الإرهاب، وبعد أن كان معزولا من المجتمع الدولي خصوصا على خلفية دوره في اعتداء لوكربي عام 1988، أقام العقيد علاقات جيدة مع الغربيين عام "2003.

ورأى الجنرال أن : "الأحداث في ليبيا وسوريا ستجعل المعركة (ضد الإرهاب) في المستقبل القريب أصعب بكثير، على الرغم من أن موجة الاحتجاجات في العالم العربي قد تظهر ايجابية بالنسبة للولايات المتحدة على المدى الطويل من خلال جعل الترويج لأفكار تنظيم القاعدة أقل تأثيرا بحسب تعبيره "(والغريب أن هذا هو ما هدد به القذافي في البداية)[321].

وكانت صحيفة الحياة في لندن قد نشرت يوم 16 ابريل حوارا مع مسؤول **"قاعدي"** أكد فيه بأن هناك **إمارات** إسلامية تُقام في مناطق الشرق الليبي الذي يسيطر عليه الثوار، وشن هجوماً عنيفاً على المجلس الوطني الانتقالي ووصفه بأنه مجلس **الكفر** الانتقالي، منتقداً استعانته بقوات من وصفهم بالصليبيين، وجاء ذلك رداً على أسئلة وجهتها الصحيفة عبر البريد الإلكتروني لمن قدم نفسه كمسؤول إعلامي في "تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"، ويُعرف باسم "صلاح أبي محمد".

وهكذا وردًا على سؤال طرحه الصحفي اللبناني، المعروف بصلاته الجيدة بدوائر **استخباراتية** عربية، يقول : هل للقاعدة وجود فعلاً داخل ليبيا في ظل المزاعم المتكررة في شأن حصولكم على أسلحة وصواريخ أرض جو من مخازن الأسلحة في ليبيا كما ورد أخيراً على لسان مسؤولين أمنيين جزائريين والرئيس التشادي إدريس دبي؟ ويكون الرد : **نعم**، ولدينا **إمارات إسلامية**، ولا نخاف من ذلك لأننا لسنا مجرمين ولا نخشى إلا الله سبحانه وتعالى، والأسلحة للدفاع عن شرفنا وشرف الأمة الإسلامية ورفع راية الإسلام، فلنا في إمارة مدينة درنة ومدينة بنغازي ومدينة البيضاء ومدينة المرج ومدينة شحات الإسلامية كُل عز وفخر، خصوصاً إمارة درنة وأميرها الشيخ الفاضل عبد الحكيم الذي شكّل هو وإخوانه المجلس الإسلامي بالمدينة ليحكم بشرع الله. (وهو **مضمون** ما صرح به **العقيد** في الأيام الأولى للانتفاضة الشعبية) ولكن بعد يومين تنشر القدس العربي في لندن من مراسلها في نواكشوط تعليقا على الحوار، تضمن نفي تنظيم القاعدة بالمغرب الإسلامي لما أسماه الحوار المفبرك الذي نشرته صحيفة عربية تصدر في لندن يوم السبت (لم يذكر اسم الصحيفة) واتهم التنظيم في بيانه مخابرات عربية (؟؟؟) متعاونة مع مخابرات القذافي بالوقوف وراء "فبركة" وتزوير هذا الحوار، مؤكدا أنه يملك الأدلة على الفبركة، وهي أدلة (..) تثبت بوضوح مدى قذارة الدور الشرير الذي تلعبه

---

321 - جامعي جزائري برز في صحيفة لم يعد يقرؤها كثيرون كباحث أكاديمي وأصبح يقدم نفسه على أنه خبير في الشؤون الأمنية والإستراتيجية (والذين كثر عددهم هذه الأيام) قفز على تصريح الجنرال فعاجلنا (الفجر – 28 أبريل) بحديث ثمّن فيه تصريح الجنرال قائلا بأنه "تصريح مفيد وإيجابي". وأكد أن "**سقوط القذافي سوف يخلق فراغا سياسيا** ويخلق صراعا حول السلطة لعدم وجود بديل" واعتبر أن المجلس الانتقالي الليبي يفتقر لخطة عمل لما بعد القذافي، حيث أنه عبارة عن "مجموعات مشكلة تجتمع حول هدف إزاحة القذافي دون توفرها على تصور حول ماهية مستقبل ليبيا بعد القذافي، وبما أن نظام القذافي مرتبط بعائلته والقبائل فإن إسقاطه سيترك فراغا كبيرا"، واستبعد "قدرة المجلس الانتقالي على إدارة فترة ما بعد القذافي نظرا لعدم شرعيته، فلا يمكن إدارة ليبيا بمجلس لا يملك لا شرعية ولا وجودا قانونيا ولا يتوفر إلا على دعم خارجي فقط"، والغريب أن المضمون هنا نجده في تصريحات زيف الإسلام القذافي، ونجد محصلته في حديث "معاريف" الإسرائيلية (28 أبريل) التي تقول بأن "مجموعة القتال الليبي تهدد الأمن العالمي والاستقرار لاستعمال العنف وعلاقاتها العقائدية بالقاعدة ومنظمات إرهاب وحشية أخرى، وحدث في 2007 انقسام في المنظمة على أثر جدل في استعمال العنف والسلاح، وفي 2009/ 2010 قُدمت تقارير مرارا عديدة عن أن قادة القاعدة أعضاء في المجموعة برغم إنكار من مصادر مختلفة. على كل حال، المنظمة بحسب الأمم المتحدة هي منظمة إرهاب (..) يتبين أن تأييد المتمردين المجاهدين ليس نموذجا لحقوق الإنسان بل عملية غير قانونية هي تأييد منظمة إرهابية تعارض قرارات الأمم المتحدة". وهكذا يتفق مضمون رسالة نظام القذافي مع بعض ما أصبح يكتب عندنا.

نظم عربية في دعمها للطاغية القذافي لتثبيت أركانه ومساندته في ذبح إخواننا المسلمين الأحرار في ليبيا، مما يستوجب على الشعوب المسلمة سرعة التحرك وبذل ما في وسعه للضغط على حكامه العملاء وفضح موقفهم الخيانيّ المجرم".

وكانت صحيفة جزائرية مرموقة قد نشرت على صفحتها الأولى منذ أيام تصريحا لمسؤول جزائري سامٍ (من السموّ وليس من السمّ) يقول: "الجيش الليبي **انسحب** من الحدود مع الجزائر وباتت **مكشوفة** أمام الإرهابيين"، وعلينا أن نفهم من هذه الصياغة الغبية أن الجيش الليبي هو الذي كان يحمي حدودنا من الإرهابيين، ولم يسأل كاتب "المانشيت" أو مصدر الخبر عن أثر هذا العنوان المشوّه على سمعة الجيش الجزائري، الذي يعود له الفضل الأول في حماية الدولة الجزائرية ومستقبل الشعب الجزائري، والذي يظل دائما أقوى وأهم المؤسسات الوطنية الجزائرية وأكثرها حرصا على حماية الوطن والدولة[322].

ومن حسن الحظ أن المسؤول السامي عاد في يوليو فصرح (القدس العربي 13 يوليو عن وكالة الأنباء الفرنسية) أن : الشائعات التي تقول أن هناك أسلحة تهرب على نطاق واسع عند الحدود بسبب الأزمة الليبية مبالغ فيها، وأضاف في تصريح لوكالة الإنباء الجزائرية :حدودنا آمنة وهناك فرص ضئيلة لإمكانية إدخال أسلحة من هذا النوع إلى بلدنا.

وكان الوزير الجزائري للشؤون المغاربية قال في يونيو، قال أن أسلحة قادمة من ليبيا استعملت للقيام باعتداءات في الجزائر، وجاء كلامه بعد سلسلة اعتداءات استهدفت قوات الأمن خصوصا في منطقة القبائل بشرق الجزائر.

ولعلي الآن أطرح احتمالا لست أدري مدى صحته، حيث انني أسجله كاستنتاج يعتمد على عنصرين، العنصر الأول هو اختفاء "زيف" الإسلام خلال شهر مارس كله تقريبا، والثاني هو تنمر كتائب القذافي واستعمالها مؤخرا لتاكتيكات متطورة جدا، استفادت من كل نقاط الضعف عند الثوار البسطاء الذين كان معظمهم لا يعرف كيف يصوب البندقية، والاستنتاج البسيط جدا، والذي ينتظر معلومات تؤكده أو تصوبه أو تنفيه، هو أن ابن العقيد انتقل إلى مكان ما في أوروبا، وقد يكون أقرب السواحل إلى ليبيا وهي **مالطا**، وكرُ فرسان الهيكل المعروفين[323]، وجمع حوله هناك، وبفضل حجم هائل من الأموال، مجموعات عمل ومكاتب خبراء أتصور أن معظمهم إسرائيليون، وهكذا استطاعت كتائب العقيد أن تلتقط أنفاسها بما أعطى الفرصة لمرتزقته عبر العالم كله لتدمير العمل الأممي، الذي كان يفترض أن يُسقطه في الأسبوع الأول، وهكذا امتص الصدمة الأولى وراح بعد ذلك يمارس ضد شعبه ما لا يمكن إلا أن يعتبر انتقاما[324].

---

[322] - نفس المسؤول صرح لصحيفة الشروق يوم 3 مايو وردا على سؤال يتعلق باتهامات "المجلس الانتقالي" الليبي للجزائر لتجنيد المرتزقة؟ فقال : هذه افتراءات وأكاذيب لا أساس لها من الصحة. لا أحد يمكن أن يصدّق هذه الإساءات والمزاعم، فتاريخ الجزائر مشرّف ويؤكد وقوفها دائما إلى جانب إرادة الشعوب بعيدا عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول (وكان المفروض أن يقول أننا نتحداهم أن يقدموا دليلا على هذا الاتهام، ولكنه لم يفعل، وبهذا بقيت التهمة معلقة لأن المتحدث لم يدرك متطلبات العمل الإعلامي) وواصل الصحفي سؤاله قائلا : "استبعد وزير الخارجية وصول "الثوار" إلى الحكم في ليبيا، كيف ستكون العلاقات بين الجزائر وطرابلس في حال وصول الثوار إلى السلطة؟ وهنا نسي المسؤول بأن العلاقات الخارجية ليست مسؤوليته فقال : الثوار بادروا بالإساءة إلى الجزائر، وفي اعتقادي انه في حال وصولهم إلى الحكم ستكون العلاقات بين البلدين متوترة ومضطربة" وكان الردّ أحمقا. فأيا كان من يصل إلى الحكم في ليبيا فهو جار يجب أن تكون العلاقات معه على أحسن ما يكون. والمسؤول السامي هو نفسه الذي صرح في بداية يونيو قائلا بأنه لو طبقنا القانون لسحبنا اعتماد نصف الأحزاب الموجودة في الجزائر، ولم يقل لنا المسؤول ما هي قيمة بلد لا يطبق قانونه.

[323] - بدأ ظهور فرسان مالطة عام 1070 كهيئة خيرية لرعاية مرضى الحجاج المسيحيين في مستشفى قديس القدس يوحنا قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، وقد أطلق عليهم اسم فرسان المستشفى، والمؤكد أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد. وعندما قامت الحرب الصليبية الأولى 1097م وتم الاستيلاء على القدس أنشأ رئيس المستشفى تنظيماً منفصلاً اسماه رهبان مستشفى قديس القدس يوحنا وهؤلاء بحكم درايتهم بأحوال البلاد قدموا مساعدات قيمة للصليبيين وخاصة بعد أن تحولوا إلى نظام فرسان عسكريين حتى قيل إن الفضل في بقاء مدينة القدس في يد الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى فرسان "الهوسبتاليين" (Hospitaliers) بجانب فرسان المعبد. ولأن أرض رودس كانت بمثابة نقطة إستراتيجية هامة، فقد عمد الأتراك المسلمون بدورهم للاستيلاء عليها خصوصا مع تزايد قرصنة الصليبيين لسفنهم وذلك بعد حصار وضغط متواصلين وكان أهم حصارين في 1310 و 1480 مما أجبرهم على الاستسلام في 1522 والهجرة عن الجزيرة في أول يناير 1523 إلى أن منح الملك شارلكان (شارل الخامس) للهوسبتاليين السيادة على جزيرة مالطة في 24 مارس 1530، وبجانب سيادتهم على مالطة كانت لهم السيادة كذلك على عدة جزر بجانب مدينة طرابلس."

[324] - قال الأستاذ محمد المسفر في القدس العربي يوم 5 أبريل : تقول أوثق المصادر أن سيف الإسلام القذافي تواصل مع اليهود، الذين طلب منهم القذافي سابقا تشكيل حزب سياسي في إسرائيل ووعد بتمويله، وابلغهم الآن بأنه إذا

ومن واقع كل التطورات أستطيع أن أزعم أن العقيد، أو من **يخطط** له بتعبير أدق، والذي يتأكد أنه خبير في التخطيط والاستعلاء الوقح (Cynisme) والاستخفاف بالجميع وضع في كفة المعركة كل ما يملكه من قدرات لكي يحشد كل ما يستطيع حشده من إمكانيات ومواقف وتحركات، وهو في هذا يعتمد على ما كان يتصوره من تفاهة للمتابعين وسذاجة لقيادات الثوار، وهذا ما يفسر تصريحات "زيف" الإسلام بعد عودته إلى الفضائيات في بدايات أبريل، خصوصا بعد قنبلة مقر العزيزية.

ولعلي هنا أضيف تثمينا سريعا، أمل ألا يكون متسرعا، لوفد الاتحاد الإفريقي، حيث أذيع، قبل أن يبدأ وساطته بين المتحاربين، بأن العقيد القذافي يقبل بمبادرته التي لم تكن عرفت تفاصيلها، بينما رفضها المجلس الانتقالي فيما بعد، وهو ما كان في تصوري خطأ تاكتيكيا ارتكبه المجلس، كخطأ تسرع رئيسه في اتهام الجزائر، وهو ما رفضه المعارض سليمان دوغة (الفجر 14 أبريل) ونفى مبرراته المعارض الهادي شلوف عضو المحكمة الدولية (الفجر 20 أبريل) كما رفض المعارض الليبي علي زيدان تأكيد تلك الاتهامات الغبية، وصرح الممثل الخارجي للمجلس الانتقالي علي العيساوي، أن المعارضة المسلحة في ليبيا لا تعتقد بوجود مرتزقة جزائريين بالشكل الذي يوحي بأن الدولة الجزائرية تعلم بهم، وقال العيساوي، في مقابلة مع مجلة "الشراع" اللبناني (الخبر الجزائرية 27 مايو) أن هناك بعض الأفراد الجزائريين قالوا إنهم جزائريون، ونعتقد بأنهم ليسوا مدعومين أو مرسلين من الحكومة الجزائرية، ونحن نعتبرها حالات فردية[325].

وذكرتني الضجة التي قامت عندنا حول القضية بحكاية العجوز التي أمسكت بسارق.

وكان علينا أن نرفع التحدي ونطالب من اتهمونا بالكشف عن أسماء المرتزقة ونشر صورهم والقيام باستجوابهم أمام التلفزة، بدلا من الدعم الضمني لمواقف القذافي بتحريض بعض الأقلام الصحفية على مهاجمة الثوار والانتقاص من قدرهم، والهجوم الشرس على التدخل الفرنسي ورفض اعتبار تنحي العقيد ضمانة رئيسية للسلام، وهكذا بدا موقفنا لمن يتابعه في الداخل والخارج أقرب لموقف من يشعر بعقدة ذنب، ثم رحنا نقول أن تلك الاتهامات "مرتبطة بقضايا قديمة"، وهو تعبير لم تفهمه غالبية المواطنين ناهيك عن الأصدقاء، ولم يدرك خلفياته إلا من يعرف أن الإشاعات وراءها دوائر شقيقة تسعى لاستثمار الموقف لاكتساب تألق

سقط نظام حكمه فان إسرائيل ستكون الخاسر الأكبر، ومن هنا بدأت ممارسة اللوبي الإسرائيلي في أمريكا وأوروبا الضغوط على صناع القرار هناك بعدم تمكين الثوار من تحقيق النصر، ونلاحظ أن أسلحة إسرائيلية الصنع تم الاستيلاء عليها من كتائب القذافي، وتقول أوثق المصادر أن فلسطينيا مستنفذا في الأرض المحتلة وهو شريك في مشاريع استثمارية مع القذافي الابن (قيل أنه محمد دحلان، وهو ما كذبه المسؤول الفلسطيني) هو حلقة الوصل اليوم بين أركان حكم القذافي وإسرائيل التي تزوده بسلاح إسرائيلي متطور ، ويعلق قارئ قائلا:. ثمة تفاهم سري بين إسرائيليين و نظام القذافي من اجل دعم الأخير عتادا و دبلوماسيا و سياسيا لدى أمريكا و الغرب عموما و هو ما يتم في خفاء، ومن هنا الظهور الواثق والمتكبر لأبناء القذافي على التلفزيون.. بل ثمة من الخبراء الإسرائيليين من يعمل له كمستشارين في جميع المجالات.. وينسى القذافي أن هؤلاء العملاء لا تهمهم إلا المبالغ الضخمة من الدولارات التي يحصلون عليها نقدا...انه مخطط جهنمي فعلا لكنه بليد..لماذا؟ لان هدفه تركيع الشعب الليبي المسلم العربي لا غير.

[325] - - كان بو جمعة غشير رئيس الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان أكثر وعيا وفعالية من المراجع الرسمية في التعامل مع هذه القضية، وقال في تصريح لـ"الخبر" (الخميس 21 أبريل) أنه طلب من علي زيدان أن يقدم الإثباتات المتصلة باتهام الثوار الليبيين الجزائر بأنها أرسلت مرتزقة للقتال إلى جانب قوات القذافي. وجاء ذلك في لقاء مع المعارض الليبي، في الرباط خلال اجتماع للتنسيقية المغاربية لحقوق الإنسان، بداية الأسبوع الجاري، وطلب منه تقديم دلائل بشأن التصريحات الخطيرة للمعارضين في ليبيا، من أن الثوار ألقوا القبض على مرتزقة جزائريين، أكدوا أنهم جندوا من طرف المخابرات الجزائرية". وأوضح غشير أن زيدان رد بالقول إنه "ليس جازما حيال القضية، وأن أشخاصا يطرحون مثل هذه الأمور بناء على معلومات تداولت في هذا الشأن". وطلب رئيس الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان من ممثل المعارضة في أوروبا في رسالة موثقة أنه، حتى تتمكن الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان من اتخاذ الموقف المناسب تجاه هذا الوضع - إن كان حقا- والذي يرفضه الجزائريون، نرجو تزويدنا بأسماء الأسرى وتواريخ ميلادهم ومكانه ورقم جواز السفر - إن كان - ومكان إصداره وصورهم مع ذكر الجهة الأمنية الجزائرية التي جندتهم". وأبلغ رئيس الرابطة، ممثل المعارضة الليبية في أوروبا أن "الشعب الجزائري لا يمكنه أن ينسى وقفة الشعب الليبي إلى جانبه خلال ثورة التحرير ولا يمكنه قبول استمرار هيمنة القذافي على أحرار ليبيا، وبالمآل يرفض رفضا مطلقا أي مساعدة للقذافي وأنصاره مهما كان نوع المساعدة، فما بالك بإسناده بمقاتلين". وأكد غشير أن اجتماع التنسيقية بالرباط، شهد ما يشبه محاكمة مغربية للجزائر، وكان المغاربة أحرص من الليبيين أنفسهم على إدانة الجزائر ، حيث طلبت منظمة مغربية إدانة الجزائر بزعم إرسالها مرتزقة إلى ليبيا، اعتمادا على تصريحات منظمة حقوقية لم تذكرها بالاسم. وأظهر الاجتماع تحالفا بين جمعيات مغربية وأطراف في فرنسا من أجل إدانة الجزائر، وكان من واجه اتهامات المغاربة للجزائر المعارض الليبي علي زيدان، وأكد أنه سيتدخل في وسائل إعلام عربية ثقيلة من أجل "توضيح الأمور"، بينما قال رئيس الرابطة الجزائرية :أتعجب كيف توجه مثل هذه التهم للجزائر وهي دائما ملجأ للمعارضة الليبية الجادة (لعله يقصد استضافة عبد المنعم الهوني ومنصور الكخيا)

ديبلوماسي وتحاول تصفية حساباتها مع الجزائر التي تدعم البوليزاريو منذ منصف السبعينيات، وهي التي تروج لإرسال "مرتزقة" صحراويين عبر الجزائر[326].

من جهة أخرى، كان على بعض ممثلي الثوار، بدلا من تكرار ذلك الهراء، أن يُطالبوا بدور أكبر للجزائر في الوساطة الإفريقية، بحكم العلاقات القوية القديمة، بدلا من إلقاء اتهامات لا تستند إلى دليل.

وكنت أتمنى لو طلب المجلس الوطني الانتقالي من وفد الاتحاد الإفريقي بأن "يضرب طلّة" للجزائر قبل وصوله إلى ليبيا، فالجزائر رقم رئيسي في القارة الإفريقية وفي الوطن العربي وفي البحر الأبيض المتوسط على حد سواء، وأيا كان رأي البعض في القيادة الجزائرية فالمؤكد أنها تمثل رصيدا تاريخيا وطنيا، وخبرة سياسية وديبلوماسية وعسكرية، بجانب أنها عمق أمني إستراتيجي لليبيا[327].

وكان مؤسفا أن يصل الأمر إلى غياب أي اتصال مع السلطات الجزائرية لمعالجة الأزمة التي نشأت عن اتهامات المعارضة، وقال العيساوي في مقابلة نشرت يوم 16 مايو، ودائما طبقا لصحيفة الخبر: ليس لدينا اتصال مباشر بالجزائر، وهي أخذت الموقف بعدم الاتصال، ولديها موقف منا ومن ثورتنا.

وهي حماقة ليس دوري هنا أن أقول من المسؤول عنها.

---

[326] - حسب تصريحات إدوارد غابريبل، لمجلة الكونغريس الأمريكي"ذو هيل"، والذي بنى كلامه على وثائق وصفها بالسرية بعث بها النظام المغربي إلي الولايات المتحدة تدين الجزائر بالمرتزقة، وقال إدوارد إن أكبر دليل على تورط الجزائر بالمرتزقة هو رفضها التصويت لقرار الأمم المتحدة لفرض منطقة حظر الطيران في ليبيا. ويؤكد الخبراء والمحللون أن محاولة غابريبل، سفير أمريكا السابق ومستشار العاهل المغربي، استعمال التهم ضد البوليساريو تؤكد وجود صفقة بينه وبين النظام المغربي في سياق تحركه في قضية الصحراء الغربية، وهكذا قال ادوارد :"إن المئات من "مرتزقة" البوليساريو، التحقوا بصفوف كتائب القذافي للمشاركة في وأد الثورة الليبية، ومواجهة قوات التحالف الدولي "الناتو". وزعم إدوارد أن الجزائر جعلت من حدودها معبرا آمنا للمرتزقة نحو ليبيا، وأنها قدمت مبلغ 10 آلاف دولار لكل مرتزق يرغب في مشاركة النظام الليبي في مهمة القضاء على المعارضة وثوار بنغازي (وأن تسهل الجزائر مرور مرتزقة أمر يمكن أن يصدقه رجل طيب أما أن تعطي كل مرتزق هذا المبلغ من المال فلا يصدقه حتى الحمقى) كما أشار إدوارد إلى حقائق مزعومة عن إرسال الجزائر لـ 500 شاحنة خفيفة إلى الحكومة الليبية (هي التي اتهم بإرسالها الرئيس الأسبق أحمد بن بله عبر الحدود الجزائرية الليبية والتي لم ير أي مواطن قوافلها في المعابر بين البلدين) الشروق الجزائرية – 23 مايو.

327 - يقول الخبير الجزائري في الشؤون الإستراتيجية في جنيف "حسني عبيدي" في "الخبر" (14 أبريل) أن "الاتحاد الإفريقي ارتكب أخطاء تسببت في التقليل من أهمية ما يقوم به وبالتالي التقليل من أهمية محطة الجزائر، ويواصل قائلا :"المجلس الانتقالي أصبح اليوم رقما مهما في معادلة حل الأزمة الليبية، لكنه ارتكب أخطاء كثيرة نتيجة افتقاد أعضائه للخبرة الدبلوماسية، وأكبر هذه الأخطاء هي تسرّعه في توجيه اتهامات للجزائر". وفي هذا الخصوص، قال المتحدث موجها كلامه للمعارضة الليبية أنه "يتعين على المجلس كشف أدلة تورط الجزائر إذا كانت بحوزته، أما عدا ذلك فعلى المجلس الانتقالي أن يعلم بأنه لا يستطيع تغيير جارته الجزائر". وكشف المتحدث أن "المجلس الانتقالي يضم جناحا راديكاليا وآخر معتدلا، وللأسف الجناح الراديكالي الذي يمثله عبد الحفيظ غوقة (وهو رجل تتأكد حماقته يوما بعد يوم) مثلا يعتقد أن توزيع الاتهامات تجارة مربحة ويمكن أن تجلب له المصداقية". وأمام هذه المشكلة، يقول عبيدي "لجأ المجلس الانتقالي لتعيين أكثر من متحدث باسمه، فقد علمنا أن بعض أعضاء المجلس انزعجوا من اتهامات غوقة للجزائر".

وبخصوص الجزائر، يعتقد عبيدي أن "دبلوماسيتها ارتكبت أخطاء هي الأخرى منذ البداية، فهناك في الجزائر للأسف من هوّن من الانتفاضة الشعبية في ليبيا". ولتصحيح الخطأ، يعتقد المتحدث أن "الجزائر مدعوة لفتح خط مع جزء من الشعب الليبي، وهذا لا يعني الاعتراف بالمجلس الوطني الانتقالي الآن، وإنما من خلال المساعدات الإنسانية مثلا"، ويضيف بأن "من مصلحة الجزائر الإستراتيجية أن تبقى على مسافة واحدة من طرفي النزاع، كما تفعل تركيا التي تحظى بمصداقية القذافي والمعارضة في آن واحد". ويوجه الخبير نصيحة للثوار وممثليهم في المجلس الانتقالي في طريقة التعامل مع الجزائر بالقول "يجب عليهم ألا يكونوا أداة في أيدي قوى أو دول كبرى تريد تصفية حسابات مع الجزائر". ويعود المتحدث لانتقاد التراخي الجزائري في التعامل مع الشأن الليبي منذ البداية بالقول "الدبلوماسية الجزائرية كان أداؤها متواضعا في التعامل مع أزمة تهمها أكثر من تونس ومصر، لأن حدودها أصبحت مكشوفة ومهددة بالخطر، وأكثر من ذلك فإن سقوط نظام القذافي يعني أن أوروبا ستصبح جارة للجزائر". انتهى كلام حسني

وبمناسبة الوفد الإفريقي يبدو أن رئيس جنوب إفريقيا لم يكمل الجولة إلى بنغازي وقطع إقامته في طرابلس، وإذا صح هذا فهو عنصر سياسي كان يجب أن يستثمر، ولكن يبدو أن عدد المتكلمين في المجلس الوطني الانتقالي هو أكبر من عدد المفكرين الفاعلين، لكنني أقول أيضا أن الجزائر تسرعت في ردها العلني الغاضب على الثوار الليبيين، بحيث أعطت الديبلوماسية الشعور بأنها "سبة وملاقيتها حدور"، وكان يكفي، تقديرا لوضعية الثوار الصعبة، الاكتفاء بمطالبتهم تأكيد الاتهامات بصور ولقطات، وإن كان تصريح وزير الخارجية الجزائري للشروق يوم 25 أبريل بأن "رحيل القذافي لا يجب أن يكون شرطا مسبقا لإحلال السلام، ولكن كاحتمال من بين الاحتمالات الأخرى إذا أراد الليبيون ذلك، الجزائر تحترم قرار الشعب الليبي، ويبدو لي" يقول الوزير" أن هناك نوعا من التحول في البلدان الأخرى التي كانت تطرح رحيل وإقصاء القذافي كشرط مسبق، لكنها اليوم تيقنت بأن ذلك من غير الممكن إذا لم يقرر الليبيون ذلك، أي لابد من الحوار والنقاش" وهذا الموقف الضمني يمكن أن يعتبر تضامنا مع العقيد الليبي وانحيازا لموقفه، يضاف إلى عدم التنديد بتجاوزات النظام وعنفه المتزايد.

وكان المنطقي أن يستبق المجلس الانتقالي الليبي مجيء وفد الاتحاد الإفريقي بالمطالبة بإضافة رؤساء آخرين، إلى جانب الرئيس الكونغولي الذي عرف السلطة منذ 1979 وعاد لها وما زال متمسكا بها منذ 1997، والرئيس الموريطاني الذي تتردد حكايات كثيرة عن علاقاته بالعقيد القذافي، وجاكوب زوما، رئيس جنوب إفريقيا الذي يفتقد الخبرة والتجربة التفاوضية ولا يملك كاريزما مانديلا أو تجارب تابو امبيكي، وقد سبق فشله في حل معضلة "كوت ديفوار" وحل مشاكل السودان قبل ذلك، وهو يتحدث مع العقيد عبر مترجم مما يعقد عملية الحوار، إن كان هناك حوار أصلا (ومن هنا فشلت زيارته الثانية إلى ليبيا في نهاية مايو والتي لم يقم فيها أيضا بزيارة بنغازي).

وهكذا كانت أمام المجلس فرصة التشكيك في موضوعية وقدرة وفد الاتحاد الإفريقي قبل وصوله **"المتأخر"** إلى ليبيا، ويستبق بذلك ما يمكن أن يبدو موقفا مرنا من العقيد، وهو ما يدعم مصداقيته تصريحات زيف الإسلام عن سخافة المطالبة بتنحي القذافي، مؤكدا تمسكه بسلطة يدعي العقيد أنه لا يملكها[328].

وكان يمكن للمجلس أن يُعلن عن قبوله المبادرة الإفريقية مشترطا إيقاف إطلاق النار من قبل كتائب القذافي في ساعة معينة، من المؤكد أن العقيد سوف لن يحترمها، وبالتالي ستكون الكرة في ملعبه.

وكان يُمكن للمجلس بأن يناورا مطالبا بوجود المغرب والجزائر وتونس في وفد الاتحاد، بصفتها جزءا من اتحاد المغرب العربي، المعني الأول بالقضية بعد الشعب الليبي، مع العلم بأن المغرب ليس عضوا في الاتحاد الإفريقي.

ولكن الحماقة أعيت من يداويها.

وكما يقول المثل الجزائري : من هنا سخونة ...ومن هنا تكوي.

ولقد تعمدت أن أشير إلى أهم ما ورد من تصريحات متناقضة حول تلك القضية لأنني أردت إعطاء الفرصة للقارئ اليقظ لكي يتخذ قراره بنفسه، وبغض النظر عن رأيي في الأمر.

والمهم هو أن كل تلك التسريبات **المشبوهة** والتحليلات الموجهة بل والأكاذيب **الساذجة** التي يصدر بعضها عن مصادر ليبية والبعض الآخر عن مصادر إعلامية تتستر وراء علامات الاستفهام، ملأتني كلها بالشكوك، ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب.

وشجعني أكثر تزايد عدد المحللين الإستراتيجيين والخبراء العسكريين الذين ظهروا فجأة على سطح الأداء الإعلامي، ومنهم من لم نكن سمعنا عنه قبل اليوم.

(3)
جرائدُ ما خُطّ حرفٌ بها لِغيرِ تفريقٍ وتضليل[329]

---

328 - قال مراد مدلسي وزير الخارجية الجزائري في تصريح لصحيفة الشروق الاثنين 25 أبريل : حاول الاتحاد الإفريقي التحرك بمبادرة في اتجاه ليبيا، لكن الوفود الإفريقية لم تتمكن من زيارة ليبيا إلا بعد 15 يوما بسبب غياب الترخيص لأسباب غير واضحة، ونحن نعتقد أنه كان بالإمكان تفادي ما يحصل الآن لو أعطيت الفرصة للرؤساء الأفارقة الخمسة حتى يتحاوروا مع الطرفين من أجل الوصول إلى حل سلمي.. الاتحاد الإفريقي الوحيد الذي بإمكانه التحاور مع الطرفين.

329 - حرية الصحافة تعني حرية التعبير! وحرية لا يمكن أن تحدث وأجهزة الإعلام العامة والخاصة "مُبَوْلَسَة" وتحت الإقامة الجبرية.. والمثل يقول: "حيث يوجد البوليس تختفي الحرية!" وهل يمكن أن تكون الصحافة حرة والبوليس هو الذي يقوم يوميا بإجراء تقسيم الإشهار العمومي على الصحف بطريقة تقسيم أعمال جمع الزبالة على زبّالي العاصمة! وتحكم عملية التوزيع هذه في حجم المنافع التي تعطيها كل صحيفة للأمر بعملية التقسيم هذه! ولم يعد الأمر سراً، بل إن أصحاب الصحف التي تعيش على الإشهار العمومي يقولون ذلك علناً وبلا حرج "من يدفع يرفع"! كل هذا حدث لمهنة خضعت بصورة شبه كاملة لعملية البولسة! باسم المصلحة العليا للبلد.. وباسم خدمة المصلحة العامة! حتى أخبار الحوادث المختلفة أصبحت تباع جهارا نهارا والسلطة على علم تام بهذا الأمر.. بل وتباركه! والمهم أن

الشاعر المصري حافظ إبراهيم

*

كانت الأخبار التي جرى بثها عن مقتل ابن العقيد القذافي في اخر أبريل نقلة نوعية في الأحداث الليبية، لم يُحسن القائمون على شأن المعارضة الليبية التعامل معها بحرفيّة سياسية تنطوي على حجم ضروري من الماكيافيللية في الحروب، خصوصا تلك التي تواجه فيها قلة شبه عزلاء كثرة مدججة بكل أنواع الأسلحة.

والذي حدث هو أن مظاهرات صبيانية انطلقت في بنغازي مرحبة بمقتل "سيف العرب"، وهو تصرف أحمق لأنه، ومع اعترافي بقسوة ما تعرضت له المعارضة الليبية، لا شماتة في الموت، ولعل الاستثناء الوحيد والذي يُمكن أن يبرر الفرحة والتهليل هو انتقال العقيد نفسه إلى رحمة الله، بشرط أن يكون ذلك بفعل عناصر ليبية ثائرة وليس نتيجة لقصف أطلسي، أو وفاة طبيعية بمرض أو بانزلاق في حمام المنزل.

ولا بد هنا أن أسجل بأن تصريح رئيس المجلس الانتقالي كان متناقضا مع ردود الفعل الحمقاء ، فاتسم بالرزانة والهدوء، بل وعبر عن أساه لما حدث، ولكنه قال بالطبع أن هذا جزء مما يتعرض له الشعب الليبي بأكمله، وبدا هذا تأكيدا لوجود نوع من التناقض داخل إطار المجلس، الذي يبدو أن المتحدثين باسمه يكاد يفوق عدد الثوار، وهو ما سيقود إلى زيادة التوتر مع الجار الجزائري، لغير مصلحة الثوار.

والواقع ان ما حدث يدل على أن عنصر التوجيه السياسي والتنسيق الإعلامي ضعيف على مستوى المجلس، بالتوازي مع ما أشرت له من غياب الدراسة السياسية المعمقة للأحداث قبل اتخاذ المواقف والإعلان عنها، وهكذا كان من المفروض ألا يُسارع المحللون الليبيون إلى التشكيك في وفاة ابن العقيد نفسها، حتى ولو كان ذلك مبررا بالعديد من الشواهد، وكان الأفضل طرح احتمالات تخدم الطرح المناقض لتوجهات نظام العقيد، كأن يقال مثلا أن من بين **"الاحتمالات"** أن يكون سيف العرب قد لقي حتفه خلال عملية للثوار في طرابلس استهدفت العقيد نفسه، ونسبها النظام للناتو كعملية "بروباغاندا"، وهو ما تؤكده عمليات مماثلة حدثت فعلا عندما وضعت جثث لليبيين قتلوا في التظاهرات ضد قوات القذافي في مواقع قصفتها قوات الأطلسي لكي يتهم الناتو باستهداف المدنيين، وهو ما أثبتته طبيعة الجروح القاتلة التي كشفت التلفزة بعضها، ولم تكن من نوع ما تحدثه صواريخ الطائرات، وهو ما سبق أن أشرت له.

ولعل مما يمكن أن يصب في مصلحة هذا الطرح وكان يمكن أن تستثمره المعارضة أن التلفزة الليبية لم تقدم على الفور أي صُور لجثامين الضحايا من أسرة العقيد، وهو أمر كان ضروريا من الناحية السياسية حتى ولو لم يكن من بين تقاليدنا العربية الإسلامية، ولعل هذا كله ما استند له بيرليسكوني وهو يشكك في الأمر، وكان يمكن أن يستثمر تراجع المتحدث الرسمي باسم النظام الليبي عن عدد القتلى، أو ما تردد من أن العملية استهدفت أساسا العقيد القذافي ولكن خطأ ما أدى إلى أن يصاب ابنه[330].

وتقول (رويتر): أحضر مساعدو العقيد الليبي معمر القذافي وسائل إعلام أجنبية إلى مستشفى في وسط العاصمة واخذوا إلى سرير طفلة فاقدة الوعي تم توصيل معدات طبية لها، وظهر رجل بجانب السرير وقال أنه عم الطفلة وأنها أصيبت خلال غارة صاروخية أمس الأحد، وبالرغم من ذلك سلم احد العاملين بالمستشفى إلى أحد الصحفيين الأجانب ملاحظة خطية تقول باللغة الانجليزية : "هذه حالة حادث مروري على الطريق، ومال رجل في ملابس مدنية قدم نفسه للكاميرات على انه جار الفتاة المصابة عليها وصاح "الله ومعمر وليبيا وبس" وهو شعار شائع مؤيد للقذافي ويشجب الناتو.

تبقى هذه الصحف في حدود أخذ ما يسمح لها بأخذه من أخبار وإشهار ولا تتدخل فيما قد يقلق الفساد والمفسدين في السلطة! (السردوك – الفجر – 26 مايو 2011)

[330] - أعلن أمس موسى إبراهيم، المتحدث باسم حكومة القذافي أن الغارة الجوية التي شنها حلف شمال الأطلسي لم تؤد إلى مقتل ثلاثة من أحفاد القذافي، كما أشارت تقارير الأنباء، موضحا أن القصف لم يقتل سوى سيف العرب، نجل القذافي، ولا يزال باب العزيزية يحتفظ بمشاهد ما أحدثته الطائرات الأمريكية من تدمير كرمز للصمود في وجه أعتى قوة عالمية بعد أن أمر القذافي بالإبقاء على آثار الهجوم على الجدران إلى اليوم حتى تكون شاهدا على الغارة، ووجه القذافي خطابه الأول الشهير بـ عبارة "زنقة زنقة" من بين أطلال الخراب في رسالة للقوات الدولية على أن بمقدوره المراوغة والاختباء ومواجهة قنابل التحالف الدولي. وتؤكد التقارير أن الولايات المتحدة أبلغت القذافي في ذلك قصفها لباب العزيزية سنة 1986 بموعد الغارة الجوية (علال محمد – صحيفة الفجر الجزائرية – 2 مايو) ويؤكد آخرون أن بنت العقيد بالتبني التي قيل أنها قتلت في الانفجار واسمها هناء هي حيّة وتعيش في لندن، وهي طبيبة.

وأحضر مسؤولو وسائل الإعلام الحكومية صحفيين في البداية إلى مزرعة في ضواحي المدينة حيث قال رجل إن كلبه والعديد من دجاجه قتلوا في هجوم صاروخي، وقال الرجل إن أحدا لم يصب على الرغم من قول آخرين في المنطقة في وقت لاحق لبعض الصحفيين أنهم سمعوا أن أطفالا أصيبوا.

والواقع أن مبالغة إعلام القذافي في محاولة تشويه خصومه انقلبت ضده.

لكن وجود المرتزقة في صفوف القذافي أصبح الآن أمرا شبه مؤكد على أساس روايات كثيرة.

فقد كشفت صحيفة "كومسومو لسكايا برافدا" الروسية عن سفر الكثيرين من الضباط والجنود ممن خدموا في صفوف القوات السوفيتية إلى ليبيا للعمل ضمن كتائب القذافي، ونقلت الصحيفة عمن يسمى "ميخائيل" اعترافات بوجود الكثيرين من أبناء روسيا البيضاء وتأكيده أن كلا منهم يتقاضى ما يُعادل 3000 دولار شهريا، وهم يقاتلون في الصفوف الخلفية ويوجهون قوات العقيد فيما يتعلق بتاكتيك الحرب الشعبية باستعمال سيارات الدفع الرباعي بدلا من الدبابات التي تستقطب متابعات طائرات الاستكشاف[331].

وواقع الأمر أن كثيرين ممن لفظتهم جيوش الكتلة الشرقية بعد سقوط حائط برلين وجدوا في العديد من الدول الإفريقية مجالا للارتزاق، مكررين بذلك ما قام به العديد من البقايا البشرية للحرب العالمية الثانية وحروب الفيتنام والجزائر، لكن إقحام الجزائر في الأمر كان حماقة ما بعدها حماقة، خصوصا وأن ذلك تم عبر وسائل الإعلام بأسلوب بدا فيه محاولة النيل من النظام الجزائري والإساءة له، وهو ما جعل تعاطف الجزائريين مع الثوار يتناقص شيئا فشيئا.

والواقع أنه عندما ارتفعت ادعاءات بعض أصوات المعارضة بوجود مرتزقة جزائريين في صفوف كتائب العقيد، بدا لي للوهلة الأولى أنها فرصة يمكن أن نستثمرها، كمثقفين، للهجوم على الموقف الرسمي الجزائري الذي نسي كل ما قام به الشعب الليبي دعما للجزائر خلال مرحلة المقاومة ثم أثناء الثورة.

لكنني، ومع تقديري لمواقف عبد الحميد مهري وخديجة بن قنة وغيرهم، تفاديت أي تسرع لمجرد أنني، كرجل دولة، أعرف أن جوازات سفر جزائرية أعطيت في مرحلة ولظروف ما لغير جزائريين، كان من بينهم ليبيون أذكر منهم المرحوم الدكتور منصور الكخيا وربما الأخ عبد المنعم الهوني نفسه.

وحاولت وضع التصرف الأهوج على حساب الوضعية الصعبة التي يحياها الثوار في ليبيا، والتي جعلتهم فيما بعد يتهمون مصر وتونس ضمنيا بالتحدث عن أموال تجمع فيهما لدعم القذافي، لكنني لم أستطع بكل صراحة أن أجد تبريرا كافيا ومقنعا، خصوصا وأن المجلس الانتقالي أرسل إلى الجامعة العربية في القاهرة تقريرا عن ادعاءات تتعلق برحلات مشبوهة للطيران الجزائري[332].

ولا بد أن أقول هنا بأن أناسا في بنغازي وفي الجزائر، يتحملون مسؤوليات مشتركة في تسميم الوضع، وهو ما كنت أشرت لبعضه في صفحات سابقة، وأختصره فيما يلي.

فالمجلس الانتقالي كان عليه أن يحاول **الاتصال** بالجزائر عبر بعد الأطراف الليبية التي عرفت بعلاقاتها الطيبة معها، وتطرح كل التساؤلات في غرف مغلقة ويمكن أن يتخذ المجلس الانتقالي ما يراه من مواقف انطلاقا من نتائج تلك الاتصالات.

وكان على السلطات الجزائرية، وفور التصريحات المتسرعة الأولى لبعض المتحدثين باسم الثوار الاتصال السريع بهم سواء عبر نفس الأطراف أو عبر أطراف جزائرية في الجامعة العربية تضع الثوار أمام مسؤولياتهم التي تتلخص في تقديم أدلة واضحة ومقنعة عن مساهمة الجزائر في العمل ضدهم، ويتم هذا دائما في غرف **مغلقة**، يتخذ بعدها كل طرف المواقف التي تترجم يقينه وترسم ما رآه وارتآه.

وما حدث كان في تصوري أمرا غير لائق، سواء من الجانب الليبي أو من الجانب الجزائري، وفيما يتعلق بنا فإن تصريحات كثيرة كانت أقل بكثير من مستوى هيبة الجزائر كقوة إقليمية كبيرة، وهكذا لم يكن من

---

[331] - سامي عمارة مراسل الشرق الأوسط من موسكو-(7 أبريل 2011) .

[332] - نفى وزير الدولة المغربي محمد اليازجي، نفيا قاطعا، وجود أية علاقة للمغرب بترويج اتهام الجزائر بالوقوف في صف معمر القذافي بدعمه بمرتزقة أفارقة، موجها أصابع الاتهام إلى جهات ليبية، لم يذكرها. وصرح في هذا الشأن خلال زيارته لنيجيريا : أبدا، المغرب لا علاقة له بهذا، هذه مصادر ليبية هي التي قالت بذلك، المغرب لم يقل شيئا على الإطلاق، ولم يدخل في هذا الأمر أصلا، وحين اجتمع وزراء الخارجية العرب لبحث الأزمة الليبية، أكدنا أننا مع الحل السياسي في ليبيا، واستقبل وزير الخارجية نائب وزير الخارجية الليبي ومندوبا عن المجلس الانتقالي في بنغازي، وما نريده هو وقف تدمير الشعب الليبي وإعطاء الفرصة له لحياة حرة كريمة. (الفجر الجزائرية – أول يونيو) وهكذا حاول الأشقاء في المغرب ترقيع الأمر بوضع المسؤولية على كاهل الليبيين ولكن بدون تحمل مسؤولية النفي أو التأكيد.

المعقول أن تصل التصريحات الرسمية إلى حد نصح الثوار في بنغازي بالوضوء قبل اتهام الجزائر، ولم يكن من المنطقي أن يقال بأن وصول الثوار إلى الحكم في ليبيا سيؤدي إلى **توترات في العلاقات مع الجزائر**، لأن ليبيا تظل جارا لا يمكن تغييره أيا كان نظام الحكم، وكان مضحكا أن يقول مسؤول كبير بأن انسحاب القوات الليبية من المنطقة المتاخمة للحدود الجزائرية **سيعرضنا** لغزو القاعدة، وهذا، وبغض النظر عن ضآلة الاحتمال، إساءة لقوى الدفاع الوطني الجزائري، وتظهرنا وكأننا نعتمد في حماية بلادنا على كتائب العقيد[333].

وكان من تداعيات هذا كله أن راحت بعض وسائل إعلامنا ترفع سقف التناقض أكثر فأكثر، وكان هذا أمرا مؤلما خصوصا مع انهمار اللقطات المتلفزة التي تقدم، عبر أكثر من فضائية، صور الهجومات التي قامت بها كتائب القذافي على مصراتة بالصواريخ وقنابل الهاون والسموم مبيدة الجرذان[334].

وكان الغريب أن ما صرح به كل من العقيد وابنه عن وجود جزائريين بين "المتمردين" تم التعتيم عليه فيما رأيته من صحفنا، ولعل ذلك كان بفضل مواقف إيجابية اتخذها نظام العقيد يوما من الجزائر وأشرت لما أعرفه منها، لكن كانت هناك مواقف سلبية لا تقل أهمية، تجعل عملية التفهم صعبة ومعقدة.

وكانت صحيفة جزائرية مشهورة قد نشرت يوم السبت 23 أبريل مقالا عن ليبيا جاء فيه بأن: "ما يحدث هو "حرب انتقام" أوربي- أمريكي من رجل كبّـُدّد الغرب (!!) خسائر مالية تقدّر بمليارات الدولارات في السنوات القليلة الماضية (؟؟) وكشفت تقارير جديدة **(لم تعطنا الصحيفة مراجعها)** أن التغييرات الأخيرة في التعاملات الاقتصادية الإفريقية مع الغرب، وتراجع التبعيّة المالية لأغلب الدول الإفريقية مع الدول الأوروبية خصوصا وفي مقدّمتها فرنسا، هو أحد أهمّ الأسباب التي دفعت بالرئيس الفرنسي وقادة أوروبا إلى محاربة العقيد الليبي، الذي كبّدت "مساهماته المالية" في إفريقيا خسائر مالية كبيرة لأوروبا، لاسيما ما اعتبره متابعون "تحرير القذافي للاتصالات الإفريقية من قبضة الغرب".. **(ولم تقل لنا الصحيفة من هم هؤلاء المتابعون)** فقبل أقل من 5 سنوات كانت الاتصالات الهاتفية في إفريقيا هي الأغلى في العالم، كما كانت خدمات الاتصالات الإذاعية وخدمات الإنترنت سواء البينيّة الإفريقية أو مع العالم الخارجي، تمثّل عبئا كبيرا على الحكومات الإفريقية، التي كانت تدفع للاتحاد الأوروبي سنويا ما يقارب 500 مليون دولار ثمن ربطها عبر الأقمار الاصطناعية الأوروبية مثل قمر "انتلسات"، قبل أن يتدخّل القذافي أواخر سنة 2006 ويضع على طاولة الاتحاد الإفريقي 300 مليون دولار، أضيفت عليها 50 مليون دولار من طرف بنك التنمية الإفريقية و27 مليون دولار من طرف بنك غرب إفريقيا للتنمية، لإطلاق أول قمر صناعي إفريقي للاتصالات، وضع حدا لأكثر من 14 سنة من التبعيّة الإفريقية لأوروبا كلّفت القارة السمراء أكثر من 7 ملايير دولار، ومنع عن جيوب أوروبا، مستقبلا، أكثر من 500 مليون دولار سنويا، كما ضمن هذا القمر الاصطناعي خدمات الاتصالات الهاتفية والإذاعية وخدمات الإنترنت الداخلية والخارجية، بتكاليف أقل، في أكثر من 130 ألف مدينة وقرية في أرجاء إفريقيا **(وهذه معلومات في حاجة للتأكيد الموثق)** ولتفسير الموقف الروسي والصيني من الحرب في ليبيا اليوم

---

[333] - نشرت صحيفة الفجر (10 مايو) مقالا يقول : "حذر **الملحق العسكري السابق** بمنطقة الشرق الأوسط، بن عمر بن جانة، من خطر تنقل الأسلحة عبر الحدود الليبية - الجزائرية الممتدة على طول 950 كلم، كون المهربين وتجار الأسلحة يعرفون جيدا المنافذ الحدودية ويجيدون التنقل في الصحراء الجزائرية، ونبه في هذا الإطار إلى أنه يجب النظر إلى الأزمة الليبية بأبعادها وانعكاساتها الأمنية الخطيرة على الجزائر، في ظل وجود العديد من المخاطر الأخرى المحيطة بالبلاد على الجانب الحدودي لدول الساحل". والطريف هنا أنه لا يوجد منصب عسكري بهذه الصفة إلا إذا كان اخترع حديثا بعد ثورة ليبيا، فالملحق العسكري يعين دائما في دولة معينة وليس في منطقة، وعثرات من هذا النوع تمس بالمصداقية، خصوصا في بقية الخبر الذي جاء فيه قول العسكري المتقاعد، كما جاء في الصحيفة، أن هذا الخطر "لا يجب أن يفقدنا الثقة في قدرات وإمكانيات الجيش الجزائري المرابض على طول هذه الحدود منذ اندلاع الأزمة في ليبيا"، فهناك تعزيزات أمنية كبيرة تحسبا لأي حادث و لإحباط كل محاولات تهريب للأسلحة، مشيرا الى الدور الكبير الذي يلعبه التوارق في حماية الحدود والصحراء الجزائرية عموما، مفندا الإشاعات التي تتحدث عن تواطئهم مع العقيد معمر القذافي، وأضاف أن "التوارق وطنيون والقذافي لم يقدر على ضمهم إليه رغم الجهود الكبيرة التي بذلها لتحقيق هذا الهدف". ولم يستبعد أن تنتهي الأزمة في هذا البلد بإقامة قاعدة **الافريكوم**، أو بقاء القوات الأجنبية في ليبيا، فبالنسبة له "ما يحدث في ليبيا قد يأتي بمفاجآت". ونشرت "النهار" في نفس اليوم مضمون التصريح، مما يعني أن مراسلي الصحف تلقوا النص.

[334] - دعا وزير الخارجية الأسبق، الأخضر الإبراهيمي، الجزائر إلى تبني موقف واضح من الأحداث الجارية بليبيا، مذكرا بالمواقف التاريخية للشعب الليبي إبان الثورة التحريرية، بدليل، كما أشار، "الأموال الكبيرة والمساعدات المختلفة التي كانت تدخل التراب الجزائري عبر ليبيا، وبالتالي لابد من عدم الخلط بين النظام والشعب". وحذر الإبراهيمي من أن النار التي تصيب ليبيا قد تصل في أي لحظة إلى الجزائر، التي يسود موقفها الحالي من ليبيا الغموض الكبير، ولابد من إبداء رأي واضح من الفوضى التي تستغلها أطراف كثيرة لتمرير مشاريعها (الخبر الجزائرية – 22 مايو)

(كما يقول تقرير الصحيفة) يكفي أن نقول بأن هذا القمر الصناعي مدعوم منذ انطلاقته بالتكنولوجيا الروسية والصينية وهما البلدان اللذان وفرّت لهما التعاملات التكنولوجية الإفريقية الجديدة عائدا ماليا مهما، كان يذهب قبل 5 سنوات إلى جيب أوربا. (أي أن موقف روسيا والصين هو أيضا موقف انتهازي باحث عن مصالحه، ولا فضل له بالتالي في مواقفه) مجرّد 300 مليون دولار من يد القذافي ساهمت في فتح أفق تكنولوجي واسع لإفريقيا وضيّقت أفق الأرباح الأوروبية، وزعزعت اقتصاد الاتحاد الأوروبي وخصوصا فرنسا التي كانت تحلب من ضرع إفريقيا أموالا طائلة. (**غريبة ..كيف لم يسمع أحد بهذا الإنجاز الرائع ؟**) وتكشف التقارير (**ولا مراجع لها**) أن الدول التي تقف وراء الحرب على ليبيا، لها دوافع مشتركة أساسها اقتصادي، تحاول من خلالها إنعاش اقتصاد دولها المنهار، وحسب التقارير فإن أمريكا لديها 14 ألف مليار دولار ديون خارجية، بينما يعاني الاقتصاد البريطاني والإيطالي من عجز في الديون الخارجية بقيمة 2000 مليار دولار. من جهة ثانية، فإن ديون إفريقيا مجتمعة لا تتعدى 400 مليار دولار. وتؤكد أرقام وزارة الخزانة زيادة مديونية الحكومة الأمريكية بأكثر من الضعف في العشر سنوات الماضية، لتصل حاليا إلى أقل بقليل من 90٪ من الناتج المحلي الإجمالي. وهو ما يعزز من سيناريو الأهداف الاقتصادية في إفريقيا، ويجعل من الحرب في ليبيا مجرد **"وهم"** مزعوم، مدفوع بأهداف لوجيستية اقتصادية تحرك خيوطها الدول الغربية لإنعاش حالة الركود الاقتصادي التي تعاني منها الدول الغربية منذ الأزمة الاقتصادية العالمية. نعم... رغبة الانتقام أيضا، تقف وراء الحرب في ليبيا، فبينما يؤكد المراقبون والخبراء أن خزانة الرئيس الفرنسي شبه خاوية من الإنجازات التاريخية التي تضمن له المرور إلى عهدة جديدة أو الخروج بشرف (..) هو ما يدفعه نحو قيادة حربه الأخيرة على واحدة من الدول العربية الإستراتيجية (**ويتناسى المقال أنها سلمت للغرب بكل شيء حتى ملفاتها السرية وملفات من عاونوها**) لاسيما من الناحية الاقتصادية والجيو سياسية الذي يجعلها بوابة للمهاجرين غير الشرعيين، وهو المشكل الذي يؤرق دول جنوب أوروبا (**ويلاحظ أن الهجرة غير الشرعية كانت في صلب تهديدات العقيد وابنه، ويتأكد الآن إرغام الأفارقة على ركوب قوارب الموت في اتجاه أوروبا**)

ويواصل التقرير الذي انتحل صفة التحليل العلمي فيقول:

من جهة ثانية فإن الاتحاد من أجل المتوسط، الذي يعد أبرز المشاريع التي سعى ساركوزي إلى إقامتها شهد فشلا ذريعا، خاصة بعد أن تم خلع اليد اليمنى له - حسني مبارك - وتشكيك القذافي له بوصفه بالمشروع الكلب والطعم المهين" (وكان المفروض أن يسجل التقرير العلمي الهام الذي أوردته الصحيفة الجزائرية تأثير موقف الجزائر في تحجيم المشروع بعد تغيير اسمه، فالمهم هنا هو الدفاع عن العقيد) ويختتم المقال استعراضه للتقرير قائلا : "حاول ساركوزي في بداية عهدته إغراء القذافي من خلال الدفاع عنه وتبييض صورته عالميا، إلا أن التقارير تؤكد أن القذافي ضحك عليه مرتين على الأقل، مرة عندما لم يدفع له سوى مبلغ 2 مليار يورو من إجمالي 10 مليارات يورو، وهو ثمن الأسلحة التي يقاوم بها الآن، ومرة أخرى من خلال إهاناته له والتي يبدو أنه لم يهضمها بعد -انتهى النص.

وهكذا، وطبقا للتقرير الذي أوردته الصحيفة بذكاء، ودائما بطريقة ..ناقل الكفر، يستحق القذافي فعلا لقب ملك ملوك إفريقيا، لأنه خدع ساركوزي، وما أدراك من ساركوزي، ولم تعد مأساة ليبيا قضية شعب يبحث عن حريته المختطفة منذ أربعة عقود ويحاول أن يخرج من وضعية اللا نظام التي جعلت بلدا عظيما حكرا على أسرة، يقول عنها أمجد ناصر في "القدس العربي": يبدو أن العقيد معمر القذافي ليس مجرد حاكم أبدي ذي صلاحيات مطلقة، بل هو آدم ليبيا، كلامه أول الكلام وفعله أول الفعل، وتلويحة يده أول حركة ترسمها يد الإنسان في الفراغ، وابنه سيف الإسلام مُحدثها الأول، وابنه الساعدي رياضيها الأول، وابنه خميس عسكريها الأول، وابنته عائشة سيدة البلاد الأولى ذات الأيدي البيضاء، أخت الليبيين أو أمهم الشابة الرءوم".

ولن أعلق على المقال الذي قدمتُ معظم فقراته، و لن أشير حتى لاسم الصحيفة لأن فيها من أحبهم ولأنني أحترم الرأي الآخر، ولكنني أتساءل عن ظروف حصول صحيفة محلية على هذا التقرير الوافي الشافي وعلى خلفيات تبنيه، خصوصا وأنا لم أقرأه في مكان آخر، **وألاحظ أن المشارقة فقط هم من يستعمل كلمة "يورو"، بينما يستعمل المغاربة كلمة "أورو".**

ولماذا لم يصدر التقرير عن وكالة أنباء رسمية تعطي له من مصداقيتها الكثير.

وذكرني هذا بتقرير جاء مؤخرا في فضائية "روسيا اليوم" وتحدث فيه نيكولاي ستاركوف، الذي قدم على أنه باحث روسي كبير (ولم أكن سمعت به قبل اليوم)، ومضمونه أن انتفاضات الوطن العربي كلها

"فبركة" أمريكية بريطانية، كما يذكرني بمقال بتوقيع "مانيليو دينوتشي" في "إل مانيفستو" الإيطالية، جاء فيه أن الهدف من الحرب على ليبيا ليس السيطرة فقط على احتياطي النفط (المقدر حالياً بحوالي 60 بليون برميل، **والاحظ هنا أيضا أن المشرق هو من يستعمل بليون وليس مليار كالمغرب**) وهو أكبر احتياطي نفطي في إفريقيا، وتكلفة استخراجه هي الأقل على مستوى العالم، ولا السيطرة فقط على احتياطي الغاز الطبيعي، المقدر بحوالي 1500 بليون متر مكعب، بل هناك أيضاً صناديق الثروة السيادية الليبية، التي تقع في بؤرة اهتمام رعاة عملية (الحماية الموحدة) "Unified Protector" التي يقودها الناتو، وتمثل الرأسمال الليبي المستثمر في الخارج، حيث تدير هيئة الاستثمار الليبية صناديق ثروة سيادية تقدر قيمتها بحوالي 70 بليون دولار، وإذا ما أضيف لها الاستثمارات الأجنبية التي يديرها البنك المركزي الليبي وهيئات ليبية أخرى، ترتفع قيمة الثروة السيادية الليبية إلى أكثر من 150 بليون، وربما أكثر من ذلك، وحتى وإن كانت ثروة الصناديق الليبية، اقل من مثيلتها في السعودية والكويت فإنها تتميز بحركة نمو سريعة، فعندما تأسست هيئة الاستثمار الليبية عام 2006، كان تحت تصرفها 40 بليون دولار، واستثمرت هيئة الاستثمار الليبية أموالها خلال 5 سنوات فقط (من 2006-2011) في أكثر من 100 شركة بشمال إفريقيا، واسيا، وأوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية في أنشطة مالية مختلفة **(لم يقل التقرير لمن تتبع الشركات وهل للحكومات أم لرجال أعمال، ولم توضح جنسيات هؤلاء، ولم تشر إلى قضايا غسيل الأموال التي ترددت كثيرا في السنوات الأخيرة، واستعملت فيها أموال مهربة من الدول العربية)**وكان من الأنشطة شراء أسهم، استثمارات بنكية، وعقارية، استثمارات في مجال الصناعة وشركات النفط، وغيرها[335].

وعلى ذكر روسيا، نشرت فيما بعد صحف عديدة من بينها صحيفة البلاد الجزائرية في 5 نوفمبر 2011 خبرا جاء فيه: قال مسؤول روسي عن تصدير الأسلحة إن بلاده فقدت دخلا محتملا يبلغ عشرات المليارات من الدولارات كانت ستحصل عليها من صفقات أسلحة مع العقيد الليبي المخلوع معمر القذافي. وتعد روسيا ثاني أكبر دولة مصدرة للسلاح وكثيرا ما أشارت إلى خسائر تبلغ أربعة مليارات دولار من عقود للسلاح مع ليبيا. وقال ميخائيل ديمتربيف رئيس الهيئة الاتحادية الروسية للتعاون العسكري والفني "رقم الأربعة مليارات دولار ليس إلا رقما اسميا.. الخسارة الحقيقية في العائدات ربما تزيد على عشرات المليارات من الدولارات"، مضيفا في تصريحات للصحفيين بمدينة سان بطرسبرج في شمال روسيا "ما من شك في وجود خسائر.. ليس لدينا أي اتصالات مع القيادة الجديدة في روسيا في مجال الدفاع".

ووجه بعض الدبلوماسيين انتقادات للكرملين لعدم وضوح موقفه خلال الأزمة الليبية وعزوفه عن تأييد الثورة على القذافي التي ساندها الغرب وعن تأييد فرض عقوبات عليه وتأييد السماح بعمل عسكري غربي. وبلغ الجدل داخل النخبة الروسية بخصوص ليبيا حد الخلاف العلني بين رئيس الوزراء فلاديمير بوتين والرئيس ديمتري ميدفيديف. واستثمرت شركات روسية مئات الملايين من الدولارات في التنقيب عن النفط والغاز في ليبيا وكانت هيئة السكك الحديدية الروسية تبني خطا حديديا بموجب عقد قيمته 2.2 مليار أورو

---

[335] - عندما قامت انتفاضة سوريا أخذ دور المعلقين الروس وضعا تصاعديا في الدفاع عن أنظمة الحكم، ويحلل توفيق رباحي في القدس العربي (23 يونيو) هذا الموقف قائلا : في كل مرة يظهر خبير روسي على شاشة عربية يبلي بلاء هائلا في دفاعه محركا فضول كل من يشاهده. أحدهم في برنامج بقناة 'الحرة' تكلم من موسكو فصدم معارضا سورياً كان يتكلم من باريس، وتفوق بكثير عن موالٍ للنظام كان يتكلم من دمشق ولم يكن قد استنزف كل الكلمات بعد. بما أنهم روس يعيدون عنا، جغرافيا على الأقل، ليس من السهل على الجمهور العربي تصنيفهم سياسيا والحكم على استقلاليتهم من عدمها (مثلما هو الحال مع جماعتنا)، ما يجعل الأسئلة عن سر تحمسهم أكثر تعقيدا . لكن بعض ملامح الجواب تكمن في كونهم يتكلمون اللغة العربية، ما يعني أنهم ابتُعثوا إلى دولة (أو دول (عربية، ما يعني أن حكومتهم هي التي أوفدتهم في بعثات عسكرية أو جاسوسية، ما يعني أنهم على علاقة بحكومتهم ومصالحها. وفي نظام سوفييتي شمولي متسلط ومنغلق آنذاك، لا يمكن أن يبعث ليونيد بريجنيف أو غيره، شخصا ليس جزءا مفيدا للنظام الشيوعي. واليوم يبدو أن النظام الشيوعي سقط وانتهى، لكن هؤلاء الناس لم ينتهوا .ليس بهذه السهولة يتخلص الروس من جواسيسهم وعملائهم وأذرعهم! فبلغاريا تعيد اليوم فتح ملفات دبلوماسييها الذين اشتغلوا جواسيس في الحرب الباردة، ربما للاستفادة من تجاربهم مجددا . (...) روسيا وقفت مع القذافي في بداية الثورة الشعبية عليه حتى أصبحت نموذجا في الضمير ونصرة المظلوم يساق يوميا في التلفزيونات الليبية (مراسل 'روسيا اليوم' يغطي من طرابلس براحة وثقة يحسده عليهما الصحافيون الليبيون ذاتهم.) ثم شيئا فشيئا تغيرت المواقف الروسية بخصوص ليبيا وبدأت تلين وتلين حتى أصبحت باهتة. كذلك كان الشأن مع الصين، بدأت مواقفها تلين حتى استقبلت محمود جبريل واعترفت بالمجلس الوطني الانتقالي.

"ثلاثة مليارات دولار". وكانت عقود الأسلحة التي أبرمت مع ليبيا في عهد القذافي تمثل 12 في المائة من صادرات الأسلحة الروسية عام 2010 وبلغت قيمتها الإجمالية عشرة مليارات دولار.

وأضاع حظر فرض على توريد السلاح لليبيا في فيفري على روسيا عقودا جديدة قيمتها أربعة مليارات دولار. ووزنت روسيا للقذافي المدافع والصواريخ التي استخدمت بغير جدوى ضد الثوار الذين خاضوا الثورة تحت قيادة المجلس الانتقالي الحاكم. وساندت روسيا في بداية الأمر قرارا لمجلس الأمن الدولي بفرض عقوبات على القذافي وحكومته لكنها امتنعت عن التصويت على قرار في مارس يفوض بتدخل عسكري.انتهى.

وفي إيطاليا، تركزت الاستثمارات الليبية في بنك "يوني كريدي"(حيث تملك هيئة الاستثمار الليبية والبنك المركزي الليبي 7,5 % من الأسهم)، وتمتلك 2% من أسهم شركة "فينميكانيكا" ثاني أكبر مجموعة صناعية في إيطاليا، وأكبر مجموعة صناعية إيطالية في التكنولوجيا المتقدمة (هاي تك) تعمل في مجال الدفاع، والفضاء، والأمن، والتشغيل الآلي، والنقل، والطاقة، أما في شركة "إيني" الإيطالية للنفط فتملك ليبيا (1%). هذه الاستثمارات بما فيها 7,5 % من أسهم نادي "يوفينتوس" الإيطالي لكرة القدم لها دلالات سياسية أكثر منها اقتصادية، حيث أن مبلغ الاستثمارات حوالي 5,4 مليار دولار (لم يقل التقرير أيضا هل الأموال مسجلة باسم ليبيا أم باسم الساعدي القذافي)

وبعد أن رفعت واشنطن اسم ليبيا من القائمة السوداء، تطلعت ليبيا للحصول على مكانة لها على المستوى الدولي، بتركيزها على دبلوماسية صناديق الثروة السيادية، وبعد أن عادت كبريات شركات النفط للعمل في لليبيا، استطاعت ليبيا الاحتفاظ بفائض تجاري يقدر بحوالي 30 بليون دولار في السنة، وهو الذي تم استخدامه على نطاق واسع في الاستثمارات الأجنبية، وأفرزت إدارة صناديق الثروة السيادية آلية جديدة للنفوذ والفساد تحكم فيها الوزراء، والمسئولين الأصغر، استطاعت على الأرجح الهروب من رقابة القذافي نفسه. يؤكد على ذلك حقيقة ما حدث عام 2009، حيث اقترح القذافي أن يذهب مبلغ المليار دولار الناتج من عوائد النفط مباشرة للشعب الليبي، وهذا الاقتراح فاقم الشقاق داخل الحكومة. انتهى. (وأنا شخصا لا أجزم بشيء لكنني أرى أن للقذافي كتائب إعلامية ومالية لا تقل خطورة عن كتائبه العسكرية، ويتضح أن نفوذه في الوطن العربي وفي العالم راجع إلى إشراك بعض كبار المسؤولين المحليين في المكاسب المالية لكل تلك الاستثمارات، وهو ما كنت تناولته عند الإشارة إلى نشاط قذاف الدم في مصر).

لكن صحفا جزائرية لم تتردد في اتخاذ مواقف ناقدة للموقف الرسمي، ومن بينها صحيفة الشروق اليومي، التي جاء في افتتاحيتها يوم الأحد 8 مايو: "صحيح أن الجزائر أكبر متضرر من الوضع المتأزم في ليبيا، وصحيح كذلك أن تنظيم القاعدة الإرهابي انتعش بعد أن حصل على كميات من السلاح من مخازن ليبيا التي فتحت أمام المدنيين[336]، وصحيح أن عددا من المنضوين تحت المجلس الانتقالي الليبي كانوا منذ البداية عجينة في يد جهات معروفة بعدائها للجزائر[337]، لكن هذه المعطيات كلها لا يمكن أن تبرر الموقف المساند للقذافي، ولا يمكن أن تبرر صمت الدبلوماسية الجزائرية إزاء الجرائم التي ارتكبت في حق الليبيين، إذ كيف تتمسك بالقذافي مع أن الرجل انتهى يوم قال لشعبه سأطاردكم زنقة زنقة، وشرعيته انتهت يوم دمر المحتجون كتابه الأخضر وعبروا عن رغبتهم في نظام ديمقراطي ورئيس محترم".

وتواصل الصحيفة قائلة : "وليت الأمر توقف عند الصمت الرسمي إزاء الجرائم المرتكبة، بل إن ممثلين لأكبر حزب في البلاد شاركوا في مؤتمر داعم للقذافي في ليبيا وقدموا خطابات رنانة تمجد الزعيم وتتهم الثوار بالعمالة للأمريكان وتحشر أنفها في الشأن الليبي الداخلي بطريقة لا تشرف الشعب الجزائري، المعروف بتعاطفه مع ضحايا القهر والاستبداد في كل مكان... على أمثال هؤلاء أن يستحوا ولا يسيئوا، مجددا، إلى بلد المليون شهيد، لأن الجزائريين لا يمكنهم أن يكونوا عونا لطاغية يقتل شعبه ولا لمجنون يطارد الآمنين في الشوارع! ولا ندري ما السبب الذي جعل الدبلوماسية الجزائرية المعروفة باتزانها تفقد البوصلة هذه المرة وتتضامن مع طرف في ليبيا على حساب طرف آخر، بل وتتضامن مع الطرف الأسوأ الذي يمارس كل أنواع القتل والتعذيب والتنكيل، بعد أن مارس سابقا كل أنواع الطغيان والاستبداد والبطش".

---

[336] - هذه هي النظرية السائدة والتي لم تثبت حتى الآن، ولكنها كانت وسيلة الصحفي لتمرير رسالته.

[337] - أتصور أن الإشارة هي للمغرب بإيحاءاتها حول مزاعم "مرتزقة" البوليزاريو الذين جندتهم الجزائر.

لكن مما لا يمكن فهمه ولا تفهمه، وما تفجّر في بعض المستويات بدون مبرر منطقي إلا تصفية الحساب مع قناة "الجزيرة"، وتم بسطحية واضحة، كان انزلاق البعض عندنا إلى الهجوم على دولة قطر[338]، تماما كما حدث في مصر قبل 25 يناير، ورأى فيه كثيرون هناك وضعية اعتبرت غيرة من الدولة الصغيرة التي نجحت فيما فشلت فيه مصر، فحققت المصالحة في لبنان، وتمكنت من جمع قمة عربية بعد مأساة غزة، وقامت بجهد رائع بعد تفجر ثورة ليبيا لنقل الجرحى والمصابين وإقامة مستشفيات ميدان مجهزة بكل الإمكانيات، وكان الأكثر غرابة عندنا هو التنديد بموقفها من أحداث ليبيا مع التعتيم تماما على موقف الإمارات، التي شاركت في اجتماع باريس ثم الدوحة ثم روما وساهمت في الجهد العسكري.

لكن إذا كان هذا إذا كان مفهوما بالنسبة لمصر فإنه غير مفهوم إطلاقا بالنسبة للجزائر، التي كانت علاقاتها مع قطر دائما متميزة، خصوصا عندما أصبحت البلد الوحيد بجانب السعودية التي تسير خط طيران مباشر بين الدوحة والجزائر، ومن هنا أشارات أصابع كثيرة إلى مهماز ليبي يحركه كره قطر، و"جزيرتها".

وهكذا سيزعم كثيرون في المستقبل أن جانبا كبيرا من صمود كتائب العقيد بل وتوحشها في الهجوم على الثوار يمكن أن يُعزى إلى تناقض مراجع جزائرية مع حركة الاحتجاج الشعبية في الجماهيرية، بالإضافة إلى مواقف روسيا والصين وتصريحات "تشافيز"، الذي أعتقد أنه لم يحسن دراسة ملف القضية بنفس الأسلوب الذي قام به "رجب الطيب أردوغان".

وقد يؤكد هذا ما قام به عضو في اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني قيل أن له ارتباطات مع مواقع نفوذ معينة، حيث شارك في مؤتمر نظمه نظام القذافي بطرابلس، وخلف ذلك، كما تقول الشروق (8 مايو) استهجانا واسعا وسط قواعد الحزب "العتيد" وبعض قيادته، وكذا "حركة التقويم والتأصيل" المعارضة لقيادة الحزب، باعتبار مواقفه خروجا عن مبدأ الحياد الذي التزمته الدولة الجزائرية، وتبنته الطبقة السياسية الفاعلة، وجبهة التحرير أحد ابرز مكوناتها، كما أنه كان تأييدا صريحا لنظام يوجد محل اتهامات بارتكاب أفعال ترقى إلى جرائم ضد الإنسانية عبر مهاجمة خصومه المنطلقين من بنغازي، وحذّر المنسق العام لحركة "التقويم والتأصيل" المعارضة لقيادة الإفلان صالح قوجيل، من أن ذلك "غلطة سياسة لا تغتفر من شأنها تغذية الإشاعات والمزاعم القائلة بوجود دعم جزائري للنظام في ليبيا، وتوريط للجزائر هي في غنى عنه في مثل هذه الظروف، رغم سياستها الواضحة والقائمة على عدم التدخل في شؤون الغير"[339].

وأعترف هنا أنني كنت آمل أن نقوم نحن بدور رئيس الوزراء التركي، والذي يجب أن نعترف أنه دور **حاول** بعض جيراننا اختطافه، ثم استثمروه في ترويج إشاعة المرتزقة الذين تدعمهم الجزائر.

ويزداد اختلال النظام الليبي، وتنقل القدس العربي (29 مايو) عن صحيفتي "الغارديان" و"دايلي تلغراف" البريطانيتين أن معمر القذافي بات يتنقل من مستشفى لمستشفى كي يتجنب قصف الناتو المكثف على مقرات إقامته، ووصفت تصريحات مسؤولين على هامش قمة الثماني وضع الزعيم بأنه يعاني من حالة "بارانويا"، وقالت صحيفة "الغارديان" أن مسؤولي النظام توقفوا عن استخدام الهواتف النقالة خوفا من تعرضهم لتنصت يفضي إلى استهداف القذافي، واستندت الصحيفة إلى معلومات قدمتها الاستخبارات الخارجية (إم أي- 6) إلى ديفيد كاميرون، رئيس الوزراء البريطاني.

---

[338] - للأمانة، لا بد من تسجيل سطور كانت موضوعية في الحديث عن الجزيرة، برغم أخطاء الفضائية والتي يتحمل جانبا من المسؤولية عنها محاصرة الفضائية وعدم السماح لمراسليها بالدخول إلى موقع الأحداث، وهكذا قال "حسن زهار" في البلاد (8 مايو) :إذا كان أتباع آل الأسد في منطقتنا العربية، ومعهم آل القذافي وآل صالح، قد اكتشفوا الآن أن الجزيرة قناة "عميلة"، فالتاريخ لا يعرف المجاملات، وهو الذي سجل أن الجزيرة أثناء الغزو الأمريكي للعراق كانت أخطر على"المارينز" من فدائيي صدام، ولذلك استهدف مراسلوها، بل إن "رامسفيلد" الذي كان وزيرا للدفاع في أثناء الهجوم على الفالوجة، ذكر أحمد منصور بالاسم في سابقة هي الأولى من نوعها، لما مثلته تغطية الجزيرة من فضح للجرائم الأمريكية، كما استهدف مكتب الجزيرة في أفغانستان، وهو رد عملي على كل الأقوال التي تقول إن القناة تسير في الإستراتيجية الأمريكية وفق تحليلات فارغة لا تستند لأي دليل. وللذين يدندنون على موضوع العمالة، أرجو أن يتذكروا الحربين الإسرائيليتين على لبنان وعلى غزة، ويتساءلوا ...في معسكر من كانت الجزيرة تتخندق؟ ألم تكن كاميرا الجزيرة أكبر حائل كي لا تمر جرائم إسرائيل "بلا شاهد"؟ هذا من دون الحديث عن الثورات الشعبية العربية التي من دون الجزيرة ما كانت لتنجح وتمكن الطغاة من سحقها؟ المضحك أن أغنية ... الجزيرة "العميلة" التي يردده محور طهران دمشق والضاحية الجنوبية لبيروت، تتساوى كثيرا مع أغنية ... الجزيرة "الحقيرة "أو "الخنزيرة" التي يرددها كثيرا هذه الأيام زبانية سيف الإسلام القذافي، لأنها تدعم "الجرذان" في بنغازي، وتدخل إلى مصراتة ونالوت والزنتان من دون إذن ملك ملوك إفريقيا، ولكم أن تتصوروا إلى أي حد يمكن للرداءة أن تنحط أخلاقيا وهي تخاطب الناس بلغة الحيوانات بهذا الشكل.

[339] - وصف ممثل جبهة التحرير الوطني جماعة بنغازي بأنها "البيادق الخاضعة لأوامر الغرب" (الشروق).

(4)

عادت الجزائر وبصورة أكثر رسمية إلى تأكيد مواقفها وتوضيح معطياتها وبشكل ذكي ورزين ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن الوزير الأول أحمد أو يحيى يوم الأحد 29 مايو اتهامه اللوبي المغربي الرسمي في واشنطن بالوقوف وراء اتهامات ضد الجزائر بأنها ترسل مرتزقة وأسلحة إلى ليبيا لدعم العقيد القذافي، وقال أو يحيى في مؤتمر صحافي بالعاصمة الجزائرية إن: "اللوبي الرسمي لجيراننا في المغرب يقيم قيامة في واشنطن بأننا نرسل مرتزقة وأسلحة نحو الجارة ليبيا"، وجدد تمسك الجزائر بقرارات مجلس الأمن الدولي الخاصة بالنزاع الليبي بما فيها لوائح الحصار على ليبيا، وأعطى مثالا بطلب ليبي باستيراد سلع من الجزائر، عبارة عن أغذية وأدوية فتم عرض الطلب على الهيئة المكلفة بمراقبة العقوبات في مجلس الأمن لتتابع احترامها، وأضاف بأننا عبرنا لهم عن استعدادنا لاستقبال مراقبين أمميين إلى المراكز الحدودية للتأكد من أن السلع هي مواد غذائية أو أدوية. وصرح وزير الشؤون الإفريقية عبد القادر مساهل في هذا الصدد (الخبر 2 يونيو) بأن :"دول مجلس الأمن الخمس تعلم بدقة طبيعة ما **يتدفق** (!!!) من الجزائر إلى ليبيا عبر معبر حدودي معلوم، وذكر أن الجزائر تلقت طلبات ليبية تخص مواد غذائية وأدوية ومواد صيدلانية، فاستجابت بشرط أن توزع عبر كل التراب الليبي (!!!) وأن يبلغ مجلس الأمن أولا بهذه الطلبات من طرف الجزائر ويوافق عليها وهو ما فعلناه، وكل ما يتنقل من حدود الجزائر إلى ليبيا معلوم من قبل الدول الخمس الأعضاء في مجلس الأمن وفق مراسلات رسمية من الحكومة الجزائرية"[340].

وربما كان لتصريحات قائد "أفريكوم" عند زيارته للجزائر أثرا يشبه الصفعة، وجهت لأطراف كثيرة من بينها بعض المتحدثين باسم المجلس الانتقالي في بنغازي، فقد نفى القائد الأعلى للقوات الأمريكية لإفريقيا الفريق "كارتر هام"، تورط الجزائر في إرسال مرتزقة للقتال في صفوف كتائب القذافي، وقال في ندوة صحفية عقدها بمقر السفارة الأمريكية في الجزائر أمس، بأنه "في كل التقارير العسكرية التي تسلمتها ليس هناك أي دليل واحد على تورط الجزائر وإرسالها محاربين مرتزقة إلى ليبيا" (الخبر 2 يونيو) وأوضح قائد "أفريكوم" أن "النظام الليبي ربما يكون جند مقاتلين كانوا يتواجدون داخل هذا البلد قبل اندلاع الأزمة، لكن لا علاقة للجزائر بالأمر[341]". وهذا ما جعل الخارجية المغربية تسارع بإصدار بلاغ نفت فيه أن يكون أي مسؤول مغربي أثار "دور الجزائر في تسهيل تجنيد أو عبور المرتزقة نحو ليبيا"، وقالت في بيان حول تصريحات

---

[340] - وجه وزير المالية كريم جودي تعليمة سرية إلى جميع البنوك والمؤسسات المالية الجزائرية المختلفة ومنها الاتحاد الجزائري لشركات التأمين وجميع الإدارات العمومية والمؤسسات الاقتصادية، يخطرها حسب المراسلتين اللتين تحملان الأرقام 002 المؤرخة يوم 12 مايو الماضي، والرقم 651 المؤرخة في 15 مايو الماضي...والتي تملك "الشروق" نسخة منهما، بإلزامية تعقب الأموال الليبية في البنوك والمؤسسات المالية الجزائرية تنفيذا للعقوبات المالية التي فرضها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ضد نظام معمر القذافي، بموجب القرار رقم 1970 و1973 الملزمين لجميع الدول الأعضاء بالتقيد الحرفي بالحظر المفروض وتعقب الأموال والعقارات وجميع الأملاك الاقتصادية التابعة بصفة مباشرة أو غير مباشرة لنظام العقيد معمر القذافي أو لأي واجهة أو شخصية تمثل تلك المصالح على المستوى الدولي وتجميدها. الشروق 5 يونيو ومن بين أهم الشخصيات التي تضمنها القرار القذافي مباشرة وأبناؤه وأفراد من عائلته المقربين ومجموعة من الشركات التي تمثل الأذرع الاستثمارية الليبية والصناديق الاستثمارية المنتشرة في العديد من الدول.

[340] - أصدر الفريق الأمريكي تصريحا كانت كلماته محسوبة لا تسمح بأي استثمار لها خارج نطاقها، فقد قال إن "الجزائر لها كل الحق في إبداء تخوفها من تنقل السلاح وانتشاره، فهذا سيشكل تهديدا حقيقيا للمنطقة، ونحن نشاطر الجزائر مخاوفها من أن يصل جزء من الأسلحة إلى تنظيم القاعدة والمجموعات الإرهابية في الساحل (الخبر 2 يونيو)

[341] - من هنا تضح خلفيات سيكتشفها القارئ بمجرد إعادة قراءة الفقرات التالية.

الوزير الأول، أحمد أو يحيى، "إنه على الرغم من أن العديد من أعضاء المعارضة الليبية ووسائل الإعلام الغربية تطرقوا بإسهاب لمسؤولية الجزائر بهذا الخصوص، فإن المسؤولين المغاربة امتنعوا عن التطرق لهذا الموضوع أو استغلاله بأية طريقة كانت". وهكذا يتضح كيف كان يجب أن يكون موقفنا منذ البداية وما كان يجب أن يقال بكل رصانة في الأيام الأولى بدلا من النصائح بالوضوء، وبحيث بدا "اللوبي" المغربي أكثر منا قدرة على التحرك، وكان هناك من يهدف أساسا إلى تسميم الأجواء.

وكان رئيس جمهورية جنوب إفريقيا قد عاد لتوه إلى بلاده بعد أن قام بزيارة جديدة إلى ليبيا في نهاية مايو تحت غطاء الوساطة الإفريقية، وانتهت بفشله الذريع تماما كما حدث معه في ساحل العاج، حيث اكتفى "زوما" بزيارة طرابلس ولم يزر بنغازي، في حين أن معنى الوساطة هو التعامل مع الجانبين المتناحرين.

ولا يكتفي زوما بذلك بل يُغطّي على فشله ويؤكد انحيازه لنظام العقيد بقوله أن الوساطة لا يمكن أن تنجح قبل توقف قصف "الناتو"، بدلا من القول بضرورة إيقاف كل صور إطلاق النار سواء جاءت من الناتو أو من كتائب القذافي، ثم يضيف إلى ذلك بإبداء قلقه على السلامة الشخصية للعقيد بدلا من أن ينادي بالحفاظ على حياة كل مواطن في ليبيا، وأيا كان الجانب الذي تقف فيه أو الشعار الذي تنادي به.

ويعرف الأسبوع الأول من يونيو بروز بعض المعطيات التي يرى كثيرون أنها من حقائق التطورات على الساحة الليبية، ويتصور كثيرون أنها نتيجة لحجم الأموال الضخم الذي ينفقه النظام الليبي لتلميع صورته وتشويه صورة الخصوم.فقد نشرت القدس العربي (وهيَ من هيَ في رفعها لشعارات المقاومة العربية) يوم الجمعة 3 يونيو مقالا بتوقيع "مختار العريشي"، الذي قدم نفسه على أنه أستاذ جامعي ليبي مقيم في بريطانيا، تحت عنوان "أين العقل فيما يحدث في ليبيا"، أقدمه هنا كاملا: يبدو من الواضح أن ما يحدث في ليبيا لم يكن محض الصدفة، حيث أن بعض أشخاص خرجوا في مظاهرة سلمية في اليوم الأول من الأحداث، فتم استهدافهم بالرصاص من جهات غير معروفة، الأمر الذي يطرح سؤالاً حول ما يعرف بالقناصة المعروفين باستهداف بعض المتظاهرين حتى تشعل فتنة القتال، (قناصة الثورات : للباحث والكاتب الروسي نيكولاي ستاركوف) ولكن الإعلام الغربي يتبعه العربي وجه الاتهام مباشرة إلى الأجهزة الأمنية والقوات المسلحة الليبية، باعتبارها تواجه المظاهرات من باب أن القوات الحكومية هي فقط من يملك السلاح ولم يكن متوقعا أن قناصة وأفرادا مدسوسين هم من قاموا فعلا بإطلاق النار على المتظاهرين لتأجيج الموقف في الشارع الليبي، مما يعني وجود الكثير من علامات الاستفهام لابد للإنسان العاقل أن يتحراها ليعرف بشكل موضوعي الحقيقة كاملة، لا كما يراد تصويرها من أطراف وسائل إعلامية معينة تعمل في خطة واضحة.

إن الإنسان العاقل يدرك أو يعرف أن الأحداث في ليبيا **مُعدّ لها مسبقاً** من طرف دول غربية بتواطؤ مع دول عربية، اجتمعت وتجتمع هنا وهناك، وهي في الحقيقة لا يهمها انتشار ذلك الدمار وحصول التخريب والتهجير لليبيين. والعاقل يعرف أن الحصيلة من هذه الحرب هو تدمير البيوت على رؤوس أصحابها وتشريد الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال ووقف حركة التنمية والتطور في البلاد، والعاقل يعرف أيضا أن هذه الدول، غربية وعربية، لا تحرص على أمن ليبيا ولا ترغب في التوصل لحل نهائي لهذه المشكلة حتى إتمام المهمة في تدمير البنية التحتية للبلاد بالكامل أو بالاستفادة من تعويضات العديد من العقود التي فسخت بسبب هذه الأزمة.

وليس ببعيد يستطيع العاقل أن يرى ما يحدث في العراق وأفغانستان وفلسطين، غير أنه مازال يصر ويصدق أنهم جاءوا لحماية المسلمين في ليبيا، لا أظن إنهم يكترثون بحياتنا أبدا.

لا أحد يعرف ما هو المستقبل في ليبيا، ولكن العاقل يعرف أن أفغانستان حولت إلى دولة مخدرات، دولة تشهد حرباً لا نهاية لها.

إن العاقل الحصيف يعرف أيضا الآن أن العراق حُوّل إلى دولة طوائف ودولة ميليشيات تتناحر كل يوم، ويقولون أن ذلك من أجل الحرية والديمقراطية، وهذا العاقل يعرف أنهم اختلقوا أكذوبة وجود أسلحة الدمار الشامل في العراق واقنعوا بها شعوب العالم عن طريق وسائل إعلامهم، مع ذلك فإنهم لم يبدوا أي اهتمام أو احترام لنا ولم يشعروا بأي حرج بعد افتضاح كذبتهم تلك، ولم ولن يندموا على ما اقترفوه من تضليل بحق شعوبهم وشعوب العالم.

وكذلك العاقل يعرف أن المجتمع الدولي لم يترك أي خيار للحوار السياسي الديمقراطي الداخلي، فكان اللجوء أولاً إلى استخدام القوة العسكرية ظنا منهم أنهم يستطيعون أن يرهبوا أولئك المتضامنين مع النظام

القائم، وإن العاقل يعرف أن الدول العربية المسلمة لم تقم بأي مداخلة للصلح واحتضان النزاع بين الطرفين حتى تحقن الدماء، لقد كان موقفها موقف المتفرج على الضحية وهي تذبح، بل قام عبر وسائله الإعلامية بصب الزيت على النار، التي كان وقودها المواطن الليبي، بل حاول التهويل وتضخيم أو حتى بالكذب في بعض نشراته وإعطاء الأخبار أكثر مما يستحق، مثلا لقد عرفنا أن العديد من شهود العيان كانوا في استديوهات تلك القنوات ولم يكونوا في الميدان، فيما يعد إخلالا بميثاق العرف الصحافي. إن العاقل الحقيقي يعرف أنهم، الغرب، يبنون ويخططون لبلادهم يوما بعد يوم ونحن أصبحنا نهدم ونخرب بأيدنا وأيديهم بلادنا يوما بعد يوم، فهل لهذا العاقل أن يتساءل لماذا يحاولون تفتيت ليبيا. انتهى

ويأتي هذا المقال (الذي يبدو مترجما، ويشكل بداية تغير غريب في موقف الصحيفة من ثوار بنغازي) في نفس اليوم الذي تنشر فيه نفس الصحيفة خبرا عن تصريح قاله "برنارد ليفي" تحت عنوان :"ثوار ليبيا يتعهدون لنتنياهو بالحفاظ على أمن إسرائيل وإقامة علاقات معها"، وذلك، كما قال الصهيوني المعروف في رسالة شفوية نقلها إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو خلال لقاء الخميس في القدس، وأنشر النص الكامل للمقال أيضا، ليستطيع القارئ أن يستخرج الحكم بنفسه على ما يحدث، مع ملاحظا أن تكذيبا صدر عن الثوار لم أقرأه في الصحيفة، ربما لأنه لم يصلها، أو لأنه وضع في مكان غير بارز رغم أهميته.

وتنقل الصحيفة ما قاله ليفي لـ'فرانس برس، 'خلال لقاء دام ساعة ونصف الساعة من أنه :"أبلغ رئيس الوزراء رسالة **شفوية** من المجلس مفادها أن النظام الليبي القادم سيكون معتدلا ومناهضا للإرهاب، يهتم بالعدالة للفلسطينيين وأمن إسرائيل (ولم يتوقف أحد عند شفوية رسالة بهذه الأهمية التاريخية)

وأوضح الكاتب، القادم من مدينة مصراتة، المحاصرة شرق طرابلس (؟؟؟ والتوضيح للصحيفة) أن الرسالة تقول بأن :"النظام الليبي المقبل سيقيم **علاقات عادية** مع بقية الدول **الديمقراطية**، بما فيها إسرائيل[342].

وردا على سؤال حول رد رئيس الوزراء الإسرائيلي قال الكاتب والفيلسوف الفرنسي : "يبدو لي انه لم يستغرب الرسالة، وأنه أيضا لم يعرب عن حسرته على معمر القذافي، أحد ألد أعداء إسرائيل" (والسيد ليفي لم يستغرب ردّ ناتنياهو كما لم تستغرب الصحيفة عدم استغرابه وحرصه على التذكير بعداوة العقيد لإسرائيل، خصوصا وهو ما يدفعني للاستغراب المُضاعف).

وتواصل "القدس العربي" قائلة : "وقد زار ليفي وهو من أشد داعمي حركة التمرد (!!) ضد نظام القذافي، ليبيا مرارا منذ اندلاع الانتفاضة في 15 فبراير، وقام بدور كبير لدى الرئيس نيكولا ساركوزي في هذا الملف، حتى أن فرنسا كانت أول دولة تعترف رسميا بالمجلس الوطني الانتقالي ومن الداعين إلى التدخل العسكري الدولي هناك".

وأضيف إلى هذا كله مقالا نشرته نفس الصحيفة عن وكالة الأنباء الفرنسية في نفس اليوم تحت عنوان "قطر طردت (!!!) إيمان العبيدي التي اتهمت جنود القذافي باغتصابها" (وعلامات التعجب من عندي) ويقول المقال: طردت قطر الخميس الشابة الليبية إيمان العبيدي التي اتهمت جنود العقيد معمر القذافي باغتصابها، وقامت بترحيلها على متن طائرة عسكرية إلى بنغازي كما أعلن مسؤول أمريكي وآخر في الأمم المتحدة، وقال ممثل المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة في واشنطن "فنسنت كوشيتيل" لوكالة "فرانس برس" إن العبيدي:"تم ترحيلها على متن طائرة عسكرية قطرية" خلال النهار وهي الآن في فندق في بنغازي، معقل الثوار في شرق البلاد، وأضاف كوشيتيل إن "العبيدي لم تكن تريد العودة إلى ليبيا خوفا على حياتها"، مشيرا إلى أنه "في نظرنا فان خوفها في محله" لان في ليبيا" هناك أناس يهمهم إسكاتها".

والاحظ هنا أن كوشيتيل لم يستعمل فعل "الطرد" الذي استعملته الصحيفة القومية الكبرى في عنوانها[343].

---

[342] - كذب غوقة، الناطق الرسمي باسم المجلس الانتقالي هذا الخبر في حديثه مع الصحفيين في بنغازي (الشرق الأوسط – 4 يونيو) وفي برقية لوكالة الأنباء الفرنسية من بنغازي نفى المجلس الوطني الانتقالي، الهيئة السياسية للثوار الليبيين السبت أن يكون كلف الكاتب الفرنسي برنار هنري ليفي نقل رسالة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو تتطرق إلى نيته إقامة علاقات مع إسرائيل، وقال رئيس المجلس مصطفى عبد الجليل للصحافيين "استقبلنا ليفي بوصفه موفدا خاصا من الرئيس الفرنسي ولم نتحدث أبدا معه عن نيتنا إقامة علاقات مع إسرائيل."وأضاف "نحن أعضاء في الجامعة العربية وندعم الجهود التي يبذلها الفلسطينيون لإقامة دولتهم المستقلة (عن القدس العربي 5 يونيو) وربما حاول ساركوزي تفخيخ الليبيين أو حاول ليفي القيام بدور أكبر منه، وهو ما ذكرني بأنريكو ماسياس.

[343] - أرجعت مصادر ليبية سبب إبعاد إيمان للعبيدي من قطر وترحيلها إلى بنغازي، إلى أخذها جرعة زائدة من الحرية، وإطلاقها تصريحات تسببت في حساسيات بين المجلس الانتقالي الليبي وقطر، بعد أن انتقدت العديد من الناشطين في

ثم تنشر نفس الصحيفة في نفس اليوم وتحت عنوان : "**مسؤولو أمن غربيون: المرتزقة ينضمون إلى طرفي الصراع (!!!) في ليبيا"، وتقول موضحة أنها تنقل عن** "رويتر": قال مسؤولو أمن أمريكيون وغربيون إن العقيد الليبي معمر القذافي ومقاتلي المعارضة الذين يسعون للإطاحة به يجلبون جنودا مرتزقة لتعزيز صفوف قواتهم، وأضافوا أن أعدادا صغيرة من المتعاقدين مع شركات خاصة يعملون مع المعارضين الذين يقاتلون قوات القذافي في ليبيا، وقال المسؤولون الذين طلبوا عدم ذكر أسمائهم (????!!!) في مناقشة قضايا حساسة إنهم يعلمون انه لا يوجد أي أمريكي بين الأجانب الذين يعملون مع المعارضة ولا يحصل أي منهم على أموال من الحكومة الأمريكية، وعلى الرغم من أن استخدام قوات المعارضة للمرتزقة أمر جديد فإن القذافي يستخدم الجنود المرتزقة منذ وقت طويل ومعظمهم من دول إفريقيا جنوب الصحراء، وذكر مسؤولون أن عدد المرتزقة في قوات القذافي أكبر من عددهم في صفوف المعارضة الليبية وأنه يعتمد على المرتزقة لتعزيز ما تبقى من قواته النظامية التي ضعفت إلى حد كبير بسبب الحملة العسكرية الشرسة (!!!) التي يشنها حلف شمال الأطلسي (وعلامات الاستفهام والتعجب من عندي)[344].

وتواصل الصحيفة القومية الكبيرة مقالها قائلة: يرجح أن المتعاقدين الذين يعملون مع المعارضين في معقلهم بمدينة بنغازي جاءوا من دول مثل فرنسا وبريطانيا أو من خلال شركات عسكرية خاصة جندتهم.

وتلعب الدولتان الدور الأكبر في الحملة العسكرية لحلف شمال الأطلسي. (..) وهناك مزاعم بأن "سيكوبيكس" تعمل مع القذافي لكن الشركة أصدرت بيانا قالت فيه العكس وهو أنها تتعامل مع المعارضين، وقالت سيكوبيكس إن أفرادها يقدمون خدمات حراسة شخصية لرجال أعمال وإنهم يحاولون تأمين ممر بين بنغازي والقاهرة، وصرح ممثل لمجموعة "هاربور" وهي شركة علاقات عامة في واشنطن تمثل المجلس الوطني الانتقالي الليبي المعارض أنه ليس لديه معلومات عن عمل متعاقدين من شركات خاصة مع معارضي القذافي.

وتورد "القدس العربي" باهتمام واضح أن "صحيفة "الغارديان" البريطانية ذكرت في وقت سابق من الأسبوع الحالي أن جنودا سابقين في وحدة كوماندوس بريطانية خاصة ومتعاقدين غربيين يعملون على الأرض في مدينة مصراتة الليبية"، وأشار مسؤولون أمريكيون إلى أن "حكومتي قطر والسعودية اللتين تعارضان القذافي على استعداد لدعم معارضيه بالمال والأسلحة".

كل ذلك نشر في يوم واحد وبهذا الأسلوب الذي يكاد يُعطي الشعور بأن شيئا ما تغير في إدارة الصحيفة...القومية الكبيرة التي يملكها ويديرها أعلى الأصوات القومية العربية.

الثورة، تحت الضغط النفسي الذي تعانيه منذ الاعتداء عليها من قبل مرتزقة القذافي. وأوضّح المسؤول الإعلامي باللجنة الليبية للطوارئ بواشنطن "أشرف الثلثي" في اتصال مع "الشروق" أن المشكل الرئيسي في قضية إيمان لعبيدي، أنها وخلال المدة التي أقامت فيها بقطر، لم تتعرض للعلاج النفسي، بعد تعرضها لتلك الجريمة النكراء، إذ كان من الضروري جدا أن تتلقى رعاية نفسية عالية، تخلق لها التوازن النفسي الذي ضاع منها جرّاء الاعتداء. واعتبر أشرف الثلثي أن ذلك العلاج كان من الأهمية بمكان لتأهيل إيمان وإدماجها في الحياة الاجتماعية، غير أن المسؤولين في قطر وضعوها في فندق تحت حراسة مشدّدة، دون الانتباه إلى هذه الجزئية الهامة. وواصل المتحدث أن إيمان باتت محط اهتمام الكثير من وسائل الإعلام العالمية، التي تقفّت آثارها إلى الفندق الذي تقيم به في الدوحة، وصارت مطلوبة للإدلاء بتصريحات عن كل ما جرى لها قبل أن تغادر طرابلس نحو قطر عبر الحدود التونسية، وهنا لم تكن إيمان تمانع من تكرير ما حدث لها، وتلفيق التهم والإساءة لبعض رموز الثورة الليبية، وهو ما لم يرق للمسؤولين في قطر، وكذا الليبيين المتواجدين هناك، ومخافة أن يتسبب كلامها في صراع بين الطرفين، وتشنج للعلاقات بين قطر والمجلس الانتقالي، خاصة بعد موقف قطر من الثورة الليبية ودعمها، تدخل منسق المجلس الانتقالي ومسؤول إعلامه محمود الشمام وطالب برحيلها على الفور إلى ليبيا. وقال الثلثي أن تفوّه إيمان بالتفاصيل المقزّزة لعمليات الاعتداء عليها، جعلتها محل انتقاد، لأنها باتت تسيء للأخلاق والأعراف، وطالبت أصوات عديدة بمنعها عن التصريح، لفقدها التوازن النفسي، ووقوفها في مفترق الطريق بين الثقافة الشرقية والغربية (الشروق العربي 5 يونيو) وبعد يومين في بنغازي سافرت إيمان إلى الولايات المتحدة

[344] - نقلت **القدس العربي** عن وكالة الأنباء الألمانية يوم 5 يونيو خبرا جاء فيه : قال لويس مورينو أوكامبو المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية إن هناك أدلة قوية على قيام سيف الإسلام القذافي بجلب المرتزقة إلى بلاده لمحاربة المعارضة. وقال أوكامبو إن المحكمة في انتظار قرار القضاة "في غضون أسابيع قليلة" وبعدها ستبدأ في إعلان إجراءاتها تجاه المتهمين بارتكاب جرائم ضد الإنسانية في ليبيا. وأكد أوكامبو، في حديث خاص أدلى به لوكالة الأنباء الألمانية : "لدينا أدلة قوية على ارتكاب جرائم ضد الإنسانية في ليبيا." وسنعمل على تحضير الوثائق الخاصة بالقضية واستصدار قرارات الملاحقة والقبض على كل المطلوبين للعدالة.. أعتقد أن المحكمة الجنائية ستساهم في إنهاء الصراع في ليبيا." وحول مشاركة مرتزقة أجانب ومن دول أفريقية في الحرب الدائرة في ليبيا إلي جانب القذافي وما إذا كانت ستشملهم قائمة المطلوبين للعدالة، قال أوكامبو "لدينا أدلة على أن سيف الإسلام هو من جلب المرتزقة.

فقد نشرت في اليوم التالي (السبت 4 يونيو) افتتاحية بقلم مديرها عبد الباري عطوان تحت عنوان : ثوار ليبيا وإسرائيل، تناست أمره تعالى "...فتبينوا"، وجاء فيها :

"شخصياً.. لم أفاجأ بإعلان الكاتب والفيلسوف الفرنسي برنارد هنري ليفي أنه نقل رسالة من المجلس الوطني الانتقالي الليبي ممثل 'الثوار'، إلى بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل أثناء لقائه معه في القدس المحتلة يوم الخميس الماضي، يتضمن فحواها تعهد النظام الليبي القادم بالعدالة للفلسطينيين والأمن للإسرائيليين، وأنه أي النظام الليبي القادم، سيقيم علاقات عادية مع إسرائيل.

مصدر عدم المفاجأة أنني اعرف تاريخ هنري ليفي هذا جيدا، وعلاقاته الوثيقة مع إسرائيل، ودفاعه المستميت عن جرائمها ومجازرها الدموية في حق العرب الفلسطينيين، وقد انتابتني الشكوك في طبيعة المجلس الوطني الليبي وأهدافه منذ اللحظة الأولى التي شاهدت فيها المستر ليفي اليهودي الصهيوني يتخذ من مدينة بنغازي، مقرا له[345]، وممثلا لحكامها الجدد.

قبل أربعين يوما استضافني برنامج 'نيوزنايت' البريطاني الشهير (في محطة بي.بي.سي الناطقة بالانكليزية) للحديث عن الثورة في ليبيا، وكان على الطرف الآخر، عبر الأقمار الصناعية، الفيلسوف ليفي، وقد اتفقنا على دموية نظام العقيد معمر القذافي، ومخططاته لارتكاب مجزرة ضد المدنيين في بنغازي وضرورة حمايتهم بكل الطرق والوسائل، ولكن ما اختلفنا عليه هو الأسباب الحقيقية لتدخل حلف الناتو، وقلت يومها أن هذا الحلف ليس مؤسسة خيرية، وان الاستيلاء على النفط الليبي، ومحاولة إعادة ليبيا إلى عهود الاستعمار الغربي هو احد أبرز أهداف هذا التدخل.

الفيلسوف ليفي جادلني بحدة، واختلف معي، وشرح أنه هو الذي اتصل بالرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي من بنغازي طالبا منه التدخل عسكريا وبسرعة لحماية أهل بنغازي، واستجاب ساركوزي لندائه فورا، وأرسل طائراته لقصف قوات القذافي الزاحفة نحو المدينة[346].

قلت للفيلسوف ليفي، بعد أن استغربت وجوده في بنغازي بعد أيام معدودة من اشتعال فتيل الثورة وتحولها فورا إلى تمرد عسكري، قلت له لماذا لم تذهب إلى قطاع غزة عندما كانت الطائرات الإسرائيلية تقصف أهله المسالمين العزل بقنابل الفوسفور الأبيض والقنابل من مختلف الأحجام وتقتل 1400 من أهله نصفهم تقريبا من الأطفال، وهنا زمجر غاضبا، وقال أن القطاع محكوم من قبل منظمة "حماس" الإرهابية المتطرفة مما يعني، من وجهة نظري، انه طالما الحال كذلك فان ذبح هؤلاء الأطفال أمر مبرر".

ويواصل عبد الباري عطوان :

"وقفنا في هذه الصحيفة منذ اليوم الأول مع الثورة في ليبيا، وأيدنا مطالبها المشروعة في تغيير النظام، وليس إصلاحه فقط، لأنه نظام أهان الشعب الليبي وأذله، وحرمه من ابسط قواعد العيش الكريم، وأهدر ثرواته الهائلة، وحول البلاد إلى مزرعة له ولأبنائه وأفراد حاشيته، ولكن بعد خطف ثورة الشعب الليبي من قبل بعض الطامعين في السلطة من بعض أركان النظام الليبي، والاستعانة بحلف الناتو وقواته وطائراته وصواريخه، وتوفير التغطية له لقتل ليبيين آخرين في الطرف الآخر بدأنا نراجع موقفنا، وننظر بعين الشك والريبة إلى نوايا الذين حرفوا الثورة الليبية عن مسارها.

تعرضنا للكثير من الهجمات الظالمة والبذيئة من قبل بعض المخدوعين، أو المأجورين المحرضين من قبل عناصر صهيونية (!!!!) لأننا قلنا أن البلاد تنجرف إلى حرب أهلية، وأننا نعارض التدخل الأجنبي، وان التنظيمات المتطرفة هي المستفيد الأكبر من تحول ليبيا إلى دولة فاشلة، ولكن عندما أعلنت أمريكا الداعم الرئيسي للثوار الليبيين أنها تخشى من سقوط أسلحة في أيدي تنظيم 'القاعدة'، وأكد بان كي مون أمين عام الأمم المتحدة أن طرفي الصراع في ليبيا يرتكبان جرائم حرب[347]، وكشفت وكالة 'رويتر' أن مرتزقة بريطانيين وفرنسيين حاربوا إلى جانب الثوار في مصراتة (وعلامات التعجب من عندي).

---

[345] - وهو خبر نقرؤه في الصحيفة للمرة الأولى.

[346] - كلام نقرؤه أيضا في الصحيفة للمرة الأولى، ويلاحظ تجاهلها للحقيقة التي تقول بأن ساركوزي لم يتحرك إلا بعد اجتماع الجامعة العربية التي طلبت تدخل مجلس الأمن، وعندها فقط تدخلت الطائرات الفرنسية لتنقذ أهل بنغازي، التي كان سيف الإسلام القذافي قد هدد صراحة بأنه داخل إليها في خلال 48 ساعة، أما إذا كانت لليفي كل هذه القوة فهو جدير بأن يستقبل كما يستقبل الرؤساء والملوك.

[347] - يلاحظ هنا أن الأمم المتحدة أشارت إلى جرائم الحرب بصيغة التأكيد فيما يتعلق بكتائب القذافي وبصيغة الاحتمال (قد) فيما يتعلق بالثوار، وعدم الإشارة إلى هذا الفرق يضع علامات استفهام كثيرة على الصحيفة القومية.

الاستعانة بقوات الناتو ضد نظام همجي ظالم أمر مبرر في نظر الكثيرين، في ليبيا وخارجها، طالما أن هذه القوات جاءت لحماية الأبرياء من المجازر التي كان يخطط لها نظام القذافي وكتائب أبنائه، ولكن ماذا سيقول هؤلاء الآن، وهم يرون المجلس الانتقالي يستعين بنتنياهو، ويفتح القنوات معه، ويعده بالتطبيع بعد وصوله إلى قمة السلطة؟[348].

الشعب الليبي، شعب المجاهد عمر المختار، الذي ثار على الاستبداد الداخلي، وقدم مئات الشهداء، لا يمكن أن يقبل بالاستبداد الخارجي، وعودة الاستعمار الغربي إلى أراضيه، ونهب ثرواته، مثلما لن يقبل مطلقا بأي نظام حكم يقيم علاقات مع إسرائيل التي تنتهك الأعراض وتحتل المقدسات في الأراضي الفلسطينية العربية المحتلة، وليبيا التي أتت بالعقيد معمر القذافي ورفاقه إلى سدة الحكم هي ليبيا الوطنية، المخلصة لقضايا أمتها، الحريصة على وجهها العربي، وهويتها الوطنية الإسلامية. وليبيا التي تريد اليوم التخلص من نظام القذافي الفاسد، وتؤسس لنظام جديد يقوم على العدالة والمساواة والحريات السياسية والنظام القضائي المستقل والديمقراطية الحقيقية، هي ليبيا الوطنية أيضا.

نظام الملك إدريس السنوسي التعددي الشفاف لم يسقط بسبب الفساد أو الظلم، وإنما سقط لأسباب قومية عربية، وشذوذه في تلك الوقت عن مسيرة الثورات العربية المطالبة بالتصدي للاغتصاب الصهيوني لقطعة عزيزة من الأمة العربيـــة والإسلامية، وضرورة تسخـــير كل الإمكانات من اجل نصرتها[349].

الملك إدريس أعاد ثلاثين ألف دولار كانت في حوزته إلى السفارة الليبية في تركيا التي كان يزورها زيارة رسمية بعد نجاح الانقلاب ضد نظام حكمه، وغادر إلى القاهرة وهو لا يملك ثمن العشاء له ولحاشيته، بينما أبناء العقيد الليبي، والوزراء المنشقون عن حكمه الذين انضموا إلى الثوار يملكون المليارات.

والثوار لا يستعينون بالمرتزقة وشركات توظيفهم الأوروبية لكسب معركتهم ضد الظلم والفساد، الأنظمة الديكتاتورية القمعية هي التي تفعل ذلك، وعندما تقول وكالة رويتر أن شركات فرنسية وبريطانية وأمريكية (علاقات عامة) تجند مرتزقة يقاتلون غالى جانب الثوار، أو نيابة عنهم، في مصراتة، وتؤكد ذلك صحيفة "الغارديان" البريطانية المحترمة[350]، فإننا يجب أن نعيد حساباتنا، ولكن دون أن نقف في خندق النظام الليبي الفاسد المجرم.

نجد لزاما علينا أن نذكر 'الثوار' الليبيين بان جميع الذين استعانوا بإسرائيل وأقاموا علاقات طبيعية معها انتهوا نهاية مأساوية مخجلة، ابتداء من الرئيس محمد أنور السادات، مرورا بخليفته حسني مبارك وانتهاء بالرئيسين الموريتاني معاوية ولد الطايع والتونسي زين العابدين بن علي، مع فارق رئيسي وهو أن هؤلاء كانوا يجلسون فوق كراسي الحكم، وعلى رؤوس أنظمة قوية تملك جيوشاً وأجهزة أمنية قوية، أما المجلس الانتقالي الليبي فما زال في مرحلة "الحبو" في أفضل الأحوال، ولم يحظ إلا باعتراف دولتين عربيتين فقط.. ما زال مجلسا مؤقتا. وباستعانته بإسرائيل، بالطريقة التي رأينا بشائرها، سيحكم على نفسه بأنه لن ينمو مطلقا وان نما فبطريقة غير شرعية.

نفي تحميل ليفي رسالة إلى نتنياهو لا يكفي.

اطردوا هذا الصهيوني واقطعوا كل العلاقات معه وأمثاله إن كنتم صادقين، وعودوا إلى بدايات ثورتكم النقية الطاهرة وسنكون معكم إن كنتم فاعلين"[351]. (انتهى)

ولم يتراجع عطوان في اليوم الثاني ثم الثالث ولكن القدس العربي نشرت في اليوم الثالث (أي 7 يونيو) مقالا كتبه السيد ابراهيم الدباشي نائب ممثل ثوار ليبيا في الأمم المتحدة (تلاحظ سرعة الرد) كان مما جاء فيه : السيد عبد الباري عطوان لم يفاجأ بما قاله الكاتب الفرنسي برنار هنري ليفي، خاصة بعد أن عرفت من الفقرة

والاحظ أيضا أن هناك معارضين ليبيين أخذوا علنا موقف الهجوم على المجلس الانتقالي في بنغازي،ومنهم من قدمن الانتفاضة كعملية مفبركة نظمها عملاء القذافي.

[348] - كان المفروض أن يعطى الصحفي الكبير للمجلس الانتقالي حق الرد على مزاعم ليفي قبل هذا المقال الملتهب.

[349] - لم يتأخر الملك إدريس السنوسي عن نصرة القضايا العربية في حدود إمكاناته آنذاك، وكلام عطوان هنا يثير التقزز، وتعمدت نشر كلامه حرفيا ليستنتج القارئ ما يجب استنتاجه، وليتساءل عن سبب هذا الموقف المفاجئ.

[350] - ألا يثير هذا الوصف المدحيّ للصحيفة البريطانية تساؤلا مبررا؟

[351] - في نفس اليوم أصدر المجلس الوطني الانتقالي تكذيبا لما ادعاه ليفي وانتظرت في اليوم التالي مباشرة أن أقرأ تراجعا للسيد عطوان، وكانت القدس العربي يوم 6 يونيو فارغة تماما من ذلك وكذلك في اليوم التالي.

الأخيرة في مقاله أنه على علم بتكذيب المجلس الوطني لما قاله السيد ليفي، ولأنني كنت اعـتقد أن السيد عطوان، رغم بعض شطحاته، إلا أنه يكتب بموضوعية في أغلب الأحيان.

لقد قال في مقاله أن مصدر عدم المفاجأة هو **معرفته** بتاريخ السيد برنار ليفي، ولكن المسألة فيها طرفان، والطرف الرئيس هو الشعب الليبي وثورته، وما بين السطور يقول أن مصدر عدم المفاجأة هو أنه يعتقد أن الثوار ليسوا الشعب الليبي، أو على الأقل أن القيادة التي أفرزتها الثورة ليست سوى أشخاص من أركان نظام القذافي طامعين في السلطة وحرفوا الثورة عن مسارها.

وهو يعلن ذلك بكل وضوح عندما يقول ": وقد انتابتني الشكوك في طبيعة المجلس الوطني الليبي وأهدافه منذ اللحظة الأولى التي شاهدت فيها السيد ليفي اليهودي الصهيوني يتخذ من مدينة بنغازي مقرا له وممثلا لحكامها"، ومن الملاحظ انه قال "ممثلا لحكامها" ولم يقل "ممثلا لدى حكامها"، لكي يؤكد بطريقة غير مباشرة ما قاله السيد ليفي.

السيد عبد الباري قال في عدة مناسبات أنه يعرف الشعب الليبي، ولكن للأسف يبدو أن الصورة التي رسمها معمر القذافي للشعب الليبي هي التي تسيطر على تفكيره، ولذلك أجد من واجبي أن أنبه السيد عبد الباري عطوان، وكل من يفكر على طريقته، بأن الشعب الليبي ليس ساذجا ولا جاهلا أو مغفلا، ولا يحتاج إلى وصاية، كما حاول القذافي تقديمه للعالم على مدى الاثنتين والأربعين سنة الماضية.. الشعب الليبي الثائر، وقيادته المتمثلة في المجلس الوطني الانتقالي، يعرفون جيدا من هو السيد برنار هنري ليفي، ولكنه في النهاية ليس سوى شخص قدم إلى بنغازي كممثل للرئيس الفرنسي، ولسنا في المرحلة التي نقرر فيها من يمثل رؤساء الدول التي ترغب في مساعدتنا[352].

ويواصل الدبلوماسي الليبي قائلا : (..) ويرى السيد عطوان أيضا أن ثورة الشعب الليبي خطفها بعض الطامعين في السلطة من أركان نظام القذافي واستعانوا بالناتو لقتل الليبيين، وهو بذلك يتجاهل عمدا أن طلب عقد مجلس الأمن، لاتخاذ الإجراءات لحماية المدنيين، قدم قبل تشكيل المجلس الوطني الانتقالي بأسبوعين، ومن قدمه رسمياً ليس من أركان نظام القذافي، ولا حتى من أطرافه.

ولم ينس السيد عطوان أن يردد في مقاله كل الأكاذيب التي أوردتها بعض الصحف ووكالات الأنباء حول الثورة الليبية، فهو يساوي بين الثوار والقذافي في استخدام المرتزقة، رغم أنه يعرف جيدا أنه لا يوجد مرتزقة في صفوف الثوار، الذين رفضوا الاستعانة حتى بالمتطوعين العرب الذين عبروا عن رغبتهم في القتال معهم. وفي المقابل يعرف أن المرتزقة جزء أساسي من كتائب القذافي.

مزاعم كثيرة أوردها السيد عطوان ليوهم القارئ بأن ثورة الشعب الليبي مصدر بلاء، وليظهر فروسيته أمام أولئك الذين سبق وان تصدوا لمغالطاته، مدعيا أن الأقلام سكتت عندما أثيرت مسألة المرتزقة التي أشرت إليها سابقا، وعندما قال الأمين العام للأمم المتحدة أن طرفي الصراع ارتكبا جرائم حرب، وعندما أعلنت أمريكا أنها تخشى من تسرب أسلحة من ليبيا إلى تنظيم "القاعدة".

وفي هذا الصدد أتمنى على السيد عطوان أن يقرأ تقرير لجنة التحقيق الدولية التابعة لمجلس حقوق الإنسان الذي أوضح بكل جلاء أن نظام القذافي ارتكب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، وأورد بلغة الشك أن جرائم قد تكون ارتكبت على يد الثوار، وشتان بين الأمرين.

أما بخصوص تسرب الأسلحة إلى عناصر "القاعدة" فهذا الأمر يزعج الثوار الليبيين أكثر من أي طرف آخر، لأنهم يعرفون أن سلوك القذافي يقوم على قاعدة "أنا ومن بعدي الطوفان"، ومن ثم فانه لن يتوانى عن نشر القلاقل في المنطقة حتى بعد رحيله، وقد رصد الثوار في الأسبوعين الماضيين فرار أعداد كبيرة من المرتزقة الذين جندهم القذافي وعادوا بأسلحتهم إلى مالي والنيجر وتشاد، وحتما سيبيعون أسلحتهم لمن يقدم لهم المال، أو يحتفظون بها ليستخدمهم عملاء القذافي في المستقبل لزعزعة الاستقرار في بلدانهم.

وأخيرا أقول للسيد عبد الباري عطوان أن هجومك على الثورة الليبية أشد ضررا من هجوم كتائب القذافي على الشعب الليبي، لان كتائب القذافي تمعن في قتل الليبيين فتؤجج الثورة، أما مقالاتك فتحاول قتل الثورة الليبية في عيون ثلاثمائة مليون عربي، من خلال التشكيك في صدق وقومية قيادتها، ومحاولة إضفاء الصدقية على حملة الأكاذيب التي تشن ضدها.

---

352 - تعبير ذكي رائع.

فارجوك يا سيد عبد الباري أن تترك الليبيين وشأنهم، ليبقى لك بعض الاحترام لديهم. (انتهى)

وهنا أسجل لعطوان أنه نشر الرد لتأكيد موضوعيته، لكنه شن حملة بالغة القسوة ضد المجلس الليبي الانتقالي في فضائية الحوار استعمل فيها تعبير "ثوار الناتو"، وكان لما قاله تأثير كأجراس الحريق.

وتذكرت الحوار الذي أجرته فريدة بلكحل مع عبد الحفيظ غوقة، الناطق الرسمي باسم المجلس الانتقالي، ونشرته الشروق يوم 7 يونيو، وكان من بين ما جاء فيه رد على سؤال يقول : نقلت عنكم سابقا تصريحات تهاجم الجزائر أدت إلى أزمة بين المجلس الانتقالي والجزائر، غير أن حدة التصريحات بين الطرفين تراجعت وبدأ الحديث عن تحسن في العلاقات، كيف تتوقعون مستقبل العلاقات، وهل من مصلحتكم معاداة الجزائر كبلد جار وقوي؟

ويكون الرد : أولا.. دعيني أقول لك نحن أشقاء، ونحن متأكدون أن علاقتنا ستصبح أقوى في الأيام القليلة القادمة، نحن لا نريد اختلاق عداوة مع أي بلد كان، فما بالك ببلد شقيق وجار مثل الجزائر، لكن يؤسفنا أن بعض الأشقاء العرب أيدوا القذافي في إبادة شعبه، واستغربنا موقف بعض الدول العربية ومنها الجزائر، التي بقي موقفها غير مفهوم على الإطلاق تجاه إبادة همجية تتعرض لها ليبيا، من قبل نظام القذافي وأزلامه، والله أستغرب أن موقف الجزائر الصامت إزاء ما يتعرض إليه الشعب الليبي.. أتفهم أن تقف روسيا أو الصين مع المجرم القذافي، لكن لا نتفهم نفس الموقف من بلد شقيق، يرى شقيقه يُقصف يوميا بالطائرات الحربية، راجمات الصواريخ، تقتيل للأطفال والنساء والشيوخ والأمنين في بيوتهم.. نحن ننتظر موقفا داعما من الجزائر، لكن نأمل قريبا وليس إلى غاية سقوط القذافي، ومن لا يزال يراهن على القذافي فهو واهم واهم واهم.

وتواصل الصحفية السؤال : لكن المسؤولين الجزائريين يؤكدون أن القاعدة انتعشت بسبب الوضع الليبي بدليل تزايد العمليات الإرهابية؟

ويرد غوقة قائلا : أقول أن قصة القاعدة مجرد فزاعة وذريعة لن تنطلي على أحد، إن كانت هذه الأطراف التي ذكرت متخوفة من القاعدة، فلم لا تتخوف من القذافي الذي قال إنه مستعد للتحالف معها، ضد من جاء لحماية شعبه من جنونه، ثم إن كنت لا تريد الاعتراف بالمجلس كممثل للشعب الليبي، ابدِ رأيك على الأقل في جرائم القذافي التي ارتكبها في حق شعبه الأعزل، لم نر حتى مجرد إدانة من سلطات الجزائر، القاعدة أوجدها القذافي ليبقى على سدة الحكم حتى يموت ثم يورثها لأبنائه وأحفاده، بل النظامان التونسي والمصري لم يكونا مثله حيث تميزا برجاحة عقل.

وتسأل الصحفية من جديد : تتهمون الجزائر بتزويد القذافي بمرتزقة، دون تقديم أدلة وإثباتات.. ألا تعتقدون أن هذا خطأ كبيرا في العرف الدبلوماسي؟.

ويجيب غوقة بكل إصرار : نحن لدينا معلومات موثقة ومستندات تفيد بأن طائرات عسكرية تنتمي إلى الطيران الجزائري قامت برحلات يومية إلى أربعة مطارات عسكرية منها مطار سبها، معيتيقة وبنينة، أتساءل ما الذي كانت تفعله تلك الطائرات في أوج وذروة الأحداث الليبية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نحن لدينا قتلى جزائريون معروفون بالاسم، كانوا ضمن كتائب القذافي يقاتلون الشعب الليبي، وكذلك أسرى ضمن آلاف الأسرى من مختلف الدول العربية والمجاورة. (انتهى)

وكان المفروض أن تكون لدى الصحفية إجابات معدة سلفا انطلاقا من توجيهات واضحة ومحددة تعتمد التركيز على الحقائق، لأن وجود جزائريين مع أي قوات مقاتلة لا يلزم الدولة الجزائرية بأي شيء، وقد كان للجزائر مقاتلون في أفغانستان وفي الشيشان وفي كوسوفو وغيرها.

وكان من المفروض أن توضح قضية الطائرات بشكل لا يترك مجالا لأي مزايدة، ولكن المؤسف أن التعامل مع هذه القضية كان سطحيا واعتمد أسلوب المهماز، ولهذا لم يستطع انتزاع أي مصداقية.

ووضعتْ خطا مستقيما يربط بين اتهام الدولة الجزائرية بقضية المرتزقة والتي صاحبتها تلميحات تشكك في دور مصر تجاه الثوار بل وفي دور تونس، وبين تصريحات الفيلسوف الفرنسي الصهيوني برنارد ليفي التي زعم فيها بأنه نقل رسالة من المجلس الانتقالي الليبي إلى القيادة الإسرائيلية، وتفجر في ذهني تساؤل رهيب حول احتمال حدوث اختراق غربي في صفوف قيادة الثورة الليبية.

(5)

كنت أرى منذ البداية أن ما يحدث في ليبيا يمكن احتواؤه لمصلحة الشعب الليبي إذا تمكنت الدول العربية المحيطة بليبيا من التدخل بشكل مؤثر على سير الأحداث، ومن هنا أحسست بأن هناك من يعمل على استثارة ردود فعل غاضبة من الجزائر وافتعال فتور في العلاقات مع مصر وتونس تسهل مهمة الانفراد بالثورة الليبية وتحويل قيادتها إلى وضعية لا تختلف كثيرا عن وضعية "قرضاي" في أفغانستان.

لكن الاستفزاز كان ناجحا إلى حدّ كبير مع الجزائر، إذ جرى التعامل الرسمي مع الاتهامات الموجهة ضدها بأسلوب لا أراه حكيما كما سبق أن قلت، وكانت النتيجة حرمان الشعب الليبي من دور هام كان يمكن للجزائر، بكل وزنها وثقلها، القيام به لمصلحة المستقبل الليبي.

وقبل أن ينتهي الأسبوع الأول من يونيو خرجت التلفزة الليبية الرسمية على متابعيها بخطاب إذاعي للعقيد معمر القذافي بدا لافتا للانتباه، وظن البعض أنه يعكس نوعا من الإحساس بأن المعركة لا يجب أن تطول وبأن السلاح لا يجب أن يكون هو الحكم الأخير في الصراع.

وجاء في خطاب العقيد يوم 7 يونيو، والذي أذيع بصوته وبدون صورته أنه يتوقع حسم المعركة لصالح شعب بلاده، وأعلن القذافي الذي لم يظهر علنا منذ فترة طويلة، أن الليبيين سيزحفون في "زحوفات" مليونية باتجاه الشرق والغرب لتحرير بلادهم، ممن أطلق عليهم العصابات المسلحة، وقال : سوف يزحف ربع مليون أو نصف مليون ليبي "بدون قتال" لمداهمة العصابات المسلحة وتحريرها من السلاح أمام العالم.

وكان تعبير "بدون قتال" لافتا للنظر، وإن كان ذكرني شخصيا بندائه للزحف السلمي إلى بنغازي منذ عدة أسابيع، ولم أرتح له منذ اللحظات الأولى كما سبق أن قلت، وجاءت الأحداث التالية لتؤكد لي أن الرجل لا يؤمن جانبه، فقبل أن تمضي على كلماته 24 ساعة وبدأ الثوار في ممارسة التحرك بشكل عادي اطمئنانا إلى أن كل شيء هادئ حتى خرجت عليهم عناصر الكتائب التي كانت مختبئة في انتظار التحرك المقابل وألقت بكل ثقلها على مصراتة والقلعة واجدابيا، وبحيث بدا واضحا أن الهجوم تم بشراسة من يريد منه أن يحسم كل شيء في أقصر وقت ممكن. وهكذا يثبت العقيد مرة أخرى لؤمه وخبثه، ويؤكد أن كل من يثقون به سذج يلدغون من الجحر أكثر من مرة، ثم لا يتعظون.

وتعلن السلطات الليبية ما يفيد بأنها تنتوي الاتصال بالحركات الانفصالية التي تعرفها أوروبا انتقاما مما تتعرض له، وهو تهديد يضاف إلى تهديد العقيد في البدايات بأنه سيتحالف مع "القاعدة" للدفاع عن نفسه ونظامه.

لكن الصفعة الإفريقية الكبيرة تأتي من رئيس السنغال "عبد اللاي واد"، إثر أول زيارة قام بها رئيس دولة لبنغازي، فقد قال بوضوح موجها حديثه للقذافي يوم 9 يونيو[353]: أقولها لك مباشرة (...) كلما أسرعت في الرحيل، كلما كان أفضل.

وأوضح "واد" للصحافيين بعد لقائه المسؤولين في المجلس الوطني الانتقالي في بنغازي الذي يرأسه مصطفى عبد الجليل : "أنا الوحيد في الاتحاد الإفريقي الذي يمكنه أن يتكلم معه ويقول له الحقيقة لأني لا أدين له بشيء"، ثم عرض واد الذي وصل قبيل ظهر الخميس إلى بنغازي، لائحة اتهامية مطولة ضد العقيد الليبي، وقال متوجها إلى القذافي : "لقد وصلت إلى السلطة اثر انقلاب عسكري قبل أكثر من أربعين عاما، لم تنظم انتخابات على الإطلاق، ادعيت التحدث باسم الشعب، الجميع يعرف أن ما أقمته هو ديكتاتورية".

وأضاف "إني أقولها لك مباشرة الآن، يجب وقف الأضرار (...) لمصلحة الشعب الليبي يجب أن تنسحب من الحياة السياسية (...) وكلما أسرعت في الرحيل، كلما كان ذلك أفضل".

ومع زيادة الاعترافات الدولية بنظام بنغازي تذكرت مرة أخرى الشكوك التي كانت تراودني حول وجود اختراقات مشبوهة لبعض مستويات الثورة الليبية تدفعها نحو التناقض مع حلفائها الطبيعيين، وهو جيرانها المباشرون، وبدأت آمل في أن يستيقظ عبد الجليل من وضعية يبدو فيها مخدرا بنجاحاته الديبلوماسية بما يحجب عنه إخفاقاته مع أقرب الأقربين.

---

353 - القدس العربي

وفي الوقت نفسه، وبالإضافة إلى عرض "الزحف بدون قتال" الخادع بدأ نظام القذافي في حملة جديدة لاكتساب مواقع تفاوضية دولية على مصيره، يؤكد ما سبق أن قلته عن وجود مجموعة عمل تركز جهودها على اكتشاف الوسائل التي تمد في عمر نظام العقيد، وهكذا نشرت صحيفة "الإندبندنت" البريطانية، أمس الجمعة، عن صفقة سرية طرحها العقيد الليبي معمر القذافي على اليونان لاستخدام 12 مليار جنيه إسترليني من أمواله المجمدة في الخارج للإغاثة الإنسانية لصالح كلا الجانبين في القتال، فيما يعتبر محاولة لفتح مفاوضات للسلام بين الثوار والقذافي.

وذكرت الصحيفة أن المحادثات في هذه الصفقة بدأت بين دبلوماسي مقرب لرئيس الوزراء اليوناني، جورج باباندريو، ورئيس الوزراء الليبي البغدادي المحمودي، وأوضحت أن الاجتماعات أسفرت عن مذكرة تفاهم لاتفاق سري ظلت بدون توقيع عقب التحذير الفرنسي من أن تلك المذكرة ستعطي الشرعية للقذافي كحاكم لليبيا وتقوض سياسة ائتلاف التحالف الأجنبي لعزل القذافي.

وقالت مصادر على مقربة من النظام الليبي أن اتفاقا بشأن استخدام أصولها للحصول على مساعدات يمكن أن تؤدي إلى اتفاق وقف إطلاق النار والاتفاق على تسوية يمكن عن طريقها للقذافي التخلي عن السلطة وتشكيل حكومة انتقالية تضم أعضاء من المعارضة، وقال مسؤول ليبي كبير "إننا نعتقد اعتقادا راسخا بأن هذه الخطوة قد تؤدي إلى بدء عملية حوار، للاستفادة من الأموال لجميع الليبيين على الجانبين المعارضة والمؤيدين للقذافي"[354].

وفي الوقت نفسه راحت ابنة العقيد تستكمل ما كان بدأه كل من جاك فرجيس ورولاند دوما المحاميان الفرنسيان اللذين قالا أنهما سيرفعان قضية ضد "الناتو" بتهمة ارتكاب جرائم ضد المدنيين.

وهكذا نشرت وكالة الأنباء الفرنسية أن محامي عائشة القذافي أعلن بأن ابنة العقيد الليبي معمر القذافي رفعت دعوى ثانية في باريس تتعلق "بجرائم حرب" و"قتل" بعد مقتل أربعة من أفراد عائلتها في غارة لحلف شمال الأطلسي نهاية ابريل في طرابلس.

وكان محاميان فرنسيان أكدا أنهما موكلان من قبل عائشة القذافي رفعا دعوى في باريس وأخرى في بروكسل للوقائع نفسها.

وقالت "ايزابيل كوتان بير" التي أكدت أنها محامية ابنة الزعيم الليبي، لوكالة الأنباء الفرنسية أنها تقدمت بدعوى منفصلة إلى نيابة باريس، وتستهدف هذه الدعوى وقائع "قتل وجرائم حرب" ارتكبها "الضباط الفرنسيون" العاملون في إطار عملية حلف شمال الأطلسي، والحلف نفسه ووزير الدفاع الفرنسي "جيرار لونغيه" ورئيس الجمهورية قائد الجيوش " نيكولا ساركوزي". وأوضحت المحامية نفسها أنها زارت ليبيا هذا الأسبوع بطلب من عائشة القذافي التي طلبت منها رفع الدعوى.

وتتعلق الدعوى بالغارة التي شنها الحلف الأطلسي في ابريل وقتل فيها سيف العرب القذافي (29 عاما) أصغر أبناء القذافي وثلاثة من أحفاد العقيد الليبي هم : سيف (سنتان) وقرطاج (سنتان) ومستورة (أربعة أشهر)، حسب طرابلس.

وتتعلق الدعوتان الأخريان اللتان رفعهما الثلاثاء أمام نيابة بروكسل والنيابة الفدرالية البلجيكية المحامي "لوك بروسوليه" وفي باريس "دومينيك انجيان" بجرائم حرب وقتل[355].

ويذكر حشد المحاميين الفرنسيين بحشد سابق للأدباء العرب للقيام بدراسات "علمية" على "الكتاب الأخضر" الذي يجسد، كما قيل، أفكار العقيد، وهو ما يعطي فكرة عن استخدام أموال الشعب الليبي بدون ضابط ولا رقيب، ولمصلحة فرد أو مجموعة أفراد.

وفي نفس الإطار، كشف أمس الجمعة عن رسالة نسبت للعقيد الليبي يعرض فيه على الكونغرس الأمريكي استعداده للتفاوض على وقف إطلاق النار في الصراع الذي تشهده البلاد منذ أكثر من ثلاثة أشهر.

وذكرت شبكة (أيه بي سي نيوز ABC) وصحيفة (بوليتيكو) أن مسئولين بالكونغرس يفحصون الرسالة للتأكد من صحتها بينما قالت الخارجية الأمريكية إنها سمعت عن الرسالة لكنها لم ترها.

---

[354] - صحيفة الفجر الجزائرية وصحيفة القدس العربي - 11 يونيو

[355] - القدس العربي 11 يونيو

والرسالة مؤرخة بتاريخ 9 يونيو الجاري ومشفوعة بتوقيع "معمر القذافي قائد الثورة العظيمة"، وقال القذافي في الرسالة التي جاءت في ثلاث صفحات إنه "ممتن لمناقشة القضايا بشكل عميق"، وأضاف "نحن على استعداد للجلوس على الطاولة مع المحاورين المناسبين من الداخل بقيادة الولايات المتحدة، فلنوقف التدمير ونبدأ المفاوضات من أجل إيجاد حل سلمي لليبيا، ولا ينبغي أن يستعمر الأوروبيون أمتنا ثانية.. لا يجب أن تقسم بلدنا مجددا"، كما طلب القذافي مساعدات إنسانية والتوفيق بين الأطراف المتنازعة في ليبيا.

إلا أن مكتب رئيس مجلس النواب الأمريكي جون بوينر تشكك في الرسالة. وقال متحدث باسم المجلس: "إذا ما كان أصليا، فإن هذا الخطاب غير المترابط من شأنه فقط أن يعزز ضرورة رحيل القذافي[356].

جاءت خرجة جديد ة للعقيد طبقا لما أوردته وكالة الأنباء الفرنسية التي قالت : بث التلفزيون الليبي مساء الأحد مشاهد ظهر فيها العقيد معمر القذافي يلعب الشطرنج مع الروسي "كيرسان ايليومجينوف" رئيس الاتحاد الدولي للشطرنج، وجرت المباراة بحضور محمد القذافي الابن البكر للعقيد الليبي والذي يرأس اللجنة الاولمبية الليبية ويدير قطاع الاتصالات في ليبيا، وظهر القذافي مرتديا عباءة بنية اللون ونظارات شمس سوداء (في قاعة مغلقة وليس في الهواء الطلق) وبدت خلفه شاشة تبث برنامجا للتلفزيون الليبي يحمل تاريخ 12 يونيو 2011 (مما يوضح هدف اللقطات وخلفيات من أشار بوضع التاريخ)

وكان ايليومجينوف أعلن لوكالة "انترفاكس" في اتصال هاتفي من طرابلس حيث يقوم بزيارة رسمية بصفته رئيسا للاتحاد أن القذافي أكد له أنه لا يعتزم التخلي عن السلطة ومغادرة البلاد، وقال: أنا لست رئيس وزراء ولا رئيسا ولا ملكا. أنا لا اشغل أي منصب في ليبيا، لهذا السبب ليس علي التخلي عن أي منصب، وذلك في الوقت الذي تطالب فيه الدول الغربية ومعها روسيا الزعيم الليبي بالتخلي عن السلطة.

وتعلق الوكالة قائلة (القدس العربي 13 يونيو) ايليومجينوف شخصية غريبة الأطوار، فهو على سبيل المثال يؤكد منذ أكثر من عشر سنوات انه التقى مخلوقات فضائية، اتصل بها عبر التخاطر (Télépathie) ثم جاءت إلى الأرض وأخذته معها في رحلة على متن صحنها الطائر وهو يشبه أنبوبا شبه شفاف، كما قال.

والذي حدث بعد ذلك أن الاتحاد الألماني للشطرنج انتقد سفر كيرسان إلى ليبيا، وقال رئيس الاتحاد الألماني للشطرنج هيربرت باستيان: "رئاسة الاتحاد الألماني للشطرنج ترى أن زيارة رئيس الاتحاد الدولي للشطرنج للقذافي في الموقف السياسي الراهن غير مناسبة على الإطلاق، ولا يمكننا تفهمها".

ومن جهته دافع ايليومجينوف في بيان صحفي عن زيارته المثيرة للجدل لليبيا.وقال: "عقدت اجتماعات جادة للغاية، وأنا فخور بإمكانية مساهمة الاتحاد الدولي للشطرنج في عملية السلام بالمنطقة وبالعالم".

ثم يحدث ما يجعلني أقول سبحان الله مغير الأحوال، رغم أن السؤال الذي يظل قائما كألم الأضراس هو: هل هذا الرجل أصبح فجأة مخلصا موضوعيا أم أنه ما زال مخادعا مخاتلا لئيما.

فقد نشرت صحيفة "كوري دو لا سيرا" هذا الأسبوع من يونيو مقابلة صحفية لسيف الإسلام القذافي سأورد نصها، وبدون التوقف كثيرا عند السؤال الذي لا أجد إجابة له، وهو بأي صفة رسمية يتحدث ابن العقيد، وأين رئيس الحكومة وقادة اللجان الشعبية وممثلي وزارة الخارجية؟

وهكذا أكد زيف الإسلام استعداد فريق القذافي لإجراء انتخابات "في غضون ثلاثة أشهر في ليبيا تحت إشراف مراقبين دوليين، وقال نجل الزعيم الليبي الذي كان يعتبر خليفة محتملا لوالده البالغ الثامنة والستين من عمره يمكن إجراء انتخابات في غضون ثلاثة أشهر أو في موعد أقصاه نهاية السنة والضمانة لشفافيتها يمكن أن تكون حضور مراقبين دوليين، وأضاف لا نضع شروطا على احد من المراقبين، ونوافق على الاتحاد الأوروبي والاتحاد الإفريقي والأمم المتحدة وحتى الحلف الأطلسي، فالمهم هو أن تكون الانتخابات نظيفة (الله أكبر) وألا تكون هناك شبهات بحصول فوضى (الله أكبر) وتكون قمة النفاق قول "زيف "الإسلام، وطبقا لنص الصحيفة: من الضروري وضع الية لضمان **سلامة قادة المعارضة** في هذه الانتخابات.

وأسترجع هنا بسرعة أحداث شهر يونيو لأجد نفسي في مواجهة استنتاج يفرض نفسه على كل من يفكر بموضوعية ويحلل التطورات بأسلوب علمي، والاستنتاج هو أن مجموعة العمل التي "استأجرها" نظام العقيد تمارس عملها بكل هدوء وبرودة أعصاب، وتخطط لكل شيء وكأن الأمر مباراة شطرنج بين محترفين، ولا

---

[356] - المرجع السابق

تلام على ذلك فهي مأجورة عليه، وبمقابل مالي باهظ من رصيد الشعب الليبي الذي ينهب بدون حسيب أو رقيب.

وفي هذا الإطار تأتي مباراة الشطرنج التي قدمتها لنا التلفزة الليبية لتبرز أن العقيد يمارس حياته بكل هدوء واطمئنان، فهو من نوعية "يا جبل ما يهزك ريح"، لكن العقيد يفسد الأمر بحماقته المعهودة إذ يلعب المباراة مع مرتزق روسي في مكان مغلق (قيل أنه واحد من أنفاق ترتبط بما سمي "النهر العظيم") وهو يضع على عينيه نظارات شمسية سوداء، تضطره إلى الانحناء ليعرف كيف يمسك حجر الشطرنج، وهو ما يذكر بحمله مظلة في ظهوره الأول حيث لا شمس ولا أمطار.

وأعود إلى ما قلته عن مجموعة العمل، التي يدعي البعض وجود عناصر إسرائيلية وشيوعية سابقة فيها، فأضع، جنبا إلى جنب، عددا من المعطيات التي عشناها في النصف الأول من يونيو.

فالحقيد يعلن في بداية الشهر عزمه على إرسال ملايين الأنصار، بدون سلاح، لتحييد من أسماها العصابات المسلحة، وبالفعل تتجه مجموعات خلال الأسبوع إلى مصراتة رافعة الأعلام البيضاء، وما أن يطمئن لهم الثوار حتى تظهر الأسلحة التي قتل فيها عشرات ممن صدقوا ما سبق أن قاله القذافي.

في نفس الأسبوع يعلن رئيس حكومة النظام أن هناك مفاوضات مع اليونان لرفع الحصار عن 12 مليار جنيه إسترليني من الأموال الليبية المجمدة، لضمان الحاجات الإنسانية للطرفين (أي والله ...للطرفين) في 22 ولاية (أي ليبيا كلها) في حين كانت راجمات الأخ الحقيد تقنبل التجمعات المدنية في أكثر من موقع.

ولا بد من التذكير بأن أموال العقيد مجمدة في أوروبا، وهو ما يعني أنها محاولة التفاف سانحة لافتكاك قدر مالي يصبح سابقة تفك بها بقية الأرصدة.

في نفس الأسبوع يعلن اثنان من كبار المحاميين الفرنسيين أنهم سيرفعون دعوى ضد حلف الناتو بحجة أنه قتل مدنيين ليبيين، والقضية تحمل قدرا كبير من **التهريج** سبق أن أشرت له عندما أوردت تأكيدات بأن جثثا كثيرة قدمت للصحفيين على أنها من ضحايا القصف الجوي الغربي، أو الصليبي كما يسميه الحقيد، ولكنها كانت جثثا قتلتها الكتائب في مواقع مختلفة.

ثم إن نداءات النظام للجماهير بالتوجه إلى باب العزيزية لحماية القائد تحمله هو مسؤولية ما يمكن أن يصيب مواطنين جرى استعمالهم **كدروع بشرية**، ونفس الأمر يمكن أن يطبق على مواطنين مدنيين كانوا موجودين في مواقع عسكرية تسير عملية ضرب مواطنين آخرين، كل ذنبهم أنهم وقفوا ضد النظام.

ويدخل في هذا الإطار الشكوى التي قيل بأن ابنة القذافي سترفعها إلى الأمم المتحدة ضد من قتلوا أربعة من أفراد عائلتها، كما قالت، وهم من كانوا مع سيف العرب والذين لم تصدر شهادة طب شرعي واحدة تؤيد بأنهم قتلوا نتيجة لقصف جوي، وشكك رئيس الوزراء الإيطالي في القضية.

ويأتي العرض الأخير لزيف الإسلام حول إجراء انتخابات يقبل القذافي نتائجها، إذا كانت تنحيه عن السلطة ولكن بدون أن يغادر ليبيا.

والسؤال هو :كيف **يتنحى** الحقيد وهو يقول أنه **لا يملك أي سلطة**، ولو كان يملكها فعلا لألقى باستقالته "في وجوهنا"؟، وهو قال هذا مرة أخرى للمرتزق الروسي لاعب الشطرنج، كما أكد ذلك رئيس وزراء النظام وهو يشير بأن "وضعية" العقيد خارج كل اتفاق.

وفي نفس الأسبوع تسرب المصادر الليبية ما يفيد بأنها تنوي الاتصال بالحركات **"الانفصالية" المتطرفة** التي تنشط في أوروبا انتقاما لما تتعرض له طرابلس، وهو تهديد يضاف إلى تهديد العقيد في البدايات بأنه سيتحالف مع "القاعدة" للدفاع عن نفسه ونظامه، وتهديده الذي نفذه بالفعل بتجميع اللاجنين الأفارقة ووضعهم في سفن تحمل من لم يلتهمه البعض منهم إلى جنوب أوروبا، وهي عملية قتل عمدي مع سبق الإصرار.

ويحدث في نفس الأسبوع طرد إسبانيا لسفراء العقيد بعد أن كانت الإمارات قد فعلت ذلك وأعلنت كندا اعترافها بالمجلس الانتقالي بينما قام وزير خارجية ألمانيا بزيارة لبنغازي.

ويتصاعد الغبار العسكري والسياسي بخلفية واضحة هي إثارة الفوضى الفكرية على مستوى الدول الغربية التي تعبر عن نفسها بأنها عقلانية التفكير (rationnelle et cartésienne) فمع تصريحات ابن العقيد عن إجراء انتخابات "نظيفة" تقنبل كتائب القذافي منطقة "غدامس" التاريخي في أقصى الجنوب ثم تعود لضرب بعض مناطق مصراتة، ثم تأتي النكتة الكبرى التي سربها النظام لقناة الجزيرة، التي أعلنت يوم الأربعاء 15 يونيو بأن الجزائر أعادت للعقيد القذافي ضابطين ليبيين برتبة عقيد كانوا قد لجئوا إليها، وكان المؤسف أن

السلطات الجزائرية ترفعت عن تكذيب خبر مقرف كهذا، في حين أن بعض الذين استمعوا له لم يتساءلوا كيف لم تذع الجزيرة اسم العقيدين ليمكن أن يصب الإنسان لعناته على النظام الجزائري، ولماذا لا تكون السلطات الليبية نفسها وراء هذا "التسريب" لإجهاض أي محاولة لتقارب يحدث بين الجزائر والثوار، ولماذا أعلن الخبر على وجه التحديد خلال زيارة وزير الخارجية الفرنسي ألان جوبيه للجزائر

ولقد شعرت بالأسى لأنني كنت من بين من دافعوا طويلا عن مصداقية الجزيرة وموضوعيتها، ومصدر الأسى ليس لأنها بثت الخبر، ولكن لأنها تجاهلته بعد يومين ولم تعلن تكذيبا له نتيجة لعدم تأكيده من مراجع الثورة الليبية، باستثناء مُعمم مُجلبب جاءت به إلى شاشتها، راح يتكلم باسم الثوار مجددا اتهاماته للسلطات الجزائرية، وهو ما أكد أن أهم مآسي الثورة الليبية كثرة المتحدثين باسمها.

وتم بعد ذلك تسريب خبر إلى صحيفة فرنسية زعمت أن "إيران" تسلح العقيد، ولأنه ليست هناك حدود مشتركة بين البلدين فقد كانت الاستنتاج أن الأسلحة تمرر عبر الجزائر، ومرة أخرى ترفعت الجزائر عن تصحيح الخبر، الذي تلاشى بعد أيام.

وفي اليوم التالي مباشرة، أي 17 يونيو وفي نفس الوقت الذي كان المبعوث الروسي العبيط ينبيء، إثر لقائه بالأخ الحقيد، وجود اتصالات بين النظام والثوار، وهو ما نفاه الثوار على الفور، كانت التلفزة الليبية تبث خطابا صوتيا للقذافي هدد فيه قوات التحالف بالويل والثبور، وتحداهم أن ينزلوا إلى أرض ليبيا حيث سيتعرضون للإبادة، ولكنه يختتم تحديه بالقول أنه يعرف بأنهم لن يجرؤوا على أن يضعوا قدما على الأرض الليبية، وهكذا يصبح الأمر نوعا من السخافة المثيرة طالت مدة الصراع لاقتلاع القذافي أكثر مما يجب ومما كان متوقعا، حيث كان من المفروض أنه، بتدخل قوات الأطلسي، سينتهي الأمر في أسابيع معدودة، لكن ما حدث هو أن الانتصار على العقيد أصبح يبدو كل يوم أكثر صعوبة، مما كاد يعطي الشعور بأن هناك من يشجعه على ذلك.

ولا بد من الاعتراف بأن أهم أسباب صلابة الموقف القذافي حسن المناورة الذي تتسم به تحركات النظام وتوزيع الأدوار بشكل يربك الخصوم ويعبر عن ذكاء شديد ومقدرة على اقتناص الفرص واستثمار نقاط الضعف عند الخصوم، بالإضافة إلى ما يلقاه من دعم تقدمه بعض القوى التي ستتكشف مواقفها الحقيقية يوما ما.

ولعلي أضيف إلى ذلك حجم الأسلحة التي يمتلكها العقيد، والتي قال عنها شلقم : بعد حرب 1973 وتحول السادات نحو أميركا، خاف السوفيات وحلف وارسو من ترتيبات أميركية - مصرية - إسرائيلية، ففكروا في وضع أسلحة ضخمة تقليدية في ليبيا، من دبابات ومدفعية يستعملونها في حال حدوث أي تطور، بخاصة إذا تحرك الاتحاد السوفياتي إلى جنوب أوروبا، لأن المخازن التي اكتشفت في الأيام الأخيرة بعد الانتفاضة مخازن مرعبة: مئات الدبابات والصواريخ والراجمات التي لا يعرفها أحد. أعتقد أن قصة تخزين حلف وارسو أسلحة تقليدية في ليبيا كانت حقيقية، لأن كمية الأسلحة التي ضربتها قوات الناتو والتي اكتشفناها الآن واستولى عليها الثوار هي من نوع لا عين رأت ولا أذن سمعت (الحياة – 19 يوليو)

ولقد سبق أن قلت بأن هناك مجموعات عمل ومكاتب دراسات مأجورة تخطط لكل تلك التحركات ببرودة أعصاب وبمقدرة على استباق خطوات الطرف الآخر، وكنت أعطيت تصوري لهوية هذه المجموعة، التي أتصور أنها تكافأ على عملها بكرم زائد لا يقدر عليه إلا من يملك مالا بلا رقيب ولا حسيب.

لكن لا بد من القول أيضا من أسباب ذلك تعامل الحلف الأطلسي مع القضية باستعلاء من يتصور أنه يعرف كل شيء ويدرك كل شيء ويستطيع مواجهة كل شيء.

ويضاف إلى ذلك أن بعض من يتحدثون باسم ثوار ليبيا كانوا يتصرفون يوما بعد يوم بحماقة عجيبة، ولعل هذا هو ما دفع عمر موسى في بداية الأسبوع الثالث من يونيو إلى التباكي على ضحايا الغارات الجوية للحلف، وجعل وزير خارجية إيطاليا يطالب بإيقاف مؤقت لإطلاق النار، لدواع إنسانية كما قال، وكان الغريب في الموقفين هو التركيز على ضربات "الناتو" وبدون التوقف كثيرا عند جرائم كتائب القذافي.

وأصبح واضحا أن هناك من يحاول أن يُحمّل الثوار المسؤولية غير المباشرة في مقتل مواطنيهم ممن يوجدون في صف العقيد القذافي، بالتركيز على أن السبب هو الاستعانة بالحلف الأطلسي، وهي محاولة تذكر بالاتهامات الأولى للثوار بأنهم "عسكروا" الانتفاضة بدلا من المحافظة على تحركها السلمي.

والواقع أن هذا يمكن أن يكون منطقا سليما، لولا أن واقع التعامل العربي مع الانتفاضات الشعبية يجهضه تماما، بل ويجعله مثيرا للسخرية.

فاليمنيون، وهم شعب مسلح حتى أسنانه، حافظوا على سلمية الانتفاضة ولم يحاولوا إطلاقا مواجهة "بلطجة" النظام ببلطجة مماثلة، ولكن أحدا في الوطن العربي لم يمد يده للتخفيف من معاناتهم ولحماية تظاهراتهم، وهكذا ظلوا أسابيع متتالية أسرى لنزوات الرئيس علي عبد الله صالح، الذي استهان بوقاحة عجيبة بمجلس التعاون الخليجي، ولم يسعد اليمنيون حتى بتدخل على حياء لقوات "ضرع" الجزيرة التي تسارعت نحو البحرين تحت عدسات آلات التصوير.

والسوريون لم يطلبوا تدخل "الناتو" ولكنهم ظلوا ينزفون دما وغيظا من لا مبالاة الوطن العربي في التعامل معهم، ومن أكاذيب الإعلام السوري الذي يغطي الشمس بغربال ممزق، إضافة إلى عنجهية المسؤولين السوريين، ومنهم من قرر أن يحذف أوروبا تماما من الخريطة الجغرافية.

وربما كانت حماقة ممثلي الثوار الليبيين وتعاليهم عن توضيح الأمور لمدير "القدس العربي" سببا لتزايد التحول المؤسف في موقف الصحفي فلسطيني الأصل، والذي يعطي الإحساس بأنه لا يقل عنهم حماقة، إذ يسوي بين الضحية والجلاد، وهذا إذا نظرت لموقفه نظرة سياسية لا تظن سوءا بالرجل الذي أصبح المتخصص الأول في شؤون الوطن العربي عبر الإعلام البريطاني، وتحليل فكري لا يوحي بأن مواقفه مدفوعة الثمن.

ويكتب سيدي المدير يوم 22 يونيو تحت عنوان: "شهداء الناتو.. لا بواكي عليهم"، قائلا :

"تصاعدت في الأيام الأخيرة أعداد ضحايا قصف طائرات حلف الناتو من المدنيين (!!) في العاصمة الليبية طرابلس وضواحيها وسط صمت عربي مريب، وتواطؤ واضح من الأمم المتحدة ومنظمات غربية لحقوق الإنسان، وبالأمس أعلنت السلطات الليبية عن "استشهاد" العشرات في قصف صاروخي لمدينة "زليطن"، وقالت أن هناك صعوبات كبيرة في الوصول إلى الجرحى والقتلى بسبب كثافة غارات الطائرات الحربية، واعترفت قيادة الحلف الأحد الماضي بمقتل تسعة أشخاص، خمسة منهم من أسرة واحدة، بينهم ثلاثة أطفال عن طريق الخطأ اثر انحراف الصواريخ عن هدفها، وتدمير عمارة مجاورة له نتيجة خلل ما في البرمجة، وقدمت اعتذارها لأسر الضحايا على لسان "راسمونسن" أمين عام الحلف الذي وعد بإجراء تحقيقات".(وأتوقف لحظات لأسجل أن الصحفي لم يضع هذا الاعتذار في موضع المقارنة مع من قتلتهم كتائب العقيد بدون اعتذار ولا أسف ولا تظاهر بالحزن، فهم أبقون مجرمون لقوا جزاءهم، وأعود لمقال عطوان).

"بعد هذا الاعتذار بيومين، أغارت الطائرات مرة أخرى على منزل السيد "الخويلدي الحميدي" عضو مجلس قيادة الثورة واحد المقربين من الزعيم معمر القذافي، في بلدة "صرمان" شمال طرابلس، وأدى القصف إلى "استشهاد" 19 شخصا، بينهم عشرة من أحفاده، وزوجة ابنه، وخادمة مغربية (وكان المفروض أن يقول الكاتب بأنه يروي الخبر عن مصادر ليبية رسمية)

ولا يفوتنا التذكير بان القصف لم يتوقف على مدى الشهرين الماضيين لأهداف مدنية وعسكرية وموانئ ومطارات مدنية، ومرافق عامة، كان من أبرز ضحاياها سيف العرب نجل الزعيم معمر القذافي وأربعة من أحفاده قتلوا نياما (؟؟) عند قصف منزلهم في قاعدة باب العزيزية العسكرية (قالت طرابلس أنهم ثلاثة أحفاد).

الصحافيون الغربيون الذين زاروا المستشفى الذي نقل إليه ضحايا الغارة على منزل السيد الحميدي ذكروا تفاصيل تقشعر لها الأبدان عن أشلاء لأطفال كان من الصعب التعرف على هوياتهم، والشيء نفسه يقال أيضا عن جثامين نساء كن في المنزل ساعة القصف (يلاحظ استجداء عواطف القارئ، مع ملاحظة عدم ذكر المرجع الصحفي الأجنبي، وهو أمر هام عند رواية معلومات كهذه)).

القنوات الفضائية العربية التي **تفننت** في بث صور جثامين شهداء قصف كتائب القذافي في مصراتة وبنغازي والبريقة، و**إعادتها** بطريقة مبالغ فيها (؟؟) لم تنقل لنا أيا من صور جثامين شهداء قصف حلف الناتو حتى لا يتعاطف معهم أحد (!!!) وحتى تكتمل عملية **التعتيم** على حقائق الأوضاع في ليبيا، وبما يصب في مصلحة الثوار في نهاية المطاف (تابعتْ القنوات الأجنبية وكانت التغطية العادية).

الفضائية الليبية لم تبث صور الجثامين أيضا، ليس تعففا أو من منطلق الإنسانية والحفاظ على الذوق العام، واتباع المعايير المهنية، وإنما لأنها غير موجودة، فقد قرر وزراء الإعلام العرب طردها، وهي البائسة، من القمر الصناعي العربي "عربسات"، (بائسة مسكينة مظلومة ؟؟، ولم يقل الصحفي القومي الكبير أن

اللقطات التي تصور كل الهجمات متاحة عبر كل القنوات الفضائية ولقطات الفيس بوك والإنترنت، والاقتباس والنقل ممكن وجائز، ومع ذلك فالقنوات الليبية موجودة على "النايل سات"، وأنا ألتقطها بنفسي، بينما العربية والجزيرة منعتا من البث عبر هذا القمر بفضل جهاز التشويش الليبي في طرابلس، وهو ما لم يتوقف عنده مقال الصحيفة القومية الكبيرة) وأكملت طائرات الناتو المهمة، وهي التي تمثل دولا تحاضر علينا في الديمقراطية واحترام الرأي الآخر، بقصف المحطة وتدميرها وتعطيل بثها (ويبدو أن القنوات الليبية التي نلتقطها يوميا تبث صورها من المريخ).

شهداء طرابلس وزليطن وصرمان وباب العزيزية لا بواكي عليهم، لان قتلهم بصواريخ طائرات الأباتشي، أو 'اف15' الأمريكية، أو الـ'يوروفايتر 'الفرنسية، و'التورنيدو' البريطانية أمر مشروع، فطالما أنهم ليسوا في مناطق الحظر الجوي المشمولة بقرار مجلس الأمن الدولي رقم 1973 فقتلهم حلال، وسفك دمائهم مشروع، والتعاطف معهم، أو حتى التعزية بهم ممنوعان لأنهما سيعتبران تأييدا للديكتاتورية والقمع والفساد.

كل شهداء هذه "الفتنة" التي نرى تفاصيلها في ليبيا منذ أربعة أشهر، سواء كانوا في طرابلس أو مصراتة أو الزاوية أو بنغازي، وسواء قتلوا على يد كتائب القذافي الدموية المتوحشة، أو من قبل حلف الناتو ومرتزقته، كل هؤلاء أهلنا وأشقاؤنا نبكي عليهم ونترحم على أرواحهم دون أي تفرقة أو انحياز، فكلهم عرب ومسلمون وليبيون أيضا.

(وبكائية الصحفي تبدو من نوع صيحة الحق التي يراد منها باطل، وهكذا تبدو مضحكة وهو يربطها بوحشية كتائب القذافي لمجرد التقدم بمظهر الحكم العدل بين طرفين، كلاهما مجرم وقاتل، وتبدو مزايدة الصحفي القومي البارز أكثر وضوحا وهو يتناسى أن الجميع، بمن فيهم رئيس المجلس الانتقالي، عبّر عن أسفه على سقوط كل الضحايا، حيثما كانوا، وهو ما ردده من استمعت لهم من ثوار "الناتو"، كما يسميهم، وأعود ثانية لمقاله)

حلف الناتو خرج عن تفويض قرار مجلس الأمن الدولي، ويمارس حاليا عملية تدمير لليبيا وبناها التحتية، تماما مثلما فعل في العراق فهذه الأهداف المدنية، بل وحتى العسكرية، التي تقصفها طائرات الحلف هي ملك للشعب الليبي وليس للعقيد معمر القذافي وأبنائه.

(للعلم، طائرات الناتو لم تقصف جسرا أو مؤسسة صناعية أو مركز بث تيليفيزيوني أو ملجأ للمواطنين، كما فعلت قوات غزو العراق، والناتو لم يقصف حتى مركز التشويش المجاور لمستشفى طرابلس، والمفروض أنه هدف عسكري، ولكنها "عين السخط تبدي المساونا"، وإذا حدث وقصف هدف مدني بطريق الخطأ فهذا أمر وارد في أوضاع الحرب عندما تزرع مراكز المخابرات العسكرية وسط التجمعات السكانية، وأعود للمقال مرة أخرى)

(...) شعرت بالصدمة، وأقولها بحزن، عندما شاهدت "فرانكو فراتيني" وزير خارجية ايطاليا، وليس أيا من الزعماء أو المسؤولين العرب، يطالب بوقف فوري لهجمات حلف الناتو، لوقف الكارثة الإنسانية التي تنتج عنها، لحقن الدماء، وفتح ممرات آمنة لإيصال المساعدات الطبية والإنسانية للسكان المدنيين في طرابلس ومصراتة والزاوية وزليطن والبريقة، لان الوضع الإنساني في هذه المدن، وبسبب القصف المستمر بات مأساويا، ولان وقف إطلاق النار سيمنع تقسيم ليبيا (يا سلام).

(..) وقوبلت المطالبات بالرفض الفوري من قبل ديفيد كاميرون رئيس وزراء بريطانيا، وآلان جوبيه وزير خارجية فرنسا، فالأول قال أن أعمال الناتو العسكرية ستستمر في ليبيا حتى تحقيق أهدافها وأيده الثاني دون أي تحفظ مما يعني استمرار آلة القتل الجهنمية (!!!) هذه إلى ما لا نهاية.

أهداف الناتو واضحة وعلى رأسها تغيير النظام في ليبيا، ورهن ثرواتها لعقود وربما لقرون قادمة، فالنفط الليبي هو الذي سيغطي تكاليف هذه الحرب وعمليات إعادة إعمار ما جرى تدميره عمداً.

فالناتو ليس مؤسسة خيرية، وإنقاذ أهل بنغازي من مجازر القذافي وكتائبه لم يكن على قمة أجندات الحلف عندما فرض الحظر الجوي، رغم نبل هذا الهدف وأهميته الإنسانية.

غارات الناتو تعكس حالة من التغول التي تعيشها القيادات السياسية المؤيدة لها، خاصة بعد أن فشلت حتى الآن، ورغم مرور شهرين، في تحقيق أهدافها، وأبرزها اغتيال العقيد القذافي، وهذا ما يفسر الإصرار على تكثيف هذه الغارات في الفترة الأخيرة، رغم معارضة القادة العسكريين البريطانيين والفرنسيين، وتصاعد أصوات المعارضين للحرب في الأوساط الأوروبية.

ولعل أخطر ما يخشاه الغربيون هو ما كشف عنه "ديريك دينسي" خبير الإرهاب الفرنسي المشهور (؟؟) في دراسة أعدها مع مجموعة باحثين أخرين وكشف فيها عن معلومات موثقة حول حصول تنظيم "القاعدة" في المغرب الإسلامي على صواريخ 'سام 6' المضادة للطائرات وذخائر ومتفجرات استولى عليها مهربون وباعوها لمن يملك المال (ها قد عدنا لاسطوانة القاعدة التي كان القذافي أول من ردد ألحانها، مع ملاحظة عدم وجود مرجع للدراسة المذكورة ولا تعريف بمن قيل أنه خبير مشهور).

وتنهال تعليقات القراء، وكان من بينها تعليقات مؤيدة بالطبع، كان الغريب فيها أن معظمها من فلسطينيين، ومنها تعليق من محمد العصا - بيت لحم يقول : إن الناتو يدمر ليبيا بطريقه وحشيه انتقامية وبإشراف ودعم قطري وإماراتي، إنهم يريدون تدمير الوطن العربي حتى يبقى ضعيفا أمام إسرائيل سنين طويلة أخرى تحت يافطة كبيرة "حماية المدنيين" (ويلاحظ في التعليق حشر قطر والإمارات ورفع يافطة إسرائيل بأسلوب المزايدات المألوف)

وتعليق أخر بتوقيع : فلسطيني بعنوان :الكرامة فوق كل شيء، ويقول:

يا أخي عبد الباري الكلام الذي تقوله صح ولكن فقط أختلف معك بالنسبة للقذافي، القذافي يدفع ثمن مواقفه الوطنية (!!!) سواء من حكام قطر والأمارات أو العالم الغربي، القذافي لو ترك أفريقيا لفرنسا وبريطانيا وأمريكا ولولا تهديده لمصالح هذه الدول لما تمت الحرب في الأصل على ليبيا، القذافي لولا صراحته للجماهير العربية وإطلاعها على أوضاعها أول بأول من خلال مقابلاته وخطاباته لما تحمل (تحامل) عليه حكام العرب الخونة والعملاء، القذافي بنى مجد وكرامة وكبرياء لليبيين والعرب وأحرار العالم، القذافي قدم فكر (فكرا) سيبقى نبراساً يهتدي به المحرومين والمقهورين(المحرومون والمقهورون) والفقراء والمساكين، بالله عليك أقرأ يا أخ عبد الباري "الفرار إلى جهنم للقذافي" الذي كتبها قبل عشرين عاماً ستجد القذافي يحكي عن أحواله وأحداث ليبيا اليوم في هذه القصة، القذافي لديه كريزما (كاريزما) القائد القذافي زاهد أما الفاسدين فهم الذي هربوا.

(وأترك التعليق للقارئ)

ويكتب محمد –من طرابلس تحت عنوان: طرابلس لن تهزم (وانقل النص كما هو بدون تصحيح للأخطاء) : "خلك في لندن اكتب مقالات ومقابلات وأهل ليبيا سواء بكو عليهم أو لم يبكى عليهم ضربو من عدو لا يخفى عداوته للاسلام والعرب وأخذو فلسطين وغيرها ورئيس الوزراء البريطاني من هو ؟ ومؤتمر برلين عام 1885 لاحتلال ليبيا ولم يكن هناك معمر المسكين الذي تتفن في انتقاده وسبه وشتمه وكأنك مثل أمير قطر دخل مع التحالف ضد ليبيا لان معمر يهزأ به في مؤتمر القمة وهكذا لو كنت رئيس دوله يا عطوان ربما لكنت أول المشاركين في الحرب ضد ليبيا وان ماتو أو قتلو فهم أحياء عند ربهم يرزقون والحياة الدنيا فانيه".

وتنشر الصحيفة بعض التعليقات المعارضة ومن بينها من وقعه (ابن الزاوية) يقول : 14.000 ألف قتيل في ثلاثة أشهر فقط شهداء القذافي .. لا بواكي عليهم عدا عبد الباري عطوان، واغتصاب النساء وبنات لا يتجاوز أعمارهم 10 سنوات في مدينة الزاوية، وأنا من أبناء الزاوية يا عبد الباري.

ويكتب جلال المغربي: القذافي يتحمل مسؤولية كاملة. أنا بالنسبة لي ما يحصل في ليبيا وتدميرها يتحملها مسؤوليتها معمر القذافي، وحده يتحمل الدماء التي تسيل في ليبي، دماء الثوار ودماء أنصاره، لو أن القذافي كان يحب ليبيا وأراد الحفاظ عليها لتنازل على السلطة وأذعن لقرار الشعب الليبي برحيله ورحل عن ليبيا إلى احد الدول الأفريقية أو فينزويلا، القذافي حكم ليبيا 42 عاما، ألم تكفيه هده المدة الطويلة في السلطة؟ ما يحصل في ليبيا يتحمله القذافي مسؤوليته كاملة.

وبتوقيع ابن طرابلس (بكاء – tripoli_son) : إلى الأخ عبد الباري، لطالما أحببناك لوقوفك مع الحق، وأحببنا رؤيتك في كل قناة، ولكن في موضوع ليبيا يجب أن تكون منصفا، أنا ليبي وخرجت من ليبيا من 20 يوم، نعم والله إني أتألم على كل ليبي يسقط حتى ولو كان ممن يسمون كتائب القذافي، وزادني ألما الأطفال في عرادة وصرمان وان كانوا أولاد الخويلدي، لكنهم أطفال أبرياء ولا حول ولا قوة إلا بالله، لكن أنا من سكان طرابلس، عندما كان إعلام القذافي يقول سقط مدنيون كانت كذب وأنا شاهد على ذلك، والبنية التحتية لم يدمروها (..) أنا لا أدافع عن الناتو، لكن أتكلم عما فعله القذافي، والله أطلق علينا الرصاص ونحن عزل بعد

صلاة الجمعة، ولن أتحدث عن مصراتة وما حدث فيها، اتق الله في الشعب الليبي، وكن كما عرفناك ...عبد الباري عطوان المناهض للطغيان.
أما محمد علي محمد فيقول مخاطبا عبد الباري - قل كلمة حق، أين الموضوعية يا أستاذ عبد الباري لماذا لم تذكر أن مقر الخويلدي هو مركز العمليات الذي تدار منه جرائم القتل والتنكيل بالشعب الليبي، وإذا كان هناك مدنيين فعلا قد قتلوا فالخويلدي وحده هو الذي يتحمل المسؤولية لاتخاذه من هذا القصر مركزا لعملياته. ثم انك تتباكى على البنية التحتية والتي هي عبارة عن مقار أمنية تدار منها الآلة العسكرية الرهيبة والتي ليست أغلي من دماء الشعب الليبي، وكذلك السفن المدنية التي يتم زراعة الألغام عن طريقها، إنك تنتهز كل فرصة للنيل من الثورة الليبية ولا ترجع الأمور إلى سببها الحقيقي ولا تطرح حلول أو بدائل وتصور الموضوع كأنه صراع بين شرق معارض وغرب مؤيد ولم تكلف نفسك عناء السفر إلى ليبيا للوقوف على حقيقة الأحداث أسوة بتورا بورا[357]، حقيقة لقد بدأت اصدق أنك من أنصار القذافي.
ويقول طاهر ملوده - و من سيبكي علينا نحن ؟ : أرجو منك أن تنزل ليبيا لترى بعينك و تسمع بأذنك و من كل الأطراف و بعدها أكتب من الواقع و ليس نقلا عن إعلام القذافي أو إعلام الثوار، موت ابن القذافي وأحفاده ليومنا هذا لم يتأكد منه بعد، ولا ننسى كذبة 1984 عن مقتل بنت القذافي بالتبني، ليومنا هذا هي على قيد الحياة و اسمها هناء، و بيت الخويلدي ثكنة عسكريه ويستعمل كمركز تحكم و اتصالات، أما بخصوص المدنيين الذين قتلوا في طرابلس الأسبوع الماضي نحسبهم عند الله شهداء، وألفت انتباهكم بأن الناتو قدم اعتذارا وفتح تحقيقا في الموضوع، ولكن السؤال ماذا عن المدنيين في مصراتة وغيرها من المدن الذين يموتون يوميا بقصف كتائب القذافي بيوتهم بالصواريخ و منذ أربعة شهور ؟؟؟
ويكتب آخر بتوقيع ليبي : - و الله لم يمت في زليتن أحد، والله يا أستاذ عبد الباري أن أمي ضحكت عندما كلمتها اليوم سألتها عن من هم الذين ماتوا في زليتن، وأنا من زليتن غير أني عايش في الخارج، تدري ماذا ردت؟ ضحكت وقالت إنهم أبناء عمّ ضحايا الغارة السابقة وأحفاد الغارة التي سبقتها، يعني لا يوجد قصف ولا موت يا أستاذ عبد الباري وأنت سيد العارفين بكذب القذافي.

(6)

يتواصل تغير ملحوظ في المواقف، وتنشر القدس العربي يوم السبت 25 يونيو تعليقا بدون توقيع، بمعنى أنه يمثل وجهة نظر الصحيفة، وتبين قراءته وإشارته للثوار بتعبير "المتمردين" أن له خلفيات تندرج في إطار التحول الغريب في خط الصحيفة، وأورد التعليق هنا كاملا ليستطيع القارئ دراسة الواقع والتطورات على ضوئه:
بعد أربعة أشهر من المواجهات العسكرية، كانت قوات حلف الناتو وطائراته طرفا فيها على الأقل طوال الشهرين الماضيين، بدأت الأوضاع في ليبيا تتجه نحو الجمود العسكري، وأصبحت الهجمات التي تشنها طائرات حلف الناتو على أهداف في غرب ليبيا حيث ما زالت سلطة العقيد الليبي معمر القذافي صامدة وقائمة، تعطي نتائج عكسية تماما خاصة بعد سقوط عشرات الضحايا (؟؟؟) من المدنيين نتيجة لها في طرابلس وضواحيها.
الجمود العسكري على جبهات القتال يفتح الأبواب أمام الحلول السياسية التي ظلت مغيبة كليا في ليبيا بسبب إصرار كل طرف في الأزمة على مطالبه كاملة، فقد طالب المتمردون (؟؟؟) برحيل الزعيم (؟؟؟) الليبي وأفراد أسرته كشرط لأي مفاوضات أو تسوية، بينما أكد الأخير بأنه باق في ليبيا حتى اللحظة الأخيرة من حياته ولن يغادرها مطلقا.
هناك مؤشرات عديدة توحي بان المتمردين الليبيين والمجلس الانتقالي المؤقت الذي يمثلهم، بدءوا في 'تليين 'مواقفهم، والترحيب بحلول سياسية، وأبرز مؤشر في هذا الصدد صدر أمس عن السيد محمود شمام المتحدث باسم المجلس الانتقالي، تصريحات تفيد بان المجلس يجري اتصالات غير مباشرة مع مندوبين يمثلون

[357] - جبال أفغانستان التي زارها الأستاذ عطوان.

السلطة في طرابلس. وأكد السيد شمام في حديث لصحيفة "الفيغارو" الفرنسية أن الزعيم الليبي يمكن أن يبقى في ليبيا أذا قرر مغادرة السلطة.

هذا التحول في موقف المجلس الوطني الانتقالي يعود إلى مجموعة عوامل فرضت نفسها في الفترة الأخيرة يمكن حصرها في النقاط التالية:

أولا: حدوث انقسام كبير داخل الدول المشاركة في عمليات حلف الناتو العسكرية في ليبيا على أرضية الضربات العسكرية التي أوقعت خسائر كبيرة في صفوف المدنيين (؟؟) فقد طالب فرانكو فرانتيني وزير خارجية إيطاليا بوقف فوري لإطلاق النار لتجنب وقوع كوارث أخرى بعد مقتل 19 مدنيا معظمهم من الأطفال، أثناء قصف الحلف لبيت الخويلدي الحميدي أحد مساعدي العقيد القذافي البارزين، ولفتح ممرات آمنة لإيصال مساعدات للمدنيين، خاصة في مصراتة والجبل الغربي ومدينة طرابلس نفسها حيث تتصاعد حدة المواجهات العسكرية (وكان الوزير الإيطالي هو الوحيد الذي طالب بذلك لفتح ممرات آمنة لمساعدة الجرحى، ولم يكن هناك أي حديث عن "كوارث أخرى"، وهو ما رفضه الأمين العام للحلف، وبالتالي فالحديث عن انقسام تهويل لا أساس له)

ثانيا : تصاعد الضغوط الشعبية، ومن قبل الكونغرس نفسه على الرئيس الأمريكي باراك أوباما بوقف أي دور لأمريكا في العمليات العسكرية ضد ليبيا لدرجة تهديد الكونغرس بوقف أي دعم مالي للرئيس ومساءلته إذا خالف هذا الموقف (للعلم، الكونغرس رفض الموافقة على قرار يمنع الدعم المالي للعمليات ولكنه صادق على قرار لا يرخص بعمليات عسكرية، وهو نفس ما يطالب به الثوار).

ثالثا: تراجع السيد عمرو موسى أمين عام الجامعة العربية عن موقفه السابق المؤيد لتدخل حلف الناتو وقواته في ليبيا، وتوجيه انتقادات حادة لقيادته العسكرية بسبب مقتل أطفال ليبيين، وعرضه خطة سلام تنص على بقاء الزعيم الليبي لفترة محدودة في الحكم، تليها فترة انتقالية يتقرر خلالها مستقبل ليبيا بمشاركة أطراف عدة. وهذه هي أول خريطة طريق "عربية" تصدر لحل الأزمة (لم يصدر ذلك عن مجلس الجامعة).

رابعا: تصاعد الخلافات في أوساط المتمردين (؟؟؟) الليبيين، وحدوث انقسام واضح بين الإسلاميين الذين يشكلون القوة الرئيسية والأساسية في القتال في ميادين المعارك، والليبراليين القادمين من الخارج الذين يريدون دستورا علمانيا وقوات غربية على ارض ليبيا لحسم المعارك بسرعة (ليست هناك أي إشارة لمصدر موثوق عن هذه الخلافات).

خامسا: نقص الأموال اللازمة لتغطية نفقات المجلس الوطني ومقاتليه على الأرض، وقد اشتكى أكثر من عضو علانية من هذه المسألة، وانتقد دول حلف الناتو على عدم تقديم مساعدات مالية كافية.

سادسا: وجود شكوك لدى المجلس الانتقالي في النوايا الحقيقية لحلف الناتو وتدخله في ليبيا، فقد أدت أوامر قادة الحلف العسكريين للمتمردين بعدم التقدم باتجاه طرابلس، وكذلك عدم مساعدتهم بالشكل المطلوب لإحكام السيطرة على مصراتة وقطع الطريق البري إلى تونس إلى تبلور قناعة بان الحلف يريد تقسيم ليبيا، وإقامة دولة في الشرق الليبي وعاصمتها بنغازي حيث تتركز الاحتياطات النفطية الأساسية (ما هو معروف أن الحلف طلب إلى قوات الثوار عدم الاندفاع نحو كتائب القذافي حتى لا يصيبهم قصفها).

الأسابيع المقبلة قد تشهد انتقالا للمفاوضات غير المباشرة بين المتمردين والنظام الليبي إلى مرحلة أكثر تقدما، أي المفاوضات المباشرة برعاية إفريقية أو دولية، خاصة في ظل تصاعد قناعات عديدة في أوساط قوى افريقية وأوروبية، وليس عربية للأسف، بان الحل العسكري للازمة الليبية بات غير ممكن، وان الحل السياسي هو الأنجع في هذا المضمار (لم يكن هناك من نادى بحل عسكري، سواء من الثوار أو من الناتو). انتهى.

وبينما رفض قارئ تعبير "المتمردين" يعلق احمد العربي (ولعله ليس اسما حقيقيا) وهو فلسطيني أيضا، كصاحب القدس العربي، قائلا تحت عنوان : النصر للشعب الليبي وقيادته الشجاعة.

يا للعيب على الإسلاميين والليبراليين الذين صفقوا واستقدموا حلف الأطلسي لتدمير بلدهم وقتل أبناء شعبهم، هذا أولا أما ثانيا فان العدوان الأطلسي على ليبيا ليس هدفه فقط النفط أو التقسيم ومن ثم وضع اليد على النفط إنما معاقبة نظام القذافي ذي الطبيعة والتوجه القومي العروبي (باسلام) والقضاء عليه لتكتمل دائرة محاربة الفكر القومي العربي الذي ابتدأ بالتآمر على مصر عبد الناصر مرورا باحتلال العراق وإعدام أشراف الأمة وعلى رأسهم شهيد العصر صدام حسين (مجرد المقارنة مع عبد الناصر إهانة للزعيم العربي) .. كان واضحا منذ البداية لليبراليين الخونة (؟؟) الذين تربوا على الخيانة في العواصم الغربية وللإسلاميين الشاكرين

لساركوزي أن الهدف الغربي هو تدمير الجيش الليبي البطل (الجيش الليبي خربه العقيد بمغامراته في تشاد وغيرها ثم جعله مادة للاستعراضات واستعاض عنه، عسكريا، بكتائب يقودها أبناؤه) وان تدخل الناتو ليس لأجل سواد عيونهم إنما لمصلحته وأجندته وهم لا يبالون لا بالمدنيين ولا بإقامة الديمقراطية (مؤكد أن للناتو أجندته الخاصة، لكن استعانة الثوار به كانت نتيجة تقاعس الوطن العربي والعالم الإسلامي عن نصرتهم، تماما كما حدث في اليمن وسوريا).. الآن انتصر الشعب الليبي بصموده وسيظل صامدا حتى النصر.

ولا أعلق على مقال الصحيفة القومية الكبيرة، أو التي كنا نتصورها كذلك[358].

وللتذكير فقد نشرت صحيفة الخبر الجزائرية في نفس اليوم حديثا مع المتحدث باسم المجلس الانتقالي في ليبيا، محمود شمام قال فيه : نتطلع إلى علاقات طيبة مع الجزائر ولا الشعب ولا الحكومة متورطان في دعم القذافي وأعلن ، أنهم لا يعارضون بقاء القذافي في ليبيا تحت حراسة مشددة في إطار تسوية من أجل حقن دماء الشعب الليبي. معربا عن تطلعهم إلى بناء علاقات طيبة مع الجزائر، ونفى تورط الشعب والحكومة الجزائرية في دعم القذافي، لكنه أكد أن هناك **أطرافا** داخل الجزائر تقدم دعما لوجيستيكيا للعقيد الليبي.

وأعرب محمود شمام في اتصال هاتفي مع "الخبر" أمس، أنهم لن يعارضوا أي تسوية دولية تمكن من حقن دماء الشعب الليبي بشرط أن تكون التسوية مبنية على رحيل نظام القذافي وكل عائلته من المشهد السياسي، حيث قال : "إذا كان هناك أي تسوية تنخرط فيها المجموعة الدولية وتمكن من حقن الدماء الليبية، بمقابل حجز معمر القذافي في ليبيا تحت حراسة مشددة، فسننظر في الأمر ونعرضه على المجلس الانتقالي، أما القذافي فليس عليه سوى أن يرحل عن المشهد السياسي". وأكد المتحدث باسم المجلس الانتقالي استعدادهم الكامل "للانخراط في أي تسوية سياسية مع كل الأطراف من أجل تجنيب الشعب الليبي آثار الحرب وحقن دمائه"، مشددا على أنهم لن يقبلوا بأي وثيقة حل ما لم تنص على رحيل القذافي (..) وعلى الإخوة في الاتحاد الإفريقي أن يلتزموا بتطلعات الشعب الليبي".

أما بخصوص بوادر الانشقاق في "الناتو"، أوضح شمام بأنهم استطاعوا أن يحرروا تقريبا كل ليبيا بإمكانياتهم الخاصة، قبل أن تتدخل الأمم المتحدة بغرض حماية المدنيين، مضيفا بأنهم قادرون على تحرير كل أراضي ليبيا من حكم القذافي حتى ولو ذهب الناتو، وسنواصل ثورتنا حتى النصر".

أما فيما يتعلق بعلاقاتهم مع الجزائر، أكد شمام حرصهم على بناء علاقات طيبة مع الجزائر، رغم ما وصفه بالتصريحات المستفزة التي يطلقها وزير الخارجية، خاصة وأن الشعب الليبي، حسبه، يتطلع لأن تقف الجزائر إلى جانبه، واتهم أطرافا في الجزائر بتقديم الدعم اللوجستيكي للقذافي، مشيرا إلى **عدم تورط** لا الشعب ولا الحكومة الجزائرية في هذا الدعم.انتهى.

وألاحظ مرة أخرى أنني أحاول استعراض كل الآراء المتناقضة ليتمكن القارئ من الحكم بنفسه على اتجاهات التطورات وخلفيات اللاعبين على مسرح الأحداث.

وتبدو صحيفة الحياة في لندن أكثر مهنية وهي تتناول أحداث ليبيا يوم 26 يونيو فتقول: عاود «الناتو» قصفه للعاصمة الليبية، أمس، في حين أعلنت حكومة القذافي أن طائرات الحلف أوقعت 20 قتيلاً في يومين من

---

[358] - في نفس اليوم تنشر الصحيفة القومية الكبيرة مقالا بعنوان تذكرة سفر إلى قلب الجزائر بتوقيع محمد عبد المومن، وهو كما ذكرت الصحيفة، باحث في التاريخ الأندلسي من مدينة تطوان في شمال المغرب، جاء فيه : فاز الفيلم الجزائري " قراقوز" للمخرج الجزائري "نورالدين زحزاح" بجائزة الجمهور في الدورة الأخيرة من مهرجان تطوان السينمائي بعد أن فاز بالجائزة الدولية الكبرى" عين على الفيلم القصير" لمهرجان كندا للفيلم القصير (ساغناي شورت فيلم فاستيفل) ليرتفع بذلك نصيبه من الجوائز إلى عشر. هذا الفيلم الذي أنتجته السنة الماضية 2010 " ليث ميديا " بدعم من " صندوق دعم التقنيات والصناعة السينيماتوغرافية "بمساعدة " المركز الثقافي **الايطالي**" في الجزائر (إيطاليا دائما) تبلغ مدته 24 دقيقة فقط، ولكنها كانت كافية للمخرج ليغوص بنا في قلب الجزائر العميقة، برجالها ونسائها بأطفالها وشيوخها، جزائر الحلم والأمل ولكن جزائر الجور والتطرف كذلك. (..) ما أثارني أيضا في هذا العمل الفني هو جمال وغنى الطبيعة والتي أضفت أيضا على الفيلم لمسة جمالية لا تخطئها العين، حيث أن الفيلم قد جرى تصويره في ولاية تيبازا التي تشتهر بمناظرها الطبيعية الخلابة. مقابل هذا الطبيعة الخلابة والغنية بمواردها، تقابلنا مناظر فقر أهلها، فنحن لا نرى من المساكن إلا كوخا تسكنه امرأة فقيرة وأولادها، الذين يقومون برحلة تستغرق نصف يوم لجلب الماء، ولا نرى من السيارات إلا سيارة المختار القديمة. إن هذا التقابل بين غنى الطبيعة وجمالها وفقر السكان مقصود لإبراز ذلك التناقض الصارخ بين غنى البلاد وفقر أهلها ولكننا سريعا ما نفهم السبب عندما تصل سيارة المختار إلى نقطة التفتيش حيث نتعرف بجلاء على من نهب خيرات البلاد. انتهى

وأذكر بأنني تحدثت طويلا عن نوعية الأفلام التي تعطى لها جوائز أوربية، وواضح من جنسية الكاتب اتجاه التعليق.

الغارات على مدينة ا"لبريقة" النفطية التي يحاول الثوار منذ أسابيع التقدم إليها من معقلهم في أجدابيا "بوابة" الشرق الليبي، كما أفادت تقارير أن الثوار في الجبل الغربي يستعدون لقطع الإمدادات الضرورية عن طرابلس وهم يأملون بالتمكن قريباً من دخول منطقة غريان التي تُعتبر مدينة أساسية تفصل العاصمة الليبية عن مناطق سيطرة الثوار جنوب غربي طرابلس، وقال مصدر عسكري ليبي "إن الناتو الصليبي قصف السبت عدداً من المواقع الخدمية المدنية بمنطقة البريقة من بينها مطعم ومخبز".(..) هذا القصف العدواني أسفر عن استشهاد 15 مدنياً وإصابة 20 آخرين كانوا ضمن المترددين على المطعم والمخبز" (..) "الناتو" قصف "بالتزامن مع صلاة الجمعة "(؟؟) أول من أمس، مدينة البريقة للمرة الثالثة على التوالي، ما أدى إلى «استشهاد خمسة مواطنين، وإصابة عدد أخر إصابات متفاوتة.

لكن "الناتو" قال في بيان على موقعه على الإنترنت إنه قصف أهدافاً عسكرية وليس مدنية في البريقة، وأوضح أن طائراته شنت منذ بدء العمليات في ليبيا (في 31 مارس) 12484 طلعة بينها 4703 تم فيها تنفيذ غارات. وأضاف أن عدد الطلعات الجوية يوم 24 يونيو بلغ 137 بينها 43 ضربة، وقصف في منطقة البريقة سبعة مراكز قيادة عسكرية ومنشأة تخزين عسكرية و14 رشاشاً محمولاً على شاحنات ودبابة واحدة وناقلتي جند وثلاث شاحنات لنقل التجهيزات وسبعة مخابئ، وقصف في منطقة غريان (جنوب طرابلس) راداراً للإنذار المسبق وشاحنة تحمل سلاحاً رشاشاً أوتوماتيكياً. أما في زليطن، الواقعة بين طرابلس ومصراتة، فتم قصف قطعتين مدفعيتين ومدفع موتر وشاحنة تحمل رشاشاً، أما في منطقة عقبة (في بني وليد، جنوب شرقي طرابلس) فتم قصف ثلاث آليات تنقل صواريخ أرض - جو.

وبعد ظهر أمس سُمع دويّ انفجارين في العاصمة الليبية مع تحليق طائرات فوق المدينة، ولم تُعرف فوراً الأهداف التي تم قصفها، لكن شاهداً قال لـ "رويتر" أنها أصابت على الأرجح ضاحية تاجوراء شرق طرابلس. وكانت انفجارات هزت طرابلس مساء الجمعة أيضاً.

في غضون ذلك، ذكرت صحيفة "نيويورك تايمز" أن الثوار الليبيين في الجبل الغربي يقولون إنهم يتبعون إستراتيجية مزدوجة بهدف إسقاط نظام القذافي: حرمانه من الاحتياجات الضرورية، وتسليح القوة المتنامية للثوار في داخل طرابلس.

وعلى رغم أن سيطرة الثوار على معظم جبل نفوسة لم تبدأ سوى قبل أسبوعين فقط، إلا أنهم بدءوا منذ الأن يخططون لاستراتيجيات إسقاط النظام في طرابلس، وهو أمر نوقش ليل الجمعة في اجتماع في الرجبان ضم ممثلين عن الثوار في بنغازي (شرق البلاد) وأعضاء في خلايا سرية للثوار في داخل طرابلس، وعرض ثوار الجبل الغربي على صحافي خط أنابيب لنقل النفط تمكنوا أخيراً من قطعه وكان يصل إلى أخر منشأة نفطية ما زالت تعمل تحت سلطة القذافي وهي مصفاة الزاوية.

وأوضحت "نيويورك تايمز" أن الثوار يضعون نصب أعينهم الأن على مدينة "غريان" التي يسكنها قرابة 85 ألف نسمة وهي أخر منطقة في الجبل الغربي ما زالت تحت سيطرة القذافي، وأشارت إلى أن معارضي القذافي أقوياء فيها وكانوا قد ثاروا على حكمه في بدايات الثورة في فبراير الماضي، قبل أن يتم قمعهم، وأوضحت أن الثوار يأملون بدخول غريان خلال الأسابيع الثلاثة المقبلة، ما يعني أنهم سيتمكنون من قطع طريق إمدادات أساسي من الجزائر (؟؟؟) والجنوب في اتجاه طرابلس، وذكرت الصحيفة أن الثوار بدءوا أيضاً ينجحون في دفع الحكومة التونسية إلى قطع إمدادات النفط الذي يتم تهريبه إلى مناطق سيطرة القذافي عبر معبر راس جدير، ونقلت عن أنور الفكيني وهو محام ليبي- فرنسي ينشط في صفوف الثوار وزار تونس أخيراً بهدف الدفع في هذا الاتجاه: "إنه (قطع الإمدادات) سيكون مؤلماً لسكان طرابلس ولكن للأسف نحتاج إلى القيام بهذا الأمر"، ولفتت إلى أن رئيس المجلس الوطني الانتقالي مصطفى عبد الجليل أثار الأمر ذاته أيضاً مع القادة التونسيين خلال زيارته الأخيرة، ونسبت الصحيفة إلى أحد قادة الثوار أنهم يشنون في طرابلس هجمات ليلية على نقاط تفتيش قوات القذافي، وكشف أنهم كانوا يعتزمون مهاجمة فندق "ريكسوس" في العاصمة بهدف خطف نجل القذافي، سيف الإسلام، الذي يملك جناحاً فيه، لكن لم يتم تنفيذ العملية خشية إيذاء الصحافيين الأجانب الموجودين في الفندق، على صعيد آخر (أ ف ب) أعلن لاعبو كرة قدم ليبيون انضمامهم إلى الثوار، على غرار عسكريين وسياسيين انشقوا عن نظام العقيد معمر القذافي، وقال 17 شخصاً من لاعبي كرة القدم بينهم أفراد في الفريق الوطني إنهم انضموا إلى الثوار في حديث إلى هيئة الإذاعة البريطانية ليل الجمعة - السبت في "جادو" غرب ليبيا الخاضعة لسيطرة معارضي نظام القذافي.

وأوضح حارس مرمى الفريق الوطني "جمعة قتات" أحد اللاعبين السبعة عشر أن القذافي لم ينجز شيئاً من أجل ليبيا، وأضاف: «انظروا ليس هناك بنى تحتية مناسبة (...) ليس لدينا نظام صحي (...) وهذا بسبب النظام السيئ الذي يحكمنا منذ 42 سنة، وتابع :أقول له (معمر القذافي): اتركنا! اترك الشعب الليبي يتمتع بالحياة في ليبيا جديدة، ليبيا الحرية!. وأعلن جمعة قتات ومدرب نادي الأهلي الطرابلسي الكبير عبد الله بن عيسى عن انفصالهما خلال مقابلة حضرها لاعبون آخرون في وقت متقدم ليل الجمعة - السبت في أحد فنادق جادو غرب ليبيا.

وبينما يجتمع مندوبي الاتحاد الإفريقي في جنوب إفريقيا تحت رئاسة زوما، ويصرح بأن القرارين 1970 و 1973 لا يتضمنان أي تصريح باغتيال القذافي أو تغيير نظام الحكم، تتصاعد بالونات اختبار تتحدث عن وساطة فرنسية محتملة لحل "الأزمة" يكذبها المجلس الانتقالي على الفور، ويعلن الناطق باسم العقيد أنه لا تفكير في المغادرة ولا حديث عن التنحي.

وفي اليوم نفسه يستقبل وزير الخارجية الجزائري مبعوث العقيد السيد سليمان الشحومي، واتصلت بالأخ مراد مدلسي، وهو رجل رائع، لأعرف أين تسير الأمور وفهمت منه أنه مسافر على الفور للاشتراك في القمة الإفريقية، وتخيلت مضمون الحوار مع الشحومي، وهو واحد من أقرب العناصر الليبية للعقيد، وكان سيصبح يوما سفيرا لليبيا في الجزائر[359].

وفي نفس اليوم يكتب عبد الحليم قنديل في القدس العربي تحت عنوان إنقاذ ليبيا: لا حل لأزمة ليبيا إلا أن يختفي العقيد القذافي بالأقدار أو بالاختيار، ولا حل للأزمة إلا أن تتوقف هجمات حلف الأطلنطي، وأن تنتهي مهمته العدوانية تماما، التي جاوزت دعوى حماية المدنيين إلى قتل المدنيين وتدمير المنشآت المدنية.

نعم، لا حل لأزمة ليبيا بغير نزع طابع الحرب الأهلية عنها والعودة للأصل، وهو أن تستعاد وحدة ليبيا وبلا خطوط تقسيم قادت إليها الحرب المشؤومة، وأن يترك للشعب الليبي حقه، وحرية اتخاذ قراره، وصياغة مصائره بإرادته المتحررة من كل قيد وضغط

(..) ولا يعقل أن تسعى روسيا لوساطة، أو أن تتطلع تركيا، بينما لا دور عربي سياسي في ليبيا، اللهم إلا أدوار لإمارات خليجية تعمل بمعية الأمريكيين وحلف الأطلنطي، وهذه ليست الأدوار العربية المقصودة، ولا أدوار الإغاثة الحميدة التي تنهض بها مؤسسات مهنية كاتحاد الأطباء العرب أو غيره، والأخيرة أدوار نصرة إنسانية، وليست أدوارا سياسية تسعى لحل الأزمة، وإيقاف نزيف الدم، صحيح أن موقف الجامعة العربية كمؤسسة زاد من تعقيد الموقف، وبدت الجامعة كمحلل عربي للتدخل الغربي، ومن دون أن تقرر تدخلا عربيا خالصا، كان الأليق أن تعطى الأولوية في ما يتعلق بليبيا كبلد عربي، وقد لا تكون الفرصة قد فاتت نهائيا بعد، خاصة أن الجامعة العربية نفسها في مرحلة انتقال، وفي بيئة تغير ملموس في الدور المصري الحاكم، مع تولى الدكتور نبيل العربي أمانة الجامعة خلفا لعمرو موسى.

الحل ممكن جدا، وليس مستحيلا كما العنقاء والخل الوفي، فلا يعقل أن يتفرج العرب على ما يجري في ليبيا، وأن تهتم دول من آخر الدنيا، بينما لا تبدي مصر المجاورة اهتماما يذكر، رغم أن ليبيا امتداد طبيعي للأمن الوطني المصري.

وبينما لا يفكر قنديل إلا في موقف مصري يبرز في الجزائر من يفكر في دور جهوي، ويكتب بو عقبة في "الفجر" في نفس اليوم قائلا تحت عنوان "وطن الظلام الدامس":

من المواقف المخزية في الوطن العربي إزاء ما يجري فيه من أحداث يشيب لهولها الولدان يجري فيها ما يجري والمصريون والجزائريون لا يعنيهم أمر ما يجري إلى حد أن إمارة **مجهرية** مثل قطر أصبح لها صوت في أحداث ليبيا يزن مصر والجزائر مجتمعتين ويزيد عنهما! عندما كان العرب يشبهون العرب في السبعينيات تدخلت سوريا في لبنان وفي تل الزعتر لفك الاقتتال بين اللبنانيين والفلسطينيين، لأن لبنان في خاصرة سوريا جغرافيا، تماما مثلما هي ليبيا في خاصرتي مصر والجزائر! (والواقع أن سوريا تدخلت لتغليب طرف متناقض معها على طرف منسجم معها)

---

[359] - انشق الشحومي عن نظام العقيد إثر تحرير طرابلس، وتوجه إلى تونس، وكان المفروض أن يتم الاتصال به، ولكن هذا لم يحدث في حدود ما أعرف.

عندما اقتتل اليمنيون في الستينيات في حرب أهلية تدخل عبد الناصر لفك الاقتتال بما يسمى بحرب اليمن لأن اليمن أيضا مثل ليبيا تقع في خاصرتي دولتين كبيرتين هما مصر والسعودية! (هنا، قياس مع الفارق، ولا مجال لتفاصيل تشرح أحداث حرب اليمن، والتي كانت في نهاية الأمر فخا وقع فيه عبد الناصر، وصراعا مريرا بين التيار القومي ون يتحدثون باسم التيار الإسلامي)

والآن تلتهب الأمور في سوريا.. ولأنها تقع في خاصرة تركيا جاز لتركيا أن تنشغل بما يجري في سوريا أكثر من انشغال مصر والسعودية بالشأن السوري لأن مصر والسعودية تحولتا إلى دولتين عاديتين اهتمامهما بالشأن العربي لا يتعدى نقل وزير خارجية هذا البلد إلى كرسي الجامعة العربية، أما إطفاء الحرائق الملتهبة في الوطن العربي فلا يهم كبار الجامعة العربية ومواقفهم مما يحدث فلا تتعدى مواقف الصومال وموريتانيا وجزر موريس!

ومن المضحكات الجزائرية المصرية في الموقف من الشأن الليبي هو الخبر الذي نشر باحتشام ربما خوفا من قطر العظيمة أو خوفا من ساركوزي محرر ليبيا! (وأنا أورد هنا نص ما كتبه بو عقبة) ويقول هذا الخبر: إن مصر والجزائر تعملان على إطلاق مبادرة لحل أزمة ليبيا!

صح النوم يا مصريين ويا جزائريين.. أبعد خراب مالطة ومعها ليبيا أيضا؟!

وعندما تقاتل الملك الأردني حسين مع الفلسطينيين في سبتمبر الأسود سنة 1970 قام عبد الناصر باستدعاء الطرفين إلى القاهرة ومات من الحسرة على ما حدث، وعندما ارتكب السادات كارثة الحرب مع ليبيا طار بومدين إلى السادات وقال له: إما أن توقف الحرب وإلا ستجدني أمامك على الجبهة الأخرى!

مثل هذه المواقف لم تعد موجودة في الوطن العربي لأن العرب لم يعد بينهم الكبار الذين يتخذون المواقف، لهذا أصبح للأقزام في الدول المجهرية صولات وجولات في السياسة والعمالة والولاء ويفتخرون بذلك! وأصبح قمع الشعوب من طرف حكام الزور والتزوير وطنية وحرية والعمالة للخارج هي أيضا وطنية! وأصبحت الشعوب العربية إما أن تختار العملاء المعلنين باسم الديمقراطية أو العملاء المستترين باسم الديكتاتورية الوطنية!؟ انتهى.

وبينما تنتشر أخبار عن قيام فرنسا بتسليح الثوار، تنتهز موسكو، وعناصرها الموروثة من عهد الـ"كا جي بي" (KGB) وتصرح "أن الدعوات التي تصدر من المجموعة الدولية لتغيير الأنظمة في البلدان العربية هي غير مسؤولة وتتناقض مع مصالح البشرية (..) وتغيير الأنظمة يجب أن يتم بطريقة تطورية وبدون ثورات (وتتضح هنا الآلام المتخلفة عن ثورات أوروبا الشرقية والتي قضت على الاتحاد السوفيتي) بينما ترد حكومة ساركوزي بأنها قدمت أسلحة دفاعية لا تتناقض مع روح قرارات مجلس الأمن، وتفشل قمة الاتحاد الإفريقي في غينيا بيساو في الوصول إلى قرار يضع حدا للأزمة، ويجد القذافي أكثر من نصير يذكر مآثره، ومن بينهم رئيس أوغندا، يوري موسيفيني، وينسى الكثيرون عندنا أزمات الربيع العربي بمتابعة أحداث فضيحة مدير البنك الدول السابق "شتروس- كان" في نيويورك، ويتابعون صوره مع زوجه الإعلامية الفرنسية الشهيرة، آن سانكلير، التي تذكر بتضامنها معه هيلاري كلينتون.

وتصدر المحكمة الجنائية الدولية يوم الاثنين مذكرات توقيف بحق القذافي وسيف الإسلام ورئيس جهاز الاستخبارات عبد الله السنوسي، ويصدر من موسكو (نعم..من موسكو) تعليق لسيف الإسلام أوردته وكالة (يو بي أي UPI) وجاء فيه[360]: نفى سيف الإسلام القذافي، نجل العقيد الليبي معمر القذافي، الاتهامات التي وجهتها له ولوالده المحكمة الجنائية الدولية والمتعلقة بقتل المدنين، معتبراً أن بلاده أخطأت في عدم سعيها إلى بناء جيش قوي (ومن الذي كان يقصف مصراتة ويقنبل الجبل الغربي ويطلق نار الرشاشات على المتظاهرين؟) وكذلك في ثقتها بالغرب.

وفي مقابلة مع قناة (روسيا اليوم) بثت الجمعة وصف سيف الإسلام، المحكمة بالسيرك، وقال: هذه المحكمة هي مشهد في سيرك ما.. هم يتهمونني بقتل الناس، لكن الجميع يعرفون حقيقة الأمور، وحتى المتمردون أنفسهم لا يتهموني باستخدام العنف أو قتل البشر، أنا لا أشغل أي منصب عسكري أو حكومي (تماما مثل أبيه، لا يشغل منصبا) من المضحك أن يتهموني بقتل الناس.

---

[360] - القدس العربي – 1 يوليو

وقال سيف الإسلام إن القتلى الذين سقطوا في الأيام الأولى كانوا مسلحين يحاولون اقتحام مراكز عسكرية، وأضاف : "لقد عرفنا فيما بعد أن أكثرهم ينتمون إلى جماعات إسلامية، لكن الأوان قد فات".

وقال إن "خطأ ليبيا هو إنها لم تبن جيشاً قوياً ووثقت بتحسن علاقاتها مع الغرب، مضيفاً :" إن الكثير من الدول، كايران وكوريا الشمالية (أكرر...إيران وكوريا الشمالية) تقول لنا هل اكتشفتم خطأكم أيها الليبيون؟ تخليتم عن أسلحة الدمار الشامل وأغلقتم برنامجكم لتصميم الصواريخ البالستية، وها هي النتيجة". وقال إن الدرس للجميع هو :"كونوا أقوياء، لا تثقوا بالغرب أبدا وكونوا على يقظة"، وتابع : "من أكبر أخطائنا أننا أنهينا أو بالأحرى قلصنا شراء الأسلحة الحديثة، خاصة الأسلحة الروسية (أكرر...الأسلحة الروسية) كان هذا خطأ كبيرا كما تباطأنا في إنشاء جيش قوي، ظننا أننا لن نخوض حربا جديدة".

واتهم حلف شمال الأطلسي بإصدار حكم إعدام بحق عائلته وقال "لقد قرروا قتلي أنا ووالدي، لقد قتلوا أخي ودمروا بيتي، وبالتالي فإن القرار قد اتخذ، لقد قرروا إزالتنا.

وقال "هم يتحدثون عن محكمة عادلة ويجرون مفاوضات سرية معنا في الوقت نفسه للدفع بنا إلى صفقة، هم يقولون إذا عقدتم الصفقة معنا سنرتب الأمور مع المحكمة" (لم يقل ..من؟).

وتكذب الوقائع ابن العقيد، فقد صرحت مصادر متعددة لـ«الشرق الأوسط»،(أول يوليو) إن جزيرة جربه التونسية شهدت قبل عدة أيام سلسلة من الاجتماعات السرية بين ثلاثة مسؤولين من نظام القذافي هم محمد حجازي وزير الصحة وعبد العاطي العبيدي وزير الخارجية ومحمد أحمد الشريف رئيس جمعية الدعوة الإسلامية الليبية، ومسؤولين ودبلوماسيين غربيين في إطار البحث عن حل للأزمة الليبية.

وأبلغت المصادر، التي لم ترغب في الكشف عن هويتها، أن مبعوثي القذافي نقلوا منه رسالة تعبر عن رغبة العقيد الليبي في إبرام وقف فوري لإطلاق النار سواء مع حلف الناتو أو الثوار المناهضين له برعاية الأمم المتحدة. وأضافت المصادر أن القذافي يلمح أيضا إلى إمكانية مناقشة مستقبله السياسي في إطار البحث عن وسيلة للخروج من هذا الوضع الراهن.

من جهته، قال مسؤول في الحكومة الليبية لـ«الشرق الأوسط»، إن «على القذافي أولا أن يعرض وقف إطلاق النار لإنهاء الحرب، على أن يتم منحه مهلة يرتب فيها أوضاعه ويصل إلى الصيغة المثلى التي تؤمن ترتيبات المرحلة المقبلة».

وأشار المسؤول إلى أن الاجتماعات الأخيرة في جزيرة جربه التونسية بين مبعوثي القذافي ومسؤولين من دول التحالف الغربي المناوئ له، شملت دبلوماسيين ومسؤولين من حكومات بريطانيا وفرنسا بالإضافة إلى مسؤول سياسي من حلف الناتو.

من ناحية أخرى، صرح قيادي في المجلس الانتقالي الليبي لـ«الشرق الأوسط» بأن الخيارات المحددة التي تجري مناقشتها تتعلق برغبة القذافي في البقاء داخل ليبيا بعد تنحيه عن السلطة في مسقط رأسه بمدينة سرت الساحلية، أو انتقاله إلى دولة أفريقية يتمتع بعلاقات وطيدة مع حكومتها مثل تشاد وغيرها، شريطة أن يحصل على ضمانات دولية تكفل له الحماية والحراسة الشخصية.

وأضاف «هذه الاجتماعات تتم بصورة غير رسمية، لذلك لا يمكن اعتبارها مفاوضات حقيقية أو رسمية، هي مفاوضات تمهيدية على مستوى شبه رسمي، القذافي يسعى للحصول على حصانة دولية بضمانات من الدول الخمس الكبرى الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي بعدم ملاحقته إذا ما قرر الخروج من السلطة وليبيا». انتهى

وفي الوقت نفسه، وبالتوازي مع الهجوم على مصراتة من جديد والخطاب الإذاعي الذي هدد به القذافي أوروبا، تنشر أخبار لها دلالتها عن الوضعية المالية للنظام، فقد كشفت صحيفة (ديلي ستار صندي) الأحد 3 يوليو أن القذافي يهزب عملات ذهبية إلى بريطانيا وساعات ثمينة لبيعها واستخدام عوائدها لتمويل حربه، وقالت الصحيفة إن عملات ذهبية خُتم عليها وجه القذافي وساعات من طراز "أوديمار بيغي" تصل قيمة الواحدة منها إلى 100 ألف جنيه إسترليني، تم تهريبها إلى بريطانيا لاستخدام السيولة النقدية من وراء بيعها لشراء أسلحة، وأضافت إن عشرات القطع النقدية الذهبية قيمة الواحدة منها 1000 جنيه إسترليني والساعات المرصعة بالألماس تم ضبطها من قبل دائرة الجمارك البريطانية في مطار "غاتويك" القريب من العاصمة لندن، لكن يُعتقد أن المئات من هذه القطع الثمينة وجدت طريقها إلى المملكة المتحدة.

ونسبت الصحيفة إلى مصدر في وكالة الحدود البريطانية قوله "تم ضبط الذهب والساعات الثمينة من رحلة لنقل الركاب، وفي إطار مؤامرة لتهريبها إلى داخل بريطانيا دون دفع الضرائب وبيعها لاستخدام المال من أجل تمويل جيش المرتزقة الذي يستخدمه القذافي في قتال قوات المعارضة"، وأضاف المصدر " تم الحجز على هذه المواد لعدم تسديد رسوم الضريبة على القيمة المضافة المفروضة عليها، وسنعيدها إلى ليبيا بعد قيام القذافي بتسديد الرسوم".

وقالت الصحيفة إن فضيحة **تهريب** الذهب إلى بريطانيا تأتي بعد الكشف عن أن القذافي حاول رشوة بعض المصارف العالمية، ومن بينها مصرف (اتش أس بي سي HSBC) البريطاني لتخزين ملايينه، ووجد تحقيق أن حسابات الزعيم الليبي ارتفعت من 182 مليون جنيه إسترليني إلى 870 مليون جنيه إسترليني خلال فترة ثلاثة أشهر، وتم على إثرها تجميد الأموال الليبية في المصرف وثلاثة مصارف أخرى، وأضافت أن المصرف المركزي الليبي الخاضع لسيطرة القذافي يدخر 143.8 طن من الذهب قيمتها 4 مليارات جنيه إسترليني وفقاً لصندوق النقد الدولي، وهو ما يكفي لتمويل قواته لعدة سنوات، ويضع احتياطيات ليبيا من الذهب بين الدول الخمس والعشرين الأوائل في العالم، ونسبت إلى "أدريان أش" رئيس قسم الأبحاث في شركة "بوليون فوت" المتخصصة بتجارة الذهب قوله "سيكون من الصعب على القذافي تحويل الذهب الذي يملكه إلى سيولة نقدية لأن الأسواق الدولية لا تتعامل معه، وسيضطر نتيجة ذلك إلى البحث عن نظام **صديق** لمساعدته على إخراج الذهب خارج ليبيا. انتهى.

وما يهمني هنا هو ما يكشفه الخبر من خلفيات ما كان يقوم به العقيد القذافي لرشوة الجميع، وبغض النظر عن الأموال السائلة التي كانت تدفع لبعض الرؤساء الأجانب ولا تستفيد منها شعوبهم لأنها لا تدخل في ميزانية الدولة، ويكفي أن نتخيل عدد ما أهداه العقيد من ساعات قيمة الواحدة منها 100 ألف دولار أو من عملات ذهبية قيمة كل منها 1000 جنيه إسترليني أو ساعات مرصعة بالأحجار الكريمة، وكل هذا من أموال الشعب الليبي الذي لم يستشر بالطبع في الأمر، ثم يدّعي العقيد بأن الشعب الليبي هو سيد قراره وأنه لا يملك أي سلطة في ليبيا وإلا "لرمى استقالته في وجوهنا".

وتتزايد الأخبار المتعلقة بتحركات رجال القذافي في كل مكانوكل اتجاه، سندهم في ذلك ما ينفقونه كهدايا أو رشوات أو وعود مستقبلية، وقالت مصادر لـ«الشرق الأوسط» (أول يوليو) إن جزيرة جربه التونسية شهدت قبل عدة أيام سلسلة من الاجتماعات السرية بين ثلاثة مسؤولين من نظام القذافي هم محمد حجازي وزير الصحة وعبد العاطي العبيدي وزير الخارجية ومحمد أحمد الشريف رئيس جمعية الدعوة الإسلامية الليبية، ومسؤولين ودبلوماسيين غربيين في إطار البحث عن حل للأزمة الليبية. وأبلغت المصادر، التي لم ترغب في الكشف عن هويتها، أن مبعوثي القذافي نقلوا منه رسالة تعبر عن رغبة العقيد الليبي في إبرام وقف فوري لإطلاق النار سواء مع حلف الناتو أو الثوار المناهضين له برعاية الأمم المتحدة. وأضافت المصادر أن القذافي يلمح أيضا إلى إمكانية مناقشة مستقبله السياسي في إطار البحث عن وسيلة للخروج من هذا الوضع الراهن.

وهنا أيضا يمكن أن نفهم خلفية حرص قيادات بعض **الأنظمة** على التنسيق مع العقيد بل وتأييد مواقفه أو بعضها، لأن نسبة معينة سوف تستقطع من أموال الذهب لتوضع في **حساباتها** الأجنبية.

ولعل من أهم ما نشر في الجزائر مقال صدر يوم 3 يوليو في صحيفة "الخبر"، قال فيه كاتبه رمضان بلعمري تحت عنوان : الليبيون يواجهون الحرب بالزهوانية (المغنية الوهرانية المعروفة) والاستجمام على شواطئ البحر: وجاء فيه (..) كنت أستبق الزمن لدخول العاصمة طرابلس لأرى آثار حملة الأطلسي عليها وعلى سكانها (؟؟) وكانت تشدني في الطريق المدن التي تردد اسمها كثيرا في الإعلام، خصوصا مدينة "الزاوية"، ويمكن القول إن هذه المدينة لها وزنها وتظهر أنها مدينة كبيرة، ولهذا، كان حضور قوات جيش القذافي بارزا أكثر، وهي المدينة التي شاهدنا فيها أيضا خروج مواطنين ليبيين بسياراتهم وهم يلوحون بالأعلام الخضراء، **وقوات** العقيد **توزع** عليهم صوره للاحتفاء بها في مسيرة الساحة الخضراء.

وكان أول ما فاجأني (عند دخول طرابلس) رؤية **جموع** من سكان العاصمة يتمتعون بزرقة البحر في الشاطئ القريب من الفندق الذي أقمت به، ولقد صعب عليّ تقبل هذه الصورة، خصوصا أنني دخلت في جو الحرب، من خلال برامج **الإذاعة الليبية** وحديثها عن **قصف** الموقع الفلاني والعلاني.

وصادف دخولنا طرابلس تنظيم مسيرة كبيرة دعما للعقيد القذافي، حضرها الآلاف بشهادة العين، وخلال مرورنا على بعض الشوارع، لفت انتباهنا بعض مظاهر الدمار التي طالت مبان حكومية وأخرى مدنية (لم يذكر الصحفي دليله على مدنية المباني، فمباني المخابرات مثلا لا تحمل مظاهر خارجية تدل على محتواها) وكانت هذه المباني المدمرة هي الشاهد الأول على الحرب في طرابلس.

وربما لأن اليوم كان جمعة، فقد بدت الحركة بطيئة، ما عدا وقت أداء الصلاة، واستمعنا لخطبة الجمعة من خلال أمواج الإذاعة الشبابية الليبية، وخلال الخطبة، فتح الإمام النار على حلف الناتو، وعلى رموز المعارضة في بنغازي، وعلى أمير قطر وأمير الإمارات العربية المتحدة، وكذلك الرئيس الفرنسي.

الشاهد الثاني كان، بلا منازع، سماع دوي قصف طائرات الناتو ثلاث مرات لمواقع ليلة الجمعة إلى السبت، وعندما سألت بعض الصحفيين المقيمين في فندق "غابة النصر" بوسط العاصمة عن الأمر، أشار إليّ كثيرون أن صوت الرصاص والقصف أصبح **مألوفا** مثل رنة الهاتف بالنسبة لهم (..) وبدت لي غريبة، بعض الشيء، حالة اللامبالاة لدى سكان العاصمة طرابلس باستمرارهم في السهر في الأماكن العامة، وفي الشوارع حتى الواحدة والثانية فجرا، وهو ما شاهدته بنفسي، وعندما سألت، قال لي **مرافقي الليبي** (وواضح لأي جهاز يمكن أن ينتمي هذا المرافق) : لقد اعتدنا نحن أيضا على القصف بعدما سقطت علينا آلاف القذائف، ثم إننا أصحاب الأرض، وهؤلاء (الناتو) جاؤوا يعتدون علينا، فلماذا نخاف؟ .انتهى.

وبرغم الاستنتاج الذي كاد يبدو مضللا فإنني أتصور أن المقال أكد بصفة قاطعة كذب ادعاءات التلفزة الليبية باستهداف الناتو لمواقع مدنية قتل فيها مدنيون وشيوخ وأطفال ونساء، إلى آخر الأسطوانة المألوفة، فما كتبه الصحفي عن مشاهدته المباشرة يقول بوضوح أن **المدنيين** في العاصمة الليبية لا يعانون من وضعية الذعر التي تنشأ عن القصف الأعمى المتواصل، أي أن القصف الأطلسي استهدف فعلا مواقع عسكرية، وهو ما أدركه مواطنو طرابلس وتصرفوا على ضوئه.

وأنا أقول بكل بساطة وبدون بلاغيات مستثيرة للعواطف، بأن الموت جزء من أي حرب، وبرغم أن مصرع أبرياء أمر يجب أن يندد به كل ذو خلق' فإن التنديد يجب أن يوجه أولا نحو المسؤول الذي حشد المدنيين في مواقع يمكن أن تقصف، ولعلي أضيف بأن مواقع مخصصة للمدنيين لم ينلها ضرر، وفي مقدمتها "الميدان الأخضر"، حيث يحشد العقيد مناصريه بأساليب لا يهمني أن أتوقف عندها.

لكن السؤال: ماذا عن أربعة أو خمسة ملايين ليبي عبر **ليبيا** كلها يتعرضون يوميا لقصف كتائب العقيد، وهو قصف وحشي مؤكد باللقطات والصور والروايات الموثقة.

ويوضح عبد المنعم الهوني ممثل المجلس الوطني الانتقالي لدى الجامعة العربية ومصر في تصريح لـ«الشرق الأوسط» (أول يوليو)، أن القذافي يسعى للخروج مع عائلته وكبار مساعديه بشرط عدم الملاحقة مقابل الحصول على مبلغ مالي يتراوح ما بين 10 إلى 15 مليار دولار كتأمين لحياته وأسرته لاحقا».

واعتبر الهوني أن الحديث عن سيناريوهات يطرحها القذافي للخروج كلها تندرج في إطار التسريبات المتعلقة باجتماعات مبعوثي القذافي مع مسؤولين غربيين، مضيفا «ليس هناك خطة طريق واضحة ومحددة يمكن الاستناد إليها، كلها مجرد أفكار قابلة للتطوير».

ولفت ممثل المجلس الانتقالي، إلى أن المبعوث الروسي الذي زار ليبيا مؤخرا ولم يجتمع مع العقيد القذافي كان قد طلب من مبعوثي القذافي ابلاغه بأن روسيا تقترح على الزعيم الليبي نقل صلاحياته والتخلي عن السلطة لصالح مجموعة من العسكريين يترأسهم الفريق أبو بكر جابر يونس باعتباره وزير الدفاع الليبي، لضمان عدم حدوث أي فراغ في السلطة أو المزيد من الاضطراب الأمني والعسكري في البلاد.

وأضاف الهوني «وفقا لما لدينا من معلومات فإن معظم مساعدي القذافي يعتقدون أن هذا الحل ربما يكون الأمثل للخروج من الورطة الحالية، لكن لم يصلنا أنه تم عرض هذا الاقتراح على القذافي حتى الآن».

وتابع الهوني «هؤلاء (مساعدو القذافي) لا يلتقونه بصورة شخصية، إنه يختفي عن الأنظار خشية محاولة اغتياله أو قصف من قبل مقاتلات حلف الناتو، والاتصال به يتم بصورة معقدة ولعدد محدود فقط من أبرز المقربين حوله، حتى أولاده لا يراهم جميعا لنفس التخوفات الأمنية».

واعتبر الهوني أن القذافي فقد كل صلة له بالواقع السياسي ولم يعد بالإمكان أن يسمح له بلعب أي دور في تقرير مستقبل ليبيا، مضيفا «بالفعل لم تعد لديه أي فرصة وعليه أن يقرر بسرعة كيف يخرج من هذا المأزق» في إشارة للقذافي.

أما القدس العربي فقد نشرت في نفس اليوم عن وكالة الأنباء الفرنسية بأنه :"لم تمض ساعات على احتشاد الآلاف في الساحة الخضراء بطرابلس هاتفين بحياة الزعيم الليبي معمر القذافي، حتى كانت جثة احمد ملقاة خارج منزل الأسرة وقد حملت آثار رصاصتين في الرأس.

فمحمد، وهذا ليس اسمه الحقيقي، ابلغ وكالة "فرانس برس" أنه يعرف يقينا سبب قتل ابن شقيقه الذي لم يتجاوز الثلاثين، فبينما كانت المسيرة تلوح بالأعلام الخضراء في طرابلس والقذافي يطلق تهديداته لأوروبا وللحلف الأطلسي ولليبيين "الخونة" الجمعة، جرى إعدام احمد لمعاقبة أسرته على رفضها "المشاركة في تظاهرة التأييد، والتي كانت استعراضا مهما للقوة من جانب الزعيم الليبي بعد قرابة خمسة أشهر من الانتفاضة الشعبية ضد حكمه. ، وقال محمد والغضب والحزن يطغيان على صوته "قبل أربعة أو خمسة أيام تحدث أحد أفراد اللجان الثورية للقذافي إلى أسرة شقيقي في طرابلس، وأضاف " قالوا له: لدينا ابنك، وهو محتجز في سجن أبو سليم، إذا لم تخرج أسرتك للتظاهر الجمعة فلن ترى ابنك مجددا

والأسرة التي يتجاوز عدد أفرادها من البالغين الذكور وحدهم العشرات كانت ستمثل إضافة هامة إلى التظاهرة التي تعهد القذافي أن تكون مليونية في شوارع العاصمة ردا على إصرار الثوار الليبيين على تنحيه ومغادرته البلاد.

غير أن الأسرة أبت الحضور لاعتقادها أن ابنها قتل بالفعل ومع شيوع أنباء عن تلقي جيرانها تهديدات مماثلة. وكان احمد قد فقد في طرابلس بعد أيام من اندلاع الانتفاضة ضد القذافي في فبراير، حين احرق شباب صور "قائد الثورة" واقتحموا محطة تلفزيونية حكومية."

ويعود سيف الإسلام إلى تطبيق صورة سانجة لسياسة الجزرة والعصا، فيصرح في حديث للتلفزة الفرنسية الأولى تم بثها في نفس اليوم، وأوردته "رويتر": ويقول (..) إن الدول الغربية محكوم عليها بالفشل في حملتها العسكرية التي تهدف إلى إسقاط القذافي وإن غاراتها الجوية ضد القوات الحكومية جعلها أهدافا مشروعة (..) وإن والده لا ينوى مغادرة البلاد في إطار مفاوضات لإنهاء الصراع مع المعارضين الذين يريدون إنهاء حكمه المستمر منذ أربعين عاما، وقال موجها حديثه لساركوزي : لا توجد لديكم فرصة لكي تكسبوا الحرب هنا. إذا كنت **غاضبا** منا لأننا لا نشتري طائرات "رافال" (وذلك في إشارة إلى الطائرة الحربية الفرنسية التي تصنعها شركة داسو بمشاركة إسرائيلية، وزعموا أن باريس عرضتها قبل الانتفاضة ضد القذافي) فيجب أن تتحدث **معنا** (ومرة أخرى، بأي صفة يتحدث "زيف" الإسلام). وأضاف "إذا كنت غاضبا منا لان صفقات النفط لا تسير بشكل طيب فعليك أن تتحدث معنا، المتمردون لن يعطوك أي شيء لأنهم لن يكسبوا.

ويواصل ابن العقيد، الذي يقول دائما بأنه لا يملك أي مسؤولية رسمية على مستوى الدولة، قائلا إن السلطات الليبية مستعدة لتقديم **تنازلات** بشأن بعض المطالب الغربية ولكنها ستقاتل من أجل ليبيا، تريدون الديمقراطية إننا **مستعدون**. تريدون انتخابات إننا **مستعدون**. تريدون ماذا دستورا جديدا؟ إننا **مستعدون**. وقف لإطلاق النار؟ إننا **مستعدون**. ولكن الجانب الأخر يرفض طوال الوقت، ولكن أن تقولوا لوالدي اترك البلد إنها دعاية. لن نستسلم أبدا. ، سنقاتل، إنها بلدنا(وبعد الترغيب بأسلوب إعطاء الرشاوى يأتي التهديد) فيقول (في حالة رفضكم) ستكونون أهدافا مشروعة لنا.

وتواصل مجموعة العمل، أو مكتب الاستشارات المأجور، اقتراح المواقف التي تحقق خلط الأوراق، فهي من جهة توصي بإرسال رجال قبائل إلى مصر بحجة التفاوض مع الثوار، في الوقت الذي يتواصل فيه قصف مصراتة وإجدابية، ثم يعلن النظام عن الاتجاه لمحاكمة مصطفى عبد الجليل ونحو عشرين من مساعديه، بعد أن فشلت محاولة تقديم عشرات الملايين من الدولارات (من الدولارات وليس من الدنانير الليبية، وكلها من مال الشعب) للقبض على رئيس المجلس الانتقالي، ويتسرب خبر من موسكو عن إمكانية تنازل العقيد مقابل ضمانات ثم يُكذب الخبر، ويزور مسؤول سام من المجلس الانتقال تركيا ليلتقي "غول" ورئيس الوزراء "أردوغان"، بينما تلتقي فضائية "العربية" للمرة الأولى رئيس الوزراء الليبي في حوار كان أقرب للغة الخشب، ويلغى اجتماع قيل أنه كان سيعقد في روما ويضم عناصر كانت مرتبطة بالعقيد مع عدد من رجال الأعمال الليبيين للبحث عن طريق ثالث، وتدعو طرابلس إلى تظاهرة مليونية في الساحة الخضراء، وهي المكان الوحيد الذي يحدث فيه التظاهر المؤيد للعقيد، وترد بنغازي بمسيرة مماثلة، فيرد نظام العقيد بمزايدة طريفة هو دعوة الليبيين لأداء صلاة الجمعة في الساحة الخضراء، وليبدو الأمر أضخم من واقعه تغلق بعض

المساجد أو كثير منها في طرابلس، ولست أدري ما إذا لم يكن هذا ضد الخط الذي كان ينادى به العقيد بعدم استغلال الدين لأغراض سياسية.

فوضى سياسية وإعلامية تصورت أنها مقصودة لخلق البلبلة على الساحة السياسية، وإن كانت تدل أيضا على أن مجموعة العمل التي ترسم لنظام العقيد مخططاته لا تكل ولا تمل، وهي تحسن الاستفادة من الفوضى التي يتميز بها أداء "الناتو" والتصريحات المتناقضة لبلدانه.

وتولد الشعور بأن قوات الأطلسي تتعمد تمييع الأمور.

لكن كتابات فرنسية توضح المعطيات الغائبة والكثير من الخلفيات، وهكذا يقول فانسان جوفير:[361]

"شاء "نيكولا ساركوزي" أن تكون الحرب على ليبيا خاطفة تدوم أياماً قليلة، ولكن الرياح لم تجر على ما اشتهى. وقال "ألان جوبيه" إن أحداً لم يتوقع أن تدوم الحرب شهوراً، والاستخبارات الفرنسية أكدت يومها أن آلافاً من قوات القذافي ستنشق عنه إثر الضربات الجوية الأولى، وتوقعت أن يتقدم الثوار تقدماً سريعاً نحو سرت، مسقط رأس العقيد، وحسبت أن القذافي سيضطر إلى التنحي تنحياً سريعاً، ولكن هذه التوقعات لم تصب، ولم تكن في محلها (..) لكننا أسأنا تقدير القذافي فهو كان طوال أربعين سنةً يعد لمواجهة اجتياح، ولم نتخيل أنه سيتكيف مع الوقائع الجديدة تكيفاً سريعاً (..) ولم يتوقع أحد أنه سيشتري مئات من شاحنات "تويوتا" من النيجر ومالي لنقل جنوده وبطاريات الصواريخ، وهذه ضربة معلم، فالثوار يستخدمون شاحنات مماثلة، وهكذا شلّت قدرة قوات "الناتو" على ضرب قوات القذافي مخافة إصابة الثوار، وأمر الطيارون بالحرص على استهداف قوات القذافي وتمييزها من قوات الثوار، وطلبنا من الثوار وضع شارة خاصة على شاحناتهم لتمييزها من شاحنات العقيد الليبي، ولكننا لم نكن يوماً على بينة من أمرنا عند ضرب الشاحنات... فالثوار غير منظمين "، يقول عسكري فرنسي، ثم يواصل قائلا:

أوكلت إلى الطيارين الفرنسيين مهمة تهيئة ساحة القتال وإعدادها من طريق تدمير مضادات الطائرات الليبية، ولكن صباح 19 مارس تقدمت قوات القذافي تقدماً كبيراً نحو بنغازي، واضطررنا إلى المبادرة سريعاً للحيلولة دون وقوع مجزرة في ثاني أكبر المدن الليبية، فطلبت قيادة الأركان الفرنسية من "الإليزيه" الإذن بتعديل هدف الطلعة الجوية واستهداف مدرعات القذافي ودباباته عوض مضادات الطائرات، وعلى رغم مواجهة طائرات "رافال" خطر تدميرها في السماء الليبية، أعطى ساركوزي الضوء الأخضر لضرب الدبابات الليبية، فانطلق الطيارون من قاعدة "سان – ديزييه" لتنفيذ مهمة جديدة، أي رصد الدبابات الليبية وتدميرها وتفادي النيران الليبية... وشاءت المصادفات أن يكون الطيارون الفرنسيون مدربين ومؤهلين لمثل هذه العمليات فهم عادوا للتو من أفغانستان، واكتسبوا خبرات كبيرة، ورصد الطيارون الدبابات، ودمروها، وأنقذوا بنغازي، وعلى رغم أن العملية هذه هي نصر كبير لسلاح الجو الفرنسي، سلطت الضوء على فشل الاستخبارات الفرنسية، وأدركنا أن معلومات الاستخبارات كانت بائتة وتفتقر إلى الدقة والصحة، فالاستخبارات الفرنسية حصلت على تقرير من الجيش الجزائري بعد إجرائه مناورات مع القوات الليبية، ووفق التقرير هذا، الدبابات الليبية مهترئة وتأكلها الصدأ، ولن تستطيع التحرك قبل شهرين، ولكن الدبابات هذه شنت هجوماً على بنغازي[362]. انتهى الاقتباس.

(7)

بدأ الشعور يتزايد، مع بداية الأسبوع الثاني من يوليو، بأن العقيد يفقد توازنه تدريجيا ويتزايد نشاط مكاتب الدراسات التي ترسم له خطط التحرك، وهكذا يدعو الليبيين إلى أداء صلاة الجمعة في الساحة الخضراء، مغلقا عددا من المساجد لاضطرارهم إلى ذلك، لكن الشيخ الغرياني يصدر فتوى بعدم جواز الصلاة في الساحة العمومية، ولم يبد أن كثيرين من المؤمنين أدوا الصلاة فيها فعلا، وطاشت الضربة.

---

361 - نوفيل أوبزرفاتور الفرنسية – 7 يوليو - ووضعت المقال كاملا لأهميته في القسم الوثائقي.

362 - يبدو هنا أن الاستخبارات الليبية خدعت المخابرات الجزائرية وأخفت عنها الكثير من معداتها.

وبعد المؤتمر الذي جمع فيه أعداد ممن قيل أنهم ممثلو القبائل الليبية، وحضره ممثل عن جبهة التحرير الوطني، أرسل النظام نحو عشرين، ممن أطلق عليهم رجال القبائل، إلى مصر للترويج لأطروحة النظام، ثم راح العقيد يهدد الأوربيين بإرسال انتحاريين ليبيين انتقاما لضربات الناتو، متناسيا أنه عجز عن القيام بنفس الشيء في ليبيا نفسها، بالإضافة إلى أن من العسير العثور على ليبي أحمق يقبل أن يفجر نفسه دفاعا عن قائد مختبئ في مجاري الصرف الصحي، تماما كالجرذ الذي شبه به الثوار في فبراير الماضي.

ويعطي العقيد مهلة للناتو قبل أن يبدأ هجمات "الانتحاريين"، وهو ما تضعه في نفس وضعية الإرهابيين الذين يدعي أنه يحاربهم، ويبدو أن الرجل فقد عقله تماما، وأصيب بمرض "الكلوسترفوبيا" نتيجة لطول وجوده في نفق مغلق، عمليا وسياسيا.

ومع تكاثر خطب العقيد الصوتية التي تؤكد أنه لا تفاوض مع الخونة تتسرب أخبار عن حوارات مع الروس تتضمن استبعاد العقيد بشكل عملي، كما قيل، واتجه النظام نحو عقد مؤتمر للفعاليات الدينية دعي له بعض رجال الزوايا في الجزائر، وفي الوقت نفسه ترددت إشاعات عن محاولة النظام افتكاك فتوى من شيخ الأزهر الجديد، تصب في خانة السلطة وضد خصومها.

وتواصل "الخبر" الجزائرية تغطيتها للجانب الرسمي من أحداث ليبيا فتنشر يوم الاثنين 11 يوليو على صفحة كاملة مقابلة مطولة مع سيف الإسلام القذافي، الذي يقول دائما أنه لا يحتل مركزا رسميا، ولكنه يتصرف كرئيس حكومة كامل الصلاحيات، وأوردت وكالة الأنباء الفرنسية والقدس العربي مضمون الحوار في اليوم التالي وجاء فيه : صرح سيف الإسلام القذافي نجل العقيد معمر القذافي في مقابلة نشرت أمس الاثنين أن المفاوضات الحقيقية لا تجري مع الثوار وإنما مع فرنسا ومع الرئيس نيكولا ساركوزي شخصيا، (ونسي سيف الإسلام اتهاماته لساركوزي بتلقي رشاوى من النظام الليبي) لكن باريس نفت وجود أي مفاوضات مباشرة مع نظام القذافي.

وقال سيف الإسلام في المقابلة "الحقيقة هي أننا نجري المفاوضات الحقيقية مع فرنسا وليس مع الخوارج والمتمردين (؟؟) الذين خرجوا عن ولي الأمر وعلى الملة (ويبدو التناقض واضحا من تعبير "وليّ الأمر" حين يطلق على من يدعي أنه لا سلطة له، ويضاف له اتهام الخصوم بالخروج عن "الملة" كتكفير واضح) وأضاف تلقينا من خلال آخر مبعوث التقى به ساركوزي رسالة واضحة من باريس، فقد تكلم الرئيس الفرنسي بكل صراحة وقال لمبعوثنا (لم يقل من هو) نحن من صنع هذا المجلس ولولا الدعم الفرنسي والأموال والأسلحة لما كان له وجود (..) وشدد (ساركوزي) على أن الكلام يكون معه وليس مع جماعة بنغازي (..) والفرنسيون ابلغونا رسميا بأنهم يريدون تشكيل حكومة انتقالية في ليبيا وتشكلها فرنسا طبعا، وساركوزي قال لمبعوث ليبي: أنا لدي قائمة وهؤلاء هم رجال فرنسا.

وتحدث ابن العقيد في حواره عن قوات فرنسية خاصة متمركزة في الجبل الغربي قامت (كما ادعى) بترتيب عملية إنزال أسلحة بالمظلات، وقال "هناك تقارير استخباراتية وصلتنا تقول أن الفرنسيين قد يقومون بإنزال مباشر لقوات فرنسية على الأرض في الجبل الغربي تقاتل بجنب المتمردين وتقوم بمهاجمة طرابلس"، وأضاف "إن الهدف الذي يطمح إليه ساركوزي هو إنهاء الوضع في ليبيا قبل 14 يوليو، أي قبل العيد الوطني الفرنسي"، وأرجع سبب النزاع إلى أن "ليبيا لم تلتزم بوعودها تجاه فرنسا فيما يخص (شراء) طائرات "رافال" (وللعلم، إسرائيل مشاركة في صنع الطائرة) وموضوع المفاعل النووي، بحيث أننا تأخرنا في شراء هذه الأمور أو تلكأنا (مرة أخرى، بأي صفة يتكلم هذا الرجل عن شؤون الدولة التي لا يحتل فيها، كما يقول، أي منصب رسمي) ويطرح الصحفي الجزائري سؤالا كان ينتظره أو يرجوه ابن العقيد: ماذا تمثل لكم الجزائر وهل يمكن أن تقوم بدور للمّ شمل الإخوة الليبيين؟

ويجيب سيف الإسلام : "الجزائر للأمانة، وهذا شعور موجود، اسأل أي ليبي وسيقول إن أقرب الناس إلينا هم الجزائريون، وهؤلاء "الخوارج" كما تلاحظون لا يهاجمون دولة عربية إلا الجزائر، ونحن نقول إن هناك شيئا مشتركا بيننا، أنتم حاربتم فرنسا أمس (مقارنة مضحكة) ونحن نحاربها اليوم، الجزائر من الدول القليلة التي كان موقفها مختلفا منذ البداية، الجزائر مرحب بها، والجزائر طبعا لها دور في لمّ الشمل، وبصراحة كانت مواقف الدول العربية مخزية جدا، والجزائر كانت من الدول العربية القليلة جدا التي كان موقفها من البداية مختلفا تماما، والشعب الليبي لن ينسى، ولهذا فالدولة الجزائرية مرحب بها في التقريب بين الإخوة الليبيين".

وتنقل أهم عناصر الحوار مجلة الكفاح العربي وهي مجلة تمولها المخابرات الليبي ويُعرف رئيس تحريرها بأنه عميل بامتياز، وعرفته شخصيا في مرحلة العمل في إطار جبهة الصمود والتصدي.

ويتضح هنا بشكل جلي أن النظام الليبي هو وراء الإشاعات التي سربت بوجود جزائريين في صفوف العقيد القذافي، وهو ما كان استغلالا ذكيا لنقص خبرة الثوار في التعامل مع الأحداث الدولية، وهو ما دفعهم إلى الانزلاق نحو الهجوم على الجزائر، والتي كان يمكن لموقفها المتفهم أن يغير نجرى الأحداث، وهنا أيضا يمكن فهم موقف بعض الجيران الذين وجدوها فرصة لتصفية الحسابات مع الجزائر.

ولن أواصل استعراض تفاهات وأكاذيب ابن العقيد، وأعتقد أن ما قدمته هنا يُعطي فكرة عن الرجل، والذي يتأكد يوما بعد يوما أنه ليس أقل خبثا من أبيه، بقدر ما يؤكد أنهم، مثل ملوك "البوربون"، لا ينسون شيئا ولا يتعلمون شيئا.

لكن "القدس العربي" تنشر افتتاحية لعبد الباري عطوان يوم 12 يوليو تحت عنوان "التهافت الليبي على إسرائيل" تقول : يصعب علينا أن نفهم أو نتفهم هذا التهافت الليبي، سواء من حكومة طرابلس، أو ثوار بنغازي (وليس ثوار ليبيا، أي أن الكاتب ينسبهم لمدينة تقليلا من شأنهم) ومجلسهم الوطني، على مغازلة إسرائيل، واستجداء التطبيع معها، وتقديم العروض المغرية لليهود الليبيين لكسب ودهم، ونيل رضاهم، وحثهم على العـــودة إلى ليبـيا معززين مكرمين، وفي مثل هذا الوقت بالذات لأسباب ليست لها علاقة بالإنسانية أو التسامح.

بعد شهر من إيفاد (؟؟) المجلس الوطني الانتقالي الليبي في بنغازي الفيلسوف الفرنسي برنارد هنري ليفي المعروف بدفاعه المستميت عن الصهيونية إلى تل أبيب حاملاً رسالة إلى بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل تؤكد على الرغبة في الاعتراف وإقامة علاقات طبيعية معها هذا هو العقيد معمر القذافي أمين القومية العربية، يصدمنا مرة أخرى بإرسال وفد من أربعة مسؤولين في نظامه برئاسة السيد محمد إسماعيل الضابط في جهاز المخابرات الليبي الذي يشرف عليه العقيد عبد الله السنوسي، مقدماً عرضاً مماثلاً بإقامة علاقات دبلوماسية، وفتح سفارة لإسرائيل في طرابلس، وحاملاً أقراصا رقمية للجهات الأمنية الإسرائيلية (CD) على حد قول مراسل القناة التلفزيونية الثانية الإسرائيلية يعلم الله ما تحتويه من رسائل ومعلومات وإسرار... تنافس محموم بين طرفي الصراع في ليبيا على كسب الود الإسرائيلي، كل هذا من اجل كرسي الحكم، وليس من اجل مصلحة الشعب الليبي الطيب المسحوق، أو مصلحة الأمة والعقيـدة والقضـايا المصـيرية العادلة (نفى المجلس الانتقالي الأمر كله ولم تؤكده إسرائيل لكن القدس العربي لم تتوقف عند نفي الثوار، ولم تتراجع عن هجومها العنيف عليهم، وقال الثوار بأن ليفي قدم لهم كمستشار للرئيس الفرنسي، وهم ملزمون بالتعامل معه، وهو منطق معقول لمن يخوض حربا ضد طاغية لا يتورع عن شيء).

ويواصل عطوان : انتظرنا أكثر من عشر ساعات منذ أن قرأنا خبر زيارة وفد الزعيم الليبي إلى تل أبيب علنا نقرأ تكذيباً، أو نفياً، ولكن دون جدوى، الأمر الذي يؤكد أن التفاصيل جميعها صحيحة، فالوفد المشؤوم ذهب إلى باريس وحصل على تأشيرات رسمية من السفارة الإسرائيلية فيها، ثم انطلق إلى وجهته دون أي عوائق، حيث مكث في تل أبيب لمدة أربعة أيام التقى خلالها زعيمة المعارضة تسيبي ليفني المسؤولة الرئيسية عن شن العدوان على قطاع غزة وقتل 1400 من أبنائه نصفهم من الأطفال ومائير شاتريت عضو الكنيست الإسرائيلي عن حزب كاديما، ولا نعلم ما إذا كان الوفد قد التقى بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء وايفغدور ليبرمان وزير خارجيته وإيهود باراك وزير دفاعه، ولا بد أن الأيام المقبلة ستكشف لنا الكثير من الأسرار في هذا الخصوص.

لا نستغرب سفر وفد الزعيم القذافي إلى تل أبيب فهناك سوابق عديدة في هذا الصدد جرى الكشف عن بعضها وإخفاء البعض الأخر، فقد تحدثت المصادر الإسرائيلية عن قيام السيد إسماعيل نفسه بزيارة إلى العاصمة الإسرائيلية على ظهر طائرة خاصة قبل عام التقى خلالها العديد من المسؤولين الإسرائيليين، ليعرض عليهم إقامة علاقات دبلوماسية اثر وساطة قام بها احد رجال الأعمال اليهود النمساويين المقرب من السيد سيف الإسلام نجل العقيد القذافي.

اليهود الليبيون فيما يبدو، هم دائما البوابة، إلى قلب إسرائيل ومسؤوليها، وقد كشفت صحيفة "الجيروزاليم بوست" أن الزعيم الليبي وجه دعوة في التاسع من يونيو العام المنصرم إلى ممثلي الشتات اليهودي الليبي في بريطانيا لزيارة طرابلس، ووصفهم بأنهم مكون أساسي في المجتمع الليبي في محاولة لتحسين صورته الدولية،

وعادت الصحيفة نفسها وقالت أن السلطات الليبية بعثت رسالة بالفاكس إلى رفائيل لوزون رئيس طائفة يهود ليبيا، بدعوة إلى حوار متعلق بمستقبل ليبيا، على ضوء الحرب الأهلية بين أنصار العقيد القذافي والثوار الطامحين للإطاحة بحكمه (وسبق أن أشرت إلى هذا الأمر منذ أسابيع).

اللهم لا اعتراض على دعوة اليهود الليبيين للعودة إلى ليبيا والإقامة فيها، فهناك قرار صادر عن الجامعة العربية يشجع هذه العودة ولا يعارضها، لكن الاعتراض هو على النوايا الحقيقية تجاه هذا الغرام المفاجئ بهؤلاء وتوقيته، واستخدامهم كسلم للوصول إلى التطبيع، وطلب مساعدة تل أبيب، أو بالأحرى وساطة حكومتها، للوصول إلى السلطة في حال ثوار بنغازي، أو البقاء فيها مثلما هو حال العقيد القذافي وأولاده (وأنكر مرة أخرى بنفي الثوار الذي لم تعره الصحيفة القومية اعتبارا).

(..) عزاؤنا أن الثوار الحقيقيين في تونس ومصر لم يتهافتوا على إسرائيل، ولم يطلبوا مساعدتها، بل رفضوا، وأحفاد المجاهد عمر المختار الذي قدم نموذجا في الشهامة والكرامة والذود عن الأمة والعقيدة، ومحاربة الغزاة، مطالبون وهم الأغلبية الصامتة الشريفة بالثورة ضد النظام ومعارضيه معا، وتطهير ليبيا من كل ما علق بها من شوائب بسبب صراع هؤلاء الشرس على كرسي حكم يريدون أن تكون ركائزه إسرائيلية أو استعمارية غربية أو الاثنين معا. انتهى.

وكان مراسل الشؤون العسكرية في القناة الثانية التجارية الإسرائيلية، "روني دانينيل"، قد كشف (طبقا لما أوردته الصحيفة نفسها) النقاب عن أن وفدا ليبيا رسميا وصل إلى بعدما حصل على تأشيرة دخول من السفارة الإسرائيلية في باريس، وقال المراسل أن الوفد الذي أرسل شخصيا من العقيد معمر القذافي بهدف للقاء زعيمة حزب "كاديما" المعارض، "تسيبي ليفني"، وبهدف تحسين صورة العقيد معمر القذافي في إسرائيل ونقل رسائل أخرى من العقيد على أقراص رقمية للجهات الأمنية، ولم يتم الكشف عن فحواها .

ونقل التلفزيون الإسرائيلي عن مصادر سياسية وأمنية في تل أبيب قولها إن الوفد ضم أربعة مسؤولين في نظام القذافي، وأشارت المصادر إلى ما نشرته إحدى الصحف الخليجية قبل فترة وجيزة بأن نظام القذافي أرسل مبعوثا لإسرائيل لإقناعها بفتح سفارة لها في طرابلس، وهو ما ترفضه إسرائيل حاليا .

وقالت المصادر إن ليفني، وعندما علمت بطلب الوفد الليبي الاجتماع بها، أبلغت أجهزة الأمن في الدولة العبرية وحصلت منها على إذن للقائه، وأضافت أن الوفد بقي في إسرائيل لمدة أربعة أيام التقى خلالها بعضو الكنيست من حزب كاديما "منير شطريت"، كما زار مدينة "نتانيا" الواقعة إلى الشمال من تل أبيب، حيث يسكن عدد كبير من المهاجرين اليهود من ليبيا .

ووصف مراسل القناة الثانية الزيارة بـ'الغريبة التي لن تغير شيئا'، ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد إن كان الوفد التقى شخصيات رسمية من الحكومة الإسرائيلية. وأشار إلى أن ليفني كانت قد ألمحت في بداية الثورة الليبية إلى أنها تدعم الثوار ضد القذافي.

جدير بالذكر أن صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية، باللغة الإنجليزية، كشفت في عددها الصادر يوم التاسع من يونيو المنصرم النقاب عن أن نظام القذافي دعا ممثلي شتات اليهود الليبيين في بريطانيا إلى زيارة طرابلس، ووصفهم بأنهم مكون أساسي في المجتمع الليبي في محاولة لتحسين صورته الدولية .

وقالت الصحيفة على موقعها الإلكتروني أن السلطات الليبية بعثت رسالة بالفاكس إلى رفائيل لوزون، رئيس طائفة يهود ليبيا يوم 29 من مايو يدعوه وقادة اليهود الليبيين هناك إلى المشاركة في حوار متعلق بمستقبل ليبيا على ضوء الحرب الأهلية بين أنصار القذافي والثوار (وهذا يؤكد ما سبق أن أشرت له)

وكانت مصادر عربية كشفت لصحيفة' الرأي' الكويتية في أواخر مايو المنصرم النقاب عن أن العقيد القذافي أرسل مبعوثا خاصا إلى إسرائيل عارضا تحالفا معها وفتح سفارة لها في طرابلس، لكن إسرائيل رفضت العرض واعتبرت انه جاء متأخرا نظرا إلى انه لا يخدم سياستها في أي شيء في هذه الأيام.

وأوضحت المصادر أن المبعوث هو محمد إسماعيل، أحد أبرز مساعدي سيف الإسلام نجل الزعيم الليبي والضابط في جهاز المخابرات الخارجية الذي يشرف عليه العقيد عبد الله السنوسي (..) وأبلغ المسؤولون الإسرائيليون إسماعيل بأنهم ليسوا معنيين بإقامة علاقات مع "نظام منبوذ"، كون ذلك سيجعل بلادهم في مواجهة مع الولايات المتحدة وكل دول الاتحاد الأوروبي، لكن إسرائيل الرسمية رفضت التعقيب على هذه المعلومات، ونشرت القدس العربي في اليوم التالي مباشرة تكذيبا أصدره المسؤول الليبي، وأكد إسماعيل انه لم يزر مطلقا تل أبيب، كما انه لم يزر باريس منذ شهر ونصف الشهر. انتهى.

وكانت الصحيفة نفسها قد نشرت في اليوم السابق مقالا من القاهرة نسب لوكالة أنباء لا أعرفها، اسمها (د ب أ): يقول فيه من يسمى "مفتاح الواعر"، الذي يترأس وفدا من عشرين شخصا يزور مصر حاليا ادعى أنه يمثل القبائل الليبية، إن العقيد معمر القذافي تخلى منذ عام 1977 عن أي موقع رسمي ولم يعد يحكم ليبيا بعد أن اختار شعبها النظام الجماهيري الذي يقوم على المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية (ولن أدخل في استعراض المتناقضات القذافية والأكاذيب المألوفة فقد مللت من ذلك) وفي تصريحات لصحيفة الأهرام نشرتها الثلاثاء أكد الواعر أن القذافي "قائد تاريخي ورمز لليبيين وقيمة أخلاقية واجتماعية للشعب وليس من اللائق بعد كل هذه السنوات في خدمة ليبيا وشعبها وتطهير أراضيها من الاستعمار وحماية ثرواتها أن يطلب منه الرحيل وترك البلاد (يا سلام).

وردا علي سؤال حول قيام كتائب القذافي بالاعتداء علي المدنيين الليبيين في مختلف المدن، لفت الواعر إلي أنه "ليس هناك ما يسمى بكتائب القذافي وإنما هناك طلائع الشعب المسلحة والمكونة من متطوعين (؟؟) للدفاع عن المدن والمرافق الحيوية الليبية"، وتساءل "هل يمتلك أحد دليلا يثبت قيام هذه الطلائع بأي اعتداءات؟ (إلى هذه الدرجة تبلغ وقاحة مرتزقة الأخ الحقيد) واتهم من وصفهم بالمتمردين بالحصول علي أحدث الأسلحة وبكميات هائلة من كل بريطانيا وفرنسا (والغريب أن بريطانيا رفضت علنا تزويد الثوار بالأسلحة، حتى الدفاعية منها) منددا بضراوة الهجمات التي تقوم بها طائرات حلف شمال الأطلسي (ناتو) و"التي لم تسلم منها المساجد والكنائس والمنازل الأمنة والتي تشن هجماتها في أوقات الفجر والعصر وصلاة الجمعة ولم تترك خزانات المياه أو المدارس أو الأطفال أو الشيوخ والنساء، وقال إنه بوسع الشعب الليبي حل المشكلات الداخلية وحده وليس في حاجة إلى أطراف أجنبيه للتدخل في هذا الشأن الداخلي، معتبرا أن الأمر لا يعدو كونه مؤامرة كبرى علي ليبيا وشعبها والوطن العربي. انتهى.

وهذا الكلام لا يصدر على الهوى، بل هو تعليمات واضحة يجب أن توضع بجانب التحركات الدبيلوماسية المحمومة والتحركات العسكرية المتشنجة لنظام العقيد.

ومع اقتراب منتصف يوليو نشرت القدس العربي تحت عنوان يقول : بوادر حلول سياسة بعد أشهر من العمليات العسكرية- حلف الناتو سيقصف ليبيا في رمضان إذا شكل القذافي تهديدا، جاء فيه: أن الحلف سيواصل قصف ليبيا حتى في شهر رمضان إذا استمرت قوات الزعيم معمر القذافي في تهديد المدنيين، لكنه يريد حلا عمليا للحرب في اقرب وقت ممكن.

وقال المتحدث العسكري باسم الحلف: علينا أن ننتظر ونرى ما إذا كانت قوات القذافي ستواصل قصف الناس في ليبيا وإلحاق الأذى بهم، إذا فعلوا ذلك فنحن نعتقد أن هناك خطرا على أرواح الشعب الليبي.. حلف شمال الأطلسي سيستخدم التفويض الممنوح له لحماية هذه الأرواح، وقالت المتحدثة باسم حلف الأطلسي، أن الحلف يأمل أن تنهي قوات القذافي هجماتها ليس في رمضان فحسب بل على الفور ويريد أن يرى تقدما خلال اجتماع مجموعة الاتصال بشأن ليبيا يوم الجمعة في اسطنبول، وأضافت: مثلما قلنا من البداية يجب أن يكون هناك حل سياسي لهذا الصراع وكلما جاء أسرع كان أفضل، ومجموعة الاتصال يمكنها تقديم إسهام حاسم للبحث عن حل سياسي يستجيب للتطلعات المشروعة للشعب الليبي، والأمين العام للحلف سيحضر الاجتماع مع وزراء خارجية من دول غربية وعربية وقادة المعارضة الليبية ويأمل أن ينتهي الاجتماع بأفكار واقعية وعملية.

وكان نائب وزير الخارجية الليبي "خالد الكعيم" قال الأسبوع الماضي انه سيجري التوصل لحل للصراع قبل بداية رمضان، وعبر وزير الخارجية التركي "أحمد داود أوغلو" عن أمله في إيجاد أطار للحل.

وقال وزير الخارجية الفرنسي ألان جوبيه أمس أن مناقشات واسعة النطاق تجرى لإنهاء الأزمة الليبية وان "مبعوثين" يقولون أن الزعيم الليبي معمر القذافي مستعد لترك السلطة، وبعد حوالي أربعة أشهر من القصف الغربي بقيادة فرنسا وبريطانيا لا يزال القادة الدوليون في حيرة إزاء كيفية إنهاء حرب فشل فيها المعارضون من توجيه ضربة حاسمة لقوات القذافي.

ثم يتراجع جوبيه تاكتيكيا ويقول أن بإمكان القذافي البقاء في ليبيا إذا تنحى وأبناؤه عن السلطة.

وطالب وزير الدفاع الفرنسي في مطلع الأسبوع المعارضة بإجراء مفاوضات مباشرة مع معسكر القذافي الأمر الذي يسلط الضوء على تنامي القلق بشأن من حالة الجمود في الأزمة الليبية، ويقول دبلوماسيون أن

مبعوثين من باريس وطرابلس التقوا في باريس وبروكسل وتونس في الأسابيع الأخيرة من دون إحراز تقدم يذكر.

ويحدث تطور لافت للنظر إثر زيارة وزير الخارجية الإيطالي للجزائر في الأسبوع الثاني من يوليو، فقد قال وزير الخارجية الجزائري، مراد مدلسي، إن الجزائر تؤيد حلا سياسيا للأزمة الليبية، أساسه استبعاد العقيد معمر القذافي وعائلته من طاولة الحوار السياسي والمصالحة الليبية، بما أن هذا المسعى التزم به القذافي شخصيا، عبر اقتراح "مالابو" (عاصمة غينيا بيساو) للاتحاد الإفريقي، بعدم المشاركة في الحوار السياسي الليبي، وأكد مدلسي، أمس، في ندوة صحفية مع نظيره الإيطالي، "فرانكو فراتيني"، الذي يزور الجزائر: بأن القذافي التزم بما جاء به الاقتراح، ولا مانع للجزائر في استبعاده من الحوار السياسي الليبي، بما أنها رغبة شخصية من العقيد معمر القذافي، مشيرا في الوقت ذاته، بأن اتهامات المجلس الوطني الانتقالي الليبي مردودة عليها، وبأن التطرق إليها مجددا ما هو إلا مضيعة للوقت.

من جهته، قال وزير الخارجية الإيطالي "فرانكو فراتيني"، بأن "الحل السياسي للأزمة الليبية صار يطرح نفسه بقوة على أرض الواقع"، بل "وصار الحل الوحيد الممكن والمستعجل في نفس الوقت"، مشيرا إلى أن الجزائر بإمكانها لعب دور مهم في هذا الإطار، وإيطاليا والجزائر تؤيدان حلا سياسيا للأزمة الليبية.

وأوضح الرجل الأول في مبنى "لافارنيزينا" (مقر وزارة الخارجية الإيطالية) بأن اقتراح الاتحاد الإفريقي سيناقش كحل سياسي، الأسبوع المقبل، خلال اجتماع بمدينة اسطنبول التركية حول الأزمة الليبية، والذي سيبحث سبل التوصل لوقف إطلاق النار بين الطرفين، ووضعهما على طاولة المفاوضات، لكن مع شرط استبعاد القذافي وعائلته من هذا الحوار السياسي، الذي يمكن أن تكون الأمم المتحدة خير مؤطر له وفق خارطة طريق متفق عليها، مؤكدا على أن الليبيين وحدهم من يقرر من يمثلهم في هذا الحوار، الذي يضمن الوحدة الترابية لليبيا[363].

ومن بين معالم الاختراق الإعلامي افتتاحية نشرتها صحيفة جزائرية متميزة جاء فيها : تشير بعض الأخبار إلى أن عصابات طرابلس الليبية، أو ما يسمى بالمجلس الثوري (ويلاحظ أنه يقول عصابات طرابلس وليس بنغازي) قد عدل عن التسريح (المقصود بالطبع ...التصريح) للوفد البرلماني الجزائري (وللمرة الأولى أسمع بهذا الوفد) بزيارة سجون طرابلس (المقصود بالطبع سجون بنغازي) التي يدّعي أنها تأوي مرتزقة جزائريين، أرسلهم النظام الجزائري لمساندة القذافي للقتال إلى جانبه، ضد ما يسمى (!!) بالثوار، وكشف هذا المجلس، أن الحلف الأطلسي هو الذي تراجع وسحب الإذن الذي كان قد أصدره للوفد البرلماني الجزائري (لم نعرف أين تم الكشف). هذا يعني أن ثمة أمورا خطيرة تتعلق بالوضع الجديد في ليبيا، لا يفهمها البعض، ويتجاهلها البعض، ويعمل على تكريسها البعض الأخر، ومن هذه الأمور، أن الحلف الأطلسي - وبالتحديد انجلترا وفرنسا وخصوصا فرنسا - هو صاحب القرار والحل والربط، في جانب "الثورة والثوار" والفوضى والإجرام الذي يطغى عليه (نفس كلام سيف الإسلام القذافي المنشور أمس) ومنها كذلك، أن فرنسا وعملاءها من أشرار (!!) بن غازي، تريد أن تستمر بكذبة المرتزقة الجزائريين إلى نهايتها، وجعلها واقعا مفروضا على الرأي العام العالمي، خاصة في ظل جمود الدبلوماسية الجزائرية في هذا المجال، وعدم تعاملها مع هذه الهجمة الشرسة بالحزم والعزم المطلوبين، حتى إن هذه الشرذمة من المجرمين المتآمرين سارعت، أول أمس، فقط إلى تجديد اتهاماتها للجزائر، على لسان الناطق الرسمي باسمها المدعو عبد الحفيظ غوقة، في تصريح لوكالة الأنباء الفرنسية بالذات، والذي دعا الجزائر "إلى وقف المساعدات الجزائرية للقذافي برا وجوا...".(..) كل هذا يعني أن سقوط ليبيا أو جزء منها في يد عصابات طرابلس (يقصد ...بنغازي) المدعومة من فرنسا، هو استحواذ هذه الأخيرة على كل ما من شأنه المساس بسيادة الجزائر وضرب استقرارها الداخلي ووحدتها الترابية، وهذا هو هدف فرنسا منذ عشرات السنين. انتهى.

ورغم يقيني بحماقة بعض من يتحدثون باسم المجلس الانتقالي، الذين استغل النظام وبعض الجيران سذاجتهم واندفاعهم الأحمق، فإن أخبارا كهذه تبدو مدسوسة على إعلامنا بشكل مفضوح ومضحك في الوقت نفسه، ويكفي الخلط بين طرابلس وبنغازي لكشف الفبركة.

---

[363] - الشروق الجزائرية – 13 يوليو

وبينما صوت البرلمان الفرنسي على تمديد مدة التدخل الفرنسي في ليبيا ألزمت محكمة مصرية الجهة الإدارية باتخاذ ما يلزم من الوسائل التقنية والفنية لعدم تمكين القنوات الـ 14 المحسوبة على نظام معمر القذافي من التقاط أية إشارة بث على القمر الصناعي "النيل سات"، والقنوات المعنية بالحكم هي "قناة Libya TV، وقنوات الجماهيرية الليبية، والشبابية، والليبية، والمدينة، والمنارة الليبية، وليبيا، ووطني الكبير، وليبيا الرياضية، وقناة ليبيا الرياضية مباشر، وليبيا المنوعة، وليبيا الهداية، والتوصل، والبديل" (وحتى الأسبوع الثالث من يوليو لم يكن القرار قد دخل حيز التنفيذ، ويبدو أن ملايير النظام تحاول التأثير في كل اتجاه وكل مكان) وتبين للمحكمة أن تلك القنوات بثت، تحت سمع وبصر كل الجهات، مجموعة كبيرة من المواد والبرنامج تضمنت إهدارا لقوانين ولوائح ومواثيق البث الفضائي، وحرضت على قتل المتظاهرين سلميا، ووصفتهم بأقذع الصفات وتطاولت عليهم، وأساءت إليهم بألفاظ تعف مدونات الحكم أن تتضمنها، كما أنها أذت سمع المحكمة، التي حرصت على **سماع كل كلمة** لأمانة أداء الواجب، حيث تم الإساءة إلى مصر والحكام العرب بأبشع الألفاظ، ومنها ما جاء على لسان الرئيس الليبي نفسه ونجله، وما جاء على لسان بعض المذيعين، ووصف المعارضين بالعاهرات وظهور أحد مقدمي البرامج بسلاح ناري يهدد فيه الثوار الليبيين، وأكدت المحكمة أن المخالفات الثابتة قد تجاوزت حد إنذار تلك القنوات بما لا يرجى معه فائدة أو جدوى.

وأكدت المحكمة في حيثياتها على اختصاص كل من الهيئة العامة للاستثمار والمنطقة الحرة الإعلامية بالموافقة على البث الفضائي والرقابة والتفتيش على القنوات الفضائية وخضوع البث أو منعه ووقفه لأحكام قانون وضمانات حوافز الاستثمار ولائحته التنفيذية (..)

وقالت المحكمة إن الثورات العربية عانت من وسائل الإعلام الخاضعة لسياسات دول أو شركات تعمل على التعتيم الإعلامي ونشر الشائعات وترويج الأكاذيب، للحفاظ على الأنظمة القائمة، وأن شعبا بتاريخ وحضارة وأصالة وعراقة وريادة الشعب المصري لجدير بأن يكون موطنا للأخلاق الفاضلة.انتهى.

ويعود اللغط الإعلامي فتنشر صحيفة "فاينتشال تايمز" الصادرة الأربعاء 13 يوليو خبرا عن مصادر مطلعة على الاتصالات غير الرسمية بين النظام الليبي وأعضاء التحالف بقيادة منظمة حلف شمال الأطلسي (ناتو) الداعمين للمعارضة الليبية المسلحة، أن العقيد معمر القذافي أبدى استعداده للتنحي إذا تم الوفاء بشروط معينة، تتضمن السماح له بالبقاء في ليبيا، وإسقاط تهم المحكمة الجنائية الدولية ضده، وحذرت مصادر مقربة من التحالف من أن تحركات القذافي "يمكن أن يكون الهدف من ورائها (..) أن الزعيم الليبي يصرّ على السماح لنجله سيف الإسلام بلعب دور في أي عملية لنقل السلطة بعد رحيله.

ويعتقد القذافي، حسب هذه المصادر "أن التحالف الدولي يفقد صبره وشرع لهذا السبب في إجراء اتصالات لكنه لن يكون جاداً في بدء مفاوضات حقيقية إلا حين تقترب قوات المعارضة من طرابلس".انتهى

ثم تبث تصريحات لرئيس الوزراء الليبي تتحدث عن إيقاف النظام تعامله مع شركات البترول الإيطالية، وهو ما يضاف إلى تهديدات العقيد بإرسال إنتحارييه إلى أوربا انتقاما منها، والتي تؤكد أن الرجل فقد أعصابه وأنه أصبح أسير نوبات تشنجية متواصلة، تسيء له ولتاريخه وقبل ذلك..لمستقبله.

وتعود شطحات العقيد إلى سطح الساحة الإعلامية فتنشر صحيفة "إزفستيا"[364] الروسية تصريحا لموفد الكرملين إلى ليبيا "ميخائيل مارغيلوف" الخميس يقول فيه أن نظام العقيد معمر القذافي لديه خطة "انتحارية" تقضي بتفجير العاصمة طرابلس في حال هاجمها الثوار، وقال مارغيلوف الذي زار ليبيا الشهر الماضي في المقابلة إن "رئيس الوزراء الليبي قال لي في طرابلس انه إذا استولى الثوار على المدينة فسوف نغطيها بالصواريخ ونفجرها"، وتابع الموفد الذي يتكلم العربية "اعتقد أن نظام القذافي لديه فعلا خطة انتحارية من هذا القبيل"، ومن جهة أخرى شكك موفد الكرملين بفرضية أن يكون النظام الليبي يعاني نقصا في الذخائر، وقال "من المحتمل نظريا أن تنفد ذخائر الدبابات والأسلحة الخفيفة في طرابلس، لكن (العقيد) لديه الكثير من الصواريخ والمتفجرات، وهو لم يستخدم بعد صاروخا واحدا أرض- أرض. انتهى.

وواضح أن الموفد الروسي استعمل إعلاميا، تماما كما استعمل بطل الشطرنج الروسي، وكلاهما من نفايات المخابرات السوفيتية (KGB) ، فالهدف من تسريب خبر تدمير طرابلس يستهدف ترهيب سكان

---

[364] - كانت هناك نكتة عن الصحافة الروسية وتناقض أسمائها مع مسمياتها، وتقول النكتة، إشارة للصحيفتين البرافدا، أي الحقيقة، والإزفستيا، أي الأخبار : ليست هناك برافدا في"الإزفستيا" وليست هناك إزفستيا في "البرافدا".

العاصمة الليبية مما يُمكن أن يصيبهم إذا دعموا الثوار، وفي الحالتين تبرز حالة الذعر التي يعيشها النظام، والتي كشفت أن العقيد فقد أعصابه تماما فراح يسب الرئيس الفرنسي ويعيره بأصله الروماني ويدعو الشعب الفرنسي، المعروف بدوره الحضاري كما قال، لطرد هذا المجرم، وكلها ألفاظ وتعبيرات لا تليق بزعيم دولة يقدم نفسه كمفكر عالمي، وتؤكد أن كل ما شاهده العالم كان طلاء فكريا زائفا لرجل سوقي شرير.

ويحمل اليوم التالي الجديد بالنسبة لتلك التصريحات الحمقاء، فقد نفى رئيس الوزراء الليبي البغدادي المحمودي ما تردد من تصريحات لمبعوث الرئيس الروسي إلى ليبيا "ميخائيل مارجيلوف" بأن كتائب القذافي ستقصف طرابلس بالصواريخ إذا اقتربت منها 'عصابات الخونة (الثوار) وقال المحمودي في تصريح للوكالة الليبية للأنباء، "هذا الكلام محض افتراء وعارٍ من الصحة تماما، ولم يرد إطلاقا لا من قريب ولا من بعيد في اجتماعه مع المبعوث الروسي" وأضاف بالقول إن "المبعوث الروسي، قد أبلغني في وقت لاحق أن هذا الكلام لم يصدر عنه إطلاقا، وأنه سيقوم بتكذيبه (القدس العربي 15 يوليو) انتهى

وفي انتظار أن يكذب الروسي ما نسب له تظل تصريحات المسؤول الليبي ثابتة، حتى وإن كانت تعبيرا عن كلمات قيلت في لحظة يأس، لأنها تكشف خلفيات مسؤولي طرابلس، وهو ما يؤكده ضمنيا القائد الكندي لمهمة حلف شمال الأطلسي في ليبيا، الذي قال يوم الخميس 14 يوليو، أن الزعيم الليبي، معمر القذافي، أمر جنوده بتفجير مصاف نفطية ومنشآت أخرى إذا اضطروا للتراجع.

(8)

تزايدت، مع دخول النصف الثاني من يوليو، علامات التوتر والخلل الفكري على العقيد القذافي، ووجهت قوات الثوار في مصراتة بآلاف الألغام المزروعة في طريها بشكل عشوائي سيكون بالغ الخطورة على حركة الأفراد، وخصوصا بعد هدوء الأوضاع، حيث لا توجد خرائط لتحديد أماكنها..

وكان من المضحك أن الرجل الذي نعت خصومه بالجرذان تحول هو نفسه إلى جرذ يلوذ بالأنفاق والمغارات هو وأبناؤه، ولا يلتقي حتى أقرب الناس له، ويواصل إرسال خطبه المسجلة بالهاتف لمواطنين تقول تلفزة الجماهيرية أنهم يوما في "زليتن"، ويوماً في "سبها" وقبل ذلك في الساحة الخضراء، وهي الساحة الوحيدة التي عرفت حشودا جماهيرية هامة تهتف باسم العقيد، وتقول البعض بأنها نفس الجماهير في كل ساحة عمومية، وهو ما لا أؤكده أو أنفيه، لكنني أعرف أن "العقيد" لم يعد يجرؤ على الخطابة فيها برغم أنه يعرف أن "الناتو" لا يمكن أن يهاجم ساحة عمومية، خصوصا في حالة وجود بث تيليفزيوني مباشر.

وكانت مجموعة الاتصال الدولية حول ليبيا أعلنت في تركيا اعترافها بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي باعتباره ممثل الشعب الليبي و"سلطة حكومية" في ليبيا، وتنشر القدس العربي يوم 16 يوليو المقال التالي، والذي أعيد نشر معظم أجزائه لأن له دلالاته.

صرح العقيد الليبي معمر القذافي الجمعة في خطاب نقلته مكبرات الصوت بأن اعترافات الغرب بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي المعارض هي "اعترافات بالخيانة"، قائلا لأنصاره :"دوسوا بأقدامكم على قرارات الاعتراف بالخيانة، على كل تصريحات الدول الغربية وحلف الناتو، وعلى تصريحات الدول الأوروبية. دوسوا بأقدامكم على اعترافاتهم بالخيانة وقراراتهم وتصريحاتهم المستفزة لكم، دوسوا عليها بأقدامكم، دوسوا على قراراتهم التي تتكلم عن الانتخابات الأضحوكة (هنا، دفعهُ الغضب الهستيري إلى تكذيب تصريحات سيف الإسلام عن الانتخابات وعن المرحلة الانتقالية !!) أي مرحلة انتقالية يا جهلة ؟ أنظروا إلى الشعب الليبي كيف يدوس على كل شيء بأقدامه (..) :أنتم تواجهون ملايين تريد الاستشهاد لأن مأواها الجنة ومأواكم النار، أنتم غلطتم غلطة تاريخية، فأخرجوا من هذه الورطة قبل فوات الأوان... أنتم يا من كنتم أصدقائي في أوروبا ننصحكم أخرجوا من هذه الورطة قبل فوات الأوان، نعطيكم مخرجا وحيدا أخرجوا منه

وهو الرجوع إلى بلادكم، الانسحاب من أجوائنا ومن مياهنا، اتركوا الخونة يواجهون مصيرهم أمام الشعب الليبي.انتهى

ومع اقتراب شهر رمضان تتزايد خطب القذافي الهستيرية، ويقول العقيد في خطاب بثته مكبرات الصوت : نحن في أرضنا وسنقاتل حتى آخر قطرة من دمنا دفاعا عن شرفنا ونفطنا وثرواتنا (..) الحرب فرضت علينا، وخيارنا الوحيد هو أن نقاتل، رجالا ونساء وأطفالا، بسلاح أو من دون سلاح لتحرير بنغازي ومصراتة' والجبال الواقعة جنوب غرب العاصمة، (وكلها مناطق يسيطر عليها الثوار) سنزحف على هذه المدن التي استولى عليها "الخونة" ومرتزقة النيتو ونستعيدها، قنابل النيتو لا تخيفنا (طبعا لا تخيفه، فليس هو من يواجهها، وهو يدعو أنصاره لتحرير تلك المناطق بينما يظل مختبئا كالجرذ مع أبنائه)

ويؤكد رئيس المجلس الانتقالي أنه يعرف العقيد أكثر من غيره فيقول : أن العقيد القذافي "لن يتنازل أو يترك حكم ليبيا وهو حي" (..) لا نتوقع أن يتنازل القذافي بسهولة أو وهو حي عن هذا الكنز العظيم الذي يديره لحسابه هو وأسرته (..) نحن لا ننكر جهد الأصدقاء والحلفاء من أعضاء حلف الأطلسي أو الأصدقاء العرب والأوربيين (..) ولكن يسعدنا ويشرفنا جدا أن تكون نهاية معمر القذافي علي يد الليبيين أنفسهم ونحن حريصون علي ذلك.انتهى.

ومع احتفالات مصر بثورة 23 يوليو ومحاولات ربطها تاريخيا بثورة يناير يرتفع صوت الحقيد، والذي بدا وكأنه يتحدث عن نفسه ولنفسه، فيقول (ق.ع.عن AFP عن التلفزة الليبية) أن الرئيس المصري السابق حسني مبارك "رجل فقير ومتواضع"، ويحب شعبه و'لا يستحق هذه البهدلة (..) ولولا هذا لكنت أنا أول من يهاجمه ويكشفه مثلما نكشف في الحكام الأخرين (لم يكشف العقيد موبوتو وبوكاسا وسيكوتوري ودبي وبانغو وموسيفيني وبقية المستبدين في إفريقيا، بدون أن ننسى تعاطفه مع زين العابدين) مبارك كان "يشحت" من أجلكم، يأتي إلي يشحت مني عبّارات من **أجلكم** (لست أدري لماذا تذكرت مسرحية "الزعيم" لعادل إمام) ويذهب للسعودية يشحت منها العبارات، ويأتي يشحت مني قاطرات السكة الحديد .(..) لتركبوا فيها أنتم (..) بدل ما يكرم يهان (..) كان معرضا نفسه للخطر ليدافع عنكم ويموت من أجلكم، طيار يقاتل القوات الإسرائيلية وهي تهاجم مصر (..) من ما زال سيُخلص لمصر عندما يرى نهاية حسني مبارك (...) من ما زال سيضحي أكثر من تضحية حسني مبارك؟.

وقال القذافي :إذا كان هي في النهاية دستور وانتخابات ورئيس ما تخلوا الرئيس الأول يتم مدته وتقولوا له مع السلامة (..) مصر يجب أن يحكمها الشعب المصري (...) ينتظم في مؤتمرات شعبية في لجان شعبية وتعالوا عندي (؟؟) لنشرح سلطة الشعب في النظام الجماهيري وكيف تكون المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية.

وأضافت صحيفة البلاد الجزائرية التي أوردت "الدُرَر" بأن العقيد اتهم في خطابه عمرو موسى بأنه عميل لقطر، وبأنه سيكون عميلا تابعا لها إذا تم اختياره رئيسا للجمهورية، وهدد بقطع العلاقات بين طرابلس والقاهرة في حالة وصوله للسلطة. انتهى.

والمهم أن كل تلك الترهات بدت محاولة من القذافي لكي يدافع عن نفسه ضمنيا، ثم النفي الصريح لسقوط آلاف القتلى في ليبيا، وقال : أين هي هذه الآلاف، أين هي مدفونة وأين هويتهم وما اسمهم وأين عائلاتهم، قالوا لنا بالآلاف سنظل أكثر من عشر سنوات ونحن ندفن فيهم كيف اختفوا بسرعة هؤلاء، وأكد أن ثمانية أشخاص فقط قتلوا ويجري تحقيق لمعرفة ظروف موتهم، مؤكدا أنه "لم تكن هناك تظاهرات ولا إطلاق نار".انتهى.

وتقول مصادر النظام الليبي أنه لا حوار قبل أن يوقف "الناتو" ضرباته، وهو أمر منطقي إذا تزامن مع وقف كتائب العقيد لضرباتها الصاروخية، وهو ما لم يحدث.

ثم ترتفع من جديد مقولة أن قيادة العقيد لليبيا ليست مطروحة في أي حوار، وهو تناس بليد لما كرره أكثر من ألف مرة من أنه لا يملك أي منصب قيادي.

ثم يعود ابن ال...عقيد ليقول في تصريح مصور بثته الجزيرة صباح 2 أغسطس أنه : لن يوقف القتال حتى لو أوقف "الناتو" ضرباته الجوية، ولست أدري ماذا يمكن أن يُقال عن تصريحات كهذه وكتلك، وهل هي جهل مطبق أو فجور صارخ أو استخفاف بعقول السامعين أو مزيج من كل هذا.

وبعد الزيارة التي قام بها إلى الجزائر وفد أطلق على نفسه وفد القبائل الليبية (وكنت أشرت لتصريحاته) استدعت السلطة الليبية إلى طرابلس عددا من مشايخ الجزائر، وقالت عنهم الشروق في 30 يوليو: سقط الوفد

الجزائري، الذي قيل إنه ذهب إلى ليبيا من أجل الوساطة بين طرفي النزاع، في فخ الترويج لشطحات القذافي وأفكاره الغريبة التي تجاوزها الزمن، حيث استضافت الفضائية الليبية الشيخ "علي عية"، رفقة شيخ زاوية، فأطنبا في مدح القذافي وذم خصومه في المعارضة الليبية، وتكلموا بلغة الفقهاء، مؤكدين أن القتال ضمن صفوف الثوار لا يجوز شرعا، وهاجموا العلماء الذين تصدوا للقذافي، مؤكدين أنهم قبضوا ثمن وقوفهم ضد "القائد العظيم ملك ملوك إفريقيا" معمر القذافي، ورغم حديثهم المطول عن هؤلاء العلماء، إلا أنهم لم يجرؤوا على ذكر الشيخ يوسف القرضاوي بالاسم، مع أن الحديث كان كله حوله، ولم يجد هؤلاء الشيوخ الذين استعان بهم النظام الليبي المتهاوي ما يجادلوا به، إلا القرار الذي اتخذه القذافي بعد انقلابه على الملك إدريس بمنع بيع الخمور، ليتحول إلى قائد مسلم لا يجوز انتقاده أو الخروج عليه.انتهى.

ومع نهاية يوليو تتصاعد نغمة أخرى تؤكد أن أوروبا لم تكن تتمتع بنظرة بعيدة لسير الأحداث، وانعكست على افتتاحيات الصحف، التي خصص معظمها افتتاحيات لمناقشة الأزمة الليبية، فتحت عنوان "وقف إطلاق النار وتفاوض" قالت "اندبندنت" أنه لا يمكن إجبار القذافي على الذهاب إلى المنفى بقتبلة، وأشارت إلى اعتراف كل من باريس ولندن بالواقع الذي يقوم على أن بقاء القذافي في ليبيا مرتبط بقبوله التنحي عن السلطة، ورأت أن (..) تغير هدف العملية على ليبيا من حماية المدنيين إلى تغيير النظام أظهر أن الحملة كلها قامت على (..) فهم ساذج وهو تداعي النظام الليبي في اللحظة التي تبدأ فيها طائرات الناتو التحليق فوق سماء ليبيا . (..) وتختم بالقول أن القذافي اظهر قدرة على التمسك بالسلطة على الرغم من 40 غارة جوية عليه يوميا ، وكل هذا بسبب سياسة خارجية متهورة.

وبنفس السياق ذهبت "الغارديان" في افتتاحيتها وقالت (..) عن العملية التي بدأت بوقف قوات الحكومة من التقدم نحو بنغازي ولكنها وإن أنقذت المدينة إلا أن المقاتلين لم يتقدموا كثيرا ولم يسقط نظام القذافي مثل بيت الورق، كما أن قواته لا تزال تتحرك بسهولة وتقوم بالتقدم وقصف المدن التي يسيطر عليها مقاتلو المعارضة والذين دائما ما يلومون قوات حلف الناتو بعدم القيام بجهود أكثر.

وعلى خلاف اللهجة الانتقادية التي وردت في افتتاحيتي "اندبندنت" و"الغارديان" دعت "التايمز" (..) إلى مواصلة القتال والقصف حتى يتم إنهاء النظام (..) إن ما يجري في ليبيا هو ثورة ويجب أن لا يكون مشروطا بحلول قصيرة الأمد، كما أن (..) لا أحد قال أن بريطانيا ليست مع الحل السلمي (..) وتختم بالقول أن من يناقشون ضد استمرار عمليات الناتو لا يملكون حلا لإنهاء الأزمة، وترى أن وقف الغارات سيعطي قوات القذافي الفرصة للتحرك وضرب قوات المعارضة مما يعني تقسيما دائما للبلاد (..) وتآكل قدرات النظام القمعية تظل الإستراتيجية الأفضل لإخراج القذافي من السلطة .(..) وطالما لم يكن العفو جزءا من الحل فان الكثيرين في العاصمة سيرفضون إلقاء السلاح ومواجهة المعارضة، فيما يخشى سكان طرابلس الانتقام منهم حالة وصل المقاتلون إليها.

وتكون خاتمة شهر يوليو الأنباء التي خرجت عن مقتل عبد الفتاح يونس في ظروف غامضة، أعلن مسؤول كبير في المجلس الانتقالي الليبي أن معمر القذافي اضطلع بدور في اغتيال اللواء عبد الفتاح يونس، الرفيق السابق للزعيم الليبي الذي أصبح رئيس أركان جيش الثوار وقال هذا المسؤول الكبير الذي طلب عدم الكشف عن هويته إن "تدخل القذافي واضح جدا في هذه القضية (..) وأن مقتله كان أمنية لدى العقيد القذافي حيث أن من المصلحة الإستراتيجية للقذافي دفع القوات المتمردة إلى الانسحاب من "البريقة" على الجبهة الشرقية، لكن "براح" النظام الليبي موسى إبراهيم القذافي قال، حسب بي بي : "أن اغتيال يونس صفعة للبريطانيين، لأن المجلس الذي اعترفوا به لا يتمكن حتى من حماية قائد جيشه، وقال إن تنظيم القاعدة هو الذي قتل اللواء يونس، مؤكدا أن التنظيم يمثل أقوى فصيل في حركة المعارضة، وهدفه تأكيد وجوده والنفوذ الذي يتمتع به في المنطقة الشرقية، وقال: "إن أعضاء المجلس الانتقالي يعرفون ذلك جيدا، ولكنهم لم يتمكنوا من الرد لأنهم يخافون من القاعدة."

أما الجنرال المصري المتقاعد "حسام سويلم" (ومعظم الجنرالات المتقاعدين هم على صلة مباشرة بالمخابرات المصرية، التي يتردد أنها تعرف الكثير عن ليبيا منذ مرحلة فتحي الديب) فيقول أن المخابرات الليبية الموالية للعقيد القذافي مسؤولة عن الاغتيال، معتبرا أن هذه العملية جاءت انتقاما لمقتل قائد المخابرات الليبي عبد الله سنوسي في طرابلس ، وشدد سويلم في اتصال هاتفي أمس مع الشروق أن قائد المخابرات الليبي عبد الله سنوسي قتل في فندق بالعاصمة الليبية طرابلس عند إطلاق قنيفة "اربي جي"، (وهو اغتيال لم يتأكد)

وأن رجاله انتقموا له باغتيال الجنرال عبد الفتاح يونس في عملية استخباراتية وصفها "بالغبية"، وقال حسام العمليات العسكرية على الجبهات الثلاثة (البريقة، الجبل الغربي، مصراته)، معتبرا أن عبد الفتاح يونس ورغم مكانته الكبيرة في الثورة إلا أنه ليس هو الثورة، ونفى بشدة أن يكون أي جناح داخل الثورة متورطا في مقتل اللواء يونس، وقال "ليس من مصلحة الثوار قتل قائدهم العسكري في هذا الظرف مهما كانت الأسباب"، مشيرا إلى أن الثوار يسيطرون على شرق ليبيا وعلى الجبل الغربي ومصرانه، وأرجع تباطؤ تقدم الثوار على جبهة البريقة إلى زرع 45 ألف لغم حول المدينة[365].

ويؤكد جنرال مصري أخر، هو الخبير الأمني والاستراتيجي سامح سيف اليزل، أن المخابرات الليبية وراء مقتل القائد العسكري للثوار الليبيين، معتبرا أن عملية الاغتيال تم التحضير لها منذ فترة طويلة، بحيث استطاع أحد عناصر المخابرات الليبية أن يصل إلى منطقة قريبة من عبد الفتاح يونس مكنت "مجموعته" من تنفيذ هذه العملية، واستبعد الجنرال في اتصال هاتفي مع الشروق أمس، أن تكون جماعة تابعة للثوار أو منشقة عنهم من وقفت وراء عملية اغتيال عبد الفتاح يونس، وأشار إلى أن جزءا من الثوار أشاعوا من قبل فكرة خيانة عبد الفتاح يونس ومع ذلك ظل يونس يحتفظ بعلاقات متينة مع المجلس الانتقالي الوطني.

وأوضح سيف اليزل أن الاحتمال الثاني لمقتل عبد الفتاح يونس قد يكون متعلقا بانشقاق ربما وقع داخل قبيلته "العبيدات" التي يوالي جزء منها القذافي وجزء أخر مساند للثوار، وقد يكون لهذا الأمر علاقة بمقتل القائد العسكري للثوار، وتوقع أن تكون لمقتل عبد الفتاح يونس آثار سلبية على الروح المعنوية والقتالية للثوار لفترة، خاصة وأن عبد الفتاح كان القائد الفعلي للثوار والمخطط لعملياتهم العسكرية.انتهى

لكن الاغتيال أعطى الفرصة للصحيفة القومية الكبيرة "القدس العربي" لكي تكتب افتتاحية (بدون توقيع طبعا) رأيت فيها تجسيدا للتحول الكبير في موقف الصحيفة والذي أشرت له سالفا، وأتصور أنه نتج عن اتهام مصطفى عبد الجليل لمدير الصحيفة الأستاذ عبد الباري عطوان بأنه تلقى دعما من العقيد القذافي، وهو خطأ سياسي لا ينسجم مع ما كنت أعرفه عن رئيس المجلس الليبي من رزانة ومسؤولية، وكنت أتمنى لو ترك التصريح، إن كان ضروريا، لأحد صغار المساعدين.

وكان رد الصحيفة اللندنية صاعقا، وبدا عنوان الافتتاحية المشار لها وكأنه يهلل للتطورات، وجاء فيه : : "تراجع بريطاني فرنسي مهم".

ونشرت الصحيفة عنوانا كبيرا كتب بخط كبير على امتداد كل أعمدتها، وجاء فيه : ليبيا : مقتل عبد الفتاح يونس ينذر بفوضى وصراعات قبلية وسياسية بين الثوار، وجاء ذلك تحت عنوان بخط أقل سمكا يقول : أطلق عليه الرصاص وأحرق، و"ماكين" يحذر المجلس الانتقالي من انتهاكات حقوق الإنسان.

وفي أعلى الصفحة وإلى اليسار مستطيل يحمل عنوان لمقال داخلي يقول: هزيمة القذافي بطعم الانتصار، أما الافتتاحية فجاء فيها:

لم يفاجئنا "وليم هيغ" وزير خارجية بريطانيا ونظيره الفرنسي "ألان جوبيه" عندما أعلنا في مؤتمر صحافي مشترك أن الزعيم الليبي معمر القذافي يمكن أن يبقى في ليبيا في حال تنحيه عن السلطة في إطار اتفاق سياسي لإنهاء الأزمة في البلاد، ولكن السيد مصطفى عبد الجليل رئيس المجلس الانتقالي الليبي هو الذي فاجأنا بتصريحه الذي أدلى به قبل يومين، وقال فيه أن المهلة بالسماح للقذافي بالبقاء في ليبيا قد انتهت مدتها ولم يعد هذا الأمر مطروحا على الطاولة، ولا بد من رحيله عن ليبيا نهائيا في إطار أي حل سياسي.

مصدر المفاجأة، أن السيد عبد الجليل يتحدث عن مهلة لم نسمع عنها من قبل، ولا نعرف متى تم التوصل إليها وفي أي إطار، ثم هل يمكن أن يكون وزيرا خارجية الدولتين، اللتين تتحملان العبء الأكبر من المشاركة في قصف ليبيا ومحاولة الإطاحة بالنظام فيها، وتوفران الحماية للمجلس الانتقالي ورجاله (ليست هناك عبارة واحدة عن حماية المدنيين) هل من المعقول أن الرجلين عندما عرضا فكرتهما هذه، حول بقاء القذافي في ليبيا، لا يعلمان بهذه المهلة التي تحدث السيد عبد الجليل عن انتهائها لان الزعيم الليبي لم يقبلها ويغادر البلاد؟ (..) هذا المجلس ينسى في كثير من الأحيان، أو بعض المسؤولين فيه، أنهم أسرى الدعم الغربي، والفرنسي

---

[365] - الشروق اليومي – الجزائر – 30 يوليو (وكانت هناك تعليقات غاضبة على اللواء، وكذبته بدون أن توثق تعليقاتها، ولأنها كانت موقعة بأسماء رمزية من نوع "أبو نجاح" أو "جزائري عربي" أو مصطفى من القاهرة، وكتب الاسم باستعمال (ph) بدلا من (F) كعادة المصريين، ويمكن أن توحي بجنسية من كتبها وهويته الوظيفية، وهو أسلوب معروف عن رجال الأمن في النظم الشمولية، والعلم عند الله.

والبريطاني منه على وجه الخصوص، وانه لولا هذا الدعم لما استمرا حتى الأن كقوة سياسية لها قوات عسكرية فاعلة على الأرض (كأن الافتتاحية جزء من بيان للسيد الكعيم).

ما نريد قوله أن صاحب القرار النهائي في قبول أي تسوية وشروطها لإنهاء المأزق الحالي في ليبيا هو التحالف الفرنسي ـ البريطاني بالدرجة الأولى، لان هذا التحالف هو الذي يخسر حوالى خمسة ملايين دولار يوميا في هذه الحرب، ويواجه انتقادات متزايدة من قبل برلمانييه بسبب الإقدام على الدخول في حرب طالت، بل تجاوزت، المدى الزمني المقرر لها أي نهاية هذا الشهر كحد أقصى.

بعد أربعة أشهر من القصف المتواصل من قبل قوات الناتو لأهداف عسكرية تابعة لنظام القذافي، ما زال الوضع على حاله تقريبا، فالرجل أي رأس النظام ما زال في الحكم، ويتمتع بتأييد قبلي إلى جانب تأييد شعبي في بعض المناطق الليبية، وقواته تدافع بشراسة عن بعض المواقع التابعة لها، وسمعنا خبراء غربيين يقولون انه بدأ يتأقلم مع الوضع وكيفية التعاطي مع هجمات طائرات الناتو، وهذا خبر سيء للمجلس الوطني الانتقالي مثلما هو سيء للقوى الداعمة له (ونحن لا دخل لنا).

ليبيا تعيش حاليا حالة من الجمود في ميادين المعارك، وتقدم قوات المجلس العسكري يتسم بالبطء، والشعب الليبي ضحية هذه الحرب، في شقيه سواء الخاضع لسلطات المجلس الانتقالي، أو لحكم النظام الديكتاتوري، بات يشعر بالضيق والضجر، بعد أن طال أمد معاناته نتيجة غياب الحسم، ولم يعد يتحمل هذه المعاناة وهو الذي يعيش في بلد نفطي ثري، خاصة أن شهر رمضان الفضيل بات على الأبواب.

الحل السياسي في ليبيا هو الخيار الأمثل، بل هو الخيار الوحيد الممكن للخروج من هذه الأزمة (ولست أدري من الذي قال غير ذلك) ونعتقد أن وزيري خارجية فرنسا وبريطانيا بتراجعهما عن مواقفهما المتشددة السابقة حول شرط خروج القذافي قد بدءا يقتربان من هذه الحقيقة. انتهى.

ولقد حرصت على نشر الافتتاحية كاملة لكي يدرك القارئ أي ظروف تعيشها الثورة الليبية، مع أعداء يتميزون بالشراسة وخصوم تنقصهم النزاهة وأشقاء لا يقومون بالدور الذي تمليه الأخوة الحقة، وكيف أن الاتهام الخاطئ لمدير الصحيفة اللندنية أدى إلى تناقض مع ما يفرضه منطق التضامن مع ثوار ليبيا.

وتأتي عناوين اليوم التالي في الصحيفة القومية الوطنية الكبيرة لتسير على نفس النهج، ففي اليوم الأول لرمضان نجد على الصفحة الأولى هذا العنوان : "**المتمردون** (!!!) يؤكدون أن المعارك ستستمر خلال شهر رمضان وقوات القذافي تستعيد السيطرة على قرية الجوش غرب ليبيا".

أما اليوم الثاني فنجد العنوان التالي: ليبيا: الثوار يواصلون القتال في رمضان ويؤجلون الصيام ومخاوف من حرب أهلية حتى بعد رحيل القذافي.

وتحت العنوان مقال منسوب إلى (عواصم – وكالات) وبدون توقيع، نجد فيها جملا أوردها بدون تعليق، تقول : وصف مقاتلو المعارضة الذين سيطروا على بلدة "غزاية"، التي كانت القوات الحكومية الليبية تسيطر عليها، أنفسهم بأنهم "محررون"، لكنهم لم يستقبلوا بالهتاف والترحاب مع دخولهم البلدة (!!!)، وتشير التقارير إلى أن الميليشيات الحكومية نقلت ما يقرب من خمسة آلاف من سكان البلدة من أنصار الزعيم الليبي معمر القذافي إلى طرابلس تاركين البلدة لقوات المعارضة الغازية والأشباح (والقوسان من عندي).

في الوقت نفسه كانت الصحافة المصرية تنهال على العقيد إثر دفاعه عن الرئيس مبارك، فيقول جمال فهمي فقال في 'التحرير 'يوم الخميس: آخر إنتاج العقيد من الجنون وقلة الأدب ظهرت قبل أيام عندما دافع بحرارة عن الأستاذ المخلوع حسني مبارك، زميله في نادي قادة عصابات الحكم المنتشرة والمتفشية كالمرض الخبيث في أقطار أمتنا العربية، ولم يكتف بالدفاع عن صديقه الساقط إنما تجاوز في السفالة والجنون، وتجرأ على شتم وإهانة المصريين جميعاً، مدعيا أن المخلوع تعود أن يذهب إليه في ليبيا 'وإلى السعودية ليشحت على الشعب المصري!'والسؤال الحقيقي سؤال مزدوج أولا: عمن كانت تذهب إليه حصيلة الشحاتة؟ وثانيا: من أين غرف القذافي المليارات التي ظل عقودا طويلة يبددها على قطعان أتباعه الصيع والنصابين المنحدرين من كل جنس ولون؟

وتنقل صحيفة "الخبر" الجزائرية صورة تخفف من صورة مقالات الصحيفة القومية الكبرى، ونجد يوم 2 أغسطس مقالا جاء فيه :

يقول موفد قناة "الآن" الجزائري جمال لعريبي انه تفاجأ للترحيب الكبير الذي لقيه من قبل المعارضة المسلحة في منطقة الجبل الغربي، خصوصا وأنه كان يتصور أن يعامل بعنف بسبب "التهمة الجاهزة" التي

ألصقت بالجزائر بشأن دعم نظام القذافي، وقال لـ"الخبر" إن "أهالي الزنتان والرجبان وكاباو وتيجي استقبلوه بحفاوة وأكرموه، ووفروا له كل ما يريده عكس ما كان يتصور". ويقول لعريبي إنه دخل "التراب الليبي عبر منفذ الذهيبات على الحدود مع تونس، حيث توجد حركة عادية للمرور في الاتجاهين على هذا المعبر"، مضيفا "لا توجد تأشيرة على الجانب الليبي من معبر الذهيبات الذي تسيطر عليه المعارضة في هذا المعبر، هناك تفتيش دقيق فقط، فقد دخلت من جزيرة جربة التونسية، ثم انتقلت عبر مناطق مدنين وتطاوين ثم وصلت الذهيبات ودخلت". ويصف جمال لعريبي الحياة في "المناطق المحررة" على حد تعبيره، في منطقة الجبل الغربي وهي التسمية الإدارية التي أطلقها نظام القذافي على المنطقة لكن المعارضة تفضل تسميتها بجبل نفوسة، بأن الحياة تسير بوتيرة عادية، حيث تنتشر تجارة بيع البنزين ويجري التعامل بعملة الدينار الليبي (التي تحمل صورة القذافي) ويبرز التضامن الشعبي بين العائلات والقبائل العربية والأمازيغية.

ويقول جمال "هناك تضامن واسع، وهناك جمعيات خيرية تجمع المساعدات الإنسانية خصوصا الإماراتية والقطرية التي تصل تباعا من تونس، وتوزعها على السكان، كما يتبرع الكثير من الأغنياء بهبات لصالح السكان". يحكي موفد قناة "الأن" عن لقائه مع الناس في "كاباو وتيجي والزنتان والرحيبات" التي تشكل في مجموعها منطقة الغربي أن "إهمال القذافي لمنطقتهم دفعهم للانتفاضة، فلا طرقات ولا مستشفيات ولا هياكل قاعدية". ونقل المتحدث قوله إن "الشباب في جبهات القتال يتحدث عن الجهاد وعن طلب الشهادة خاصة في شهر الصيام هذا".

عسكريا، يقول جمال لعريبي إنه يتنقل تحت حماية حراس من المعارضة المسلحة التي وفرت كل التسهيلات، ويجري التنقل من نقطة إلى نقطة بعد الحصول على تصريح من المجلس العسكري لكل مدينة، حيث لا يسمح لأي صحفي بالوصول إلى الجبهة الأمامية القتال من دون تصريح. فيما يخصه قال لعريبي إنه كان قبل يومين في الجبهة الأمامية للمعارك في منطقة "كاباو" وكان قبلها في "القواليش".

وكان شاهد عيان على المعارك بين المعارضة وقوات القذافي. ويروي موفد قناة "الأن" أن المعارضة تحوز على أسلحة متنوعة من الرشاش إلى الراجمات والصواريخ. وسألت "الخبر" جمال لعريبي عن موقف السكان والمقاتلين من حلف الناتو، فأوضح أنه فهم من كلام الناس بأنهم يعرفون بأن تدخل الناتو ليس من أجل الليبيين أو من أجل سواد عيونهم، ولكنهم يشيدون بموقف الدول الغربية لأنها تدخلت في وقت لم يكونوا يملكون السلاح والقوة".

عسكريا، دائما، يقول جمال إن "مصطفى عبد الجليل رئيس المجلس الانتقالي زار منطقة الجبل الغربي قبل 10 أيام عبر طائرة هبطت في مدرج الرحيبات، وهذا المدرج عبارة عن طريق سيارات لكنه يصلح لهبوط الطائرات". وفي منطقة "كاباو" يقول موفد قناة "الأن" أن المعارضة المسلحة تمكنت من أسر 21 ليبيا يعملون لحساب القذافي، فيما تم نقل أربعة جرحى للعلاج في مستشفى نالوت.

(9)

كانت أهم أخبار الأسبوع الأول من أغسطس ما نشرته صحيفة المحرر التونسية عن مصرع اللواء عبد الفتاح يونس، وجاء في المقال: (..) كان عبد الفتاح يونس يسبب إحراجا كبيرا لأوروبا، فقد كان دائم الانتقاد لحلف" النيتو" ولقوات أوروبا في تعاطيها مع الأزمة الليبية، وكان قد التقى بمندوب من الحلف وحصل بينهما حوار صاخب بحسب التسريبات الأوروبية، حيث اتهمهم يونس بإطالة أمد الحرب، وربما حتى بالانقلاب على الثورة الليبية وإعادة ليبيا إلى ما كانت عليه قبل الثورة بين يدي القذافي عندما يصل عداد المطالبات المالية الأوروبية من ليبيا إلى المبلغ المحدد، وقد قال مندوب الناتو ليونس إنكم مدينون لنا بألف مليار دولار حتى الأن وصعق الرجل الليبي، وردد، على ذمة التسريبات الأوروبية ، ألف مليار ؟ تريليون دولار في خمسة شهور،

ماذا فعلتم؟، هل كان الرصاص الذي استخدمتموه مصنوعا من الذهب الخالص، هذه أكبر عملية سرقة في التاريخ ، هذه ليست سياسة ولا تعامل أخلاقي، هذا عمل عصابات مافيا وليس عملا بين دول.
وانتهى اللقاء بين الاثنين بصورة دراماتيكية وجه فيها الجنرال الأوروبي ليونس تهديدا من العيار الثقيل.
واتهم الأوروبيون يونس في اجتماعاتهم بأنه رجل أمريكا القوي في المجلس الليبي للثوار، وبأنهم سيخرجون بلا فائدة إذا ما بقي هذا الرجل، واجتمع رئيس الوزراء الإيطالي "برلوسكوني" مع رئيس جهاز الاستخبارات الإيطالي الـ "SISMI" .أو ما أصبح يعرف" بالـ "AISE" والذي يرأسه الجنرال "ادريانو سانتيني Adriano Santini " ، وهو معروف لدى رئيس الوزراء الإيطالي بأنه من المدرسة البريطانية في عالم الاستخبارات ومستعد لكل الأمور التي يمكن أن يحتاجها الموقف، على عكس كثيرين من الجنرالات الإيطاليين الذي يتبعون المدرسة الناعمة والتي لا تؤمن بالتصفيات والعنف الجسدي أو ما يعرف ب"العمليات القذرة " Dirty Jobs والتي كانت سائدة لدى السي أي ايه (CIA) في أوقات ماضية ثم غابت لتعود مع الرئيس جورج بوش، وسأل رئيس الوزراء الإيطالي الجنرال عن رأيه فيما يجري في ليبيا، فأكد له أن كل الأمور تسير على ما يرام لصالح إيطاليا إلا أن الجنرال الليبي عبد الفتاح يونس يسبب المشاكل للأوروبيين هناك، ورد بيرلوسكوني على الفور: "fatte lo fuori" (اقتلوه) وعلى الفور (..) استغل الإيطاليون ضعف المجلس الوطني الليبي الانتقالي، وعدم وجود أي سرية في تنقلات أعضاء المجلس والقيادات العسكرية وعدم وجود أجهزة أمنية للثوار، وتم تسريب معلومات للمجلس بأن يونس ما يزال يعمل مع القذافي وأنه يدير القتال بصورة تعرقل انتصار الثورة ، وبدأت القصة مقنعة بعض الشيء للمجلس مما حداهم إلى استدعاء الجنرال يونس للتحقيق معه في بنغازي، وقد عاد الجنرال دون تردد إلا أنه وجد الموت في انتظاره ، طلقات في الرأس والصدر ومن ثم إحراق للجثة لإخفاء إي أثار قد تقود لأي معلومات عن مقتله[366].انتهى.
وأدركت المجموعة التي تقوم بدور مكتب الدراسات لنظام العقيد القذافي أن الثوار كسبوا المعركة في المرحلة الأولى لأن الإعلام كان في خدمتهم، حتى ولو لم يكن ذلك بفضل المكلف بالإعلام في المجلس الانتقالي، الذي أثبت فشلا ذريعا في الاستفادة من كل الانتصارات التي حققها الثوار.
ومن هنا جاء اليقين بأن النظام الليبي طرح حجما هائلا من الأموال لتحسين صورته المشوهة نتيجة لتصرفاته الحمقاء، وهكذا بدأنا نشهد في شهر رمضان موجة تحركات جديدة للاستفادة من عثرات الثوار.
وبعد البيانات التي صدرت عن تجمع الأئمة في طرابلس، الذي حشد فيه حجم هام من المرتزقة كان المطلوب منهم مواجهة الفشل الذي نتج عن رفض الأزهر اتخاذ أي موقف يمكن أن يسيء للثوار، واستثمر فيه إمام جزائري عرف هنا بأنه مهرج حقيقي، كان من أبرز ما عرفه شهر أغسطس كتابات صحفية جديدة كان مضمونها الرئيس مواصلة تشويه تحركات الثوار، وكانت كلها، للغرابة، كتابات بدون توقيع.
ونشرت الصحيفة اللندنية يوم 4 أغسطس تحت عنوان : أزمة الثوار الليبيين تتفاقم أيضا" مقالا يقول : تواصل قوات حلف الناتو غاراتها على أهداف تابعة للزعيم الليبي معمر القذافي وكتائبه المسلحة، ومعها القوات التابعة للثوار المطالبين بإسقاط الحكم في طرابلس، دون أي اعتبار لحرمة شهر رمضان (وكأن العقيد أحترم حرمة رمضان) وحجم المعاناة التي يعيش في ظلها ستة ملايين ليبي، سواء كانوا في المناطق "المحررة" (والقوسان من الصحيفة) أو الأخرى التي ما زالت تحت سيطرة النظام.
الثوار الذين يعتمدون على حلف الناتو وغاراته (!!) لتحقيق أهدافهم في الإطاحة بالنظام الديكتاتوري، يقولون أن معظم الفتوحات الكبرى في عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين تمت في هذا الشهر الفضيل، وهذا صحيح، وأبرزها معركة بدر، ولكن الصحيح أيضا أن هؤلاء ليسوا من الصحابة، وان حلف الناتو يقتل مسلمين (..) وبعد خمسة أشهر من القصف المكثف ما زال الوضع في ليبيا يراوح مكانه، ولا يلوح في الأفق أي مؤشر على وجود مخرج من حالة الجمود الراهنة، فالنظام ما زال صامدا وتقدم الثوار بطيء، وعمليات الانشقاق في صفوف جيش النظام شبه متوقفة بالكامل، مما يعني أن هذه الأزمة (!!) ستطول، لان الحسم العسكري ما زال بعيد المنال.
(..) النظام في طرابلس فقد الكثير من شرعيته (..) ولكن هناك حوالي 170 دولة على الأقل ما زالت تقيم علاقات معه، وتحافظ على وجود سفاراته في قلب عواصمها، من بينها أكثر من 15 دولة عربية وحوالى 50

---

[366] - صحيفة المحرر – تونس – 4 أغسطس.

دولة إسلامية، فاللافت أن دولا عربية كبرى مثل مصر والمملكة العربية السعودية والجزائر وسورية والمغرب والعراق والأردن والسودان ما زالت ترى في النظام القائم في طرابلس نظاما شرعيا، وهذه معضلة كبيرة للثوار الليبيين ربما تزداد تفاقما في ظل غياب الحسم.

من المؤكد أن حلف الناتو يراهن على عنصر الوقت وكذلك الثوار، من حيث ضعف النظام، وانفجار ثورة شعبية في المناطق التي يسيطر عليها، وخاصة العاصمة طرابلس، وهذا الرهان قد يكون ضعيف التحقق (والغريب أنه تحقق بعد نحو شهر) لعدة أسباب أبرزها أن النظام ما زال متماسكا وقواته تظهر صمودا غير متوقع في ميدان المعارك بعد ستة أشهر من اندلاع الثورة، ولا توجد دلائل واضحة على أن انتفاضة ضده يمكن أن تنطلق في المناطق التي يسيطر عليها (..) الأزمة في ليبيا تتجه إلى المزيد من التعقيد بدلا من الانفراج، مما يعني أن الحل العسكري لم يحقق وحده أهداف الثورة في التغيير الديمقراطي، الأمر الذي يحتم ضرورة اللجوء إلى حل سياسي مواز يتم التوصل إليه بالتفاوض، وإلا فان البديل هو استمرار النزيف، وتحول ليبيا إلى دولة فاشلة خارج السيطرة (يلاحظ أن تعبير "خارج السيطرة"، أو Under control، متداول أكثر في الأدبيات السياسية الغربية، وأن تعبير "التفاوض" يعني التفاوض مع نظام العقيد)

وتنشر الصحيفة في نفس العدد مقالا آخرا، وبدون توقيع أيضا، وتحت عنوان: في بنغازي اختفت شعارات الحرية والتظاهرات الحاشدة وأسئلة مقتل يونس تخيم عليها.

وجاء في المقال: لاحظ تقرير صحافي (لم يوضح المقال مصدر التقرير أو كاتبه) أن الشعارات التي ملأت مدينة بنغازي مباشرة في الفترة بعد الانتفاضة على نظام القذافي (..) بهتت تحت لهيب شمس الصيف (..) ويشير التقرير انه بعد خمسة أشهر من الانتفاضة على النظام فان المقاتلين في شرق ليبيا وجدوا أنفسهم أمام طريق مسدود (!!) على الجبهة العسكرية والدبلوماسية إضافة للتعب وعدم الراحة، وفاقم الوضع تداعيات مقتل قائد المقاتلين وهو عبد الفتاح يونس (..) وما كشف القتل عنه هو عمق الخلافات بين قوات المعارضة، وكشف عن تشوش المجلس الانتقالي الذي بدا مشلولا من خلال البيانات المتناقضة والكاذبة حول من قتل اللواء وكيف قتل، فمن تصريح يصدره مسؤول فيه فإن تكذيبا يصدر حالا من مسؤول أخر (..) وفي ضوء هذا الوضع السياسي وخلافات المسؤولين فان المجلس يعاني من نقص في الأموال والوقود في وقت لم يستطع فيه المقاتلون تحقيق تقدم ضد النظام (..) ولكن متحدثا سابقا باسم المجلس يعمل الآن بالتجارة (!!) نفى أن تكون المعركة قد تباطأت بل "نضجت" (والقوسان من الصحيفة أيضا) وكان مقاتلو المجلس قد اتهموا بارتكاب جرائم ونهب بيوت ومحلات في غرب ليبيا إضافة لإعدام جنود تابعين للنظام بدون محاكمة (..) ويظل بطء تقدم المقاتلين وبياناتهم غير الواقعية (!!) بأنهم سيُطهرون مدينة "البريقة" النفطية من قوات القذافي يدعو للقلق، لكن عائدين من الميدان يقولون أن القوات الموالية للزعيم تقاتل بقوة، وفي وقت أخر، كانت بعض التقارير قد قالت أن المقاتلين اجبروا قوات القذافي على التراجع في حي من أحياء" زليتين"، لكن تبين أن قوات القذافي هي من ردت هجوما عن المدينة.انتهى.

وتنشر صحيفة جزائرية في نفس اليوم مقالا لمراسلها في طرابلس اسمه رشدي رضوان، وهو اسم لم أكن سمعت عنه من قبل، يتحدث عن إستراتيجية عناصر القاعدة في درنة، بالقول إنهم دفعوا إلى حمل شعار "لا للقبلية"، وذلك لتهميش دور شيوخ القبائل الذين يملكون سلطة التوجيه في العرف الليبي، وبذلك كسر القيمة الاجتماعية التي يستمد منها الليبيون قوتهم، وإعطائها لعناصر التنظيم المسلح تحت عباءة المجلس الانتقالي (..) ويورد حديثا لمن يسمى "العبيدي" يقول فيه بأنه لا يزال سنوسيو المنطقة الشرقية في ليبيا (أي أنصار الملكية) يؤمنون بأن معمر القذافي وقبيلته خطفوا السلطة من أيديهم قبل 42 سنة، وبأن الوقت أذن لاسترجاع الشرعية التاريخية، وهو المعطى الذي يلعب على عاطفته عناصر القاعدة في المنطقة الشرقية.

وفي هذه الظروف الاستثنائية والمعقّدة (..) دخل "العبيدي" طرابلس وفي حقيبته أوراق المحنة وحلول مفترضة يحملها إلى صديقه سيف الإسلام نجل العقيد الليبي، وهنا نعود إلى حكاية الصداقة الأولى. وينقل الصحفي قول "العبيدي" بأن "أكبر مظلوم في هذه المحنة هو الدكتور سيف" (يقصد سيف الإسلام) الذي تعرّف عليه قبل سبع سنوات ورافقه في رحلته إلى أمريكا وصادقه إلى يومنا هذا، والمجلس الانتقالي يعتبر سيف الإسلام طاغوتا ابن طاغوت، والموالون للقذافي يعتبرونه أساس البلاء لأنه هو الذي استقدم "شلقم" وكوسة وجماعتهما التكنوقراطيين، وعزز مناصبهم في الدولة، وها هم اليوم ينقلبون على القذافي".

ويقول الدكتور العبيدي إن سيف الإسلام أعدّ بالفعل مشروع دستور ديمقراطي جديد، بمتابعة من الدكتور "بورتر" المعروف في جامعة "هارفارد" الأمريكية وأنه عرضه على أعضاء الحكومة السابقة، لا سيما محمود جبريل وعلي العيساوي ومصطفى عبد الجليل وفرحات بن قدارة، في سبتمبر الماضي، أي قبل أشهر مما يعرف بالربيع العربي، لكن عبد الجليل طلب منه التريث، ثم أعاد عرضه عليه مجددا في ديسمبر الماضي فعاد عبد الجليل وطلب منه تأجيل الموضوع، إلى أن اندلعت أحداث تونس وبعدها أحداث مصر وامتدت الأحداث إلى ليبيا، وهو ما يفسر، حسب الدكتور العبيدي، النية المبيتة لأتباع عبد الجليل ومن يقف وراءهم في تعطيل مشروع الدستور الإصلاحي (!!) ويؤكد الدكتور العبيدي في ختام مكاشفته لنا، أنه عائد إلى درنة، بعد أن يتحصل على إجابات مفصلة عن مقترحاته التي وضعها على مكتب "صديقه" سيف، والتي رفض الكشف لنا عن ماهيتها، مشيرا إلى أنها مقترحات إستراتيجية مستندة إلى دراسة ميدانية، قام بها في مناطق درنة، مساعد، طبرق، القبة، شحات، البيضاء والدرسة والمرج ومعقل الحكومة الانتقالية بنغازي.. وكلها مناطق في الجهة الشرقية لليبيا، لا تزال تقبع تحت سيطرة المجلس الانتقالي، رغم بوادر الانشقاق فيه ورغم تذمر سكانها الذين فقدوا نعمة الأمن في يومياتهم وبدأت أسئلة الجدوى تقلق موقفهم (!!) انتهى.

ويلاحظ هنا أن مضمون المراسلة هو نفس ما سبق لابن العقيد أن قاله في حواره الذي أنشره في القسم الوثائقي ليكون القارئ هو الحكم الأول والأخير، لكن المهم في كل هذا ما يؤكده من أن النظام وضع كل ثقله لتبييض صورته وتشويه صورة خصومه، أو على الأقل، هذا ما رأيته.

ومع قرب نهاية الأسبوع الأول من أغسطس عادت قضية المهاجرين الأفارقة من ليبيا إلى واجهة الأحداث، وأعلنت مصادر حرس السواحل الإيطالية أن عشرات لقوا حتفهم بسبب الجوع وتم رميهم في البحر من بين 300 مهاجر على متن القارب المعطل الذين كانوا على متن قارب متعطل منذ يومين على بعد حوالي 90 ميلا بحريا عن ساحل جزيرة "لامبيدوزا" بمقاطعة صقلية جنوبي إيطاليا، كان قد أبحر من الشواطئ الليبية[367]، وأن ثلاث نساء تم انتشالهن عبر مروحية وأشارت حرس السواحل إلى أنها أسرعت بإرسال أربعة قوارب لإنقاذ المهاجرين المتبقين.

ويذكر أن إيطاليا أعلنت الاثنين الماضي العثور على جثث 25 شخصا في بطن قارب كان على متنه 271 مهاجرا تم إنقاذهم قبالة سواحل "لامبيدوزا"، فيما يتواجد بالجزيرة حاليا أكثر من 1500 مهاجر غير شرعي معظمهم من دول جنوب الصحراء الأفريقية وصلوا إلى إيطاليا بحرا خلال الأيام القليلة الماضية قادمين من السواحل الليبية (..) وتتهم روما نظام القذافي باستغلال اللاجئين وإجبارهم على التوجه إلى السواحل الأوروبية شمالي المتوسط للانتقام من الموقف الأوروبي الداعم للثوار (وسبق أن أشرت لذلك).

وتعود الصحيفة القومية الصادرة في لندن فتنشر يوم 6 أغسطس مقالا آخر بدون توقيع (أيضا) يحمل عنوان: في بنغازي يحبون كل شيء أمريكي، يقول:

أصبح مشهدا مألوفا في تظاهرات بنغازي أن يرفع أهلها الأعلام الفرنسية والبريطانية ويرسلون التحايا إلى "نيكولا ساركوزي" وديفيد كاميرون وقادة الدول المتحالفة ضد القذافي لدعمهم لهم وللمعارضة ضده .

ونقلت تقارير أمريكية مشاهد الترحاب التي يلقاها المراسلون الصحافيون من أهلها، كما رصدت الكثير من محطات التلفزة مشاعر الامتنان للناتو الذي يقوم بضرب مناطق الغرب التي يسيطر عليها النظام، وكذا القوات الموالية للزعيم القذافي، ويأتي الاهتمام الغربي والانحياز لكل ما هو غربي (!!) لان معظم المعارضة والمتحدثين باسمها هم من المهاجرين الليبيين (!!) الذين يعيشون في الخارج وعادوا بعد إجبار قوات القذافي على الخروج من مناطق الشرق (!!!) وهناك عدد كبير منهم جاء من أمريكا، وأخر التقارير التي رصدت "عشق" (والقوسان من الصحيفة) أهالي بنغازي للغربيين تقرير نشرته صحيفة "لوس انجليس تايمز" قالت فيه أن أهاليها باتوا يحبون كل ما هو أمريكي، الطعام (؟؟) أغاني البوب وألعاب الكمبيوتر، وفوق كل هذا العلم الأمريكي، حيث ينقل تقرير أن أحد الليبيين حمل معه في مسيرة في المدينة علما أمريكيا وقال لمراسلها "الليبيون يحبون أمريكا" (..) لأنه رمز للحرية والديمقراطية، وهو كل ما يريده الليبيون.

ويقول التقرير أنه في منطقة عادة لا يوثق فيها بأمريكا ونواياها فان مدينة بنغازي التي يسيطر عليها المعارضون لنظام القذافي تحولت إلى "جزيرة تظهر فيها المشاعر المؤيدة لأمريكا بوضوح" (والقوسان دائما

---

[367] - صحيفة الدستور المصرية 5 أغسطس.

للصحيفة) وتقول أن الجيش غير المنظم الذي أخرج قوات القذافي من المدينة في فبراير الماضي يعبر عن امتنانه لقوات "الناتو" والطائرات الأمريكية التي حمت بنغازي من هجوم كان محتوما عليها .

ثم يقول التقرير أن شعبية أمريكا زادت بشكل كبير منذ يوليو الماضي، عندما اعترفت أمريكا رسميا بالمجلس الانتقالي كممثل شرعي لليبيين، ومع الاعتراف بدأت الأعلام الأمريكية تتكاثر في المسيرات والتظاهرات وعلى المحلات، فيما يلبس الشباب القبعات المرسوم عليها العلم الأمريكي، وفي الشعارات المرسومة على جدران المدينة والمعادية للقذافي فإن الأعلام الأمريكية عادة ما تظهر فيها، وكذلك بدأ أطفال المدارس يرسمون العلم الأمريكي في دفاترهم أثناء رسمهم الشعارات المعادية لأمريكا .

ونقلت عن خياط قوله انه قام بتزويد كمية كبيرة من الأعلام الأمريكية بعد الاعتراف الأمريكي وكل ما صنع باعه، ومع العلم الأمريكي هناك العلم الفرنسي الذي يرفعه المقاتلون على بنادقهم وسياراتهم وكذا العلم القطري، حيث دعمت قطر المقاتلين بالمال والسلاح، فيما قدمت الولايات المتحدة مبلغ 25 مليون دولار كمساعدة لأغراض غير عسكرية ووفرت لهم بدلات عسكرية ووجبات جاهزة "حلال" أكثر من مليون وجبة .

وذكرت تقارير سابقة أن سكان بنغازي على الرغم من شكرهم للتحالف إلا أنهم يرون أن أمريكا هي القوة القادرة على الإطاحة بالقذافي، ومن هنا نقلت الصحيفة عن مقاتل قوله أن أمريكا لديها أحسن الأسلحة وأقواها ويجب أن تعطيهم إياها لإنهاء القذافي (..) وبات الليبيون يتابعون المسلسلات الأمريكية والشيء الوحيد الذي لم يصلهم بعد هي سلسلة مطاعم "كي اف سي" و"ماكدونالدز"، وكما يستخدم أهالي بنغازي الكلمات الانكليزية فيما يقول المسلحون انهم سيهاجرون إلى أمريكا بعد إنهائهم القذافي. انتهى.

ولقد حذفت جملا كثيرة لأنني أحسست بالقرف من الصحيفة، التي كنت أحمل لها تقديرا كبيرا، لكنني لاحظت من متابعة تعليقات القراء أن كثيرين لم يتعاطفوا مع ما نشرته الصحيفة عن الوضع في بنغازي، إلا أنه كان هناك تعليق متجاوب مع مضمون المقال، انهال باللوم والتقريع على الثوار، وكان الغريب الذي بدأ يتكرر حتى لم يعد غريبا أن المعلق فلسطيني وقع تعليقه بأنه "كادر في منظمة التحرير"، وعندما حرصت على متابعة التعليقات وحتى تحرير طرابلس في بداية العشر الأواخر من رمضان صُدمت بملاحظة أن جل التعليقات المتحمسة للعقيد الليبي، وخصوصا في صحيفة القدس العربي، هي تعليقات فلسطينية، تماما كتصريحات كثيرة بثتها تلفزة العقيد، ومن بينها تصريح لمدير مجلة الكفاح العربي وليد الخالدي.

وتفتح صحيفة لندن القومية الكبرى صفحاتها لكاتب عراقي اسمه عبد الجبار الجبوري قال تحت عنوان : ورطة الناتو في ليبيا وشرق أوسط "برنارد لويس" :

الحرب القذرة (هكذا) التي شنتها قوات حلف الناتو على شعب ليبيا بمباركة الولايات المتحدة الأمريكية، أوقعت هذه القوات الشريرة (هكذا أيضا) في شر عملها، والتي كان هدفها المعلن إسقاط نظام معمر القذافي وإقامة نظام موال لها في المنطقة، والهيمنة على النفط الليبي كان الهدف الأساسي غير المعلن، إذن حلف الناتو لم يأت ليشن عدوانه الآثم (!!) على ليبيا لسواد عيون المجلس الانتقالي، وإنما كانت لديه أهداف أخرى يأتي النفط الليبي في مقدمتها، أما الأهداف الأخرى، فتأتي في صميم مشروع (برنارد لويس) القائم على تفتيت منطقة الشرق الأوسط على أسس طائفية وعرقية ودينية وقومية، وما يجري في دول المنطقة البحرين واليمن والعراق وأفغانستان ولبنان وسورية، يدخل ضمن هذا الاتجاه الامبريالي الجهنمي التقسيمي، ولكي نضع الأمور في سياقها الميداني، فان ما فعلته إدارة بوش وبعده أوباما في كل من العراق وأفغانستان، من غزو وتدمير شامل فيها، لم تستطع تحقيق أهدافها الأساسية، رغم الخراب الذي أحدثته، وملايين الضحايا والمهجرين، وهكذا في لبنان واليمن والبحرين، وبالعودة إلى الحرب في ليبيا، فان الأمر مختلف، حيث يتولى حلف الناتو وآلته العسكرية تدمير بنية الدولة الليبية وقتل شعبها من الجو، تاركة شعبها يتقاتل فيما بينهم، بحرب أهلية تقودها فئة صغيرة (!!) مسنودة من قوات الناتو وأمريكا، ضد شعب ليبيا المتوحد والمتماسك مع قيادته (!!) وأقلياته وقومياته وقبائله، أما هذه الفئة فقد حشرها الشعب الليبي العظيم في زاوية قاتلة، بعد أن تكشفت أهدافهم الشريرة وأهداف من وراءهم ومن يمدهم بالسلاح والمال، وبعضه عربي، وهكذا ومنذ أكثر من ثلاثة أشهر، وشعب ليبيا وجيشه يعيشان حالة حرب قذرة (!!) فرضت عليه، واجهها بكل شجاعة نادرة وتصميم أكيد على إفشال هذه المؤامرة، حتى دحر العدوان وإعلان النصر وهذا ما توضحت ملامحه الآن، بعد اندحار هذه القوات ومقتل قائدها من داخل هذه القوات، وبروز خلافات دموية بينهم من جهة ومع حلف الناتو من جهة أخرى، هذا المأزق قد عجل بنهاية الحرب المفروضة، وفشل الحملة الصليبية (!!) العربية على شعب ليبيا

المناضل، وكل الدلائل تشير إلى تورط حلف الناتو وقواته في هذه الحرب، التي وصلت إلى نهايتها بالفشل والخزي، بعد أن دفع شعب ليبيا قوافل الشهداء نتيجة القصف الوحشي، بطائرات الناتو وصواريخه الهمجية على المدنيين في الأحياء والأسواق والمستشفيات والمدارس (..) عاشت ليبيا حرة عربية وعاش العراق كاسر أنف الغزاة على مر العصور.انتهى.

وتعود جبهة التحرير الوطني إلى تأكيد موقفها من نظام العقيد القذافي فيقول واحد من كبار قيادييها ردا على مندوب "صوت الأحرار" الذي سأله في دردشة رمضانية كانت بعيدة كل البعد عن القضايا السياسية : ما هي المناسبة التي أفرحتكم في المدة الأخيرة؟

ويجيب قيادي جبهة التحرير الشهير قائلا : قرار الأخ معمر القذافي لمقاومة الخيانة والتصدي لغطرسة العدو، وهذا يعطي درسا لمن أرادوا أن يستسلم العرب لعدوهم دون مقاومة، ويجب تسجيل موقف الزعيم القذافي مع أبنائه في ساحة الوغى وهو الذي يضحي بنفسه وأولاده وأتمنى له النجاح (!!)

ولكي تضح خلفية القيادي البارز والوزير السابق أوردُ أيضا ردّه على سؤال للصحفي حول محاكمة الرئيس المصري حسني مبارك، حيث قال بكل ثقة: محاكمة مبارك ظالمة، لأنها جاءت في سياق مؤامرة (!!) ومهما يقال عن نظامه فهو من الذين شاركوا في بطولة حرب رمضان 1973[368](ونسي الأخ أن مبارك قدم للمحاكمة واحدا من أهم أبطال حرب رمضان هو الفريق الشاذلي، الذي حُكم عليه بثلاثة سنوات سجنا بحجة أنه أذاع أسرار حرب أكتوبر، التي كان كيسنجر يعرفها بكل تفاصيلها بفضل الرئيس المؤمن).

وتعود الصحيفة القومية الصادرة في لندن فتنشر يوم 9 أغسطس تحت عنوان: الخلاف بين الليبراليين والإسلاميين يطيح بحكومة الثوار الليبيين.

ويقول المقال، الذي لم يكن يحمل توقيعا وهلل له بعض القراء الذين أوردت الصحيفة تعليقاتهم: أصدر رئيس المجلس الانتقالي الليبي مصطفى عبد الجليل قرارا بإقالة حكومته التي يتزعمها السيد محمود جبريل، وتضم عددا كبيرا من الليبراليين القادمين من المنافي (!!) الأمريكية، والأوروبية الذين يتولون مناصب رئيسية (..) وعلمت القدس العربي أن هذه الخطوة جاءت بسبب تفاقم الخلافات بين الجناحين الإسلامي والليبرالي داخل المجلس (..) وهي خلافات بلغت ذروتها بعد اغتيال الجنرال عبد الفتاح يونس رئيس هيئة أركان قوات الثوار، من قبل عناصر تابعة لسرية أبو عبيدة الجراح المعروفة بميولها الإسلامية المتشددة (وهذا المعلومات سبق أن روّج لها النظام الليبي).

ويواصل المقال قائلا: يذكر أن الجناح الليبرالي في الثورة الليبية هو الذي لعب دورا كبيرا في استدعاء قوات حلف الناتو للتدخل إلى جانب الثوار ومنع حدوث مذبحة في بنغازي، كما انه أثار غضب الإسلاميين عندما حمل الفيلسوف الفرنسي برنارد هنري ليفي رسالة إلى بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل يتحدث مضمونها عن رغبة في إقامة علاقات معها، أي إسرائيل، وهي رسالة أكدها ليفي ونفاها المجلس الانتقالي لاحقا (..) وعلمت القدس العربي أن الجناح الإسلامي (..) يرفض التعاون مع حلف الناتو ويفضل التوصل إلى تسوية سلمية تحقن الدماء شريطة تنحي الزعيم الليبي معمر القذافي عن الحكم والتنازل عن جميع سلطاته[369].انتهى.

---

[368] - صوت الأحرار 8 أغسطس، وهو مكلف حاليا بأمانة التكوين والتدريب السياسي بحزب جبهة التحرير الوطني، والأقواس من عندي للإشارة إلى جمل محذوفة للتخفيف أو للتركيز على عبارات معينة، ما لم أشر إلى غير ذلك.

369 - برنارد هنري ليفي (BHL) : مليونير يهودي ولد في الجزائر وبعد استرجاعها للاستقلال فرت عائلته إلى فرنسا، واحتفظت بعواطف معينة تجاه جزائر "الأجداد"، خدم الموساد في أوربا وحمل على عاتقه الدفاع عن "سلمان رشدي" وطباعة كتابه "آيات شيطانية" على نفقته الخاصة مره أخرى، وكذلك الدفاع عن رسام الكاريكاتير المسيء للرسول بحجة حرية الرأي ولكنه كشف عن نفسه عندما هاجم "روجيه غارودي" باعتبار أنه أساء لليهودية في مؤلفاته وتم اتهامه (كالعادة) بمعاداة السامية، وكانت السلطة في الجزائر خلال العشرية الدموية قد استفادت من دعم ليفي وزميله كلوكسمان وغيرهما من يهود فرنسا ممن عرفوا بشراستهم في التنديد بكل ما هو إسلامي، واستطاع برنارد ليفي بخبرته الإعلامي المتميزة أن يطفو على سطح الأحداث لفترة معينة في خضم الأحداث الليبية، حيث تقدم للثوار بوصفه القوة المؤثرة على الرئيس ساركوزي، وأصدر تصريحه المشهور عن رغبة المجلس الانتقالي في صداقة إسرائيل، وهو ما كذبه المجلس على الفور، لكن ادعاءاته فضحت فيما بعد ووضع الفيلسوف حيث يجب أن يوضع، وتم تجاهله تماما في لقاء باريس أول سبتمبر، لكنه كان موجودا في الوفد الفرنسي البريطاني الذي زار ليبيا بعد تحرير طرابلس، بفضل علاقاته مع ساركوزي، لكن لم يبد أنه لقي ترحيبا من نوع خاص.

وتنتهز الصحيفة القومية في لندن حل المجلس التنفيذي لثوار ليبيا فتكتب افتتاحية يوم 10 أغسطس لا تخفي فيها شماتتها مما تقول أنه انشقاق في صفوف الثوار، وكان مما جاء فيها : الأزمة الليبية تفاقمت منذ الأسابيع الأولى لاندلاع شرارة الثورة ضد الزعيم الليبي وحكمه، حيث بات واضحا أن كل تيار يتبنى أجندات سياسية وعقائدية مختلفة بل متناقضة مع الطرف الآخر، ووصل التباين في المواقف قمته اثر قيام مجموعة إسلامية متشددة (سرية أبو عبيدة الجراح) باغتيال اللواء عبد الفتاح يونس العبيدي القائد العسكري لقوات الثوار وحرق جثته انتقاما لأنه كان من ابرز رجالات حكم القذافي لأكثر من أربعين عاما، وكان وزيرا للداخلية عندما نفذ النظام مذبحة سجن بو سليم التي سقط فيها أكثر من 1200 معظمهم من السلفيين الإسلاميين. انتهى.

ونسي الكاتب العبقري أو تناسى، وهو أمر أكثر خطورة لأنه يخدعنا عامدا، أن مجزرة سجن بو سليم وقعت عام 1996 واللواء عبد الفتاح تسلم وزارة الداخلية عام 2009.

ويعرف الأسبوع الثاني من أغسطس الأخبار التي أوردتها التلفزة الليبية عن سقوط 85 قتيلا في غارة لحلف "الناتو" على "مواقع مدنية" في ليبيا، لكن التلفزة التي أوردت الخبر وصورا عن القتلى لم تقدم صورة واحدة لشظايا الصواريخ التي قيل أنها دمرت المباني، ومن هنا ترددت مرة أخرى أقوال تشكك في عدد الضحايا من جهة وتوحي من جهة أخرى أنهم سقطوا بصواريخ ليبية.

ولا أتصور أن النظام، في محاولته استعداء العالم على قوات "الناتو"، وصل به الإجرام إلى هذا الحدّ، وإن كنت لا أبرؤه من جريمة استعمال المدنيين كدروع بشرية لتفادي القصف، حتى وإن كانت ألسنة السوء تدعي بأنه يتعمد إرسالهم ليموتوا ثم تستعمل جثثهم للتنديد بالتدخل الخارجي.

وقد سبق أن أشرت إلى البرنامج الذي قدمته التلفزة الفرنسية وفضحت فيه، بالدليل العملي، بعض أكاذيب القصف الجوي، واستعمال جثث ضحايا عمليات القمع لتوحي بأنها ضحايا قصف جوي.

وكانت نكتة اليوم ما نشرته صحيفة "اليوم السابع" المصرية من أن "النظام الليبي، الذي تسعى بريطانيا وشركاؤها في حلف شمال الأطلسي إلى إسقاطه، طالب بتنحي رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون، معتبرًا أنه فقد شرعيته بسبب أعمال الشغب التي تشهدها عدة مدن في بريطانيا".

وقال نائب وزير الخارجية الليبي الشهير خالد كعيم: "على كاميرون وحكومته الرحيل بعد المظاهرات الشعبية الرافضة له ولحكومته، خاصة بعد القمع العنيف الذي سلطه بوليس حكومته ضد المشاركين في المظاهرات السلمية التي تشهدها المدن البريطانية والتي دللت على أن الشعب البريطاني يرفض هذه الحكومة التي تحاول إجباره بالعنف على قبولها"، مضيفا أن "كاميرون أصبح فاقدا للشرعية وعليه الرحيل هو وحكومته"،وطالب المسئول الليبي المجتمع الدوى ومجلس الأمن بعدم الوقوف مكتوفي الأيدي تجاه هذا الاعتداء الصارخ على حقوق الشعب البريطاني الذي يطالب بحقه في حكم بلاده".انتهى.

وشر البلية ما يضحك، وهو ضحك كالبكاء، خصوصا عندما يفضح النظام نفسه ويكشف عقدته فيصرح التلفزيون الليبي الرسمي الخميس أن رئيس الوزراء البريطاني "استخدم مرتزقة من اسكتلندا وأيرلندا للتصدي لأعمال الشغب في بريطانيا، وقال البرنامج الصباحي للتلفزيون الليبي في نبأ عاجل: "ثوار بريطانيا على مشارف ليفربول في معارك كرّ وفرّ مع كتائب كاميرون ومرتزقة من أيرلندا واسكتلندا، الله أكبر"(!!)

وكان الحديث عن المرتزقة في بريطانيا جزءا من برنامج يهدف إلى زيادة التأييد للقذافي، وقال مقدم البرنامج الليبي إن هذه الاحتجاجات في بريطانيا "ليست احتجاجات من صنيعة المخابرات الخارجية"، مقارنا بين الاضطرابات في بريطانيا والحملة العسكرية التي تقول طرابلس أنها مخطط أجنبي للإطاحة بالحكومة الليبية المشروعة. وتذكر وكالة "رويتر"، التي أوردت هذا النبأ بأن القذافي يُتهم "بجلب مرتزقة، أفارقة في الأغلب، لمحاربة المعارضين (..) وردت الحكومة الليبية الأربعاء على انتقاد الغرب لها وقالت إن كاميرون "فقد شرعيته ويجب أن يرحل" وهذه هي الصيغة التي استخدمتها لندن وواشنطن وباريس للمطالبة برحيل القذافي عن السلطة بعد 41 عاما من حكم ليبيا.انتهى.

وعندما تصل التفاهة بنظام حكم إلى هذا الحدّ ندرك أن النظام فعلا فقد كل شرعية.

ومع نهاية العشرية الثانية من رمضان تكتب الصحيفة القومية الصادرة في لندن مقالا مطولا بدون توقيع، ساورده في القسم الوثائقي لطوله، وأكتفي هنا بسطور أثارت انتباهي تقول : حذر مسؤول غربي (لم تذكر ق.ع. من هو) من أن انهيار نظام الزعيم الليبي سيؤدي إلى فراغ سلطة، وقال الدبلوماسي المقيم في بنغازي، المركز الذي تتخذه المعارضة مقرا، أن منظور سقوط العاصمة الليبية طرابلس بيد المعارضة هو "السيناريو

الأسوأ" في الظرف الحالي، ووصف الدبلوماسي الذي كان يتحدث في ضوء التطورات الميدانية الأخيرة والانجازات التي حققتها المعارضة أن النصر ضد النظام سيكون حسب قوله "نصرا كارثيا"، ونقلت عن مسؤول دبلوماسي من دول التحالف (لم يذكر المقال اسمه أيضا) أن عبارة "النصر الكارثي" هي التي يتم تداولها الآن بشكل متزايد بين المسؤولين، حيث قال أنه إن لم يكن نصرا **كارثيا** ففي أسوأ الاحتمالات سيكون نصرا **فوضويا** لان "المعارضة ليست جاهزة للحكم بعد، وسيحدث فراغ في السلطة لو ذهب القذافي". انتهى

وفي نفس اليوم وقبل أن تطيش في الهواء صرخات القذافي التي حملها مكبرات الصوت إلى الميدان الأخضر، وطالب فيها من مخبئه "الملايين" بالزحف لتطهير ليبيا من الخونة والمتمردين، طلع علينا رئيس الوزراء "المحمودي" لينادي بحوار يرضي كل الأطراف الليبية يبدأ بوقف إطلاق النار، وذلك بعد أن أنكر بالأمس أن الثوار تمكنوا من احتلال الزاوية، وكان رئيس الوزراء الليبي في حالة يرثى لها، فقد ترك شعر لحيته ينمو بشكل واضح، وكانت ضحكته صفراء خجولة، وكان ذلك تأكيدا لنجاح الثوار في السيطرة الثوار على غريان والزاوية وصبراتة والجزء الأكبر من البريقة، وقطع طريق الجنوب نحو طرابلس.

وفي اليوم التالي، وكان يوم أحد، خرجت الصحيفة القومية الصادرة في لندن على موقعها الإلكتروني بالخبر التالي المنقول عن "واف"، وبدون أي تعليق منها، وتحت عنوان بالغ الجدية يقول: مواجهات عنيفة في أحياء طرابلس، والقذافي يدعو أنصاره إلى تحرير المدن، ويقول المقال : دعا العقيد الليبي معمر القذافي الأحد أنصاره إلى "الزحف بالملايين" لإنهاء "مهزلة" النزاع (!!!، والأقواس من عندي) الذي يدمر ليبيا منذ فبراير، في وقت جرت مواجهات في أحياء عدة من طرابلس، وقال القذافي في رسالة صوتية بثها التلفزيون الليبي "يجب إنهاء هذه **المهزلة**، عليكم أن تزحفوا بالملايين لتحرير المدن المدمرة التي يسيطر عليها المتمردون"، ووصف القذافي الثوار "بالخونة والعملاء والجرذان" الذين "ينجسون المساجد" (والغريب هنا أن العقيد هو الذي أصبح جرذا يختفي في الأنفاق مرسلا صرخاته اليائسة عبر مكبرات صوت عن بعد) وقال : "هؤلاء الوسخين يدخلون المساجد ويكبرون، هم وسخون وهم ينجسون المساجد (هذا هو مستوى العقيد) شباب طرابلس يقبلون صورتي، هم يحبون قائدهم ويعتبرونني مثل والدهم".

وعرض التلفزيون الليبي لقطات من الساحة الخضراء في وسط طرابلس، حيث تجمع عشرات الشبان من أنصار القذافي حاملين صور العقيد الليبي. انتهى

وتنشر الصحيفة هذا الخبر بعد أن أذاعت "الجزيرة" ليلا (21/20 أغسطس) تصريحات عبد السلام جلود وموسى كوسا، المنشقين على النظام، وكان من حسن حظ الصحيفة أن ذلك تم عشية عطلتها الأسبوعية، فلم تضطر إلى اتخاذ موقف.

ويتحدث موسى إبراهيم عن مرتزقة جزائريين في صفوف الثوار، لكنني لم أجد نص ما قاله في صحفنا، رغم أنه تكرر في أكثر من فضائية.

وبدا تدخل جلود المتلفز عبر "الجزيرة" وكأنه القطرة التي سيفيض بها إناء الأحداث.

(10)

أصبحت طرابلس يوم الثاني والعشرين من رمضان على فجر جديد كانت أحداثه حلما بعيد المنال، وتجاوز ما عاشته ليبيا، في اليوم السابق، أي 21 أغسطس، كل الآمال.

كانت ليبيا قد عرفت خلال 24 ساعة ثلاثة خطب متتالية للعقيد القذافي، ورغم الأسلوب الحماسي القريب من التشنج فقد عكس الخطاب انهيارا واضحا، إذ بدلا من الحديث عن زحف "ملايين" لحماية طرابلس من "الخونة المتمردين، عملاء الناتو"، أصبح الحديث عن زحف أعداد أقل بكثير، وواكب ذلك تسجيل لعبد الله السنوسي مدير الاستخبارات الليبية، قدّم على أنه بث مباشر أكد أن كل شيء تحت السيطرة، وكان ذلك هو التصريح اليتيم الذي قدم للسنوسي وبدا فيه مضطربا ومتوترا، ولم يكن هناك دليل على أنه لم يكن تسجيلا قديما، وكانت هناك تدخلات بنفس المضمون للمتحدث باسم النظام، موسى إبراهيم القذافي، الذي أكد بأن قوات "الشعب المسلح" قضت على بعض الشرائم "القليلة" التي تسللت إلى بعض أحياء العاصمة الليبية.

وذكرني موسى بوزير إعلام العراق محمد الصحاف قبيل سقوط بغداد، مع فارق بسيط، هو أن الصحاف كان متيقنا من أن وراءه قوة ضاربة من أقوى جيوش الشرق الأوسط يلتف حولها شعب متحمس إلى أبعد

حدود الحماس، يقوده زعيم ملء السمع والبصر، يحرص على أن يطوف شوارع بلاده بكل جسارة، ولم يكن يرفع عقيرته داعيا أبناء شعبه، نساء ورجالا، إلى الزحف لتطهير البلاد من الأعداء وهو مختبئ في نفق سحيق كالجرذ العليل، بدون أن يرى أحد وجهه.

كان الصحاف بعيدا تماما عن وضع موسى إبراهيم، الذي بدا للحظات كمن يسميه المصريون "المحلل"، أو التيس المستعار كما يقول بعض الفقهاء، وهكذا اتسمت تصريحاته بفجور أقدم مهن التاريخ، خصوصا وهو يقول، ليلة سقوط طرابلس، أن قصف "الناتو" قتل خلال اليومين الماضيين 1500 من المدنيين.

والغريب أن الخبير الإعلامي الليبي وقع في سقطة كبيرة، فقد اعترف بأنه تلقى تكوينا إعلاميا متميزا حيث يتم إعداد برامج تعليمية متطورة محورها فبركة المعلومات وتضليل الرأي العام.

ولعل التاريخ سوف يثبت أن من أهم أسباب سقوط طرابلس القذافي (وأفضل تعبير ...تحرير طرابلس) هي أن الزعيم لم يخرج إلى الناس في اللحظات الصعبة واكتفى بمحاولة تجنيدهم إذاعيا من وراء حجاب، وهو ما جعل كثيرين من المخدوعين فيه يكتشفون مدى جُبْن الأخ القائد، إمام المسلمين وعميد الحكام العرب وملك ملوك إفريقيا، في حين أن وجوده في الساحة الخضراء، التي كانت مليئة بالحشود المؤيدة، كان سيخلق تعاطفا كبيرا نحوه، تماما كما حدث مع خرجة صدام حسين الأخيرة قبل سقوط بغداد.

ومع غروب يوم الأحد بدأ التاريخ يحاول التقاط أنفاسه وهو يتابع الأحداث المتلاحقة بسرعة غريبة، ومع فجر الاثنين كانت جموع ثوار ليبيا تدوس صورا ملونة كبيرة للقذافي في الساحة التي استعادت اسمها القديم، ميدان الشهداء، ورُفعت أعلام الاستقلال رباعية الألوان مكان علم القذافي الأخضر[370]، واضعة بذلك 42 سنة بين قوسين، وقيل أنه تم القبض على سيف الإسلام القذافي وأخيه الساعدي، وحوصر منزل الابن الأكبر للعقيد محمد القذافي، وترددت أنباء عن فرار رئيس الحكومة المحمودي إلى تونس، وكلها كانت أخبار فخخت بها مصادر الثوار للتشكيك في مصداقية كل ما يصدر عنهم.

ولم يعرف أحد صباح الاثنين أي شيء عن مصير العقيد، وتوقفت قنوات التلفزة الليبية عن البث بعد أن ظلت لساعات تبث أفلاما تسجيلية بدون أن تشير إلى ما حدث، وبدا أن البث لم يكن يتم من "استوديوهات" التلفزة العادية وإنما من سيارات متحركة أو موقع لم يصل الثوار إليه بعد، فقد بدوا مشغولين بما هو أهم، ولم يكن هناك في النظام من يمكنه أن يقرر إذاعة شيء ما حول أمر ما.

وظهرت صحيفة "الندن" القومية بمقال يبدو فيه أنها تحاول التراجع شيئا فشيئا عن انزلاقاتها المشبوهة مع عدم تسليمها بذلك، وجاء في افتتاحيتها التي حملت عنوان "معركة طرابلس الأخيرة": الأيام، بل ربما الساعات القليلة المقبلة ستكون حاسمة بالنسبة إلى ليبيا، وما يمكن الحديث عنه ليس النتيجة التي ستتمخض عنها المعارك، فهذه شبه محسومة وإنما رحلة ما بعد انهيار النظام وانتصار المعارضة (تغيير في التصور).

كان واضحاً منذ البداية أن السؤال ليس حول عما إذا كان نظام الزعيم الليبي سيسقط أم لا، وإنما حول المدة التي ستستغرقها عملية السقوط هذه، لان هذا النظام كان يقاتل معارضة مدعومة بحلف الناتو الذي يضم ثلاثين دولة بزعامة الولايات المتحدة، ويملك اكبر ترسانة من الأسلحة الحديثة في العالم وربما التاريخ بأسره (طبعا، لا بد أن يُحرم الثوار من دور رئيسي في الانتصار الذي ضحوا فيها بعشرات المئات من أبنائهم).

الامتحان الأصعب في رأينا هو كيفية إدارة ليبيا، والصورة التي ستكون عليها في مرحلة ما بعد القذافي في ظل الانقسامات الواضحة للعيان في صفوف القوى المناوئة للنظام، فالمعارضة منقسمة فيما بينها، وكيفية توحيدها في جسم واحد عملية ليست سهلة، وربما تكون أصعب من إطاحة نظام القذافي نفسه (هل رأيتم فسقا إعلاميا أسوأ من هذا) وتتسارع تطورات الأوضاع في ليبيا على الصعيدين العسكري والسياسي (..) ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو حول ما يمكن أن يحدث نتيجة الصدامات المتوقعة، في حال حدوثها، بين مهاجمي العاصمة والمدافعين عنها (..) الزعيم الليبي يملك بعض أسلحة الدمار الشامل، وبالتحديد براميل من غاز الخردل الكيماوي القاتل، وان كان لا يملك الوسائل الناجعة لاستخدامها حسب أقوال بعض الخبراء، وربما لن

---

370 - يظن البعض أن العلم رباعي الألوان هو علم الملك السنوسي، وفي حدود معلوماتي فإن هذا العلم هو علم الوحدة الليبية التي تشمل الأقاليم الثلاثة، لأن علم السنوسي الذي رفعه في برقة شرقا إثر دخول السنوسي إليها وإعلان الاستقلال كان أسودا وفي وسطه هلال ونجمة بيضاوين، وأضيف الشريكان الأحمر والأخضر ليشيرا إلى طرابلس شمالا وفزان جنوبا (أنظر القسم المتعلق بالتاريخ القديم لليبيا).

يتردد في اللجوء إليها إذا ضاق الخناق عليه، ولم يترك له أعداؤه أي مخرج للمغادرة بطريقة غير مهينة (الإيحاء هنا واضح) ثم تقول صحيفة عطوان في مقال آخر لم يحمل توقيعا :

(..) مهمة إنشاء ديمقراطية مستقرة على ركام النظام السابق والتأكد من عدم انحدار البلاد نحو حرب أهلية تبدو مشكلة، لان طبيعة المعارضة وانقسامها تجعل من الصعوبة بمكان التكهن فيما إن كان رحيل القذافي سيقود إلى نشوء حكومة ممثلة، أو الانقسام والتصارع على السلطة أو القيام بعمليات انتقامية لرموز النظام السابق ومن كانوا يؤيدونه (..) وبحسب تقارير صحافية أمريكية نقلت عن مؤيدين للمعارضة داخل العاصمة أنهم مستعدون للمواجهات في كل جهات العاصمة وأنهم حصلوا على أسلحة. انتهى

وبالطبع، فقد سارعت بعض الدول إلى اعتماد المجلس لانتقالي كممثل وحيد للشعب الليبي، وبعد تونس بالأمس جاء دور مصر اليوم وتلتها معظم الدول العربية قبل انتهاء الأسبوع، باستثناء الجزائر، التي صدر فيها بلاغ يقول بأنها ستتخذ موقفها على ضوء قرار الجامعة العربية والاتحاد الإفريقي.

ولو كان الناطق، أو من يوجهه ويرسم له طريقه، يملك العمق الوثائقي ويعرف تاريخ الجزائر وأسلوبها في التعامل الدولي فقد كان عليه، بدلا من التركيز على قيام بعض المشاغبين بالاعتداء على السفارة الجزائرية، كما سيأتي فيما بعد، أن يكتفي بالتذكير بأن الجزائر لم تعترف بانقلاب سبتمبر 1969 أو ثورة الفاتح في ليبيا، لأن منطقها كان دائما الاعتراف فقط بقيام الدولة، ولا يهمها بعد ذلك تغير نظم الحكم فيها، وهو ما تم أنذاك مع تغير نظام الحكم في سوريا إثر انقلاب حافظ الأسد على نور الدين الأتاسي، ومع كل تغير لأنظمة الحكم في موريطانيا من ولد السالك إلى عبد العزيز، وفي السودان، من إبراهيم عبود إلى سوار الذهب ومن النميري إلى عمر البشير.

وكان لا بد من أن يتدخل مدير الصحيفة القومية ليعدل من اتجاه قذائفه طبقا للتطورات، ومن هنا قال في افتتاحيته يوم الثلاثاء: المرحلة المقبلة، مرحلة ما بعد النصر، قد تكون الأصعب والأكثر خطورة، ليس لأن النظام ترك ليبيا وهي في وضع مزر، حيث لا مستشفيات ولا مدارس ولا جامعات ولا أي مؤسسات أو بنى تحتية، وإنما لأن هناك انقسامات خطيرة في صفوف المعارضة (دائما) وأجندات خفية وعلنية لحلف الناتو والقوى الغربية التي لم تتدخل عسكريا لإطاحة النظام لأسباب إنساني (أسلوب الوصاية والاستعلاء واضح، برغم أن...) السيد مصطفى عبد الجليل، رئيس المجلس الانتقالي المؤقت، اعترف بوجود هذه الانقسامات، واشتكى من جماعات سلفية متشددة، وكشف في مقابلة مع قناة "الجزيرة" انه كان على وشك الاستقالة بعد الاغتيال البشع للجنرال عبد الفتاح يونس ومساعديه وحرق جثثهم، وهدد بترك منصبه والعودة غالى بيته أذا تكرر حدوث مثل هذه الأعمال الانتقامية البشعة.

عملية البناء أصعب كثيرا من عملية الهدم (..) المعارضة الليبية التي خاضت معارك شرسة وقدمت ألاف الشهداء للإطاحة بالنظام الديكتاتوري هي خليط من تيارات سياسية وعقائدية مختلفة، توحدت تحت لافتة الكراهية والعداء للنظام، وهي كراهية يبررها أكثر من أربعين عاما من الاضطهاد والقمع الدموي، حيث حول النظام الشعب الليبي إلى حقل تجارب لأفكاره الجنونية، ولهذا لم يكن غريبا أن يصف هذا الشعب بالجرذان في خطبته الشهيرة (..) لا أسف على نظام القذافي وأولاده، ولكن من حقنا أن نخشى مما هو قادم إلى ليبيا، سواء من قبل حلف الناتو، الذي يتطلع إلى قبض ثمن تدخله نفطا وعقودا وقواعد عسكرية وسيطرة سياسية، إذا تمكن أو مُكن من ذلك، أو ما يمكن أن يطرأ من خلافات وانقسامات، وهناك من ينفخ في نارها من جهات عديدة، ورغم ذلك لا نستطيع إلا أن نهنئ الشعب الليبي بانتصاره على هذا الطغيان، واستعادة حريته وكرامته.انتهى.

وتورد صحيفة "التقدمية" الإلكترونية موجزا عن بعض تعليقات الصحف الجزائرية تحت عنوان : غياب الجزائر عن المشهد الليبي في صحفنا فتقول : قالت "النهار" أنه " في ظل صمت وزارة الخارجية عما يحدث في ليبيا، يبدو أن المجلس الانتقالي الليبي فرض نفسه على وزارة شؤون خارجيتنا، فرغم أن الجزائر لم تعترف بعد بحكم المجلس الانتقالي في ليبيا، إلا أن علم الثوار رفع على السفارة الليبية في الجزائر".

أما صحيفة 'الوطن (الناطقة بالفرنسية) فربطت الثورات العربية بمستقبل الأحداث في الجزائر، وقالت أن "السلطات الجزائرية حاولت ربح الوقت لإسكات غضب الشارع على أمل أن يخرج القذافي الذي ساندته الدبلوماسية الجزائرية سياسيا من الورطة التي وضع نفسه فيها"، وتابعت "لكن سقوط طرابلس يضع الجزائر حتما في عين الإعصار ويعزلها على المستوى الدولي".

وتقول "التقدمية" بأن الكلام الأكثر وضوحا جاء من جريدة "لوكوتيديان دوررون" (الناطقة بالفرنسية والصادرة في الغرب الجزائري) "المقربة عادة من السلطة"، حيث اعتبرت أن " الذين راهنوا عليه (القذافي) عندنا كما لو أن الأمر يتعلق بقضية شخصية، سيوزعون مزيدا من المال والسكن ومناصب الشغل أو مزيدا من الوعود بالديمقراطية لإسكات المطالبين بالتغيير.

وتسجل "ميدل إيست أونلاين" انطباعاتها حول ردود الفعل في الصحافة الجزائري تحت عنوان : الجزائر خسرت الشعب الليبي، فتقول : انتقدت صحيفتا "الخبر" و"الشروق اليومي" الأوسع انتشارا في الجزائر، الموقف الرسمي من الأحداث في ليبيا، واعتبرت أن الجزائر خسرت الشعب الليبي لأنها لم تؤيده في ثورته، محذرة من أن العلاقات بين البلدين سيطبعها التوتر على المدى القصير.

ونقلت عن الخبر قولها : لقد "ترك تعاطي الجزائر مع الملف الليبي المتفجر الانطباع بأنها تدعم نظام العقيد، وقد سببت تهمة دعم القذافي بالمرتزقة والسلاح صداعا للجزائر، التي اختارت منذ البداية الانخراط في خارطة طريق أعدها الإتحاد الإفريقي، سعت إلى وقف إطلاق النار وترتيب مفاوضات بين الطرفين المتحاربين، وعلى عكس موقف الجزائر، كانت غالبية دول العالم، والعرب في مقدمتهم، متفقون على تنحي القذافي"، ونكّرت بتصريح وزير الخارجية الجزائري مراد مدلسي الذي قال معلقا عما يجري في ليبيا "إن مناورات مشبوهة تدخل في إطار أجندة يجري تنفيذها منذ زمن، لا علاقة لها بالوضع الليبي" (كان يقصد هنا المناورات المغربية المتعلقة بقضية الصحراء الغربية، وهو ما لم يفهمه كثيرون إلى يومنا هذا).

وأضافت أنه "لا يُفهم، منذ اندلاع الأحداث في ليبيا، سبب **رفض** السلطات الجزائرية أن يكون لها موقفها الخاص من الأزمة، وفضلت الاحتماء بمظلة الاتحاد الإفريقي، ولا سبب **التخلي** عن اتحاد المغرب العربي كإطار لحل الأزمات داخله دوله ولصد التدخل الأجنبي في شؤون أعضائه الداخلية".

وتوقعت الصحيفة أن "العلاقة بين الجزائر وحكام ليبيا الجدد سيطبعها التوتر على الأقل في بدايتها، بسبب مخلفات التراشق بين الطرفين في قضية المرتزقة، ولكن هذه القضية لن تكون العنصر الوحيد الذي يسمم العلاقات في المستقبل، فالربط الذي أحدثته الجزائر بين تداول السلاح واستغلاله من طرف تنظيم القاعدة، يحمل اتهاما ضمنيا للمعارضة بالاستعانة بالإرهابيين في حربهم ضد القذافي وفي مسعى أخذ السلطة" (وواقع الأمر أن التوتر المستقبلي جاء على لسان عدد من المسؤولين الجزائريين، كما سبق أن وضحت).

وتقول الشروق الجزائرية في افتتاحيتها يوم 23 أغسطس بتوقيع عبد الله الصامت (وهو اسم مستعار):

ستة أشهر كاملة كان القذافي يعيش وهم الانتصار على شعبه ومطاردتهم من زنقة إلى زنقة ومن دار إلى دار واصفا لهم بالجرذان والحشرات والإرهاب، ستة أشهر وصواريخ "غراد" وأنواع المقذوفات تمزق أجساد الليبيين في مصراتة والزاوية والبريقة وراس لانوف وغيرها من مدن وقرى الجبل الغربي والشرق الليبي (..) رحل القذافي ويتنفس الشعب الليبي اليوم الصعداء بعد عشرات السنين من حالة لا يمكن تسميتها إلا بالجنون والقهر والكارثة.. رحل القذافي بعد أن قاد عملية واسعة للعبث بكل شيء مقدس في البلاد.. أفسد كل الأفكار الحقيقية في حياة الناس وأوسع المجتمع ذلا وقهرا وسلط على الناس شرارهم يسومونهم سوء العذاب.. وافسد على الناس طيبتهم واعتدى على أعراضهم وأهان كبارهم وفعل فيهم ما يفعل العدو اللدود بعدوه (..) انتصر الشعب الليبي وسيكون انتصاره رائعا عندما يعالج موضوعاته بدقة تحرم العدو من الاختراق، ويأتي هذا الانتصار معلنا عن بداية انهيار الأنظمة الشمولية في اليمن وسوريا.. لقد كانت الحلقة الدامية وستتهاوى بعدها الحلقتان المعقدتان.. ومن هنا تأتي أهمية رحيل القذافي على المنطقة العربية.

رحل القذافي وهنيئا للشعب العربي الليبي بنيل حريته ومزيدا من الانتصارات. انتهى

لكن ما شهده اليوم الثاني لم يكن أمرا عاديا.

فقد أعاد تحرير طرابلس المفاجئ والسريع إلى الأذهان سقوط بغداد، ومن هنا كان التعبير المستعمل هو "سقوط طرابلس"، وإذا كانت المشاعر الأولى هي الدهشة الممزوجة بالإعجاب فقد فرضت التطورات السريعة وقفة تحليلية لما حدث لمعرفة كيف حدث، وعلى وجه التحديد لمعرفة ماذا سوف يحدث.

ولعلي أتوقف لحظات لأقول أن مقارنة تحرير طرابلس بسقوط بغداد هي مقارنة تتسم بالغباء والجهل.

فما عرفته بغداد حدث نتيجة غزو أجنبي هائل العدد والعدة، قامت به قوات أجنبية بدون أي مشاركة فعلية لمجموع المواطنين، وحملت على دبابات الغزاة مجموعات ممن تاجروا بمعارضة النظام في أحضان طهران وواشنطون ولم يمارسوا نشاطا قتاليا حقيقيا، وسبق الغزو الأجنبي قصف جوي بالغ الشراسة طال العراق كله

ودمر كل إمكانياته وبناه التحتية، وذلك بعد حصار طويل أرهق البلاد والعباد، وبالتوازي مع حملات إعلامية باللغة الشراسة قامت بها وسائل الإعلام بكل اللغات.

هذا كله لم يحدث في طرابلس، التي كان تحريرها عملا قام به أبناؤها من الداخل مدعومين بعدد محدود من الأشقاء، ولم يكن دعم الأطلسي هو أهم عناصر التحرير مع الاعتراف بدوره الفعال في حماية المدنيين خصوصا شرق البلاد، ولم تكن هجماته على باب العزيزية هي التي حسمت الأمور، وإنما تضحيات الشباب الذين خسروا نحو 400 شهيد وألفي جريح حول قلعة العقيد في أقل من ثلاثة أيام.

وكان التفسير الأول الذي أعطاه عبد الجليل لسرعة عملية التحرير القياسية هو أنه اتفق مع قائد حامية طرابلس على أن تلقي الحامية أسلحتها في وقت متفق عليه، وهو ما حدث يوم الأحد 21 أغسطس، وهنا اندفعت إلى العاصمة مجموعات من الثوار كانت مستعدة لذلك، وتكامل نشاطها مع نشاط قامت به مجموعات مدينة طرابلس، التي بدا أن قيادة الثوار تحرص على أن يكون جهدهم في تحرير العاصمة الليبية هو الصورة البارزة، حتى لا تكون عملية التحرير إنجازا خارجيا قد يؤدي إلى قيام عقدة تنعكس على مشاعر العاصميين في مراحل لاحقة، وتساهم في خلق شنآن في علاقات الغرب بالشرق الليبيين.

وهكذا كان تحرير طرابلس جهدا مشتركا لكل الليبيين طليعته أبناء طرابلس أنفسهم، وبدا فيه دور واضح للسيد عبد الرحمن بلحاج، الذي قيل أنه زعيم الإسلاميين في العاصمة، وهو ما يفسر التعليقات المغرضة التي صدرت عن محاولة الإسلاميين سرقة الانتصار[371].

---

[371] - عبد الحكيم بلحاج، القائد العسكري لثوار طرابلس، من مواليد عام 1966، حصل على شهادة الهندسة المدنية.. وبعد تخرجه مباشرة سافر إلى أفغانستان للجهاد عام 1988، ثم عاد إلى ليبيا عام 1994 في فترة ترتيب الجماعة لصفوفها، وبعد المواجهات التي حصلت بين السلطة الليبية والجماعة المقاتلة عام 1995 ومقتل أميرها عبد الرحمن حطاب استطاع بلحاج مغادرة ليبيا والعودة إلى أفغانستان، واشتُهر باسم (عبد الله الصادق).. وحين عاد إلى أفغانستان كان مع المجموعة التي رفضت الانضمام إلى تنظيم القاعدة، وبعد أحداث 11 سبتمبر 2001 في أمريكا وضرب القوات الأمريكية لأفغانستان فرّ قادة الجماعة إلى عدة دول.. وفي عام 2004 تم اعتقال عبد الحكيم وعدد من قيادات الجماعة.. وبعد إجراء تحقيقات معهم أكدت ألا علاقة لهم بتنظيم القاعدة، تم تسليمهم بذات العام إلى ليبيا وأودعوا في سجن أبو سليم بطرابلس. وفي سبتمبر 2009 أصدرت الجماعة المقاتلة كتاباً ضخماً اسمه (دراسات تصحيحية في مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على الناس) يقع في 414 صفحة.. وهو منشور في الإنترنت.وضم تأصيلاً شرعياً لمفاهيم تنقض أسس الفكر الجهادي.. لذلك أثار جدلاً كبيراً عند الجماعات الجهادية في العالم.. وشكك بعضهم بصدقيته باعتباره قد صدر بالإكراه من داخل السجون، وراجع الكتاب قبل صدوره وأيّد ما احتواه من أفكار شرعية عدد من الشيوخ، من أمثال يوسف القرضاوي وسلمان العودة وأحمد الريسوني وعددٌ من علماء ليبيا.. فيما أبدى نائب رئيس جبهة الإنقاذ الجزائرية (علي بلحاج) تحفظه على هذه المراجعات، ووصفها بأنها انتقلت من تشريع العنف إلى تشريع الحكومات المستبدة. وفي بدايات عام 2010 تم الإفراج عن عدد من المعتقلين الإسلاميين وكان من بين المفرج عنهم أمير الجماعة عبد الحكيم بلحاج، وفي بداية الثورة الليبية انضم شباب الجماعة الليبية المقاتلة (قرابة 100 عنصر) إلى الثورة تحت قيادة المجلس الانتقالي، وكان عبد الحكيم هو قائد معركة طرابلس- نواف القديمي - التقدمية .

وتقول صحيفة النهار، المطلعة أمنيا، في عددها يوم 3 سبتمبر بأن بلحاج يعتبر من القلائل الذين رفعوا الغطاء عن "الجيا" في الجزائر، وساهمت مراجعاته في إظهار حقيقة تنظيم عنتر الزوابري مما ساهم في عزله دوليا.

- وأعلنت فرنسا الأربعاء (واف) أنها ليست قلقة بشأن ما تردد من أخبار صحافية عن وجود صلات بين رئيس المجلس العسكري للثوار الليبيين في طرابلس عبد الحكيم بلحاج وإسلاميين مقربين من تنظيم القاعدة. وقال مصدر في الرئاسة الفرنسية " التقى به الجنرال "بنوا بوغا" وتمكن من تكوين رأي شخصي لا يتطابق أبدا مع هذه الاتهامات (..) و من الطبيعي أن تظهر عدة توجهات في صفوف هذه القوى التي حررت ليبيا (...) هناك مسلمون ملتزمون وهذا أمر طبيعي، مثل مصطفى عبد الجليل، لكني بالتأكيد لا أصفه بأنه إسلامي متشدد"، وأضاف المصدر "هناك فرق بسيط مهم جدا بين المسلمين الملتزمين وإسلاميين يريدون الجهاد"، مضيفا "يمكن أن تكون هناك مجموعات صغيرة لكننا واثقون من أمر واحد وهو أنهم لا يمثلون تهديدا ولا تيارا مهما داخل الشعب الليبي."وأضاف هذا المصدر "لا يوجد أي خطر"، آخذا مثالا على ذلك "خارطة الطريق" للعملية الانتقالية التي تبناها المجلس الوطني الانتقالي والتي تنص خصوصا على حماية حرية العبادة والحريات العامة. وقال " هناك الكثير من التهيؤات، هناك رجال دين في صفوف المجلس الوطني الانتقالي، لكن ذلك لا يجعل منهم إسلاميين."(ولعل العرب يطمئنون وقد جاءت الفتوى من الإليزيه)

وتشمل الوثائق التي حصلت عليها منظمة (هيومن رايتس ووتش) من أرشيف استخباراتي ليبي، تفاصيل عملية سرية لاعتقال الإسلامي عبد الله الصديق في ماليزيا العام 2004، الذي يقود حاليا الثوار في طرابلس .ويرد في الوثائق أن الاستخبارات الأمريكية أبلغت السلطات الليبية أنها ستعتقل الصديق وزوجته وتسلمهما إلى النظام الليبي .وعبد الله الصديق هو الاسم الحركي لعبد الكريم بلحاج.وفي رسالة أخرى، تهنئ الاستخبارات البريطانية نظيرتها الليبية باعتقال الصديق، ويرد فيها "هذا اقل ما يمكن أن نقوم به (ق.ع/عن واف 4 سبتمبر)

وفي مجال المقارنة بين سقوط بغداد وتحرير طرابلس، يقول عبد الوهاب الأفندي (القدس العربي 26 أغسطس) الهجمة لإسقاط النظام العراقي جاءت بمبادرة خارجية (..) بينما الهبة ضد القذافي انطلقت من شوارع ليبيا، وحققت انتصاراتها الحاسمة، بما في ذلك تحرير بنغازي والبيضاء والزاوية غيرها، وتشكيل قيادة موحدة حظيت بدعم ليبي واسع قبل أي تدخل أجنبي، وإذا كان ينبغي أن تكون هناك مقارنة، فهي بين الانتفاضات التي واجهها نظام صدام حسين في الجنوب والشمال بعيد هزيمته في الكويت،(..) وكانت تغلب عليها الحركات الإسلامية الشيعية المدعومة من إيران من جهة، والحركات الكردية من جهة أخرى، بينما كانت هناك انقسامات في داخل هذه التيارات أيضاً، وبالمقابل فإن المعارضة الليبية سارت على نسق الثورات العربية التي انطلقت هذا العام، حيث نجحت بسرعة في تشكيل هوية وطنية جامعة، وفي الالتفاف حول أهداف متفق عليها، وهي إسقاط الدكتاتورية وإنشاء نظام ديمقراطي.

والغزو الأمريكي (..) أنتج نظاماً تغلب عليه الصبغة الطائفية الضيقة، والميل إلى استخدام العنف والإقصاء لفرض إرادته، ولعل الأقرب إلى الصحة أن يقال أن القوات الغازية تحولت في العراق إلى ميليشيا تدافع عن الأحزاب الطائفية، بدلاً من أن يقال أن الأحزاب العراقية أصبحت ممالئة للاحتلال.انتهى.

لكن تطور الأحداث في اليوم التاريخي أعطى صورة غير صحية عن وضعية الثوار، وخاصة في الجانب الإعلامي الذي بدا وكأنه لم يستطع استثمار ما حدث لمصلحة الثوار، والذي يؤكد أن قيادة الإعلام لم تكن في مستوى التعامل مع متطلبات الثورة الهائلة.

ففي البداية كان هناك التسرع في الحديث عن سقوط طرابلس والتركيز على اختفاء كلٍ وجود لقوات القذافي، وهو ما فرض على مصطفى عبد الجليل في اليوم التالي المسارعة إلى القول بأن تحرير العاصمة ليس نهائيا بعد، وكان تطور الأحداث يؤكد بأن التفاؤل المبالغ فيه كان حماقة كبرى، نبه إلى خطورتها رئيس المجلس الانتقالي نفسه.

وكان على المراقبين النزهاء أن يدركوا بأن طرابلس كانت عاصمة لنظام تمكن عبر عدة عقود من زرع وجوده في المدينة عبر الآلاف من عناصر اللجان الشعبية والموظفين ورجال الشرطة، واستطاع أن يختزن حجما هائلا من الأموال والسبائك الذهبية، وكان من الطبيعي تماما ألا يكون دخول الثوار إليها كاقتحام الجنود السوفييت الداخلين إلى برلين، التي دكها القصف الجوي والمدفعي تماما، في مايو 1945[372].

من هنا كان يجب أن توضع في إطارها الصحيح عملية محمد القذافي، النجل الأكبر للعقيد، الذي تمكنت قناة الجزيرة من الحديث معه مؤكدة بذلك أنه محاصر في منزله، وسُمعت خلال الحوار مع محمد كريشن طلقات رصاص قيل أنها تبادل لإطلاق النار بين حراسه والثوار المحاصرين له، ثم تتسرب أنباء يوم الاثنين بأنه خطف، وحده وبدون زوجه وأمه وأولاده، من قِبل مجموعات أرسل بها خميس القذافي، وقالت "العربية" أن اختطاف محمد القذافي تم بواسطة أربعة سيارات من نوع "هامر" ضمت عددا من غير الليبيين، ويظن البعض أنهم من الصرب، وكانت عملية محمد بقعة ظل أعطت الشعور بأن هناك انفلاتا في صفوف الثوار(ولجأ محمد بعد ذلك إلى الجزائر مع زوج العقيد وعدد من إخوته). ولعل تبرير عبد السلام جلود لما حدث كان أقرب التحليلات للصحة، ربما لبساطته الشديدة، فقد قال جلود بأن حرس ابن العقيد الأكبر كانوا شبابا طيبا لم يعرف في حياته مواقف كالتي يعيشها اليوم، ومن هنا سهلت عملية خداعه.

لكن هذا لا يمنع من القول بأن ظاهرة سيف الإسلام كانت أمر يلفه الغموض في غياب أي تفسير لظهوره العلني بعد أن راجت أخبار اعتقاله.

فمع اقتراب الليل من منتصفه يوم الأحد تنفجر قنبلة نفسية هائلة خلقت تذبذبا في صفوف كل من يتابعون الأحداث، حيث قدمت قناة العربية، وتبعتها في ذلك كل الفضائيات، لقطات لسيف الإسلام القذافي أكد الصحفيون الحاضرون أنها مباشرة، ومضمونها أن الأمور كلها تحت سيطرة النظام الذي تمكن، بفضل جموع الليبيين في طرابلس (؟؟) من تحطيم العمود الفقري لمجموعات "المخربين والعصابات" التي تسربت إلى داخل العاصمة، وتواطأت معها مصالح الناتو الإعلامية لتعطي صورة غير حقيقية لما حدث.

---

[372] - لم يكن تهديد معمر القذافي بملاحقة المتمردين على نظامه "بيت بيت، زنقة زنقة"، تهديدا عبثيا بل كان يستند إلى جيش المخبرين والمسلحين الذين كانوا ينتشرون في كل زاوية من زوايا المدن، وخصوصا طرابلس..(ق.ع/عن واف 4 سبتمبر)

وقال سيف الإسلام طبقا لما نقلته القدس العربي : الغرب عندهم تقنية عالية، شوشوا على الاتصالات وبعثوا رسائل للشعب الليبي، إنها حرب إلكترونية وإعلامية لبث الفوضى والذعر في ليبيا، مضيفا، وأيضا سربوا من البحر ومن خلال السيارات عصابات من المخربين.

ثم تبرز "اللقطات" تجمعات من الشباب تحيط هاتفة بابن العقيد، الذي دعا الصحفيين إلى مرافقته في أكثر مناطق العاصمة الليبية سخونة ليؤكد لهم ما صرح به، وبدا واضحا أن هناك خللا ما فيما يقوله زيف الإسلام، الذي حرص على أن يُتمّ مداخلته الحماسية بإشارة للمحكمة الدولية رفع فيها شعار جماهيرية العقيد الخالد :طز، فلم يحدث أن رأينا جولات معه خارج لقطات العزيزية.

لكن ما تابعه الناس عبر الفضائيات أحدث للوهلة الأولى صدمة هائلة لكل من تصوروا أن وصول الثوار إلى الساحة الخضراء هو نهاية للصراع، فهللوا لرفع العلم رباعي الألوان في طرابلس، وسعدوا برؤية جموع الثوار تطأ صور العقيد القذافي الضخمة في الساحة التي استعادت اسمها القديم وهو ميدان الشهداء، وهو ما تزامن مع تكبيرات رائعة كانت ترددها مآذن العاصمة الليبية طوال مرحلة التحرير.

وكان العنصر الأول في الصدمة هو المفاجأة التي صنعها ظهور ابن العقيد على شاشات الفضائيات، في حين أن "أوكامبو" كان قد صرح بأنه تلقى معلومات مؤكدة بأنه رهن الاعتقال، بل وجرت أحاديث عن إمكانية تسليمه إلى المحكمة الدولية، وربط هذا على الفور بفرار ابن العقيد الأكبر ليعطي صورة سلبية عن أن الوضع في طرابلس لم يُحسم بعد.

والواقع أنني، وبعد الخرجة المسرحية لابن العقيد، ومن واقع معرفتي بخبث القذافي وماكيافيليته، كنت أتوقع حدوث شيء ما، لأن عنصر الاستفزاز كان واضحا في تصرفات "زيف" الإسلام، وبرغم أن عنصر "التهويش" لم يكن خافيا، وإذا صح منطق الانسحاب التاكتيكي الذي أشار له العقيد فيما بعد فإن العملية كانت عملية معقدة، من ترتيب مستشارين متخصصين لتحقيق ما يمكن تحقيقه من بين عدة أهداف، وكان من الأهداف استفزاز "الناتو" من منطلق أنه يريد أن تتم العملية بسرعة، وهكذا يرسل بقوات أرضية لاحتلال باب العزيزية، وهذا في حد ذاته يعيد إلى الأذهان فورا قصة العراق، ويفقد حلفاء الثوار أهم أوراقهم.

وربما كان من خلفيات من خططوا للعملية خلق اختلال سريع في توازن قيادة الثوار ينعكس على الأداء الميداني للمجموعات، التي ربما كان من بينها شباب لا يعرفون العاصمة الليبية حق المعرفة، وهو ما يجب أن يُذكر بأن اليوم التالي شهد دخول الثوار باب العزيزية.

وقد سبق أن أعطيتُ صورة عن عقر دار القذافي، وأكتفي هنا بالتذكير بأنه قلعة ضخمة تضم تجمعات عمرانية موجودة على مساحة لا تقل عن ثمانية كيلومترات مربعة، أي أنه يمكن أن يكون مثيلا في مساحته وتخطيطه لحي المرادية وغابة بولونيا المجاورة له في العاصمة الجزائرية، في مساحة مقاربة للمنطقة من مقام الشهيد حتى جسر حيدرة وشارع محمدي إلى ميدان بير مراد رايس.

ومعقل العقيد محاط بثلاثة أسوار هائلة يفصل بين الواحد والآخر منها نحو 300 متر، بما يشبه تحصينات خط "ماجينو" الشهير، وهو، طبقا لما كان يتردد، تحت حراسة آليات ثقيلة تقودها مئات من كاميرات مراقبة وتخضع لمخططات أمن بالغة القسوة، ربما كان من بين من يسهرون عليها خبراء أمنيون من أوربا الشرقية، والمنطقة تتصل بأنفاق تقود إلى مواقع معينة في العاصمة الليبية، منها بعض الفنادق الكبرى وخصوصا فندق "ريكسوس"، مقر إقامة الصحفيين، ومن هنا يمكن بسهولة أن نفهم بأنه لم يكن أمرا خارقا للعادة أن يتوسط ابن العقيد تظاهرة مؤيدة ومتحمسة داخل القلعة المحصنة ومترامية الأطراف، خصوصا وأن عدد من التفوا حوله لم يكن يتجاوز المائتين على أكثر تقدير، وهو ما يضاف له أن سيف الإسلام لم يظهر في أهم مناطق العاصمة الليبية، وهو ميدان الشهداء وشارع عمر المختار وميدان الجزائر، كما كان يدّعي في فجور واضح، بل اختفى مباشرة بعد أن تم تصوير اللقطات.

وهنا يبدو الهدف الثاني، وربما الرئيسي، لمسرحية التظاهرة، وهو استفزاز الثوار واجتذابهم نحو باب العزيزية للتخلص من هذا الأفاق الذي يستهين بهم ويصفهم بالمخربين والعملاء.

وما يمكن أن يؤيد هذا الاحتمال هو عدد الضحايا الكبير الذي نتج عن اقتحام باب العزيزية، والذي يبدو أنه تجاوز 400 شهيد وأربعة أضعاف ذلك العدد أو أكثر من الجرحى، مما يعني أنه كان هناك اندفاع نحو الموقع المحصن، وعندما أربط هذا بابتسامة سيف الإسلام الفاجرة وهو يحيي الصحفيين في باب العزيزية لا أستبعد أن يكون الاستفزاز هو الهدف الرئيس، وهو ما يُعطي صورة عن مدى إجرام القذافي وابنه.

من هنا، وعندما اقترب مساء اليوم الأول للاستيلاء على باب العزيزية بدأت أشعر بخوف حقيقي من فخ تتكرر به قصة حصان طروادة، فيخرج على الشباب المرهق من المعركة وغير المتمرس على خدع القتال طابور من قناصة الكتائب المختفين في مكان من باب العزيزية أو من حديقة الحيوان المجاورة ما ليفتكوا بالثوار الشباب، الذين تصوروا أنهم حققوا الانتصار على العقيد، تماما كأهل طروادة.

وقد كان واضحا أن جيوبا كثيرة في العاصمة الليبية ظلت في منأى عن الزحف الأول للثوار، ولهذا فإن هؤلاء، كما كنت أخشى، يمكن أن يتعرضوا لعملية التفاف هائلة، يُجهض فيه الانتصار الذي تحقق في اليومين الأولين، وهو ما سوف يؤكد أن تلك الجيوب كانت مجموعات منظمة تعمل طبقا لمخطط موضوع وليس مجموعات هاربة تحاول حماية نفسها من الغضبة الجماهيرية.

وهنا تتضح تداعيات الموقف الإجرامي لروسيا التي صرح رئيسها بأن الموقف في ليبيا غامض وهناك الأن سلطتان في ليبيا، وهو انتهازية سياسية تدعم نظام القذافي ويمكن أن تمهد لنار حرب أهلية، لأن معنى هذا هو تشجيع كل من حملوا أو حُمّلوا السلاح، تحت راية القذافي، وهو ما يعيد إلى الأذهان تاريخ موسكو الإجرامي في قمع تظاهرات شعوب تشيكوسلوفاكيا والمجر وبولونيا وقبل ذلك أفغانستان.

وفي خضم الأحداث يحدث انفلات سخيف تمثل في قيام بعض العناصر الطفيلية بمشاكسة مقر السفارة الجزائرية، وهو في تصوري دليل عدم انضباط من بعض المجموعات، التي بدا وكأن هناك من أرسل بها عمدا لاستفزاز السفارة، خصوصا وأن السفير الجزائري، لم يكن، كما قيل، في عين المكان، بعكس روبرت فورد، السفير الأمريكي في دمشق، الذي ظل في موقعه مضحيا بعطلته السنوية.

وأنا هنا أفترض العمل المتعمد لأن مبنى السفارة ليس في موقع متميز كموقع السفارة الأمريكية في الجزائر مثلا، ولعلي أفترض أيضا بأن ما حدث، واعتذرت عنه على الفور قيادات الثوار، قد لا يكون بالضرورة من فعل ثوار حقيقيين، حيث أن احتمالات الانزلاق في وضعيات كهذه أمر وارد.

لكنني أتصور أن رد الفعل الجزائري لم يكن موفقا.

فقد أوردت الشروق اليومي أن الناطق باسم وزارة الشؤون الخارجية أكد في تصريح لوكالة الأنباء الجزائرية أمس أن رئيس الدبلوماسية الجزائرية مراد مدلسي قد بعث مراسلة "عاجلة" للأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة "لجلب انتباهه بشأن الانتهاكات التي تعرض لها مقر البعثة الدبلوماسية الجزائرية"، مطالبا إياه بالعمل على أن يتخذ نظام الأمم المتحدة الإجراءات اللازمة قصد ضمان حماية الدبلوماسيين ومقرات البعثة الجزائرية وكذا ممتلكاتها وفقا لقواعد القانون الدولي.

من جهته، اعتبر أحمد بن حلي نائب الأمين العام للجامعة العربية في اتصال هاتفي مع صحيفة الشروق أمس اقتحام الثوار الليبيين "لبعض السفارات العربية" أمرا مخالفا لكل قواعد العمل الدبلوماسي، وقال "لما دخل الثوار إلى طرابلس دخلوا بعض السفارات وفتشوا إن كانوا فيها أسلحة وهذا مخالف لكل قواعد تنظيم العمل الدبلوماسي"(..) وأكد بن حلي (الجزائري) أن ممثلين عن المجلس الوطني الانتقالي "اعتذروا عن هذا الأمر وأكدوا أنه غير مقصود، قامت به جماعات غير منضبطة بسبب الانفلات الأمني".

لكن ما حدث عندنا كان أمر لافتا للنظر، فقد جرى تضخيم ما حدث في بعض الصحف بشكل أعطى الشعور بأنه محاولة لتغطية إحساس بالذنب لم يكن له ما يبرره، وكان هذا هو موضوع الصفحة الأولى في إحدى الصحف الجزائرية يوم الثلاثاء، في حين أن الحدث الإعلامي كان تحرير العاصمة الليبية.

واتوقف لحظات لأقول بأن تخوفات الجزائر من انفلات الأوضاع على حدودها الشرقية كان له ما يفسره، حيث أن التركيز الرئيسي على حماية الأمن القومي، منذ غزو الجيش المغربي للجزائر في 1963 وخصوصا بعد انفجار قضية الصحراء الغربية، كان على الحدود الغربية، لكن التعامل مع حدث هامشي، كتحرش شباب غوغائي بالسفارة الجزائرية في إطار أحداث كبرى، لم يكن له، سياسيا وإعلاميا، ما يبرره، خصوصا وقد لمحت بعض التعليقات بذعر واضح إلى أن تحالفات الثوار الليبيين ستجعل جارنا الشرقي هو فرنسا، وهو قول قد يجوز على البسطاء والسذج الذي يظنون أن البحر المتوسط يبعدنا عن فرنسا، في حين أنها جارنا الشمالي شبه المباشر.

وكان المهم أن الشارع الإعلامي في الجزائر استطاع أن يفلت من التأثير الإعلامي المُوجّه، ولعلي أستعين هنا بتصريحات رفيقين كنت سعدت بالحوار معهما وتحليل الموقف خلال الأسبوع الماضي.

والأول هو وزير الإعلام الأسبق عبد العزيز رحابي، الذي قال في الخبر يوم 23 أغسطس: "الرأي العام الليبي ينظر إلى الجزائر على أنها كانت مساندة لنظام القذافي، وحتى في حالة عدم وجود دلائل تؤكد هذا التأييد أو المساندة، فإن الليبيين مقتنعون بأن الجزائر لم تساندهم، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها".

واستغرب السيد رحابي غياب أي قناة اتصال بين الجزائر كسلطة وأي من الفصائل الثلاثة التي يتشكل منها المجلس الانتقالي في ليبيا، وهي الإسلاميين، والمنشقين من جماعة القذافي، أي أولئك الذين كانوا جزءا من نظامه، ثم ممثلي التيار الديمقراطي، وانعدام قناة اتصال تربط الجزائر بأي من هذه التيارات حسب الوزير رحابي، جعل أي تأثير للجزائر في الأحداث الليبية في درجة الصفر، أما عن قول السلطة بأنها تؤيد مشروع الاتحاد الإفريقي لحل الأزمة، فهذا موقف غريب، لأن ليبيا جارة للجزائر وبالتالي من غير المعقول أن يكون موقفنا مثل موقف جنوب إفريقيا أو الموزمبيق أو الليزوطو أو أوغندا.

وعن سر انفراد الجزائر بهذا الموقف، يقول السيد رحابي بأن الأسلحة كانت تأتي إلى ليبيا عبر مصر بتمويل قطري، وعليه فلمصر، رغم ظروفها الصعبة، كلمة في الشأن الليبي، وأعطى تواجد اللاجئين الليبيين بتونس للسياسة التونسية حضورا، إضافة إلى الحكمة والرزانة التي طبعت سلوكات السلطة في تونس مع الملف، كما تميز المغرب بربط هادئ لعلاقة مع الطرفين، وهنا نسجل أن الرباط استقبلت وفدا عن المجلس الانتقالي[373]، أما عن حقيقة الموقف الجزائري فلا يعرف كنهه إلا سبحانه وتعالى.

ونبه السيد رحابي إلى أنه لا يُحمّل مسؤولية هذا الغياب وهذا الخلل للدبلوماسية الجزائرية ووزارة الخارجية (والوزير كان سفيرا سابقا) لأن القرار كان مركزيا وممركزا بيد رئيس الجمهورية، وعليه فهو المسؤول عن الخلل الحاصل (ولعلي هنا أختلف مع رحابي) أما عن المستقبل، فيقول السيد رحابي بأن المرحلة الانتقالية في ليبيا ستدوم سنتين ونصف إلى ثلاث سنوات (..) ويخلص إلى أن مرحلة التوتر ستكون محدودة في الزمان.انتهى.

ويتحدث الكولونيل المتقاعد أحمد عظيمي في صوت الأحرار قائلا بوضوح: انتفاضة الشباب التونسي ثم الشباب المصري فاجأتا مراكز الدراسات ودوائر اتخاذ القرار في الدول الغربية فاختارت أن تكون إلى جانب الانتفاضات التي تقع في دول عربية معينة حتى تتمكن من توجيهها والاستفادة من نتائجها، وبالنسبة لليبيا، قدمت مساعدات كبيرة للمنتفضين على القذافي ولولا هذه المساعدات لما تمكنوا من الانتصار عليه (..) لكن هذا لا يعني أن نظام القذافي لا مسؤولية له في كل ما حدث ويحدث لليبيا (..) القذافي سيّر ليبيا بيد من حديد وحرم مواطنيها من كل وسائل التعبير، لقد أله نفسه وهو يدفع الثمن، لا يجب أن نضع كل شيء على الآخرين (..) ستكون هناك تداعيات كبيرة على المنطقة، لأن الجزائر اتخذت موقف المتفرج على ما كان يقع في ليبيا، بينما كان عليها أن تكون اللاعب الرئيسي والوحيد في كل ما وقع هناك، أي تجنيد كل الدول الإفريقية وإقناع المجموعة الدولية بعدم التدخل العسكري في ليبيا وان تلعب بذلك دورا مدعومة بالدول الإفريقية لرحيل القذافي، وعليه فإن العلاقة ستكون جد متوترة بين الجزائر والمجلس الانتقالي.انتهى.

ويشهد يوما الأربعاء تطورا لا يقل "فولكلورية" عن خرجة "زيف " الإسلام في دار العزيزية قبل سقوط الحصن، وجاء ذلك في خرجة "بن لادنية" للعقيد القذافي، تمثلت في رسالة صوتية بثتها قناة فضائية غير مشهورة تبث من سوريا، قيل أنها مملوكة لعراقي ويمولها القذافي كمواقع إعلامية أخرى، وربما بتواطؤ من السلطات السورية التي رأت أن سقوط العقيد ليس بشرى خير للنظام.

وقال العقيد في مداخلته الإذاعية المسجلة أن ما تم في باب العزيزية كان مجرد "انسحاب تاكتيكي" (!!!) نتيجة لهجومات مكثفة من حلف "الناتو"، وطالب أنصاره "بتمشيط" طرابلس والقضاء على الخونة، ولم يقل الأخ "الفقيد" ما إذا كانت تلك "الهجمات المكثفة" حدثت قبل تمثيلية سيف الإسلام في الليلة الماضية أو بعدها، ولكنه يؤكد أنه تجول بشكل سري في شوارع طرابلس بدون أن يكشف عن نفسه (وهو اعتراف مخزٍ من رجل يدعي بأن أنصاره ملايين، ويؤكد خصومه أن ذلك لو حدث فعلا فإن رؤيته لمن يدوسون على صوره كافية لكي ينهي حياته بطلقة في رأسه).

وواضح أن ذلك الأداء المسرحي الصاخب يشير إلى احتمال دور فعّال لمستشاري العقيد الذين أشرت لهم أكثر من مرة، وربما كانت خلفية هؤلاء ما عرفته فرنسا في "ديان بيان فو" الفيتنامية، عندما قامت بتجميع

---

[373] - قام وزير الخارجية المغربي بزيارة إلى بنغازي في اليوم التالي لتحرير طرابلس، مؤكدا بذلك اعتراف المغرب بالثوار.

قواتها في موقع واحد ركزت جهود الثوار على تدميره، وكانت الهزيمة الساحقة التي أنهت الوجود الفرنسي في جنوبي شرقي آسيا.

وهكذا لم تعد كل قوات النظام المنهار تتمركز في العاصمة بل حدثت تجمعات موازية في مناطق انسحبت إليها كتائب القذافي، وخصوصا في سرت وزواوة شمالا وسبها جنوبا، وتم توزيع القوات التي كانت متمركزة في باب العزيزية على جيوب مبعثرة عبر العاصمة الليبية، من بينها حي بو سليم ومنطقة فندق ريكسوس، حيث احتجز عدد من الصحافيين الأجانب تحت تهديد أسلحة عناصر تابعة للقذافي، بما جعل منهم رهائن حقيقية، وتم الإفراج عنهم بعد ذلك بسرعة غير عادية نتيجة لتدخل الصليب الأحمر كما قيل.

وهكذا أعاد العقيد سيرة بن لادن ورسائله الإذاعية، مما يمكن أن يؤكد بأن العقيد تحول إلى ظاهرة صوتية، هدفها الرئيسي الانتقام ممن أنهوا حكمه بخلق مراكز توتر متواصل عبر بعض مريديه الذين يوحي إليهم بأنه عائد إلى السلطة لا محالة، وهو ما يجعل من أولئك المريدين دروعا بشرية معرضة للفناء، بحكم أن الثوار سيواصلون تمشيط كل المناطق المشبوهة، بالإضافة إلى أن خلق التوتر قد يؤخر ذهاب المجلس الانتقالي إلى العاصمة الليبية، بكل ما يمكن أن يعنيه ذلك من عوامل إحباط على مستوى الثوار.

وهنا يأتي دور الجامعة العربية والاتحاد والإفريقي في وضع الأمور في نصابها، وهو ما حدث يوم الخميس 25 أغسطس، عندما أعطت الجامعة للسيد عبد المنعم الهوني مقعد ليبيا في مقرها المركزي بالقاهرة، ثم تسلم الثوار مقعد ليبيا في مقر الجامعة يوم السبت 27 أغسطس بخطاب متميز للسيد محمود جبريل، رئيس المكتب التنفيذي للمجلس الانتقالي، والذي بدأ يأخذ صورة الرئيس المقبل لليبيا الجديدة[374]، وكان ذلك بحضور وزير الهخارجية الجزائرية، الذي قالت أنباء أنه التقى بجبريل.

(11)

في إطار ما بدا أنه مراجعة موضوعية نزيهة للنفس، تناولت صحيفة جزائرية بعض التصريحات الجزائرية التي رأتها غير موفقة، وذكرت بما قاله "مدلسي" في حوار سابق معها بخصوص توقعاته من أن "احتمال وصول الثوار إلى الحكم غير وارد" وبما ذهب إليه وزير الداخلية "دحو ولد قابلية" عندما صرح قبل نحو ثلاثة أشهر من أن "وصول الثوار إلى السلطة من شأنه أن يؤزم العلاقات بين الجزائر وطرابلس".

ولكن، ومع تطور الأحداث بدا أن منطق الدولة، أو من يؤمنون به، يحاولون فرضه على العلاقات بين الجزائر وليبيا، وتبدأ مجموعة من التحركات في الجانب الجزائري والليبي في وقت متقارب، وهكذا تنشر صحيفة "الخبر" الجزائرية مقالا بتوقيع عاطف قدادرة، ربما تم بإيحاء ما، وجاء فيه بأن : مصادر حكومية أفادت بأن الجزائر بدأت ترتب شروطها في اتجاه "تطبيع" سريع للعلاقات مع المجلس الانتقالي في ليبيا،

---

[374] - **محمود جبريل** (مواليد 1952، ليبيا) سياسي ليبي عضو في المجلس الوطني الانتقالي في ليبيا ومسؤول المكتب التنفيذي في المجلس ومسؤول العلاقات الخارجية منذ 23 مارس 2011 ، حصل على البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة القاهرة عام 1975، وحاصل على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة بتسبرج بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة عام 1980، ومتحصل على الدكتوراه في التخطيط الاستراتيجي وصناعة القرار من نفس الجامعة عام 1984، حيث عمل فيها أستاذا للتخطيط الاستراتيجي عدة سنوات، صدر له حتى الآن عشرة كتب في التخطيط الإستراتيجي وصناعة القرار، قاد الفريق العربي الذي صمم وأعد دليل التدريب العربي الموحد، وقام بتنظيم وإدارة أول وثاني مؤتمر للتدريب في العالم العربي عام 1987 و1988، ثم تولى بعد ذلك تنظيم وإدارة العديد من برامج التدريب لقيادات الإدارة العليا في كثير من الدول العربية منها مصر والسعودية وليبيا والإمارات العربية والكويت والأردن والبحرين والمغرب وتونس وتركيا وبريطانيا.). وهو خبير التخطيط الاستراتيجي ورئيس مجلس إدارة مؤسسة "جيتراك" الدولية(ويكيبيديا) وعلى المستوى الشخصي يبدو جبريل واثقا من نفسه، رزينا ومتحدثا جيدا بالإنغليزية وبالعربية، حيث نجد أن خطبه متسلسلة الأفكار معددة المعاني، وأكاد أحس بأنه من أبرز المرشحين لرئاسة ليبيا في المستقبل، إذا لم يتم التخلص منه بطريقة مشابهة للتخلص من عبد الفتاح يونس.

وشرعت وزارة الخارجية في محاولة إبلاغ الرأي العام الدولي ببعض خلفيات موقفها "الغامض" (والقوسان من الصحيفة) من الصراع الذي ساد في ليبيا لستة أشهر ماضية، والذي أعطى انطباعا قويا أنها تقف إلى جانب نظام القذافي على حساب المجلس الانتقالي في بنغازي، وذكرت مراجع حكومية أن وزارة الخارجية شرعت في ترتيب شروط أي "تطبيع" مستقبلي، يكون أساسه تجاوز مرحلة الخلاف التي تسببت فيها رزمة الاتهامات التي وجهت للجزائر، بأن يعتذر المجلس الانتقالي، ويتم تحديد من المتسبب في تلك الاتهامات والجهات التي تقف وراءها (..) وما اعتراف الجزائر، في اللحظات الأخيرة، بأنها كانت من أكثر الدول معاناة من نظام معمر القذافي، وطرحها أسماء الملفات التي ترى أن القذافي ظلمها فيها، إلا دليل على أنها تطلب من المجلس الانتقالي أن "يعرض بضاعته" أمامها حول ما سيقدمه بخصوص نفس تلك الملفات، وهي مسائل الحدود البرية والتعاون الأمني وقضايا الساحل وقضايا الطوارق (..) وتطرح الخارجية أيضا ملفات أخرى على المجلس الانتقالي، علّه يدرسها ويرد عليها، بإعلانها أن ما يشغل الجزائر كثيرا هو الوضع الأمني والاستقرار ومستقبل مخازن الأسلحة التي هربت من ليبيا، وقضية الخصوصيات القبلية والإقليمية في ليبيا، والتي قد تزيد من احتمالات عدم الاستقرار، كما أن علاقات المجلس الانتقالي بعواصم غربية، تلقي بثقلها في علاقاته المستقبلية بالجزائر، حيث تتساءل عن أي دور مستقبلي لفرنسا ودول غربية أخرى في صناعة السياسة المستقبل لليبيا. انتهى

وتنشر الشروق اليومي في نفس اليوم تصريحا لوزير الخارجية الجزائري جاء فيه بأن الجزائر: ستتخذ موقفها النهائي من قضية الاعتراف بالمجلس الانتقالي كممثل شرعي ووحيد للشعب الليبي، عقب اجتماع للجنة وسطاء الاتحاد الإفريقي بشأن ليبيا الخميس وكذا اجتماع وزراء الخارجية العرب حول ليبيا يوم السبت القادم بالقاهرة[375]، وتنشر الصحيفة أيضا حوارا مع محمود جبريل، أبدى فيه رئيس المجلس التنفيذي للمجلس الوطني الانتقالي حرص المجلس الشديد على ربط العلاقات مع الجزائر، مركزا على ضرورة طيّ صفحة الأمس وعدم البحث فيها، لأن العلاقات التاريخية بين البلدين أقوى من اللغط الذي دار بينهما، نافيا تلقي المجلس أي اتصال من الجهات الرسمية الجزائرية للاعتراف به ممثلا شرعيا للشعب الليبي.

وقال جبريل أيضا: خلال الستة أشهر الماضية شاب هذه الفترة الكثير من اللغط وعرفت العلاقات الكثير من التقارير، البعض منها صحيح والآخر غير صحيح، لكن ما أريد قوله أن العلاقة بين البلدين تاريخية ولا يمكن أن تنفصم بسبب أمور طارئة، شئنا أم أبينا، وليس من حقنا كمسؤولين في هذه المرحلة أن نعيق حركة التاريخ بين هذين الشعبين الأكثر اقترابا في الطباع في شمال إفريقيا (..) الشعب الليبي منزعج مما حدث، لأنه كان يتوقع أن يقف إلى جانبه الشعب الجزائري، والأذى حينما يأتي من شقيق يكون مضرا أكثر من أن يأتي من غيره، والشعب الجزائري سيبقى سندا لليبيين ونحن كمسؤولين نؤكد هذه الحقيقة[376].

وردا على سؤال عن تحقيقات حول اتهامات بإرسال الجزائر للمرتزقة قال جبريل: ليس من صالح العلاقات بين البلدين الاستناد إلى هذه النتائج أو النظر إليها، فإذا كانت هناك تحقيقات فليس من اللائق أن تنشر في الوقت الحالي، هذه نظرتي الشخصية، وسألقي بكامل ثقلي في المجلس حتى لا تؤثر هذه التحقيقات على العلاقة بيننا، ولا أعتقد أن الرئيس عبد العزيز بو تفليقة، بما يكنه من حب للشعب الليبي، يسمح بممارسة هذه التجاوزات، وما يهمنا اليوم ليس الأمس أو اللحظة بل الغد، ولا يفيد الطرفين التدقيق فيمن أخطأ أو أصاب، ويجب طي هذه الصفحة نهائيا.

وعن حادث الاعتداء على السفارة الجزائرية بطرابلس قال جبريل: هذه الحادثة لم تكن تقصد الجزائر بعينها، فقد تم الاعتداء أيضا على سفارة الفلبين وكذا قصر "كروسينا" باعتباره استثمارا مالطيا، وقد سارعنا إلى الاتصال بالسفارة الجزائرية وبلّغناها أسفنا، وسجلنا نحو أربع حالات اعتداء على مقرات السفارات نظرا للانفلات الذي واكب اقتحام العاصمة. انتهى.

وتورد الصحيفة قول عبد العزيز رحابي : "لا تجني الجزائر من سقوط نظام القذافي غير السلاح الذي هُرّب عبر حدودنا، لكننا خسرنا الشعب الليبي، لأننا لم نؤيده في محنته طيلة ستة أشهر"، ودعا إلى "أخذ العبرة من درس ليبيا وقبلها تونس ومصر، وتصحيح الموقف مما تعيشه بعض البلدان العربية، على غرار سوريا

---

[375] - شارك مراد مدلسي في استعادة ليبيا لمقعدها في مجلس الجامعة العربية بالقاهرة.

[376] - أؤكد مرة أخرى أن اهتمامي باستعراض كل هذه التفاصيل نابع من إدراكي بأن تسارع الأحداث وكثافة المعلومات جعلت عملية المتابعة عسيرة بالنسبة للقارئ غير المتفرغ للمتابعة.

واليمن"، وقال "إن الجزائر هي الخاسر الأكبر في ظل التطورات الأخيرة في طرابلس" مقارنة بكل من تونس ومصر، وذلك من خلال تضرر العلاقات الجزائرية الليبية".

كما نقلت "الشروق" عن أستاذ العلاقات الدولية في جامعة الجزائر أحمد عظيمي قوله "إن الجزائر خسرت دولة شقيقة هي ليبيا، لصالح غريم تقليدي ممثلا في فرنسا".

وتخرج افتتاحية عبد الباري عطوان صباح 25 أغسطس بالتصور التالي:

العقيد القذافي بات أخطر في نظرنا مما كان عليه قبل أيام معدودة، وبالتحديد قبل سقوط واجتياح منزله في قاعدة باب العزيزية، ويمكن أن يهدم المعبد الليبي فوق رأسه ورؤوس الأخرين إذا كتبت له الحياة لفترة أطول، أو لم يتم القبض عليه بسرعة، فالرجل ليس مجنونا مثلما يحلو لبعض المحللين والخبراء العرب وصفه، وإلا لما حكم ليبيا وشعبها الطيب أكثر من 42 عاما. وكان طوالها لاعبا رئيسيا على الساحة الدولية.

إنه ثعلب عجوز، ماكر وداهية في استخدام ما لديه من أوراق (..) أولا: العقيد الليبي تحلل كليا من كل أعباء الدولة، ولم يعد يملك مقرات أو قواعد أو منازل تشكل أهدافا لطائرات حلف الناتو وصواريخه، مثلما كان عليه الحال في السابق، أي انه حيّد أكبر خطر عجّل بسقوطه ونظامه، ولم يعد تدخل هذا الحلف فاعلاً، بل قد يتحول إلى لعنة على الدول التي تقف خلفه، وعلى الحكم الجديد (!!) ثانيا: العقيد القذافي يجلس على جبل من العملات الصعبة، استطاع تخزين المليارات منها نقدا، تحت "مخدته" في مكان ما في ليبيا، وهذه المليارات لن تصرف على دفع رواتب موظفين بيروقراطيين، أو جيش مترهل أو لشراء داوية ومعدات طبية، وإنما على عمليات التخريب الداخلي والخارجي التي قد ينخرط في تنفيذها.

ثالثا: هذا الرجل يملك خبرة عريقة في الإرهاب وشبكاته العربية والدولية، مثلما يملك مخزونا ضخما من الحقد والكراهية لخصومه، وعلينا أن نتذكر انه احتضن منظمة "أبو نضال" واستخدمها بفاعلية في تصفية خصومه أو "الكلاب الضالة"، مثلما كان يطلق عليهم، وموّل الجيش الجمهوري الايرلندي وسلّحه، والقائمة تطول، وأفضل لقب له هو "ملك الإرهاب" وليس ملك الملوك، فهو فاشل في البناء، ومتفوق في الهدم!

رابعاً: هناك مؤشرات واضحة على إعداده خطة محكمة لمرحلة ما بعد سقوط نظامه وانهيار قواته، واختفاء حرسه فجأة، وذوبان أنصاره في غابة طرابلس الإسمنتية، وكذلك إطلاق محطات تلفزية وإذاعية فور السيطرة على محطاته الرسمية من قبل قوات المعارضة، وما محطة "العروبة" التلفزيونية أو "الرأي" التي بث عبرهما خطابه فجر أمس إلا احد الأدلة، هذه محطات ليست سورية كما يزعم، لان النظام في سورية أذكى من أن يتبنى نظاماً منهاراً يلفظ أنفاسه الأخيرة.

نجاح العقيد القذافي في إفساد احتفالات الشعب الليبي بانهيار نظامه، وتحويل طرابلس إلى نموذج للفوضى وانعدام الأمن، ولو لفترة محدودة، خطوة مدروسة من قبله وأنصاره، ويمكن أن تمتد إلى مدن أخرى إذا لم يلجأ الطرف الأخر إلى تطويقها وإحباطها فوراً وفي أسرع وقت ممكن.

لا نستغرب أن يكون هدف الزعيم الليبي (سابقاً) هو جرّ حلف الناتو ودوله إلى مصيدة أخرى، ربما تكون أكثر خطورة أي إرسال قوات جيش لحفظ الأمن في المدن الليبية لوضع حد لحالة الفوضى هذه، وتمكين الحكم الجديد من ترسيخ سيطرته، والبدء في بناء ليبيا الجديدة.

العقيد القذافي يراهن على أفراد قبيلته والقبائل الأخرى المتحالفة معها، مثلما يراهن على القادة والشعوب الإفريقية التي أعلن انتماءه إليها بعد أن خذله نظراؤه العرب أثناء الحصار، ولا نستطيع أن نحكم بمدى صحة هذا الرهان من عدمها، ولكن ما نراه أن معظم الدول الإفريقية رفضت حتى الآن الاعتراف بالمجلس الانتقالي، ويظل الرهان الأكبر للعقيد هو اتساع شرخ الانقسامات في صفوف المعارضة لنظامه، وتحول ليبيا إلى دولة فاشلة، وضخامة الثمن الذي يمكن أن يطالب به حلف الناتو وفرنسا وبريطانيا بالذات، مقابل دعم مخططات إطاحة نظامه. انتهى.

وكثير من هذه المعطيات صحيح، ولكن القبول به ومواجهته هو جزء من المجازفة التي كان البديل عنها هو القبول بحكم العقيد وأبنائه من بعده.

ويبقى أن الأمر لم يتم فصولا، فالعقيد يواصل خطبه التحريضية التي تبث من التلفزة سالفة الذكر، بحيث هناك خطاب كل يوم تقريبا، بالإضافة إلى تصريحات موسى إبراهيم القذافي، وفشل الثوار حتى الآن في تشغيل التلفزة الليبية، وهو ما ينعكس سلبا على الوضعية، ولا يمكن أن يطوى الملف إلا بعد القبض على العقيد أو انتقاله إلى الرفيق الأعلى أو إلى منفى أرضي، وبغير هذا سيقطع العقيد مسيرة لا تختلف كثيرا عن مسيرة

بن لادن، وسيجد من وسائل الإعلام الباحثة عن الإثارة أو الباحثة عن الربح مكبرات صوت متواصلة البث إلى درجة الإملال.

وفيما يتعلق بنا، كان واضحا، كما قلت، أن منطق الدولة يفرض نفسه تدريجيا، لمصلحة البلدين ولمصلحة المنطقة بشكل عام، لكن هذا تشابك مع مواقف أخرى عبر عنها التناقض في مواقف الصحف الجزائرية، مما قاد إلى الشعور بأن ذلك يعكس تناقضا في مواقف شخصيات مؤثرة أو أجهزة فاعلة، يؤثر كل منها على من يرتبط به من الصحفيين.

وكان أبرز ما حدث برقية صدرت عن وكالة "رويتر" (ق.ع. 26 أغسطس) نقلت على لسان مسؤول حكومي رفيع المستوى (تحفظت الوكالة على ذكر اسمه، وإن كانت أفكار مماثلة قد ترددت من قبل على لسان وزير الداخلية) أن :الجزائر لديها أسبابها التي تجعلها ترفض الاعتراف بالمجلس الانتقالي الليبي، وأنها تضع شروطا لتغيير موقفها، وفي مقدمتها ضرورة اعتذار المجلس على الاتهامات التي وجهها للسلطة الجزائرية منذ بداية الأزمة في ليبيا، وخاصة مسألة إرسال مرتزقة وأسلحة لدعم نظام القذافي، وهي اتهامات لم يقدم عليها الثوار أي دليل، ومع ذلك ظلوا يكررونها"، وأضاف المصدر :"الجزائر لا تعترف بالمجلس الوطني الانتقالي لأنه مؤسسة انتقالية، كما يشير اسمه، وأنها ستعترف فقط بالممثلين الشرعيين للشعب الليبي بمجرد أن يختاروا بأنفسهم زعماءهم"، وموضحا بأن الجزائر:"تأمل أن تحترم السلطات الليبية الجديدة المعاهدات والاتفاقيات بين الدولتين لاسيما في مجال الأمن"، وأكد على أن الجزائر لديها أدلة على أن متشددين ليبيين سلمتهم لحكومة معمر القذافي هم طلقاء الآن في ليبيا، وأن بعضهم انضم للمعارضين، ويوجد من بين هؤلاء، حسبما ذكرت صحف جزائرية أيضا، عمر شغلال القيادي السابق في تنظيم القاعدة[377].

وأشار المصدر، كما قالت الوكالة، إلى أن هناك دليل على أن "إسلاميين ليبيين سلمتهم الجزائر لطرابلس نجحوا في الهروب والانضمام للمعارضة، موضحا أن أحدهم ظهر على شاشة الجزيرة يتحدث باسم المجلس الوطني الانتقالي". انتهى.

وبغض النظر عن تفاهة هذا التصريح، حيث أن مواقف بهذه القوة لا يمكن أن تتستر وراء أشباح وتفترض أن تعلن من قبل رسميين محددين، وفي الوقت نفسه فإن وكالة في أهمية "رويتر" لا يمكن أن "تخترع" تصريحات بهذه الأهمية، فإن ما حدث بعد ذلك صب الزيت على نار التناقض الليبي الجزائري.

فعلى قاعدة التناقض السابق بين ليبيا الثورة والجزائر قوبلت التصريحات بانتقاد سريع من العقيد أحمد باني مضمونه أن تصريحات المسؤول الجزائري غير منصفة، ووصل به الأمر إلى حد القول، بجدية بدت مبالغا فيها، بأن على الجزائر أن تحارب القاعدة على أراضيها أولا قبل أن تفرض شروطا على الليبيين.

وراح جمعة القماطي من لندن يجتر تعليقاته المنددة بالجزائر، والتي يبدو من مضمونها تأثرها بتعبيرات من أسميتهم معارضة "البيكاديلي" في لندن، والتي سارعت بركوب موجة تحرير طرابلس.

وهكذا، بقدر ما كان التصريح المنسوب إلى مسؤول جزائري أمرا أشك في نواياه الحقيقية، أو في صلاحيته للحديث باسم الدولة الجزائرية، فإن رد الفعل الليبي جاء متسرعا واتسم بحماقة لا مبرر لها، ويثبت هذا التحليل أن الناطق باسم الخارجية الجزائرية نفى في اليوم التالي مباشرة أن يكون ما أوردته "رويتر" معبرا عن رأي الجزائر، وقال "عمار بلاني" انه يفند بشكل قاطع هذا الخبر الذي لا أساس له من الصحة والذي لا يعكس موقف ولا وجهات نظر الحكومة الجزائرية حول الأحداث الأخيرة التي وقعت في ليبيا.

ولسبب ما، وبخلفيات ما، بدأ البحث في الجزائر عن كبش فداء للعجز الرسمي الجزائري عن التعامل مع الملف الليبي، والذي كان استمرارا لعجز التعامل مع أحداث تونس ثم مصر، وبدت بعض الكتابات في الصحف وكأنها حوارات بين شخصيات أو أجهزة أكثر منها مقالات تعكس وجهات نظر إعلامية، خصوصا وأن المعروف هو أن الوزارة ليس هي المرجع الأول للمواقف السياسية، أي أنها ليست طليقة اليد.

وهكذا كتبت الشروق اليومي يوم 26 أغسطس يقول :

أربكت وزارة الشؤون الخارجية الرأي العام المحلي والدولي بشأن موقف الجزائر من التطورات الأخيرة التي تعيشها ليبيا، بسبب صمتها غير المفهوم، واستمرار التسريبات من "المصادر الدبلوماسية"،

---

[377] - ذكرت بعض الفضائيات منذ أيام وقبل تحرير طرابلس أن الجزائر سلمت لسلطات النظام الليبي عقيدين فرّا من كتائب القذافي، ولم أسمع تكذيبا لذلك من الجانب الجزائري.

وتحول الخارجية إلى مجرد أداة لرصد الوكالات العالمية وتكذيب كل ما تكتبه عن موقف الجزائر من انهيار نظام القذافي ومن المجلس الوطني الانتقالي الماسك بزمام الأمور في طرابلس.

ففي الوقت الذي أفصحت الدول القريبة والبعيدة من ليبيا، عن مواقفها سواء كانت مناوئة أو مباركة لإطاحة المعارضة بنظام القذافي، إلا أن الموقف الرسمي للجزائر لا يزال غامضا، في ظل التسريبات والتكذيبات المتكررة، واستمرار صمت مدلسي وأعوانه ومستشاريه، وإحجامهم عن إصدار بيان رسمي يُنهي الجدل، وتحول الموقف الرسمي من القضية الليبية إلى لغز حقيقي، فبعد يومين من سيطرة الثوار على العاصمة طرابلس، أكد مسؤول بوزارة الخارجية (لم يُعرف من هو) لـ"الشروق" ولعدد من الصحف الوطنية، فتح قنوات حوار مع المجلس الوطني الانتقالي، غير أن الوزارة سارعت إلى نفي هذه المعلومة، بعد أن تناولتها وكالة "يونايتد برس أنترناسيونال" (UPI) بتاريخ 24 أوت 2011، ومما جاء في بيان الخارجية: "خلافا لما أوردته بعض المصادر الإعلامية فإن الناطق الرسمي باسم وزارة الشؤون الخارجية ينفي أن تكون الوزارة قد أصدرت بيانا حول الوضع الحالي في ليبيا"

لكن لم تقدم الوزارة تصورا ينهي التضارب.

وواصلت الوزارة صمتها، في وقت بات معرفة الموقف الرسمي الجزائري أكثر إلحاحا في ظل تسارع الأحداث، إلى أن أوردت وكالة رويتر، أول أمس، معلومات (عن المصدر الحكومي) نقلتها عنها صحف جزائرية، وقال عمار بلاني إنه يكذب قطعيا ما تضمنته برقية رويتر.

وقد خلّف الموقف المسرّب، الرافض للاعتراف بالمجلس الوطني الانتقالي، تذمرا لدى سادة طرابلس الجدد، الذين ردوا بتحدٍ ينذر بمستقبل أسود للعلاقات الجزائرية الليبية، وقال أحمد باني وهو المتحدث العسكري باسم جيش المعارضة الليبية في تصريح للقناة الفرنسية فرانس 24 : "إن تصريحات المسؤولين الجزائريين غير منصفة"، وادعى أنها أقرب إلى النظام المنهار (..) وقال : "لسنا بحاجة لعلاقة مع النظام الجزائري مادامت علاقتنا جيدة بالشعب الجزائري".

وسبق للجزائر أن جهرت بشكوكها في وجود إسلاميين متطرفين بين صفوف المعارضة المسلحة، مما يشكل خطرا على أمنها الداخلي، وقد عبرت في وقت سابق عن مخاوفها من وصول شحنات من الأسلحة المهربة من ليبيا عبر حدودها الجنوبية الشرقية، التي تمتد على طول 1200 كيلومتر (الحدود مع ليبيا هي 982 كم).انتهى.

وحول نفس الموضوع يقول عثمان لحياني في الخبر يوم 27 أغسطس، وتحت عنوان " أربعة بيانات تكذيب من الخارجية في يومين، واللا موقف سيد الموقف:

في ظرف ثلاثة أيام أصدرت وزارة الخارجية الجزائرية أربعة بيانات حول ليبيا، لكنها بيانات بصيغة رد الفعل واللا موقف، وتتضمن تكذيب أخبار ومعلومات نشرتها وكالات أنباء نقلا عن مصادر حكومية أو من وزارة الخارجية، وهو ما يعكس حالة من الغموض والتخبط في المواقف، رافقه تخبط إعلامي، في ظل غياب تصريحات رسمية من المسؤولين الجزائريين حول الوضع في ليبيا، ومستقبل العلاقة مع الحكام الجدد لطرابلس.(..) وتكشف هذه التطورات، إضافة إلى التقارير المنسوبة إلى مصادر مسؤولة ومجهولة، حالة من التخبط السياسي والدبلوماسي للجزائر التي تستمسك بمبادئ "عدم الانحياز والحرب الباردة"، والتي يرافقها تخبط إعلامي، بسبب غياب قنوات اتصال رسمية.

ويظهر أن الدبلوماسية الجزائرية لم تتجاوز مرحلة استيعاب المعطيات الخاصة بالوضع في ليبيا وقراءتها بالشكل الذي يحمي مصالح البلاد الإستراتيجية، خاصة مع قطع قنوات التواصل بين الجزائر والمجلس الانتقالي الليبي، ومع نقاط الاتصال التي كانت تعتمد عليها في وقت سابق داخل ليبيا، إضافة إلى نجاح أطراف استهدفت زرع الشك بين الجزائر وثوار ليبيا، في ابقاء الدبلوماسية الجزائرية في حالة "دفاع عن النفس"، وإدخالها في دائرة الاتهام المستمر حول تورطها في قضية إرسال المرتزقة للقتال مع القذافي، ومنعها من المبادرة السياسية.

وإذا كانت الجزائر مرغمة على إعلان موقفها بشكل أكثر وضوحا من ليبيا اليوم خلال اجتماع وزراء الخارجية العرب، المخصص لمناقشة الوضع في سوريا وليبيا، فإنه ورغم تسارع الأحداث في ليبيا والانهيار التام لنظام القذافي، واعتراف الحكومة الجزائرية بأنها كانت أكثر تضررا من النظام السابق، فإن الجزائر لا تزال عاجزة عن تشكيل موقف واضح بشأن راهن الحالة الليبية، ولم تستطع فرز الخيوط المؤدية إلى موقف

رسمي يصون مصالح الجزائر مستقبلا مع حكام ليبيا الجدد، خاصة مع التحديات التي باتت تواجهها الجزائر إقليميا، مع بوادر إحكام فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا قبضتها على ليبيا مستقبلا، وتكبر هذه التحديات مع استمرار برودة العلاقات مع الجار المغربي، والتوجه الثوري الجديد لتونس شرقا، واستمرار مشاكل الإرهاب والفقر والهجرة غير شرعية جنوبا.انتهى.

ويدخل أنيس رحماني (وله صلاته بمراكز النفوذ) مدير النهار على الخط قائلا في نفس اليوم: المعلومات التي تحدثت عن شروط مسبقة تفرضها الجزائر لأعضاء المجلس الوطني الانتقالي، بشأن عناصر تنظيم "القاعدة"، ومشاركتهم في قلب نظام حكم القذافي، "لا ترتكز على أي أساس"، مشيرا إلى أن لجوء بعض الشباب في ليبيا إلى اعتناق أفكار "القاعدة"، كان بسبب البطش الذي تعرضوا له من طرف حكم القذافي (ويلاحظ هنا أن الكاتب لم يُعرف عنه أي تعاطف مع الإسلاميين، ناهيك عن التعاطف مع القاعدة).

ولاحظ رحماني (واسمه الحقيقي محمد مقدم) في مداخلة له عبر قناة "العربية" خلال نشرة منتصف نهار الجمعة، أن الكثير من المعلومات الإعلامية التي يتم بثها انطلاقا من الجزائر تحاول التأثير على الموقف الرسمي لدى الأشقاء الليبيين، وقدر أن هذه التلاعبات تضر بمصداقية الجزائر وحضورها الدولي ولا يمكن أن تكون صادرة عن جهات رسمية، وذكر في هذا الشأن أن وزارة الشؤون الخارجية أصدرت ليومين متتابعين بيانات نفت صدور أي موقف رسمي حول المجلس الوطني الانتقالي.

ولاحظ مدير يومية "النهار" أن قبول الجزائر برفع أعضاء البعثة الدبلوماسية الليبية في الجزائر لراية المجلس الوطني الانتقالي فوق السفارة، دليل كاف على عدم وجود أي موقف مضاد للمجلس الانتقالي في الوقت الراهن، وقدّر أن تعامل الجزائر مع ليبيا يكون من منطلق دولة وليس موقف حكومة.

وكما أنّ الجزائر طاردت أفراد الجماعات الإسلامية المسلحة منذ التسعينات، يضيف أنيس رحماني، فإن "الوضع قد يستقر أيضا في ليبيا وليس هناك ما يمنع الإفراج عن ناشطين من القاعدة في ليبيا، إذا كان ذلك لا يؤثر على الأمن الداخلي في هذا البلد"، وأضاف "في كل الحالات لن يكون هذا الموضوع شأنا جزائريا".انتهى.

وواضح أن هذا ليس كلام من ينطق عن الهوى.

ثم يدخل محمد مسلم في الشروق اليومي على الخط يوم 27 أغسطس ليواصل الهجوم على الديبلوماسية الجزائرية ويقول في عنوان مقاله عن الوزارة، " التزمت صمت الأموات في مواجهة الثورات العربية"، وتحته عنوان آخر يقول : سقطات الدبلوماسية الجزائرية في عهد مدلسي، وجاء في مقاله :

فضح ربيع الثورات العربية ضعف أداء الدبلوماسية الجزائرية، وكشف بما لا يدع مجالا للشك، أن المبرر الذي عادة ما ترفعه الجزائر كلما واجهت حراكا شعبيا أو ثورة في الشارع العربي، وهو "عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول"، لم يعدد مبررا مقنعا أو شماعة تعلق عليها الجزائر إخفاقاتها الدبلوماسية.

تراجع أداء الدبلوماسية الجزائرية في عهد الوزير الحالي، مراد مدلسي، أصبح أكثر من لافت، إلى درجة أن صار العارفون بهذا القطاع الحساس يترحمون على الأيام الزاهية التي عاشتها الخارجية الجزائرية، في عهد الراحل محمد الصديق بن يحيى، الذي نجح بفضل حنكته في إنهاء واحدة من أكبر الأزمات الدبلوماسية، وهي أزمة الرهائن الأمريكيين في طهران، بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، العام 1980 .

وبينما كانت الدبلوماسية الجزائرية تصنع الحدث على المستوى العالمي بحضورها وفعاليتها، انحصر دورها في عهد الوزير مدلسي، وانكفأت على نفسها، إلى درجة جعلت المتتبعين يتساءلون عن خفايا سلبية هذا الدور، على المستويات الإقليمية والجهوية والقارية، لدولة توصف بـ"المحورية" في المنطقة المغاربية والعربية والإفريقية (الغريب هنا أن أحدا لم يتحدث عمّن سبقوا مدلسي وعن دورهم في سوء الأداء، مما تسبب في إنهاء مهامهم، إذ لو كانوا حققوا نجاحا لظلوا في مواقعهم)

وتتضح الصورة أكثر بتشخيص الكيفية التي تتعاطى بها الدبلوماسية الجزائرية هذه الأيام مع الثورات الليبية والسورية واليمنية، وقبل ذلك كيف تعاطت مع الثورتين التونسية والمصرية، اللتين قوضتا نظام المخلوعين، زين العابدين بن علي، وحسني مبارك على التوالي.

ففي الحالة التونسية، التزمت وزارة الشؤون الخارجية صمت الأموات، وبقيت تتفرج طيلة شهر كامل على ما كانت تعيشه الجارة الصغيرة، بمبرر واهٍ لم يعد مستساغا ولا مقبولا في نظر المتتبعين، وهو مبدأ "عدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير"، إذ من غير المقبول أن تحشر دول بعيدة مثل فرنسا والولايات المتحدة

الأمريكية، أنفها في هذه القضية، في حين تستمر الجزائر في صمتها والنار تشتعل بالقرب من حدودها الشرقية.

ومعلوم أن نشاط الدبلوماسيات العالمية عادة ما يزداد ضراوة، في الأزمات حتى ولو كانت بعيدة، فما بالك إذا كانت الأزمة على حدودنا.

وبحسب خبراء الدبلوماسية فإن الجزائر كان يتعين عليها أن تهب لدعم ثورة الشعب التونسي ضد الطغيان والديكتاتورية منذ الوهلة الأولى، وتخصص مساعدة مالية كان يجب ألا تقل عن مليار دولار، بالنظر للبحبوحة المالية التي تتمتع بها خزينة الدولة، لكسب ود الشعب والحكومة التونسية الجديدة، وهذا بغض النظر عن الخدمات التي أسدتها جارتنا الشرقية للثورة التحريرية، غير أن شيئا من هذا لم يحصل، بحيث ساد الصمت طويلا قبل أن تخرج الحكومة لتكشف عن مساعدة متواضعة بقيمة 100 مليون دولار.

وبالرغم من الاستياء الذي قوبلت به الكيفية التي تم التعاطي بها مع الثورة التونسية، إلا أن الخارجية الجزائرية لم تحفظ الدرس، وواصلت على ذات الموقف، بحيث لم تكلف نفسها عناء مساندة الشعب المصري في محنته وهو يصارع جنود داخلية حبيب العدلي، وحتى عندما سئل وزير الخارجية عن الموقف من ثورة ميدان التحرير، رد بإجابته المعهودة والجامدة: "ما يجري في مصر شأن داخلي".

إن مصدر الغرابة والاستهجان في موقف الخارجية الجزائرية مما يعيشه محيطها المغاربي والعربي، يكمن في ضبابية الموقف، فهي لحد الساعة وبالرغم من مرور نصف سنة كاملة على اندلاع الأزمة الليبية، إلا أنها لم تتمكن من إصدار ولو بيان رسمي واحد يلزمها مؤيدا أو معارضا، واكتفت بالقيام بتسريبات مجهولة المصدر والهوية، تضمنت وجهات نظر لإطارات بالوزارة، الأمر الذي أعطى الانطباع بأنها تقف إلى جانب طرف ضد آخر، في وقت كان يتعين عليها إصدار بيان رسمي يؤكد موقفها، أكانت مع أو ضد أو أي حالة أخرى، فلماذا لا نستلهم مثلا من موريتانيا التي خرج رئيسها للعلن ليقول بأن نواقشط لن تعترف بالمجلس الانتقالي.

إن أسلوب الخارجية في التعاطي مع الأزمة الليبية ألحق أضرارا بليغة بسمعة الدبلوماسية الجزائرية، فمتى يعي مدلسي أن دور الخارجية لا يتوقف عند نفي ما يكتب عن الجزائر، بل يتعداه إلى صناعة الفعل.انتهى.

ولأنني لم أؤمن يوما بما سُمِّيَ "المظاهرات العفوية"، لا أستطيع ان أتخيل أن هذه الهجمة على الدبلوماسية الجزائرية تعكس دائما أفكار أو إرادة من يرفعون لواءها، خصوصا والقاصي والداني أن وزير الخارجية ليس دائما هو المرجعية المطلقة للمواقف الدبلوماسية.

وتدخل شخصيات جزائرية إلى مجال الجدل الإعلامي في نفس اليوم، ويورد بلقاسم عجاج في الشروق اليومي أن :أحمد بن بيتور، رئيس الحكومة الأسبق، وصف غموض الموقف الجزائري في التعامل مع الملف الليبي بالضعف في اتخاذ القرار، حيث قال "ضعف الدولة وتميع وضعية الدبلوماسية دليل آخر على ضعف ومركزية القرار الواضح المعالم، حينما تقتضي الظروف القرارات الحاسمة".

وبشأن امتناع الخارجية عن إبداء موقف صريح بحجج ضمنية عن انعدام المعطيات، أكد بن بيتور أن ذلك الأمر اثر على الجزائر على المستوى الخارجي ولدى دول الجوار، في وقت أصبح فيه التعامل مع ليبيا أمرا إستراتيجيا بحكم الامتدادات التاريخية وكذا الشراكة في قطاع المحروقات، وقال رئيس الحكومة الأسبق "لا نفهم الخطأ الفادح للدبلوماسية الذي أظهر ضعف الدولة وتميعها بغياب الموقف وانتظار الجامعة العربية والاتحاد الإفريقي للفصل في قضية بلد جار"، مضيفا "كانت فرصة متاحة لبناء علاقة قوية مع جار قوي".

من جهته، قال عبد العزيز رحابي، وزير الاتصال والثقافة الأسبق لـ"الشروق"، أن الدبلوماسية هي أداة للسياسة الخارجية كسرت الإجماع الوطني وشتت الشعب الجزائري بشأن الملف الليبي، مستغربا تعامل الدبلوماسية مع الحليف والعدو بمنطق "الحرب الباردة"، وأضاف رحابي "المشكل مع ليبيا أصبح مشكلا وطنيا وحولنا المشكل من ليبيا إلى الجزائر"، وأكد المتحدث أنه بعد مرور الحرب "فإن تونس تربح سوقا وتحل مشكل البطالة في ليبيا، ونحن نربح مشاكل القذافي وتسرب الأسلحة".

وعلى صعيد مخالف، اعتبر رئيس لجنة الشؤون الخارجية بالمجلس الشعبي الوطني (والمنتمي لحزب جبهة التحرير الوطني) أن هناك سؤالا مطروحا عن حقيقة بين ما يصرح من قبل هيئات الدولة الجزائرية، وما يصرح من قبل بعض المسؤولين للثوار الليبيين، وقال "مؤخرا صرح المسؤول الليبي كأنه يتكلم باسم السلطات

الجزائرية، وأعتقد أن هناك بعض الأوساط تريد تلويث الجو"، وقال أن "الدبلوماسية الجزائرية عالجت القضية الليبية ضمن إطار الجامعة العربية والاتحاد الإفريقي"، موضحا أنه لا يوجد صمت وأن الجزائر تدرس الوضعية بتمعن لجهة تطور الأحداث والقوى التي ستسيطر على ليبيا، والتي تتضارب داخل المجلس وحتى داخل الشعب الليبي، وهذا ليس تقليلا من قيمة الثورة الشعبية في ليبيا، والسؤال المطروح هل سيبقى قادة المجلس الانتقالي، ورأينا ما وقع في تونس وفي مصر، ومجزرة طرابلس مؤشر على إفلات الأمر من القادة السياسيين".

واستبعد المتحدث أن يؤثر ذات الموقف المبني على "سياسة الحذر" على علاقة الشعبين الجزائري والليبي، وقال أن الجزائر مع الشرعية الشعبية وسوف تصرح بموقفها، معتبرا أن أغلبية القياديين في المجلس الانتقالي كانت لديهم علاقات وطيدة مع الجزائر.

وتنشر الخبر يوم 28 أغسطس تصريحا آخر لعبد العزيز رحابي جاء فيه أن "عدم اتخاذ موقف واضح مما حدث في ليبيا وسكوت السلطات الجزائرية جعل الشعب الجزائري يتأرجح وهو يشاهد القنوات الأجنبية الموالية والمعارضة للقذافي، ما شتت ولأول مرة منذ الاستقلال موقف الشعب الجزائري في قضية متعلقة بالسياسة الخارجية"، مؤكدا أن الإجماع تصنعه الدولة حول المصالح العليا للبلاد.

وفي سياق شرحه للموقف الجزائري من الأزمة في ليبيا، أوضح رحابي أن "المشكل ليس في الدبلوماسيين الجزائريين ولكن في كيفية تسيير رئيس الجمهورية للسياسة الخارجية"، حيث شدد على ضرورة أن يمنح الرئيس استقلالية أكبر للدبلوماسية مع منحها التعليمات وتسطير الخطوط العريضة، على أساس أن رسم السياسة الخارجية من صلاحيته ولكن لابد أن تكون له رؤية واضحة.

بالإضافة إلى هذا تساءل رحابي "من ترك الدبلوماسية تتحرك؟"، مشددا على أنه "من الصعب أن نطلب من الدبلوماسية أن تكون جيدة وهي مكبلة ولا تملك حتى إعلاما خارجيا ولا داخليا قويا يمكنه أن يساعدها في مهمتها". ورفض رحابي أن "يتم دائما إلصاق التهمة بالدبلوماسية في حال الفشل ومنح الثناء للرئيس في حال النجاح" (وأنا هنا أختلف في تحميل كل المسؤولية للرئيس)

وفي حديثه عن موقف الجزائر من ليبيا، أوضح السفير رحابي أن "الجزائر كان لابد أن تلعب دورا رائدا في المنطقة وفي الأزمة"، حيث أكد أنه كان لابد من فتح باب اتصال مع المجلس الوطني الانتقالي لتقوية موقعها وموقفها ولعب دور الوساطة في ذلك الوقت، والآن من أجل الحفاظ على مصالحها.

وأكد رحابي أن "أسباب الانغلاق على المجلس الانتقالي الليبي لا يعرفها أي أحد بمن في ذلك الدبلوماسيون الجزائريون".

وسجل المتحدث أن "المسؤولين في الجزائر (استعمال صيغة الجمع هنا تصرف ذكي) مازالوا يعيشون في مرحلة الحرب الباردة ولم يصلوا بعد إلى براغماتية العلاقات الدولية التي أصبحت الآن الميزة الأساسية في العلاقات بين الدول"، مؤكدا أنه يجب على المسؤولين التفكير في مصلحة البلاد بعيدا عن العواطف والمبادئ، حيث أكد أيضا أن "المبادئ لابد أن تكون في خدمة مصالح البلاد، والمسؤولون لابد أن يفهموا أن المبادئ التي لا تحقق مصلحة البلد لا يمكن الحفاظ عليها، حيث يجب أن تتوافق المبادئ مع مصلحة البلد وإلا فإنها لن تكون مبادئ صالحة".

وأشار رحابي أنه "بعد سنة أو سنتين من الآن عندما تستقر الأوضاع في ليبيا سيجد كل بلد مصلحته، فالدول الأوروبية ستشارك في إعادة إعمار ليبيا وستحصل على مخزون من الغاز يمكنه أن يجعل الجزائر في الصف الثاني مع الدول الأوروبية والدول المجاورة الأخرى ستجد ضالتها كذلك بإرسال جاليتها للعمل، أما الجزائر فستضيف إلى قائمتها عدوا جديدا في الحدود"، على حد تعبيره.

وتنشر الخبر في نفس اليوم مقالا تحت عنوان :

الغائب الأكبر عن الثورات العربية * الدبلوماسية الجزائرية تعتمد خطة "أحسن طريقة للهجوم هي الدفاع" (على عكس القاعدة المعروفة) وجاء فيه :

هناك إجماع لدى المتتبعين على أن الدبلوماسية الجزائرية تعاطت بسلبية مع الثورات العربية كلها وليس مع الملف الليبي فقط ولكن الحالة الليبية كانت أكثر بروزا لأن للجزائر مع ليبيا حدودا أطول مقارنة مع تونس مثلا التي حسمت الأمور بها بسرعة، ولم تصل لحد الاقتتال الداخلي بين أبناء الشعب الواحد.

هناك من يقول أن الجزائر الآن تدفع ثمن التعاطي السلبي مع الثورات العربية، وأنه لم يجر التفريق بين مصلحة الجزائر وبين مصلحة النظام الجزائري، وفي ضوء هذه المعطيات يبرز السؤال الكبير حول من له صلاحية الحديث باسم الدبلوماسية الجزائرية، هل هو وزير الخارجية مراد مدلسي أم وزير الداخلية أم الممثل الشخصي للرئيس بوتفليقة عبد العزيز بلخادم أم الناطق باسم الخارجية المعين حديثا في منصبه عمار بلاني؟

فمنذ بداية الأزمة الليبية قبل أزيد من ستة أشهر ظهرت تصريحات متناقضة لمسؤولين جزائريين فبينما قال وزير الخارجية مثلا في بداية الأزمة أن الجزائر لن تعترف بالمعارضة الليبية إلا في إطار موقف عربي موحد، هاهي الدول العربية تعترف تباعا بالمجلس الانتقالي، لكن الجزائر ما تزال متخلفة عن الركب، أما وزير الداخلية، فقد قال أن العلاقات ستتوتر مع ليبيا إذا وصلت المعارضة للحكم، ثم يأتي الممثل الشخصي للرئيس بو تفليقة ليقول مرة أن على أعضاء المجلس الانتقالي الوضوء قبل الحديث عن الجزائر، ثم يقول في مقام أخر "نحن نعرف هؤلاء (المجلس الانتقالي) وهم يعرفوننا.

وبعد ذلك يكتشف الرأي العام وجود شخص أخر في الساحة يتحدث باسم الخارجية هو عمار بلاني، لم نعد نعرف ما هي حدود صلاحياته، بدليل عدد التكذيبات التي صدرت منه باسم الخارجية بشأن الموقف الليبي في أيام قليلة، وعما إذا كانت مهمته هي الإدلاء بمواقف أم إصدار تكذيبات.

ويورد سفيان بو عياد في الخبر تحليلا للخبير الجزائري حسني عبيدي في جنيف فيقول في نفس اليوم تحت عنوان : أداء الدبلوماسية الجزائرية في أزمة ليبيا كان مخيبا للأمال، جاء فيه:

اعتبر حسني لعبيدي، مدير مركز البحوث والدراسات حول العالم العربي وحوض المتوسط بجنيف، أن أداء الدبلوماسية الجزائرية في القضية الليبية كان مخيبا للأمال خاصة إن قورن بموقع الجزائر وما كان يمكن أن تقوم به في القضية.

وأوضح لعبيدي في تصريح خص به "الخبر" أن الأمور بين المجلس الانتقالي الليبي والجزائر قد وصلت إلى أبعد الحدود، مرجعا ذلك للأداء المخيب للأمال للدبلوماسية الجزائرية التي بالرغم من أن الجزائر "جار مهم" بالنسبة لليبيا له دور مهم في المنطقة، إلا أن دبلوماسيتها لم تلعب الدور المنوط بها، حيث أوضح ذات المتحدث أن أداء الدبلوماسية الجزائرية، بالإضافة إلى أنه كان مخيبا للأمال، كان مفاجئا "فقد انتظرنا أداء أحسن"، مشددا على أن الجزائر كانت مهيأة لتلعب دورا هاما في ليبيا، خاصة أنها دائما كانت لها علاقات طيبة مع الجماهيرية، بالإضافة إلى ذلك "فإن الشعب الليبي يكن احتراما كبيرا للجزائر".

وأشار لعبيدي أن الدبلوماسية الجزائرية أخطأت عندما لم تفتح قناة مع المجلس الوطني الانتقالي الليبي في بداية الأزمة"، بدون أن يؤثر هذا على علاقتها الطيبة مع نظام القذافي"، مشيرا إلى أن الجزائر لا يمكنها أن تكون أكثر ملكية من الملك، حيث أن روسيا والصين اللتين وقفتا مع نظام القذافي فتحوا بعض قنوات الحوار مع المجلس الانتقالي تحسبا للمرحلة الحالية.

(12)

تواصل حصار مدينة سرت مع عيد الفطر، وقالت الأنباء أن المجلس الوطني الانتقالي يجري مباحثات مع وجهاء المدينة ورجال القبائل لتفادي أي صدام مسلح، خصوصا مع كتائب القذافي التي فرت إليها كما قيل، وكان تحليل صمودها هو أمل يراود بقايا نظام القذافي في كسب الوقت حتى ينسحب "الناتو" ثم يعمل العقيد على محاولة استرجاع ملكه الضائع.

وكان مما يمكن أن يعتبر دليلا على صحة هذا التحليل التصريح الذي صدر عن موسى إبراهيم القذافي، والذي اعترف علنا منذ أيام بأنه تلقى تدريبات خاصة على ممارسة الخداع الإعلامي، وقال مضمون التصريح

بأن العقيد القذافي، الذي التقاه منذ أيام كما قال، في ليبيا بالطبع، على استعداد للتحاور مع المجلس الانتقالي لتكوين حكومة وحدة وطنية.

ومن غير المنطقي أن يقبل القذافي التحاور مع من أسماهم جرذان وخونة ومتآمرين وعملاء لساركوزي بهذه البساطة، إلا إذا كان يُدبّر أمرا خبيثا كعادته، حيث أن اندفاع الثوار إلى سرت سيضعهم في مواجهة قبائل لم تحسم أمرها بعد، وستجد في الهجوم مبررا للالتفاف حول كتائب العقيد، الذين يجدون الدعم المعنوي من ميوعة الموقف الروسي وبرود الموقف الصيني وبلادة الموقف الهندي وتضامن الرئيس شافيز وتعاون النظام السوري، عبر سماحه ببث قناة "الراي" التي سميت قناة المقاومة، وهكذا يأمل العقيد، أو من يخططون له، في يعود إلى الساحة من الباب الخلفي، وهذا كله بالطبع إذا كان ما نقل عن العقيد صادقا، وهو ما تكذبه تصريحات أخرى خلال الشهور الماضية.

وبرزت على السطح من جديد تعليقات اتسمت بمحاولة "استعباط" الناس، أو استغفالهم، ومحورها التحذير من نمو وجود "القاعدة" في أوساط الثوار، واحتمالات انعكاس ذلك سلبا على استقرار المنطقة، استغلالا للتفجير الإجرامي الذي عرفته أكاديمية شرشال العسكرية في الجزائر ليلة القدر، وتبنته من تطلق على نفسها "تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي"، التي قال بلاغها أنها تهدي العملية لثوار ليبيا.

وهكذا بدأت تروج معلومات عن عبد الكريم بلحاج، وهو ناشط إسلامي قاد عملية تحرير طرابلس، ويقول المتحدث العسكري باسم الثوار الليبيين الأحد (ق.ع.29 أغسطس) العقيد احمر عمر باني في مؤتمر صحافي في بنغازي (شرق) من أن "بلحاج يقود المجلس العسكري في طرابلس، وهو يتقاسم الحلم مع جميع الثوار الليبيين ببناء بلد ديمقراطي"، و"نحن مسلمون معتدلون، ومن يعتقدون أن عناصر إرهابية وأصولية موجودة في ليبيا بعيدون عن الواقع"، وكان الأكثر أهمية في تصريح باني ما قاله من أن "بلحاج أعلن خلال مؤتمر صحافي أن كل الألوية تحت قيادته تتلقى أوامرها من المجلس الوطني الانتقالي".

وبالطبع فقد خرجت عندنا فيما بعد أقلام نبشت في الماضي واستخرجت تصريحات لبلحاج تؤكد دعمه لإرهابيي الجزائر، وكان واضحا أنها معلومات أرشيفية قديمة، مما يعطي في حد ذاته دلالات عن مصدرها.

وتنشر الشروق تصريحا لعبد الحفيظ غوقة (8/29) جاء فيه حول هذا الأمر: بلحاج هو مواطن ليبي مثله مثل أي مدافع عن وطنه، وعن أهله، و"المجلس الوطني الانتقالي لا يقصي أحدا من أبناء ليبيا، بل سعيد بالتنوع الإيديولوجي الحاصل اليوم في المجلس، وباختلاف وجهات النظر فيه"، مضيفا أن بلحاج إن كانت له إيديولوجية معينة فهذا لا يمنع أن يكون وطنيا، ولا يعني أبدا أنه متطرف مثل ما نقلت وسائل إعلام، ونفى أن يكون للقاعدة تأثير أو وجود في المجلس، مشيرا أنه إن "كان هناك 10 أشخاص انتموا سابقا للقاعدة فهذا لا يعني أن المجلس قاعدة ولا أن الشعب الليبي قاعدة".

ويتضح حجم الزيف والخداع في التعليقات التي تثير المخاوف من وجود القاعدة في ليبيا عندما نكتشف أنها صادرة عن نفس الاتجاهات التي تتهم ثوار ليبيا بأنهم عملاء للناتو، وتقول أنه سيلتهم ليبيا وخيراتها.

وإذا أدركنا أن الناتو لا ينسجم مع القاعدة والقاعدة لا تنسجم مع الناتو يمكننا أن نستنتج أن وجود القاعدة، إن صح ذلك، هو حماية لليبيا من أطماع "الناتو" ومن يقفون وراءه.

وتعود إلى السطح عبر مقال ورد في القدس العربي (8/29) قضية "مرتزقة" القذافي، جاء فيه أنه (..) ورغم الضبابية التي هيمنت على الموقف الرسمي المغربي منذ اندلاع الاحتجاجات في ليبيا ومحاولة لعب دور مبهم يتطابق مع سمات المرحلة الليبية، فإن وزير الخارجية المغربي الطيب الفاسي الفهري أسرع، قبيل الذهاب إلى بنغازي بعيد الإعلان عن دخول المعارضين الليبيين لطرابلس يوم الاثنين الماضي، إلى تعداد ما قدمته بلاده للمعارضين من دعم سياسي ولوجستيكي، كان أبرزها مستشفى ميداني على الحدود التونسية الليبية (..) لكن العلاقة بين النظام الليبي وجبهة البوليزاريو لم تغب عن وسائل الإعلام المغربية إن كان فيما يتعلق بالماضي والدور الأساسي الذي لعبه النظام الليبي في دعم ومساندة الجبهة منذ انطلاقتها (1973) وحتى قبل أن تتبناها الجزائر وتصبح راعيها الأول (1975، بعد الإعلان عن اقتسام الصحراء بين موريطانيا والمغرب) أو فيما يتعلق بالحاضر والتقارير عن مشاركة قوات من الجبهة في القتال إلى جانب قوات العقيد القذافي ضد معارضيه.

وتواصل الصحيفة قائلة :أبرزت وسائل الإعلام المغربية تصريحات مصدر بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي حول مشاركة نحو 556 مقاتلا من جبهة "البوليزاريو" استقدموا لدعم كتائب القذافي تم اعتقالهم من

طرف مقاتلي المجلس الوطني الانتقالي، وأضاف المصدر أن العديد من هؤلاء تم إلقاء القبض عليهم في مدينة الزاوية وبالمجمع العسكري لباب العزيزية بطرابلس، موضحا أن المجلس طلب نقلهم إلى بنغازي في انتظار "إلقاء القبض على باقي عناصر جبهة البوليزاريو الموجودين في ليبيا، ونقلت وكالة الأنباء المغربية الرسمية (طبعا) أن المقاتلين المناوئين للقذافي قد يكونوا عثروا بمبنى السفارة الجزائرية على وثائق تثبت بشكل خاص تورط الجزائر وتكشف عن دعمها القوي للعقيد القذافي (ولم يكشف الثوار عن شيء من هذا، مما يؤكد ضراوة المعركة الإعلامية) وقالت الوكالة أن الملفات أكدت ما كان معروفا، ألا وهو الدعم العسكري واللوجيستي الجزائري للقذافي، علاوة على تواجد المئات من مرتزقة البوليزاريو فوق التراب الليبي (ويؤكد هذا كله دور بعض المصادر المغربية في دق الإسفين بين ثوار ليبيا والجزائر، وهو الفخ الذي وقع فيه الثوار) ومن هنا تأتي أهمية ما أوردته القدس العربي من أن جبهة البوليزاريو، التي كانت تكرر نفيها لأية مشاركة لقواتها في القتال إلى جانب قوات القذافي، ودعت أول أمس السبت وبشكل مستعجل إلى "تشكيل لجنة تحقيق مستقلة" من أجل إماطة اللثام أمام الرأي العام العالمي عن حقيقة اتهامات مغربية حول مشاركة عناصر من البوليزاريو في الأحداث الدائرة في ليبيا.

وقال بيان رسمي للجبهة أن السلطات الليبية الجديدة، ممثلة بالمجلس الوطني الانتقالي مدعوة من جانبها إلى إصدار تكذيب عاجل لهذه الاتهامات المختلقة الصادرة عن المغرب، من أجل مصلحة الشعب الليبي والصحراويين أولا، ومصلحة شعوب المنطقة.

وذكر البيان أن الحكومة المغربية تعرف أن نظام القذافي توقف عن مساعدة الجبهة منذ يوليو 1982، وأبرم مع الرباط معاهدة الاتحاد الإفريقي عام 1984 وقال "لقد انخرط محور الرباط ـ طرابلس في مسار من المتاجرة والمقايضة على أساس دعم ليبي متعدد الأوجه للمغرب بالمال والسلاح في حربه الجبهة بالمقابل، وعمدت المملكة المغربية إلى تسليم معارضين ليبيين لاجئين بالمغرب من مثل الرائد محيشي ورفاقه، وتعقب ومتابعة المعارضين الليبيين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى مساع دائمة من طرف الرباط من أجل تجميل صورة العقيد لدى بعض العواصم. انتهى.

وتتواصل في الجزائر محاولات التخلص من التوتر بين ثوار ليبيا والسلطة الجزائرية، ويكتب رمضان بلعمري في الخبر يوم 8/29 قائلا :

الأخبار الواردة من القاهرة التي تتحدث عن لقاء جرى بين وزير الخارجية، مراد مدلسي، مع محمود جبريل، رئيس حكومة المجلس الانتقالي الليبي بمقر الجامعة العربية، تؤشر لمرحلة جديدة في العلاقات بين البلدين الجارين في عهد ما بعد القذافي، حتى وإن لم يتسرب بعد مضمون اللقاء، الأول من نوعه منذ بداية الأزمة قبل ستة أشهر.

فبعدما وقع الذي وقع في ليبيا بسقوط نظام العقيد وشروع المعارضة التي يقودها المجلس الانتقالي في تسيير شؤون الجارة ليبيا، هل من الحكمة أن تبقى الجزائر في موقف المتفرج على ما يجري في بلد جار لديها معه حدود بطول ألف كيلومتر، وهي حدود صحراوية مفتوحة على كل الأخطار؟.

ما الذي يمنع الجزائر من أن تستثمر علاقاتها مع التيار المعتدل فيه، وتؤسس لعلاقات مستقبلية قائمة على الاحترام والمصلحة، ولماذا لا يكون رجل ليبيا المستقبلي محمود جبريل مثلا هو "المحاور" الذي يعوّل عليه لبناء هذه العلاقات؟ صحيح أن إلصاق تهمة إرسال المرتزقة بالجزائر "توجع" القلب، وصحيح أن الناطق باسم قوات المعارضة الليبية المسمى أحمد باني (..) قد شتم الجزائريين وأسمع بو تفليقة ما لا يرضيه دون أن يعرفه، لكن أليس من شيم الجار أن يعذر أخاه الجار ويصفح عنه خصوصا إن كان في محنة.

والحقيقة أن إخواننا في ليبيا تنتظرهم أيام تعيسة بعد أن يستفيقوا من نشوة الانتصار على القذافي، وفي هذه المرحلة يجب أن تقف الجزائر في صف الليبيين كما فعلت مع تونس، عقب رحيل بن علي، والليبيون لا يحتاجون المال فلديهم احتياطات بأكثر من 160 مليار دولار أسالت اللعاب والدماء، لكنهم يحتاجون للنصيحة والرأي، فهل هناك رجل رشيد في المجلس الانتقالي الليبي يفهم بأن الجزائر أكثر قربا والتصاقا بليبيا "في الحلو والمرّ" من باريس ولندن وواشنطن، وهل هناك أيضا رجل شجاع في الجزائر يخطو خطوة نحو حكام ليبيا الجدد، ويجنب السفير الأمريكي بالجزائر مشقة الحديث باسمنا، حين قال "هنري إنشر" لوكالة الأنباء الجزائرية "أحترم كثيرا دور الجزائر في الأزمة الليبية ونحن ندرك طبعا أن الجزائر في وضع صعب جدا لأن ليبيا بلد جار لها".انتهى.

وتلتقط الشروق اليومي المبادرة فتورد في نفس اليوم تصريحا لعبد الحفيظ غوقة، المتحدث باسم المجلس الانتقالي، علق فيه على الأخبار التي ترددت عن تغيير اسم ساحة "الجزائر" في طرابلس، قال فيه: ثورة الجزائر هي ثورة كل الليبيين، ومنها يستمدون مبادئ ثورتهم، ولم يغير اسم الساحة ولن يغير مستقبلا لأي اسم أخر لأن الليبيين يقدسون الثورة الجزائرية، ويعتبرونها ثورتهم"، ووصف الخبر الذي تناقلته عدة وسائل إعلامية بأنه هرطقة إعلامية لا غير، و"الثوار لا يسمحون بالمساس بثورة التحرير" ، ومؤكدا أن الحكومة الجزائرية اعتمدت في موقفها على "قراءات سياسية مغلوطة تجاه ما يحدث في ليبيا"، ودعا الحكومة الجزائرية لكيلا تربط مواقفها وترهن علاقاتها بليبيا على أساس الأشخاص متناسية الشعب، مضيفا أن المجلس أعلن سابقا أن يرحب بأي زيارة لوفد جزائري سواء كان رسميا أو شعبيا لكن لم يحدث ذلك، ومازال المجلس يرحب بأي زيارة من أي نوع.انتهى

ويكتب عبد السلام بارودي في البلاد في نفس اليوم:

غياب وزارة الخارجية في ظل الحراك المتسارع والأوضاع الخطيرة التي تحيط بنا من المشرق والمغرب ومن الشمال والجنوب أمر غاية في الخطورة، بل يدعو للقلق، فلا يعقل أن تؤدي وزارة بحجم الخارجية في بلد بحجم الجزائر دور مكتب يصدر حق الرد على وكالات الأنباء، أو المصادر التي تنسب لها الصحف أخبارا تبين أنها ملفقة بطريقة محكمة، وهذا بسبب الغياب الإعلامي للخارجية التي لم تواكب أحداث ليبيا بالقدر الذي يفترض أن يتوفر في وزارة تابعة لبلد يتأثر ويؤثر بشكل مباشر فيما يجري.

والجزائريون مذهولون لغياب بلدهم عن ليبيا، مذهولون لأنهم يتابعون الدور التركي في الحراك السوري، والدور الإيراني فيما جرى بالعراق، والدور المصري في فلسطين، والدور الخليجي في الحراك اليمني، بينما تغيب الجزائر عن ليبيا، وهي التي تملك كل الأدوات التي تمنحها شرعية أداء الدور البارز والمؤثر في المنطقة برمتها، فلماذا تضعنا الخارجية في هذه الزاوية الضيقة التي يصعب معالجة آثارها، وحتى بعد تردي العلاقة بين بلدنا والمجلس الانتقالي، فإن الخارجية بدت مترددة غير حازمة، وعندما يغيب الموقف الحازم عن القرار السياسي من السهل وضعنا في خانة المتهم وهذا هو الحاصل مع الأسف على الرغم من إمكانياتنا الهائلة وقوة حجتنا لإقناع كل الشركاء عموما والرأي العام خصوصا.انتهى.

ويلاحظ هنا الاتجاه التدريجي إلى تحميل وزر تخلف الموقف الجزائري إلى وزارة الخارجية.

وتتكشف تدريجيا عبر التسريبات الصحفية معطيات كثيرة تؤكد مدى لؤم النظام المنهار في طرابلس، ومنها ما نشرته صحيفة البلاد الجزائرية اليوم نقلا عن نشرت صحيفة "الدايلي تلغراف" البريطانية في عددها الصادر أمس، وما قالت إنها وثائق تكشف أن العقيد معمر القذافي كان يستعد لتنصيب نفسه ملكا على ليبيا بمجرد تغلب قواته على الثوار، وجاء ذلك في ورقة إخطارية داخلية وجدت في مكتب رئيس الوزراء الليبي خطط لـ"مواجهة أعداء الجماهيرية الليبية العظمى" وتضمنت مقترحا لإعلان الملكية.

وكشفت الصحيفة عن تلك الوثيقة خلال زيارة إلى مكتب رئيس الوزراء البغدادي المحمودي الذي بات مهجورا في طرابلس، وكانت الوثيقة التي تشتمل على إستراتيجية من 8 نقاط من بين وثائق أخرى تتناول أمر "الأزمة" التي يواجهها النظام في ليبيا،

وجاء في الوثيقة التي يعود تاريخها إلى 15 يوليو برنامج مرحلي لحشد القبائل الليبية لإعادة تأسيس نظام حكم للبلاد (..) وهكذا وفي الوقت الذي كان المسؤولون الليبيون يدعون فيه علنا إلى وقف إطلاق النار ويؤكدون التزامهم بخريطة الطريق التي قدمها الاتحاد الأفريقي كأساس للسلام، كان رجال القذافي المقربون يخططون لإعادة ليبيا إلى المرحلة القبلية لتصبح بذلك دولة قبلية تحكمها عائلته.

وجاء في الوثيقة أنه في الوقت المناسب ينبغي على شيوخ القبائل والشخصيات رفيعة المستوى في الدولة الاجتماع لتحية القذافي وتنصيبه ملكا أو إمبراطورا، وكانت هذه الخطة ستسمح للديكتاتور الذي يبلغ من عمره 69 عاما بتسليم السلطة إلى أحد أبنائه السبعة، بينما لم يكن للقذافي منصب رسمي في الدولة الليبية وطالما كان يطلق عليه "الأخ القائد" أو "قائد الثورة"، كما كانت دولة القذافي، واسمها الرسمي هو "الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى"، قوة راديكالية تدعم الحركات المناهضة للملكية حول العالم، لكن القذافي أعلن نفسه ملك ملوك إفريقيا عام 1999 في محاولة لزيادة نفوذه في القارة.

واستغل هذا اللقب في توزيع كميات كبيرة من ثروة ليبيا النفطية على شيوخ القبائل باسم الوحدة الأفريقية، وأعلن في خطاب تلفزيوني بعد أن اجتاحت الثورة أغلب أنحاء البلاد في فيفري الماضي، أن منصبه كان شرفيا مثل ملكة بريطانيا، وقال إنه رمز الدولة وإنه سيحكم لـ57 عاما. انتهى

وتورد وكالة الأنباء الفرنسية الاثنين 8/29 خبرا يؤكد نزاهة الموقف الجزائري ويعطي بعض المبررات لاندفاع ثوار ليبيا فيما يتعلق بقضية المرتزقة، وجاء في الخبر أن مصادر متطابقة أعلنت للوكالة أن "مئات من الطوارق الماليين والنيجريين قاتلوا إلى جانب العقيد الليبي معمر القذافي وبدءوا يعودون إلى البلدين مما يشكل تهديدا لأمن الساحل، وقال مصدر أمني مالي في غاو إن "مئات من الطوارق الماليين والنيجريين يعودون من الجبهة الليبية وبينهم متمردون سابقون ماليون ونيجريون وطوارق من أصل مالي (حصلوا على الجنسية الليبية في التسعينات) كانوا في الجيش الليبي، وأضاف أن هؤلاء المقاتلين الطوارق قاتل معظمهم في صفوف قوات القذافي وبعضهم في وحدة خاصة في الجيش الليبي (..) وقالت مصادر نيجرية لوكالة فرانس برس الأحد إن مرتزقة نيجريين معظمهم من الطوارق بدءوا يعودون إلى "اغاديز" شمال النيجر بعد هزيمة قوات القذافي. انتهى

ويتضح هنا أن ثوار ليبيا كانوا على حق في الإعلان عن وجود المرتزقة، ولكنهم تسرعوا باتهام الجزائر.

ويشهد آخر أيام رمضان تطورا جديدا عندما وصلت حرم العقيد وبعض أبنائه بشكل مفاجئ إلى الحدود الجزائرية مع ليبيا، حيث أفادت محطة بث (فرانس 24) الاثنين أن عائشة ابنة العقيد الليبي معمر القذافي، التي وصلت إلى الجزائر مع زوجته صفية واثنين من أبنائه هما محمد وهانيبال وأعضاء آخرين من الدائرة المقربة منه، حامل في شهورها الأخيرة، ونسبت القناة الإخبارية لمصادر في الحكومة الجزائرية قولها إن ابنة القذافي عائشة كانت في المراحل الأخيرة من حملها، وهو أحد العوامل التي كان لها أثر في قرار السلطات الجزائرية السماح للمجموعة بدخول أراضيها.

وأكدت وزارة الخارجية الجزائرية في بيان رسمي لها وصول أفراد عائلة القذافي صباح الاثنين، مشيرة إلى أنها أخطرت الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون ورئيس المكتب التنفيذي للمجلس الانتقالي الليبي محمود جبريل بوصول عائلة القذافي.

لكن هذا ارتبط بخطأ إعلامي جزائري انتهزه البعض للإساءة للجزائر، فقد كانت وكالة أنباء الشرق الأوسط قد بثت منذ أيام خبرا عن وجود قافلة من سيارات "المرسيديس" المدرعة تتجه نحو حدود الجزائر، وسارع مصدر جزائري بنفي ذلك على الفور، في حين لم يكن هناك سبب يفرض على الجزائر أن تنفي أمرا يحدث داخل التراب الليبي، وكان علينا أن ننتظر ونرى.

وتدخل الصحيفة اللندنية القومية على الخط فتنشر في أول أيام العيد تعليقا فسرت به وصول عائلة العقيد إلى الجزائر قائلة: (..) من غير المستبعد أن تكون اتصالات قد جرت بين العقيد القذافي والسلطات الجزائرية لاستقبال أفراد عائلته، وجرى التوصل إلى اتفاق بان تقتصر عمليات الاستقبال على النساء والأطفال وأبناء العقيد غير المطلوبين من قبل محكمة الجرائم الدولية أو الذين يقودون الكتائب المقاتلة ضد قوات المعارضة، وهذا ما يفسر وجود محمد وهانيبال القذافي وأبنائهما ضمن قافلة سيارات المرسيدس **الفخمة** (ليت أحدا يفسر لي سبب وضع هذه الصفة إن لم يكن للمزايدة) التي دخلت إلى الجزائر يوم أمس الأول (وهذا بالطبع يؤكد أن الصحيفة مكشوف عنها الحجاب وهي تعلم السر وما يخفى !!!)

ويعود محمود شمام إلى تصريحاته التي لا تقل غرورا واستعلاء عن تصريحات سيف الإسلام فيقول بأسلوبه السمج المتناسب مع وزنه: إن الجزائر أبلغتهم أنها سمحت ب"عبور" قسم من عائلة معمر القذافي لأراضيها بهدف "دخول دولة أخرى" وذلك "لدواع إنسانية"، وأضاف : "نؤكد لجميع جيراننا إننا نرغب في إقامة أفضل العلاقات معهم (...) ولكننا عازمون على اعتقال ومحاكمة عائلة القذافي و(معمر) القذافي نفسه.

وتتوالى الأنباء عن فرار العقيد إلى "بني وليد" و"سرت"، ولا أجد سببا يدعوني إلى تتبع فرار العقيد الذي تحول، مع كل أسف وأسى، إلى جرذ يلوذ بالأنفاق ومجاري المياه، لأنني أرى أن الأمور حُسمت، وأترك لآخرين مهمة متابعة البحث والتدقيق.

ونزل عدد من ينتظر العقيد زحفهم لمطاردة من أسماهم "الجرذان" من عدة ملايين إلى عدة آلاف، كما قال زيف الإسلام في رسالة صوتية بثتها تلفزة مرتزقة تبث من سوريا، توعد فيها بإعادة "تحرير" الساحة

الخضراء التي أصبحت ميدان الشهداء، وتزامن ذلك مع دعوة أطلقها ساعدي القذافي في نهاية أغسطس معربا عن استعداده، باسم والده، للتفاوض مع الثوار حقنا للدماء، ثم يخرج العقيد في اليوم التالي ليبشر بحرب طويلة الأمد ضد المتمردين، الذين بدأ الشقاق بينهم وبين الحلف الأطلسي كما قال.

ولأن خداع الأسرة "القذافية" أصبح "ماركة مسجلة" كما يُقال، لم يُعز أحد انتباها يُذكر لكل ذلك الهذر الإعلامي، خصوصا والوثائق المكتشفة أكدت أنه، وبموازاة هجوم العقيد على أمريكا ظلت الاتصالات متواصلة واتسمت بما يقرب من الاستجداء، وكانت الوثائق حول لقاء مبعوثي العقيد بدافيد ويلش دامغة.

ونقلت الفضائيات صلاة العيد في ميدان الشهداء، وتصريحات مستبشرة لمن عرفوا الساحة للمرة الأولى، كما نقلت تصريحات من يُطلق عليه "مفتي القذافي"، بعد أن ألقي عليه القبض ثم أعطيت له الفرصة ليتلوا بلاغا استشهد فيه بابن تيمية قائلا بأن على المواطنين السمع والطاعة لمن يتولى السلطة.

وكان تأجيل الهجوم على سرت خطوة حكيمة من قبل الثوار، وبغض النظر عن خلفيات لا نعرفها.

(13)

قبل أن تصل الأمور إلى نهايتها المحتومة، أحسست أن عليّ أن أتدخل في الحوار الدائر عندنا حول ليبيا، حيث لم أنطق بحرف منذ تصريحي الأخير في فضائية الحرة، وكنت توقفت عن الكتابة في المنبر الصحفي المألوف حيث لم أكن راضيا عن الاتجاه الحزبي الذي تلتزم به، ورأيت أن يكون سكوتي واختفائي دليلا على رفضي لخط الصحيفة.

وجاءتني الفرصة عشية عيد الفطر عندما اتصلت بي فضائية الجزيرة[378]، وكان مضمون ما قلته أن "البعض قد يرى في قبول الجزائر طلب لجوء عدد من أسرة العقيد القذافي هدية مسمومة فرضت علينا واضطررنا إلى قبولها، لكنني أتصور بأننا كنا منسجمين مع روح ديننا الحنيف ومع أخلاق الرجولة الحقة، ولا يمكن لنا أن ندير الظهر لمن يستجير بنا، ولا أن نتجاهل ما أسماه رئيس المجلس الانتقالي السيد مصطفى عبد الجليل نفسه المعطيات الإنسانية، ونحن أبلغنا المجلس الانتقالي بما قمنا به ولم نكتف بإبلاغ الأمم المتحدة (..) وعبرنا بذلك عن إرادة شعبنا (..) وأنا ممن يدعون إلى الحفاظ على روح المحبة والوئام لكنني أرفض التصريحات الحمقاء (لبعض من يتحدثون باسم الثوار) وأقول أن الحديث عن موقف جزائري عدائي تجاه ليبيا هو تجاوز مرفوض".

ولأنني أحسست بضرورة عدم الخلط بين تصريحات من يتحدثون باسم الثوار وتشجيع كل الأصوات الحكيمة التي تراعي مصلحة الشعبين فقد قلت أيضا : "تعليق الأستاذ مصطفى عبد الجليل على قبول الجزائر استجارة أسرة العقيد كان جديرا برجل دولة وبأخ ليبي كريم، وهو قال أن الجزائر دولة ذات سيادة وهي راعت الجانب الإنساني، وبالمناسبة، عائشة القذافي كانت حاملا ووضعت أمس طفلة قيل أنها أسمتها صفية".

وفي نفس اليوم أدليت بحديث لصحيفة الخبر نشرته يوم الخميس بدلا من الثلاثاء بسبب عطلة العيد، وكان من أهم ما جاء فيه[379]:

"أعتقد أن الوقت قد حان لاتخاذ موقف متطور من ثورة الشعب الليبي، وفتح جسور مع ممثليه الشرعيين، ولا يمكن أن نترك الشعور الخاطئ لدى الشعب هناك بأن الجزائر تجاهلت معاناته ونسيت وقفته بجوارنا خلال الثورة المسلحة، بل وقبل ذلك بكثير، ولا يمكن أن نسمح لبعض المغرضين بتضليل الأشقاء الذين يعيشون ظروفا صعبة، نحن من أول من يدرك قسوتها".

وقالت الصحيفة بأن عميمور : "صرح منذ أسابيع بأن نظام معمر القذافي فقد شرعيته تماما عندما أقدم على قتل شعبه بكل سادية وبرودة دم، لكنه وصف تصريحات بعض المتحدثين باسم الثوار حول مزاعم دعم الجزائر للقذافي بالاتهام المتسرع والتصرف الأحمق، وجاءت تصريحاته تلك خلال استضافته بقناة "الحرة" الإخبارية تحت عنوان- العلاقات الجزائرية ونظام القذافي.

وأشار الرئيس السابق للجنة الشئون الخارجية بمجلس الأمة إلى أن القذافي كانت له مواقف شجاعة لكن أخطاءه كثيرة ولا تغتفر، وعُنفه في قمع التظاهرات السلمية هو الذي أدى إلى عسكرة الانتفاضة، ثم إلى

---

378 - الجزيرة – مع محمد كريشن 30 أغسطس 2011 ، وانظر تعليق صحيفة الشروق في القسم الوثائقي.

379 - صحيفة الخبر أول سبتمبر 2011.

الاستعانة بالحلف الأطلسي، وهو، كما يرى عيمور، كان أمرا لا بديل عنه إلا القبول بأن تعرف بنغازي والبيضاء ودرنة المصير المأساوي الذي عرفته مدينة حماة السورية في 1982.

وقال عيمور أن هناك دلائل تشير إلى أن ثوار ليبيا يدركون اليوم تسرع بعض الناطقين باسمهم، ممن ضللتهم معلومات مفبركة زرعها من لا يريدون خيرا بالعلاقات الجزائرية الليبية.

وإشارة إلى قضية الاعتراف بالمجلس الانتقالي قال عيمور أن على من يتناولون هذا الشأن أن يعرفوا بأن الجزائر تعترف بالدول وليس بالأنظمة، وتعترف مرة واحدة بالبلد مهما تغيرت أنظمة الحكم فيه، وهي لم تعترف بنظام القذافي نفسه ولا بأي نظام آخر في أي مكان.

وقال الكاتب الجزائري بأن البعض قد يرى في قبول الجزائر طلب لجوء عدد من أسرة العقيد القذافي هدية مسمومة فرضت علينا واضطررنا إلى قبولها، لكنني أتصور بأننا كنا منسجمين مع روح ديننا الحنيف ومع أخلاق الرجولة الحقة، ولا يمكن لنا أن ندير الظهر لمن يستجير بنا، ولا أن نتجاهل ما أسماه رئيس المجلس الانتقالي السيد مصطفى عبد الجليل نفسه المعطيات الإنسانية، ونحن أبلغنا المجلس الانتقالي بما قمنا به ولم نكتف بإبلاغ الأمم المتحدة، وعبرنا بذلك عن إرادة شعبنا وسجلنا وفائنا للمبادئ النبيلة التي نؤمن بها منذ أقدم العصور، وأنا ممن يدعون إلى الحفاظ على روح المحبة والوئام ودعم إرادة التعاون بين الشعبين لكنني أرفض التصريحات الحمقاء التي يبصق بها بعض الأشقاء على المستقبل، وأقول أن الحديث عن موقف عدائي من الجزائر هو تجاوز مرفوض ولا يُبشر بخير، إن لم أقل أنه موقف مشبوه يعمل ضد المصلحة الحقيقية للشعب الليبي ولآماله المستقبلية..

واختتم الوزير السابق تصريحه بالقول: لعل مما يمكن أن يعجل بالوئام أن يقوم مصطفى عبد الجليل أو محمود جبريل بزيارة للجزائر، لأن هذا سيكون صفعة للذين يكرهون الجزائر وليبيا على حد سواء، وللذين يكيدون للبلدين هنا أو هناك، كما سيكون تحذيرا لمن يحاولون استغلال أحداث ليبيا لاختراق المنطقة أمنيا واقتصاديا.انتهى.

وبدأت أحس بأن هناك تيارا يسير في نفس الاتجاه الذي أسير فيه، فقد نشرت الشروق في اليوم التالي على موقعها الإلكتروني افتتاحية بتوقيع عبد الناصر، كان من بين ما جاء فيها: لا خلاف بين كل الجزائريين على أن الدبلوماسية الجزائرية كانت خارج مجال التغطية، منذ اندلاع الثورات العربية، رغم أن هذه الثورات اندلعت في البيت المجاور لبيتنا، حتى كدنا نسمع أزيز رصاصها، ونشم شياط نارها...

ولا خلاف بين كل الجزائريين، على أن موقف خارجيتنا بقي مبهما، رغم أن كل دول العالم بما في ذلك البهاماس وليزوطو واللاووس ونيكاراغوا، أفتت في شأن ثورات يجمعنا بدولها الدم واللغة والدين والتاريخ والجغرافيا، لكن كل الذين حاولوا إنقاذ أو انتقاد هذا الموقف المبهم، نسفوا مجال التغطية نهائيا، وخرجوا عن المنطق وعن الدين والدنيا، ومنهم الحزب المحظور الذي صار يصوم في زمن الإفطار، كما فعل زعيمه منذ سبع سنوات، عندما صام تضامنا مع صحفيين فرنسيين اختطفوا في العراق، رغم أن العراق بأكمله اختطف، ويُفطر في زمن الصيام، كما هي بياناته المنتقدة للجزائر عندما استقبلت بعض الأفراد من عائلة معمر القذافي المكونة من امرأة حامل وعجوز جاوزت الستين.انتهى.

وفي نفس اليوم نشرت نفس الصحيفة حوارا مع عبد الرحمن شلقم، جاء في مقدمته :

على خلاف النبرة المتشددة لبعض أعضاء المجلس الانتقالي تجاه الجزائر، بدا وزير الخارجية الليبي السابق، عبد الرحمان شلقم، متفائلا بمستقبل العلاقات الجزائرية الليبية، حينما قال إنه يتوقع أن يذوب الجليد بين الجارين، كون الشقيقة الجزائر أحد الثلاثة الذين لا يمكن أن تختارهم بين الأب والولد، على حد تعبيره، وفي لقاء خاص للشروق اليومي في دبي، أوضح شلقم، بحكم معرفته برئيس الجمهورية، أن الرئيس بو تفليقة يكن كل الود للشعب الليبي، مضيفا انه نصح العقيد معمر القذافي مرارا وتكرارا، لكن معمر رفض كل النصائح المخلصة بإجراء إصلاحات في بلاده.

وقالت الصحيفة نقلا عن شلقم قوله : الليبيون كانوا يتوقعون أن الجيش الجزائري سيقف معهم، بحكم الجوار والعلاقات التاريخية المميزة بين الشعبين، لكن الواقع كان خلاف ذلك فصدموا، فالموقف الرسمي لم يكن بهذا الحجم من التأييد، مع أن الرئيس الجزائري عبد العزيز بو تفليقة يكّن للشعب الليبي كل الحب والتقدير، وسبق لي شخصيا أن التقيت بو تفليقة في قمة الاتحاد الإفريقي في غينيا بيساو، وجلست معه قرابة الثلاث ساعات، وبكى أمامي بحرقة عن ليبيا لحبه الشديد لها، وقلت له حاول أن تقنع القذافي بإجراء

إصلاحات في ليبيا، لكنه قال لي إنه عنيد ولا يسمع النصائح وأنه مُنتهٍ لا محالة، أعرف جيدا الرئيس بو تفليقة، الذي لطالما قدم جرعات كبيرة من النصائح للقذافي.

ورد شلقم على سؤال يتعلق بالاستعانة بالحلف الأطلسي بصراحة لا تخلو من الحدة، حيث قال:

كأنك تقول للكويتيين، إنكم خونة لأنكم استعنتم بالأجنبي للتحرر من غزو صدام، أو تقول لبولندا والتشيك انتم جبناء لأنكم استعنتم بالحلفاء للتخلص من هتلر، هذا عبث وكلام فاض، وبلاستيكي لا معنى له! حلف الأطلسي 2011 ليس الحلف الأطلسي عام 1950، من أنقذ البوسنة لولا الناتو؟ لولا تدخل الأطلسي لكانت بنغازي غير موجودة اليوم (..) الثورة قامت في 17 فبراير، لكن الأطلسي جاء يوم 19 مارس، أسألك من دمر زوارة؟ من دمر مصراتة؟ من دمر بنغازي؟ ولماذا لم يأت إخواننا العرب و ينقذوننا؟ لماذا لم يأت الجيش الجزائري ليقاتل معنا؟.انتهى.

ويأخذ الكلمة قادة بن عمار ليقول ساخطا تحت عنوان "اليتيمة (التلفزة الجزائرية) تختار الشابة "يمينة" و"رضا سيكا" للرد على حملة الفضائيات على الجزائر!" :

تواصل الفضائيات العربية، ومعها المواقع الإخبارية الشهيرة، مناقشة الموقف الجزائري من الثورة الليبية، واستضافة بعض أفراد عائلة العقيد الليبي المخلوع، معمر القذافي، حيث خصصت قناة العربية في بثها، أمس، العديد من التقارير بشأن هذا الملف، أهمها تقرير يتحدث عن رصد مكالمات هاتفية واتصالات أجراها ضباط من أشد الموالين للقذافي، داخل منطقة صحراوية تقع بين ليبيا والجزائر.

وقالت القناة السعودية، إن الضباط ينتمون إلى قبيلتي القذاذفة والورفلة، أما الاتصالات فلا أحد يعلم إن كانت تتم من قاعدة عسكرية ثابتة، أو سيارة متنقلة، لكن العربية، رجحت وفقا لمصادرها، أن تكون من قاعدة عسكرية ليبية جزائرية (؟؟) تم إنشاؤها في المناطق الصحراوية بتشجيع غربي لمحاربة القاعدة!

المعلومات التي بثتها قناة العربية، مدعمة بخرائط أتبعها تقرير أخر، رصد التناقضات الموجودة داخل عائلة العقيد الليبي المخلوع، بين الساعدي الذي اتصل بعبد الكريم بلحاج، قائد الثوار في طرابلس، من أجل التفاوض معه على شروط الاستسلام، وبين سيف الإسلام الذي بث بعض المقاطع من تسجيل صوتي له على قناة الرأي، يزعم فيه وجود أزيد من 20 ألف شاب مقاتل، يستعدون لمواجهة من وصفهم بالمتمردين، إن حاولوا دخول سرت بعد انتهاء المهلة يوم غد السبت (..) وفي خضم الحديث عن موقف الجزائر، واستمرار جيش من المحللين في قتله بحثا ونقاشا عبر البرامج ونشرات الأخبار، يواصل التلفزيون الجزائري تمسكه بسياسة النعامة، من خلال دفن رأسه في رمال المنوعات القديمة، والحصص الترفيهية البائسة، بحجة أنه "..لا سياسة في العيد"، أو اعتقادا بأن للجزائر ربا يحميها، ولا داعي لتخصيص البرامج والأخبار لشرح الموقف الجزائري الموصوف بالغامض، ليس من منظور الدول الأخرى أو الليبيين فحسب، وإنما حتّى للرأي العام الوطني، وفي هذا الصدد، قدمت الجزائرية الثالثة، وفي نقل موحّد مع الأرضية، أول أمس، برنامجا فنيا بائسا، غنت فيه الشابة يمينة، جديدها بعنوان "نحبك يا لعزيزة"، وربما اعتبر القائمون على مؤسسة اليتيمة في شارع الشهداء، أن ذلك يعد أفضل رد، زيادة طبعا على المغني رضا سيكا على قناة كنال ألجيري!!.انتهى.

وواقع الأمر أن غياب الردود الرسمية المقنعة كان سببا في الفراغ الهائل الذي عشناه، وأحسسنا فيه بأن الجزائر كم مهمل، وكأنها حائط منخفض يقفز فوقه كل من أراد.

وقد يكون هناك من يوجه اللوم للمثقفين الوطنيين لأنهم لا يتصدون للرد على الاتهامات الموجهة للجزائر، لكن هؤلاء يفتقدون المعلومات الموثقة التي تعطيهم الثقة بالنفس وتمكنهم من تجاوز دور "الدمى" المتكلمة، التي لا تقنع أحدا إن لم أقل أنها تثير مزيجا من السخرية والرثاء.

ولقد وُجّه لي شخصيا لوم كبير لأنني كنت مقلاً في تدخلاتي، وكنت أقول لمن يقول لي ذلك أن التلفزة الجزائرية لم توجه لي يوما دعوة للحديث حول هذه القضايا، وهي تصرفت بنفس الطريقة مع عدد كبير من السياسيين والمثقفين الجزائريين القادرين على تجنيد الرأي العام حول المواقف الجزائرية، وربما كان هذا من حسن الحظ لأن المصالح المعنية احتفظت بكل المعلومات في أدراجها وملفاتها الأرشيفية، واكتفت بتوجيه الأمور عبر اتصالات هاتفية أو لقاءات تتم مع مجموعة مختارة من الكتبة.

وقلت فيما يتعلق بي شخصيا، أنني أصبحت أتفادى التدخل عبر القنوات التي يسميها البعض فضائيات معادية لنا، رغم أنذلك هو السبيل المنطقي للوجود الإعلامي، عندما تكاثر ما أتلقاه من عتاب على ذلك، ولقد قال لي يوما وزير صديق : لو استشرتني قبل أن تتحدث مع الجزيرة لنصحتك بألاّ تفعل ذلك.

ووجدت نفسي أحيانا أضيع وقتا وجهدا عن أسلوبي في الرد على ما يوجه لبلادنا من اتهامات، أكثر من الوقت والجهد في الردّ على الخصوم والأعداء، فالبعض عندنا ينسى أنك لن تكون مقنعا إذا حاولت إقناع الناس بأن بلادك على حق مائة في المائة، وبأن أحسن وسائل الدفاع هي الاعتراف للمنتقدين بصحة بعض ما يأخذونه عليك، وهكذا عرفت الفضائيات من يتحدثون موجهين كلامهم لسلطات جزائرية، وغير مهتمين بردّ الفعل عند المشاهدين الآخرين.

(14)

شاركت الجزائر في الندوة الدولية لدعم ليبيا التي افتتحت أشغالها أول سبتمبر بحضور ستين بلدا في باريس ممثلة في وزير الشؤون الخارجية مراد مدلسي، وقالت القدس العربي عن ذلك بأنه "قرار بارز يجلي موقف الجزائر من الأزمة الليبية المبني على دعم أي قرار دولي بخصوص ليبيا، مع الإبقاء على الحياد، كبلد تفرض عليه سيادته اتخاذ ما يراه مناسبا بالنسبة له، وأكدت وزارة الخارجية، أمس، في بيان لها، مشاركة الجزائر في الندوة الدولية لدعم ليبيا، في وقت كانت المجموعة الدولية تترقب أي منقلب تنقلب الجزائر إزاء اجتماع باريس، للتأكد من موقفها المفصلي حيال المستقر السياسي في جارتها ليبيا، على خلفية ما يروج بشأن غموض موقفها من أزمة ليبيا وعدم اعترافها بالمجلس الانتقالي لسلطة جديدة في البلد الذي عمر فيه القذافي أكثر من أربعين سنة رئيسا". انتهى

لكن ما صدر من تعليقات وتصريحات أعطى الشعور بأن من تعاطفوا في مرحلة معينة مع نظام القذافي لا يريدون الاعتراف بخطأ في حساباتهم، وكانت مشاركة روسيا إدراكا لحجم الخطأ الذي لم تدركه الصين، ولهذا أعلنت أنها تشارك بصفة "مراقب"، بينما مرّ غياب جنوب إفريقيا بدون أثر يُذكر، واتضح أن "زوما" غير مؤهل للتعامل مع القضايا الدولية، حيث لا مجال للعناد والتعنت، وأسلوب "معزى ولو طارت".

بموازاة ذلك انتقد مولود حمروش (طبقا لما نشرته "الخبر" يوم 2 سبتمبر) في جلسة خاصة (وهو توضيح حرصت الصحيفة على وضعه بذكاء) التعامل الرسمي الجزائري مع الأزمة الليبية، وقال المرشح السابق لرئاسيات سنة 1999، إنه ضد قطع الاتصال مع القذافي، لكن أردف قائلا: من غير المعقول ألا تفتح السلطات الجزائرية قنوات اتصال مع المعارضة الليبية.

في الوقت نفسه أحسستُ بأن المواقف المتعقلة في الجزائر لم تمر بدون ردّ فعلي ليبي متعقل، وهكذا يؤكد رئيس المجلس الوطني الانتقالي الليبي مصطفى عبد الجليل (واف – 2 سبتمبر) أن المجلس يسعى إلى إقامة علاقات حسن جوار مع الجزائر الشقيقة، مقللا من أهمية ما أشير إلى خلافات بين الجانبين، وقال عبد الجليل خلال مؤتمر صحافي في باريس في ختام مؤتمر مستقبل ليبيا "نسعى إلى علاقات حسن جوار مع الشقيقة الجزائر ومع دول المغرب العربي، الشعب الليبي والجزائري لا يمكن أن ينفصلا، وأضاف " نكن كل التقدير والاحترام للشعب الجزائري، هناك أمور صغيرة حصلت من الإخوان في الجزائر وبعض وسائل الإعلام ضخمت هذه الأمور، وقال "نقدر شعب الجزائر وتاريخه (..) الجزائر دولة جارة وأنا سعيد لحضور الجزائر وتشاد إضافة إلى تونس ومصر، هذه القاعة صدر عنها قرار حظر جوي وهي تشهد عودة الجزائريين والتشاديين وتونس ومصر، نمد يد العون لكل الشعوب العربية.

وتنقل الشروق الجزائرية تصريحا أدلى به القيادي في الثورة الليبية عبد الناصر السعداوي رئيس المجلس الانتقالي لصرمان وجاء فيه: "لا نريد نقل معركتنا من ليبيا إلى الجزائر، لأن معركتنا مع نظام القذافي وليست مع الجزائريين" (..) الثوار الليبيين "لا يحملون للشعب الجزائري إلا الخير لأنهم يعرفون جيدا من هو الشعب الجزائري"، وأضاف "الشعب الجزائري شعب مكافح وعاش معنا سنين طويلة"، مشيرا إلى أن الجالية الجزائرية في ليبيا والتي يقدر عددها حاليا بنحو ألف نسمة "توجد في وضعية حسنة"، وأضاف "أعرف عائلة جزائرية تقيم في ليبيا منذ 14 سنة وتقيم حاليا في بيتي بأمان ومتمسكة بالبقاء في ليبيا".

ويصرح جمعة القماطي ممثل المجلس الانتقالي في لندن والذي عرف بتصريحاته الحادة تجاه الموقف الجزائري فيرحب في تصريح للشروق (9/2) بقرار الجزائر لغلق المعابر الثلاثة الحدودية مع ليبيا (المعبرين الواقعين في منطقة جانت بالبزي وكذا معبر الدبداب) واصفا إياه بالقرار السليم والإيجابي، وقال إن قرار السلطات الجزائرية بهذا الشأن نرحب به في المجلس، ونعتبره قرارا ايجابيا وسليما، وأضاف أن الجزائر تشكر على هذا القرار، خاصة وأنه يسد الطريق أمام فرار القذافي وأبنائه الملاحقين.

وعن التصريحات التي تناقلتها وسائل إعلام مختلفة حول وصفه قرار الجزائر، بالسماح لعدد من أفراد عائلة القذافي الدخول لترابها، بالقرار العدائي، فقد نفى هذه التصريحات جملة وتفصيلا، وقال إنه لم يصرح بهكذا كلام أبدا، وأنه يبرئ مسؤوليته منها، وعن إمكانية تراجعه في كلامه الأخير حول هذه القضية فقد تساءل "كيف أتراجع عن تصريح لم أصرح به" (ورأيت في هذا فصل الخطاب)

ويتزامن هذا كله مع خطاب صوتي رابع للعقيد بثته فضائية "الراي" من سوريا، أعلن فيه أنه : مستعد لخوض 'معركة طويلة' ضد الثوار وحلف الأطلسي حتى لو 'اشتعلت' ليبيا، ودعا أنصاره إلى الاستمرار في القتال (..) إذا أرادوا معركة طويلة فلتكن معركة طويلة (من يُشعل المعركة إذا كان مختبنا كالجرذ) إذا اشتعلت ليبيا من يستطيع أن يحكمها؟ فلتشتعل (طبعا ..لأنها دار أبيه) "حتى لو لم تسمعوا صوتي استمروا بالمقاومة" (طبعا، هو يريد أن ينام ويحارب الآخرون من أجله) (هناك) خلافات بين حلف العدوان وعملائه (..) قاتلوا، اهجموا عليهم، افتكوا بسلاحهم. هم حفنة عملاء لا مدد لهم، سننتصر في المعركة في النهاية، المستعمر سوف يعود إلى بلاده والعملاء سينتهون (..) لن يتمكنوا من السيطرة على ما تبقى من معاقل في سرت وجنوب البلاد ووسطها (..) من يقدر أن يخضع بني وليد أو سرت أو ترهونة؟، هذه قبائل مسلحة ولا أحد يستطيع أن يحكم ليبيا دون رضاها (..) الآن أصبح هناك توازن قبلي مسلح.

وقد حرصتُ على تقديم مقتطفات هامة من خطاب العقيد لأعطي فكرة عن مدى انهيار الزعيم الليبي السابق وبعده عن الواقع المعيش وفي الوقت نفسه، عن أفكاره اللئيمة.

وتنشر صحيفة "الوطن" الصادرة بالفرنسية معلومات، استقتها بالتأكيد من مصادر مأذونة (أو طُلب منها نشرها) تقول أن القذافي كان موجودا برفقة بعض أفراد عائلته بمدينة "غدامس" القريبة من الحدود الجزائرية وحاول التفاوض للدخول إلى أراضيها من خلال اتصاله هاتفيا بالرئيس عبد العزيز بو تفليقة.

وأوضحت المصادر أن بو تفليقة ربما يكون رفض الرد على مكالمة القذافي، حيث اعتذر احد مستشاريه بأن الرئيس غير موجود وإنه مشغول بالأحداث الأخيرة التي تشهدها البلاد (الهجوم الانتحاري المزدوج الذي استهدف الأكاديمية العسكرية بشرشال) ولفتت إلى أنها ليست المرة الأولى التي يحاول فيها القذافي أو مبعوثون عنه الاتصال بالرئيس لإجراء مفاوضات محتملة، كما أكدت أن دخول بعض أفراد عائلة القذافي إلى الجزائر تم بموافقة وضمانات بعض أعضاء المجلس الانتقالي الليبي .

وتتوارد أخبار عن توجه مئات من السيارات المدرعة الليبية إلى النيجر ويقال أن القذافي كان من بين ركابها، وهو ما كُذب فيما بعد عبر رسالة صوتية بعث بها "الجرذ" الأكبر عبر قناة الرأي التي يبثها المرتزق العراقي "مشعان الجبوري" من سوريا بأموال ليبية، والتي يقول عنها مشعان (وهو اسم لا أعرف معناه) بأنها محطة متنقلة تبث من سيارة "أوبي فان"، وفهم أن الادعاء لعدم إحراج السلطات السورية التي لا يمكن أن يتصور أكثر الناس سذاجة أنها عاجزة عن تحديد موقع البث، لكن المهم أن أحدا لم يعد يصدق ما يصدر عن القذافي أو عن عصابته، حيث أصبح الناطق باسمه، موسى ابراهيم القذافي، يلجأ هو نفسه إلى أسلوب الجرذان، تماما كأبناء "الحقيد"، فيصدر تصريحات إذاعية بدون أن يجرؤ على الظهور أمام الكاميرات.

وادعى المرتزق العراقي أن قناة أخرى تحمل اسم "المقاومة" تبث إرسالها أيضا من سيارة بث فضائي مماثلة، وقال مشعان أنه هو صاحب اقتراح المحطة المتنقلة وقام بتدريب العاملين عليها، وواضح أن ما يتحدث هنا هو الأموال الطائلة التي سُلبت من الشعب الليبي.

وتطلب محكمة العدل الدولية من "الإنتربول" إصدار مذكرة توقيف حمراء ضد الحقيد وابنه، وهو ما تم بالفعل وأصدرت المؤسسة الأمنية الدولية ما أسمته مذكرة توقيف حمراء ضد المتهمين.

وتعود عمليات التشويش التي كانت قد فترت إثر الضجة المفتعلة حول برنارد هنري ليفي، فتنشر القدس العربي مراسلة بتوقيع زهير أندراوس من الناصرة (فلسطين) خبرا جاء فيه: قال مسؤول من المعارضة الليبية ومؤسس حزب 'ليبيا الديمقراطية، أحمد الشيباني (وهو شخص مجهول تماما ولم يصدر عنه صوت خلال

الأحداث باستثناء مقابلة مضمونها تشكيك في أهداف الانتقالي) في حديث أدلى به لإذاعة الجيش الإسرائيلي (؟؟) إن إسرائيل لاعب دولي، متمنيا أن تساعد بعلاقاتها لمجلس بقوة على تحقيق أهدافه، وأضاف في معرض ردّه على سؤال"جاكي حوغي"، محلل شؤون الشرق الأوسط بالإذاعة أنّ من يسيطر اليوم على الأرض عمليا هو تنظيم "القاعدة"، وهو الذي يُسيطر على الأسلحة والعتاد، وأضاف أنّ مدينة بنغازي تدار من قبل كتيبة "عبيدة الجراح"، (يقصد عبيدة بن الجراح طبعا) وطرابلس تقع تحت سيطرة عبد الحكيم بلحاج، لافتا إلى أنّ الاثنين هما من كبار قادة القاعدة (وهكذا نكتشف أن عبيدة بن الجراح الذي انتقل إلى رحمة الله منذ أكثر من 14 قرنا هو ما جماعة "القاعدة") وأشار الشيباني إلى أنه في المؤتمر الصحافيّ الذي عقده قبل عدّة أيام بلحاج في العاصمة الليبيّة لم يذكر لا من قريب ولا من بعيد المجلس الانتقاليّ الليبيّ برئاسة مصطفى عبد الجليل، مشددا على أنّ الاثنين لا يعترفان بالمجلس الانتقاليّ (وهذا كذب لأن بلحاج تحدث عن انتماء كل القوات العسكرية للمجلس) انتهى.

وأنا شخصيا، وبرغم إيماني بحق الصحيفة أن تنشر ما تريده، أقول بأن تقديم خبر كهذا بدون التعليق عليه هو تضليل، وهو ما يذكرني بقضية برنارد ليفي الذي طنطنت له الصحيفة القومية الكبيرة، ثم تناست الأمر عندما أثبتت التطورات التي عرفتها الساحة، وخصوصا خلال اجتماع باريس، أن ليفي ليس بالقوة والنفوذ التي حاول أن يخدع بها كثيرين، وهكذا لاحظ الجميع أنه لم يبد له أي وجود حول مؤتمر باريس، لا صوتا وصورة، وهو ما يطمئن أشقاء تخوفوا من ظهوره على الساحة الليبي منذ أسابيع، وسلطت عليه أضواء كاشفة ثبت الآن أنها كانت مشبوهة، وبدون أن ينفي هذا أنه حاول أن يستغل صداقته من ساركوزي.

ومن حسن الحظ أن تصريحات المتحدثين باسم النظام المنهار تكشف خلفياتهم الدنيئة، ومن ذلك تصريح موسى إبراهيم القذافي لرويتر، والذي جاء فيه تهديد واضح باتباع سياسة الأرض المحروقة وتخريب المعبد على رؤوس الجميع عندما قال : أن القتال سيستمر إذا رفض المجلس الوطني الانتقالي وحلفاؤه الغربيون قبول فرصة للتفاوض الآن مع أنصار القذافي وقال "انه يحتاجون للتفاوض معنا... وإلا لن يجدوا بلدا ليحكموه .!!!"

وتكتشف مع مرور الأيام تفاصيل كثيرة عن مفاجأة تحرير طرابلس السريع، مغلقة الباب على تكهنات بعض من حاولوا التغطية على تخاذلهم في دعم ثوار "الناتو" كما أسموهم، بالإدعاء أن العمل كله قامت به قوات الأطلسي، أما الثوار فأعطيت لهم إمكانية الاستعراض أمام كاميرات الفضائيات (هكذا).

وتقول الخبر الجزائرية يوم 16 سبتمبر : أرجع تحقيق عسكري جزائري بشأن أسباب إخفاق الأسلحة الروسية خلال الصراع الذي تشهده ليبيا حاليا إلى سوء تنظيم قوات العقيد معمر القذافي أدى إلى انهيارها السريع (..) صدرت عن عناصر متعاونة مع حلف الأطلسي أوامر مزيفة عبر نظام الاتصال والهاتف إلى القادة الميدانيين لقوات القذافي، ساهمت في نشر الفوضى والرعب بين القوات المدافعة عن العاصمة (..) والانهيار السريع للجيش الليبي ومنظومة الدفاع الجوي خاصة في محيط طرابلس أثار دهشة المراقبين وخبراء التسلح، والقادة العسكريين، وأدى إلى ظهور الأسئلة حول قدرة الأسلحة الروسية التي تمثل أكثر من 80% من ترسانة الجيش الليبي (قد يعطي هذا إشارة لخلفيات الموقف السوفيتي الذي بدا وكأنه بالغ التأثر من احتمال سقوط العقيد). وعلى الرغم من أن القوات الجوية والصاروخية القليلة نسبيا التي سخرتها دول حلف الناتو خلال العمليات العسكرية ضد ليبيا، بحسب الصحيفة، فإن العمليات انتهت بتفكيك سادس أقوى جيش عربي وخامس أقوى جيش إفريقي على الأقل من ناحية القدرات وكمية الأسلحة.انتهى.

ثم تنشر الخبر حوارا بالغ الأهمية جاء فيه :

قال جون هاملتون، خبير شؤون شمال إفريقيا في مؤسسة "كروس بوردر إنفورميشن" للاستشارات الحكومية والخاصة، ومقرها لندن، إن الوضع في ليبيا سيسفر بكل وضوح عن صعوبات كثيرة وتحديات ضخمة، لكنه قال، في حوار مع "الخبر" بلندن، من شأن تقارير إعلامية تتخوف من وقوع أسلحة القذافي ومن بينها صواريخ متطورة في أيدي جماعات إرهابية نشطة بمنطقة الساحل.

وعن تصاعد المخاوف من وقوع ترسانة السلاح الليبية الهائلة في أيدي جماعات إرهابية، قال: أعتقد أن بعض هذه المخاوف مبالغ فيها، وهي تهدف إلى الفرقعة الإعلامية فقط، هناك انتشار لأعداد هائلة من السلاح صحيح، لكنها بأيدي الثوار والشعب الليبي، وهم ليسوا إرهابيين بالطبع. وعلى المجلس الانتقالي الليبي أن يقوم بمجهود جبار لجمع أكبر قدر ممكن من هذا السلاح.

وتعليقا على تقرير "الأندبندنت" الذي يتحدث عن نهب 480 صاروخ يمكنها أن تصيب طائرات تجارية بسهولة، قال: اعتقد أن هذه التجهيزات العسكرية التي يتم الحديث عنها قديمة جدا ومتجاوزة، ولا يمكنها أن تشكل خطرا كبيرا، وإلا لماذا لم نشهد استخدام مثل هذه الصواريخ خلال ذروة النزاع، حيث لحد الآن لم نشهد مواجهات عسكرية في الجو (..) هناك مؤشرات قوية تدفع إلى الاعتقاد أن ليبيا لن تصبح دولة فاشلة.

ولحد الآن نجح المجلس الوطني الانتقالي في الحفاظ على الأمن العام وإعادة تشغيل المرافق الحيوية في طرابلس كالمياه والكهرباء، كما أن أعمال العنف نادرة جدا، وأعتقد أن مؤشرات كهذه ينبغي أن تحمل رسائل مطمئنة إلى دول الجوار، وهي أن المجلس الانتقالي استطاع لحد الآن بلورة خطة ناجحة في تسيير شؤون البلاد. أكيد أن هناك الكثير من الصعوبات والتحديات، لكن على الجزائر أن تعمل على تجاوز خلافاتها الدبلوماسية مع المجلس الانتقالي في ليبيا والتعاون معه من أجل مواجهة التحديات الأمنية في المنطقة. انتهى.

لكن العناصر التي كانت وراء المواقف المترددة إزاء ثورة ليبيا لم تغلق ملفاتها، وهي تحاول، بعقدة ذنب واضح، أن تثبت أنها كانت مصيبة في القرارات التي اتخذتها أو دفعت لاتخاذها، وفي واقع الأمر هي فعلا ...مصيبة، وهكذا راحت تسرب بين الحين والآخر معلومات وتصريحات أراها مسمومة، بل ومستفزة.

ونقرأ أن الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي أسرّ لرئيس المجلس الانتقالي محمود عبد الجليل بأن دور الجزائر (في حدوث انتفاضة مماثلة) قادم في العام المقبل، وهو تصريح استعماري يستفز غضب الحليم ويدفع لاستمطار اللعنات على المتحدث وعلى المستمع، لكنني بحثتُ في كل الوثائق الإعلامية المتوفرة فلم أجد ما يثبت ذلك الزعم، ولم يصدر عنه، كما هو مفروض ومتوقع، ردّ عنيف من السلطة الجزائرية في غياب تكذيب مقنع من المتحدث والسامع، ويتأكد أنه كان تسريبا مقصودا لإفساد ذات البين.

ويلي ذلك أخبار مشابهة يقول بعضها أن تنظيم "القاعدة" يعد للاستقرار في ليبيا، وتصريح تيليفزيزني مساء 11 سبتمبر لصحفي جزائري مبتدئ يقول للجزيرة بأننا أصبحنا جيرانا لحلف "الناتو".

وتقول صحيفة جزائرية خاصة يوم 13 سبتمبر:

ها هو محمود جبريل، الناطق باسم المجلس الانتقالي الليبي، يستجيب لشرط الاعتراف الجزائري، المتمثل في ضرورة تشكيل حكومة ليبية تضم كل الجهات، حيث أعلن أخيرا أن حكومة مؤقتة سيتم تشكيلها خلال أسبوع إلى عشرة أيام على الأكثر (وما قاله جبريل ليس جديدا، ولا يرتبط بالشروط التي أجمع الناس على سخافتها) وها هو السؤال المربك يعود من جديد: هل ستعترف الجزائر مباشرة بهذه الحكومة مثلما قال وزير الخارجية مراد مدلسي، خاصة وأن هناك اتصالا مباشرا بين عناصر الحكم في ليبيا والسلطات الجزائرية، ولم نعد في حاجة إلى وساطة فرنسية أو خليجية ؟ (لم تكن هناك وساطة من أي نوع، وإلا لاعترف بها مصدر مأذون وليس مقالا في صحيفة محدودة التوزيع) أم أن الجزائر، قبل أن تفعل ذلك، ستلزم الحكومة الليبية المقبلة ببعض المبادئ، كأن تدين مثلا الحكومة الليبية الجديدة اعتداء شرشال التي قالت القاعدة في بيانها عقب الحادثة الشنيعة إنها عاقبت من خلالها الجزائر لأنها لم تعترف بالمجلس الانتقالي (لم أسمع ما هو أكثر غباء من هذا القول الذي يلزم السلطات الليبية بالرد على أمر لا شأن لها به).

مسألة أخرى (تقول الصحيفة) لابد على هذه الحكومة المفترضة اتخاذ موقف منها بوضوح، وهي قضية الحرب على الإرهاب، ومن عناصر القاعدة الذين تغلغلوا وسط الثوار الليبيين، واستحوذوا على السلاح وصاروا يشكلون خطرا ليس على ليبيا وحدها، بل على المنطقة كلها، فعلى النظام الليبي المقبل أن يتعهد بمكافحة الإرهاب، ليس للجزائر فحسب، بل لكل العالم (أصبحنا الآن نتحدث باسم العالم) ويباشر من الآن عملية جمع السلاح المتداول في ليبيا، خاصة في المناطق التي لم تعد تلقى فيها مقاومة من عناصر القذافي مثل العاصمة طرابلس.

مسألة هامة أيضا لابد أن تتأكد منها الجزائر قبل الإسراع بالاعتراف، وهي ألا تضم الحكومة عناصر إرهابية على شاكلة عبد الحكيم بلحاج وغيره من الأسماء التي تورطت في الحركة الجهادية سواء في صفوف القاعدة أو في صفوف الجماعة الليبية المقاتلة (يصل الأمر هنا إلى حد الوقاحة لمجرد إرضاء مواقع نفوذ معينة هنا أو هناك، فنعلن شروطا على طرف ليس مدينا لنا حتى بتأييد لفظي) ولاشك أن الجزائر من منظور خبرتها في الحرب على الإرهاب تعرف هؤلاء جيدا ويمكنها أن تؤشر عليهم بالاسم، لأنه ليس من المعقول أن نحارب الإرهاب في الجزائر ونعترف بشرعيته في ليبيا (أي أن الإرهاب في ليبيا أصبح واقعا مؤكدا) وعلى ليبيا من جهتها أن تعمل بنصيحة الجزائر في هذا الشأن (هل رأيتم استعلاء وغرورا أكثر من هذا، والذي قد يعني أن

كاتب المقال ليس هو موقعه) لأنها لا يمكن أن تدير للجزائر ظهرها، ولا يمكن أن تناصبها العداء وقد جربت في مواقف المجلس الانتقالي الذي لم يجن من عدائه للجزائر غير المقاطعة وغلق الحدود (الواقع أن المجلس الانتقالي لم يكن هو الذي عانى من المقاطعة ومن الاستهانة الساخرة بمواقفه) فليبيا المستقبل في حاجة إلى الجزائر لبناء أمنها الداخلي، وفي حاجة إلى جار أمين توثق معه العلاقات الاقتصادية والإستراتيجية والأخوية (والجزائر أيضا في حاجة لليبيا لبناء أمنها الداخلي وفي حاجة لجار أمين ...الخ الخ، ولست أدري ماذا يؤهل الصحيفة لإطلاق هذه النصائح السخيفة). انتهى.

وتتواصل الأحداث ويفر معظم أبناء القذافي، وبعد فرار محمد وهانيبال إلى الجزائر يفر الساعدي إلى النيجر، وتواصل قناة الرأي في سوريا بث نداءات "الجرذ" الأكبر التحريضية، بينما يتسع نفوذ المجلس الانتقالي كبقعة زيت متزايدة المساحة، وتظل فلول الكتائب تزعج الثورة هنا وهناك، لكن لدغات الأفعى تحولت إلى لسعات بعوض جائع.

وتضع الصحيفة القومية الكبرى الصادرة في لندن على عرض صفحتها الأولى عنوانا بالخط العريض يتحدث عن انقسامات في صفوف الثوار، وهو موضوع كان يجب، لو حسنت النوايا، أن يوضع على عمود أو عمودين داخليين، ولكن تقديمه بهذا الشكل يعطي الشعور بأن الصحيفة تهلل لما حدث وتضخمه.

ومما جاء في المقال المطول الذي بعث به "أحمد المصري" (ولم أكن قرأت للمذكور شيئا ما) من طرابلس ونشر يوم 14 أغسطس: تفاقمت الخلافات بين الجناحين الإسلامي والليبرالي داخل المجلس الوطني الانتقالي في ليبيا، فيما بدأت تطفو على السطح صراعات بين مقاتلي المعارضة وأعضاء المجلس الانتقالي، وأصبحت المؤتمرات الصحافية "ساحة حرب" إعلامية بين الطرفين، وتجلت هذه الخلافات في التصريحات المتباينة في عدم حضور عبد الحكيم بلحاج مؤتمرا صحافيا عقده مدير المكتب التنفيذي في المجلس الانتقالي محمود جبريل القائم بمهام رئيس الوزراء، وهاجم القيادي الإسلامي الليبي وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي الصلابي أعضاء المكتب التنفيذي للمجلس الانتقالي الليبي، واتهمهم بالسعي لسرقة أموال الشعب الليبي، مطالبا رئيس المكتب التنفيذي في المجلس الوطني الانتقالي الليبي محمود جبريل أن يقدم استقالته، ويترك الليبيين و"القوى الوطنية الحقيقية" يبنون مستقبل بلادهم (والقوسين في أصل المقال، وهجوم الصلابي صحيح مضمونا وليس صحيحا شكلا لأن تصريحه بصوته للجزيرة بدا متزنا ويكشف بصراحة عن اختلاف مع جبريل حول بعض مواقفه، وهو أمر طبيعي ومشروع).

وأضاف الصلابي أن "جبريل مع مجموعة من أمثال محمود شمام وعلي الترهوني وعبد الرحمن شلقم وقلة قليلة أخرى، مجموعة متحدة يريدون أن يفصلوا لليبيين ملابس خاصة على المقاس الذي يرونه، وأرادوا أن يأتوا بأناس على شاكلتهم ليسيروا شؤون الليبيين في مجالات الأمن والجيش، وفي مجال الطاقة والنفط، وفي الطب والصحة، وفي عموم الإدارات، للسيطرة والهيمنة، ولم يشاوروا القوى الوطنية الفاعلة التي دفعت الغالي والنفيس من أجل الحرية"، واتهم الصلابي "جبريل ومن معه" بأنهم "أناس مرضى بالاستبداد والدكتاتورية والإقصاء، وينظرون إلى ما يحدث في ليبيا على أنه صفقة العمر، ويسعون لسرقة ثروات الليبيين وثورة الشعب الليبي".انتهى.

وأعود لتصريح الصلابي على قناة الجزيرة، فأجده يعترف بأنه يختلف مع محمود جبريل حول عدد من النقاط من بينها دعمه لمحمود شمام، المكلف بالإعلام (وهو ما أتفق فيه مع الصلابي نتيجة لرداءة الأداء الإعلامي للمذكور) لكنه يقول أنه على استعداد لكي يقبل ما يرتضيه مجموع الليبيين، وتصوري أن هذا هو أقصى ما يمكن أن يُطلب من رجل سياسي تجاه خصومه، وهو يعني أن ما قدمته "القدس العربي" يمكن أن يكون تعبيرا عن نوايا سيئة أو عن خلفيات مشبوهة.

وكالعادة، تنشر "القدس العربي" تعليقا بتوقيع "كادر" في منظمة التحرير (الفلسطينية طبعا) يقول :الغرب هو من سيولّي الرئيس الليبي القادم، وقيادات الناتو أكدت أنها وضعت وخططت لما حدث في ليبيا منذ فترة طويلة (أنا شخصيا لم أطلع على هذا التصريح الخطير للناتو) وأن الدور علي القذافي في السقوط كان بعد صدام حسين، لذا استخدم الناتو أدوات لإسقاط النظام صنع منهم إعلاميا صورة الثوار والمحررون (المحررين !!) متغافلا عن تاريخ كل من يخدم مصلحتهم أكان إسلاميا أو منشقا عن نظام القذافي، والناتو سيرسل قوات برية إلي ليبيا تحت غطاء دولي وإسلامي وعربي (وهو ما نفاه نائب وزيرة الخارجية الأمريكية اليوم في طرابلس) والغطاء التركي أو القطري أو الأردني تحت الطلب، وسيركز قواته في منابع وموانى النفط وليظل

الليبيون يتصارعون لعقود في رمال الصحراء مابين ثائر أو كتائب أو إسلامي أو علماني..أن ليبيا استثمارا مضمونا (استثمار مضمون) لغرب متوحش مستعمر..علي الليبيين أن يفيقوا ويعودوا لجادة العقل، إلا يكفيهم 80 ألف قتيل وجريح ومئات المليارات المهدرة.انتهى.

ولأن القدس العربي، ومديرها وصاحبها مناضل فلسطيني معروف، مهتمة تماما بالشأن الليبي في حين تحتل مذابح الأسد في سوريا المرتبة الثانية في اهتماماته برغم أنها سابقة في الأهمية، تخصص "ق.ع" افتتاحيتها اليوم لما أسمته "الصراع بين العلمانيين والإسلاميين" وجاء فيها:

الصراع على ثروات ليبيا وودائعها الهائلة في البنوك الغربية (160 مليار دولار حسب أكثر التقديرات تواضعا) بات يسير في خط متواز مع صراع آخر على قمة السلطة فيها بين الليبراليين والإسلاميين، بدأت إرهاصاته تطفو على السطح بشكل قوي في الأيام الأخيرة، وحتى قبل استعادة آخر معاقل العقيد الليبي معمر القذافي في سرت وبني وليد وسبها، فإذا كان هناك شبه اتفاق بين الكثيرين على أن تدخل حزب (؟؟) الناتو عسكرياً لصالح المعارضة الليبية وقواتها في صراعها مع النظام السابق لم يكن لأسباب إنسانية بحتة، وإنما لاعتبارات تجارية أيضا، فان تفاقم حدة الانقسامات بين الجناح الليبرالي الليبي الذي كان خلف استدعاء حلف الناتو، ومغازلة إسرائيل من خلال برنارد هنري ليفي الفيلسوف الفرنسي المعروف بصداقته الوثيقة مع بنيامين نتنياهو وايهود باراك وزير الدفاع، وبين جناح الإسلاميين الممثل في الشيخين عبد الحكيم بلحاج رئيس المجلس العسكري في طرابلس وإسماعيل الصلابي رئيس المجلس العسكري في سرت وبني الوليد، يهدد بإضعاف شرعية تمثيل المجلس الانتقالي الليبي للشعب الليبي، وتحقيق المصالحة الوطنية في البلاد.انتهى.

ولعلي أذكر بأن معظم التعليقات المشككة في ثورة ليبيا وقعها فلسطينيون، وأترك الاستنتاج للقارئ.

وكانت زيارة "جيفري فيلتمان" مساعد كاتبة الدولة الأمريكية حدثا بارزا وتميز خطابه بأنه كان باللغة العربية، وسبقت زيارته الأربعاء زيارة كل من الرئيس الفرنسي ورئيس الوزراء البريطاني الخميس، وهي زيارة أراها صفعة لكل الذين راهنوا على انتصار القذافي ولم يتخذوا مواقف حاسمة منذ البداية، وفي مقدمتهم النظام الموريطاني.

وكانت التصريحات التي صدرت عن ساركوزي وكامرون بالغة الذكاء وسجلت احترامهما للثورة الليبية التي يعود لها الفضل الأول في إسقاط الطاغية، وكانت صورة الندوة الصحفية على القنوات الفضائية متميزة، وكل هذا لم تعكسه الصحيفة القومية الكبرى، التي أصبحت تذكرني بأخينا المصري مصطفى بكري، وهكذا وضعت على صفحتها الأولى يوم 16 سبتمبر صورة اختارتها من بين مئات الصور لأنها تبرز وجود الفيلسوف الفرنسي برنارد هنري ليفي وراء ساركوزي وكامرون، وهي كانت طنطنت طويلا حول علاقاته المشبوهة بالمجلس الانتقالي الليبي ورسائله التي حملها إلى إسرائيل، وهو ما كذبه المجلس، وكان واضحا أن الصحيفة تتصيد ما تحاول أن تثبت بها أسلوبها الخاص في التعامل مع الثورة الليبية.

وهكذا لم يكن العنوان الرئيس فوق الصورة تعهد الرئيس الفرنسي ورئيس الوزراء البريطاني بدعم الليبيين وتأكيدهم بأنه ليس هناك أي اتفاقيات سرية بل كان العنوان تصريحا لقائد "أفريكوم" كان قد ألقاه في الجزائر أمام العلمين الجزائري والأمريكي، وقال فيه بأن "القاعدة" تسعى لتثبيت أقدامها في ليبيا وبأن بعض أعضاء المجلس الانتقالي على علاقة بتنظيمات إرهابية.

وبالطبع، أبرزت الصحيفة القومية تصريحات الناطق باسم "الجرذ" الليبي الكبير المختبئ في أحد الأنفاق، وكان العنوان : زيارة ساركوزي وكامرون لاقتسام الكعكة الليبية.

وتنشر الصحيفة الجمعة تقريرا بدون توقيع يقول: بات العامل الإسلامي في الثورة الليبية يثير مخاوف الدول التي تزعمت الحملة للإطاحة بنظام الرئيس الليبي معمر القذافي، ففي وسط الخلافات بين الفئات الليبية التي تعاونت على تغيير النظام وبدعم من دول الناتو، اندلعت الخلافات مبكرا بين التيار الإسلامي الذي يشكل مقاتلوه غالبية مقارنة مع التيار العلماني الذي اكتفى بتأمين الدعم السياسي للمقاتلين في الميدان، ومع استمرار التراشق الكلامي بين ممثلين في التيار الإسلامي الليبي ومحمود جبريل (لم أسمع كلمة واحدة من جبريل) يبدو أن شكل الصراع بين أطراف المعارضة بدأ يتخذ شكلا جديدا، حيث لم يعد الحديث الآن عن كيفية التخلص من نظام القذافي بل حول كيفية إدارة البلاد، وطريقة حكمها (..) ففي الوقت الذي اجبر فيه القذافي على الهروب والتخفي فان الإسلاميين هم اليوم من لهم الدور المهم بتحديد شكل ليبيا، وبعد عقود من الخوف حتى من الذهاب للمسجد أو التعبير صراحة عن الهوية الإسلامية فالإسلاميون الذين ظلوا في خلفية المعركة العسكرية

والسياسية للإطاحة بالقذافي ظهروا الآن على الساحة (..) وعليه يفهم القلق الذي ينقل عن عدد من قادة الانتفاضة ضد القذافي من سيطرة الإسلاميين على الثورة أو قيامهم بسرقتها حسب مسؤول بارز نقلت عنه صحيفة "واشنطن بوست" فيما يتهم الإسلاميون الطرف الليبرالي بأنه يحاول سرقة الثورة والتأسيس لنظام استبدادي جديد (..) وفي الوقت الحالي فما يركز عليه الصحافيون الغربيون هو التأكيد على عودة الحياة الطبيعية لطرابلس وان تكهنات المتشائمين من الفوضى والقتال لم تتحقق (..) ويلاحظون كما أشار تقرير "لوس انجليس تايمز" وتقرير"تايمز" البريطانية أن سكان طرابلس يبتسمون للأجانب "امتنانا لهم على المساعدة" ويرفعون أعلام دول الناتو وهو أمر غريب في دولة عربية (ولست أدري ما سر الغرابة في أن يرفع مواطنون أعلام دول غربية ساعدتهم، وشعوبنا ترفع أعلام أي رئيس أجنبي يزور البلاد في زيارة رسمية، وليس في زيارة تحد كما حدث في ليبيا.انتهى.

وكالعادة تنشر صحيفة لندن القومية تعليقا لمن يقول أنه كادر في منظمة التحرير تحت عنوان: التمهيد لإرسال القوات البرية لاحتلال ليبيا، جاء فيه: بحجة مكافحة القاعدة سيرسلون قوات لحماية الأمن وفرض، وسيكررون ما حدث في العراق، الآن يقولون أن المجلس الانتقالي به متطرفون من القاعدة وهو نفس المجلس الذي أنشئوه ودعموه وجلبوا له الاعتراف الدولي .. هو الاستعمار يظهر حقيقة أهدافه ونياته. انتهى.

ولست أدري ما هو كنه هذا "الكادر" الذي لا يذكر اسمه لنحييه على تصريحاته الشجاعة المتكررة.

وأجد علي وأنا أختتم هذا الفصل، وقبل أن يتبين المصير النهائي للقذافي، أن أقول بأنني فهمت اليوم معنىً آخر للآية الكريمة التي تقول : ومن نعمره ننكسه في الخلق، والتي كنت أفهم منها أن القضية مرتبطة بما يصيب الإنسان من تحولات بيولوجية نتيجة للتقدم في العمر، لكنني أتخيل اليوم، وعلى ضوء ما أصاب معمّر القذافي مؤخرا، أن طول العمر نفسه قد يكون نقمة من المولى عز وجل، حيث أن معمّر، الذي كان ملء السمع والبصر عبر العالم كله، عمّرَهُ المولى ليعيش أياما يصبح فيها مجرد جرذٍ فارّ، لم يبق معه من أنصاره والمحسوبين عليه إلا شخص موسى إبراهيم القذافي بجانب سيف الإسلام، وتبخر أبناؤه وأحفاده ووزراؤه وحراسه ورجال تشريفاته وسفراؤه.

وكنت لاحظت أن معظم التعليقات المدافعة عن نظام العقيد القذافي كتبها من قالوا أنهم فلسطينيون، وبعضهم كان يوقع بصفة "كادر في منظمة التحرير"، لكن الشروق اليومي تنشر يوم 19 سبتمبر مقالا لمؤسسة لم أكن سمعت عنها، تؤكد ما تناقلته بعض الكتابات من وجود حملة أمريكية إسرائيلية عبر "الفيس بوك" لإثارة اضطرابات في الجزائر أول أمس، وكان واضحا أن القضية تدخل في إطار المزاعم القائلة بأن ثورات الربيع العربي، كما اتفق على تسميتها، هي مخططات استعمارية، وهكذا تقول الشروق، على مبدأ "ناقل الكفر ليس بكافر":

نددت منظمة "فلسطين ـ تضامن"، عبر مقال للكاتب والمحلل السياسي (!!، وتلاحظ كثرة عدد المحللين السياسيين) البلجيكي الأصل "لوك ميكانيل" صدر أمس[380]، على موقعها الإلكتروني، بمؤامرة استهدفت ضرب استقرار الجزائر خطط لها أمريكيون، وحلف الشمال الأطلسي وصهاينة، ونفذها إسلاميون "متطرفون" تابعون للقاعدة، وبعض الإخوان المسلمين على حد تعبير كاتب المقال، الذي أكد أن شبكات ضرب استقرار الدول العربية، المكلفة بتطبيق مخطط لإعادة رسم الخريطة الجيوسياسية للمنطقة العربية، استقرت بالجزائر نهاية 2010، ويعتبر صاحب المقال أن أحداث يناير الماضي أو ما عرف باحتجاجات الزيت والسكر كان لهذه الشبكات دور في تحريكها (أي أن الشعوب بلهاء إلى هذا الحد، علما بأن الشعب الجزائري لم يستجب لتلك الأحداث التي كان وراءها مشاغبون عاديون).

كما يعتقد صاحب المقال أن الأزمة الليبية والعدوان الجديد على سوريا، أنه عملية انقلاب ضد الشرق، تقف وراءها هذه الشبكات التي أطلق عليها شبكات ضرب الاستقرار، ويذهب بعيدا عندما يؤكد أن هذه الشبكات تضم نشطاء عربا تلقوا تكوينا في بلغراد والولايات المتحدة الأمريكية من طرف شبكة "أوتبور"[381]

---

380 - وجدت أن الاسم في "غوغل" هو ميخائيل، وهو محامٍ بلجيكي كان ممن رفعوا في 2001 قضية لمحاسبة المسؤولين عن مجزرة صبرا وشاتيلا، ويبدو أنه من النشطاء الأوربيين الذين أصابته لوثة برنارد ليفي.

381 - تعني : المقاومة، وهي حركة سلمية قام بها شباب صربيا لإسقاط ميلوزيفيتش عام 2000، وتحولت إلى حركة سياسية في 2003، لكنها لم تحقق نجاحا يذكر.

(otpor) ومدرستها كانفاس[382] (kanvas) للتحريض والتخريب، الممولة من طرف المخابرات الأمريكية.
وللتعريف بهذه الشبكة قال الكاتب إن "أوتبور" ممولة بشكل مباشر ومدعمة من طرف الـ"سي اي أي" الأمريكية وشبكات سوروز[383] (soros)، ويعتقد أنها وراء ما يسمى "الثورات العربية" بشكل مباشر.

كما يكشف المحلل السياسي، هوية بعض الشخصيات المتورطة في تحريك هذه الثورات تأكيدا لسيناريو اليد الأجنبية وإن عرّج على ما تناقلته بعض الصحف عن وزير الداخلية وبعض الشخصيات الجزائرية وامتعاض الجزائريين من الصهيوني المدعو برنارد ليفي، ويقول الكاتب إن "السيني سرجا بوبوفيتش"، مسير مركز الأعمال التطبيقية للعنف والإستراتيجية الكائن مقره ببلغراد بصربيا، "كانافاس"، أكد في مارس الماضي في حوار مع وكالة "اسوشيتد برس"، بأن النشطاء القدامى في حركة "أوتبور" مازالوا يزاولون نشاطهم الرامي لإنشاء منظمة مهمتها الأساسية ضمان تكوين في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وصربيا، مرتزقة يدعون تأييدهم للشرق والمشارقة، مختصين في فن التحريض، تحت شعار "ثورات سلمية".

ولقد كوّن هذا المركز بحسب المتحدث المجموعات الأساسية الأولى التي أشعلت فتيل الثورة في مصر، "والتي أثرت بشكل كبير في الثوار الليبيين"، وأضاف المتحدث انه "من المحتمل جدا أن تكون بعض مجموعات الشباب الليبيين قد استوحت فكرة الإطاحة بنظام القذافي وطريقة ذلك من المناضلين المصريين الذين تم تكوينهم، ليواصل مزاعمه أن شبكة "أوتبور" شكلت أيضا مجموعات تابعة لها في كل من اليمن، تونس، البحرين، المغرب وأخيرا في الجزائر.

هذا التحليل المشكك في تلقائية الثورات العربية وشعبيتها والداعم لسيناريو التخلاط واليد الأجنبية أقحم تركيا وحملها جزءا من المسؤولية في محاولة ضرب استقرار الجزائر، حيث يدعي أن تركيا تهدد استقرار الجزائر ويستشهد بتصريح وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو الذي اعتبر الأحداث في ليبيا "درسا للمسؤولين في المنطقة الذين لا يصغون لشعوبهم"، ويعتبر أن الحديث موجه للجزائر لأنها البلد الوحيد الذي أضحى يشارك حدوده بلدان شهدا الانقلاب على الحكم. كما يعتقد أن ضرب استقرار الجزائر صار في صلب أساس المشاريع الامبريالية في الشرق الأوسط، ذلك لأن جزائر حرة وعربية تعد بمثابة نقطة ارتكاز لصمود المقاومة الليبية التي يقودها الزعيم معمر القذافي ضد أطماع الناتو.

ولعلي أشعر بحسرة كبيرة وأنا أتابع زيارة رجب الطيب أردوغان إلى تونس، ولم يفكر أحد في أن عدم زيارته لبقية دول المنطقة صفعة للجميع.

وبينما يحاول عبد العزيز في موريطانيا تبرير مواقفه بوضع كل شيء على كاهل الاتحاد الإفريقي، الذي ما زال معظم أعضائه يعيشون وهم العقيد الزائل، تسارع الصين، في انتهازية ليست جديدة بها، إلى الاعتراف بالمجلس الانتقالي، وتبدو روسيا مشدودة أكثر إلى الوضع في كوسوفو، وتعثر التفكير فيما يتعلق بالوضع في سوريا، لكنها تلتقط إشارة القذافي الذي يتباكى من الهجوم على سرت فتطالب القوة الأعظم السابقة بإيقاف الحظر الجوي على ليبيا، وهو طلب أثار مزيجا من السخرية والرثاء.

ويعود الذين رفعوا شعارات "غزو الغرب الجديد" وأسمو المحتجين ثوار "الناتو" ليعبروا مرة أخرى عن عقدة الذنب، وتنشر صحيفة "لندن" القومية يوم 17 سبتمبر افتتاحية تحت عنوان أراه وقحا، مع كرهي للرئيس الفرنسي، ويقول :" ساركوزي عندما يكذب"، وجاء في الافتتاحية على وجه الخصوص :

تحمل الأبوان الروحيان (!!) لتدخل قوات الناتو العسكري في ليبيا للمساعدة في الإطاحة بنظام العقيد معمر القذافي كل أنواع الخطر عند زيارتهما المشتركة إلى كل من طرابلس وبنغازي يوم أمس الأول، فلم يتحدثا عن تحقيق الانتصار وإكمال المهمة، مثلما فعل الرئيس الأمريكي عندما دخلت قواته بغداد (لأن الوضعية مختلفة تماما) وأعلن بالغرور كله "أن المهمة أنجزت" (..) نريد أن نفسر الاحتفالات الخجولة من قبل الضيفين ومضيفيهما التي جرت على ارض المطار، أو أثناء الاستقبالات الرسمية وبعض الشعبية، ولكن نجد لزاما علينا القول أنه بعد انتهاء مهام القصف من السماء لحلف الناتو، أكثر من عشرين الف طلعة جوية،

---

382 - حركة يوغسلافية أخرى، ادعت بعض المصادر أنها كانت وراء ثورة 25 يناير في مصر، مشيرة إلى أنها كانت وراء الثورة الوردية في جورجيا والبرتقالية في أوكرانيا وثورة باكستان ضد برويز مشرف، لتصل إلى الاستنتاج بأنها وراء كل ثورة قادت إلى كوارث، وهنا نفهم خلفيات كثيرة.

383 - حركة أنشأها جورج سوروز، وهو مليونير أمريكي من أصل مجري، والحركة ترفع لواء دعم الحريات، وتنسب لها ثورات شرق أوروبا التي دعمتها لصالح المخابرات المركزية الأمريكية. انظر ويكيبيديا.

فإن المهام الأرضية، سواء بالنسبة للحلفاء الغربيين أو أهل النظام الجديد في ليبيا ورموزه، قد لا تكون سهلة على الإطلاق، فالعقيد القذافي ما زال يشكل كابوسا يقض مضاجع هؤلاء (..) ولكن الحرب لم تنته، وفشل قوات الثوار في استعادة بلدتي بني وليد وسرت (واستعمال كلمة. **فشل** يعكس خلفيات خبيثة) رغم المحاولات المتكررة لاقتحامهما وحصارهما لأكثر من عشرين يوما، يؤكد أن الأسابيع والشهور، وربما الأعوام المقبلة، قد تكون صعبة بالنسبة إلى الليبيين (ولم تسأل الصحيفة نفسها في عجلتها لاتهام ثوار ليبيا عما كان يمكن أن يحدث لهم لو لم يتدخل الناتو لحمايتهم، وهي تكشف خلفياتها أكثر عندما تقول بعد ذلك) القذافي ارتكب **خطيئة** في نظر الغرب عندما أعطى **معظم الصفقات** للصين والهند وروسيا وتركيا، وها هم خلفاؤه على وشك تكرار الخطيئة نفسها بإعطاء الأولوية لهؤلاء في عقود الإعمار والنفط لأنهم على وشك استبدال طاغية محلي بطغاة أجانب، بقناع إنساني زائف (بدون تعليق) ومن المؤكد أنه ستكون هناك حكومة في ليبيا الجديدة في الأيام المقبلة، ولكن من المؤكد أيضا أنها لن تكون بالقوة والصلابة والتمثيل التي يتمناها الكثيرون في ليبيا، وربما هذا ما يريده ساركوزي وكاميرون وبرنارد هنري ليفي الذي رافقهما في هذه الزيارة التاريخية، وحرص أن يظهر في كل الصور، ربما لإغاظتنا، حتى يستمر انتداب حلف الناتو لليبيا لأطول فترة ممكنة (..) انتهى.

وتكرار الحديث عن برنارد هنري ليفي يفرض عليّ وقفة قصيرة أسجل بها رأيي في هذا الأفاق الصهيوني، الذي حدث أنه صديق للرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي، ولأقول أنه إذا كان هو الذي وقف وراء حماس الرئيس الفرنسي للدفاع عن ثوار ليبيا فإن علينا شكره وتحيته، ولكن مع متابعة تحركاته حتى لا يواصل ادعاءاته التي كذبها المجلس الانتقالي على استحياء، لأنه لم يشأ إغضاب حليفه الرئيسي.

وبداية يجب أن أذكر بأن ليفي وكلوكسمان وغيرهما من عتاة الصهاينة الفرنسيين كانوا محط الحظوة في الجزائر يوما ما باعتبارهم حلفاء لنا ضد الإرهاب، وكان المفروض أن نستعيد الرفقة القديمة عبر من ارتبطوا به أو معه ليكون ذلك مدخلا لنا نحو ثوار ليبيا، إذا كانوا يثقون بهذا الرجل، ولنحذرهم منه إذا لم نكن نثق به.

وأنا على يقين بأن ليفي الرجل يخدم مصالح شخصية وعقائدية واستخباراتية، وهو حاول أن يبرز في صورة الأحداث، ومن المؤكد أن حاول تحريض من يسمون بالليبيراليين ضد من يعتبرهم من الإسلاميين، ولكنني، كرجل مهتم بالعمل السياسي، أقول بأن هذا وضع يجب أن نتعامل معه بذكاء ونستفيد منه بقدر الإمكان، وأردد دائما مقولة " **تشرشل**" التي تجيز التحالف مع الشيطان نفسه إذا كان يقف معي ضد عدوّي.

ولا جدال في أن العقيد القذافي كان عدوّا للشعب الليبي.

لكن اليهود يثبتون دائما ذكاء منقطع النظير، واجهوا به تعليقات عدة صحف عربية استثمرت أخبارا مشكوكا في صحتها تقول بأن يهوديا من قدامى ليبيا يعمل على فتح المعبد اليهودي في طرابلس، وهو ما ارتبط بأقاويل عن عودة بعض اليهود الفارين بل وتعويض من كان فرّ منهم من ليبيا إثر قيام دولة إسرائيل، وهو ما كان فرصة للقوميين المزيفين ليفتحوا عقائرهم بالتشكيك في تحركات ثوار ليبيا.

وعلى الفور أخلى "رافائيل لوزون"، رئيس منظمة يهود ليبيا، مسؤوليته عن المحاولة التي قام بها أحد اليهود الليبيين مؤخرا، بإعادة فتح المعبد اليهودي في العاصمة طرابلس من دون الحصول على موافقة المجلس الوطني الانتقالي، وقال في تصريح للشرق الأوسط (10 أكتوبر) إنه يعلن رفضه واستنكاره لهذه المحاولة[384].

وكانت العاصمة الليبية طرابلس قد شهدت، كما تروي الصحيفة، مساء الخميس الماضي، مظاهرة احتجاجا على إعادة فتح معبد يهودي في طرابلس من دون إذن، وقال بيان أصدره المتظاهرون إنهم يرفضون إقامة معابد يهودية على الأراضي الليبية.

وقال لوزون، الذي يعتبر أيضا أحد رؤساء منظمة يهود ليبيا في العالم، في بيان أرسله إلى الشرق الأوسط: أنا رافائيل لوزون مع قيادات اليهود الليبيين مجتمعين، ندين ونشجب كليا العملية التي قام بها المدعو "ديفيد الجربي" وننكر الحركة التي قام بها في ليبيا على صعيد الكيفية والتوقيت اللذين تمت بهما، ونؤكد أن هذا يعتبر عملا مشينا ومهينا لأحاسيس ومشاعر المجاهدين في سبيل الحرية والثوار الذين نكن لهم كل احترام وإعجاب، والسعادة لن تكتمل إلا عندما يتم تقديم الطاغية السفاح القذافي إلى العدالة، ونسجي سعادتنا بالنتائج التي حققتها الثورة.

---

[384] - كان زبانية العقيد قد حاولوا فتح خط مع لوزن وعبره للاتصال بقيادات إسرائيلية، وهو ما كنت تعرضت له في القسم الأول الفصل (3) في أحد الهوامش.

ولفت لوزون إلى أن اليهود في البلاد في انتظار أن يتم المجلس الانتقالي تنظيم جميع الأمور الداخلية ووضع دستور للبلاد وإجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية، مضيفا : سنكون مستعدين للتحاور لما فيه الخير لهذا الوطن ولتأكيد الحب الكبير الذي نكنه للأمة الليبية، واعتبر لوزون، الذي سبق له أن رفض محاولات نظام القذافي للاستعانة بجهوده للمساعدة على إخماد الثورة الشعبية ضده، أنه يتعين على المتقدمين بطلب إقامة كنيس، ألا يكونوا من الجنسية الإسرائيلية أو من الداعمين لإسرائيل، كما أن عليهم أن يدافعوا عن حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم. وكان الليبي اليهودي الجربي العائد من المنفى، قد أعلن مؤخرا، أنه تلقى تهديدا بالقتل عندما بدأ يعمل على إصلاح المعبد اليهودي المهجور في طرابلس.

يشار إلى أن اليهود عاشوا في ليبيا منذ القرن الثالث من ميلاد المسيح، وغادر معظمهم في الأربعينات إلى إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية.انتهى.

ومن حقي أن أسجل احترامي للرجل مقارنة ببعض المتشدقين من "المارسيين"[385](بالتعبير الجزائري).

وأنا على يقين أيضا أن موقف الليبيين جميعا تجاه إسرائيل، لا يختلف عن موقف أي منا، لكن موقف العقيد القذافي لم يكن يجسد ما كان يدّعيه، وقد سبق أن أشرت إلى محاولاته كسب ثقة اليهود الليبيين المهاجرين إلى إسرائيل، في تقليد غبي لما قام به الملك الحسن الثاني.

ولم يثبت طوال عهد العقيد أنه قام بعمل له قيمته في محاربة إسرائيل، باستثناء الخطب العصماء التي ملّ منها الملل، والمزايدة على كل من يخوض غمار النضال الحقيقي، واستنجار المرتزقة ليسبحوا بحمده.

وعودة إلى صحيفة لندن القومية، حيث نجد أنها تورد يوم 17 دائما تصريحات نشرتها صحيفة جزائرية كبيرة لرئيس المخابرات الفرنسية الداخلية الأسبق "إيف بوني[386]" الذي قال للصحيفة (..) فرنسا ربما تكون ربحت الأموال، وهذا أمر لم يحصل بعد، لكني أخاف أن تكون فرنسا **خسرت** مبادئها وشرفها ومصداقيتها، والتزامها تجاه إفريقيا، ولا شيء يفسر سماح فرنسا التخلي عن مبادئها الديمقراطية التي بنيت عليها.. التخلي عن مبادئنا أمر خطير (..) الصحف الفرنسية تتحدث صباح مساء عن الأموال الضخمة التي حصلت عليها فرنسا وعن عقود البترول، إنهم يتحدثون عن عقود بـ 150 مليار يورو، أنا أتساءل ما هو ثمن هذه العقود لإعمار ليبيا؟.(..) السلطة الليبية الجديدة تفتقد إلى السيادة والشرعية وان حكام ليبيا الجدد نصبوا أنفسهم بتزكية من الرئيس الفرنسي والكاتب الصحفي برنارد هنري ليفي (..) هؤلاء لم يقوموا بالحرب، بل قام بها أناس أخرون، فحتى شرعية الحكم عبر الحرب لا يملكونها.

وأرجع بوني مشاركة دول حلف شمال الأطلسي "ناتو" في الحرب إلى كونها لا تدرك حقيقة ما يجري في ليبيا وحقيقة الوضع، حيث غاب التقدير الحقيقي للأمور (وهو وحده الذي يعرف) لقد قاموا بتربية أفعى وسيأتي اليوم الذي تلدغهم، وفرنسا ستكون أول من يلدغ، وإن كنت لا أتمنى حدوث ذلك (..) سقوط نظام معمر القذافي بهذه الطريقة وبلوغ التيارات المتشددة الحكم في ليبيا سيكون له تأثير على الخريطة الأمنية في المنطقة مستبعدا أن يقدم الحكام الجدد في ليبيا نفس المستوى من التعاون الذي كان يقدمه القذافي وبالجدية ذاتها بخصوص محاربة تنظيم القاعدة (والغريب أن القذافي نفسه هو الذي هدد بالتعاون مع "القاعدة").انتهى.

وكان إيف بوني قد أدلى بحديث قبل هذا لصحيفة "وقت الجزائر" وهي صحيفة محدودة الانتشار، وفهم البعض يومها أن بوني، الذي كان ينزل في فندق "الجزائر "سان جورج"، كان مدعوا من جهة جزائرية ما.

وقال بوني في حديثه ذلك بأن "الجزائر كانت على حق في موقفها من المجلس الانتقالي الليبي"، وأوضح قائلا بأن "المجلس الانتقالي من الناحية المنطقية لا يملك أي شرعية، فهو مجموعة مكونة من أفراد وقبائل تكتلت بدون انتخاب، بل نصبوا أنفسهم على شعب الكثير منه ضدهم، فالمجلس أفواج مختلطة لا تتفق على مبدأ واحد، فمنهم الديمقراطيون والإسلاميون والخونة فالغموض والشك مازالا يكتنفان الشخصيات المؤسسة للمجلس الانتقالي، وأنا أطرح تساؤلا كيف لوزير العدل السابق مصطفى عبد الجليل أن يبحث عن الحرية في

---

385 المارسيون في التعبير الجزائري هو من التحقوا بالثورة الجزائرية في مارس 1962، أي عندما تقرر وقف إطلاق النار.

386 - إيف بوني (Yves Bonnet) (1935) كاتب فرنسي ونائب برلماني عن اليمين (UDF) عينه فرنسوا متران (اليسار) مديرا للأمن الداخلي (DST) وهو روائي ويكتب روايات بوليسية ، وهو من مرتزقة جدد رأس مالهم الحرب ضد الإرهاب، كما يقولون، وطبعا المقصود هو الإرهاب الإسلامي، وهو يدير مكتبا يدعى (CIRET-AVT) لا يعرف له وجود ذو قيمة علمية أو أكاديمية.

ليبيا جديدة وهو من أصدر الحكم بالإعدام مرتين بحق الممرضات البلغاريات والطبيب الفلسطيني[387]، وكيف يصير عبد الفتاح يونس عدوا شرسا للعقيد القذافي وقد تعرض هذا الفريق الطبي إلى التعذيب على يديه (..) هناك تحالف بين أعضاء القاعدة والمجلس خاصة أن أغلب عناصر القاعدة هم ليبيون، وجدوا في انضمامهم للمجلس الانتقالي فرصة للحصول على الأسلحة والأموال (..) صارت ليبيا معقلا للمتطرّفين وللإرهاب، وهذا سيؤثر على استقرار شمال إفريقيا ودول الساحل" (..) انتهى.

وتواصل ق.ع. مواقفها، التي أصبح تعاطفها مع نظام القذافي أكثر من واضح، فتنشر عنوانا لافتا للنظر يقول حرفيا : قوات القذافي تدافع بشراسة عن معاقله، ثم تورد تصريح موسى إبراهيم القذافي تحت عنوان آخر لافت للنظر يدعي فيه بأن : ضربات "الناتو" في سرت تقتل 354 شخصا، وذلك بعد أن لقي استجداء العقيد منذ أيام لإيقاف القصف آذانا صماء (!!!).

وواقع الأمر أنني أصبحت أجد تناقضا في موقف الصحيفة، التي نشرت في اليوم نفسه مقالا لمالك التريكي يؤكد مرة أخرى كذب القذافي ونظامه، فهو يقول: الآن، بعد أن شبعت هناء، ابنة القذافي بالتبني، استشهادا ومقاما في جنات الخلد، ها قد أتانا الدليل على أنها لا تزال حية ترزق! بل إنها طبيبة في السابعة والعشرين من العمر! ويعرف جميع العاملين في المستشفى المركزي في طرابلس أن "الشهيدة" هناء كانت تأتي كل صباح إلى العمل في سيارة "بي ام دبليو" (BMW) سوداء ذات نوافذ حاجبةٍ للرؤية تتبعها دوما سيارتان أخريان، ويقول زملاؤها إنها كانت، بطبيعة الأحوال القذافية المعتادة، هي المدير الفعلي للمستشفى، حيث كان كل شيء تحت تصرفها، وقد لاحظ المراسلون الصحافيون الذين زاروا المستشفى، في أعقاب فرار هناء يوم 20 أغسطس، أن مكتبها فخم ومجهز بكل معدات الراحة وأن فيه حماما وجناحا للنوم، لكنه لم يكن في المكتبة ولو كتاب أو مرجع طبي واحد بل مجرد علبة "كريم" لترطيب البشرة، أما على الطاولة البيضاوية الشكل، فقد كانت هناك أربعة أكياس تحتوي بالونات خضراء حيث كانت، كما قال أحد زملائها الأطباء، تظن أن الاحتفالات سوف تقام بمناسبة انتصار أبيها على ""الجرذان" و"الصليبيين".

لقد كانت هناء، طيلة أعوام، أجدر بنت (غير موجودة) بأساطير أبيها. وها هي قد صارت، منذ أيام، أصدق شاهد على مذهب أبيها في الشرف والمصداقية. انتهى.

ويتواصل تطور الأحداث فيلتقي كبار العالم في نيويورك لرفع العلم الليبي على منظمة الأمم المتحدة، ويتعانق "زوما" الإفريقي الأصيل مع "أوباما" الإفريقي الأصل، وعلى الفور يصدر الاتحاد الإفريقي اعترافه بالمجلس الانتقالي الليبي.

وبدلا من أن تتمسك الجزائر بموقفها، الذي سبق أن ناديتُ به شخصيا، وهو التأكيد على أنها تعترف بالبلدان ولا يهمها تغير الأنظمة، ثم تنتظر وصول السفير الليبي الجديد ليكون قبولها به هو الاعتراف بالحكم الليبي الجديد، فإنها تتخذ موقفا كان أوضح من عبر عنه كمال زايت في القدس العربي يوم 24 سبتمبر، جاء فيه تحت عنوان: السلطات الجزائرية تعترف بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي بمنطق "التقسيط الممل".

ويقول كمال : بدأت الجزائر تعترف بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي بمنطق "التقسيط الممل"، إذ تعددت التصريحات واللقاءات بخصوص علاقة الحكومة الجزائرية بالمجلس الانتقالي، دون أن يكون هناك بيان رسمي يقول أن الجزائر قررت الاعتراف بالمجلس الانتقالي كممثل شرعي للشعب الليبي، علما وأن العلاقات بين الطرفين كانت متوترة منذ البداية، ولم تخرج عن دائرة الاتهامات والانتقادات.

وكانت الخارجية الجزائرية قد أصدرت بيانا مساء الخميس أكدت فيه إرادتها في العمل بـ'شكل وثيق' مع السلطات الليبية الجديدة'، بغية إرساء قواعد تعاون ثنائي مثمر بما يخدم مصلحة الشعبين الشقيقين.' وأشارت إلى أن ' الحكومة الجزائرية إذ تسجل بارتياح التصريح الذي أدلى به رئيس الاتحاد الإفريقي تيودور نغيما خلال الاجتماع الذي عقد حول ليبيا يوم 20 سبتمبر برعاية الأمم المتحدة، و أيضا الرسالة التي بعث بها

---

[387] - مجموعة ممرضات بلغاريات وطبيب فلسطيني حوكموا في ليبيا بتهمة نقل فيروس الايدز (Sida) عمدا إلى أكثر من 450 طفلا ليبيا، مات منهم فعلا خمسون، وصدر عليهم حكم بالإعدام مرتين، قبل أن يخفف إلى السجن مدى الحياة. بعد تخلي أسر الضحايا عن الادعاء (وبضغط من نظام العقيد الذي كان يتاجر بالقضية) وبقيت الممرضات والطبيب في السجن الليبي منذ عام 1999. وقالت الممرضات والطبيب أنهم أبرياء وان الاعترافات السابقة انتزعت منهم من طريق التعذيب (ومن أصاب إذن أطفال ليبيا الأبرياء؟) وتم الإفراج عنهم في يوليو 2007 وسلموا إلى صوفيا، حيث تم العفو عنهم .وكانت زوجة الرئيس الفرنسي سيسيليا ساركوزي زارت ليبيا مرتين للتوسط في قضية الممرضات. ورافقت الفريق الطبي لدى عودته إلى بلغاريا. بينما زار نيكولا ساركوزي طرابلس غداة الإفراج عنه

المجلس الوطني الانتقالي إلى رئيس المفوضية يوم 5 سبتمبر، والبيان الصادر عن الاجتماع الـ294 لمجلس السلم والأمن المنعقد يوم 21 من الشهر الحالي، فإنها تؤكد إرادتها في العمل بشكل وثيق مع السلطات الليبية الجديدة بغية إرساء قواعد تعاون ثنائي مثمر، في مصلحة الشعبين الجزائري والليبي، ويحفز الظروف الملائمة للحفاظ على سلام وأمن واستقرار المنطقة.

وذكر البيان أن الحكومة الجزائرية تؤكد في نفس الوقت أن واجب التضامن مع الشعب الليبي الشقيق الذي يمليه التاريخ والجوار من الثوابت التي ستتجلى على الدوام بكامل معانيها، وفقا لمبادئ وقواعد عدم التدخل وحسن الجوار والتعاون والاحترام المتبادل.

من جهته كان مراد مدلسي قد صرح الخميس على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة أن بلاده قررت العمل مع السلطات الليبية الجديدة، والعمل على أن يرجع التعاون بين البلدين بشكل طبيعي. وأشار إلى أن موقف الجزائر كان دائما قائما من جهة على مبدأ الانسجام مع موقف الاتحاد الإفريقي (كان المفروض والقضية مغاربية أولا أن يحرص الاتحاد الإفريقي على الانسجام مع موقف الجزائر، لا العكس) ومن جهة ثانية مع التزام المجلس الوطني الانتقالي بتعزيز وحدة الشعب الليبي التي تعد الهدف الأكثر أهمية.

وأوضح وزير الخارجية الجزائري أن رئيس الاتحاد الإفريقي قرر الاعتراف بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي، بعد أن اتخذ هذا الأخير التزامات رسمية نحو تشكيل حكومة شاملة تضم مجموع المناطق، وكذا تقديم الضمانات بشأن تعزيز الوحدة الوطنية واستطرد قائلا 'وانطلاقا من كل هذه العناصر وهذا المسار، قررت الجزائر العمل مع السلطات الليبية الجديدة (صياغة سيئة لأن كل دولة مجبرة على العمل مع دولة جارة، على الأقل، لضمان أمنها)

ورغم أن كل المؤشرات والدلائل تؤكد أن الجزائر قررت فعليا الاعتراف بالمجلس الوطني الانتقالي، إلا أن الدبلوماسية الجزائرية وعلى لسان وزير الخارجية تتحاشى القول صراحة أن الجزائر تعترف بالمجلس الانتقالي كممثل للشعب الليبي، وبالتالي إنهاء العلاقة التي كانت قائمة مع نظام معمر القذافي، علما وأن الجزائر كانت من الدول القليلة التي رفضت الاعتراف بالمجلس الانتقالي.

وتميزت العلاقات بين الطرفين بتوتر شديد منذ بداية الأزمة في ليبيا، إذ اتهم الثوار السلطات الجزائرية بإرسال مرتزقة إلى ليبيا لدعم نظام القذافي، وهو اتهام كذبته السلطات الجزائرية مرارا، واعتبرته محاولة للي ذراعها وجرها إلى الدخول في الأزمة، وتكرر هذا الاتهام أكثر من مرة، وأضيفت له اتهامات أخرى، مثل إرسال أسلحة وذخائر، والسماح بعبور باخرة محملة بالأسلحة، وزادت العلاقات توترا بعد استقبال الجزائر لجزء من عائلة العقيد معمر القذافي، وهو ما جعل محمود شمام الناطق باسم المجلس الانتقالي يصف هذه الخطوة بالاعتداء.

وبدأت الأمور تتجه إلى التطبيع في العلاقات بعد اللقاءات المتكررة التي جمعت بين مدلسي وبين محمود جبريل رئيس المكتب التنفيذي في المجلس الانتقالي ورئيس المجلس مصطفى عبد الجليل، وفي ختام ندوة الجزائر الدولية حول مكافحة الإرهاب في منطقة الساحل، التي عقدت يومي 7 و8 سبتمبر، قال "عبد القادر مساهل" وزير الدولة المكلف بالشؤون الإفريقية والمغاربية أن الحكومة الجزائرية تثق في قدرة السلطات الليبية الجديدة على ضبط الأمن، ومراقبة انتشار الأسلحة، وتكررت نفس الجملة على لسان مراد مدلسي بعدها بأيام قليلة، خلال مؤتمر صحفي عقده مع وزير خارجية مالي، وفهمت كلمة "السلطات الجديدة" على أنها اعتراف بالمجلس الانتقالي، لكن السلطات الجزائرية ظلت تربط الاعتراف بتشكيل المجلس لحكومة وطنية.

ويمكن إعطاء تفسيرين لسياسة الاعتراف 'بالتقسيط الممل'، إما أن الحكومة الجزائرية تشعر بالحرج، لأنها كانت حتى وقت قريب تناصب العداء للمجلس الانتقالي، علما وأن عبد العزيز بلخادم وزير الدولة والممثل الشخصي للرئيس الجزائري قال في وقت سابق أنه على مصطفى عبد الجليل أن يتوضأ قبل الحديث عن الجزائر، وربما تعتقد أن الرأي العام الجزائري غير متحمس لاعتراف رسمي بالمجلس، بعد أشهر من التوتر بين الطرفين.

أما التفسير الثاني فهو أن وزير الخارجية مراد مدلسي يخشى ردة فعل الرئيس بو تفليقة، الذي كان دائما يستأثر بالدبلوماسية، وبالتالي فإن الاعتراف بالمجلس الانتقالي الليبي هي من صميم صلاحياته، وهو ربما ما يجعل مدلسي يتحاشى كلمة 'اعتراف'، ويستعمل كل الكلمات الأخرى التي تدل عليها. انتهى.

وتتنافس رؤوس كثيرة تحمل عمامات التحليل السياسي والتفكير الإستراتيجي لكي تستعرض أحداث ليبيا، ودائما بخلفيات كثيرة من أكثرها إثارة للسخرية أصواتا عراقية، تحمل عقدة الغزو الأمريكي للعراق وتحاول التظاهر بالإشفاق على الثورة الليبية لتوحي، بشكل ما، أن هناك أوجها للمقارنة بين ما حدث في البلدين ولهما.

وواقع الأمر أن هذه أكبر أكذوبة روجت لها بعض الأقلام.

ما حدث في العراق كان غزوا أجنبيا تم من وراء ظهر الأمم المتحدة وبحجم هائل من الضغوط والمناورات كان الرئيس المصري السابق حسني مبارك من أبرز مخالب القط فيها، ودخل معظم من رفعوا لواء المعارضة بغداد على دبابات أمريكية وبولاءات إيرانية وبخلفيات عرقية وبحجم هائل من الأحقاد على شرائح متعددة من أبناء بلدهم، حيث الوضعية معقدة دينيا ومذهبيا وسياسيا وديموغرافيا.

وكل هذا لا ينطبق على ليبيا، حيث أن الثورة انطلقت من الداخل الليبي على يد شباب ليبي لم يجد من أشقائه الدعم المطلوب، ومكنته جامعة الدول العربية من الحصول على دعم دولي في إطار قرار واضح من الأمم المتحدة، ويكفي أن أقول هنا أن المواطن المهدد في حياته ولقمة عيشه يوميا في سوريا أو في اليمن قد يشعر بنوع من الحسد تجاه أخيه في ليبيا.

من جهة أخرى، ليبيا مجتمع متجانس بنسبة تفوق 90 في المائة، والأغلبية الساحقة مسلمة مالكية أشعرية، ومن يعتبرون أقلية أمازيغية لا تنطبق عليهم هذه الصفة إلا من الناحية اللغوية، لأن الأغلبية الساحقة في الشمال الإفريقي هي، من ناحية العمق التاريخي، أمازيغية عربها الإسلام، بمعنى أن الأمازيغ في المغرب العربي ليسوا مثيلا لأكراد العراق أو تركمانييه.

ويكفي أن أقول بأن العراق لم يعرف منذ سنوات وسنوات يوما هادئا بدون انفجارات وتفجيرات واغتيالات واعتقالات، وهو ما لا تعرفه ليبيا ولم يمض على تحرير طرابلس إلا نحو شهر.

ومن هنا ذكرت بالحكمة التي تقول بأن كسر البيضة من خارجها يعني إنهاء حياة، أما كسرها من الداخل فهو إيذان ببدء حياة.

ولا أتصور أن كل هذا يحتاج لتعليق آخر، اللهم إلا الاعتذار لأنني اضطر إلى نشر الكثير من التفاصيل، احتراما للقارئ الباحث عن الحقيقة.

ويصل قطار العلاقات الجزائرية الليبية أخيرا إلى محطته الأولى الجديدة بتصريحات لوزير الخارجية الجزائري في نيو يورك، نشرتها القدس العربي يوم 28 سبتمبر تحت عنوان : الجزائر تريد علاقات ذات طابع رسمي ومتواصل مع المجلس الوطني في ليبيا ، وجاء في المقال عن (ا ف ب): أعلن وزير الخارجية الجزائري مراد مدلسي الثلاثاء أن الجزائر والسلطات الليبية الجديدة ستشكلان لجان عمل لإضفاء "طابع رسمي ومتواصل" على العلاقة بين البلدين.

ونقلت وكالة الأنباء الجزائرية الرسمية عن الوزير مدلسي قوله "ما من شك أن قرار الحكومة الجزائرية العمل بشكل وثيق مع السلطات الليبية الجديدة من أجل إرساء تعاون ثنائي مثمر سيسمح للبلدين بالعمل معا بشكل أكثر صراحة لأنه لم تكن لدينا حتى الآن سوى اتصالات غير رسمية وغير متواصلة" وأضاف الوزير الجزائري (..) "الآن سنضفي على علاقاتنا طابعا رسميا و متواصلا" مشيرا إلى أن هناك تحديات "في غاية الأهمية" بالنظر للوضع السائد في ليبيا (..) "الليبيين يواجهون تحديات جد هامة على غرار تحدي إحلال السلام بكامل التراب الليبي وتشكيل حكومة وحدة وطنية شاملة تمثل الشعب الليبي بجميع أطيافه."(..) واعترفت السلطات الجزائرية بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي بحكم الأمر الواقع، وأعربت عن استعدادها في الثاني والعشرين من سبتمبر للعمل بشكل وثيق مع المجلس الوطني.

وتواصل الجزائر مواقفها الرافضة لكل ما يمكن أن يعتبر دعما لفلول العقيد وتنشر الشروق اليومي يوم 2 أكتوبر تحت عنوان :الجزائر ترفض منح اللجوء لمديرة بروتكول القذافي و"صحاف ليبيا"، مقالا بتوقيع عبد النور بوخمخم ، جاء فيه :

باءت بالفشل محاولات حثيثة قادتها خلال الأيام الماضية، شخصيات معروفة، في إقناع السلطات الجزائرية بالمساعدة لترتيب لجوء مبروكة الشريف، مسؤولة البروتوكول عند القذافي، إلى الجزائر، كما رفضت طلبا مماثلا لصالح الليبي "يوسف شاكير" تقدم به مسؤولان في جبهة التحرير.

وقال مصدر اطلع على تلك الاتصالات للشروق أن أعيانا وشخصيات معروفة في قبائل الطوارق بالجنوب الجزائري، حاولت أن تفتك من الحكومة الموافقة على طلب لجوء سياسي لصالح مبروكة الشريف،

واتصلت لأجل ذلك مع مصالح دبلوماسية وأمنية مختلفة، في إليزي وفي الجزائر العاصمة، لكن الحكومة نأت بنفسها عن الفكرة، وأمرت المسؤولين الذين أداروا تلك الاتصالات، بقطعها.

وتولت مبروكة الشريف خلال السنوات الأخيرة إدارة بروتوكول القذافي، وتنسيق عمل الحارسات الشخصيات (الأمازونيات) اللاتي اشتهر بهن العقيد خلال فترة حكمه، إلا أنها كانت أيضا مخزن أسرار القذافي لعقود، وحلقة الوصل الأساسية بينه وبين زعماء وأعيان الطوارق في ليبيا ودول الجوار الأخرى، خاصة في الجزائر ومالي والنيجر، وكانت الباب التي يطرقونها إذا أرادوا شيئا من العقيد، كما كانت الممر الأهم لطوارق ليبيا لأخذ حصتهم (!!!).

وقال الوسطاء الذين سعوا في ترتيب لجوئها إلى الجزائر أنها لا تواجه أي متابعات قضائية أو قانونية في ليبيا، لكن الحكومة تخشى أن تطالها تلك المتابعات مستقبلا، وبالتالي ستكون محرجة إذا تقدمت لها السلطات الليبية الجديدة بطلب تسليمها، وقال ذات المصدر أن "مجموعة من مقاتلي المجلس الانتقالي الحاكم في ليبيا دخلوا قبل أيام فعلا إلى إقامتها الشخصية، ووجدوا ما قالوا انه دليل على أن القذافي كان يلجأ إليه في آخر أيامه في طرابلس، هربا من ضربات الحلف الأطلسي".

الموقف الحكومي الرافض لمنح اللجوء السياسي للهاربين من رموز نظام القذافي طال أيضا مساعي أخرى لشخصيتين معروفتين في حزب جبهة التحرير الوطني، أحدهما وزير سابق، توسطا لدى السلطات لترتيب لجوء يوسف شاكير، الذي اشتهر بانتقاداته اللاذعة لمعارضي القذافي، وظهر مؤخرا في سوريا (والمؤسف أن تتوسط الجبهة من أجل مرتزق من نوعية شاكير بدلا من أن تتوسط لاستقبال شخصيات عرفت دائما بحبها للجزائر مثل سليمان الشحومي بل وسفير ليبيا السابق عبد المولى الغضبان، الذي كان من أقرب المقربين لقيادات جبهة التحرير) انتهى.

وتبرز يوما بعد يوم معلومات كانت غائبة أو مغيبة، تتطلب إعادة النظر في الكثير من الآراء والمواقف.

وهكذا تقول صحيفة الشروق نفس اليوم وبتوقيع بو خمخم أيضا: تعززت القناعة لدى الرفاق القدامى لزعيم المتمردين "الطوارق" في مالي "ابراهيم باهنغا" أن موته المفاجئ مؤخرا ليس بسبب حادث سير كما أعلن عنه سابقا، وقال مصدر طارقي كان قريبا من الحادثة للشروق أنه (..)تعرض للتصفية على يد بعض مرافقيه بعد الاشتباه في أنه كان ينوي الانقلاب على القذافي وتحويل جزء من السلاح والمال الذي عهد إليه رجال العقيد تأمين طريق مروره إلى الجنوب، وتعرض "باهنغا" للمطاردة من طرف مسلحين من طوارق النيجر أدت إلى إصابة وانقلاب السيارة التي تقله، فمات على الفور(..) انتهى.

وتكتب القدس العربي تحت عنوان مثير : خلاف جبريل والإسلاميين ينذر بصراع على السلطة في ليبيا، ومسجلة أن مصدرها من طرابلس هو وكالة الأنباء الفرنسية (ومعظم المراسلين الأجانب من غير جنسية وكالاتهم الأجنبية، ومن الغريب أنه ليس للصحيفة القومية العربية الكبرى مراسل في ليبيا، سواء في طرابلس أو في بنغازي) نجح التيار المعارض لمحمود جبريل في دفع هذا المسؤول المعروف بتوجهه الليبرالي لإعلان رفضه أن تكون له أية علاقة بالحكومة المقبلة، في خطوة تحمل في طياتها مخاوف من صراع على السلطة بين تيارات مختلفة أبرزها الإسلامي والليبرالي، وبعد أسابيع من حملة المعارضة التي يقودها التيار الإسلامي ضده، أعلن جبريل مساء الخميس في مؤتمر صحافي سبقته إشاعات حول نيته تقديم استقالته، وأنه لن يكون جزءا من الحكومة الليبية المقبلة. (وهو ما أراه أمرا مؤسفا) ويرى وحيد برشان رئيس المجلس المحلي لمنطقة غريان المقرب من الإسلاميين أن "التيار الإسلامي استطاع بالفعل أن يبعد جبريل (...) وعلى المجلس الانتقالي أن يقود المرحلة المقبلة ويعيد تشكيل نفسه ليمثل ليبيا بالكامل.

وينظر بعض الإسلاميين إلى جبريل على أنه شخصية اقصائية ويشككون في قدرته على قيادة المرحلة الحالية، متهمين اياه أيضا بالفساد وبتمكين أقربائه وأصدقائه من مفاصل الحكم (ومعرفتي بحماقة بعض المتحدثين باسم التيار الإسلامي تجعلني أتحفظ على هذه المقولات) ولطالما كرر رئيس المجلس الانتقالي مصطفى عبد الجليل أن الليبيين لن يقبلوا بالحركات المتطرفة، لا من اليمين ولا من اليسار، معلنا أن الإسلام سيشكل المصدر الرئيسي للتشريع في الدولة الجديدة، وأكد عبد الجليل هذا الأسبوع أن "الذي عطل الحكومة هو عقلية الليبيين التي تربوا عليها خلال أكثر من 40 عاما فالكل يريد نصيبه من الحكومة، جهات مكانية وقبائل، إضافة إلى أن هناك مدنا ترى أنها من خلال نضالها، الذي نقدره، لها أفضلية.

ويشدد زعبية في موازاة ذلك على أن الليبيين 'لن يقبلوا بالفزاعة المتشددة الإسلامية، مشيرا إلى أن جبريل يحظى بتأييد من الليبيين، وما يحدث في البلاد هو حراك ديموقراطي رغم أنه يعطل تشكيل الحكومة.

لكن الشيخ علي الصلابي، أحد القادة الإسلاميين النافذين في ليبيا والذي يحظى بتاييد قطر (ويعيش فيها) واضطلع بدور مهم في تمويل المقاتلين المعارضين لمعمر القذافي وتسليحهم، قال لفرانس برس : 'بدأت ملامح دولة استبدادية قادمة تلوح في الأفق يقودها جبريل تعتمد أسلوب تكميم الأفواه بالمال والسلطة.

وذهب الشيخ الصلابي إلى حد اتهام جبريل بسرقة الثورة (وتناقص تقديري للشيخ)

وكانت قضية الاستعانة بالناتو أمرا يستقطب كل اهتمامي، بما فرض علي أن ألاحق كل ما يتعلق به، ومن هنا توقفت طويلا عند مقال بتوقيع "لخضر فراط" من بروكسيل نشرته الفجر الجزائرية في الثالث من أكتوبر، وجاء فيه :

عكس تيار كلّ التوقعات والتصريحات والتقارير الحربية الإعلامية التي تحدثت عن موقف الجزائر المعارض لتدخل حلف الناتو في ليبيا ضد نظام القذافي قبل أزيد من خمسة أشهر، عكس كلّ ذلك كشفت مصادر من داخل الحلف الأطلسي لـ"الفجر"(يلاحظ عدم وجود أسماء أو تفاصيل عن المصدر) أن الجزائر لم تعترض منذ البداية على الحملة العسكرية الأطلسية في ليبيا، وأكد مصدر من داخل بيت الناتو، أن الحلف الأطلسي الذي تربطه علاقة شراكة مع الجزائر في إطار ما يسمى بالحوار المتوسطي والذي رفع إلى مستوى شراكة في قمة إسطنبول، قام قبل أن تندلع العمليات العسكرية ضد ليبيا بمشاورات مختلفة مع البلدان الشريكة، وعقد اجتماع على مستوى الممثلين الدائمين في الحلف مع الدول الشريكة وحضرت الجزائر ذلك الاجتماع، ولم يكن موقفها ضد تدخل الحلف الأطلسي في ليبيا وإنما حرص ممثلها على إقناع الحلف الأطلسي بأن الجزائر ستقوم فقط وبصفة صارمة بحراسة حدودها الشرقية، ولم يبد الحلف الأطلسي أي موقف معارض لذلك بل أبدى تفهما لما تقوم به الجزائر لحراسة حدودها والتزامها بما طلبته من شركائها، وهذا الموقف الوحيد الذي أعلن في الاجتماع الرسمي قبل انطلاق الحملة العسكرية ضد ليبيا بساعات فقط.

وأكّد المصدر أن الجزائر وافقت على التدخل العسكري في ليبيا "خارج التصريحات الإعلامية"، وذلك بعد بروز نيّة التدخل الفرنسي والبريطاني ضد نظام العقيد القذافي، لذلك اختارت الجزائر أن يبرز تدخل الحلف الأطلسي لمنع البلدين من الاستفراد بتطبيق القرار الأممي.

وأمام صمت الدبلوماسية الجزائرية، ظهرت عدة أصوات تتهم الموقف الجزائري بمساندة ودعم نظام العقيد القذافي، لكن مصادر متطابقة في الحلف الأطلسي أكدت دائما وطيلة الأزمة أنها لا ترى شيئا على أرض الواقع يثبت تلك الإدعاءات.

وأضاف المصدر أن بداية التدخل العسكري للحلف الأطلسي سبقته عدة مشاورات واجتماعات رسمية بين دول الحلف وبين الدول التي لها علاقة شراكة مع الحلف الأطلسي، كما أعلنه رسميا الأمين العام للحلف الأطلسي "أندرس فوغ راسموسن" بنفسه في بداية العلمية، حيث أكد أن المشاورات لم تظهر أية معارضة من الشركاء لعمل الحلف الأطلسي. ولم تكن المعلومات التي كانت تتناقلها وسائل الإعلام المختلفة بخصوص الاتهامات الموجهة للجزائر بمساعدتها للعقيد القذافي بعيدة عن جو اللقاءات الإعلامية التي نظمها وما زال ينظمها الحلف الأطلسي كل أسبوع وبانتظام يسوده الملل في الكثير من الأحيان، وطرحت العديد من الأسئلة على المسؤولين في الحلف الأطلسي ولم تلق أية إجابة تدعم الاتهامات المقدمة ضد الجزائر، بل كان يرد على بعضها بأن الحلف لا يمكن أي دليل على ما يشاع من أقاويل ورغم ما يملكه من وسائل الاتصال والمراقبة للأجواء فوق التراب الليبي، انسجاما مع رفض الجزائر الدخول في دائرة التبريرات. هذا الموقف لا يمكن في أي حال من الأحوال قراءته على أنه موقف ضد عملية الحلف الأطلسي العسكرية في ليبيا والتي جاءت تطبيقا لقرار مجلس الأمن الخاص بحماية المدنيين الليبيين من نيران العقيد القذافي، والجانب الأطلسي أكد لنا أن موقف الجزائر داعم للتدخل العسكري للحلف الأطلسي في ليبيا، مع تفهم لهاجس الجزائر في حماية حدودها.

ولذلك فإن كل التساؤلات التي طرحت على مستوى الحلف الأطلسي، العلنية منها وغير العلنية، لم تجد تأكيدا ينكر على ما كانت تناقلته وسائل الإعلام المختلفة؛ بل وجدت صمتا أطلسيا مدعما بموقف رسمي من السلطات الجزائرية على أنها لا تعترض على عمل الحلف في الناتو بعدما أزعجها كثيرا كما أزعج دول أوروبية وتركيا محاولة الانفراد الأمريكية الفرنسية البريطانية في البداية.

ولم تكن الجزائر الجهة الوحيدة التي تم التنسيق معها بخصوص العمليات التي سيقوم بها الحلف الأطلسي ضد ليبيا بل اعترف الأمين العام للحلف في أول ندوة صحفية أقامها في بروكسل، بأنه على اتصال مباشر مع الأمين العام للجامعة العربية، وقادة دول أخرى قررت المساهمة إلى جانب الحلف مثل الإمارات العربية المتحدة وقطر والأردن.انتهى.

لكن الصحيفة القومية الكبرى في لندن لم تضيع فرصة الخطابة، فكتبت يوم 3 أكتوبر مقالا بدون توقيع قالت فيه: لا نعرف ما هو حكم القانون الدولي فيما يتعلق بمئات الآلاف من المدنيين المحاصرين، ولأسابيع عديدة، في مدينتي سرت وبني وليد الليبيتين اللتين تخضعان لكتائب القذافي، وتحاصرهما قوات المعارضة الليبية، مع شن هجمات مكثفة بين الحين والآخر، في محاولة لاستعادة المدينتين واعلان 'التحرير' الكامل للأراضي الليبية.

ما نعرفه أن هؤلاء بشر وليبيون وعرب ومسلمون، ويستحقون العيش الكريم، وكل أنواع الحماية، حتى لو كانوا من أنصار النظام المخلوع، وينتمون الى قبيلته أو القبائل الأخرى المتحالفة معها.

عندما كانت كتائب القذافي تتقدم نحو مدينة بنغازي لارتكاب مجزرة فيها، حسب ما جاء في تهديدات سيف الإسلام التي شاهدناها على شاشات التلفزة، سمعنا أصواتاً تولول (!!!) وتستنجد بساركوزي وكاميرون وأوباما لحماية أرواح هؤلاء، والتدخل عسكرياً بالطائرات والأساطيل، وفرض مناطق حظر جوي.

طائرات حلف الناتو تقصف بصفة يومية المدينتين ليل نهار، وتستخدم كل أنواع الصواريخ والقذائف، وممنوع علينا أن نعرف أو نتعرف على ضحايا هذا القصف وأعدادهم، فطالما انه قصف من الناتو وطائراته وضد مدن خاضعة لنظام الطاغية، وكتائب أبنائه، فهذا قصف حلال لا غبار عليه (!!!).

الحكومة الفرنسية اعترفت بان طائراتها أغارت 150 مرة على مدينة سرت وحدها في الايام القليلة الماضية، فما هي الأهداف التي قصفتها في هذه المدينة المحاصرة ؟ من حقنا أن نسأل ومن حقنا أن نعرف.

ثم ماذا حدث للضحايا وهل دفنوا في مقابر جماعية، وكيف كان الدفن، هل على الطريقة الإسلامية، ام على الطريقة الأمريكية حسب ما قيل لنا فيما يتعلق بدفن زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن؟ (!!!).

المنظمات الإنسانية، والصليب الأحمر الدولي من بينها، التي دخلت إلى مدينة سرت بعد أسابيع من الحصار وصفت الوضع بأنه مريع ومزر، وتحدثت عن المئات من القتلى والجرحى تزدحم بهم مستشفيات تفتقر غالى أبسط أنواع الأدوية.

الفارون من المدينتين قالوا أن الذين يحاصرونهما قطعوا الماء والكهرباء عنهما، وان إمدادات الطعام والغذاء معدومة، ومن المؤسف أن العالم كله يبارك هذه الأعمال، ويغض الطرف عن هذه المعاناة الإنسانية، لأن أهل المدينتين يقفون في المعسكر الآخر مؤيدين أو مكرهين.

نتعاطف مع هؤلاء، ونبكي لمعاناتهم (!!!)، فهؤلاء أهلنا، وهؤلاء عرب مسلمون مثلنا، ودماؤهم محرمة، ولن يرهبنا (!!!) حلف الناتو وأنصاره عن قول كلمة الحق، مهما كانت التكاليف والاتهامات الباطلة والظالمة. انتهى.

بكاء وعويل يمكن أن يعتبر استعداء ضد شباب يسقط من بينه كل يوم أكثر من شهيد، لكن يسجل للصحيفة أنها نشرت تعليقات رافضة لهذا الراي ومن بينها ما قاله أحمد من أن : هؤلاء المتواجدين داخل سرت بالأغلبية العظمى ليسو مدنيين وهم مسلحون بأعتى الأسلحة (بدليل الصمود والإصرار على مواصلة القتال واستخدام المدنيين دروعا بشرية) وهم بقايا كتائب خميس والساعدى والحرس الشعبى والحرس الثورى وبعض أبناء القذاذفة، أساسا هؤلاء الناس هم المسؤولون عن كافة الجرائم من قتل و اغتصاب بحق الشعب الليبي وكذلك السرقة و النهب من مدن مصراته واجدابيا وغيرها من المدن، والمجلس الوطني أعطاهم أكثر من مرة فرصة لتسليم نفسهم مع ضمان محاكمة عادلة لكن هؤلاء غالبيتهم قتلة فلذلك هم يقاتلون حتى الموت لأنهم يعرفون مصيرهم في أي محاكمة عادلة.

ويقول محمد يعقوب معلقا تحت نفس المقال: مجازر سرت وبنى وليد يجب أن تضاف على قائمة المجازر التي ارتكبها العقيد المخلوع والهارب من وجه العدالة المدعو معمر القذافى! هذا الجزار لا يهمه إفناء الشعب الليبي كله فى سبيل بقائه على قيد الحياة! ألم يصرح هو وكريمته عائشة أن الشعب الذي لا يحب القذافى لا يستحق الحياة؟؟!!

لذلك ربما يكون هو نفسه فى سرت وليس فقط ولده المعتصم وأنه ومرتزقته يحاربون آخر موقع لهم متخذين من العائلات الليبية المتواجدة فى سرت وبنى وليد كدروع بشرية لحماية الأخ القائد! كل ما أتمناه أن يتم القبض على هذا الوحش الذي حكم ليبيا ما يزيد عن أربعة عقود أذاقهم فيها كل صنوف الإهانة والذل والمهانة حتى ينعم هو وأولاده بثروة ليبيا التى لم أصدق وأنا أطالع التلفزيون عن مناظر المدن الليبية التي لم تكن أفضل من المدن الصومالية! لقد أعطى الثوار كل الوقت للمدينتين وجاء وقت تحريرهما من الطاغية!!! انتهى.

لكن الصحيفة القومية الكبرى في لندن تقف مرة أخرى ضد التيار وتنشر يوم 17 أكتوبر مقالا تحت عنوان " أهالي حي بو سليم يحنون لأيام القذافي ويؤكدون أن عهده أفضل"، نسبته للوكالات، أي بدون توقيع وجاء في:

فيما يحاول الثوار الليبيون التقليل من أهمية الاشتباكات التي جرت السبت بين موالين للعقيد الليبي معمر القذافي، إلا أن التوتر يبدو واضحا على المسلحين الموالين للمجلس الانتقالي في حي بو سليم أكثر الأحياء تأييدا للزعيم المخلوع معمر القذافي. ويخشى بعض المحللين (لم تقل الصحيفة من هم) من احتمال تزايد الاستياء في أماكن مثل بو سليم وتحولها إلى صراع أوسع نطاقا، مع حنين بعض السكان إلى عهد القذافي.

وغامر أحد سكان الحي بالخروج الى شارع جانبي هادئ وقاد سيارته حتى وقف إلى جانب مراسل أجنبي (لم يذكر اسم المُراسل) وقال رسالة يريد أن تصل إلى الجميع "لقد كان القذافي أفضل بكثير"، كان متوترا ويداه ترتعدان. ولأنه لا يجيد الانكليزية أشار إلى زوجته الحبلى داخل السيارة التي كانت تجلس ابنتها الصغيرة على حجرها وابنتها الأخرى إلى جوارها. قالت الزوجة "القذافي" ورفعت إبهامها للأعلى في إشارة إلى أنه كان أفضل وتابعت "الأن لا يوجد شيء جيد.. لا ماء ولا غذاء للأطفال.. لا شيء"

كان حي بو سليم آخر منطقة في طرابلس تسقط في أيدي قوات المجلس الوطني الانتقالي بعد أن اجتاحوا العاصمة. كما كان هذا الحي شاهدا يوم الجمعة على معارك ضارية بين مقاتلي المجلس الوطني الانتقالي والعشرات من المقاتلين الموالين للقذافي الذين كانوا يختبئون. وعلى الرغم من أن الاشتباكات كانت محدودة وفردية فإنها كانت الأولى منذ انتزاع طرابلس من العقيد برجالها وبدعم قوات المجلس الوطني الانتقالي في 23 أغسطس وجعلت كثيرين يتساءلون عما إذا كان من الممكن حدوث تمرد موال للقذافي.

ويحرص مسؤولو المجلس الوطني الانتقالي على التهوين من شأن هذا الاحتمال ويقولون دائما إن ما حدث مجرد "مشكلة صغيرة"، لكن العشرات من مقاتلي المجلس الوطني الانتقالي المزودين بمدافع آلية وقذائف صاروخية وأسلحة ثقيلة طوقوا السبت مجمعا من الشقق السكنية التي تركز فيها العنف مما يشير إلى أن الحكام الجدد في ليبيا يأخذون مثل هذه الحوادث على محمل الجد.

(..) وتمثل سلوكيات المسلحين والكثير منهم في سن صغيرة ويتولون الآن مسؤولية أمن ليبيا مبعث قلق متزايدا لجماعات حقوق الإنسان التي اتهمتهم بإساءة معاملة آلاف المحتجزين من الموالين للقذافي وحثتهم على أن ينأوا بأنفسهم عن الجرائم التي كانت ترتكب في النظام السابق.(..) انتهى

ويكون من أهم ما تشهده العشرية الثانية من أكتوبر زيارة كلينتون إلى طرابلس والتي تزامنت مع دخول الثوار إلى بني وليد، بما جعل الحي الثاني في سرت هو آخر قلاع مرتزقة القذافي، التي تتواتر الأخبار عن وجوده في حماية قبائل الطوارق في أقصى الجنوب.

ورأيت في زيارة "وليم هيغ"، وزير الخارجية البريطاني إلى الجزائر يوم 19 أكتوبر ملامح إهانة للجزائر يؤسفني أن أحدا لم يتوقف عندها، وهو ما يبرز قصور التوجيه الديبلوماسي للمتعاملين مع القضايا الدولية الحساسة.

ففي البداية، استبق هيغ وصوله للجزائر بتحذير للدول المجاورة لليبيا، من مغبة إيواء العقيد معمر القذافي أو أفراد من حاشيته المتهمين من طرف المحكمة الجنائية الدولية بارتكاب جرائم حرب، وكان يجب أن يواجه لدى وصوله بتساؤلات صحفية تضعه في مكانه، وتفهمه بأن الجزائر ليست جزر القمر أو ليزوطو، ويسارع وزير الخارجية الجزائري باستباق المؤتمر الصحفي المشترك وتصريحات هيغ بالقول إن "الجزائر استقبلت أفراد العائلة لدواع إنسانية، والسيد عبد الجليل اعترف أنه كان يحق لنا القيام بذلك.

وكان هذا كلاما راقيا لم يحترمه مع للأسف الوزير البريطاني عندما قال بأن المملكة المتحدة تتوقع من الجزائر التعاون مع السلطات الليبية حول طلبات مفترضة من السلطات الليبية لتسلم أفراد عائلة القذافي، ومن المهم العمل مع السلطات الليبية والقضاء الدولي لضمان تسليم المطلوبين إلى العدالة.

وكان يجب أن يُردّ عليه فورا بأن الجزائر دولة تحترم التزاماتها الدولية، وهي ليست في حاجة لنصيحة من أي مسؤول أجنبي (ويمكن للوزير الجزائري بخبرته أن يجد التعبيرات الديبلوماسية المناسبة).

وكان من المؤكد أن يرفض رئيس الجمهورية استقبال الوزير البريطاني إذا نقلت إليه وقاحة "هيغ، الذي لم يكن في واقع الأمر يوجه كلامه لنا بل لناخبيه أولا وللمجلس الانتقالي الليبي ثانيا.

ولكن يبدو أن الأخبار لا تنتقل بسهولة، وهو أمر محزن.

وسأترك التعليق للقارئ.

(15)

ظللت أياما لا أستطيع كتابة حرف واحد، بعد أن تابعت مصرع العقيد القذافي بالبشاعة التي بثتها قنوات التلفزة العربية والدولية، وواقع الأمر أنني تفاديت أن أسجل رأيي فيما حدث بعد شهرين تماما على تحرير طرابلس، وفضلت الانتظار ومتابعة ردود الفعل على جريمة بشعة قتل فيها أسير أعزل بأسلوب وحشي.

كنت أريد أن أخرج بصورة واضحة تمكنني من الحكم موضوعيا على ما حدث، وتجعلني في منأى عن الأحكام المسبقة وعن الانفعالات الظرفية، وهكذا رحت أتابع ما يبث وينشر.

وبداية، كانت الصور تلفزة رهيبة وهي تبرز كيف أن الرجل الذي كان يهز العالم ويخيف العروش بدا ضعيفا خائرا يطلب من الشباب المهتاجين حوله والمتشنجين ضده الرحمة قائلا ...حرام، وبدا نقيضا لموقف صدام حسين أمام المشنقة وهو يردد الشهادتين، بعد قال لشباب آخر متهيج حوله: هيك المرجلة؟

وكان أبشع ما تم بثه صورة المعتصم جثة هامدة بعد أن كنت رأيناه يدخن سيغارة في هدوء واطمئنان.

وكانت ردود الفعل الأولية في الجزائر عاصفة، فقد صدم الناس مما رأوه، وتصرف المواطن العادي ببساطة من يؤلمه منظر نهاية دموية، حتى ولو كانت الضحية حيوانا ضاريا التهم العشرات، بشرا وحيوانات.

وشيئا فشيئا راح الناس يحللون التطورات، ويسترجعون الأحداث التي مرت على الشعب الشقيق، وراح البعض يقول بعناد من يريد أن يغالب تأثره الشخصي: كانت نهاية العقيد عبرة لمن يتعظ من الظالمين.

لكن أطرف ما حدث إثر المأساة تصاعد أصوات لم يعرف عنها يوما اكتراثها بدماء أريقت أو نفوس أزهقت، راحت تبدى الأسى والحزن بمبالغة كشفت خلفيات تشير إلى عقدة ذنب واضحة.

وفي اليوم التالي مباشرة خرجت علينا الصحيفة القومية في لندن بافتتاحية جاء فيها:

أن يخرج مئات الآلاف من الليبيين للاحتفال بمقتل الديكتاتور معمر القذافي، بعد استعادة مدينتي سرت وبني وليد آخر معاقله، فهذا أمر متوقع علاوة على كونه مشروعاً، لان أبناء الشعب الليبي عانوا، ولأكثر من أربعين عاما، من ظلمه وطغيانه وفساد نظامه، ولكن ما خيب آمالنا هي الطريقة غير الإنسانية التي عومل بها الزعيم الليبي بعد إصابته وأسره، وكذلك بعض أبنائه والمقربين منه.

نحن مع الاحتفالات بسقوط الطغاة وأنظمة حكمهم، وعودة السلطة كاملة إلى الشعب، صاحبها الحقيقي، ولكننا لسنا، ولا يمكن أن نكون مع قتل الأسرى، وجرجرة جثامينهم بالصورة التي شاهدناها جميعاً عبر شاشات التلفزة العربية، قبل الأجنبية.

العقيد معمر القذافي نزل من السيارة التي نقلته إلى سرت وهو في صحة جيدة وكان يمشي على رجليه، ولا آثار للإصابة في رأسه (وهذا ليس صحيحا، فقد بدا والدماء تنزف منه) ثم رأيناه جثة هامدة مضرجة بالدماء وهو في سيارة الإسعاف، مع تضارب كامل في الروايات حول مكان وكيفية العثور عليه، والظروف المحيطة بإصابته (..) العقيد القذافي ارتكب جرائم، وخرج بذلك عن كل قيم الإسلام عندما عذب إسلاميين قبل أن يحرق أكثر من ألف منهم في سجن أبو سليم، ولكن علينا أن نتذكر أن الثورة ضد نظامه اندلعت بفعل هذه الممارسات اللا إنسانية، وكنا نتوقع من قادة الثوار أن يقدموا لنا نموذجاً مختلفاً، وممارسات أكثر حضارية

وإنسانية في التعاطي مع الخصوم، ولكن توقعاتنا لم تكن في محلها للأسف. وما نستشفه من التقارير الإخبارية المصورة التي وصلتنا حتى الآن، أن قراراً صدر بإعدام كل، أو معظم، رجالات العهد السابق، وعدم القبض عليهم أحياء (..) انتهى، بعد حذف التوجيهات السامية للصحيفة التي بدت وكأنها تمارس نوعا من لوصاية على شعب يعاني من كل أنواع الجروح.

وهنا لا بد من أقول أن غياب النفوذ القيادي للثوار الليبيين كان لافتا للنظر، ومسينا للثوار، فإذا كانت الأمور أفلتت في اللحظات الأولى للإمساك بالعقيد لأن حجم الأحقاد كان هائلا، وإذا كان عرض جثمان العقيد مفهوما في الساعات الأولى لكي يكون ذلك تأكيد لوفاته، فإن استمرار عرض الجثمان عاريا كان أمرا مشينا عندما بدت آثار الفتحة التي قام بها الطبيب الشرعي واضحة في الصدر والبطن قبل تغطية الجثمان.

ويورد موقع صحيفة "كل العرب" السعودية تغطية التطورات بالشكل التالي:

سمحت قوات ليبية تحرس جثمان الزعيم الليبي المخلوع معمر القذافي في غرفة تخزين مبردة يوم السبت لأفراد من الشعب إلقاء نظرة على الجثمان لليوم الثاني على التوالي ولكن بعد تغطية آثار إصاباته التي قد تحمل دليلا على كيفية مقتله، ويرقد جثمان القذافي على حشية على أرضية الغرفة كما كان الحال يوم الجمعة عندما تدفق مئات من المواطنين للتأكد بأنفسهم من أن الرجل الذي حكم ليبيا لاثنين وأربعين عاما مات بالفعل.

ولكن على عكس اليوم السابق جرت تغطية جثمان القذافي بملاءة لم تكشف إلا عن وجهه لإخفاء الجروح في جسده وآثار الخدوش على صدره التي كانت ظاهرة من قبل، وقالت مراسلة رويترز التي شاهدت الجثمان انه تم تحويل رأس القذافي إلى الناحية اليسرى وهذا يعني أن مكان العيار الناري الذي شوهد من قبل على الناحية اليسرى من وجهه أمام أذنه أصبح غير مرئي.

ووزع الحراس الذين يحرسون جثمان القذافي كمامات جراحية خضراء لعشرات الأشخاص الذين تدفقوا لمشاهدته بسبب الرائحة النتنة للحم المتعفن، والثقب الناجم عن العيار الناري وجراح أخرى يمكن أن تساعد في حل لغز ما إذا كان القذافي قتل كما يقول حكام ليبيا الجدد أثناء تبادل لإطلاق النيران أو كما تشير روايات أخرى أن مقاتلين ممن اعتقلوه قتلوه.

وقال قائد عسكري في مدينة مصراتة التي نقل إليها جثمان القذافي إن مقاتلين أخذهم الحماس وأخذوا القانون بأيديهم عندما وجدوا أنفسهم وجها لوجه مع الرجل الذي يكرهونه، وأضاف طالبا عدم نشر اسمه :كنا نريد الإبقاء عليه حيا ولكن الأمور خرجت عن السيطرة.

ولا يبدي الليبيون انزعاجا يذكر من الطريقة التي قتل بها القذافي، وكانت قوات القذافي قتلت الآلاف وبينهم مدنيون خلال الانتفاضة الشعبية التي استمرت سبعة أشهر، ولكن إذا كان من اعتقلوا القذافي هم الذين قتلوه فسيلقي ذلك بظلاله على تعهدات حكام ليبيا الجدد باحترام حقوق الإنسان ومنع الأخذ بالثأر، وسيحرج ذلك أيضا الحكومات الغربية التي دعمت المجلس الوطني الانتقالي.

وسادت الفوضى والعنف الدقائق التي أدت إلى مقتل القذافي كما تشير التغطية عبر هواتف المحمول التي شاهدها العالم وتوضح القذافي وهو ينزف ويبدو عليه الذهول أثناء جر مقاتلي المجلس الوطني الانتقالي له، وكان القذافي حيا عندما اعتقل أثناء اختبائه في أنبوب للصرف خارج بلدة سرت مسقط رأسه ولكن الدماء كانت تسيل على جانب وجهه وكان مصابا بجرح قرب أذنه اليسرى بعد وقت قصير من اعتقاله.

وأوضحت لقطات مقاتلين وهم يرفعونه على شاحنة تويوتا للمرور به وسط بقية المقاتلين ونقله إلى عربة إسعاف تقف على بعد نحو 500 متر.

وكان بالإمكان سماع صوت القذافي في تسجيل فيديو وهو يردد "حرام عليكم" مرارا في الوقت الذي انهالت فيه الضربات على رأسه من قبل الحشد، وقال رجل وهو يضربه :هذا من أجل مصراتة يا كلب، وقال القذافي هل تعرف الصواب من الخطأ، وقال شخص ما :اخرس يا كلب، في الوقت الذي انهالت عليه المزيد من الضربات، وعانت مصراتة من شهور من الحصار والقصف بنيران المدفعية التي كانت تطلقها قوات القذافي.

ويوضح تسجيل فيديو أخر القذافي أثناء إنزاله من العربة وجره صوب سيارة أخرى ثم جذبه من شعره في الوقت الذي كان شخص يصرخ مطالبا بالإبقاء عليه حيا، ولكن يسمع صراخ شخص أخر ثم يختفي القذافي عن الأنظار ويسمع صوت إطلاق أعيرة نارية، وقال أحد المقاتلين الذين كانوا موجودين في المكان إن حالة القذافي كانت سيئة ولكنه كان على قيد الحياة عندما نقل إلى سيارة الإسعاف.

ولكن سائق عربة الإسعاف قال إن القذافي كان ميتا عندما أخذه ونقل الجثمان إلى مدينة مصراتة، وقال انه لم يحاول إفاقته لأنه كان مات بالفعل، وفي تسجيل مصور أخر حصلت عليه "رويتر" ظهرت قافلة من الحافلات تسرع على طريق صحراوي والأبواق تدوي ويصيح الرجال قائلون : لقد امسكنا بمعمر، إنه معمر، وفي لقطة أخرى أبطأت القافلة من سرعتها لتقف، ويهرع المقاتلون إلى سيارة إسعاف وهم يصيحون قائلين إن القذافي مات، وكان الجثمان موجودا في خلف الحافلة وكانت توجد ضمادة على جرح في الجزء العلوي من البطن على الجزء الذي شوهد فيه رصاصة في جذع القذافي بعدما عرض الجسد في مصراتة. وغطي الرأس بملاءة بيضاء. ويظهر شاب بجوار سيارة الإسعاف وبجواره رجل قائلا أنه هو القاتل وأنا الشاهد الذي رآه، وصاح الشاب مهللا وقال :عثرنا عليه في حفرة وكان معه شخص ما بداخلها، واحتفى المقاتلون وعانقوا الرجل الذي لوح بمسدس مبتسما، وقال الرجل صائحا وهو يمسك يد الشاب الصغير التي كان بها المسدس،هذا هو الشاب الذي قتل القذافي. باستخدام هذا، فهمتم. "لقد فعلها أمامي، لقد رأيته أمامي".

(..) وردا على سؤال عما إذا كان من الأفضل للقذافي أن يمثل أمام المحكمة تساءل عبد اللطيف، وهو طيار كان ينتظر في الصف قائلا: ما الذي كان سيقوله لأم قتل أبناءها أو الفتيات اللاتي اغتصبن.. لو كان عاش وقتل ألف مرة فلن يكون هذا سوى شيء بسيط.انتهى.

وبحسب الخبر الذي أوردته صحيفة "ديلي ميل" البريطانية فإن عائشة القذافي اتصلت بهاتف والدها فور سماعها نبأ اعتقاله فرد عليها أحد الثوار قائلاً: "أبو شفشوفة مات"، ويطلق الليبيون على معمر القذافي لقب "أبو شفشوفة" والذي يعني ذا الشعر الخفيف المجعد غير المرتب.

وبحسب الصحيفة، قال أحد الثوار، ويدعى حماد مفتي علي، ويبلغ 28 عاماً، إن معمر القذافي توسل إلى الثوار ألا يقتلوه، وأنه مستعد أن يعطيهم ما يريدونه من مال وذهب مقابل حياته.

وكنت أدليتُ بتصريح لصحيفة صوت الأحرار نشر يوم 24 أكتوبر جاء فيه ردا على الأسئلة:

= كيف استقبلتم خبر مقتل العقيد معمر القذافي؟

* - لم أكن من عشاق العقيد لكنني حزنت لمصرعه، وكمسلم قلت على الفور، الله أكبر، رحمه الله وغفر له، وأعترف بأنني تلقيت الخبر بأسى شديد، وخصوصا أن ذلك جرى بشكل مأساوي كنت أفضل ألا يحدث، حيث أساء للثورة وللثوار، وزاد من سوء الأثر الفوضى الإعلامية وتناقض المعلومات التي أعطتني صورة بالغة السوء عن رداءة التنظيم الإعلامي في المجلس الليبي، وكان نشر اللقطات الرهيبة في التلفزة عملا فاضحا أعتقد أن المسؤولين عن الإعلام في ليبيا يتحملون جزءا كبيرا من مسؤوليته.

لكنني تذكرت على الفور مسيرة القذافي الطويلة التي استعرضتها في هذا الكتاب، وتذكرت على وجه التحديد تصريحاته في الأسبوع الماضي والتي دعا فيها إلى إحراق مقرات المجلس الانتقالي وآبار النفط، وأعلن عن مكافأة سخية لمن يقتل أحد أعضاء المجلس، وهو ما نشرته صحف دولية، وسبق ذلك تصريحه في قناة الرأي في سوريا مطالبا الملايين بالخروج لتصفية من انقلبوا عليه، ثم تذكرت ممارسات العقيد منذ فبراير الماضي حيث أضاع كل الفرص التي كان يمكن أن تحقن دماء الليبيين وتوفر له مخرجا آمنا ومشرفا، ومرت أمامي صور عشرات الضحايا من الشباب الذين سقطوا في سرت على وجه التحديد، وقبل ذلك في نواحي متعددة وخاصة في مصراتة.

وكان واضحا أن الرجل يعيش بعيدا عن الأحداث، ويتصور واقعا لا وجود له إلا في خياله، ومن هنا أحمل بطانته اللصيقة به وبوجه خاص ابنه سيف الإسلام مسؤولية كبيرة في نهايته المأساوية، والتي كانت في واقع الأمر انتحارا لا إراديا.

وهنا أحب أن أوضح أنه لا مجال لوضع عمر المختار والقذافي في كفة واحدة، فهذا استهانة بالتاريخ، ويكفي أن نتذكر آخر كلمات كل منهما قبل موته.

= هل استطعتم تكوين فكرة واضحة عن ظروف مصرع العقيد؟

* - من واقع المقارنة بين الروايات واللقطات المتلفزة أعتقد أن الأمور سارت على النحو التالي :

- العقيد يحاول الفرار من سيرت بعد محاصرته من قبل الثوار في موكب من السيارات يجتنب قصف الناتو، الذي لم يكن يعرف على وجه التحديد شخصيات الركاب.

- يحاول العقيد وبعض من حوله الفرار من القصف ويلتجئون إلى أقرب مكان للطريق العام، وهو مجاري المياه، وهي قنوات عادية تحت الطريق لتسريب مياه الأمطار ولا علاقة لها بمجاري الصرف الصحي.

- يكتشف الثوار أن هناك فارين فيلاحقونهم.
- يتم العثور على العقيد فيتم إخراجه ويحدث إطلاق نار بين بعض حراسه والشباب، يفر إثره الحراس، ويتم الالتفاف حول العقيد، الذي يفاجأ بما حدث، ويبدو متأثرا بجراح أصيب بها.
- يصاب الشباب بجنون الحشود وهم يرون أمامهم السبب في كل ما أصابهم، ويزداد هياجهم عندما يروح يستعطفهم قائلا : حرام عليكم، ولعلهم كانوا سيترددون لو وقف صارخا فيهم كما فعل صدام حسين، ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك على وجه التحديد وما هو سبب الوفاة المباشر، لكن المؤكد أن العقيد، وحسب الصور، كان مصابا حين ألقي القبض عليه.
= أنت هنا تؤكد أن العقيد كان مختبئا في حفرة مثل صدام.
* - أنا حاولت أن أرسم السيناريو كما أتخيله على ضوء كل ما سمعته، وبالمناسبة، الحفرة التي قيل أن صدام كان مختبئا فيها هي حكاية تأكد أنها كاذبة، ففتحة مدخل الحفرة كانت أصغر من حجم صدام، الذي بدا مخدرا عند إلقاء القبض عليه إثر الخيانة المعرفة من أحد أقربائه.انتهى.

وتخرج إلى سطح الأخبار تعليقات تدل بوضوح على أنها تبرير للمواقف الممالئة للعقيد القذافي، أو المتخاذلة في دعم الثوار، ومن بينها ما نشره رئيس مكتب دراسات روسية (وجل المكاتب هي من بقايا المخابرات الروسية الكا جي بي)

وهكذا قال "فلاديمير يفسييف" مدير مركز الدراسات الاجتماعية والسياسية الروسي: "لا بد من أخذ كلام سيف الإسلام على محمل الجد تماما، لأن المفارقة تكمن في أن معمر القذافي بعد مماته أكثر خطرا على أعدائه في ليبيا وخارجها مما كان في حياته" (؟؟) ويضيف فلاديمير أن "معمر القذافي حياً ما كان ليجمع حوله ائتلافا يتمتع بقدرة قتالية ما، بينما هو الآن يناسب أطراف المعارضة المتوقعة كراية للنضال ضد السلطات الجديدة" (يلاحظ هنا الخلط بين الواقع والأوهام) وفي ما يتعلق بالكوادر والموارد المادية من غير المنتظر أن تعاني المقاومة القذافية أية مشكلات، إن حسابات العقيد المالية الشخصية تبلغ، حسب تقديرات الخبراء، حوالي عشرة مليارات دولار، ولم يتم العثور عليها حتى الآن، هذا ولم يعرف حتى الآن مصير الأسلحة التي سحبها أنصار القذافي من المستودعات منذ بداية الحرب (يلاحظ هنا أن الاعتراف بأن الأسلحة سحبها أنصار القذافي من المستودعات، وهو ما سبق أن أشرت له تخمينا) ومن ناحيتها طرحت روسيا أمام مجلس الأمن الدولي مسألة تتعلق بعشرين ألف صاروخ لمنظومات الدفاع الجوي المحمولة التي كانت موجودة في ترسانات قوات الدفاع الجوي الليبية واختفت دون أثر، وبهذا الخصوص عبر المندوب الروسي الدائم لدى المنظمة الدولية، "فيتالي تشوركين"، عن قلقه من احتمال وقوع هذه الصواريخ في أيدي إرهابيين، ويحذر الخبير في معهد الشرق الأوسط "سيرغي سيرغيتشيف" (روسي آخر) من أن المقاومة القذافية الوليدة أيضا قد تلجأ إلى ممارسة الإرهاب، ويعيد إلى الأذهان أن الاستخبارات الليبية أقامت أوائل وأواسط ثمانينات القرن الماضي شبكة إرهابية متشعبة في جميع أنحاء أوروبا.انتهى.

وبلهجة الأستاذية التي أصبحت طابعه المميز يخرج علينا عطوان يوم 26 أكتوبر بافتتاحية تحت عنوان "يخافونه حتى في القبر"، كان مما جاء فيها :

لا نفهم لماذا يصر المجلس، الذي احتفل قبل يومين بالانتصار على حكم نظام القذافي، و"التحرير" الكامل للتراب الليبي (والقوسان في المقال الأصلي) على دفن جثمان العقيد في مكان مجهول وسط الصحراء، وفي سرية مطلقة، ورفض تسليمه لأسرته، أو لقبيلته، مثلما تقتضي الأعراف والتقاليد العربية والإسلامية، اللهم إلا إذا كان المجلس الانتقالي يخشى الرجل حتى وهو في قبره (!!!) وهو الذي يتمتع بدعم الحلف الأقوى في التاريخ (..) فهل يعقل ان يوضع جثمان إنسان مسلم نطق بالشهادتين (لم نسمع الشهادتين بل سمعنا ...حرام عليكم) فوق مرتبة قذرة ملطخة بالدماء، في حاوية مخصصة للخرفان (يُلاحظ التهويل، في حين أن الحاوية كانت الثلاجة الكبيرة الوحيدة المتوفرة) شبه عار، بينما تقوم نساء وأطفال بالفرجة عليه لأكثر من ثلاثة أيام، حتى تعفن وفاحت رائحته الكريهة، وشاهدنا "الزوار" الشامتين يغلقون أنوفهم لتجنبها.. هل هذا من الإسلام وقيمه التي تنص على ستر الميت ودفنه في أسرع وقت ممكن؟ (..) العقيد القذافي كان ديكتاتوراً مستبداً دموياً بدد ثروات البلاد على أمجاده الشخصية، والحفنة الفاسدة الملتفة حوله ونظامه، وأكثر ما نخشاه أن تكون المرحلة القادمة أكثر سوءاً، حيث نرى عملية "ابتزاز" واضحة للشعب الليبي من قبل القوى الاستعمارية التي جاءت لتحريره، بحيث يجد نفسه قد تخلص من طاغية اصغر ليقع في براثن طاغية أكبر.

المشهد الليبي الحالي لا يبعث على الاطمئنان، فمرحلة ما بعد "التحرير" قد تكون أصعب كثيراً من تلك التي سبقتها، والمأمول أن تكون ليبيا الجديدة موحدة مستقرة، وأفضل كثيراً من ليبيا القديمة (القوسان دائما في أصل الافتتاحية).انتهى.

ولا بد للأمانة من القول أن كثيرا مما قاله عطوان صحيح فيما يتعلق بعملية الشماتة والتشفي، وهو أمر مرفوض إسلاميا وأخلاقيا، لكن استثماره بهذه اللهجة الاستعلائية التي تواصل تصفية حسابها مع المجلس الانتقالي الليبي أمر مفضوح.

ويخرج من الروايات عن اللحظات الأخيرة للعقيد غث وسمين، ونجد أن "حنيش نصر" وهو السائق الخاص لمعمر القذافي، يستذكر اللحظات التي سبقت القبض على العقيد الليبي ويقول: "كان الثوار يتقدمون باتجاهنا، ولم يكن خائفا، لكنه لم يكن يعرف ما الذي يجب عليه أن يفعله، وكانت هذه هي المرة الأولى التي شاهدته فيها على هذه الحال". وأضاف نصر، الذي كان يتقاضى 800 دينار ليبي شهريا (300 دولار) لمدة 30 عاما من القذافي، في حديثه الذي نشرته "الغارديان" البريطانية: إن "القذافي كان غريبا، ويقف جامداً ويتجه بعينيه صوب الغرب على الدوام، ولم يكن خائفا، غير أن معركة سرت أفقدته السمع في أذنه اليمنى".
"أمضيت معه 30 عاما، وأقسم بالله أنني لم أشاهد أي تصرف سيئ صادر منه، ولم يكن على الدوام سوى الرئيس، وكان يعاملني بطريقة جيدة".انتهى

وتنشر القدس العربي يوم 28 أكتوبر من "جوهانسبورغ" عن وكالة الأنباء الفرنسية : أفادت صحيفة "بيلد" التي تصدر في جنوب إفريقيا الخميس أن مجموعة من المرتزقة من هذا البلد ما زالت في ليبيا تحاول إخراج سيف الإسلام القذافي، ابن الزعيم الليبي السابق معمر القذافي من هناك. وتحدثت صحيفة (ربورت) التي تصدر باللغة الأفريكانية استنادا إلى مصادر لم تسمها عن 19 مرتزقا من جنوب افريقيا تعاقدت معهم شركات جنوب افريقية مرتبطة بالقذافي للمشاركة في حماية العقيد وأقاربه، وقالت صحيفة (بيلد) الخميس إن طائرات تنتظر في جوهانسبورغ والشارقة في الإمارات العربية المتحدة بانتظار أمر الإقلاع لنقل المرتزقة، وربما سيف الإسلام، عندما تسمح الظروف بذلك، وفي نهاية أغسطس افادت معلومات صحافية أيضا ان مجموعة جنوب افريقية نقلت من طرابلس إلى نيامي كمية من الذهب والعملة الأجنبية والألماس لحساب القذافي.انتهى.

وتورد الصحيفة القومية عن صحيفة "ديلي ميرور" أن سيف الإسلام، نجل العقيد الليبي معمر القذافي، فرّ وبحوزته 10 ملايين جنيه إسترليني، أي ما يعادل 16 مليون دولار، ومداخل للمزيد من الأموال المخفية. (..) وأضافت الصحيفة أن هناك مخاوف من احتمال لجوء سيف الإسلام إلى استخدام الأموال المتوفرة بحوزته لتمويل الإرهاب ضد النظام الجديد في ليبيا، على الرغم من إعلان المجلس الوطني الانتقالي بأنه يريد تسليم نفسه إلى لاهاي. ونسبت إلى سيف الإسلام قوله في بيان بثته قناة تلفزيونية في سورية بعد ثلاثة أيام على مقتل والده " سنواصل مقاومتنا، وأنا موجود في ليبيا وعلى قيد الحياة وحر وأنوي الانتقام".انتهى.

وفي انتظار التطورات نجد أن عبد الباري عطوان يكتب يوم 29 أكتوبر افتتاحية تحت عنوان "من التالي على قائمة السحل: أورد هنا مقدمتها لأنها تكشف خلفيات كثيرة.

صوت مجلس الأمن الدولي يوم أمس الأول وبالإجماع على إنهاء عمليات حلف الناتو العسكرية في ليبيا، ورفض طلباً تقدم به المجلس الوطني الانتقالي الليبي بتمديد العمليات لبضعة أشهر أو أكثر (المجلس طلب شهرين فقط أي إلى نهاية العام) وهو طلب أثار العديد من علامات الدهشة والاستغراب، فالعقيد معمر القذافي أصبح الآن ونجله ووزير دفاعه بين يدي ربه، بعد قتله وسحله والتمثيل بجثته (صحيفة "الغارديان" البريطانية قالت انه تعرض لاعتداء جنسي قبل قتله، ومدينتا سرت وبني وليد آخر معاقله "تحررتا" (القوسان من الصحيفة) وأنصاره إما تعرضوا للتصفية الجسدية أو الاعتقال (هناك سبعة آلاف معتقل في سجون مجهولة دون أي محاكمات (الجمل المعترضة بين القوسين في أصل المقال)

السؤال الذي يتردد بقوة على ألسنة الكثيرين في الشارع العربي هو حول المهمة الجديدة لحلف الناتو، وما هي الدولة المستهدفة، ومن هو الزعيم العربي الذي سيتعرض للقتل والسحل والتمثيل بجثته، هل هو الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، أم الرئيس السوري بشار الأسد، وماذا عن الديكتاتوريين الآخرين حلفاء أمريكا، هل هم محصنون من أي ثورات داخلية وإصلاحات ديمقراطية؟

من الصعب إعطاء إجابة حاسمة على هذا السؤال، فحلف الناتو لا يمكن أن يتدخل في اليمن لأنه لا يوجد فيها نفط (لم يتحدث عن دور الدولة الخليجية الكبرى التي يحتمي بها صالح) وقد يعد للألف قبل التدخل في سورية لان "الفستق الحلبي" الذي تنتجه لا يمكن أن يسدد فواتير الحرب الباهظة التكاليف، مضافاً إلى ذلك أن الفيتو الروسي - الصيني المزدوج يقف بالمرصاد لمعارضة أي قرار دولي يمكن أن تسعى الإدارة الأمريكية لاستصداره عن مجلس الأمن الدولي تحت عنوان "حماية المدنيين بكل الطرق والوسائل" (القوسان من الصحيفة والإشارة إلى جملة في قرار مجلس الأمن ، وتلاحظ صيغة السخرية الواضحة 1973)

حلف الناتو اكتسب خبرة عسكرية كبيرة لا تقدر بثمن جراء تدخله في ليبيا لإسقاط نظامها، وتسهيل مهمة قوات المعارضة بقتل رئيسها، من خلال قصف موكبه أثناء محاولته الفرار من سرت، فقد خاض هذه الحرب بعقيدة جديدة، أي الاعتماد بالكامل على القصف الجوي، وعدم إرسال أي قوات أرضية حتى لا يتكبد خسائر بشرية تثير حفيظة الرأي العام في دوله، وإشراك دول عربية في العمليات العسكرية بعد الحصول على ضوء أخضر من الجامعة العربية، حتى لا يكرر خطأه في العراق ويبدو التدخل كما لو أنه استعمار صليبي يستهدف دولة إسلامية، وفوق كل هذا وذاك ضمان الحصول على تعويضات مالية، بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، تغطي جميع النفقات العسكرية، وما هو أكثر منها.انتهى.

لكن عملية تسميم الأجواء تستمر، ويُسرب خلال الأسبوع الثاني من نوفمبر في بعض الصحف الجزائرية خبر يقول بأن المجلس الانتقالي الليبي فرض التأشيرة على الجزائريين المتوجهين إلى ليبيا، وكان هذا فرصة لاستعداء المواطن الجزائري ضد النظام الجديد في طرابلس، وحتى عندما نفى المجلس الانتقالي أي اتجاه لفرض التأشيرة كان هناك عندنا من ادعى بأن الليبيين تراجعوا لأن الجزائر هددت بالمعاملة بالمثل، والمهم أن هذا سيكون مؤشرا إلى تواصل عملية تسميم الأجواء بين البلدين يقوم بها من يحسون بعقدة الذنب تجاه الأحداث.

وفي نهاية الأسبوع قالت مصادر حكومية جزائرية للقدس العربي (16 نوفمبر) أن اللقاءين اللذين جمعا بين الرئيس الجزائري عبد العزيز بو تفليقة ورئيس المجلس الوطني الانتقالي الليبي مصطفى عبد الجليل كانا فرصة لتصفية الكثير من نقاط الخلاف وسوء الفهم بين الطرفين، علما وأن علاقات السلطات الجزائرية مع المجلس الانتقالي ظلت متوترة طوال أشهر. وأضافت المصادر ذاتها أن الرئيس بو تفليقة الذي التقى مصطفى عبد الجليل بحضور أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني استغل الفرصة ليدعو عبد الجليل إلى ضرورة الإسراع بتنقية الأجواء من أجل تجاوز هذه المرحلة، والانتقال سريعا إلى إعادة بناء دولة ليبية حديثة على أسس المعايير الديمقراطية. وأشارت إلى أن بوتفليقة دعا أيضا رئيس المجلس الانتقالي إلى أهمية القيام بمصالحة بين الليبيين وقلب صفحة الماضي، لتفادي وجود انقسامات داخل المجتمع الليبي، مشددا على أن تكريس الضغائن والأحقاد سيعرقل تطور البلاد، لأن عهد القذافي انتهى، وأنه من الضروري أن يتوحد جميع الليبيون من أجل بناء ليبيا جديدة، وأكدت المصادر ذاتها على أن الرئيس بوتفليقة أبدى استعداد بلاده لمساعدة السلطات الليبية الجديدة من أجل إعادة بناء ما تم هدمه خلال الأشهر القليلة الماضية، موضحا أن الجزائر وليبيا بلدين جارين، وأنه من الضروري والطبيعي أن تكون علاقاتهما وثيقة في كافة المجالات، وأنه من الضروري استغلال ما حدث في ليبيا وفي دول عربية أخرى من أجل إعادة بعث الاتحاد المغاربي، وأوضحت أن اللقاء كان فرصة أيضا للحديث عن عائلة القذافي المتواجدة في الجزائر، مشيرة إلى أن بوتفليقة قد أكد على أن استقبال بلاده لأفراد من عائلة القذافي كان لأسباب إنسانية بحتة، وأنها ليست على استعداد لتسليمهم، لأنهم غير مطلوبين من القضاء الدولي، على اعتبار أنهم لم يتورطوا في الأحداث التي عرفتها ليبيا خلال الأشهر الماضية، كما أكد الرئيس الجزائري لعبد الجليل أن بلاده لم تكن تدعم العقيد معمر القذافي، وأن علاقات الجزائر كانت دائما مع الدول ومع الشعوب وليست مع الأنظمة، لذلك فإن السلطات الجزائرية لا يمكنها إلا أن تبارك خيار الشعب الليبي، وأوضحت المصادر نفسها أن مصطفى عبد الجليل أكد لبوتفليقة أن الجزائر بلد مهم ومحوري في المنطقة ومن أهم جيران ليبيا، وبالتالي لا يمكن أن تبقى الجزائر بمعزل عما يجري داخل ليبيا، مشددا على أن السلطات الجديدة تعول على مساعدة السلطات الجزائرية في جميع الميادين من أجل ضمان الخروج من المرحلة الانتقالية بأسرع وقت ممكن وبأحسن النتائج، التي تضمن للشعب الليبي تحقيق التغيير الديمقراطي الذي يتطلع إليه.

وأعرب عن أمله في أن تصل العلاقات بين البلدين إلى مستويات أكبر من التعاون الوثيق في شتى المجالات،

وكان أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني جمع أمس الثلاثاء الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة ورئيس المجلس الانتقالي في ليبيا مصطفى عبد الجليل في لقاء ثلاثي بالعاصمة القطرية الدوحة امس الثلاثاء . (وهو ما كنت أشرت له عندي تساؤلي عن سبب الهجمة الإعلامية الضارية من بعض أقلامنا على قطر)

****

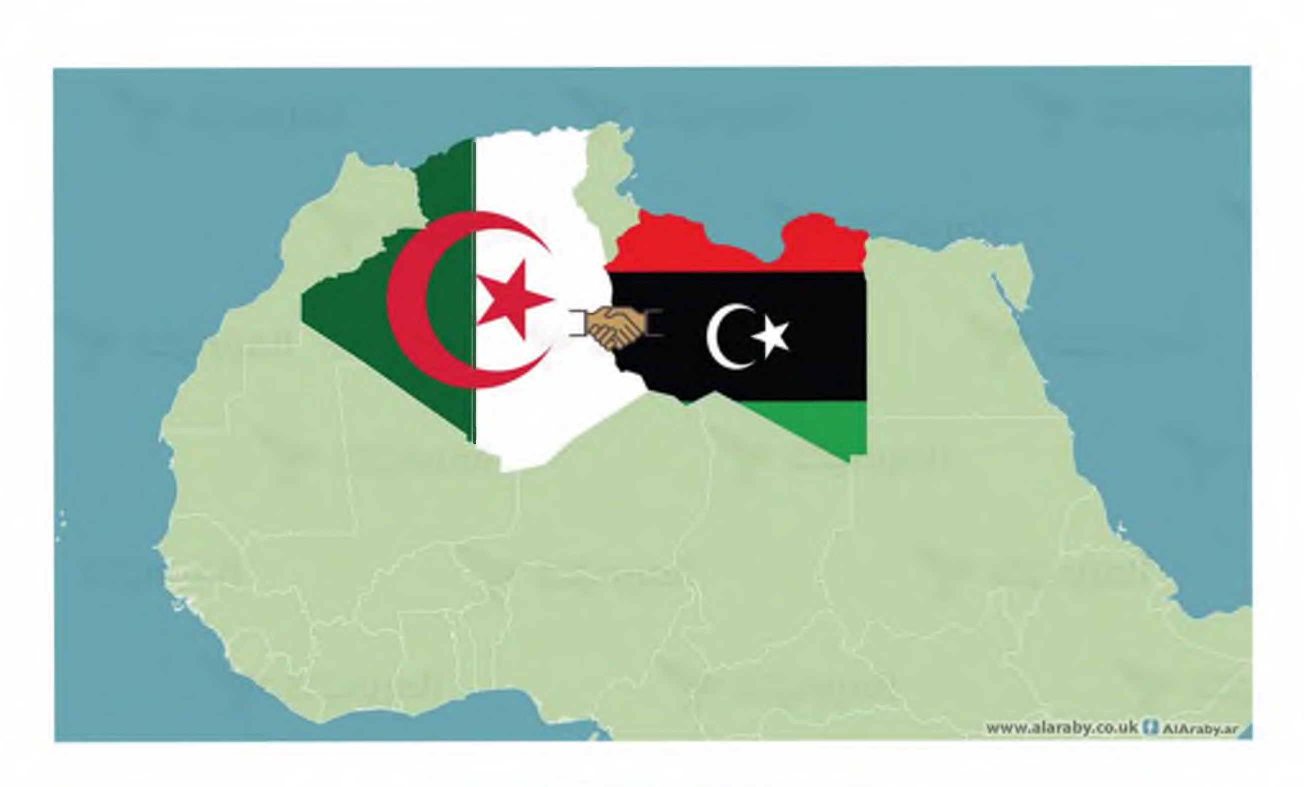
ويبقى أن صفحة أخرى من تاريخ الوطن العربي والعالم الإسلامي قد طويت بوقف تنفيذ قرار مجلس الأمن 1973 المتعلق بليبيا الذي يأتي بعد إعلان تحريرها، وفتحت صفحة جديدة وسنسمع الكثير ونقرأ الكثير ونكتشف الكثير.

ومن الخطأ أن نظن أن الأيام القادمة ستكون وردية كشهر عسل بين عاشقين، فالتركة ثقيلة وأثار الأزمة موجعة وتداعياتها معقدة.

ومن المؤكد أن الأمور في القطر الشقيق ستظل أياما وربما أسابيع بين شد وجذب، لكن قيادة القذافي لليبيا أصبحت جزءا من الماضي، وعقارب الساعة لن تعود إلى الوراء بأي حال من الأحوال، وأيا كانت التطورات.

والأمل في الله كبير، ونسأل الله الخير والعافية.




www.alaraby.co.uk AlAraby.ar


الجزائر
وليبيا
بلد واحد